(فهرسة الجزء التاسع من فتح البيان)

صحيفة

(فهرسة الجزء التاسع من تفسير ابن كثير)

صحيفة

(الجزء التاسع)

من التفسير المسمى فتح البيان

في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق

الهمام المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب

صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك

مدينة بهوبال حالا بالاقطار الهندية

لازالت كواكب فضله

في الآفاق زاهرة

بمنه آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبعمائة وعشر المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون



(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)

سنه ١٣٠١ هجرية

بآياته وحججه وبراهينه ثم بين تعالى انه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى فقال تبارك وتعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لكان الامر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وانما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين كل هذا من باب الشرط و يجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم وقوله تعالى سبحانه هو الله الواحد (٤) القهار أي تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذي كل شيء عبد لديه فقير اليه وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الاشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) يخبر تعالى انه الخالق لما في السموات والارض وما بين ذلك من الاشياء وبانه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا كقوله تبارك وتعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا هذا معنى ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم وقوله عز وجل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى أى الى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة الا هو العزيز الغفار أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب اليه وقوله جلت عظمته خلقكم من نفس واحدة أي خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ثم جعل منها زوجها وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام

الازهر

وقيل القلب وهو كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا تجمعه العرب الا في ضرورة الشعر قال الجوهري والبال أيضا رخاء العيش يقال فلان رخي البال والبال الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي والبالة القارورة والجراب ووعاء الطيب وموضع بالحجاز وقيل والمعنى انه عصمهم عن المعاصي في حياتهم وأرشدهم الى أعمال الخير وليس المراد اصلاح حال دنياهم من اعطائهم المال ونحو ذلك وقال النقاش ان المعنى أصلح نياتهم (ذلك) أى ما مر مما أوعد به الكفار ووعد به المؤمنين أو الامر ذلك (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) فالباطل الشرك والكفر والحق التوحيد والايمان والمعنى ان ذلك الاضلال لاعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل من الشرك بالله والعمل بمعاصيه وذلك التكفير لسيئات المؤمنين واصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والايمان وعمل الطاعات (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يضرب) يبين (الله للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين الجارية مجرى الامثال في الغرابة قال الزجاج كذلك يضرب لهم أمثال حسنات المؤمنين واضلال أعمال الكافرين يعني ان من كان كافرا أضل الله عمله ومن كان مؤمنا كفر الله سيئاته أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الابرار ولما بين سبحانه حال الفريقين أمر بجهاد الكفار فقال (فاذا لقيتم) الفاء لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام أى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتم في المحاربة (الذين كفروا) أى المشركين ومن لم يكن صاحب عهد من أهل الكتاب (فضرب الرقاب) قال الزجاج أى فاضربوا الرقاب ضربا وقيل هو منصوب على الاغراء قال أبو عبيدة هو كقولهم يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصدوا ضرب الرقاب وخص الرقاب بالذكر لان القتل أكثر ما يكون بقطعها لا ان الواجب ضرب الرقبة خاصة لان هذا لا يكاد يتأتى حالة الحرب وانما المراد القتل في أي موضع كان من الاعضاء وقال لان في التعبير عنه من الغلظة والشدة ما ليس في نفس القتل وهي حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأحسن أعضائه (حتى اذا أثخنتموهم) غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل وهو مأخوذ من الشيء الثخين أي الغليظ والمعنى أثخنتم في

ثمانية أزواج أي وخلق لكم من ظهور الانعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الانعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عز وجل يخلقكم في بطون امهاتكم أي قدركم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله جل وعلا في ظلمات ثلاث يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (٥) وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد وقوله جل جلاله ذلكم الله ربكم أي هذا الذي خلق السموات والارض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك لا اله الا هو أي الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده لا شريك له فأنى تصرفون أي فكيف تعبدون معه غيره أين يذهب بعقولكم (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) يقول تعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى انه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وفي صحيح مسلم يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيأ وقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يحبه ولا يأمر به وان تشكروا يرضه لكم أي يحبه لكم ويزدكم من فضله ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس عن نفس شيأ بل كل مطالب بأمر نفسه ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور أي فلا يخفى عليه خافية وقوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه أي عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ولهذا قال

الارض أثخنا ناسا الى العدو وأوسعهم قتلا وأثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته وقد مضى تحقيق معناه في الانفال والمعنى اذا أثقلتموهم وقهرتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) بالفتح القيد والحبل ويجيء بالكسر اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط قال الجوهري وأوثقه في الوثاق بكسر الواو لغة فيه والجمع وثق مثل رباط وربط وعناق وعنق قرأ الجمهور فشدوا بضم الشين وقرئ بكسرها وانما أمر سبحانه بشد الوثاق لئلا يفلتوا ويتفلتوا والمعنى اذا بالغتم في قتلهم وأكثرتم القتل فيهم فامسكوا عنهم وأسروهم واحفظوهم بالوثاق (فاما منا بعد واما فداء) قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر أي فاما أن تمنوا عليهم بعد الاسر وشد الوثاق منا أو تفدوا فداء والمن الاطلاق بغير عوض والفداء ما يفدي به الاسير نفسه من الاسر ولم يذكر القتل هنا اكتفاء بما تقدم وانما قدم المن على الفداء لانه من مكارم الاخلاق ولهذا كانت العرب تفتخر به كما قال شاعرهم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

قال ابن عباس في الآية جعل الله النبي والمؤمنين بالخيار في الاسارى ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وعنه أيضا قال هذا منسوخ نسختها فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وعن الحسن قال أتى الحجاج باسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا أمرنا انما قال الله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء وعن ليث قال قلت لمجاهد بلغني ان ابن عباس قال لا يحل قتل الاسارى لان الله قال فاما منا بعد واما فداء فقال مجاهد لا تعبأ بهذا شيأ أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة انما كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين فاما اليوم فلا يقول الله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فان كان مشركو العرب لم يقبل منهم الا الاسلام فان لم يسلموا فالقتل وأما من سواهم فانهم اذا أسروا فالمسلمون فيهم بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استحيوهم وان شاؤا فادوهم اذا لم يتحولوا عن دينهم فان أظهروا الاسلام لم يفادوا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الصغير والمرأة والشيخ الفاني ثم ذكر سبحانه الغاية لذلك فقال (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح

تبارك وتعالى ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل اى فى حال الرفاهية نسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله تعالى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أى قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار وقوله تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى (٦) عذاب غليظ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا لا يستوون عند الله كما قال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وقال تبارك وتعالى ههنا أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب الى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه آخرون قال الثورى عن فراس عن الشعبى عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن والسدى وابن زيد آناء الليل جوف الليل وقال الثورى عن منصور بلغنا ان ذلك بين المغرب والعشاء وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أى فى حال عبادته خائف راج ولابد فى العبادة من هذا وهذا وان يكون الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو وأخاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه

والكراع أسند الوضع اليها وهو لاهلها على طريق المجاز والمعنى ان المسلمين مخيرون بين تلك الامور الاربعة الى غاية هى أن لا تكون حرب مع الكفار بان لا تبقى لهم شوكة قال مجاهد المعنى حتى لا يكون دين غير دين الاسلام وبه قال الحسن والكلبى قال الكسائى حتى يسلم الخلق وقال الفراء حتى يؤمنوا ويذهب الكفر أى لا يبقى الا مسلم أو مسالم وقيل المعنى حتى يضع الاعداء المحاربون أوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة وروى عن الحسن وعطاء انهما قالا فى الآية تقديم وتأخير والمعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها فاذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق وقد اختلف العلماء فى هذه الآية هل هى محكمة أو منسوخة فقيل انها منسوخة فى أهل الاوثان وانه لا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة وبهذا قال قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وكثير من الكوفيين قالوا والمائدة آخر ما نزل فوجب ان يقتل كل مشرك الا من قامت الدلالة على تركه كالنساء والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهذا هو المشهور من مذهب أبى حنيفة وقيل ان هذه الآية ناسخة لقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم روى ذلك عن عطاء وغيره وقال كثير من العلماء ان الآية محكمة وان الامام مخير بين القتل والاسر وبعد الاسر مخير بين المن والفداء وبه قال مالك والشافعى والثورى والاوزاعى وأبو عبيد وغيرهم وهذا هو الراجح لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلوا ذلك وقال سعيد بن جبير لا يكون فداء ولا أسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف لقوله ما كان للنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض فاذا أسر بعد ذلك فللامام أن يحكم بما رآه من قتل أو غيره وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم اماما مهديا وحكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها رواه عبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن مردويه وعن سلمة بن نفيل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث قال ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج رواه ابن مردويه وابن سعد وأحمد والنسائى والبغوى والطبرانى والحاصل ان حتى غاية لاحد الامور الاربعة أو للمجموع عند الشافعى وأما عند أبى حنيفة فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية

للمن

ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبة عن عبيدة العمري حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء انه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه وانما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى انه ربما قرأ القرآن في (٧) ركعة كما روى ذلك أبو عبيد عنه رضي الله تعالى عنه وقال الشاعر

ضحوا بأشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الامام أحمد كتبت الى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان ابن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله انما يتذكر أولو الالباب أي انما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم (قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل اني أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم واخراهم وقوله وأرض الله واسعة قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى وأرض الله واسعة قال اذا دعيتم الى معصيته فاهربوا ثم قرأ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال الاوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم انما يغرف لهم غرفا وقال ابن جريج بلغني انه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط

للمن والفداء وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمراد بالوضع ترك القتال ولو كان الشخص متقلدا آلته (ذلك) أي الامر ذلك وقيل ذلك حكم الكفار وقيل افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ان الله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم واهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك بغير قتال (ولكن) أمركم بحربهم (ليبلو بعضكم ببعض) أي ليختبر فيعلم المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائه ويجزل ثوابهم ويعذب الكفار بأيديهم (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ الجمهور قاتلوا مبنيا للفاعل وقرئ قتلوا مخففا ومشددا مبنيا للمفعول وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف والمعنى على الاولى والرابعة ان المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع وعلى الثانية والثالثة أن المقتولين في سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت في يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل ثم ذكر سبحانه ما لهم من جزيل الثواب عنده فقال (سيهديهم) الله سبحانه الى الرشد في الدنيا وهو العمل الصالح والاخلاص فيه ويعطيهم الثواب في الآخرة قال أبو العالية قد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها وقال ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر (ويصلح بالهم) أي حالهم وشأنهم وأمرهم وقيل يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) الجملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدون تقديرها قاله السمين أي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وذلك انهم اذا دخلوا الجنة تفرقوا الى منازلهم قال الواحدي هذا قول عامة المفسرين وقال الحسن وصف الله لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف أي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها وقيل هذا التعريف بدليل يدلهم عليها وهو الملك الموكل بالعبد يسير بين يديه حتى يدخله منزله كذا قال مقاتل ويرده حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا رواه البخاري وهذا يدل على صحة القول الاول وقيل عرفها لهم أي طيبها بانواع الملاذ مأخوذ من العرف وهو الرائحة أو المعنى حددها لهم

ولكن يزادون على ذلك وقال السدى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يعنى فى الجنة وقوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أى انما أمرت باخلاص العبادة لله وحده لاشريك له وأمرت لان أكون أول المسلمين قال السدى يعنى من أمته صلى الله عليه وسلم (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) يقول تعالى (٨) قل يا محمد وأنت رسول الله انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الاولى والاحرى قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا أيضا تهديد وتبر منهم قل ان الخاسرين اى انما الخاسرون كل الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أى تفارقوا فلا التقاء لهم ابدا وسواء ذهب أهلوهم الى الجنة وقد ذهبوا هم الى النار أو ان الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور الا ذلك هو الخسران المبين أى هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم فى النار فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل كما قال عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله جل جلاله ذلك يخوف الله به عباده أى انما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم وقوله تعالى يا عباد فاتقون أى اخشوا بأسى وسطوتى وعذابى ونقمتى (والدين اجتنبوا امر الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم والصحيح انها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الاوثان وأناب الى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم قال عز وجل فبشر عبادى الذين يستمعون القول

بحيث يكون لكل واحد جنة مفرزة وقيل عرف أهل السماء انها لهم وقيل عرفها لهم اظهارا لكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين أعمالهم والاول أولى ثم وعدهم سبحانه على نصر دينه بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه (ينصركم) على الكفار وعلى عدوكم ويفتح لكم ومثله قوله ولينصرن الله من ينصره قال قطرب ان تنصروا نبى الله ينصركم (ويثبت أقدامكم) أى يثبتكم فى المعترك عند القتال فالمراد بالاقدام الذوات بتمامها وعبر بالقدم لان الثبات والتزلزل يظهران فيها وتثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة فى مواطن الحرب وقيل على الاسلام وقيل على الصراط (والذين كفروا) من أهل مكة وغيرهم (فتعسا لهم) منتصب على المصدر للفعل المقدر قال الفراء مثل سقيا لهم ورعيا وأصل التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه قال والتعس أيضا الهلاك قال الجوهرى وأصله الكب وهو ضد الانتعاش قال المبرد أى فمكروها لهم وقال ابن جريج بعدا لهم وقال السدى حزنا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال الحسن شتما لهم وقال ثعلب هلاكا لهم وقال الضحاك وابن زياد خيبة لهم وقيل قبحا لهم حكاه النقاش وقال الضحاك أيضا رغما لهم وقال ثعلب أيضا شرا لهم وقال أبو العالية شقوة لهم وعنه سقوطا لهم قيل والتعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه واللام فى لهم للبيان كما فى قوله هيت لك (وأضل أعمالهم) معطوف على ما قبله داخل معه فى خبرية الموصول أى أبطلها لانها كانت فى طاعة الشيطان والاشارة بقوله (ذلك) الى ما تقدم مما ذكره الله من التعس والاضلال أى الامر ذلك أو ذلك الامر (بانهم كرهوا ما أنزل الله) على رسوله من القرآن المشتمل على التكاليف وذلك لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فلما جاء القرآن بترك ذلك كرهوه أو ما أنزل على رسله من كتبه لاشتمالها على ما فى القرآن من التوحيد والبعث (فأحبط الله أعمالهم) بذلك السبب والمراد بالاعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير فى الصورة وان كانت باطلة من الاصل لان عمل الكافر لا يقبل قبل اسلامه ثم خوف سبحانه الكفار وأرشدهم الى الاعتبار بحال من قبلهم فقال (أفلم يسيروا فى الارض) أى فى أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى آخر

فيتبعون أحسنه أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة فخذها بقوة
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أولئك الذين هداهم الله أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة
وأولئك هم أولو الالباب أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) يقول تعالى أفمن كتب الله
انه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من (٩) بعد الله لانه من يضلل الله فلا هادي له

أمر الكافرين قبلهم فان آثار العذاب في ديارهم باقية ثم بين سبحانه ما صنع بمن قبلهم فقال
(دمر الله عليهم) التدمير الاهلاك أي أهلكهم واستأصلهم يقال دمره ودمر عليه بمعنى
والثاني أبلغ لما فيه من العموم أي أهلك ما يختص به من المال والنفس ونحوها والاتيان
بعلى لتضمينه معنى أطبق عليهم أي أوقعه عليهم محيطا بهم والجملة مستأنفة جواب سؤال
مقدر ثم توعد مشركي مكة فقال (وللكافرين) أي السائرين بسيرة من قبلهم من الكفار
(أمثالها) قال ابن عباس يعني لكفار قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما دمرت به
القرى فاهلكوا بالسيف قال الزجاج وابن جرير الضمير راجع الى عاقبة الذين من قبلهم
من الامم الكافرة وانما جمع لان العواقب متعددة بحسب تعدد الامم المعذبة وقيل
أمثال العقوبة أو الهلكة أو التدميرة والاول أولى لرجوع الضمير الى ما هو مذكور قبله
مع صحة معناه (ذلك) أي ما ذكر من ان للكافرين أمثالها (بان) أي بسبب ان
(الله مولى الذين آمنوا) أي ناصرهم ووليهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أي لا ناصر
يدفع عنهم كما يؤخذ من مقابله وهذا لا يخالف قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان
المولى فيه بمعنى المالك لا بمعنى الناصر قال قتادة نزلت يوم أحد وقرأ ابن مسعود ولي
الذين (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) قد
تقدم تفسير الآية في غير موضع وتقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات والجملة
مسوقة لبيان ولاية الله للمؤمنين وثمرتها الاخروية (والذين كفروا يتمتعون) بمتاع الدنيا
أياما قلائل وينتفعون به غير متفكرين في العاقبة (ويأكلون كما تأكل الانعام) في
معالفها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والمعنى كأنهم أنعام ليس لهم
همة الا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه لا يلتفتون الى الآخرة
(والنار مثوى لهم) أي مقام يقيمون به ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه ومصير يصيرون اليه
والجملة في محل نصب على الحال أو مستأنفة ثم خوف الله سبحانه الكفار بانه قد أهلك من
هو أشد منهم فقال (وكأين من قرية) قد قدمنا ان كأين مركبة من الكاف وأي وأنها
بمعنى كم الخبرية أي وكم من قرية والمعنى كم من أهل قرية كذبت رسلها (هي) أي هم
(أشد قوة من) أهل (قريتك التي أخرجتك) أي أخرجوك منها (أهلكناهم) فكذلك

ومن يهده فلا مضل له ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء ان لهم غرف في الجنة وهي القصور أي الشاهقة من فوقها غرف مبنية طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الاسدي ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن ابن اسحق وقال حسن غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

 في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان
الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الاشعري عن أبي مالك الاشعري رضي الله
عنه به وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراأون الغرفة في الجنة كما تراأون الكوكب في السماء قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي
عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كما تراأون الكوكب الذي في الافق الشرقي أو الغربي أخرجاه في

الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليمان عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراأون في الجنة أهل الغرف كما تراأون الكوكب الدري الغارب في الافق الطالع في تفاضل أهل الدرجات فقالوا يارسول الله أولئك النبيون فقال صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل (١٠) ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا ثنا زهير ثنا سعد الطائي ثنا أبو المدلة مولى أم المؤمنين رضي الله عنها انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قلنا يارسول الله انا اذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فاذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد قال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال صلى الله عليه وسلم لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد ابن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدله وكان ثقة به وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار أي تسلك الانهار بين خلال ذلك كما يشاؤا وأين أرادوا وعد الله أي هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين ان الله لا يخلف الميعاد (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) يخبر تعالى ان أصل الماء في الارض من السماء كما قال عز وجل وأنزلنا من

نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل هؤلاء القرى قال مقاتل أي أهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسلهم (فلا ناصر لهم) فبالاولى من هو أضعف منهم وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي مكة قال الكلام على حذف المضاف كما في قوله واسأل القرية والجملة بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء للترتيب ذكر ما بالغير على عدم ما بالذات وهو حكاية حال ماضية اذ كان الظاهر ان يقال فلم ينصرهم ناصر لان هذا اخبار عما مضى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج فأعتى الاعداء من عتا على الله في حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل (١) بذحول الجاهلية فانزل الله وكأين من قرية الآية ثم ذكر سبحانه الفرق بين حال المؤمنين وحال الكافرين فقال (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر كنظائره والمعنى انه لا يستوي من كان على يقين من ربه وحجة وبرهان من عنده ولا يكون كمن زين له سوء عمله وهو عبادة الاوثان والاشراك بالله والعمل بمعاصي الله أي لا مماثلة بينهما (واتبعوا أهواءهم) في عبادتها وانهمكوا في انواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلا عن حجة نيرة روعي في هذين الضميرين معنى من كما روعي فيما قبلهما لفظها ثم لما بين سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما فقال (مثل) أي صفة (الجنة التي وعد المتقون) مستأنفة لشرح محاسن الجنة الموعود بها المؤمنين وبيان ما فيها وفيه أوجه أحدها انه مبتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل ما تسمعون وقوله (فيها أنهار) مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضا مفسرة للمثل الثاني ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الثالث ان مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله فيها أنهار وفيه نظر الرابع ان مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا فالصحيح وقدره الزمخشري كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلاثة أوجه أحدها هي حال من الجنة أي مستقرة فيها انهار

(١) الذحل الحقد والعداوة يقال طلب بذحله أي بثاره والجمع ذحول اهـ صحاح

السماء ماء طهورا فاذا أنزل الماء من السماء كمن فى الارض ثم يصرفه تعالى فى أجزاء الارض كما يشاء و ينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة اليها ولهذا قال تبارك وتعالى فسلكه ينابيع فى الارض قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين ثنا عمرو بن على ثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال ليس فى الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق فى الارض تغيره فذلك قوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده وكذا قال سعيد بن جبير وعامر (١١) الشعبى ان كل ماء فى الارض فاصله من السماء

وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعنى ان الثلج يتراكم على الجبال فيسكن فى قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أى ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الارض زرعا مختلفا ألوانه أى أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه ثم يهيج أى بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرا قد خالطه اليبس ثم يجعله حطاما أى ثم يعود يابسا يتحطم ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب أى الذين يتذكرون فيعتبرون الى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء والشاب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من كان حاله بعده الى خير وكثيرا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء و ينبت به زروعا وثمارا ثم يكون بعد ذلك حطاما كما قال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا وقوله تبارك وتعالى

أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أى هل يستوى هذا ومن هو قاسى القلب بعيد من الحق كقوله عزوجل أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ولهذا قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أى فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعى ولا تفهم أولئك فى ضلال مبين (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) هذا مدح من الله عزوجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها

أنهار الثانى انها خبر لمبتدا مضمر أى هى فيها أنهار كأن قائلا قال ما مثلها فقيل فيها أنهار الثالث أن يكون تكرير للصلة لانها فى حكمها ألا ترى انه يصح قولك التى فيها أنهار وانما عرى من حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء يجرى مثله تصوير المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار أفاده السمين (من ماء غير آسن) بالمد والقصر سبعيتان ولغتان وقال الاخفش ان الممدود يراد به الاستقبال والمقصور يراد به الحال يقال أسن الماء يأسن أسونا اذا تغيرت رائحته ومثله الآجن وزنا ومعنى قال ابن عباس غير متغير يعنى بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض كما تتغير ألبان الدنيا لانها لم تخرج من ضروع الابل والغنم والبقر فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وانهار من خمر لذة للشاربين) أى لذيذة لهم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب يقال شراب لذ ولذيذ وفيه لذة بمعنى ومثل هذه الآية قوله بيضاء لذة للشاربين والمعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا غضاضة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس فى شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار ولا آفة من آفات الخمر بل هى لمجرد الالتذاذ وتفريح الطبع فقط تعويضا بخمور الدنيا كقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (وأنهار من عسل مصفى) مما يخالطه من الشمع والقذاء والعكر والكدر نقلوا فى العسل التذكير والتأنيث وجاء القرآن على التذكير وفى المصباح يذكر ويؤنث وهو الاكثر ويصغر على عسيلة على لغة التأنيث ذهابا الى انها قطعة من الجنس وطائفة منه ونحوه فى المختار وزاد والعاسل الذى يأخذ العسل من بيت النحل والنحلة عسالة عن معاوية بن حيدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء و بحر العسل و بحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد أخرجه أحمد والترمذى وصححه وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى البعث وعن كعب قال نهر النيل نهر العسل فى الجنة ونهر دجلة نهر اللبن فى الجنة ونهر الفرات نهر الخمر فى الجنة ونهر سيحان نهر الماء فى الجنة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم قال النووى هما غير سيحون وجيحون واللذان هما من الجنة فهما فى بلاد الأرمن فسيحان نهر أردنة

مثانى قال مجاهد يعنى القرآن كله متشابه مثانى وقال قتادة الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك مثانى ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفى السورة الاخرى آية تشبهها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثانى مردد ردد موسى فى القرآن وصالح وهود والانبياء عليهم الصلاة والسلام فى أمكنة كثيرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما مثانى قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان (١٢) بن عيينة معنى قوله تعالى متشابها مثانى ان سياقات القرآن تارة تكون فى معنى واحد فهذا من المتشابه وتارة تكون بذكر الشئ وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثانى كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وكقوله عزوجل كلا ان كتاب الفجار لفى سجين الى ان قال كلا ان كتاب الابرار لفى عليين هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب الى ان قال هذا وان للطاغين لشر مآب ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثانى أى فى معنيين اثنين وأما اذا كان السياق كله فى معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور فى قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ذاك معنى آخر وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى هذه صفة الابرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه أحدها أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الابيات من أصوات القينات الثانى انهم اذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وقال تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا أى لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين اليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا انما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن

وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر بعد هذا كلاما طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة (ولهم فيها من كل الثمرات) أى لاهل الجنة فى الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل صنف من أصناف الثمرات ومن زائدة للتوكيد وفى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) لذنوبهم قبل دخولهم اليها والواو لمطلق الجمع وتنكير مغفرة للتعظيم أى ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم برفع التكاليف عنهم (كمن هو خالد فى النار) هو خبر لمبتدا محذوف أى أمن هو فى نعيم الجنة على هذه الصفة خالدا فيها كمن هو خالد فى النار أو خبر لقوله مثل الجنة ورجح الاول الفراء فقال أراد أمن كان فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النار وقدره الكواشى أمثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد وهو مأخوذ من اللفظ فهو أحسن وقال الزجاج أى أفمن كان على بينة من ربه وأعطى هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وقال ابن كيسان ليس مثل الجنة التى فيها الثمار والانهار كمثل النار التى فيها الحميم والزقوم وليس مثل أهل الجنة فى النعيم كمثل أهل النار فى العذاب الاليم وقيل غير ذلك (وسقوا ماء حميما) الحميم الماء الحار الشديد الحرارة والغليان فاذا شربوه قطع أمعاءهم وهو معنى قوله (فقطع أمعاءهم) أى مصارينهم فخرجت من أدبارهم لفرط حرارته والامعاء جمع معى بالقصر وألفه بدل عن ياء لقولهم معيان وهو ما فى البطون من الحوايا (ومنهم) أى من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (من يستمع اليك) وهم المنافقون أفرد الضمير باعتبار لفظ من وجمع فى قوله (حتى اذا خرجوا من عندك) اعتبارا بمعناها والمعنى ان المنافقين كانوا يحضرون مواقف وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواطن خطبه التى يمليها على المسلمين يوم الجمعة وحينئذ تكون هذه الآية مدنية بل وكذا ما بعدها من الآيات الآتية فتكون مستثناة من القول بأن السورة مكية والمعنى حتى اذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) وهم علماء الصحابة وقيل عبد الله بن عباس وقيل عبد الله بن مسعود وقيل أبو الدرداء والاول أولى أى سألوا أهل العلم فقالوا لهم على طريقة الاستهزاء (ماذا)

جهل ومتابعة لغيرهم الثالث انهم يلزمون الادب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم الى ذكر الله لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والادب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الاعلى في الدنيا والآخرة قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قال هذا نعت أولياء الله نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان وقال السدي ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أي الى وعد الله وقوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ومن يضلل الله فما له من هاد (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويقرع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كمن يأتي آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم وقال جل وعلا يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقال تبارك وتعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر كقول الشاعر

فما أدري اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني

يعني الخير أو الشر وقوله جلت عظمته كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق وقوله جل وعلا فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين منهم فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد

(ماذا) أي أي شيء (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (آنفا) بالمد والقصر أي الساعة وبها فسره الزمخشري وقال انه ظرف حالي كالآن وقال ابن عطية والمفسرون معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى والمعنى انا لم نلتفت الى قوله ولم نرجع اليه ومنه أمر أنف أي مستأنف وروضة أنف أي لم يرعها أحد وانتصابه على الظرفية أي وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته وأصله مأخوذ من أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة قال ابن عباس كنت فيمن يسئل وعنه قال أنا منهم وفي هذا منقبة لابن عباس جليلة لانه كان اذ ذاك صبيا فان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو في سن البلوغ فسؤال الناس له عن معاني القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصف الله سبحانه للمسؤلين بانهم الذين أوتوا العلم وهو منهم من أعظم الادلة على سعة علمه ومزيد فقهه في كتاب الله وسنة رسوله مع كون أترابه وأهل سنه اذ ذاك يلعبون مع الصبيان وعن عكرمة قال كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس ماذا قال آنفا فيقول كذا وكذا وكان ابن عباس أصغر القوم فأنزل الله الآية فكان ابن عباس من الذين أوتوا العلم وعن ابن بريدة قال هو ابن مسعود وعن ابن عباس قال هو ابن مسعود والاشارة بقوله (أولئك) الى المذكورين من المنافقين وهو مبتدأ وخبره (الذين طبع الله على قلوبهم) أي بالكفر فلم يؤمنوا ولا توجهت قلوبهم الى شيء من الخير (واتبعوا أهواءهم) في الكفر والعناد ثم ذكر حال اضدادهم فقال (والذين اهتدوا) الى طريق الخير فآمنوا بالله وعملوا بما أمرهم به (زادهم هدى) بالتوفيق وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل زادهم القرآن وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وعلى كل تقدير فالمراد أنه زادهم ايمانا وعلما وبصيرة في الدين قال ابن عباس في الآية لما أنزل القرآن آمنوا به وكان هدى فلما تبين الناسخ من المنسوخ زادهم هدى (وآتاهم تقواهم) أي ألهمهم اياها وأعانهم عليها بمعنى خلق التقوى فيهم أو أعطاهم ثواب تقواهم وجزاءها والاول أولى وأوفق لتأليف النظم لما سبق ان أغلب آيات هذه السورة الكريمة روعي فيها التقابل فقوبل الطبع بزيادة الهدى لان الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف ما يزيد في الكفر وقوبل اتباع الهوى بايتاء

أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عزوجل ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي بينا للناس فيه بضرب الامثال لعلهم يتذكرون فان المثل يقرب المعنى الى الاذهان كما قال تبارك وتعالى ضرب (١٤) لكم مثلا من أنفسكم أي تعلمونه من أنفسكم وقال عزوجل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله جل وعلا قرآنا عربيا غير ذي عوج أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان وانما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلهم يتقون أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد ثم قال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ورجلا سلما أي سالما لرجل أي خالصا لا يملكه أحد غيره هل يستويان مثلا أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد الا الله وحده لا شريك له فاين هذا من هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال الحمد لله أي على اقامة الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعلمون أي فلهذا يشركون بالله وقوله تبارك وتعالى انك ميت وانهم ميتون هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق عليه الناس موته مع قوله عزوجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين ومعنى هذه الآية انكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عزوجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين ثم ان هذه الآية وان

التقوى فيحمل على كمال التقوى وهو أن يتنزه العارف عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقي الحقيقي المعني بقوله اتقوا الله حق تقاته فان المزيد على مزيد الهدى مزيد لا مزيد عليه وقال الربيع التقوى هي الخشية وقال السدي هي ثواب الآخرة وقال مقاتل هي التوفيق للعمل بما يرضاه وقيل العمل بالناسخ وترك المنسوخ وقيل ترك الرخص والاخذ بالعزائم (فهل ينظرون) أي ما ينتظر كفار مكة (الا الساعة) أي القيامة (أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة أي ليس الامر الا ان تأتيهم (بغتة) أي فجأة وفي هذا وعيد للكفار شديد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذي وحسنه (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها أو لاتيانها من حيث هو أو هذا كالعلة للفعل باعتبار تعلقه بالبدل لان ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره ومعنى أشراطها أماراتها وعلاماتها وكانوا قد قرؤا في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء فبعثته من أشراطها قاله الحسن والضحاك والاشراط جمع شرط بسكون الراء وفتحها وهو العلامة وقيل المراد باشراطها هنا أسبابها التي هي دون معظمها وقيل أراد بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان كذا قال الحسن وقال الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام قلت كما يشاهد الآن وفي هذا الزمان والله المستعان قال ابن عباس في الآية أول الساعات وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة ومثله عند البخاري من حديث سهل بن سعد وفي الباب أحاديث كثيرة فيها بيان اشراط الساعة وبيان ما قد وقع منها وما لم يكن قد وقع وهي تأتي في مصنف مستقل فلا نطيل بذكرها وفي هذا الباب كتاب الاشاعة لاشراط الساعة وهو نفيس جدا (فأنى لهم اذا جاءتهم) الساعة بغتة (ذكراهم) أي من أين لهم الذكر والاتعاظ والتوبة والخلاص كقوله يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فاعلم أنه لا اله الا الله) أي اذا علمت ان مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله فاعلم انه لا اله غيره ولا رب سواه والمعنى اثبت على ذلك واستمر

كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب يعني يحيى بن عبد الرحمن عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضي الله عنه أتكرر علينا الخصومة قال صلى الله عليه وسلم نعم قال رضي الله عنه إن الأمر إذن لشديد وكذا رواه الامام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ولما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير رضي الله عنه أي رسول (١٥) الله أي نعيم نسئل عنه وإنما نعيمنا الأسودان التمر والماء قال صلى الله عليه وسلم أما إن ذلك سيكون وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضي الله عنه أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال صلى الله عليه وسلم نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه قال الزبير رضي الله عنه والله إن الأمر لشديد رواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة ابن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي عياش عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران تفرد به أحمد وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحا تفرد به أحمد رحمه الله وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر قلت لا قال صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى يدري وسيحكم بينهما وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبي ثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالامام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية

عليه ودم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فإنه النافع يوم القيامة لأنه صلى الله عليه وسلم قد كان عالما بأنه لا إله إلا الله قبل هذا ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة رواه مسلم وقيل ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينيا وقيل المعنى فاذكر أنه لا إله إلا الله فعبر عن الذكر بالعلم قيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (واستغفر لذنبك) أي استغفر الله أن يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك أو استغفره مما عسى يصدر منك من ترك الأولى قال القاضي عياض إن المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وقيل يحتمل أن يكون استغفار شكر ويأباه قوله لذنبك وقيل استغفر لذنوب أهل بيتك وهذا تكلف بلا موجب وقيل لتستن به أمته وليقتدوا به في ذلك وقيل الخطاب له والمراد الامة ويأبى هذا قوله (وللمؤمنين والمؤمنات) فإن المراد به استغفاره لذنوب أمته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم إن شاء الله تعالى عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الاستغفار ثم قرأ فاعلم أنه لا إله إلا الله الآية رواه الطبراني وابن مردويه والديلمي وعن أبي هريرة في قوله واستغفر لذنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأصله في البخاري وفي رواية أكثر من سبعين وعن عبد الله بن سرجس قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأكلت معه من طعام فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال ولك فقيل استغفر لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وروى مسلم عن الأغر المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة وللعلماء في هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع وقد وردت أحاديث في استغفاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأمته وترغيبه في الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) في الدنيا في أعمالكم ومعايشكم ومتاجركم (ومثواكم)

فيقطعون عليه فيقال له سد ركنا من أركان جهنم ثم قال الاغلب بن تميم ليس بالحافظ وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر وقد روى ابن منده فى كتاب الروح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما ان مثلكما كمثل رجل مقعد بصير (١٦) وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير انى أرى ههنا ثمارا ولكن لا أصل اليها فقال له الضرير اركبنى فتناولها فركبه فتناولاها فأيهما المتعدى فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما قد حكمتما على أنفسكما يعنى ان الجسد للروح كالمطية وهو راكبه وقال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة ثنا ضرار ثنا أبو سلمة الخزاعى ثنا منصور بن مسلمة ثنا القمى يعنى يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآية وما نعلم فى أى شئ نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال قلنا من نخاصم ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضى الله عنهما هذا الذى وعدنا ربنا عزوجل نختصم فيه ورواه النسائى عن محمد بن عامر عن منصور بن مسلمة به وقال أبو العالية فى قوله تبارك وتعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال يعنى أهل القبلة وقال ابن زيد يعنى أهل الاسلام وأهل الكفر وقد قدمنا ان الصحيح العموم والله سبحانه أعلم (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس أى

فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) يقول عزوجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا ان الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولدا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ومع هذا كذبوا بالحق اذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عزوجل فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه

فى الدار الآخرة قاله ابن عباس وقيل متقلبكم فى أعمالكم نهارا ومثواكم فى ليلكم نياما وقيل متقلبكم فى أصلاب آبائكم الى أرحام أمهاتكم ومثواكم فى الارض أى مقامكم فيها قال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن فى الدنيا ومثواكم فى القبور وقيل منصرفكم فى أعمالكم ومثواكم أى مصيركم الى الجنة أو النار والمعنى انه عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر ويسأل المؤمنون ربهم عزوجل ان ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصا منهم على الجهاد ونيل ما أعده الله للمجاهدين من جزيل الثواب فحكى الله عنهم ذلك بقوله (ويقول الذين آمنوا) من هنا الى آخر السورة لا يظهر الا كونه مدنيا اذ القتال لم يشرع الا بالمدينة وكذلك النفاق لم يظهر الا بها فيحمل القول فيما تقدم بانها مكية على أغلبها أو أكثرها وكذا يحمل القول بانها مدنية على البعض منها (لولا) هلا (نزلت سورة) فيها ذكر القتال والامر بالجهاد والتحريض عليه (فاذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) أى غير منسوخة (وذكر فيها القتال) أى فرض الجهاد وطلبه قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقرأ ابن مسعود فاذا نزلت سورة محدثة أى محدثة النزول وقرأ الجمهور أنزلت وذكر على بناء الفعلين للمفعول وقرئ نزلت وذكر على بنائهما للفاعل ونصب القتال (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون أو ضعف فى الدين وأصل المرض الفتور فمرض القلوب فتورها عن قبول الحق والاول هو الاظهر الموافق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم (نظر المغشى عليه من الموت) أى نظرا مثل نظر من شخص نظره وبصره عند الموت لجبنهم عن القتال وميلهم الى الكفار كدأب من أصابته غشية الموت وقال ابن قتيبة والزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت (فأولى لهم) قال الجوهرى قولهم أولى لك تهديد ووعيد وكذا قال مقاتل والكلبى وقتادة قال الاصمعى معنى قولهم فى التهديد أولى لك أى وليك وقاربك ما تكره وهو فعل ماض قال ثعلب ولم يقل فى أولى أحسن مما قاله الاصمعى وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب ثم أفلت أولى لك

أى لا أحد أظلم من هذا لانه جمع بين طرفى الباطل كذب على الله وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق
ولهذا قال جلت عظمته متوعدا لهم أليس فى جهنم مثوى للكافرين وهم الجاحدون المكذبون ثم قال جل وعلا والذى جاء
بالصدق وصدق به قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد الذى جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال السدى
هو جبريل عليه السلام وصدق به يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما والذى جاء
بالصدق قال من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧) وقرأ الربيع بن أنس والذين جاؤا بالصدق
يعنى الانبياء وصدقوا به يعنى الاتباع وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد والذى جاء بالصدق وصدق به قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول فى هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم والذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المسلمون أولئك هم المتقون قال ابن عباس رضى الله عنهما اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن عند ربهم يعنى فى الجنة مهما طلبوا وجدوا ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون كما قال عز وجل فى الآية الأخرى أولئك الذين نتقبل

عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون (أليس الله
بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره
أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) يقول تعالى أليس الله بكاف عبده وقرأ بعضهم عباده يعنى انه تعالى يكفى من

أى قاربت الغضب وقال الجرجانى هو مأخوذ من الويل أى فويل لهم وكذا قال
فى الكشاف قال قتادة أيضا كأنه قال العقاب أولى لهم وعلى هذا يكون اسما لا فعلا
وعليه الاكثر وفى اعرابه أوجه ذكرها السمين (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف
أى أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لكم قال الخليل وسيبويه ان التقدير طاعة
وقول معروف أحسن وأمثل بكم من غيرهما وقدره مكى منا طاعة فقدره مقدما وقيل
ان طاعة خبر أولى أى الاولى بهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن الخالى عن
الاذية وقيل ان طاعة صفة لسورة أى فاذا أنزلت سورة محكمة طاعة أى ذات طاعة
أو مطاعة ذكره مكى وأبو البقاء وفيه بعد لكثرة الفواصل وقيل ان لهم خبر مقدم وطاعة
مبتدأ مؤخر والاول أولى (فاذا عزم الامر) عزم الامر جد الامر أى جد القتال ووجب
وفرض وأسند الامر الى العزم وهو لاصحابه مجازا وجواب اذا قيل هو قوله الآتى فلو
صدقوا الله وقيل محذوف تقديره كرهوه قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض
القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) من
المعصية والمخالفة (فهل عسيتم) يقال عسيت أن أفعل كذا وعسيت بالفتح والكسر
لغتان ذكرهما الجوهرى وهما سبعيتان وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب لتأكيد
التوبيخ وتشديد التقريع أى فهل يتوقع منكم (ان توليتم) أى أعرضتم عن الايمان
الذى تلبستم به ظاهرا (أن تفسدوا فى الارض) بأنواع الفساد قال الكلبى فهل عسيتم
ان توليتم أمر الامة أن تفسدوا فيها بالظلم وقال كعب ان يقتل بعضكم بعضا وقال قتادة
ان توليتم عن طاعة كتاب الله عز وجل ان تفسدوا فيها بسفك الدماء وقال ابن جريج ان
توليتم عن الطاعة ان تفسدوا فى الارض بالمعاصى وقيل أعرضتم عن القتال وفارقتم
أحكامه فتعودوا الى جاهليتكم أو توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا فى الارض
بأخذ الرشا قرأ الجمهور توليتم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول ومعناها فهل عسيتم ان
ولى عليكم ولاة جائرون أن تخرجوا عليهم فى الفتنة وتحاربوهم (وتقطعوا أرحامكم)
بالبغى والظلم والقتل قرأ الجمهور وتقطعوا بالتشديد على التكثير وقرئ بالتخفيف من القطع
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا
فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من

فحسبه وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبد الله بن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا أبو هانئ عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افلح من هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني به وقال الترمذي صحيح ويخوفونك بالذين من دونه يعني المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه باصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل ومن (١٨) يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام أي منيع الجناب لا يضام من استند الى جنابه ولجأ الى بابه فانه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني المشركين كانوا يعترفون بان الله عز وجل هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته أي لا تستطيع شيأ من الامر وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله تعالى عليك لم يضروك ولو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الاقلام واعمل لله بالشكر في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قل حسبي الله أي الله كافي عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا محمد بن حاتم

القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم الآية أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما والاحاديث في صلة الرحم كثيرة (أولئك) المفسدون يدل عليه ما تقدم وفي الاشارة التفات للايذان بان ذكر جناياتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم (الذين لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته وطردهم عنها (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) أي عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وحقية سائر ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل فأصم آذانهم كما قال وأعمى أبصارهم ولم يقل وأعماهم لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السماع فلم يتعرض لها والاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤل اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية قاله الخازن والاستفهام للانكار والمعنى أفلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة الباهرة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والاشراك به والعمل بمعاصيه وقيل المراد به التأسي وقيل هذه الآية محققة للآية المتقدمة ومنجية لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على أصرارهم على الكفر (أم) هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة التي للانتقال من توبيخ الى توبيخ أي بل أ(على قلوب أقفالها) فهم لا يفهمون ولا يعقلون قال مقاتل يعني الطبع على القلوب والتنكير اما للتهويل حالها أو تفظيع شأنها كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها واما لان المراد بها قلوب بعضهم وهم المنافقون والاقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الحق واضافة الاقفال الى القلوب للتنبيه على ان المراد بها ما هو للقلوب بمنزلة الاقفال للابواب أو انها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها ومعنى الآية انه لا يدخل في قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر والشرك لان الله سبحانه قد طبع عليها وقرئ أقفالها بالجمع واقفالها بكسر الهمزة على أنه مصدر كالاقبال والآية بعمومها تشمل كل من لا يتدبر القرآن ولا يهتدي به ويدخل فيه من نزلت فيه دخولا أوليا وأما المقلدة التاركة للتدبر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

عن أبي المقدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي ثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عزوجل أوثق منه بما في يديه ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عزوجل وقوله تعالى قل ياقوم اعملوا على مكانتكم أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد اني عامل أي على طريقتي ومنهجي فسوف تعلمون أي ستعلمون غب ذلك ووباله من يأتيه عذاب يخزيه أي في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم مستمر لامحيد له عنه وذلك (١٩) يوم القيامة أعاذنا الله منها (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس بالحق أي لجميع الخلق من الانس والجن لينذرهم به فمن اهتدى فلنفسه أي فانما يعود نفع ذلك الى نفسه ومن ضل فانما يضل عليها أي انما يرجع وبال ذلك على نفسه وما أنت عليهم بوكيل أي بموكل ان يهتدوا انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل انما عليك البلاغ وعلينا الحساب ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بانه المتصرف في الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الابدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى فيه دلالة على انها تجتمع في الملا الاعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

عليه وآله وسلم فهؤلاء هم الذين على قلوبهم أقفالها (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا كفارا كما كانوا قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم وبه قال ابن جريج وقال ابن عباس هم أهل النفاق وقال الضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال وهذا أولى لان السياق في المنافقين (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات الظاهرة والآيات القاهرة والدلائل الواضحة والبراهين الباهرة (الشيطان سول لهم) أي زين لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع فيها واقتراف الكبائر والجملة خبر ان (وأملى لهم) أي مد لهم في الآمال والاماني ووعدهم طول العمر وقيل ان الذي أملى لهم هو الله عزوجل على معنى انه لم يعاجلهم بالعقوبة قرأ الجمهور أملى على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم واختار القول بان الفاعل هو الله الفراء والمفضل والاولى اختيار انه الشيطان لتقدم ذكره قريبا (ذلك) أي ماتقدم من ارتدادهم أو التسويل والاملاء والاول أولى (بانهم) أي بسبب ان هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على أدبارهم (قالوا للذين كرهوا مانزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) وهذا البعض هو عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة ماجاء به وقيل المعنى ان المنافقين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان خرجوا والتظافر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان القائلين اليهود والذين كرهوا المنافقون ويؤيد كون القائلين المنافقين والكارهين اليهود قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما أنزل الله بطريقة السر بينهم قال الله سبحانه (والله يعلم اسرارهم) بكسر الهمزة على المصدر أي اخفاءهم وبها قرأ الكوفيون وقرأ الجمهور بفتحها على انه جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها وكيف في محل رفع على انها خبر مقدم والتقدير فكيف علمه باسرارهم اذا توفتهم الملائكة أو في محل نصب بفعل محذوف أي فكيف يصنعون أو خبر لكان مقدرة أي فكيف يكونون والظرف معمول للمقدر قرأ الجمهور توفتهم وقرئ توفاهم وقوله (يضربون

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لا يدرى ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقال بعض السلف يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى ان تتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت التى قد ماتت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال السدى الى بقية أجلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما يمسك أنفس الاموات ويرسل أنفس الاحياء ولا يغلط ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (أم اتخذوا من دون (٢٠) الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) يقول تعالى ذاما للمشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الاصنام والانداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك وهى لا تملك شيأ من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هى جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ثم قال قل أى يا محمد لهؤلاء الزاعمين ان ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم ان الشفاعة لا تنفع عند الله الا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها اليه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه له ملك السموات والارض أى هو المتصرف فى جميع ذلك ثم اليه ترجعون أى يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزى كلا بعمله ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا واذا ذكر الله وحده أى اذا قيل لا اله الا الله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قال مجاهد اشمأزت له انقبضت وقال السدى نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون أى عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولهذا قال تبارك وتعالى واذا ذكر الذين من دونه أى من الاصنام والانداد قاله مجاهد اذا هم يستبشرون أى يفرحون ويسرون (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا

وجوههم وأدبارهم) فى محل نصب على الحال من فاعل توفتهم أو من مفعوله أى ضاربين وجوههم وضاربين أدبارهم وفى الكلام تخويف وتشديد والمعنى انه اذا تأخر عنهم العذاب فسيكون حالهم هذا وهو تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنعه قيل لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة فى وجهه ودبره وقيل ذلك عند القتال نصرة من الملائكة لرسول الله وقيل ذلك يوم القيامة والاول أولى (ذلك) أى التوفى المذكور على الصفة المذكورة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) أى بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصى وقيل كتمانهم ما فى التوراة من نعت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى لما فى الصيغة من العموم (وكرهوا رضوانه) أى ما يرضاه الله من الايمان والتوحيد والطاعة (فأحبط أعمالهم) بهذا السبب والمراد الاعمال التى صورتها صورة الطاعة والا فلا عمل لكافر أو ما كانوا قد عملوا قبل الردة من الخير (أم) أى بل أ(حسب الذين فى قلوبهم مرض) يعنى المنافقين الذين فصلت أحوالهم الشنيعة ووصفوا بوصفهم السابق بكونه المدار فى النعى عليهم بقوله (أن لن يخرج الله أضغانهم) والمعنى ان ذلك مما لا يكاد أن يدخل تحت الاحتمال والاخراج بمعنى الاظهار والاضغان جمع ضغن وهو ما يضمر من المكروه واختلف فى معناه فقيل هو الغش وقيل الحسد وقيل الحقد قال الجوهرى الضغن والضغينة الحقد قال قطرب هو فى الآية العداوة وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر قال ابن عباس أضغانهم أعمالهم خبثهم والحسد الذى فى قلوبهم ثم دل الله تعالى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد على المنافقين فكان يدعو باسم الرجل من أهل النفاق (ولو نشاء لأريناكهم) أى لأعلمناكهم وعرفناكهم بأعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية تقول العرب سأريك ما أصنع أى سأعلمك والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة (فلعرفتهم بسيماهم) أى بعلامتهم الخاصة بهم التى يتميزون بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهى السيما فلعرفتهم بتلك العلامة قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم وتكرير اللام للمبالغة أو للتأكيد (ولتعرفنهم فى لحن القول) قال المفسرون لحن القول فحواه ومقصده ومغزاه وما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين وكان بعد هذا لا يتكلم منافق عنده الا عرفه قال أبو زيد لحنت له اللحن اذا قلت

ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم فى حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أى ادع أنت الله وحده الذى خلق السموات والارض وفطرها أى جعلها على غير مثال سبق عالم الغيب والشهادة أى السر والعلانية أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أى فى دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم قال مسلم فى صحيحه (٢١) حدثنا عبد بن حميد ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله عنها بأى شئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وقال الامام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا سهيل عن أبى صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك فى هذه الدنيا أنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد الا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة ان عبدى قد عهد الى عهدا فأوفوه اياه فيدخله الله الجنة قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن ان عونا أخبر بكذا وكذا فقال ما فينا جارية الا وهى تقول هذا فى خدرها انفرد به الامام أحمد وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله ان ابا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قرطاسا وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا نقول اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت

له قولا يفقهه عنك ويخفى على غيره وأصل اللحن امالة الكلام وصرفه الى نحو من الانحاء لغرض من الاغراض بازالة الاعراب أو التصحيف والاول محمود والثانى مذموم قال أبو سعيد الخدرى فى الآية لحن القول بغضهم على بن أبى طالب (والله يعلم أعمالكم) لا تخفى عليه منها خافية فيجازيكم بها وفيه وعيد شديد ووعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى لنعاملنكم معاملة المختبر وذلك بان نامركم بالجهاد حتى نعلم علم ظهور من امتثل الامر بالجهاد وصبر على دينه ومشاق ما كلف به (ونبلوا أخباركم) أى نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من أطاع الله فيما أمره ومن عصى ولم يمتثل قرئ بالياء والنون فى الافعال الثلاثة وعن الفضيل رحمه الله انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) المراد بهؤلاء هم المنافقون وقيل أهل الكتاب وقيل هم المطعمون يوم بدر من المشركين وقيل نزلت فى قريظة والنضير ومعنى صدهم منعهم للناس عن الاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وشاقوا الرسول) أى عادوه وخالفوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) أى علموا انه صلى الله عليه وآله وسلم نبى من عند الله سبحانه وتعالى بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة (لن يضروا الله) ورسوله (شيأ) بتركهم الايمان واصرارهم على الكفر وما ضروا الا أنفسهم (وسيحبط أعمالهم) أى يبطلها والمراد بهذه الاعمال ما صورته صورة أعمال الخير كاطعام الطعام وصلة الارحام وسائر ما كانوا يفعلونه من الخير وان كانت باطلة من الاصل لان الكفر مانع وقيل المراد الاعمال المكايد التى نصبوها لابطال دين الله والغوائل التى كانوا يبغونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أمر سبحانه عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمرتم به من الشرائع المذكورة فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهاهم عن ان يبطلوا أعمالهم كما أبطلت الكفار أعمالهم بالاصرار على الكفر فقال (ولا تبطلوا أعمالكم) قال الحسن أى لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصى وقال الزهرى بالكبائر ونحو الاولى وقال الكلبى وابن جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل بالمن وقال عطاء بالنفاق

رب كل شيء واله كل شيء أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك والملائكة يشهدون أعوذ بك من الشيطان وشركه وأعوذ بك أن أقترف على نفسي اثما أو أجره الى مسلم قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يقول ذلك حين يريد أن ينام تفرد به أحمد أيضا وقال أحمد أيضا حدثنا خلف بن الوليد ثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي راشد الحبراني قال أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت فيها فاذا فيها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله علمني ما أقول اذا أصبحت واذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا اله الا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوأ أو أجره الى مسلم ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسمعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعي من الليل اللهم فاطر السموات والأرض الخ وقوله عزوجل ولو أن للذين ظلموا وهم المشركون ما في الارض جميعا ومثله معه أي ولو أن جميع ما في الارض وضعفه معه لافتدوا به من سوء العذاب أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهبا كما قال في الآية الاخرى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم وبدا لهم سيآت ما كسبوا أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزؤن به في الدار الدنيا (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يقول تبارك وتعالى مخبرا عن الانسان انه في حال الضراء يتضرع الى الله عزوجل وينيب اليه ويدعوه واذا خوله نعمة

والشرك قلت والظاهر النهي عن كل سبب من الاسباب التي توصل الى بطلان الاعمال كائنا ما كان من غير تخصيص بنوع معين عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الآية فخافوا ان يبطل الذنب العمل وفي لفظ فخافوا الكبائر ان تحبط أعمالهم وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيأ خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجوناه واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وقال الشافعي بخلافه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وليس في هذه الآية دليل كما ظنه الزمخشري على احباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة والخوارج فجمهورهم على أن كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات حتى ان من عبد الله طول عمره ثم شرب جرعة خمر فهو كمن لم يعبده قط ثم بين سبحانه أنه لا يغفر للمصرين على الكفر والصد عن سبيل الله فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) فقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر لان باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلقان على من كان حيا وظاهر الآية العموم وان كان السبب خاصا نزلت في أصحاب القليب قاله المحلي لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن والضعف فقال (فلا تهنوا) أي فلا تضعفوا عن القتال والوهن الضعف والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحكم عام لجميع المسلمين

منه بغي وطغى وقال انما أوتيته على علم أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا قال قتادة على علم عندي على خير عندي قال الله عز وجل بل هي فتنة أي ليس الامر كما زعم بل انما انعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون قد قالها الذين من قبلهم أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير عن سلف من الامم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا (٢٣) يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء أي من المخاطبين سيصيبهم سيآت ما كسبوا أي كما أصاب أولئك وما هم بمعجزين كما قال تبارك وتعالى مخبرا عن قارون انه قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين وقوله تبارك وتعالى أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي لعبرا وحججا (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم الى التوبة والانابة واخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وان كانت مهما كانت وان كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لان الشرك لا يغفر لمن لم

(وتدعوا الى السلم) أي ولا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منكم فان ذلك لا يكون الا عند الضعف قال الزجاج منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا وقرئ تدعوا من ادعى القوم وتداعوا والسلم بفتح السين وكسرها سبعيتان قال قتادة معنى الآية لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها واختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل انها محكمة وانها ناسخة لقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل منسوخة بهذه الآية ولا يخفاك أنه لا مقتضى للقول بالنسخ فان الله سبحانه نهى المسلمين في هذه الآية عن ان يدعوا الى السلم ابتداء ولم ينه عن قبول السلم اذا جنح اليه المشركون فالآيتان محكمتان ولم يتواردا على محل واحد حتى يحتاج الى دعوى النسخ أو التخصيص بل نزلتا في وقتين مختلفي الاحوال وجملة (وأنتم الاعلون) حالية أو مستأنفة مقررة لما قبلها من النهي أي وأنتم القاهرون الغالبون بالسيف والحجة قال الكلبي أي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات (والله معكم) بالنصر والمعونة عليهم (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وترا اذا أنقصه حقه وأصله من وترت الرجل اذا قتلت له قريبا أو نهبت له مالا ويقال فلان موتور اذا قتل له قتيل ولم يؤخذ بدمه قال الجوهري أي لن ينقصكم في أعمالكم كما تقول دخلت البيت وأنت تريد في البيت قال الفراء هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل مشتق من الوتر وهو التفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب قال ابن عباس يتركم يظلمكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور لا أصل لشيء منها ولا ثبات له ولا اعتداد به تنقطع في أسرع مدة فكيف تمنعكم عن طلب الآخرة واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا) بالله (وتتقوا) الكفر والمعاصي (يؤتكم أجوركم) أي جزاء ذلك في الآخرة والاجر الثواب على الطاعة (ولا يسألكم أموالكم) أي لا يأمركم باخراجها جميعها في الزكاة وسائر وجوه الطاعات بل أمركم باخراج القليل منها غيضا من فيض أي ربع العشر وهو الزكاة وبه قال ابن عيينة وغيره وقيل المعنى ولا يسألكم أموالكم انما يسألكم أمواله لانه أملك لها وهو المنعم عليكم

يتبيه قال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم قال يعلى ان سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج عن يعلى (٢٤) بن مسلم المكى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما به والمراد من الآية الاولى قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية وقال الامام احمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا ابو قبيل قال سمعت اباعبد الرحمن المزنى يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الى آخر الآية فقال رجل يارسول الله فمن اشرك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات تفرد به الامام احمد وقال الامام احمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحدانى عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال يارسول الله ان لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى فقال صلى الله عليه وسلم ألست تشهد ان لا اله الا الله قال بلى وأشهد انك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قد غفر لك غدراتك وفجراتك تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون ثنا حماد بن سلمة مثالا

عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ انه عمل غير

وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول ياعبادى الذين اسرفوا عن انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم ورواه ابو داود والترمذى من حديث ثابت به فهذه الاحاديث كلها دالة على ان المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى ألم يعلموا ان الله هو

باعطائها وقيل لا يسألكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة كما فى قوله ما أسألكم عليه من أجر والاول أولى (ان يسألكموها) أى أموالكم كلها (فيحفكم) أى يبالغ فى طلبها قال المفسرون يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة جميعها يقال أحفى بالمسئلة وألحف وألح بمعنى واحد والمحفى المستقصى فى السؤال والاحفاء الاستقصاء فى الكلام ومنه احفاء الشارب أى استئصاله وجواب الشرط قوله (تبخلوا) أى ان يأمركم باخراج جميع أموالكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الامتثال (ويخرج أضغانكم) الاضغان الاحقاد والمعنى انها تظهر عند ذلك قال قتادة قد علم الله ان فى سؤال المال خروج الاضغان لدين الاسلام من حيث محبة المال بالجبلة والطبيعة ومن نوزع فى حبيبه ظهرت طويته التى كان يسرها (ها أنتم) يا مخاطبون (هؤلاء) الموصوفون وجملة (تدعون) مستأنفة مقررة ومؤكدة لما قبلها لاتحاد محصل معناهما (لتنفقوا فى سبيل الله) أى فى الجهاد وفى طرق الخير (فمنكم من يبخل) بما يطلب منه ويدعى اليه من الانفاق فى سبيل الله واذا كان منكم من يبخل باليسير من المال فكيف لا يبخلون بالكثير وهو جميع الاموال ومقابله ومنكم من يجود وحذف لان المراد الاستدلال على البخل ثم بين سبحانه ان ضرر البخل عائد على النفس فقال (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أى يمنعها الاجر والثواب وبخل وضن يتعديان تارة بعلى و بعن أخرى لتضمينهما معنى الامساك والتعدى قال السمين والاجود أن يكونا حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك وقيل المعنى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه (والله الغنى) المطلق المنزه عن الحاجة الى أموالكم (وأنتم الفقراء) الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم) معطوف على الشرطية المتقدمة وهى وان تؤمنوا والمعنى ان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما آخرين يكونوا مكانكم هم أطوع لله منكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قالوا من هؤلاء وسلمان الى جنب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال هم الفرس هذا وقومه وفى اسناده مسلم الزنجى قد تفرد به وفيه مقال معروف ولهذا الحديث طرق فى الصحيح وعن أبى هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقالوا يارسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا

هو يقبل التوبة عن عباده وقال عز وجل ومن يعمل سوأً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما وقال جل وعلا في حق المنافقين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا وقال جل جلاله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ثم قال جلت عظمته أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وقال تبارك وتعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو

يدعوهم الى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جدا وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابدا من عباد بني اسرائيل هل له من توبة فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ثم أمره بالذهاب الى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب الى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وان الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة ان تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى الى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم ان المسيح هو ابن الله ومن زعم ان عزيرا ابن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا الى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله تعالى عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن شتير بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول ان أعظم آية في كتاب الله الله لا اله الا هو الحي القيوم وان أجمع آية في القرآن بخير وشر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وان أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الغرف قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان أشد آية في كتاب الله تصريفا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقال

أمثالنا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس أخرجه الترمذي وابن مردويه من حديث جابر والطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وعبد الرزاق وفي اسناده أيضا مسلم بن خالد الزنجي نحوه وقال عكرمة هم فارس والروم وقال الحسن هم العجم وقال شريح بن عبيد هم أهل اليمن وقيل الانصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقال مجاهد هم من شاء الله من سائر الناس وقال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال المحاسبي فلا أحد بعد من جميع أجناس الاعاجم أحسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وحكي عن أبي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم ولينظر في سنده (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى بل مطيعين له عز وجل قال ابن جرير في الجمل بالانفاق في سبيل الله وكلمة ثم للدلالة على ان مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الاحوال واشتراكهم في الميل الى المال

* (سورة الفتح هي تسع وعشرون آية وهي مدنية) *

قال القرطبي بالاجماع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن المسور بن مخرمة ومروان قالا نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها الى آخرها وهذا لا ينافي الاجماع على كونها مدنية لأن المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها وفي الصحيحين عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم

المسروق صدقت وقال الاعمش عن أبي سعد عن أبي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يامذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله رواه ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر أحاديث فيها نفي القنوط قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى (٢٦) تملأ خطاياكم مابين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاء الله تعالى عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا انكم تذنبون لخلق الله تعالى عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم هكذا رواه الامام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ورواه مسلم من وجه آخر عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الانصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما به وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم تفرد به أحمد وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثني عبد الاعلى بن حماد النرسي ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد ابن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب العبد المفتن التواب ولم يخرجوه من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال ان ابليس لعنه الله تعالى قال يارب انك أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك

يحبه فقال عمر بن الخطاب هلكت أم عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون قد نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت علي سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وفي صحيح مسلم عن قتادة ان أنس بن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحروا الهدي بالحديبية فقال لقد أنزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده قيل المراد الحكم والقضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فكأنه قال انا قضينا وحكمنا لك قضاء ظاهرا واضحا مكشوفا بغير قتال ولا تعب والفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب وبخراج أو بدونه لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح مأخوذ من فتح باب الدار وجيء به بلفظ الماضي لان عادة الله في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا واختلف في تعيين هذا الفتح فقال الاكثر على ما في البخاري هو صلح الحديبية والصلح قد يسمى فتحا قال الفراء والفتح قد يكون صلحا وقال قوم انه فتح مكة وقال آخرون انه فتح خيبر والاول أرجح ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من أن السورة نزلت في شأن الحديبية وقيل هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح وقيل هو ما فتح له من النبوة والدعوة الى الاسلام وقيل فتح الروم وقيل معنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله قال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام

قال فانك مسلط قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله قال يارب زدني قال اجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته علي واني لا أمتنع الا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يارب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (٢٧) لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال محمد ابن اسحق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لانفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انزل الله تعالى فيهم وفي قولنا لهم ولانفسنا يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر رضي الله تعالى عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاص رضي الله عنه قال فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في قلبي انما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم استحث تبارك وتعالى عباده الى المسارعة الى التوبة فقال وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له الخ أي ارجعوا الى الله واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وهو القرآن العظيم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والانابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل

الاسلام قال الشعبي لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وعن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها حتى بلغنا كراع الغميم اذا الناس يوجفون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس فقالوا أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس اليه فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل أي رسول الله أوفتح هو فقال اي والذي نفس محمد بيده انه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وغيرهم وعن ابن مسعود قال أقبلنا من الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي وكان اذا أتاه اشتد عليه فسري عنه وبه من السرور ما شاء الله فأخبرنا انه أنزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والنسائي وغيرهم وعن أنس في الآية قال الحديبية أخرجه البخاري وغيره وعن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية أخرجه البخاري وغيره وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا فتحنا الخ فتح مكة أخرجه ابن مردويه وعن أنس نحوه ومذهب أبي حنيفة ان مكة فتحت عنوة ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحا وفي البويطي ان أسفلها فتحه خالد عنوة وأعلاها فتحه الزبير صلحا ودخل صلى الله عليه وآله وسلم من جهته فصار الحكم له وبهذا تجتمع الاخبار التي ظاهرها التعارض (ليغفر لك الله) اللام هي لام العلة قال ابن الانباري سألت أبا العباس يعني المبرد عن اللام هذه فقال هي لام كي معناها انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح فلما انضم

وقوله تبارك وتعالى وإن كنت لمن الساخرين أى انما كان عملى فى الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين أى تود لو أعيدت الى الدنيا لتحسن العمل قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقد قال الامام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هدانى فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هدانى قال فيكون له الشكر رواه النسائى من حديث أبى بكر بن عياش به ولما تمنى أهل الجرائم العود الى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين أى قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتى فى الدار الدنيا وقامت حججى عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) يخبر تعالى عن يوم القيامة انه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أى فى دعواهم له شريكا وولدا وجوههم مسودة أى بكذبهم وافترائهم وقوله تعالى أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين أى أليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها الخزى والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وابائهم عن الانقياد للحق قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله بن أخى ابن وهب ثنا عمى ثنا عيسى بن أبى عيسى الحناط عن عمرو

الى المغفرة شئ حادث واقع حسن معنى كى وغلط من قال ليس الفتح سبب المغفرة وقال الزمخشرى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض الآجل والعاجل قال ابن عادل وغيره وهذا كلام غير جيد مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فهى علة للفتح والفتح معلل بها وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه المحلى كما يأتى وقال الرازى فى توجيه التعليل ان المراد بقوله ليغفر لك الله التعريف بالمغفرة تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم فان الناس علموا بعد عام الفيل ان مكة لا يأخذها عدو الله وانما يأخذها حبيب الله وقال ابن عطية المراد أن الله فتح لك لكى يجعل الفتح علامة لغفرانه لك فكأنها لام الصيرورة وقال أبو حاتم هى لام القسم والأصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كى وحذفت النون وهو خطأ فان لام القسم لا تكسر ولا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذى كان قبل نون التوكيد بقى ليدل عليها ولكن هذا قول مردود وقال البيضاوى اللام علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال الجلال المحلى اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب واختلف فى معنى قوله (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقيل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر بعدها قاله مجاهد وسفيان الثورى وابن جرير والواحدى وغيرهم وقال عطاء ما تقدم من ذنبك يعنى ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنوب أمتك وما أبعد هذا عن معنى القرآن وقيل ما تقدم من ذنب أبيك ابراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده وهذا كالذى قبله وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تأخر من ذنب يوم حنين وهذا كالقولين الاولين فى البعد وقيل لو كان ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك وقيل غير ذلك مما لا وجه له والاول أولى ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الاولى وسمى ذنبا فى حقه لجلالة قدره وان لم يكن ذنبا فى حق غيره فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر لك

شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الانيار و يسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال وقوله تبارك وتعالى و ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله لا يمسهم السوء أي يوم القيامة ولا هم يحزنون أي ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات (٢٩) والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) يخبر تعالى انه خالق الاشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته وقوله عزوجل له مقاليد السموات والارض قال مجاهد المقاليد هي المفاتيح بالفارسية وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة وقال السدي له مقاليد السموات والارض أي خزائن السموات والارض والمعنى على كلا القولين ان أزمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا والذين كفروا بآيات الله أي حججه وبراهينه أولئك هم الخاسرون وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فانه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الاغلب بن تميم عن مخلد بن هذيل العبدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان قال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا قوة الا بالله الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان اذا أصبح عشر مرار أعطي خصالا ستا أما أولاهن فيحرس من ابليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطارا من الاجر وأما الثالثة فترفع له درجة في الجنة وأما الرابعة فيزوج من الحور العين وأما الخامسة

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي الباب أحاديث (ويتم نعمته عليك) باظهار دينك على الدين كله وقيل بالجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر والاولى أن يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام (ويهديك) به (صراطا) طريقا (مستقيما) أي يثبتك عليه وهو دين الاسلام وقيل على الهدى الى ان يقبضك اليه وقال البيضاوي في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة فالهداية على حقيقتها فلا حاجة الى ما قيل من أن المراد زيادة الاهتداء أو الثبات عليه (وينصرك الله نصرا عزيزا) أي غالبا قويا ذا عز بالغلبة لا يتبعه ذل (هو الذي أنزل السكينة) أي السكون والطمأنينة والوقار (في قلوب المؤمنين) وهم أهل الحديبية بما يسره لهم من الفتح لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس السكينة هي الرحمة قيل كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي ليزدادوا بسبب تلك السكينة ايمانا منضما الى ايمانهم الحاصل لهم من قبل قال ابن مسعود تصديقا مع تصديقهم وقال الكلبي كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الربيع بن أنس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال ابن عباس في الآية ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم دينهم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنه أيضا قال فأوثق ايمان أهل السماء وأهل الارض وأصدقه وأكمله شهادة أن لا اله الا الله (ولله جنود السموات والارض) يعني الملائكة والانس والجن والشياطين يدبر أمرهم كيف يشاء و يسلط بعضهم على بعض و يحفظ بعضهم ببعض (وكان الله عليما) كثير العلم بخلقه بليغه (حكيما) في صنعه وأقواله وأفعاله (ليدخل) أي أمر بالجهاد ليدخل (المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) وقيل هذه اللام متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من أهله والشر ممن قضى له به

فيحضره اثنا عشر ملكا وأما السادسة فيعطى من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور ومع هذا يا عثمان من الاجر كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى ابن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم وقوله تبارك وتعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه الهه (٣٠) فنزلت قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وهذه كقوله تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله عز وجل بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أى اخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تبارك وتعالى وما قدروا الله حق قدره أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شئ المالك لكل شئ وكل شئ تحت قهره وقدرته قال مجاهد نزلت فى قريش وقال السدى ما عظموه حق تعظيمه وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وما قدروا الله حق قدره هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف قال البخارى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله

ليدخل ويعذب وقيل متعلقة بقوله انا فتحنا لك ليدخل ويعذب وهذا لا يصح وقيل متعلقة بينصرك أى نصرك الله بالمؤمنين ليدخل ويعذب وقيل متعلقة بيزدادوا وهذا لا يصح أيضا فالاول أولى (ويكفر عنهم سيآتهم) أى يغطيها ولا يظهرها ولا يعذبهم بها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى (وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (عند الله) أى فى علمه وقضائه وحكمه (فوزا عظيما) أى ظفرا بكل مطلوب ونجاة من كل غم وجلبا لكل نفع ودفعا لكل ضر والظرف متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه صفة له فى الاصل فلما قدم صار حالا أى كائنا من عند الله والجملة اعتراض مقرر لما قبله بين المعطوف وهو يعذب والمعطوف عليه وهو يدخل أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله الآية مرجعه من الحديبية قال لقد أنزلت على آية هى أحب الى مما على الارض ثم قرأها عليهم فقالوا هنيأ مريأ يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين حتى بلغ فوزا عظيما ثم لما فرغ الله سبحانه مما وعد به صالحى عباده ذكر ما يستحقه غيرهم فقال (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) معطوف على يدخل أى يعذبهم فى الدنيا بايصال الهموم والغموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وما يشاهدونه من ظهور الاسلام وقهر المخالفين له وبما يسلط النبى صلى الله عليه وسلم عليهم قتلا وأسرا واسترقاقا فى الدنيا وفى الآخرة بعذاب جهنم وقدم المنافقين على المشركين لانهم كانوا أشد على المؤمنين ضررا من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى اليه سره وفيه دلالة على انهم أشد منهم عذابا وأحق منهم بما وعدهم الله به ثم وصف الفريقين فقال (الظانين بالله ظن السوء) وهو ظنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم يغلب وأن كلمة الكفر تعلو كلمة الاسلام ومما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والسوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الامر السوء (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم الدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل

عليه وسلم وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة الآية ورواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع من صحيحه والامام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى فى التفسير من سننيهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء (٣١) والثرى على اصبع قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وانزل الله عز وجل وماقدروا الله حق قدره الى آخر الآية وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا حسين ابن حسن الاشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير باصابعه قال فانزل الله عز وجل وماقدروا الله حق قدره الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبى جعفر عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لانعرفه الامن هذا الوجه ثم قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن ابى سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله تعالى الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا اسحق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات

أو اسم فاعل من دار يدور سمى به عاقبة الزمان أى حادثته وهى فى الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيط بمن وقعت عليه الا ان أكثر استعمالها فى المكروه والسوء بالضم معناه العذاب والهزيمة والشر وبالفتح معناه الذم وقد قرئ بهما وهما لغتان وفى الاصل مصدران وهذا اخبار عن وقوع السوء بهم أو دعاء عليهم والاضافة من باب اضافة العام للخاص فهى للبيان وقال سيبويه السوء هنا الفساد ولما بين الله سبحانه ان دائرة السوء عليهم فى الدنيا بين ما يستحقونه مع ذلك من الغضب واللعنة وعذاب جهنم فقال (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) أى مرجعا (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة والانس والجن والشياطين والصيحة والرجفة والحجارة والزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكرر هذه الآية لقصد التأكيد أو المراد جنود العذاب كما يفيده التعبير بالعزة هنا مكان العلم هناك والتهديد بانهم فى قبضة قدرة المنتقم فلا تكرار (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبره أى لم يزل متصفا بذلك (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بتبليغ الرسالة اليهم (ومبشرا) بالجنة للمطيعين (ونذيرا) لاهل المعصية من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية فعلى الاولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته وعلى الثانية المراد المبشرون والمنذرون وهما سبعيتان وفيه امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته (وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) أى غدوة وعشية والخلاف بين القراء فى هذه الافعال الثلاثة كالخلاف فى لتؤمنوا كما سلف ومعنى تعزروه تعظموه أو تفخموه قاله الحسن والتعزير التوقير والتعظيم وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه وقال عكرمة تقاتلوا معه بالسيف وقال ابن عباس يعنى الاجلال وعنه قال تضربوا بين يديه بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتعزروه قال لاصحابه ماذاك قالوا الله ورسوله أعلم قال لتنصروه رواه ابن عدى وابن مردويه والخطيب وابن عساكر فى تاريخه ومعنى توقروه تعظموه وقال السدى تسودوه وقال ابن عباس يعنى التعظيم

يوم على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث انه نظر الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه (٣٢) بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى انى لاقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا ابو علي الحنفي ثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر وما قدروا الله حق قدره حتى بلغ سبحانه وتعالى عما يشركون فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ورواه الامام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي ثنا حسان بن نافع ابن صخر عن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكير بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله بما عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضي الله عنهم انى قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند وما قدروا الله حق قدره الى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا ان نبكي فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم انى سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك هذا حديث غريب جدا وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي اذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الارضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم وهذا اسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم

قيل والضميران في الفعلين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهنا وقف تام ثم يبتدئ وتسبحوه أي تسبحوا الله عز وجل وهو من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة وقيل الضمائر كلها في الافعال الثلاثة لله عز وجل فيكون المعنى تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وزاد الزمخشري ومن فرق الضمائر فقد أبعد ومثله في المدارك قال الحفناوي وهذا أظهر لتكون الضمائر على وتيرة واحدة (ان الذين يبايعونك) أصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له وهي بيعة الرضوان بالحديبية فانهم بايعوه تحت الشجرة على قتال قريش فبايعه جماعة على الموت منهم سلمة بن الاكوع وبايعه جماعة على ان لا يفروا منهم معقل بن يسار والحديبية قرية ليست كبيرة بينهما وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هنالك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والاول أفصح وعامة المحدثين يشددونها (انما يبايعون الله) أخبر سبحانه ان هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي بيعة له كما قال ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وذلك لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة وجملة (يد الله فوق أيديهم) مستأنفة لتقرير ما قبلها على طريق التخييل أو في محل نصب على الحال وفي هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية في الفعل ومكنية في الاسم الكريم وتخييلية في اثبات اليد له وفيه مشاكلة في مقابلة يده بايديهم والمعنى ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت بينهما قاله الزمخشري والكرخي وقيل يد الله بالوفاء

لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون) يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله هذه النفخة هى الثانية وهى نفخة الصعق وهى التى يموت بها الاحياء من أهل السموات والارض الامن شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا فى حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحى القيوم الذى كان أولا وهو الباقى آخرا بالديمومة والبقاء ويقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول لله الواحد القهار أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شئ وحكمت بالفناء على كل شئ ثم يحيى أول من يحيى اسرافيل ويأمره أن ينفخ فى الصور أخرى وهى النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون أى أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون الى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الاقليلا وقال جل وعلا ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون قال الامام أحمد ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما انك تقول الساعة تقوم الى كذا وكذا قال لقد هممت أن لاأحدثكم شيأ انما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث فيهم أربعين لاأدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفى فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الاقبضته حتى أن لو كان أحدهم كان فى كبد جبل لدخلت عليه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم

بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم فى المبايعة قال الرازى وذلك يحتمل وجوها لان اليد فى الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق أجسامهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ انتهى قلت وهذا هو مذهب أهل التأويل والكلام ومذهب السلف فى هذه الآية وامثالها السكوت عن التأويل وامرار آيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بالصفات كما جاءت مع الايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا صرف عن الظاهر ولا تأويل وهو الحق (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أى فمن نقض ما عقد من البيعة فانما ينقض على نفسه لان ضرر ذلك راجع اليه لايجاوزه الى غيره عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن نقول فى الله لاتأخذنا فيه لومة لائم وعلى أن ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه نفوسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومن نكث فانما ينكث على نفسه أخرجه أحمد وابن مردويه وفى الصحيحين من حديث جابر انهم كانوا فى بيعة الرضوان خمس عشرة مائة وفيهما عنه أنهم كانوا أربع عشرة مائة وفى البخارى من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا فى بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة فقال له ان جابرا قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثنى انهم كانوا خمس عشرة مائة (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) أى ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه فى البيعة لرسوله يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم قرأ الجمهور عليه بكسر الهاء وقرئ بضمها (فسيؤتيه) بالياء والنون سبعيتان (أجرا عظيما) وهو الجنة وهذه الآية فيها دلالة على مشروعية البيعة وقد صدرت منه صلى الله عليه وآله وسلم مبايعات كثيرة اشتملت عليها الاحاديث الواردة فى الصحيحين وغيرهما من دواوين الاسلام

الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم فى ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد الا صعق ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل أو الظل شك نعمان فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار قال فيقال كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ

يكشف عن ساق انفرد باخراجه مسلم فى صحيحه حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال البخارى حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الاعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال رضى الله تعالى عنه أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت ويبلى كل شئ من الانسان الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا اسمعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سأل جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مدّ خطاها مدّ أبصار الرجال يسيرون فى الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه يضحك اليهم الهى واذا ضحك الى عبد فى موطن فلا حساب عليه رجاله كلهم ثقات الا شيخ اسمعيل بن عياش فانه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تبارك وتعالى وأشرقت الارض بنور ربها أى أضاءت يوم القيامة اذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء ووضع الكتاب قال قتادة كتاب الاعمال وجئ بالنبيين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يشهدون على الامم بانهم بلغوهم رسالات الله اليهم والشهداء أى الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر وقضى بينهم بالحق أى بالعدل

وفيها أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد وتارة على اقامة أركان الاسلام وتارة على الثبات والقرار فى معارك الكفار وتارة على هجر الفواحش والمنكرات وتارة على التمسك بالسنة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات كما بايع نسوة من الانصار على أن لا ينحن وبايع ناسا من فقراء المهاجرين على أن لا يسألوا الناس شيأ فكان احدهم يسقط سوطه فينزل عن فرسه فيأخذه ولا يسأل احدا رواه ابن ماجه فى سننه وقد نطق به الكتاب العزيز كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية ومما لا شك فيه ولا شبهة انه اذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل على سبيل العبادة والاهتمام بشأنه فانه لا ينزل عن كونه سنة فى الدين بقى انه صلى الله عليه وآله وسلم كان خليفة الله فى أرضه وعالما بما انزله الله تعالى من القرآن والحكمة معلما للكتاب والسنة مزكيا للامة فما فعله على جهة الخلافة كان سنة للخلفاء وما فعله على جهة كونه معلما للكتاب والحكمة ومزكيا للامة كان سنة للعلماء الراسخين وهذا الصحيح البخارى شاهد على انه صلى الله عليه وآله وسلم اشترط على جرير عند مبايعته والنصح لكل مسلم وانه بايع قوما من الانصار فاشترط ان لا يخافوا فى الله لومة لائم ويقولوا بالحق حيث كانوا وكان أحدهم يجاهر الامراء والملوك لردوا الانكار الى غير ذلك وكل ذلك من باب التزكية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فالبيعة على أقسام منها بيعة الخلافة ومنها بيعة الاسلام ومنها بيعة التمسك بحبل التقوى ومنها بيعة الهجرة والجهاد ومنها بيعة التوثق فى الجهاد وكانت بيعة الاسلام متروكة فى زمن الخلفاء أما فى زمن الراشدين منهم فلان دخول الناس فى الاسلام فى أيامهم كان غالبا بالقهر والسيف لا بالتأليف واظهار البرهان ولا طوعا ولا رغبة وأما فى غيرهم فلانهم كانوا فى الاكثر ظلمة فسقة لا يهتمون وكذلك بيعة التمسك بحبل التقوى كانت متروكة أما فى زمن الخلفاء الراشدين فلكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتأدبوا فى حضرته فكانوا لا يحتاجون الى بيعة الخلفاء وأما فى زمن غيرهم فخوفا من افتراق الكلمة وان يظن بهم مبايعة الخلافة فتهيج الفتن ثم لما انصرم هذا فى الخلفاء انتهز أكابر العلماء والمشايخ الفرصة وتمسكوا بسنة البيعة وما ادعى اعتقاده الصوفية رحمهم الله من مبايعة المتصوفين ففيه ما يقبل وما يرد وقد ذكر بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما ففيه السنة والصواب وما خالفهما فهو الخطأ وكتاب البدعة

وهم لا يظلمون قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال جل وعلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ولهذا قال عز وجل ووفيت كل نفس ما عملت أي من خير أو شر وهو أعلم بما يفعلون (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) (٣٥) يخبر تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون الى النار وانما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا أي يدفعون اليها دفعا هذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الاخرى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تبارك وتعالى حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الاخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ألم يأتكم رسل منكم أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والاخذ عنهم يتلون عليكم آيات ربكم أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم اليه وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار لهم بلى أي قد جاؤنا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق الى الباطل كما قال عز وجل مخبرا عنهم في الآية الاخرى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير أي بعدا لهم وخسارا وقوله تبارك وتعالى ههنا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد

سنة وليست بواجبة لان الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقربوا بها الى الله تعالى ولم يدل دليل على تأثيم تاركها ولم ينكر أحد من الائمة على من تركها فكان كالاتفاق على أنها ليست بواجبة وشرط من يأخذ البيعة أمور أحدها علم الكتاب والسنة وانما شرطنا ذلك لان الغرض من البيعة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وارشاده الى تحصيل السكينة الباطنة وازالة الرذائل واكتساب الحمائد متقيدا بظاهر القرآن الكريم والحديث الشريف ومن لم يكن عالما بهما وعاملا بموجبهما لا يتصور منه ذلك أبدا وقد اتفقت كلمة المشايخ على أن لا يتكلم على الناس الا من كتب الحديث وقرأ القرآن وثانيها العدالة والتقوى والصدق والضبط فيجب أن يكون مجتنبا عن الكبائر غير مصر على الصغائر ثالثها أن يكون زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة مواظبا على الطاعات المؤكدة والاذكار المأثورة في صحاح الاحاديث مواظبا على تعلق القلب بالله سبحانه رابعها أن يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستبدا برأيه لا امعة ليس له رأي ولا أمر ذا مروءة وعقل تام يعتمد عليه في كل ما يأمر به وينهى عنه قال تعالى ممن ترضون من الشهداء فما ظنك بصاحب البيعة خامسها أن يكون صحب العلماء بالكتاب والسنة وتأدب بهم دهرا طويلا وأخذ منهم العلم الظاهر والنور الباطن والسكينة وهذا لان سنة الله جرت بأن الرجل لا يفلح الا اذا رأى المفلحين ولا يشترط في ذلك ظهور الكرامات وخوارق العادات ولا ترك الاكتساب لان الاول ثمرة المجاهدات لا شرط الكمال والثاني مخالف للشرع المطهر ولا تغتر بما فعله المغالون في أحوالهم انما المأثور القناعة بالقليل والورع من الشبهات واذا تقرر لك هذا عرفت ما هو صاف عما هو كدر فاشدد يدك عليه ولا تلتفت الى غير ما ذكرنا والله التوفيق * ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب وابطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله (سيقول) أي بوعد لا خلف فيه (لك) لانهم يعلمون شدة رحمتك ورقتك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون في قبولك عذرهم الفاسد ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية معتمرا قال مجاهد وغيره يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة وقيل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عليهم بانهم مستحقون العذاب ولهذا لم يسند هذا القول الى قائل معين بل أطلقه ليدل على ان الكون شاهد عليهم بانهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أى ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها فبئس مثوى المتكبرين أى فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم فى الدنيا وابائكم عن اتباع الحق فهو الذى صيركم الى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) وهذا اخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا الى الجنة زمرا أى جماعة بعد جماعة المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم الانبياء مع الانبياء والصديقون مع اشكالهم والشهداء مع اضرابهم والعلماء مع اقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى اذا جاؤها أى وصلوا الى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة وقد ورد فى حديث الصور أن المؤمنين اذا انتهوا الى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم فى الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين كما فعلوا فى العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل ان يأتى لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر فى المواطن كلها وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول شفيع فى الجنة وفى لفظ لمسلم أنا أول من يقرع باب الجنة وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد قال فيقول بك أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن ابى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسى عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال

(٣٦)

حين سافر الى مكة عام الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا معه فخافوا أن يكون قتال وقالوا أيذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه يعنون بأحد (شغلتنا اموالنا وأهلونا) أى منعنا من الخروج معك ما لنا من الاموال والنساء والذرارى وليس لنا من يقوم بهم ويخلفنا عليهم ولو تركناهم لضاعوا (فاستغفر لنا) ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب ولما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد بل على طريقة الاستهزاء وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله بقوله (يقولون بألسنتهم) من طلب الاستغفار وما قبله (ما ليس فى قلوبهم) فهم كاذبون فى اعتذارهم وفى طلب الاستغفار لهم وهذا هو صنيع المنافقين والجملة مستأنفة لبيان ما تنطوى عليه بواطنهم أو بدل من الجملة الاولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب عنهم فقال (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) أى فمن يمنعكم مما اراده الله بكم من خير وشر ونفع وضر والاستفهام بمعنى النفى أى لا أحد يقدر لاجلكم من مشيئته وقضائه ثم بين ذلك فقال (ان اراد بكم ضرا) أى انزال ما يضركم من ضياع الاموال وهلاك الاهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف قرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد وهو مصدر ضررته ضرا وقرئ بضمها وهو اسم ما يضر وقيل هما لغتان وسمعيتان (أو اراد بكم نفعا) أى نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع ثم أضرب سبحانه عن ذلك فقال (بل كان الله بما تعملون خبيرا) أى ان تخلفكم ليس لما زعمتم بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملونه من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وقد علم ان تخلفكم لم يكن لذلك بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله ولهذا قال (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) وهذه الجملة مفسرة لما تبهم فيها من الابهام أى بل ظننتم ان العدو يستأصل المؤمنين بالمرة فلا يرجع منهم احد الى اهله لما فى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة (وزين) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وهو الشيطان (ذلك فى قلوبكم) فقبلتموه (وظننتم ظن السوء) هو ان الله سبحانه لا ينصر رسوله وهذا الظن اما هو الظن الاول

رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا
يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما
من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشية ورواه البخاري
عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر باسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد
عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا
أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن
القعقاع عن أبي زرعة عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر والذين
يلونهم على ضوء أشد كوكب دري
في السماء اضاءة لا يبولون ولا
يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون
امشاطهم الذهب ورشحهم المسك
ومجامرهم الالوة وازواجهم
الحور العين أخلاقهم على خلق
رجل واحد على صورة أبيهم آدم
ستون ذراعا في السماء وأخرجاه
ايضا من حديث جرير وقال
الزهري عن سعيد عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يدخل الجنة
من أمتي زمرة هم سبعون الفا
تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة
البدر فقام عكاشة بن محصن فقال
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام
رجل من الانصار فقال يا رسول
الله ادع الله تعالى ان يجعلني منهم
فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها
عكاشة أخرجاه وقد روى هذا الحديث في السبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وام قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن
أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفا أو
سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر وقال أبو بكر بن أبي شيبة
حدثنا اسمعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا امامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

والتكرير للتأكيد والتوبيخ أو المراد به ما هو أعم من الاول فيدخل الظن الاول تحته
دخولا أوليا (وكنتم قوما بورا) قال الزجاج هالكين عند الله وكذا قال مجاهد قال
الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال أبو عبيد بورا هلكى وهو جمع
بائر مثل حائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح وقد بار فلان أي هلك وأباره الله أي
أهلكه قيل والبور الهلاك وهو مصدر أخبر به عن الجمع (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا) هذا كلام مستأنف من جهة الله سبحانه غير داخل تحت ما أمر
الله سبحانه رسوله ان يقوله أي ومن لم يؤمن بهما كما صنع هؤلاء المخلفون فجزاؤهم ما أعده
الله لهم من عذاب السعير والنار الشديدة وأقيم الظاهر مقام المضمر للايذان بأن من لم
يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر مستوجب للسعير ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة
كما نكر نارا تلظى أو للتهويل (ولله ملك السموات والارض) يتصرف فيه كيف يشاء
لا يحتاج الى أحد من خلقه وانما تعبدهم بما تعبدهم ليثيب من أحسن ويعاقب من أساء
ولهذا قال (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له (ويعذب من يشاء) ان يعذبه لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون وهذا حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وآله وسلم لهم (وكان
الله غفورا رحيما) أي كثير المغفرة والرحمة بليغهما يختص بمغفرته ورحمته من يشاء من
عباده وتقتضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل
عن ذلك قطعا (سيقول المخلفون) المذكورون (اذا انطلقتم) أي عند انطلاقكم أيها
المسلمون (الى مغانم) أي مغانم خيبر (لتأخذوها) أي لتحوزوها (ذرونا) أي اتركونا
ودعونا (نتبعكم) ونشهد معكم غزوة خيبر وأصل القصة أنه لما انصرف النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ومن معه من المسلمين من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست أقام بالمدينة
بقيته وأوائل المحرم من سنة سبع وعدهم الله فتح خيبر وخص لغنائمها من شهد الحديبية
فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه (يريدون ان يبدلوا كلام
الله) أي يغيروه والمراد بهذا الكلام هو مواعيد الله لاهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر
وقال مقاتل يعني أمر الله لرسوله ان لا يسير معه أحد منهم وقال ابن زيد هو قوله تعالى
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل ان تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا

وعدني ربي عز وجل ان يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا مع كل الف سبعين الفا لاحساب عليهم ولاعذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي امامة ورواه الطبراني (١) عن عيينة بن عبد السلمي ثم مع كل الف سبعين الفا ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الانماري وله شواهد من وجوه كثيرة وقوله تبارك وتعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لم يذكر الجواب ههنا وتقديره حتى اذا جاؤها وكانت (٣٨) هذه الامور من فتح الابواب لهم اكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب فتقديره اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم واذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والامل ومن زعم ان الواو في قوله تبارك وتعالى وفتحت أبوابها واو الثمانية واستدل به على ان أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وانما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الاحاديث الصحيحة قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ما على أحد من ضرورة دعي من أيها دعي فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم وأرجو ان تكون منهم رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث ابي حازم سلمة بن دينار عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لايدخله الا الصائمون وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال الحسن صحيحه

(١) قوله عن عيينة في نسخة عن عتبة وقوله ثم مع كل ألف الخ في نسخة ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا اه مصححه

معي عدوا واعترض هذا ابن جرير وغيره بان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والاول اولى وبه قال مجاهد وقتادة ورجحه ابن جرير وغيره وعليه عامة اهل التأويل قرأ الجمهور كلام الله وقرئ كلم الله قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لايكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبق ونبقة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يمنعهم من الخروج معه فقال (قل لن تتبعونا) هذا النفي هو بمعنى النهي للمبالغة والمعنى لاتتبعونا (كذلكم قال الله من قبل) أي من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون) يعني المنافقين عند سماع هذا القول وهو قوله قل لن الخ (بل) اضراب عن محذوف هو مقول القول كما علمت (تحسدوننا) أي بل ما يمنعكم من خروجنا معكم الا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك حكما من الله كما تزعمون ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) أي لايعلمون الا علما قليلا وهو علمهم بامر الدنيا وقيل لايفقهون من أمر الدين الا فقها قليلا وهو ما يصنعونه نفاقا بظواهرهم دون بواطنهم والفرق بين الاضرابين ان الاول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعم منه وهو الجهل وقلة الفقه وفيه أن الجهل غاية في الذم وحب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف أي فذمهم مرة بعد أخرى كما أشار اليه في التقرير (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) قال عطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي ليلى وعطاء الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وابن أبي ليلى هم الروم وروي عن الحسن أيضا أنه قال هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هم هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة وحكى هذا القول الواحدي عن أكثر المفسرين وعن أبي هريرة أنهم الاكراد وقال ابن عباس هم فارس والروم وعنه قال هوازن وبنو حنيفة يعني أهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وظاهر الآية يرده وفي هذه الآية دليل على

ابن عرفة حدثنا اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله * (ذكر سعة أبواب الجنة نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها) * في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل فيقول الله تعالى يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في الابواب الاخر والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر او هجر أو مكة وفي رواية مكة وبصرى وفي صحيح مسلم عن عتبة ابن غزوان انه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله وقال عبد ابن حميد ثنا الحسن بن يونس ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة وقوله تبارك وتعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وفي رواية مؤمنة وقوله فادخلوها خالدين أي ما كثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي يقول المؤمنون اذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقولهم وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي

صحة امامة أبي بكر الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما لان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم قال الخازن وأقوى هذه الاقوال أنهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابعدها أنهم بنو حنيفة ثم ذكر الدليل على صحة القول الاول وأطال فيه ولا يصح لانه قال لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي الا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (تقاتلونهم أو يسلمون) فلا تقاتلون أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ولا ثالث لهما وهذا حكم الكفار الذين لا تؤخذ منهم الجزية قال الزجاج التقدير أوهم يسلمون وقرئ أو يسلموا أي حتى يسلموا (فان تطيعوا) الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا) وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) أي تعرضوا (كما توليتم من قبل) وذلك عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) بالقتل والاسر والقهر في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الاعذار حرج في التخلف عن الغزو وترك الجهاد لعدم استطاعتهم قال مقاتل عذر الله أهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الى الحديبية بهذه الآية والحرج الاثم وعن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واني لواضع القلم على أذني اذ أمر بالقتال اذ جاء أعمى فقال كيف لي وأنا ذاهب البصر فنزلت ليس على الاعمى حرج الآية قال هذا في الجهاد وليس عليهم من جهاد اذا لم يطيقوا أخرجه الطبراني قال السيوطي بسند حسن وهذه اعذار صحيحة ظاهرة لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر وهناك أعذار أخر ذكرها الخازن وغيره وموضعها كتب الفقه دون صحف التفسير (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمراه به ونهياه عنه ومنه الجهاد (يدخله) بالياء وقرئ بالنون وهما سبعيتان (جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) أي ومن يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه الله عذابا شديد الالم كرر الوعيد لان المقام أدعى للترهيب وفصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة من دأبه بخلاف التعذيب ثم ذكر سبحانه الذين أخلصوا نياتهم وشهدوا بيعة الرضوان فقال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) أي رضي الله

الصالحون ولهذا قالوا اتبوأ من الجنة حيث نشاء أي أين شئنا حللنا فنعم الاجر اجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي صلى الله عليه وسلم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وقال عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة ثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال سيقوا حتى انتهوا الى أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى احداهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر أبشارهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الاخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال وينطلق غلام من غلمانه الى أزواجه من الحور العين [illegible] فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجيء فاذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابي مبثوثة قال ثم ينظر الى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ [illegible] أخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا أن الله تعالى قدر له لألم أن يذهب بصره انما مثل البرق ثم [illegible] أزواجه من الحور العين ثم يتكئ على أريكة من أرائكه ثم يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن [illegible]

عنهم وقت تلك البيعة وهي بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذه الشجرة هي سمرة كانت بها وقيل سدرة وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي أنه بايعهم على الموت وأتى بصيغة المضارع لاستحضار صورة المبايعة والسمرة من شجر الطلح وجمهور المفسرين على أن المراد بالطلح في القرآن الموز وفي الصحيح عن ابن عمر ان الشجرة أخفيت والحكمة في ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة تنفع أو تضر كما نشاهده الآن فيما دونها ولذلك أشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله كذا في الفتح وشرح المواهب وعن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقطعت أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وقد تقدم ذكر عدد أهل هذه البيعة تقريبا وأما قصتها فمبسوطة في كتب الحديث والسير وفي الباب أحاديث ذكرها الخازن وغيره والمعنى فعل بالراضي في الامتنان فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وأفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بأمور شاهدة ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان (فعلم) الله (ما في قلوبهم) أي علم ما فيها من الصدق والوفاء قاله الفراء وقال قتادة وابن جريج من الرضا بأمر البيعة على أن لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على الموت (فأنزل السكينة) أي الطمأنينة وسكون النفس والامن كما تقدم وقيل الصبر (عليهم) أي على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوا على الموت وعلى أن لا يفروا والآية تشير الى أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة لان رضوان الله موجب لدخولها والاحاديث الصحيحة تدل لذلك قال ابن عباس انما أنزلت السكينة على من علم منه الوفاء (وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية قاله قتادة وابن أبي ليلى وغيرهما وقيل فتح مكة والاول أولى (ومغانم كثيرة يأخذونها) أي وأثابهم مغانم كثيرة أو آتاهم وهي غنائم خيبر وكانت ذات نخل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهم وقرئ بالتاء والالتفات لتشريفهم بالخطاب (وكان الله عزيزا حكيما) أي غالبا مصدرا أفعاله وأقواله على أسلوب الحكمة عن سلمة بن الاكوع قال بينا نحن قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو تحت شجرة سمرة

فبايعناه فذلك قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية فبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيأ لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأخرج البخاري عن سلمة بن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قيل على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذي واستغربه (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) في هذا وعد منه سبحانه لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم الى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها وقيل الالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان والخطاب لاهل الحديبية (فعجل لكم هذه) أي غنائم خيبر قاله مجاهد وغيره وقيل صلح الحديبية وهي في جنب ما وعدهم الله به من الفتوحات كالقليل من الكثير (وكف ايدى الناس عنكم) أي ايدى قريش يوم الحديبية بالصلح وقيل ايدى أهل خيبر وابصارهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب وقال ابن عباس يعني أهل مكة ان يستحلوا حرم الله ويستحل بكم وانتم حرم وقال قتادة كف ايدى اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر ورجح هذا ابن جرير قال لان كف ايدى الناس بالحديبية مذكور في قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وقيل الناس يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا أهل خيبر عند حصار النبي صلى الله عليه وسلم لهم (ولتكون آية للمؤمنين) أى فعل ما فعل من التعجيل والكف لتكون آية لهم أو وعد فعجل وكف لتنتفعوا بذلك ولتكون آية وقيل ان الواو مزيدة واللام لتعليل ما قبلها أى وكف لتكون والمعنى ذلك الكف آية يعلم بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يعدكم به وقال ابن عباس أى سنة لمن بعدكم وقيل عبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أي يزيدكم بتلك الآية هدى وبصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

حدثنا ابي ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل النهدي ثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال سمعت أبا معاذ البصري يقول ان عليا رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من احداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الاخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين يا على فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فانما أنا قيمك وكلت بامرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وانا حبك وانا الخالدة التى لا اموت وانا الناعمة التى لا أبأس وانا الراضية التى لا أسخط وانا المقيمة التى لا أظعن فيدخل بيتا من أسه الى سقفه مائة الف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه الانهار من تحته من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه قال لم يخرج من ضروع الماشية وانهار من خمر لذة للشاربين قال لم تعصرها الرجال باقدامهم وانهار من عسل مصفى قال لم يخرج من بطون النحل يستحنى الثمار فان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء متكئا ثم تلا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فيشتهى الطعام فيأتيه طير أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أى الالوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في الارض لاضاءت الشمس معها سوادا في نور هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم (وترى الملائكة

حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وانه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور اخبر عن ملائكته انهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الامر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل وقضي بينهم أي بين الخلائق بالحق ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين اي نطق الكون اجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول الى قائل بل اطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

(تفسير سورة المؤمن وهي مكية)

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وانما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم وقال مسعر بن كدام كان يقال لهن العرائس روى ذلك كله الامام العالم أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله تعالى في كتاب فضائل القرآن وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال ان مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي وقال ابن لهيعة عن يزيد بن ... الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتأنق فيهن وقال أبو عبيد ثنا الاشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلا رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجدا فقال له ما هذا فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء رضي الله عنه

تعالى ويثبتكم على الهداية الى طريق الحق بصلح الحديبية وفتح خيبر وقيل طريق التوكل عليه وتفويض الامر اليه تعالى لان الحاصل من الكف ليس الا ذلك ولان أصل الهدى حاصل قبله (وأخرى) أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ويجوز فيها أوجه ذكرها السمين وغيره (لم تقدروا عليها) وهي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد كفارس والروم ونحوهما كذا قال الحسن ومقاتل وابن أبي ليلى وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتحها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة فتح مكة وقال عكرمة حنين والاول أولى وقال ابن عباس هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم وعنه قال هي خيبر وقيل فتح بلدة أخرى مطلقا وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين (قد أحاط الله بها) صفة ثانية لاخرى قال الفراء أحاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها والمعنى انه أعدها لهم وجعلها كالشيء الذي قد أحيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت منه شيء فهم وان لم يقدروا عليها في الحال فهي محبوسة لهم لا تفوتهم وقيل المعنى انه أحاط علمه بانها ستكون لهم (وكان الله على كل شيء) من فتح القرى والبلدان (قديرا) لا يعجزه شيء ولا تختص قدرته ببعض المقدورات دون بعض (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار) قال قتادة يعني كفار قريش بالحديبية وأهل مكة وقيل أسد وغطفان الذين أرادوا نصر أهل خيبر والاول أولى (ثم لا يجدون وليا) يواليهم على قتالكم ويتولى أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم عليكم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي طريقته وعادته التي قد مضت في الامم من نصر اوليائه على أعدائه وهو قوله لاغلبن انا ورسلي وانتصاب سنة على المصدرية بفعل محذوف أي سن الله سنة أو هو مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة من هزيمة الكفار ونصر المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اي تغييرا بل هي مستمرة ثابتة (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) أي كف أيدي المشركين عن المسلمين وأيدي المسلمين عن المشركين لما جاؤا يصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عن البيت عام الحديبية وهي المراد بقوله ببطن مكة لان أكثرها من الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم لما روي ان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقيل المعنى هو الذي قضى بينهم بالمكافة

هو المسجد المنسوب اليه داخل قلعة دمشق وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وضع له فان هذا الكلام يدل على النصر على الاعداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى بعض الغزوات ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وفى رواية لا تنصرون وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازنى ومحمد بن الليث الهمدانى قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى عن زرارة بن مصعب عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء ثم قال لا نعلمه (٤٣) يروى الا بهذا الاسناد ورواه الترمذى من حديث المليكى وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقد قيل ان حم اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا فى ذلك بيتا

يذكرنى حم والرمح شاجر
فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى من حديث الثورى عن أبى اسحق عن المهلب بن أبى صفرة قال حدثنى من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وهذا اسناد صحيح واختار أبو عبيد ان يروى فقولوا حم لا ينصروا أى ان قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وان تكاثف حجابه وقوله عز وجل غافر الذنب وقابل التوب أى يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة فى المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا شديد العقاب أى لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم يقرن هذين الوصفين كثيرا فى مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف وقوله تعالى ذى الطول قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى السعة والغنى وهكذا قال مجاهد وقتادة وقال يزيد بن الاصم ذى الطول يعنى الخير الكثير وقال عكرمة ذى الطول ذى المن وقال قتادة ذى النعم

والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا والمراد على هذا يبطن مكة مكة (وكان الله بما تعملون بصيرا) لا يخفى عليه من ذلك شئ قرئ بالتاء وبالياء وهما سبعيتان عن أنس قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة فى السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم فنزلت هذه الآية أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وغيرهم وفى صحيح مسلم وغيره انها نزلت فى نفر اسرهم سلمة بن الاكوع يوم الحديبية وأخرج أحمد والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم فى سبب نزول الآية ان ثلاثين شابا من المشركين خرجوا يوم الحديبية على المسلمين فى السلاح فثاروا فى وجوههم فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأسماعهم ولفظ الحاكم بابصارهم فقام اليهم المسلمون فاخذوهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم فى عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية (هم الذين كفروا) يعنى كفار قريش (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى عن الوصول اليه ومعنى الصد انهم منعوهم ان يطوفوا بالمسجد الحرام ويحلوا عن عمرتهم (والهدى معكوفا) أى محبوسا قرأ الجمهور بنصب الهدى عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد ولا بد من تقدير مضاف أى عن نحر الهدى وقرئ بالرفع على تقدير وصد الهدى وقرأ الجمهور بفتح الهاء من الهدى وسكون الدال وقرئ بكسرها وتشديد الياء وانتصاب معكوفا على الحال من الهدى قال الجوهرى عكفه أى حبسه ووقفه ومنه والهدى معكوفا ومنه الاعتكاف فى المسجد وهو الاحتباس وعكف على الشئ أقبل عليه مواظبا وقال أبو عمرو بن العلاء معكوفا مجموعا وأنكر الفارسى تعدية عكف بنفسه وأثبتها ابن سيده والازهرى وغيرهما وهو ظاهر القرآن لبناء اسم المفعول منه (أن يبلغ محله) أى عن ان يبلغ محله أو مفعول لاجله والمعنى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله ومحله منحره وهو حيث يحل نحره من الحرم أو هو بدل اشتمال من الهدى وكان الهدى سبعين بدنة وقال ابن عباس نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى أولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذى وصلوا اليه وهو الحديبية محلا

والفواضل والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية وقوله جلت عظمته لا اله الا هو أي لا نظير له في جميع صفاته فلا اله غيره ولا رب سواه اليه المصير أي اليه المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله وهو سريع الحساب وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا اسحق السبيعي يقول جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اني قتلت فهل لي من توبة فقرأ عمر رضي الله عنه عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل (٤٤) التوب شديد العقاب وقال اعمل ولا تيأس رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وابن جرير وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا موسى ابن مروان الرقي ثنا عمر يعني ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد ابن الاصم قال كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب الى فلان ابن فلان سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم قال لاصحابه ادعوا الله لاخيكم أن يقبل بقلبه و يتوب الله عليه فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرأه و يردده و يقول غافر الذنب وقابل التوب قد حذرني عقوبته ووعدني ان يغفر لي ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه وقال ابن أبي حاتم ثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصفار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضي الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا اله الا هو اليه المصير فاذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي واذا قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني قال فالتفت فلم أر أحدا فخرجت الى الباب فقلت مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية قالوا ما رأينا أحدا [illegible]

للنحر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم وللعلماء في هذا كلام معروف في كتب الفروع (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مؤمنون (ان تطؤهم) أي بالقتل والايقاع بهم يقال وطأت القوم أي أوقعت بهم وذلك انهم لو كبسوا مكة وأخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين هم فيها من الكفار وعند ذلك لا يأمنون ان يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم سبة وهو معنى قوله (فتصيبكم منهم) أي من جهتهم (معرة) أي مشقة بما يلزمكم في قتلهم من كفارة وعيب وأصل المعرة العيب مأخوذ من العر وهو الجرب وذلك ان المشركين سيقولون ان المسلمين قد قتلوا أهل دينهم قال الزجاج معرة أي اثم وكذا قال الجوهري وبه قال ابن زيد وقال الكلبي ومقاتل وغيرهما المعرة كفارة قتل الخطا كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذ لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقال ابن اسحق المعرة غرم الدية وقال قطرب المعرة الشدة وقيل الغم وقيل هي مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه (بغير علم) متعلق بان تطؤهم [illegible] وجواب لولا محذوف والتقدير لاذن الله لكم أو لما كف أيديكم عنهم (ليدخل الله) اللام متعلقة بما يدل عليه الجواب المقدر أي ولكن لم يأذن لكم أو كف أيديكم عنهم ليدخل الله (في رحمته) بذلك أي في توفيقه لزيادة الخير في الاسلام (من يشاء) من عباده وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة فيتمم لهم أجورهم باخراجهم من بين ظهراني الكفار ويفك أسرهم ويرفع ما كان ينزل بهم من العذاب وقيل اللام متعلقة بمحذوف غير ما ذكروا التقدير لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته والاول أولى وقيل ان من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين عن أبي جمعة جنيد بن سبع قال قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال الخ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتان وفي رواية ابن أبي حاتم كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة أخرجه الطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن قانع والباوردي والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند جيد وعن ابن عباس في الآية قال حين رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان تطؤهم بقتلكم اياهم (لو تزيلوا) [illegible]

يرون انه الياس ثم رووا من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر الياس والله سبحانه وتعالى أعلم (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان الا الذين كفروا أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه فلا يغررك تقلبهم في البلاد أي في أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا لا يغرنك تقلب (٤٥) الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال عز وجل نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ثم قال تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه بان له اسوة من سلف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أممهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم الا القليل فقال كذبت قبلهم قوم نوح وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الاوثان والاحزاب من بعدهم أي من كل أمة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق أي ماحلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنيش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله

[illegible]

عقاب أي فكيف بلغك عذابي لهم ونكالي بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما قال قتادة كان شديدا والله وقوله جل جلاله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار أي كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الامم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد طريق الاولى والاحرى لان من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما

من الذين كفروا منهم قاله العتبي وقال الكلبي لو تفرقوا وقيل لو زال الذين آمنوا من بين اظهرهم والمعاني متقاربة قرأ الجمهور لو تزيلوا وقرئ لو تزايلوا والتزايل التباين (لعذبنا الذين كفروا منهم) أي من أهل مكة حينئذ بان نأذن لكم في فتحها (عذابا أليما) قال القاضي بالقتل والسبي وهو الظاهر لان المراد من تعذيبهم التعذيب الدنيوي الذي هو تسليط المؤمنين عليهم وقتالهم فان عدم التميز لا يوجب عدم عذاب الآخرة أفاده على القاري قال ابن عباس لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلكم اياهم قال قتادة ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة (اذ جعل) أي اذكر وقت أن جعل (الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي اضمروها واصروا عليها والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية أي ذو أنفة وغضب وتكبر وتعاظم أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم والجعل بمعنى الالقاء (حمية الجاهلية) بدل من الحمية قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان قال أهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب انهم قد دخلوا علينا على رغم انفسنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم وقال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وقال الخطيب حمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أو باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء (فأنزل الله سكينته) أي الطمأنينة والوقار (على رسوله وعلى المؤمنين) حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية وقيل ثبتهم على الرضا والتسليم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولم يضيعني الله أبدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال أليس

فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الاربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح ويؤمنون به أي خاشعون له اذلاء بين يديه وانهم يستغفرون للذين آمنوا أي من أهل الارض (٤٦) ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين ان يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله وقد قال الامام أحمد ثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبة ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره فقال

زحل وثور تحت رجل يمينه
والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة
حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها
الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وهذا اسناده جيد وهو يقتضي ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهنا سؤال وهو ان يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث وبين الحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيدا قال هل تدرون بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع

قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا قال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولم يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر فأقرأه اياها قال يا رسول الله أفتح هو قال نعم (وألزمهم) أي اختارهم لها وألزمهم تشريفا واكراما (كلمة التقوى) من الشرك وهي لا اله الا الله كذا قال الجمهور وزاد بعضهم محمد رسول الله وزاد بعضهم وحده لا شريك له وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الكفار لم يقروا بها وامتنعوا من كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في كتب الحديث والسير فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين وألزمهم بها والاول أولى لان كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله أخرجه أحمد وابن جرير والدارقطني في الافراد وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديثه أي الحسن بن قزعة وكذا قال أبو زرعة وأخرج ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع مرفوعا مثله وعن علي بن أبي طالب مثله من قوله ومن قول عمر بن الخطاب نحوه وعن ابن عباس نحوه وعن مسور بن مخرمة ومروان نحوه وروي عن جماعة من التابعين نحو ذلك (وكانوا أحق بها وأهلها) عطف تفسيري أي وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم في علم الله تعالى لان الله سبحانه أهلهم لدينه واختارهم لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكان الله بكل شيء عليما) أي من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي جعل رؤياه صادقة محققة ولم يجعلها أضغاث أحلام وان كان تفسيرها لم يقع الا بعد ذلك في عمرة القضاء قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه أرى نبيه صلى الله عليه وسلم المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم سيدخلون مكة عامهم ذلك فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الرؤيا كانت بالحديبية (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه صدقا ملتبسا بالحق

سموات ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك ثم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذى حسن غريب وهذا يقتضى ان حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوشب رضى الله عنه حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا (٤٧) يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما أى رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك أى فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات وقهم عذاب الجحيم أى وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الاليم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أى اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ أى ساوينا بين الكل فى المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالى حتى يساوى الدانى بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة وقال سعيد بن جبير ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول انى انما عملت لى ولهم فيلحقون به فى الدرجة ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين وقوله تبارك وتعالى انك أنت العزيز الحكيم أى الذى لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك وقهم السيئات أى فعلها أو وبالها ممن وقعت منه ومن تق السيئات يومئذ أى

أى بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من اسمائه سبحانه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) فى العام القابل وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد لما يجب ان يقولوه كما فى قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قال ثعلب ان الله استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون وقيل كان الله سبحانه علم انه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه فى الحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسن بن الفضل وقيل معنى ان شاء الله كما شاء الله وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ يعنى اذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض والمعنى آمنين فى حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم فى المستقبل (محلقين رؤسكم ومقصرين) أى محلقا بعضكم جميع الشعور ومقصرا بعضكم والحلق والتقصير خاص بالرجال والحلق أفضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح فى استغفاره صلى الله عليه وسلم للمحلقين فى المرة الاولى والثانية والقائل يقول له وللمقصرين فقال فى الثالثة وللمقصرين وقد ورد فى الدعاء للمحلقين والمقصرين فى البخارى ومسلم وغيرهما أحاديث منها ما قدمنا الاشارة اليه وهو من حديث ابن عمر وفيهما من حديث أبى هريرة أيضا (لا تخافون) مستأنف وفيه زيادة تأكيد لما قد فهم من قوله آمنين فلا تكرار (فعلم ما لم تعلموا) معطوف على صدق أى صدق رسوله الرؤيا فعلم ما لم تعلموا من المصلحة فى الصلح لما فى دخولكم فى عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين (فجعل من دون ذلك) أى دخولكم مكة كما أرى رسوله (فتحا قريبا) ليقويكم به فانه كان موجبا الاسلام كثير قال أكثر المفسرين هو صلح الحديبية وقال ابن زيد والضحاك فتح خيبر وتحققت الرؤيا فى العام القابل وقال الزهرى لا فتح فى الاسلام كان أعظم من صلح الحديبية ولقد دخل فى تلك السنين فى الاسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل أكثر فان المسلمين كانوا فى سنة ست وهى سنة الحديبية ألفا وأربعمائة وكانوا فى سنة ثمان عشرة آلاف وقيل هو فتح مكة (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى ارسالا متلبسا بالهدى (ودين الحق) وهو الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى يعليه ويغليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا

يوم القيامة فقد رحمته اى لطفت به ونجيته من العقوبة وذلك هو الفوز العظيم (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) يقول تعالى مخبرا عن الكفار انهم ينادون يوم القيامة وهم فى غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لاحد به فمقتوا عند ذلك انفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الاعمال السيئة التى كانت سبب دخولهم الى النار فاخبرتهم الملائكة عند ذلك اخبارا عاليا نادوهم نداء بان مقت الله تعالى لهم فى الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون انفسكم اليوم فى هذه الحالة قال قتادة فى قوله تعالى لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون يقول لمقت الله اهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا اكبر مما مقتوا انفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة وهكذا قال الحسن البصرى ومجاهد والسدى وذر بن عبد الله الهمدانى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبرى رحمة الله عليهم أجمعين وقوله قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال الثورى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن ابن مسعود رضى الله عنه هذه الآية كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذى لاشك فيه ولا مرية وقال السدى أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة وقال ابن زيد أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم فى الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة وهذان القولان من السدى وابن زيد ضعيفان لانه يلزمهما على ما قالا ثلاث احياآت واماتات والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدى الله عز وجل فى عرصات القيامة كما قال عز وجل ولو ترى

كما يفيده تأكيد الجنس وقيل ليظهر رسوله والاول أولى وقد كان ذلك بحمد الله فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر له كل أهل الملل ولا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات والاول أولى وفى هذا تأكيد لما وعدهم من الفتح (وكفى بالله) الباء زائدة (شهيدا) على هذا الاظهار الذى وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم (محمد رسول الله) الجملة مبينة لما هو من جملة المشهود به (والذين معه) من المؤمنين قيل هم أصحاب الحديبية والاولى الحمل على العموم (أشداء على الكفار) أى غلاظ عليهم كما يغلظ الاسد على فريسته وهو جمع شديد لا تأخذهم بهم رأفة لان الله أمرهم بالغلظة عليهم فلا يرحمونهم (رحماء بينهم) أى متوادون متعاطفون كالوالد مع الولد وهو جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرأفة ونحوه قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين قال الحسن بلغ من تشديدهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن أبدانهم ان تمس ابدانهم وتلزق بها وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين فى كل زمان ان يراعوا هذا التذلل وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس من دينهم ويعاشروا اخوانهم المؤمنين فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والاحتمال منهم قرأ الجمهور برفع اشداء ورحماء على انه خبر للموصول وقرئ بنصبهما على الحال أو على المدح ويكون الخبر على هذه القراءة قوله (تراهم ركعا سجدا) أى تشاهدهم وتبصرهم حال كونهم راكعين ساجدين أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم وفيه لطيفة ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائى بعمله لا يبتغى له اجرا ذكر بعضهم فى الآية والذين معه أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) السيما العلامة وفيها لغات المد والقصر أى يظهر علامتهم فى جباههم من أثر السجود فى الصلاة لكثرة التعبد بالليل والنهار وقال الضحاك اذا سهر الرجل اصبح مصفرا

اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فلا يجابون ثم اذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا الى ما فيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فاذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها واغلالها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل (٤٩) أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى هذه الآية الكريمة تلطفوا فى السؤال وقدموا بين يدى كلامهم مقدمة وهى قولهم ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين أى قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعدما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فانت قادر على ما تشاء وقد اعترفنا بذنوبنا وأننا كنا ظالمين لانفسنا فى الدار الدنيا فهل الى خروج من سبيل أى فهل أنت مجيبنا الى ان تعيدنا الى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل غير الذى كنا نعمل فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون فاجيبوا ان لا سبيل الى عودكم ومرجعكم الى الدار الدنيا ثم علل المنع بذلك بان سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ولهذا قال تعالى ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا أى أنتم هكذا تكونون وان رددتم الى الدار الدنيا كما قال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله جل

وعلا فالحكم لله العلى الكبير أى هو الحاكم فى خلقه العادل الذى لا يجور فيهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا اله الا هو وقوله جل جلاله هو الذى يريكم آياته أى يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه فى خلقه العلوى والسفلى من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذى يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الاشياء وما يتذكر أى يعتبر ويتفكر فى هذه الاشياء ويستدل بها على عظمة خالقها الا من

فجعل هذا هو السيما وقال الزهرى مواضع السجود أشد وجوههم بياضا وقال مجاهد هو الخشوع والتواضع وبالاول أعنى كونه ما يظهر فى الجباه من كثرة السجود قال سعيد ابن جبير ومالك وقال ابن جريج هو الوقار وقال الحسن اذا رأيتهم رأيتهم مرضى وما هم بمرضى وقيل هو البهاء فى الوجه وظهور الانوار عليه وبه قال سفيان الثورى قال ابن عباس أما انه ليس الذى ترونه ولكنه سيما الاسلام وسمته وخشوعه وعنه قال هو السمت الحسن وعن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله سيماهم الخ النور يوم القيامة أخرجه الطبرانى فى الاوسط والصغير وابن مردويه قال السيوطى بسند حسن وعن ابن عباس قال بياض يغشى وجوههم يوم القيامة قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعى ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود فى جبهته فان ذلك من سيماء الخوارج وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انى لابغض الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه أثر السجود ذكره الخطيب وانظر فى سنده (ذلك) أى ما تقدم من هذه الصفات الجليلة (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشان الذى وصفوا به (فى التوراة) (ومثلهم) أى وصفهم الذى وصفوا به (فى الانجيل) تكرير ذكر المثل لزيادة تقريره وللتنبيه على غرابته وانه جار مجرى الامثال فى الغرابة قال ابن عباس أى نعتهم مكتوب فى التوراة والانجيل قبل أن يخلق الله السموات والارض (كزرع أخرج شطأه) كلام مستأنف أى هم كزرع وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة لم يرد به ما تقدم من الاوصاف وقيل هو خبر لقوله مثلهم فى الانجيل أى ومثلهم فى الانجيل كزرع قال الفراء فيه وجهان ان شئت قلت ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل يعنى كمثلهم فى القرآن فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت ذلك مثلهم فى التوراة ثم تبتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع قرأ الجمهور شطأه بسكون الطاء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان وقرئ شطاه كعصاه وقرئ شطه بغير همز وكلها لغات قال الاخفش والكسائى شطأه أى طرفه قال الفراء شطأ الزرع فهو مشطئ اذا خرج قال الزجاج أخرج شطأه أى نباته وقال قطرب الشطء سوى السنبل وعن الفراء هو السنبل وقال الجوهرى شطء الزرع والنبات فراخه والجمع أشطاء وقد أشطأ الزرع خرج شطؤه وقال أنس نباته فروخه (فآزره)

ينيب أي من هو بصير منيبا إلى الله تبارك وتعالى وقوله عز وجل فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون أي فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن مدرس المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (٥٠) قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى ابن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المري عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض [illegible]

أي قواه وشده وأعانه قيل إن المعنى أن الشطء قوى الزرع قاله السمين وقيل إن الزرع قوى الشطء وبه قال النسفي وهو أنسب فإن العادة أن الأصل يتقوى بفروعه فهي تعينه وتقويه قرأ الجمهور فآزره بالمد وقرئ بالقصر وهما سبعيتان قال الفراء آزرت فلانا آزره أزرا إذا قويته (فاستغلظ) أي صار ذلك الزرع غليظا بعد أن كان دقيقا فهو من باب استحجر الطين أو المراد المبالغة في الغلظة كما في استعصم ونحوه وإيثار الأول لأن بناء الساق على التدرج (فاستوى على سوقه) أي فاستقام على أعواده والسوق جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة الساكنة (يعجب الزراع) أي يعجب هذا الزرع زراعه لقوته وحسن منظره وهنا تم المثل قاله السمين قلت وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم يكونون في الابتداء قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع فإنه يكون في الابتداء ضعيفا ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الإنجيل مكتوب فيه أنه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا وأمثاله مما تقدم ليس بتفسير القرآن بل من اعتبارات الكلام وعن بعض الصحابة أنه لما قرأ هذه الآية قال تم الزرع وقد دنا حصاده قلت وهذا المثل الذي أشار إليه القرآن موجود في الإنجيل متى ولوقا ومرقس بالعربية أنظروا إلى الزارع خرج للزرع وبينما هو يزرع سقط بعض البذور على الطريق فجاءت الطيور وأكلته وسقط بعضه على الصخر حيث لم يكن التراب كثيرا فأنبت سريعا لأنه لم يكن له في الأرض عمق ولما طلعت الشمس احترق ويبس لأنه لم يكن له أصل وسقط بعضه في الشوك فنمى الشوك وخنقه وسقط بعضه في الأرض الطيبة فأثمر بعضه مائة ضعف وبعضه ستين وبعضه ثلاثين فمن كان له أذن سامعة فليسمع انتهى وهذا غير معنى هذه الآية الكريمة بعينه وهذا من بعض أمثاله في الإنجيل وقد نقل عنه النصارى وأولوه بتأويل ضعيف وقالوا أن هذا المثل في عمل الخير وسمع المواعظ وجعلوه من التهذيب ولم ينكروا في قوله فمن كانت له أذن سامعة فليستمع في قصة من الكيل مما لا يوجد في غيره وذلك أن الذين أصنعهم لكم في مثل هذا البلد وإنه ... حتى تطلعوا أن تروهم لكم اسمعوا كلامي هذا إن كانت لكم أذن واعية وحده [illegible]

مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الاوعال مايدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشئ عظيم وقوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده كقوله جلت عظمته ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وكقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ولهذا قال عزوجل لينذر يوم التلاق قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من اسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي

الله عنهما يلتقي فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض وقال قتادة والسدي يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقد يقال ان يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل ان كل عامل سيلقى ماعمله من خير وشر كما قاله آخرون وقوله جل جلاله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ أي ظاهرون بادون كلهم لا شئ يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ولهذا قال يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ أي الجميع في علمه على السواء وقوله تبارك وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قد تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه تعالى يطوي السموات والارض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الارض أين الجبارون أين المتكبرون وفي حديث الصور انه عزوجل اذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا لله الواحد القهار أي الذي هو وحده قد قهر كل شئ وغلبه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات قال وينزل الله عزوجل الى السماء الدنيا ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله جلت عظمته اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه انه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا

صفحات الكتب حتى يبلغ الكتاب أجله وقوله سقط بعضه على الطريق الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي الفلاسفة اليونانيين الذين قلوبهم لاقابلية لها أن تكون ظرفا لمفهوم النواميس لان النواميس لم تصدر عن المبدئ جل اسمه الاعلى سبيل السذاجة فلا تأثر في قلوبهم لانها لا تستقيم فيها فيأتي الشيطان ويخطفها من قلوبهم بشبهاته السفسطية وقوله سقط بعضه على الصخرة الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي اليهود لان قلوبهم كانت أقسى من الصخرة في قبولها فلم تكن قابلة لاخذها بل كانوا يتفوهون بها الى مدة يسيرة ويحولها من أيديهم الى أيدي النصارى وذلك هو طلوع الشمس فلما لم يذعنوا لما آتاهم به عيسى زال ما كان قد ألقي اليهم من ذلك من قلوبهم واضمحل كما يزول النبت المزروع على الصخرة بحرارة الشمس وقوله وبعضه وقع في الشوك الخ اشارة الى النواميس التي وقعت في أيدي النصارى والشوك عبارة عن مشتبهات الامور التي كانت تصدر عن عيسى عليه السلام كاحياء الميت واشفاء الابرص واعادة بصر الاكمه وسمع الاصم ونطق الابكم التي هي من خوارق العادة ونمو الشوك ازدياد هذه الامور واختناقها زوال الاعتقاد بموضوعاتها قوله وسقط بعضه في الارض الطيبة الخ برهان قاطع ودليل لامع ساطع على النواميس التي وقعت في أيدي العرب على معرفة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لان قلوبهم كانت ساذجة لا ثقة أن تكون لها ظرفا قوله وأثمر المراد بمطلق الاثمار أبو بكر بعضه مائة ضعف عمر وبعضه ستون عثمان وبعضه ثلاثون علي ونسبة الاثمار الى أبي بكر لاستقلال الخلافة في أيامه ونسبة مائة الى عمر لنمو الاسلام في عهده ونسبة ستين الى عثمان لانخفاض ضعف ذلك النمو الذي حصل في أيام عمر ونسبة ثلاثين الى علي لانه هو آخر الخلفاء وخاتمهم ومصداق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة بعدي ثلاثون عاما وفيه مطابقة مع ماروي عن عكرمة في قوله أخرج زرعه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وقد تقدم وتكرره في لوقا ضرب من لطيف التأكيد فان قيل لم لا يحمل على ما حمله عليه النصارى فيكون المراد بالزراع عمل الخير وبالاثمار مطابق الجزاء قلت انه لا يجوز الحمل على هذا المعنى لوجوه الاول انا قد وجدنا ذلك في القرآن والمطابقة لازمة والثاني ان التعريف يفيد العهد والعهد يفيد التخصيص والتخصيص ينافي العموم فيفيد ما ذكرته فلا يفيد ذلك وهذا

قال تبارك وتعالى لا ظلم اليوم كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه
عز وجل انه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الى ان قال يا عبادى انما هى أعمالكم
أحصيها عليكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقوله عز وجل ان
الله سريع الحساب أى يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال جل وعلا ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وقال جل جلاله وما أمرنا الا واحدة (٥٢) كلمح بالبصر (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
والله يقضى بالحق والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو
السميع البصير) يوم الآزفة اسم
من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك
لاقترابها كما قال تعالى أزفت
الآزفة ليس لها من دون الله
كاشفة وقال عز وجل اقتربت
الساعة وانشق القمر وقال جل
وعلا اقترب للناس حسابهم وقال
أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال
جل جلاله فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا الآية وقوله
تبارك وتعالى اذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين قال قتادة وقفت
القلوب فى الحناجر من الخوف فلا
تخرج ولا تعود الى أماكنها وكذا
قال عكرمة والسدى وغير واحد
ومعنى كاظمين أى ساكتين
لا يتكلم أحد الا باذنه يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من أذن له الرحمن وقال صوابا
وقال ابن جريج كاظمين أى باكين
وقوله سبحانه وتعالى ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع أى ليس
للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الاسباب ١٣ بسم
من كل خير وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الاشياء جليلها وحقيرها
صغيرها وكبيرها دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة
من يعلم انه يراه فانه عز وجل يعلم العين الخائنة وان أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر قال ابن
عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء

برهان مقنع لمن كانت له أذن واعية من النصارى والمسلمين ويجوز أن يراد بالزراع الشارع صلى الله عليه وآله وسلم وبالارض الامة وبالبذر الايمان على حسب مراتب المؤمنين وبالنوع الاخير خيار الامة على حسب مراتبهم ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لاصحاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتقويته لهم وتشبيههم بالزرع فقال

(ليغيظ بهم الكفار) أى انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكفار واللام متعلقة بمحذوف أى فعل ذلك ليغيظ قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أصابته هذه الآية وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص والعموم ليس هذا محل بسطها

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) أى وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يغفر ذنوبهم ويجزل أجرهم بادخالهم الجنة التى هى أكبر نعمه وأعظم منة ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون لو انهم ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم قال الجلال المحلى وهما أى المغفرة والاجر لمن بعدهم أيضا فى آيات أى بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ونحو ذلك من الآيات *(تتمة)* قد جمعت هذه الآية وهى محمد رسول الله الى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشارة التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضى الله تعالى عنهم وحشرنا معهم وهذا من لطائف النظم القرآنى وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحديبية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وآله وسلم بالحال على من قصد بالشر باطنا

(سورة الحجرات ثمانى عشرة آية وهى مدنية)

قال القرطبى بالاجماع قال ابن عباس وابن الزبير انها نزلت بالمدينة

أو غيره فيهم المرأة الحسناء فإذا أغفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا أغفلوا لحظ فإذا فطنوا غض وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ودّ أن لو اطلع على فرجها رواه ابن أبي حاتم وقال الضحاك خائنة الأعين هو الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير أو لم أر وقد رأى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا وكذا قال مجاهد وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما تخفي الصدور يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا وقال السدي وما تخفي الصدور أي من الوسوسة وقوله عز وجل والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل قال

الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى والله يقضي بالحق قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة إن الله هو السميع البصير وهذا الذي فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقوله جل وعلا والذين يدعون من دونه أي من الأصنام والأوثان والأنداد لا يقضون بشيء أي لا يملكون شيأ ولا يحكمون بشيء إن الله هو السميع البصير أي سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب) يقول تعالى أولم يسير هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة وآثارا في الأرض أي أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وقال تعالى وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها أي ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم وما كان لهم من الله من واق أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها فقال تعالى ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي بالدلائل الواضحات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا) ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيه المؤمنون والمخاطب به أمر أو نهي وذكر فيها يا أيها الناس مرة والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما أن المخاطب به وهو قوله إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعمهما فناسب فيها ذكر الناس (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قرأ الجمهور بتشديد الدال مكسورة وفيه وجهان أحدهما أنه متعد وحذف مفعوله لقصد التعميم أو ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل كقولهم هو يعطي ويمنع والثاني أنه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة تقدموا بفتح التاء والقاف والدال قال الواحدي قدم ههنا بمعنى تقدم وهو لازم قال أبو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي لأن المعنى لا تقدموا قبل أمرهما ونهيهما وبين يدي الإمام عبارة عن الأمام لا بين يدي الإنسان وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أقدم أي لا تقدموا على شيء ومعنى الآية لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به وقيل معنى بين يدي فلان بحضرته لأن ما يحضره الإنسان فهو بين يديه وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة وهو الأظهر والأشمل وجرت هذه العبارة أي بين يدي الله ورسوله هنا على سنن من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا أي استعارة تمثيلية والغرض تصوير كمال الهجنة وتشنيع قطع الحكم بغير إذن الله ورسوله أو المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول وإشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله وعلى هذا فلا استعارة وإليه يميل كلام المحلي وقال الشهاب في هذا الكلام تجوزان أحدهما في بين اليدين فإن حقيقته ما بين العضوين فتجوز بهما عن الجهتين المقابلتين لليمين والشمال القريبتين منه بإطلاق اليدين على ما يجاورهما ويحاذيهما فهو من المجاز المرسل ثم استعيرت الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن تلزمه متابعته والمعنى كما قال الخازن لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله أو قبل أن يفعل وفي البيضاوي المعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكم الله ورسوله به انتهى وقطع الأمر الجزم به والجرأة على ارتكابه من غير إذن من له الإذن (واتقوا الله) في كل أموركم ويدخل

واليهم الثين القبلطيون فتخذكفر وأى مع هذا البيان والبرهان كفروا و يجحدوا فأخذهم الله تعالى أى أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها انه قوى شديد العقاب أى ذو قوة عظيمة و بطش شديد وهو شديد العقاب أى عقابه أليم شديد وجيع أعاذنا الله تبارك وتعالى منه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه ومبشرا له بان العاقبة والنصر له فى الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فان الله تعالى أرسله بالآيات البينات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى بآياتنا وسلطان مبين والسلطان هو الحجة والبرهان الى فرعون وهو ملك القبط بالديار المصرية وهامان وهو وزيره فى مملكته وقارون وكان أكثر الناس فى زمانه مالا وتجارة فقالوا ساحر كذاب أى كذبوه وجعلوه ساحرا مجنونا مموها كذابا فى ان الله أرسله وهذه كقوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فلما جاءهم بالحق من عندنا أى بالبرهان القاطع الدال على ان الله عز وجل ارسله اليهم قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بنى اسرائيل أما الاول فكان لاجل الاحتراز من وجود موسى أو لاذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الامرين وأما الامر الثانى فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكى تشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون قال قتادة هذا أمر بعد أمر قال الله عز وجل وما كيد الكافرين الا فى ضلال أى وما مكرهم وقصدهم الذى هو تقليل عدد بنى اسرائيل لئلا ينصروا عليهم الا ذاهب وهالك فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه هذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة

تحتها الترك للتقدم بين يدى الله ورسوله دخولا أوليا ثم علل ما أمر به من التقوى بقوله (ان الله سميع) لكل مسموع (عليم) بكل معلوم عن عبد الله بن الزبير قال قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت الآية أخرجه البخارى وغيره قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه وهذا يشمل معارضة السنة والكتاب بالرأى والتقليد أيضا وعن عائشة قالت لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وأخرج البخارى فى تاريخه عنها قالت كان أناس يتقدمون بين يدى رمضان بصيام يعنى يوما أو يومين فأنزل الله هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) فى اعادة النداء فوائد منها ان فى ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله لان النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا ومنها أن يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثانى تأكيدا للاول (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام لان خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط والاول أولى والمعنى لا ترفعوا أصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال المفسرون المراد من الآية تعظيم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره وان لا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا وهذا نهى عن قول كما ان قوله لا تقدموا نهى عن فعل عن أبى بكر الصديق قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله والله لا أكلمك الا كأخى السرار وفى سنده حصين بن عمر وهو ضعيف ولكنه يؤيده ما روى عن أبى هريرة قال لما نزلت ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قال أبو بكر والذى أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك الا كأخى السرار حتى ألقى الله وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال لما نزلت هذه الآية الى قوله وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال أنا الذى كنت

والسلام أي قال لقومه ذروني حتى أقتل لكم هذا وليدع ربه أي لا أبالي منه وهذا في غاية الجحد والتهجم والعناد وقوله قبحه الله اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد يعني موسى يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل صار فرعون مذكرا يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام وقرأ الاكثرون ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقرأ آخرون أو ان يظهر في الارض الفساد وقرأ بعضهم يظهر في الارض الفساد بالضم وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم (٥٥) الحساب أي لما بلغه قول فرعون ذروني أقتل موسى قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال اني عذت بربي وربكم أيها المخاطبون من كل متكبر أي عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد) المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون قال السدي كان ابن عم فرعون ويقال انه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب الى انه كان اسرائيليا لان فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ولو كان اسرائيليا لاوشك أن يعاجل بالعقوبة لانه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم ايمانه عن قومه القبط فلم يظهر الا هذا اليوم حين قال فرعون ذروني أقتل موسى فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اللهم الا ما رواه

أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبط عملي أنا من أهل النار وجلس في بيته حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقالوا فقدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالك فقال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بذلك فقال لا بل هو من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة قتل وفي الباب أحاديث بمعناه وعن ابن مسعود قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أي كما تعتادونه من الجهر بالقول اذا كلم بعضكم بعضا قال الزجاج أمرهم الله سبحانه بتجليل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وان يغضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار وقيل المراد بقوله ولا تجهروا له بالقول لا تقولوا يا محمد يا أحمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وليس المراد برفع الصوت وبالجهر بالقول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف فان ذلك كفر وانما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره والحاصل ان النهي هنا وقع عن أمور الاول عن التقديم بين يديه بما لم يأذن به من الكلام والثاني عن رفع الصوت البالغ الى حد يكون فوق صوته سواء كان في خطابه أو خطاب غيره والثالث ترك الجفا في مخاطبته ولزوم الادب في محاورته لان المقاولة المجهورة انما تكون بين الاكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله (أن تحبط أعمالكم) قال الزجاج أي لان تحبط يعني فتحبط فاللام المقدرة لام الصيرورة وهذه العلة تصح أن تكون علة للنهي أي نهاكم الله عن الجهر خشية أو كراهة أن تحبط أو علة للمنهي أي لا تفعلوا الجهر فانه يؤدي الى الحبوط فكلام الزجاج ينظر الى الوجه الثاني لا الى الاول وجملة (وأنتم لا تشعرون) في محل نصب على الحال وفيه تحذير شديد ووعيد عظيم قال الزجاج وليس المراد قوله وأنتم لا تشعرون يوجب أن يكفر الانسان وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث لا يعلمه ثم رغب الله سبحانه في امتثال أمره فقال (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) اجلالا له وتعظيما وأصل الغض النقص من كل شيء ومنه نقص الصوت (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم) قال الفراء أخلص قلوبهم (للتقوى)

الشيطان في عجيب حديث قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنى يحيى بن أبي كثير حدثنى محمد بن ابراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخبرني باشد شئ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم انفرد به البخارى (٥٦)

من حديث الاوزاعى قال وتابعه محمد بن اسحق عن ابراهيم بن عروة عن أبيه به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى حدثنا عبدة عن هشام يعنى ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مر صلى الله عليه وسلم بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقاموا اليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضى الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وان عينيه ليسيلان وهو يقول يا قوم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائى من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضى الله عنه وقوله تعالى وقد جاءكم بالبينات من ربكم أى كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم يعنى اذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والرأى التام والحزم ان تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة وان يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذى يعدكم فانه يتوعدكم ان خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغى على هذا ان لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام انه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدوا الى عباد الله انى لكم رسول

هذه

كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبيثه وبه قال مقاتل ومجاهد وقتادة وقال الاخفش اختصها للتقوى وقال الواحدى تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه وهذا الوجه أنسب لان الكلام وارد في مدح أولئك السادة الكرام أو في التعريض بمن ليسوا على وصفهم ومن ثم قال في فاصلة الآية السابقة وأنتم لا تشعرون وفي فاصلة اللاحقة أكثرهم لا يعقلون وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها من محنت الاديم اذا وسعته وقال أبو عمرو كل شئ جهدته فقد محنته واللام متعلقة بمحذوف أى صالحة للتقوى كقولك أنت صالح لكذا أو للتعليل كقولك جئت لاداء الواجب أى ليكون مجيئى سببا لادائه (لهم مغفرة وأجر عظيم) خبر آخر لاولئك أو مستأنفة لبيان ما أعد الله لهم في الآخرة ردوا الظاهر (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) هم جفاة بنى تميم كما سيأتى بيانه ووراء الحجرات خارجها وخلفها أو قدامها والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل جمع حجر والحجر جمع حجرة فهو جمع الجمع والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمعنى مفعولة قرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم وقرئ بفتحها تخفيفا وقرئ باسكانها وهى لغات ومناداتهم من وراء الحجرات اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة ومن في من وراء لابتداء الغاية ولا وجه للمنع من جعلها لهذا المعنى (أكثرهم لا يعقلون) لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء في طباعهم والمراد بالاكثر الكل لان العرب قد تعبر بالكثير عن الكل وعن الاقرع بن حابس أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدى زين وان ذمى شين فقال ذلك الله فأنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية أخرجه أحمد وابن جرير والبغوى والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند صحيح قال ابن منيع لا أعلم روى الاقرع مسندا غير هذا وعن البراء بن عازب فى الآية قال جاء رجل فقال يا محمد ان حمدى زين وان ذمى شين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاك الله أخرجه الترمذى وحسنه وعن زيد بن أرقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه وأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله

أمين وان لاتعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش أن يتركوه يدعو الى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء و يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة فى ترك أذيته قال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى أى أن لا تؤذونى فيما بينى وبينكم من القرابة فلا تؤذونى وتتركوا بينى وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحا مبينا وقوله جل وعلا ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب أى لو كان هذا الذى يزعم ان الله تعالى أرسله اليكم كاذبا كما تزعمون (٥٧) لكان أمره بينا يظهر لكل أحد فى أقواله وأفعاله فكانت تكون فى غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده الى ما ترون من انتظام أمره وفعله ثم قال المؤمن محذرا قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض أى قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور فى الارض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم واحذروا نقمة الله تبارك وتعالى ان كذبتم رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا أى لا تغنى عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيأ من بأس الله ان أرادنا بسوء قال فرعون لقومه رادا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذى كان أحق بالملك من فرعون ما أريكم الا ما أرى أى ما أقول لكم وأشير عليكم الا ما أراه لنفسى وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فقوله ما أريكم الا ما أرى كذب فيه وافترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد أى وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا فى ذلك وان كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد وقال جلت عظمته وأضل فرعون قومه وما هدى وفى الحديث ما من امام يموت يوم

هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنى وجعل يقول لقد صدق الله قولك يازيد أخرجه ابن راهويه ومسدد وأبو يعلى والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى باسناد حسن وفى الباب أحاديث قال النسفى وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول هذه السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب ان تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثانى ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغا انتهى (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أى لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم فى دينهم ودنياهم لما فى ذلك من رعاية حسن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل وقيل انهم جاؤا شفعاء فى أسارى فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق الجميع ذكر معناه مقاتل وقيل يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا لاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم (والله غفور رحيم) كثير المغفرة والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من اساءة الادب ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) قرأ الجمهور من التبين وقرئ فتثبتوا من التثبت والمراد من التبين التعرف والتفحص ومن التثبت الاناءة وعدم العجلة والتبصر بالامر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر وفى تنكير الفاسق والنبا شياع فى الفساق والانباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفساق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ يقال

[illegible] وهو عاش رغيشة الالم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان (٥٨) أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) هذا اخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح المؤمن آل فرعون انه حذر قومه بأس الله تعالى فى الدنيا والآخرة فقال ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب أى الذين كذبوا رسل الله فى قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد وما الله يريد ظلما للعباد أى انما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فانفذ فيهم قدره ثم قال ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يعنى يوم القيامة وسمى بذلك قال بعضهم لما جاء فى حديث الصور ان الارض اذا زلزلت وانشقت من قطر الى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك اذا جىء بجهنم ذهب الناس هرابا منها فتتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر وهو قوله تعالى والملك على أرجائها وقوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقد روى عن رسول ابن عباس رضى الله عنه والحسن والضحاك انهم قرءوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير اذا تردى وذهب وقيل لان الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف عمله نادى ألا قد شقى فلان بن فلان وقال قتادة ينادى كل قوم بأعمالهم ينادى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار وقيل سمى بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ومناداة أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا

فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها من بياضها وصفرتها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر قال المفسرون ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط كما سيأتى بيانه (أن) أى كراهة ان اولئلا (تصيبوا) بالقتل والاسر (قوما بجهالة) لان الخطأ ممن لم يتبين الامر ولم يتثبت فيه هو الغالب وهو جهالة لانه لم يصدر عن علم والمعنى متلبسين بجهالة بحالهم (فتصبحوا على ما فعلتم) بهم من اصابتهم بالخطأ (نادمين) على ذلك مغتمين له مهتمين به وفى الآية دليل على قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة عن الحارث بن ضرار الخزاعى قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه واقررت به ودعانى الى الزكاة فاقررت بها وقلت يارسول الله أرجع الى قومى فأدعوهم الى الاسلام واداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل الى يارسول الله رسولا لابان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث ان قد حدث فيه سخط من الله ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لى وقتا يرسل الى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطه فانطلقوا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما عنده مما جمع من الزكاة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة واردت قتله قال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكاة واردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا رآنى وما أقبلت الا حين احتبس على

علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ومناداة أصحاب الاعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الاعراف واختار البغوي وغيره انه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم وقوله تعالى يوم تولون مدبرين أي ذاهبين هاربين كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ولهذا قال عز وجل ما لكم من الله من عاصم أي ما لكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ومن يضلل الله فما له من هاد أي من أضله الله فلا هادي له غيره وقوله تبارك وتعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل (٥٩) موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو الى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة الا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي يئستم فقلتم طامعين لن يبعث الله من بعده رسولا وذلك لكفرهم وتكذيبهم كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ثم قال عز وجل الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فان الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا أي والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فان من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر أي على اتباع الحق جبار روى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكى عن الشعبي انهما قالا لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقتادة آية الجبابرة القتل بغير حق والله تعالى أعلم (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالى فأوقد لي

رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت ان تكون كانت سخطة من الله ورسوله فنزلت يا أيها الذين آمنوا الى قوله حكيم أخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه قال السيوطي بسند جيد قال ابن كثير هذا من أحسن ما روي في سبب نزول الآية وقد رويت روايات كثيرة متفقة على انه سبب نزول الآية وأنه المراد بها وان اختلفت القصص ثم وعظهم الله سبحانه فقال (واعلموا ان فيكم رسول الله) فلا تقولوا قولا باطلا ولا تتسرعوا عند وصول الخبر اليكم من غير تبين فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم في كثير من الامر) أي مما تخبرونه به من الاخبار الباطلة وتشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصواب (لعنتم) أي لوقعتم في العنت وهو التعب والجهد والاثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له ولا يسارع الى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه عن أبي سعيد الخدري انه قرأ هذه الآية وقال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أي جعله أحب الاشياء اليكم أو محبوبا لديكم فلا يقع منكم الا ما يوافقه ويقتضيه من الامور الصالحة وترك التسرع في الاخبار وعدم التثبت فيها قيل والمراد بهؤلاء من عدا الاولين لبيان براءتهم عن أوصاف الاولين والظاهر أنه تذكير للكل بما يقتضيه الايمان وتوجيه محبته التي جعلها الله في قلوبهم (وزينه) أي حسنه بتوفيقه وقربه منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى جريتم على ما يقتضيه في الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) أي جعل كل ما هو من جنس هذه الثلاثة مكروها عندكم وأصل الفسق الخروج عن الطاعة والعصيان جنس ما يعصى الله به وقيل أراد بذلك الكذب خاصة والاول أولى وفي هذه الآية لطيفة وهو أن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل وهو ما اجتمع فيه ثلاثة أمور اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان فكراهة الكفر في مقابلة محبة الايمان وتزيينه في القلوب هو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان والعصيان في مقابلة العمل بالاركان (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم

باسمه لعلى الشيء الذي جعل لى صرحا ولهذا قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالآجر وان يجعلوه في قبورهم رواه ابن أبي حاتم وقوله لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام في ان الله عز وجل أرسله اليه قال الله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية انه يعمل شيأ يتوصل به الى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب قال ابن عباس ومجاهد يعني الا في خسار (٦٠) (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الاعلى فقال لهم ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد لا كما كذب فرعون في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الاخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع أي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل وان الآخرة هي دار القرار أي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها الى غيرها بل اما نعيم واما جحيم ولهذا قال جلت عظمته من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها أي واحدة مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد والله تعالى الموفق للصواب (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وانا أدعوكم الى العزيز الغفار لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) يقول لهم المؤمن ما بالى أدعوكم

الراشدون) يعني أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب من الرشادة وهي الصخرة وفيه التفات عن الخطاب (فضلا من الله ونعمة) أي لاجل فضله وانعامه والمعنى أنه حبب اليكم ما حبب وكره اليكم ما كره لاجل فضله وانعامه أو جعلكم راشدين لاجل ذلك وقيل التقدير تبتغون فضلا ونعمة (والله عليم) بكل معلوم (حكيم) في صنعه وفي كل ما يقضي به بين عباده ويقدره لهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) قرأ الجمهور بالجمع باعتبار كل فرد من افراد الطائفتين كقوله هذان خصمان اختصموا وقال النسفي حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في قوله (فأصلحوا بينهما) نظرا الى اللفظ عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما أصحابه وكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي نحو هذا من وجوه آخر قال ابن عباس كان قتال بالنعال والعصي فأمرهم ان يصلحوا بينهما وعن عائشة قالت ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الامة في هذه الآية وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) البغي التعدي بغير حق والامتناع من الصلح الموافق للصواب والاستطالة والظلم والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين والمعنى انه اذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين ان يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم الى حكم الله فان حصل بعد ذلك التعدي من احدى الطائفتين على الاخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه ولم تتأثر بالنصيحة وأبت الاجابة الى حكم الله تعالى كان على المسلمين ان يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع الى أمر الله وحكمه وكتابه وقيل الى طاعته في الصلح الذي امر به وحتى للغاية وقيل بمعنى كي فتكون للتعليل والاول كما قال بعضهم هو الظاهر المناسب لسياق الآية عن ابن عباس في الآية قال ان الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفتان من

المؤمنين

الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي على جهل بلا دليل وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب اليه لا جرم انما تدعونني اليه يقول حقا قال السدي وابن جرير معنى قوله لا جرم حقا وقال الضحاك لا جرم لا كذب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا جرم يقول بلى ان الذي تدعونني اليه من الاصنام والانداد ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة قال مجاهد الوثن ليس له شيء وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال السدي لا يجيب داعيه (٦١) لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا كقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقوله وان مردنا الى الله اي في الدار الآخرة فيجازي كلا بعمله ولهذا قال وان المسرفين هم أصحاب النار أي خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل فستذكرون ما أقول لكم أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم وافوض أمري الى الله أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ان الله بصير بالعباد اي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ وقوله تبارك وتعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام واما في الآخرة فبالجنة وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه الى الجحيم فان ارواحهم تعرض على النار صباحا ومساء الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم واجسادهم في النار ولهذا قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أي أشده ألما وأعظمه نكالا وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الامام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم

المؤمنين أن يدعوهم الى حكم الله وينصف بعضهم عن بعض فاذا أجابوا احكم فيهم بكتاب الله حتى ينتصف المظلوم فمن أبى منهم ان يجيب فهو باغ وحق على الامام ان يقاتلهم حتى يفيئوا الى أمر الله ويقروا بحكم الله وعن ابن عمر قال ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية اني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله والحاصل ان حكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت والمراد بامر الله الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) أي فان رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها الى الحق وأجابت الدعوات الى كتاب الله وحكمه والرضا بما فيه (فأصلحوا بينهما بالعدل) أي بالنصح والدعاء الى حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر يعني فعلى المسلمين ان يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للاخرى ثم أمر الله سبحانه المسلمين ان يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال (وأقسطوا) أي اعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط الرباعي وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور بخلاف قسط الثلاثي فمعناه الجور يقال قسط الرجل اذا جار وأقسط اذا عدل وهذا هو المشهور خلافا للزجاج في جعله ما سواء (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء وجملة (انما المؤمنون اخوة) مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاصلاح والمعنى انهم راجعون الى أصل واحد وهو الايمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى أصل النسب لانهم لآدم وحواء قال بعضهم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

ولنعم ما قيل

القوم اخوان صدق بينهم سبب * من المودة لم يعدل به نسب

وذلك ان الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشأ مثل ذلك بين الاخوين ولاد الزم

أبو النضر ثنا اسحق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد يعني أباه عن عائشة رضي الله عنها ان يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيأ من المعروف الا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم لا من زعم ذلك قالت هذه اليهودية لا أصنع اليها شيأ من المعروف الا قالت وقاك الله عذاب القبر قال صلى الله عليه وسلم كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم (٦٢) القيامة ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق وهذا اسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له فقال صلى الله عليه وسلم لا قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وانه أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم وهذا أيضا على شرطهما فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ والجواب ان الآية دلت على عرض الارواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه الا السنة في الاحاديث المرضية الآتي ذكرها وقد يقال ان هذه الآية انما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ومما يدل على هذا ما رواه الامام أحمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت انكم تفتنون في قبوركم فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما يفتن يهود قالت عائشة رضي الله عنها فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انكم تفتنون في

السائران يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك

(فأصلحوا بين أخويكم) يعني بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المأمورين بالاصلاح للمبالغة في التقرير والتفاء للايذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح أو تخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوقهما بطريق الاولى لانهما أقل من يقع بينهما الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين قرأ الجمهور على التثنية قال أبو علي الفارسي في توجيهها اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية قد يرد ويراد به الكثرة وقال أبو عبيدة أي أصلحوا بين كل أخوين وقرئ اخوانكم بالجمع وقرئ اخوتكم بالفوقية على الجمع أيضا (واتقوا الله) في كل أموركم (لعلكم ترحمون) بسبب التقوى والترجي باعتبار المخاطبين أي راجين أن ترحموا أو لعل من الله في هذا المقام اطماع من الكريم الرحيم اذا الاطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية اذا تقرر بغيها على الامام أو على احد من المسلمين وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر فان المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ قال ابن جرير لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حق ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا الى استحلال كل ما حرم الله من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم وذلك مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا على أيدي سفهائكم قال ابن العربي هذه الآية أصل في قتال المسلمين وعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة واليها لجأ الاعيان من أهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمارا الفئة الباغية وقوله صلى الله عليه وسلم في شأن الخوارج يخرجون على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق والآية تدل أيضا على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي وعن علي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون قال لا انهم من الشرك فروا وقيل أمنافقون هم قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وهو رضي الله تعالى عنه قدوة في قتال أهل البغي وعنه انه سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا الله

القبور وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم عن هرون ابن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري به وقد يقال ان هذه الآية دلت على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك ان يتصل في الاجساد في قبورها فلما أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ان يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة (٦٣) رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال صلى الله عليه وسلم نعم عذاب القبر حق قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر فهذا يدل على انه بادر صلى الله عليه وسلم الى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه وفي الاخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاء الوحي فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا وقال قتادة في قوله تعالى غدوا وعشيا صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا المحاربي ثنا ليث عن عبد الرحمن ابن ثروان عن هذيل عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال ان أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤا وان أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل معلقة في العرش وان ارواح آل فرعون في اجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل بن شرحبيل ومن كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي وفي حديث الاسراء من رواية أبي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وآل فرعون كالابل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين

فقال كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي رجال منكم (من قوم) تنكير القوم للتبعيض وان المعنى على الافراد وان جاء النظم على الجمع لان السخرية تقع في المجامع قال الكرخي انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به في الاغلب ولوجوده فيما بينهم والسخرية الاستهزاء وحكى أبو زيد سخرت به وضحكت به وهزئت به وقال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به ومنه وهزئت منه وبه كل ذلك يقال والاسم السخرية والسخري بالكسر وبالضم لغة فيه وقرئ بهما في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ومعنى الآية النهي للمؤمنين عن ان يستهزئ بعضهم ببعض (عسى ان يكونوا خيرا منهم) علل النهي بان يكون المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم فينبغي ان لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى قال ابن مسعود ان البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان أحول كلبا ولما كان لفظ قوم مختصا بالرجال لانهم القوام على النساء أفرد النساء بالذكر فقال (ولا) يسخر (نساء من نساء عسى أن يكن) المسخور بهن (خيرا منهن) يعني من الساخرات منهن وقيل أفرد النساء بالذكر لان السخرية منهن أكثر عن مقاتل قال نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من فقراء المسلمين كبلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وعن أنس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا تطعنوا أهل دينكم واللمز العيب والطعن وقد مضى تحقيقه في سورة براءة عند قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات قال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى لا يلمز بعضكم بعضا كما في قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله فسلموا على أنفسكم والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز

ثنا أبو بكر بن أخرم ثنا عاصم بن مدرك الحاربي ثنا عتبة يعني ابن يقظان عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احسن محسن من مسلم أو كافر الا أثابه الله تعالى قال قلنا يا رسول الله ما اثابة الله الكافر فقال ان كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة واشباه ذلك قلنا فما اثابته في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم عذابا دون العذاب وقرأ ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أخرم ثم قال لانعلم له اسنادا غير هذا وقال ابن (٦٤) جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الاوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية البحر الغربي بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله عز وجل فاذا كان العشي رجع مثلها سودا قال وفطنتم الى ذلك قال نعم قال ان ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت ارياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الاسود ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قال وكانوا يقولون انهم ستمائة ألف مقاتل وقال الامام أحمد ثنا اسحق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل اليه يوم القيامة أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به (واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا

نفسه حقيقة قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض وبه قال ابن عباس وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) أي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به والتنابز التفاعل من النبز بالتسكين وهو المصدر والنبز بالتحريك اللقب مطلقا أي حسنا كان أو قبيحا خص في العرف بالقبيح والجمع انباز والالقاب جمع لقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان والمراد هنا لقب السوء والتنابز بالالقاب ان يلقب بعضهم بعضا والتداعي بها قال الواحدي قال المفسرون هو أن يقول لاخيه المسلم يا فاسق يا منافق أو يقول لمن أسلم يا يهودي يا نصراني قال عطاء هو كل شيء أخرجت به أخاك من الاسلام كقولك يا كلب يا حمار يا خنزير قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير بكفره فيقال له يا يهودي يا نصراني فنزلت وبه قال قتادة وأبو العالية وعكرمة عن أبي جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعا واحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يكرهه فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب أخرجه البخاري في الادب وأهل السنن الاربع وغيرهم وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التنابز أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله وعن ابن مسعود في الآية قال اذا كان الرجل يهوديا فاسلم فيقول يا يهودي يا مجوسي ويقول للرجل المسلم يا فاسق قيل والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به فاما ما يحبه فلا بأس به وسنه الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاخفش والاعمش وما أشبه ذلك قال القرطبي انه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الائمة واتفق أهل اللغة على قوله انتهى وأما الالقاب التي تكسب حمدا أو مدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله (بئس الاسم الفسوق) أي بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به الذكر المرتفع لانه من السمو من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق (بعد) دخولهم في (الايمان)

استقباح

الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء انا كنا لكم تبعا اي اطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا

الكفر والضلال فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار أى قسطا تحملونه عنا قال الذين استكبروا انا كل فيها أى لا تحمل عنكم شيأ ونحن وأنتم سواء فيها فكل منا فيها فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا ماعندنا وماحلنا من العذاب والنكال ان الله قد حكم بين العباد أى فقسم بيننا العذاب بقدر مايستحقه كل منا كما قال تعالى قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب لما علموا ان الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال اخسؤا فيها ولا تكلمون سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى فى ان يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أى أوما قامت عليكم الحجج فى الدنيا على ألسنة الرسل قالوا بلى قالوا فادعوا أى أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال أى الا فى ذهاب لا يقبل ولا يستجاب (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) قد أورد أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا سؤالا فقال قد علم ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين اظهرهم اما مهاجرا كابراهيم واما الى السماء كعيسى فأين النصرة فى الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين أحدهما أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض قال وهذا سائغ فى اللغة الثانى أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن اذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو فى غيبتهم او بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم

استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذى يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة قال ابن زيد أى لفسق ان يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد اسلامه وتوبته وقيل المعنى ان من فعل مانهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق (ومن لم يتب) عما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) لارتكابهم مانهى الله عنه وامتناعهم من التوبة وظلموا من لقبوه وظلموا أنفسهم بما لزمها من الاثم (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى الى مفعولين قال تعالى واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والظن هنا مجرد التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم غيره بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير وأبهم ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لان من الظن ما يجب اتباعه فان أكثر الاحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم ولكن هذا الظن الذى يجب العمل به قد قوى بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوأ فأما أهل السوء والفسوق فلنا ان نظن بهم مثل الذى ظهر منهم قال مقاتل بن سليمان ومقاتل ابن حيان هو أن يظن بأخيه المسلم سوأ ولا بأس به مالم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن وابداه أثم وحكى القرطبى عن أكثر العلماء ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج فى الظن القبيح بمن ظاهره القبيح وجملة (ان بعض الظن اثم) تعليل لما قبلها من الامر باجتناب كثير من الظن وهذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير والاثم هو ما يستحقه الظان من العقوبة ومما يدل على تقييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا فلا يدخل فى الظن المأمور باجتنابه شئ من الظن المأمور باتباعه من مسائل الدين فان الله قد تعبد عباده باتباعه واوجب العمل به جمهور أهل العلم ولم ينكر ذلك الا بعض طوائف المبتدعة كيادا للدين وشذوذا عن جمهور المسلمين وقد جاء التعبد بالظن فى كثير من الشريعة المطهرة بل فى أكثرها قال أبو السعود من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الامور المعاشية انتهى وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به

وأقتلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب وفي الحديث الآخر اني لأثأر لأوليائي كما

يثأر الليث الحرب ولهذا أهلك عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم واضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق وانجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا قال السدي لم يبعث الله عز وجل رسولا قط الى قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون الى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الانبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها وهكذا نصر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناواه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الاديان وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه الى المدينة النبوية وجعل له فيها انصارا وأعوانا ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الاصفاد ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فانقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ردانت الصحيح له جزيرة العرب بكمالها ودخل الناس في دين الله افواجا ثم قبضه الله تعالى اليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فاقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى الى الله جل وعلا وفتحوا البلاد والرساتيق والاقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الارض ومغاربها ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا الى قيام الساعة ولهذا قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد أي يوم القيامة تكون النصرة

وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم قال ابن عباس في الآية نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوأ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث أخرجه الشيخان ثم لما أمرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال (ولا تجسسوا) التجسس البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معائب الناس ومثالبهم حتى يطلع عليها بعد أن سترها الله تعالى قرأ الجمهور بالجيم ومعناه ما ذكرنا وقرئ بالحاء قال الاخفش ليس يبعد أحدهما عن الآخر لان التجسس بالجيم هو البحث عما ينكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقيل انه بالحاء فيما يطلبه الانسان لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف يقال تحسست الاخبار وتجسستها أي تفحصت عنها قال ابن عباس نهى الله المؤمنين عن تتبع عورات المؤمن وعن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذه قال مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى موؤدة أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة رواه مسلم وفي كتاب أبي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم فقال أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنفعه الله بها وقد وردت أحاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين والتجسس عن عيوبهم (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب يعني ان تذكر الرجل بما يكرهه كما في حديث أبي هريرة الثابت في

أعظم وأكبر وأجل قال مجاهد الأشهاد الملائكة وقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من قوله ويوم يقوم الاشهاد وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسره به يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين وهم المشركون معذرتهم أى لا يقبل منهم عذر ولا فدية ولهم اللعنة أى الابعاد والطرد من الرحمة ولهم سوء الدار وهى النار قاله السدى بئس المنزل والمقيل وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ولهم سوء الدار أى سوء العاقبة وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى وهو مابعثه الله عز وجل به من الهدى والنور وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب أى جعلنا لهم العاقبة (٦٧) وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفى الكتاب الذى أورثوه وهو التوراة هدى وذكرى لاولى الالباب وهى العقول الصحيحة السليمة وقوله عز وجل فاصبر أى يامحمد ان وعد الله حق أى وعدناك انا سنعلى كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذى أخبرناك به حق لامرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى واستغفر لذنبك هذا تهييج للامة على الاستغفار وسبح بحمد ربك بالعشى أى فى أواخر النهار وأوائل الليل والابكار وهى أوائل النهار وأواخر الليل وقوله تعالى ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم أى يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه أى مافى صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس مايرومونه من اخماد الحق واعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع فاستعذ بالله أى من حال مثل هؤلاء انه هو السميع البصير أو من شر مثل هؤلاء المجادلين فى آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية فى اليهود ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه قال أبو العالية وذلك انهم ادعوا ان الدجال منهم وانهم يملكون به الارض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له ان يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل فاستعذ بالله انه هو السميع البصير وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وان كان قد رواه ابن أبى حاتم فى كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم (لخلق السموات

الصحيح لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره فقيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال ابن عباس حرم الله ان يغتاب المؤمن بشئ كما حرم الميتة والاحاديث فى تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة فى كتب الحديث قال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهى ان تقول فى أخيك ماهو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه مابلغك عنه وأما البهتان فهو أن تقول ماليس فيه ولا خلاف ان الغيبة من الكبائر وان على من اغتاب أحدا التوبة الى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الاستحلال منه وللشوكانى رسالة فى ذلك سماها رفع الريبة عن مسئلة الغيبة وهى نفيسة جدا (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا) مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة لان الميت لا يعلم بأكل لحمه كما ان الحى لا يعلم بغيبة من اغتابه ذكر معناه الزجاج وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه وانه كما يحرم أكل لحمه تحرم الاستطالة فى عرضه وفى هذا من التنفير عن الغيبة والتقبيح لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه مالا يخفى فان لحم الانسان مما تنفر عنه الطباع الانسانية وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم للتعميم والاشعار بان أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا فهذا تمثيل على أفحش وجه (فكرهتموه) أى فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية وفى هذا التمثيل والتشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الانسان لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما قال الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فلما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الرازى الفاء فى تقدير جواب كلام كانه قال لا يحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذن

والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وان ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات والارض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة واعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شىء قدير وقال ههنا لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وعنادا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون أى كما لا يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيأ والبصير الذى يرى ما انتهى اليه بصره بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوى المؤمنون الابرار والكفرة الفجار قليلا ما تتذكرون أى ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى ان الساعة لآتية أى لكائنة وواقعة لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أى لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها قال ابن أبى حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت ان الساعة اذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه انه ندب عباده الى دعائه وتكفل لهم بالاجابة كما كان سفيان الثورى يقول يامن أحب عباده اليه من سأله فأكثر سؤاله ويامن أبغض عباده اليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يارب رواه ابن أبى حاتم وفى هذا المعنى يقول الشاعر

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال قتادة قال كعب الاحبار أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن أمة قبلهم الا نبى كان اذا أرسل الله نبيا قال له أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس وكان

(٦٨) تنزيل

وقال أبو البقاء هو معطوف على محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وبه قال البيضاوى وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم تكرهونه وقيل هو خبر بمعنى الامر (واتقوا الله) بترك ما أمركم باجتنابه (ان الله تواب رحيم) لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الامر والمبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أولانه ما من ذنب يقترفه العبد الا كان معفوا عنه بالتوبة أولانه بليغ فى قبول التوبة بنزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) هما آدم وحوى والمقصود أنهم متساوون لاتصالهم بنسب واحد وكونهم يجمعهم أب واحد وأم واحدة وانه لا موضع للتفاخر بينهم بالانساب وقيل المعنى ان كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء عن ابن أبى مليكة قال لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس اهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة وقال بعضهم ان يسخط الله هذا يغيره فنزلت هذه الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل وعن الزهرى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى بياضة ان يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا يا رسول الله أنزوج بناتنا موالينا فنزلت هذه الآية أخرجه أبو داود فى مراسيله وابن مردويه والبيهقى فى سننه وقال الزهرى نزلت فى أبى هند خاصة وعن عمر بن الخطاب ان هذه الآية هى مكية وهى للعرب خاصة الموالى أى قبيلة لهم وأى شعاب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الحى العظيم مثل مضر وربيعة والقبائل دونها كبنى بكر من ربيعة وبنى تميم من مضر قال الواحدى هذا قول جماعة من المفسرين سموا شعبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجرة والشعب من أسماء الاضداد يقال شعبته اذا جمعته وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوبا لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق فى الجبل قال الجوهرى الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم والجمع الشعوب وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبائل دون ذلك وقال قتادة الشعوب النسب الاقرب وقيل على طبقات النسب وقيل ان الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وحكى أبو عبيد أن الشعب أكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وكل واحدة

يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال له ادعني أستجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم رواه ابن أبي حاتم وقال الامام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا أبو ابراهيم الترجماني حدثنا صالح المدني قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال أربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك علي فما عملت من خير (٦٩) جزيتك به وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ذر عن يسيع عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الاعمش به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والاعمش كلاهما عن ذر به وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن ذر به ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح الاسناد وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثني أبو صالح المدني شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله عز وجل غضب عليه تفرد به أحمد وهذا اسناد لا بأس به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه صبيح كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن

تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف ومما يؤيد ما قاله الجمهور من ان الشعب أكثر من القبيلة قول الشاعر

قبائل من شعوب ليس فيهم * كريم قد يعد ولا نجيب

قال ابن عباس الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون وعنه قال الشعوب الجماع والقبائل الافخاذ التي يتعارفون بها وعنه قال القبائل الافخاذ والشعوب الجمهور مثل مضر (لتعارفوا) أي خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا والفائدة في التعارف ان ينتسب كل واحد منهم الى نسبه ولا يعتزي الى غير ابيه والمقصود من هذا ان الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى ان هذا الشعب أفضل من هذا الشعب وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة وهذا البطن أشرف من هذا البطن وانما الفخر بالتقوى قرأ الجمهور لتعارفوا بتخفيف التاء وأصله لتتعارفوا وقرئ بتشديدها على الادغام وقرئ بتاءين ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) اي ان التفاضل بينكم انما هو بالتقوى فمن تلبس بها فهو المستحق لان يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالانساب فان ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا قرأ الجمهور بكسر ان وقرئ بفتحها أي لان أكرمكم عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا أخرجه البخاري وغيره وقال عمر بن الخطاب أتقاكم للشرك وقد وردت أحاديث في الصحيح وغيره ان التقوى هي التي تتفاضل بها العباد (ان الله عليم) بكل معلوم ومن ذلك اعمالكم (خبير) بما تسرون وما تعلنون لا تخفى عليه من ذلك خافية ولما ذكر سبحانه ان أكرم الناس عند الله اتقاهم له وكان أصل التقوى الايمان ذكر ما كانت تقوله العرب

الرابع حزوري حدثنا هشام حدثنا ابراهيم بن الحسن حدثنا نائل بن نجيح حدثني عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد
ابن مسلمة الانصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لربكم في بقية
أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة ان توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها ابدا وقوله عز وجل ان الذين
يستكبرون عن عبادتي أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين كما قال الامام احمد حدثنا يحيي
ابن سعيد عن ابن عجلان حدثني عمرو بن شعيب (٧٠) عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم
القيامة أمثال الذر في صور الناس
يعلوهم كل شئ من الصغار حتى
يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس
تعلوهم نار الانيار يسقون من
طينة الخبال عصارة أهل النار
وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن
الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد
ابن يزيد بن خنيس قال سمعت أبي
يحدث عن وهيب بن الورد حدثني
رجل قال كنت أسير ذات يوم في
ارض الروم فسمعت هاتفا من فوق
رأس جبل وهو يقول يارب عجبت
لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك
يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب
حوائجه الى أحد غيرك قال ثم
ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى
قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت
لمن عرفك كيف يتعرض لشئ من
سخطك يرضي غيرك قال وهيب
وهذه الطامة الكبرى قال فناديته
أجني أنت أم انسي قال بل أنسي
اشغل نفسك بما يعنيك عما
لا يعنيك (الله الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ان الله لذو فضل على الناس ولكن
أكثر الناس لا يشكرون ذلكم
الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو
فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء الارمنة
بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له
الدين الحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم
في المعايش بالنهار وجعل النهار مبصرا أي مضيئا ليتصرفوا فيه بالاسفار وقطع الاقطار والتمكن من الصناعات ان الله لذو فضل على
الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو

من دعوى الايمان ليثبت لهم الشرف والفضل فقال (قالت الاعراب آمنا) وهم بنو أسد
قاله مجاهد وقيل هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار والاول أولى وهم الذين أظهروا
الاسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد
عليهم فقال (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نية
وطمأنينة (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوف القتل والسبي أو للطمع في الصدقة
وهذه صفة المنافقين لانهم أسلموا في ظاهر الامر ولم تؤمن قلوبهم ولهذا قال سبحانه
(ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أي لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم
بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة وفي لما معنى التوقع وهذا تكرار
لكنه مستقل بفائدة زائدة لانه علم من الاول نفي الايمان عنهم ومن الثاني نفيه مع توقع
حصوله قال الزجاج الاسلام اظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم
وبذلك يحقن الدم فان كان مع ذلك الاظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان
وصاحبه المؤمن وقد أخرج هؤلاء من الايمان بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي لم
تصدقوا وانما أسلمتم تعوذا من القتل وهذه الآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان
الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان (وان تطيعوا الله ورسوله) طاعة صحيحة صادرة
عن نيات خالصة وقلوب مصدقة غير منافقة (لا يلتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ)
يقال لات يليت اذا نقص ولاته يليته ويلوته اذا نقصه قرأ الجمهور يلتكم من لاته يليته
كباعه يبيعه وقرئ لا يألتكم بالهمز من ألته يألته بالفتح في الماضي والكسر في المضارع
واختار الثانية أبو حاتم لقوله وما ألتناهم من عملهم من شئ وهما لغتان فصيحتان (ان الله
غفور) أي بليغ المغفرة لمن فرط منه ذنب (رحيم) بليغ الرحمة لهم ثم لما ذكر
سبحانه ان أولئك الذين قالوا آمنا لم يؤمنوا ولا دخل الايمان في قلوبهم بين المؤمنين
المستحقين لاطلاق اسم الايمان عليهم فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله)
ايمانا صحيحا خالصا عن مواطأة القلب واللسان (ثم لم يرتابوا) أي لم يدخل في قلوبهم شئ
من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك أتى بثم للتراخي للاشارة الى ان نفي الريب عنهم
ليس وقت حصول الايمان فيهم وانشائه فقط بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاولون من

أى الذى فعل هذه الاشياء هو الله الواحد الاحد خالق الاشياء التى لا اله غيره ولا رب سواه فأنى تؤفكون اى فكيف تعبدون غيره من الاصنام التى لا تخلق شيأ بل هى مخلوقة منحوتة وقوله عز وجل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أى كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك افك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى وجحدوا حجج الله وآياته وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الارض قرارا أى جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون فى مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم والسماء بناء أى سقفا للعالم محفوظا (٧١) وصوركم فأحسن صوركم أى فخلقكم فى أحسن الاشكال ومنحكم أكمل الصور فى أحسن تقويم ورزقكم من الطيبات أى من المآكل والمشارب فى الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والارزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى فى سورة البقرة يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الاشياء ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين أى فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى هو الحى لا اله الا هو أى هو الحى ازلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الاول والآخر والظاهر والباطن لا اله الا هو أى لا نظير له ولا عديل له فادعوه مخلصين له الدين أى موحدين له مقرين بانه لا اله الا هو الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله ان يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية ثم روى عن محمد بن على بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال أبو أسامة وغيره عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير قال اذا قرأت فادعوا الله مخلصين له الدين فقل لا اله الا الله وقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام يعنى ابن عروة بن الزبير عن أبى الزبير محمد بن مسلم بن بدر بن المكى قال كان عبد الله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له

الازمنة فكأنه قال ثم داموا على ذلك (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعته وابتغاء مرضاته ويدخل فى الجهاد الاعمال الصالحة التى أمر الله بها فانها من جملة ما يجاهد المرء نفسه حتى يقوم به ويؤديه كما أمر الله سبحانه والطاعات كلها فى سبيل الله وجهته والمجاهدة بالاموال عبارة عن العبادات المالية كالزكاة وقدم الاموال لحرص الانسان عليها فان ماله شقيق روحه وجاهدوا بمعنى بذل الجهد ومفعوله مقدر أى العدو أو النفس والهوى (أولئك) أى الجامعون بين الامور المذكورة (هم الصادقون) فى الاتصاف بصفة الايمان والدخول فى عداد أهله لا من عداهم ممن أظهر الاسلام بلسانه وادعى انه مؤمن ولم يطمئن بالايمان قلبه ولا وصل اليه معناه ولا عمل باعمال أهله وهم الاعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر أهل النفاق ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لأولئك الاعراب وأمثالهم قولا آخر لما ادعوا انهم مؤمنون فقال (قل أتعلمون الله) التعليم ههنا بمعنى الاعلام ولهذا أدخلت الباء فى (بدينكم) أى أتخبرونه بذلك حيث قلتم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فكيف يخفى عليه بطلان ما تدعونه من الايمان (والله بكل شئ عليم) لا تخفى عليه من ذلك خافية وقد علم ما تبطنونه من الكفر وتظهرونه من الاسلام لخوف الضر أو رجاء النفع (يمنون عليك ان أسلموا) أى يعدون اسلامهم منة عليك حيث قالوا جئناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان قاله عبد الله بن أبى أوفى أخرجه ابن مردويه وغيره قال السيوطى بسند حسن وعن ابن عباس نحوه وذكر انهم بنو أسد كما تقدم والمن تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما يقوله لهم عند المن عليه بما يدعونه من الاسلام فقال (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى لا تعدوه منة على فان الاسلام هو المنة التى لا يطلب موليها ثوابا لمن أنعم بها عليه ولهذا قال (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) أى أرشدكم اليه وأراكم طريقه سواء وصلتم الى المطلوب أم لم تصلوا اليه قرأ الجمهور بفتح أن وقرئ بكسرها (ان كنتم صادقين) فيما تدعونه والجواب محذوف يدل عليه ما قبله أى ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى

الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن دبر كل صلاة وروا مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبى عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دبر الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت (٧٢) ان أسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ان الله عز وجل ينهى ان يعبد احد سواه من الاصنام والانداد والاوثان وقد بين تبارك وتعالى انه لا يستحق العبادة أحد سواه فى قوله جلت عظمته هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا أى هو الذى يقلبكم فى هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ومنكم من يتوفى من قبل أى من قبل ان يوجد ويخرج الى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى أجل مسمى وقال عز وجل ههنا ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون قال ابن جريج تتذكرون البعث ثم قال تعالى هو الذى يحيى ويميت أى هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك احد سواه فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أى لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يقول تعالى الا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين

ما غاب فيهما لا يخفى عليه شئ فيهما فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) لا يخفى عليه من ذلك شئ فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا وفى هذا بيان لكونهم غير صادقين قرأ الجمهور على الخطاب وقرئ على الغيبة

(سورة ق هى خمس واربعون آية وهى مكية كلها)

فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة انها مكية الا آية وهى قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب وهى اول المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وقد أخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر فى الركعة الاولى ق والقرآن المجيد وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيد بقاف واقتربت أخرجه أحمد ومسلم واهل السنن وعن ام هشام ابنة حارثة قالت ما اخذت ق والقرآن المجيد الا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها فى كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس أخرجه ابن أبى شيبة وابو داود وابن ماجه والبيهقى وهو فى صحيح مسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) الكلام فى اعراب هذا كالكلام الذى قدمناه فى ص سواء بسواء لانهما فى اسلوب واحد قرأ العامة بالجزم وقرئ بكسر الفاء لان الكسر أخو الجزم وقرئ بفتحها لان الفتح أخف الحركات وقرئ بضمها لانه فى غالب الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف فى معنى ق فقال الواحدى قال المفسرون هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد وقيل من زمردة خضراء واخضرت السماء منه والسماء مقبية عليه وهو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة قال الفراء كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب فى ق لانه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفى فقالت قاف أى انا واقفة وحكى الفراء والزجاج ان قوما قالوا معنى ق قضى الامر وقضى ما هو كائن كما قيل فى حم حم الامر وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى اقسم به قاله ابن عباس وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقال الشعبى

بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الضلال الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا أي من الهدى والبيان فسوف يعلمون هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقوله عز وجل اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل أي متصلة بالاغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ولهذا قال تعالى يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون كما قال تبارك وتعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقال تعالى بعد ذكره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (٧٢) ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال عز وجل وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم الى ان قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين وقال عز وجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزامي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشئ الله عز وجل سحابة لاهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شئ تطلبون فيذكرون بها سحاب الدنيا

فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم هذا حديث غريب وقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله أي قيل لهم أين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا فلم ينفعونا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولهذا قال عز وجل كذلك يضل الله الكافرين وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين أي فبئس المنزل والمقيل الذي

فاتحة السورة وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما وقال الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال القرطبي افتتاح اسم الله عز وجل قادر وقاهر وقريب وقابض وقاض وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه وابطل والحق انه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه كما حققناه في فاتحة سورة البقرة فالله أعلم بمراده به وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أثرا طويلا في بيان جبل قاف قال ابن كثير لا يصح سنده عنه وفيه أيضا انقطاع (والقرآن المجيد) أي انه ذو مجد وشرف على سائر الكتب المنزلة وقال الحسن الكريم وبه قال ابن عباس وقيل الرفيع القدر وقيل الكبير القدر وعن ابن عباس قال ليس شئ أحسن منه ولا أفضل وجواب القسم قال الكوفيون هو قوله بل عجبوا وقال الاخفش محذوف أي لتبعثن يدل عليه أئذا متنا وكنا ترابا وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول لان ما قبلها عوض منها وقيل هو قد علمنا بتقدير اللام أي لقد علمنا وقيل محذوف تقديره أنزلناه اليك لتنذر كأنه قيل ق والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس (بل عجبوا) بل للاضراب عن الجواب على اختلاف الاقوال لبيان حالهم الزائدة في الشناعة على عدم الايمان والمعنى بل عجب الكفار (أن) أي لان (جاءهم منذر منهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكتفوا بمجرد الشك والرد بل جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عن وصف القرآن بكونه مجيدا وقد تقدم تفسير هذا في سورة ص ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله (وقال الكافرون هذا شئ عجيب) وفيه زيادة تصريح وايضاح واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم في هذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بهذا المقال قال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل تعجبهم من البعث والنشور والذي نص عليه القرآن أولى فيكون لفظ هذا اشارة الى مبهم مفسر بما بعده من قوله (أئذا متنا وكنا ترابا) وقال الشوكاني الاول أولى قال الرازي الظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر ثم قالوا أئذا متنا وأيضا قد وجد ههنا بعد الاستبعاد بالاستفهام أمر يؤدي معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب بقولهم هذا شئ عجيب عائدا الى قولهم أئذا لكان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شئ عجيب انه يعود الى مجيء المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شئ عجيب

فيه من الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم (فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فان الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك فى الدنيا والآخرة (٧٤) فاما نرينك بعض الذى نعدهم أى فى الدنيا وكذلك وقع فان الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أبيدوا فى يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب فى حياته صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل أو نتوفينك فالينا يرجعون أى فنذيقهم العذاب الشديد فى الآخرة ثم قال تعالى مسليا له ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك كما قال جل وعلا فى سورة النساء سواء أى منهم من أوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة ومنهم من لم نقصص عليك وهم أكثر ممن ذكر باضعاف اضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك فى سورة النساء ولله الحمد والمنة وقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله اى ولم يكن لواحد من الرسل ان يأتى قومه بخارق للعادات الا ان يأذن الله له فى ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به فاذا جاء أمر الله وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين قضى بالحق فينجى المؤمنين ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل وخسر هنالك المبطلون (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الانعام وهى الابل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون فالابل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الاثقال فى الاسفار والرحال الى البلاد النائية والاقطار الشاسعة والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحرث عليها الارض والغنم تؤكل ويشرب لبنها والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الاثاث والثياب والامتعة كما فصل وبين فى اماكن تقدم ذكرها فى سورة الانعام وسورة النحل وغير ذلك ولهذا قال عز وجل ههنا لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة

يكون تكرارا فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله أتعجبين من أمر الله ويقال فى العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجيب فكأنهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شئ عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل على ذلك قوله ههنا فقال الكافرون بالفاء فانها تدل على انه مترتب على ما تقدم قرأ الجمهور بالاستفهام وقرئ بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور والهمزة مقدرة ويحتمل أن يكون معناه الاخبار والمعنى استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم ترابا ثم جزموا باستبعادهم للبعث فقالوا (ذلك) أى البعث (رجع بعيد) أى بعيد عن الاوهام أو العقول أو العادة أو الامكان يقال رجعته أرجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا ثم رد الله سبحانه ما قالوه فقال (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما تأكل من أجسادهم فلا يضل عنا شئ من ذلك ومن أحاط علمه بكل شئ حتى انتهى الى علم ما يذهب من أجساد الموتى فى القبور لا يصعب عليه البعث ولا يستبعد منه وقال السدى النقص هنا الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى لان من مات دفن فكأن الارض تنقص من الاموات وقيل المعنى من يدخل فى الاسلام من المشركين والاول أولى قال ابن عباس فى الآية أجسادهم وما يذهب منها وما تأكل من لحومهم وعظامهم وأشعارهم (وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لعدتهم وأسمائهم ولكل شئ من الاشياء وهو اللوح المحفوظ وقيل المراد بالكتاب هنا العلم والاحصاء والاول أولى وقيل حفيظ بمعنى محفوظ أى محفوظ من الشياطين أو محفوظ فيه كل شئ ثم أضرب سبحانه من الكلام الاول وانتقل الى ما هو أشنع منه وأفظع فقال (بل كذبوا بالحق) فانه تصريح بالتكذيب منهم بعد ما تقدم عنهم من الاستبعاد والمراد بالحق هنا القرآن قال الماوردى فى قول الجميع وقيل هو الاسلام وقيل محمد وقيل النبوة الثابتة بالمعجزات (لما جاءهم) أى وقت مجيئه اليهم من غير تدبر ولا تفكر ولا امعان نظر (فهم فى أمر مريج) أى مختلط مضطرب يقولون تارة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله الزجاج وغيره وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقيل فاسد ومن المعانى متقاربة ومنه مرجت أمانات الناس أى فسدت ومرج الدين والامر اختلط وقال ابن عباس المريج الشئ المتغير (أفلم ينظروا) شروع فى بيان الدليل الذى يدفع قولهم ذلك رجع بعيد

في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله جل وعلا ويريكم آياته أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم فأي آيات الله تنكرون أي لا تقدرون على انكار شيء من آياته الا ان تعاندوا وتكابروا (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) (٧٥) يخبر تعالى عن الامم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما آثروه في الارض وجمعوه من الاموال فما أغنى عنهم ذلك شيأ ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لانهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا اليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن أي يكذبون ويستبعدون وقوعه فلما رأوا بأسنا أي عاينوا وقوع العذاب بهم قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قال الله تبارك وتعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين أي فلم يقبل الله منه لانه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهكذا قال تعالى ههنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب انه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي فاذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى وخسر هنالك الكافرون

(تفسير سورة فصلت وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا

والاستفهام للتقريع والتوبيخ أي كيف غفلوا عن النظر (الى السماء) كائنة (فوقهم) يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أي أوجدناها وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة كالخيمة الا انها بغير عماد تعتمد عليه (وزيناها) بما جعلنا فيها من المصابيح والنيرات والكواكب (وما لها من فروج) أي فتوق وشقوق وصدوع تعيبها وهو جمع فرج قال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق ولا صداع ولا خلل والاود والجبال (والارض مددناها) أي دحوناها وبسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت تثبتها وقد تقدم تفسير هذا في سورة الرعد (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم يبسر به وقد تقدم تفسير هذا أيضا في سورة الحج (تبصرة وذكرى) هما علتان لما تقدم أي فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير قاله الزجاج وقال المحلي تبصيرا منا أي تعليما وتفهيما واستدلالا وقيل منصوبان بفعل مقدر من لفظهما أي بصرناهم تبصرة وذكرناهم ذكرى أو تذكرة وقيل حالان أي مبصرين ومذكرين وقيل حال من المفعول أي ذات تبصرة وتذكير لمن يراها وقال أبو حاتم أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى قال الرازي يحتمل أن يكون المصدران عائدين الى السماء والارض أي خلقنا السماء تبصرة وخلقنا الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على ممر الزمان وأما الارض فهي كل سنة تأخذ زينتها وزخرفتها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من المصدرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي (لكل عبد منيب) المنيب الراجع الى الله بالتوبة المتدبر في بديع صنعه وعجائب مخلوقاته وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث وايقاظ لهم عن سنة الغفلة وبيان لامكان ذلك وعدم امتناعه فان القادر على هذه الامور يقدر عليه وهكذا قوله (ونزلنا من السماء) أي السحاب (ماء مباركا) أي كثير البركة لانتفاع الناس به في غالب أمورهم (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي بساتين كثيرة (وحب الحصيد) أي ما يقتات ويحصد من الحبوب والمعنى وحب الزرع الحصيد وخص الحب لانه المقصود كذا قال البصريون وقال الكوفيون هو من باب

وفي بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون) يقول تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم
كقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
وقوله تبارك وتعالى كتاب فصلت آياته أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه قرآنا عربيا أي في حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا
فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أي هو معجز من حيث
لفظه ومعناه لا يأتيه الباطل من بين يديه (٧٦) ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى لقوم يعلمون أي انما يعرف هذا
البيان والوضوح العلماء الراسخون بشيرا ونذيرا أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيأ مع بيانه ووضوحه وقالوا قلوبنا في أكنة أي في غلف مغطاة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر أي صمم عما جئتنا به ومن بيننا وبينك حجاب فلا يصل الينا شيء مما تقول فاعمل اننا عاملون أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك قال الامام العالم عبد بن حميد في مسنده حدثني ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح عن الذيال بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [illegible]
ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك [illegible]
سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم ان في قريش
ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل ان كان
انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا
عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل

اضافة الشيء الى نفسه كمسجد الجامع حكاه الفراء وانها جائزة اذا اختلف اللفظان كحق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة قاله الكرخي قال الشهاب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات (و) أنبتنا به (النخل) تخصيصها بالذكر مع دخولها في الجنات للدلالة على فضلها على سائر الاشجار أو لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم المسلم بها (باسقات) حال مقدرة لانها وقت النبات لم تكن باسقة قال مجاهد وعكرمة وقتادة الباسقات الطوال وقال سعيد بن جبير مستويات وقال الحسن وعكرمة والفراء مواقير حوامل يقال للشاة بسقت اذا ولدت والاشهر في لغة العرب الاول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وبسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع في ضرعها اللبأ قبل النتاج وبسق الرجل مهر في علمه وبسق فلان على أصحابه من باب دخل أي طال عليهم في الفضل عن قطبة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح ق فلما أتى على هذه الآية والنخل باسقات جعلت أقول ما بسوقها قال طولها أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه وقال ابن عباس الطول (لها طلع نضيد) الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا والنضيد المتراكب الذي نضد بعضه على بعض وذلك قبل ان ينفتح فهو نضيد في أكمامه فاذا خرج من أكمامه فليس بنضيد قال ابن عباس متراكم بعضه على بعض (رزقا للعباد) أي رزقناهم رزقا وأنبتنا هذه الاشياء للرزق لم يقيدها هنا العباد بالانابة كما قيده في قوله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل أحد غير ان المنيب يأكل ذاكرا وشاكرا للانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخص الرزق بقيد قاله الخطيب (وأحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أي مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع والتذكير باعتبار كون البلدة بلدا ومكانا كما في عبارة أبي السعود (كذلك الخروج) مستأنفة لبيان ان الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الاحياء الذي أحيا الله به الارض الميتة وقدم فيها الخبر للقصد الى الحصر ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس) هم قوم شعيب وقيل حنظلة بن صفوان أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود وتقدم لهذا مزيد كلام في سورة الفرقان وقيل هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى وقيل هم أصحاب

من الرحمن الرحيم حتى بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ماعندك غير هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرجع الى قريش فقالوا ماوراءك قال ماتركت شيأ أرى انكم تكلمونه به الا كلمته قالوا فهل أجابك قال نعم لا والذي نصبها بنية مافهمت شيأ مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدري ماقال قال لا والله مافهمت شيأ مما قال غير ذكر الصاعقة وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة باسناده مثله سواء وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده (٧٧) عن محمد بن فضيل عن الاجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشئ عن الذيال بن حرملة عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل ياعتبة ماحبسك عنا الا انك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم ان لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم اني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشئ والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم وقد أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله ان يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه

الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه أو بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام فخسفت تلك البئر مع ماحولها فذهبت بهم وبكل مالهم كما ذكرت قصتهم في سورة الفرقان أو فعل وهو حفر البئر يقال رس اذا حفر بئرا وتأنيث الفعل لمعنى قوم والجملة استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب منكريها (وثمود وعاد وفرعون) وقومه ذكرت ثمود بعد أصحاب الرس لان الرجفة التي أخذتهم مبدؤها الخسف بأصحاب الرس ثم اتبع ثمود بعاد لان الريح التي أهلكتهم ارضية ثمود (واخوان لوط) جعلهم اخوانه لانهم كانوا أصهاره وقيل هم من قوم ابراهيم وكانوا من معارف لوط (وأصحاب الايكة) تقدم الكلام على الايكة في سورة الشعراء وقرئ هنا ليكة وهي الغيضة أي الشجر الملتف بعضه على بعض ونبيهم الذي بعثه الله اليهم شعيب عليه السلام (وقوم تبع) هو تبع الحميري الذي تقدم ذكره في قوله أهم خير أم قوم تبع واسمه سعد وقيل أسعد وكنيته أبو كرب قال قتادة ذم الله سبحانه قوم تبع ولم يذمه (كل كذب الرسل) التنوين عوض عن المضاف اليه أي كل واحد من هؤلاء المذكورين كذب رسوله الذي أرسله الله اليه وكذب ماجاء به من الشرع وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناءها على الضم كالغايات كقبل وبعد فاللام في الرسل يكون للعهد كما سبق أو للجنس أي كل طائفة من هذه الطوائف كذبت جميع الرسل لان من كذب رسولا فكأنه كذب جميعهم وافراد الضمير في كذب باعتبار لفظ كل وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له لاتحزن ولاتكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك فهذا شأن من تقدمك من الانبياء فان قومهم كذبوهم ولم يصدقهم الا القليل منهم والمراد بالكلية هنا التكثير كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شئ فهي باعتبار الاغلب (فحق وعيد) حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها أي وجب عليهم وعيدي وحقت عليهم كلمة العذاب وحل بهم ماقدره الله عليهم من الخسف والمسخ والاهلاك بالانواع التي أنزلها الله بهم من عذابه (أفعيينا بالخلق الاول) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث الذي أنكرته الامم أي أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيأ فكيف نعجز عن بعثهم يقال عييت بالامر اذا عجزت عنه ولم تعرف وجهه قال ابن عباس يقول لم يعينا الخلق الاول وقال الكازروني معناه لم نعجز عن الابداء

ومنزلة فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد أسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا (٧٨) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء و بذلنا فيه أموالنا حتى تبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرأها عليه فلما سمع عتبة أنصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وهذا السياق اشبه من الذي قبله والله اعلم (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين انما انا بشر مثلكم ...

فلا نعجز عن الاعادة قرأ الجمهور بكسر الياء الاولى بعدها ياء ساكنة وقرئ بتشديد الياء من غير اشباع ثم ذكر سبحانه انهم في شك من البعث فقال (بل هم في لبس من خلق جديد) أي في شك وشبهة وحيرة واختلاط من خلق مستأنف وهو بعث الاموات لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والايذان بأنه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ومعنى الاضراب انهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله لهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم ونعلم حال بتقدير نحن والجملة اسمية ولا يصح أن يكون ونعلم حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشرته الواو وما مصدرية أو موصولة كما في البيضاوي والباء زائدة كقولك صوت بكذا وهمس به أو للتعدية أي نعلم وسوسة نفسه له أو نعلم الامر الذي تحدثه نفسه به فالنفس تجعل الانسان قائما بالوسوسة والوسوسة هي في الاصل الصوت الخفي والمراد بها هنا ما يختلج في سره وقلبه وضميره أي حديث النفس وهو ما ليس فيه صوت بالكلية لكن مناسبته للمعنى الاصلي الخفاء في كل أي نعلم ما يخفى ويكن في نفسه ومن استعمال الوسوسة في الصوت الخفي قول الاعشى

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت فاستعمل لما خفي من حديث النفس

(ونحن اقرب اليه) أي الى الانسان لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب على الله شيء (من حبل الوريد) هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان أي عرقان عن يمين وشمال وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العرق من الانسان أي نحن أقرب اليه بالعلم من حبل وريده لا يخفى علينا شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال انه في كل مكان أي بعلمه فانه سبحانه منزه عن الامكنة وحاصله انه تجوز بقرب الذات عن قرب العلم قاله الكرخي والاضافة بيانية أي حبل هو الوريد وقيل الحبل هو نفس الوريد فهو من باب مسجد الجامع سمي وريدا لان الروح ترده وهو في العنق الوريد وفي القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر الاسيلم وفي الخد ...

الى انما الهكم اله واحد لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين انما الله اله واحد فاستقيموا اليه اى اخلصوا له العبادة على منوال ما امركم به على ألسنة الرسل واستغفروه اى لسالف الذنوب وويل للمشركين اى دمار لهم وهلاك عليهم الذين لا يؤتون الزكاة قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس يعنى الذين لا يشهدون ان لا اله الا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وكقوله جلت عظمته قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقوله عز وجل وقل هل لك الى ان تزكى والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة (٧٩) ومن اهم ذلك طهارة النفس من الشرك وزكاة المال انما سميت زكاة لانها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا الى استعماله فى الطاعات وقال السدى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة أى لا يؤدون الزكاة وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لان ايجاب الزكاة انما كان فى السنة الثانية من الهجرة الى المدينة على ماذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا ان يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به فى ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى وآتوا حقه يوم حصاده فاما الزكاة ذات النصب والمقادير فانما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما ان أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيأ فشيأ والله أعلم ثم قال جل جلاله بعد ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قال مجاهد وغيره غير مقطوع ولا مجبوب كقوله تعالى ماكثين فيها أبدا وكقوله عز وجل عطاء غير مجذوذ وقال السدى غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الائمة فان المنة لله تعالى على اهل الجنة قال الله تبارك وتعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا

العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلق والعلباوين وقال الزمخشرى انهما وريدان يكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه قال أبو السعود وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وقيل المعنى نحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه وقد أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال نزل الله من ابن آدم أربع منازل هو أقرب اليه من حبل الوريد وهو يحول بين المرء وقلبه وهو آخذ بناصية كل دابة وهو معهم أينما كانوا وقال أبو سعيد فى حبل الوريد هو عروق العنق وعنه هو نياط القلب قال القشيرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم ذكره الخطيب ثم ذكر الله سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال (اذ) أى اذكر اذ (يتلقى المتلقيان) ويجوز أن يكون الظرف منتصبا بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى انه أقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به وبما يلفظ به وما يعمل به أى يأخذان ذلك ويثبتانه والتلقى الاخذ وقيل التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والمعنى نحن أعلم باحواله غير محتاجين الى الحفظة الموكلين به وانما جعلنا ذلك الزاما للحجة وتوكيد اللامر (عن اليمين وعن الشمال قعيد) قال الحسن وقتادة المتلقيان ملكان يتلقيان عملك أحدهما عن يمينك ويكتب حسناتك والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك وقال مجاهد أيضا وكل الله بالانسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره روى انهما قاعدان على ثنيتيه لسانه قلمهما وريقه مدادهما ذكره أبو السعود وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كذا قال سيبويه وقال الاخفش والفراء ان لفظ قعيد يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج الى تقدير فى الاول قال الجوهرى وغيره من أئمة اللغة والنحو فعيل وفعول مما يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أى ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه الا لديه ذلك اللافظ ملك يرقب قوله ويكتبه والرقيب الحافظ المتتبع لامور الانسان الذى يكتب ما يقوله من خير وشر فكاتب الخير هو ملك اليمين وكاتب الشر ملك الشمال والعتيد

ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه ذلك رب العالمين (٨٠) أي الخالق للاشياء هو رب العالمين كلهم وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام ففصل ههنا ما يختص بالارض مما اختص بالسماء وذكر انه خلق الارض أولا لانها كالاساس والاصل ان يبدأ بالاساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات الآية وأما قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم ففي هذه الآية أن دحو الارض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله أخرج منها ماءها ومرعاها وكان هذا بعد خلق السماء فأما خلق الارض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما اني لاجد في القرآن أشياء تختلف علي قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا في هذه الآية وقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله طائعين فذكر في هذه خلق الارض قبل خلق السماء قال وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض

الحاضر المهيأ قال الجوهري العتيد المهيأ يقال عتده تعتيدا وأعتده اعتادا أي أعده ومنه وأعتدت لهن متكأ والمراد ههنا انه معد للكتابة مهيأ لها والافراد في رقيب عتيد مع اطلاعهما معا على ما صدر منه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض لصاحبه كما ينبئ عنه قوله عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص فعلم ان كلا منهما يقال له رقيب عتيد ويعلم من هذه الآية ان الملكين معدان لذلك بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها ذلك وأيضا يعلم من هذه صريحا ان الملك يضبط كل لفظ ولا يعلم ذلك من الاولى قال أبو سعيد في الآية يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وقال ابن عباس انما يكتب الخير والشر لا يكتب يا غلام أسرج الفرس يا غلام اسقني الماء وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم وعن عمرو بن ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول أخرجه أحمد وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن أبي شيبة وأخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعا مثله (وجاءت سكرة الموت) لما بين سبحانه ان جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما يدل على الموت والبعث وما يتفرع عليهما من الاحوال والاهوال وعبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققهما وغاية اقترابهما والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله ومعنى (بالحق) انه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الاخبار بالبعث والوعد والوعيد وقيل الحق هو الموت نفسه وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وجاءت سكرة الحق بالموت وكذا قرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود والسكرة هي الحق فأضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل الباء للملابسة كالتي في قوله تنبت بالدهن أي متلبسة بالحق أي بحقيقة الحال وقيل الحق هو الآخرة حتى يراها المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة كما قال الجلال المحلي وقال القاري لا يظهر لي معنى هذه العبارة ويمكن أن يقال المعنى في قوله هو نفس الشدة الآخرة أن المراد بالشدة الامر الشديد من أهوال الآخرة فعلى هذا يكون [illegible]

أمر الآخرة وقيل بالحكمة وقيل عما يؤل اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) أى الذى كنت تميل عنه وتفر منه فى حياتك فلم ينفعك الهرب والفرار يقال حاد عن الشئ يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل وقال الحسن تحيد تهرب وقيل تفزع وقيل تكره وقيل تنفر (ونفخ فى الصور) عبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه وهذه هى النفخة الآخرة للبعث عطف على جاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وهو من العظمة بحيث لا يعلم قدره الا الله وقد التقمه اسرافيل من حين بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم منتظر للاذن بالنفخ ذكره الخطيب (ذلك) أى الوقت الذى يكون فيه النفخ فى الصور والفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان أيضا (يوم الوعيد) الذى أوعد الله به الكفار قال مقاتل يعنى بالوعيد العذاب فى الآخرة وخصص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعا للتهويل والمعنى يوم تحقق الوعيد وانجازه (وجاءت) فيه (كل نفس) من النفوس (معها سائق وشهيد) اى من يسوقها ومن يشهد لها وعليها واختلف فى السائق والشهيد فقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم يعنى الايدى والارجل وقال الحسن وقتادة سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها اى هما ملكان وقيل ملك جامع بين الوصفين وقال ابن مسلم السائق قرينها من الشياطين سمى سائقا لانه يتبعها وان لم يحثها والشهيد جوارحه وأعماله وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات قال عثمان بن عفان سائق ملك يسوقها الى أمر الله وشهيد ملك يشهد عليها بما عملت قال القرطبى قلت هذا أصح وعن أبى هريرة قال السائق الملك والشهيد العمل وقال ابن عباس السائق الملك والشهيد شاهد عليه من نفسه ثم فى الآية قولان أحدهما انها عامة فى المسلم والكافر وهو قول الجمهور والثانى انها خاصة بالكافر قاله الضحاك ويقال للكافر (لقد كنت فى غفلة من هذا) وبه قال ابن عباس وقال الضحاك المراد بهذا المشركون لانهم كانوا فى غفلة من عواقب أمورهم وقال ابن زيد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى لقد كنت يا محمد فى غفلة من الرسالة وقال أكثر المفسرين المراد به جميع الخلق برهم وفاجرهم واختار هذا ابن جرير لانه ما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة قرأ الجمهور بفتح التاء من كنت

الا من شاء الله فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون فى النفخة الاخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله تعالى يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا الآية وخلق الارض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحى الارض ودحيها ان أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما فى يومين آخرين (٨١) فذلك قوله تعالى دحاها وقوله خلق الارض فى يومين خلق الارض وما فيها من شئ فى أربعة أيام وخلق السموات فى يومين وكان الله غفورا رحيما سمى نفسه بذلك وذلك قوله أى لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيأ الا أصاب به الذى أراد فلا يختلفن عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل قال البخارى حدثنيه يوسف بن عدى حدثنا عبيد الله ابن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو والحديث وقوله خلق الارض فى يومين يعنى يوم الاحد ويوم الاثنين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها أى جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها اليه من الارزاق والاماكن التى تزرع وتغرس يعنى يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال فى أربعة أيام سواء للسائلين أى لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد فى قوله عز وجل وقدر فيها أقواتها جعل فى كل أرض ما لا يصلح فى غيرها ومنه العصب باليمن والسابورى بسابور والطيالسة بالرى وقال ابن عباس وقتادة والسدى فى قوله تعالى سواء للسائلين أى لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين أى على وفق مراده من له حاجة الى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ما ذكروه فى قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه والله أعلم وقوله تبارك وتعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها أى استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلى طائعتين أو مكرهتين قال الثورى عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله

تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قال قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمري ونجومي وقال للارض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك فقالتا أتينا طائعين واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعا مطيعين لك حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل ان المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامتها منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا (٨٢) يجدان ألمه رواه ابن أبي حاتم فقضاهن سبع سموات في يومين أي ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة وأوحى في كل سماء أمرها أي ورتب مقررا في كل سماء ما تحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الاشياء التي لا يعلمها الا هو وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب المنيرة المشرقة على الارض وحفظا أي حرسا من الشياطين ان تستمع الى الملأ الاعلى ذلك تقدير العزيز العليم أي العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة [illegible] والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الآجال [illegible] وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما

وفتح الكاف في غطاءك وبصرك حملا على ما في لفظ كل من التذكير وقرئ بالكسر في الجميع على ان المراد النفس (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا يعني رفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين أمور الآخرة ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك وقال ابن عباس الحياة بعد الموت قال البيضاوي الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها قال السدي المراد بالغطاء انه كان في بطن أمه فولد وقيل انه كان في القبر فنشر والاول أولى (فبصرك اليوم حديد) أي نافذ تبصر بما كان يخفى عليك في الدنيا تدرك به ما أنكرته فيها والبصر قيل هو بصر القلب وقيل بصر العين وقال مجاهد بصرك أي لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك [illegible] قال لعله (وقال قرينه) أي الملك الموكل به وهو الرقيب السائق ذكر قد تقدم انه كاتب الحسنات وكاتب السيئات وان للانسان رقيبين وهما عتيدان [illegible] كما مر في الرقيب وفي الشهاب [illegible] المراد القرين [illegible] لكان [illegible] القرين ظاهرا (هذا ما لدي) أي عندي من كتاب عملك وما موصولة أو نكرة موصوفة (عتيد) حاضر قد هيأته كذا قال الحسن وقتادة وقال [illegible] قرينه شيطانه وقيل ان هذا الملك يقول للرب سبحانه هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله وروى [illegible] قال ان قرينه من الشيطان يقول ذلك أي هذا ما عندي [illegible] واضلالي وقال ابن زيد ان المراد هنا قرينه من الانس [illegible] مرفوع على [illegible] ان كانت موصوفة [illegible] وصولة [illegible] (ألقيا في جهنم) هذا خطاب من الله عز وجل للسائق [illegible] أمر [illegible] وقيل هو خطاب للملكين من خزنة النار وقيل هو خطاب للواحد على تنزيل تثنية [illegible] منزلة تثنية الفعل وتكريره قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب [illegible] الواحد بلفظ الاثنين يقولون ارجلاها وازجراها وخذاها واطلقاها للواحد قال الفراء العرب تقول للواحد قوما عنا وأصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك ومنه قولهم في الشعر [illegible] قال المازني قوله ألقيا [illegible] على [illegible] قال [illegible] تثنية [illegible] فليست التثنية لا حقيقة ولا صورة [illegible]

في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون هذا الحديث فيه غرابة فاما حديث ابن جريج عن اسمعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار وهو الاصح (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق ان أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فاني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالامم الماضين من المكذبين بالمرسلين صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم كقوله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم وما ألبس أولياءه من النعم ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده فانا بما أرسلتم به أي أيها البشر كافرون أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض أي بغوا وعتوا وعصوا

الخفيفة على حد قوله وأبدلتها بعد فتح الفاء وقفا كما تقول في نفن قفا وأجرى الوصل مجرى الوقف كنسفعا ويؤيده قراءة الحسن في الشواذ القيابنون التوكيد الخفيفة ولم يقرأ بهذه القراءة أحد من السبعة وقال الكرخي الخطاب للملكين السائق والشهيد على ما عليه الاكثر وهو الظاهر (كل كفار) للنعم (عنيد) مجانب للايمان معاند لأهله قال مجاهد وعكرمة العنيد المعاند للحق وقيل المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه (مناع للخير) لا يبذل خيرا ولا يؤدي زكاة مفروضة أو كل حق وجب عليه في ماله (معتد) ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) شاك في الحق من قولهم أراب الرجل اذا صار ذا ريب (الذي جعل مع الله الها آخر) بدل من كل أو منصوب على الذم أو بدل من كفار أو مرفوع بالابتداء والخبر (فألقياه في العذاب الشديد) أي النار تأكيد للامر الاول أو بدل منه (قال قرينه ربنا ما أطغيته) مستأنفة لبيان ما يقوله القرين والمراد به هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر أنكر أن يكون أطغاه ثم قال (ولكن كان في ضلال بعيد) عن الحق فدعوته فاستجاب لي ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه وقيل ان قرينه الملك الذي كان يكتب سيآته وان الكافر يقول رب انه أعجلني فيجيبه بهذا كذا قال مقاتل وسعيد بن جبير والاول أولى وبه قال الجمهور (قال) تعالى (لا تختصموا لدي) مستأنفة كأنه قيل هاذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناءهم نهاهم سبحانه عن الاختصام في موقف الحساب قال ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) بارسال الرسل وانزال الكتب والباء مزيدة للتأكيد أو على تضمين قدم معنى تقدم قيل ان مفعول قدمت اليكم هو قوله ما يبدل أي وقد قدمت اليكم هذا القول متلبسا بالوعيد وهذا بعيد جدا (ما يبدل) أي ما يغير (القول لدي) في ذلك أي لا خلف لوعدي بل هو كائن لا محالة وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له وقيل هذا القول هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم وقال الفراء وابن قتيبة معنى الآية انه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا ينقص منه لعلمي بالغيب وهو قول الكلبي واختاره

وقالوا من أشد منا قوة أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وان بطشه شديد كما قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هي التي لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس (٨٤) ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرا لقوة صوت جريه وقوله تعالى في أيام نحسات أي متتابعات سبع ليال وثمانية أيام حسوما كقوله في يوم نحس مستمر أي ابتدؤا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد خزيا لهم وهم لا ينصرون أي في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال وقوله عز وجل وأما ثمود فهديناهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد ابن جبير وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم وقال الثوري دعوناهم فاستحبوا العمى على الهدى أي بصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم فأخذتهم صاعقة العذاب الهون أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا بما كانوا يكسبون أي من التكذيب والجحود ونجينا الذين آمنوا أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بايمانهم وتقواهم لله عز وجل (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم

الواحدي لانه قال الذي ولم يقل ما يبدل قولي قيل والمعنى لا تطمعوا أني أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو في حق عصاة المذنبين تدل على تخصيص الوعيد ولا تخصيص في حق الكافر فالوعيد على عمومه في حقهم والاول أولى (وما أنا بظلام للعبيد) أي لا أعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه ولا ذنب أذنبوه وقال ابن عباس في الآية ما أنا بمعذب من لم يجترم ولما كان نفي الظلام لا يستلزم نفي مجرد الظلم قيل انه هنا بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر وقيل ان صيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده وقيل ظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم واذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره أحرى فلا مفهوم له وقيل غير ذلك وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران وفي سورة الحج (يوم نقول) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالياء وقرئ أقول ويقال والعامل في الظرف ما يدل عليه القول أو محذوف أي اذكر يوم أو أنذرهم يوم نقول (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قيل هذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل ولا سؤال ولا جواب وبه قال الزمخشري والاولى انه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع قال الكرخي جعل الزمخشري هذا من باب المجاز مردود لما ورد من تحاجت النار والجنة واشتكت النار الى ربها ولا مانع من ذلك فقد سبح الحصى وسلم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق قال النسفي هذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفار لعلمه تعالى انها قد امتلأت أم لا وقال الواحدي قال المفسرون أراها الله تصديق قوله لأملأن جهنم فلما امتلأت قال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد أي قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل ان هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة أي انها تطلب الزيادة على من قد صار فيها وقيل ان المعنى انها طلبت أن يزاد في سعتها لتضايقها بأهلها والمزيد اما مصدر كالمحيد أو اسم مفعول كالمبيع فالاول بمعنى هل من زيادة والثاني بمعنى هل من شيء تزيدنيه قال ابن عباس وهل في من مكان يزاد في وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل

ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) يقول تعالى ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون أى اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون الى النار يوزعون أى تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا وقوله عز وجل حتى اذا ما جاؤها أى وقفوا عليها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون أى بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا أى لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم (٨٥) الاعضاء قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة أى فهو لا يخالف ولا يمانع واليه ترجعون قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد ابن عبد الرحيم حدثنا على بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو تبسم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تسألونى عن أى شئ ضحكت قالوا يا رسول الله من أى شئ ضحكت قال صلى الله عليه وسلم عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أى رب أليس وعدتنى أن لا تظلمنى قال بلى فيقول فانى لا أقبل علىّ شاهدا الا من نفسى فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين قال فيردد هذا الكلام مرارا قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل ثم رواه هو وابن أبى حاتم من حديث أبى عامر الاسدى عن فضيل بن عمرو عن الشعبى ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضى الله عنه غير الشعبى وقد أخرجه مسلم والنسائى جميعا عن أبى بكر بن أبى النضر عن أبى النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الاشجعى عن الثورى به ثم قال النسائى لا أعلم أحدا رواه عن الثورى غير الاشجعى وليس كما قال كما رأيت والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا اسمعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت فى يوم كذا فى مكان كذا فيقول لا وعزتك أى رب ما عملته قال فاذا فعل ذلك ختم على فيه قال الاشعرى رضى الله عنه فانى لاحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن

من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم فى فضول الجنة هذا لفظ مسلم وأخرجاه أيضا من حديث أبى هريرة نحوه وفيه فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط قيل معنى القدم هنا القوم المتقدمة الى النار ومعنى الرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم وفى الباب أحاديث ومذهب جمهور السلف فيها الايمان بها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل وامرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذى لا محيد عنه قال القرطبى فى تذكرته باب ما جاء ان جهنم فى الارض وان البحر طبقها روى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يركب البحر رجل الا غازيا أو حاج أو معتمر فان تحت البحر نارا ذكره أبو عمرو وضعفه قال ابن عمر لا يتوضأ بماء البحر لانه طبق جهنم وضعفه أبو عمر وأيضا ثم لما فرغ الله سبحانه من بيان حال الكافرين شرع فى بيان حال المؤمنين فقال (وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت (للمتقين) الذين اتقوا الشرك تقريبا (غير بعيد) أو مكانا غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها ويرونها فى الموقف وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل المعنى انها زينت لقلوبهم فى الدنيا بالترغيب والترهيب فصارت قريبة من قلوبهم والاول أولى وقيل يطوى الله المسافة التى بين المؤمن والجنة فهو التقريب وذلك اكراما للمؤمن وبيانا لشرفه وانه ممن تمشى اليه وقيل المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى القرب المكانى وقيل معنى أزلفت جمعت محاسنها لانها مخلوقة أو ان المعنى قرب حصولها لانها تنال بكلمة طيبة وخص المتقين بذلك لانهم أحق بها (هذا) اشارة الى الجنة التى أزلفت لهم على معنى هذا الذى ترونه من فنون نعيمها (ما توعدون) والجملة بتقدير القول أى يقال لهم هذا ما توعدون قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية (لكل أواب حفيظ) هو بدل من للمتقين باعادة الخافض أو متعلق بقول محذوف هو حال أى مقولا لهم لكل أواب والاواب الرجاع الى طاعة الله تعالى بالتوبة عن المعاصى وقيل هو المسبح وقيل هو الذاكر لله فى الخلوة قال الشعبى ومجاهد هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلوة فيستغفر الله منها وقال عبيد بن عمير هو الذى لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه والحفيظ هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها وقال قتادة هو الحافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته قاله مجاهد وقيل

عن ابن لهيعة قال حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك عشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي حدثنا زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لابن الازرق ان يوم القيامة يأتي (٨٦) على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم يختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم وجلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الافواه فتخاصم الجوارح فتقول الجوارح أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون فتقر الالسنة بعد الجحود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة ابن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى الى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع ان ينطق بكلمة ثم يقول لآرابه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بما أغنى عن اعادته ههنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيي بن سليم الطائفي العاق عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس ذمرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا

هو الحافظ لامر الله وقال الضحاك هو الحافظ لوصية الله له بالقبول قال ابن عباس حفيظ ذنوبه حتى رجع عنها وقيل حافظ لحدود الله (من خشي الرحمن بالغيب) بدل او بيان لكل أواب أو بدل بعد بدل من المتقين وفيه نظر لانه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستئناف والخبر ادخلوها بتقدير يقال لهم ادخلوها والخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة والخشية بالغيب أن يخاف الله ولم يكن رآه وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن اذا أرخى الستر وأغلق الابواب (وجاء بقلب منيب) اى راجع الى الله مخلص لطاعته وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة وقيل المنيب المقبل على الطاعة وقيل السليم (ادخلوها) الجمع باعتبار معنى من اى ادخلوا الجنة (بسلام) اى بسلامة من العذاب وكل مخوف وقيل بسلام من الله او من ملائكته وقيل بسلامة من زوال النعم وحلول النقم اى متلبسين بها او مع سلام اى يسلم بعضكم على بعض فالمراد السلام فيما بينهم ولا مانع من حمل الآية الكريمة على كل ذلك (ذلك) اشارة الى زمن ذلك اليوم الذي حصل فيه الدخول كما قال أبو البقاء وخبره (يوم الخلود) وسماه يوم الخلود لانه لا انتهاء له بل هو دائم أبدا وهذا القول في الدنيا اعلام واخبار وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها أو أن اطمئنان القلب بالقول أكثر (لهم ما يشاؤن فيها) أى في الجنة ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير (ولدينا مزيد) من النعم التي لم تخطر لهم على بال ولا مرت لهم في خيال قيل هو النظر الى وجهه الكريم قاله جابر وقال أنس يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد وعن علي قال يتجلى لهم الرب عز وجل وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وفي الباب روايات وأحاديث ثم خوف سبحانه أهل مكة بما اتفق للقرون الماضية قبلهم فقال (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قريش ومن وافقهم (من قرن) أى أمة كثيرة من الكفار (هم أشد منهم بطشا) أى قوة كعاد وثمود وغيرهم (فنقبوا في البلاد) قرئ بتشديد القاف على الماضي والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب أى ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعها طلبا للهرب وأصله من النقب وهو الطريق قال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر ابن شميل دوروا وقال المؤرج تباعدوا والاول أولى وقرأ ابن عباس وعبيد بن نقموا

يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عند مغدا قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاهوال حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أى تقول لهم الاعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذى كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصى ولا تبالون منه فى زعمكم لانكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم (٨٧) ولهذا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم أى هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم ان الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أتلفكم وأرداكم عند ربكم فأصبحتم من الخاسرين أى فى مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضى الله عنه قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشى وختناه ثقفيان أو ثقفى وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم أترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخر انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه واذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيأ سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم الى قوله من الخاسرين وهكذا رواه الترمذى عن هناد عن أبى معاوية باسناده نحوه وأخرجه أحمد ومسلم والترمذى أيضا من حديث سفيان الثورى عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ورواه البخارى ومسلم أيضا من حديث السفيانين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم قال انكم تدعون يوم القيامة مفدما على أفواهكم بالفدام فأول شئ يبين عن أحدكم فخذه وكفه قال معمر وتلا الحسن وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

القاف مخففة والنقب هو الخرق والطريق فى الجبل وكذا المنقب والمنقبة كذا قال ابن السكيت وجمع النقب نقوب وقرئ بكسر القاف مشددة على الامر للتهديد أى طوفوا فيها وسيروا فى جوانبها ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وتفتيشهم توجه سؤال فيه تنبيه الغافل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله (هل من محيص) لهم أو لغيرهم أى من معدل ومحيد ومهرب يهربون اليه من الموت أو مخلص يتخلصون به من العذاب ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا وهل حرف استفهام ومن زائدة قال الزجاج لم يروا محيصا من الموت والحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا أى عدل وحاد والجملة مستأنفة لبيان انه لا مهرب لهم ولا مفر وهى من كلام الله تعالى اذ لو كانت من كلامهم لكان التقدير هل من محيص لنا فليتأمل وفى هذا انذار لاهل مكة انهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب مفرا (ان فى ذلك لذكرى) أى فيما ذكر من قصتهم فى هذه السورة من أولها الى آخرها تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) اى عقل قال الفراء وهذا جائز فى العربية تقول مالك قلب وما قلبك معك اى مالك عقل وما عقلك معك وقيل المراد القلب نفسه لانه اذا كان سليما ادرك الحقائق وتفكر كما ينبغى وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن ذلك بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها (أو ألقى السمع) اى استمع ما يقال له من الوعظ وغيره يقال ألق سمعك الى أى استمع منى والمعنى انه ألقى السمع الى ما يتلى عليه من الوحى الحاكى لما جرى على تلك الامم قرأ الجمهور ألقى مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول ورفع السمع وأو مانعة الخلو لا مانعة الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله (وهو شهيد) أى حاضر الفهم أو حاضر القلب لان من لا يفهم فى حكم الغائب وان حضر بجسمه فهو لم يحضر بفهمه قال الزجاج أى وقلبه حاضر فيما يسمع قال سفيان أى لا يكون حاضرا وقلبه غائب قال مجاهد وقتادة هذه الآية فى أهل الكتاب وكذا قال الحسن وقال محمد بن كعب وأبو صالح انها فى أهل القرآن خاصة (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أولها الاحد وآخرها الجمعة فخلق الارض فى يومين ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين ولو شاء لخلق الكل فى أقل من لمح البصر ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأنى فى الامور واليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن

[illegible] تعالى أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال ألا إنما عمل الناس على [illegible]
فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ثم قال قال الله تبارك وتعالى
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم الى قوله وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم الآية وقال الامام أحمد
حدثنا النضر بن اسمعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن ابى ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو (٨٨) يحسن بالله الظن فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى
وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقوله تعالى فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم فى النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وان طلبوا ان يستعتبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات قال ابن جرير ومعنى قوله تعالى وان يستعتبوا أى يسألوا الرجعة الى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء
بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا
ليكونا من الاسفلين) يذكر تعالى انه هو الذى أضل المشركين وان ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم فى أفعاله بما قيض لهم من
القرناء من شياطين الانس والجن فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اى حسنوا لهم اعمالهم فى الماضى وبالنسبة الى المستقبل
فلم يروا أنفسهم الا محسنين كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل
ويحسبون انهم مهتدون وقوله تعالى وحق عليهم القول اى كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من

مدة الزمان أى مدة كانت وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة الاعراف وغيرها من ارا (وما مسنا من) زائدة (لغوب) أى تعب واعياء يقال لغب يلغب بالضم لغوبا وقال ابن عباس لغوب نصب قال الواحدى قال جماعة المفسرين نزلت ردا على اليهود فى قولهم ان الله استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأكذبهم الله بقوله وما مسنا من لغوب وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال الرازى والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فى امر البعث واما ما قاله اليهود ونقلوه فهو ما تحرف منهم ولم يعلموا تأويله (فاصبر على ما يقولون) هذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وأمر له بالصبر على ما يقوله المشركون اى هون عليك ولا تحزن لقولهم وتلق ما يرد عليك منهم بالصبر (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) اى نزه الله عما لا يليق بجنابه العالى متلبسا بحمده وقت الفجر ووقت العصر وقيل المراد صلاة الفجر وصلاة العصر قاله ابن عباس وقيل الصلوات الخمس وقيل صلى ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها والاول اولى (ومن الليل فسبحه) من للتبعيض اى سبحه بعض الليل وقيل هى صلاة الليل وقيل ركعتا الفجر وقيل صلاة العشاء والاول اولى (وادبار السجود) اى وسبحه أعقاب الصلوات قرأ الجمهور بفتح الهمزة جمع دبر وقرئ بكسرها على المصدر من ادبر الشئ ادبارا والاول اولى وقال جماعة من الصحابة والتابعين ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وقد اتفق القراء السبعة فى ادبار النجوم انه بكسر الهمزة وعن ابن عباس قال بت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر ثم خرج الى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل صلاة الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود اخرجه الترمذى والحاكم وصححه وابن مردويه وابن أبى حاتم وعن على بن أبى طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادبار النجوم وادبار السجود فقال ادبار السجود ركعتان بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الغداة اخرجه مسدد فى مسنده وابن المنذر وابن مردويه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ادبار السجود ركعتان بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الفجر وعن أبى هريرة مثله وقال ابن عباس

الجن والانس انهم كانوا خاسرين اى استووا هم واياهم فى الخسار والدمار وقوله تعالى وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن اى تواصوا فيما بينهم ان لايطيعوا القرآن ولا ينقادوا لاوامره والغوا فيه اى اذا تلى لاتسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعنى بالمكاء والصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قريش تفعله وقال الضحاك عن ابن عباس والغوا فيه عيبوه وقال قتادة اجحدوا به وانكروه وعادوه لعلكم تغلبون هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (٨٩) بخلاف ذلك فقال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ثم قال عز وجل منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفر فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا أى فى مقابلة ما اعتمدوه فى القرآن وعند سماعه ولنجزينهم أسوأ الذين كانوا يعملون اى بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين قال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزارى عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى اللذين أضلانا قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه وهكذا روى ابن العوفى عن على رضى الله عنه مثل ذلك وقال السدى عن على رضى الله عنه فابليس يدعونه كل صاحب شرك وابن آدم يدعونه كل صاحب كبيرة فابليس الداعى الى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الاول كما ثبت فى الحديث ماقتلت نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل وقولهم نجعلهما تحت أقدامنا

اى أسفل منا فى العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا ليكونا من الاسفلين اى فى الدرك الاسفل من النار كما تقدم فى الاعراف فى سؤال الاتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم اضعاف عذابهم قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون أى انه تعالى قد أعطى كلا منهم مايستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وافساده كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم)

عباس أمره ان يسبح فى ادبار الصلوات كلها وبه قال مجاهد قال الكرخى لخبر أبى هريرة فى الصحيح مرفوعا من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (واستمع) مايوحى اليك من أحوال القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقيل الاستماع بمعنى الانتظار وهو بعيد وقيل استمع النداء والصوت أو الصيحة قاله ابن عباس (يوم يناد المناد) هو اسرافيل أو جبرائيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر وهى صيحة القيامة أعنى النفخة الثانية فى الصور من اسرافيل وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى أهل المحشر ويقول هلموا للحساب فالنداء على هذا فى المحشر قال الشهاب وهو الاصح كما دلت عليه الآثار قال مقاتل هو اسرافيل ينادى فى المحشر فيقول يا أيها الناس هلموا للحساب وقيل ينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) من السماء حيث يصل النداء الى كل فرد من افراد المحشر قال قتادة كنا نتحدث انه ينادى من صخرة بيت المقدس وبه قال ابن عباس قال الكلبى وهى أقرب موضع من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقال كعب بثمانية عشر ميلا (يوم يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) يعنى صيحة البعث وهى النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده قاله الجلال المحلى وهذا غير مستقيم لان بعثهم واحياءهم كان بصيحة واحدة كما فى قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال الكلبى معنى بالحق بالبعث وهو حال من الواو أى يسمعون متلبسين بالحق أو من الصيحة أى متلبسة بالحق وقال مقاتل يعنى انها كائنة حقا (ذلك) أى يوم النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور قال ابن عباس أى يوم يخرجون الى البعث من القبور يعنى يعلمون عاقبة تكذيبهم (انا نحن نحيي) فى الآخرة (ونميت) فى الدنيا لايشاركنا فى ذلك مشارك والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث (والينا المصير) فنجازى كل عامل بعمله (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى حال كونهم مسرعين الى المنادى الذى ناداهم (ذلك حشر) أى بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لايتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على

يقول تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري ثنا سهيل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران قال قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال قال أبو بكر رضي الله عنه ما تقولون في هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب فقال لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص قال قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله وقال الزهري تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا ربنا الله ثم استقاموا على أداء فرائضه وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة وقال أبو العالية ثم استقاموا أخلصوا له الدين والعمل وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقي فأومأ إلى لسانه ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله

القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن ثم عزى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (نحن أعلم بما يقولون) من تكذيبك فيما جئت به ومن إنكار البعث والتوحيد (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم وتقهرهم على الإيمان والآية منسوخة بآية السيف وجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي فإن فعالا إنما يبنى من الثلاثي وفي المصباح أجبرته على كذا بالألف حملته عليه قهرا وغلبة فهو مجبر هذه لغة عامة العرب وفي لغة لبني تميم وكثير من أهل الحجاز جبرته جبرا من باب قتل حكاه الأزهري ثم قال جبرته وأجبرته لغتان جيدتان وقال الخطابي الجبار الذي جبر خلقه على ما أراده من أمره ونهيه يقال جبره السلطان وأجبره بمعنى ورأيت في بعض التفاسير عند قوله تعالى وما أنت عليهم بجبار أن الثلاثي لغة حكاها الفراء وغيره واستشهد لصحتها بما معناه أنه لا يبنى فعال إلا من فعل ثلاثي نحو الفتاح والعلام ولم يجئ من أفعل بالألف إلا دراك فإن حمل جبار على هذا المعنى فهو وجيه قال الفراء وقد سمعت العرب تقول جبرته على الأمر وأجبرته وإذا ثبت ذلك فلا يعول على قول من ضعفها (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي وعيدي لعصاتي بالعذاب وأما من عداهم فلا تشتغل بهم ثم أمره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وهم المؤمنون

(سورة الذاريات هي ستون آية وهي مكية)

قال القرطبي في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وفي بعض النسخ والذاريات بالواو (بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا) يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا وأذرته تذريه ذريا أقسم الله سبحانه بالرياح التي تذرو التراب وغيره وقيل المقسم به مقدر وهو رب الذاريات وما بعدها والأول أولى عن علي قال الذاريات الرياح وقال غيره النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد (فالحاملات وقرا) قال علي هي السحاب أي تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر وانتصاب وقرا على أنه مفعول به كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قرأ الجمهور بكسر الواو اسم ما يوقر أي يحمل وقرئ بفتحها على أنه مصدر وقيل الرياح الحاملات للسحاب أو النساء الحوامل (فالجاريات يسرا) قال علي هي السفن أي الجارية في البحر بالرياح جريا سهلا أي جريا ذا يسر وقيل هي الرياح الجارية في مهابها

تحدثنى بأمر أعتصم به قال صلى الله عليه وسلم قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أكثر ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال هذا وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث الزهرى به وقال الترمذى حسن صحيح وقد أخرجه مسلم فى صحيحه والنسائى من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم وذكر تمام الحديث وقوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدى وزيد بن أسلم وابنه يعنى عند الموت قائلين ان (٩١) لا تخافوا قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أى مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نخلفكم فيه وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء فى حديث البراء رضى الله عنه قال ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجى أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجى الى روح وريحان ورب غير غضبان وقيل ان الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر ابن سليمان قال سمعت ثابتا قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة الا هى للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له فى الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفى قبره وحين يبعث رواه ابن أبى حاتم وهذا القول يجمع الاقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع وقوله تبارك وتعالى نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أى تقول للمؤمنين الملائكة عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور وعند النفخة فى الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم

أى فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ولكم فيها ما تدعون أى مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم نزلا من غفور رحيم أى ضيافة وعطاء وانعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤف حيث غفر وستر ورحم ولطف وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم فقال ثنا أبى ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين أبى سعيد حدثنا الاوزاعى حدثنى حسان ابن عطية عن سعيد بن المسيب انه لقى أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة رضى الله عنه أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أوفيها سوق فقال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور وما يرون ان أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال صلى الله عليه وسلم نعم هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال صلى الله عليه وسلم فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم تعالى ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول أى رب أفلم تغفر لى فيقول بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه قال فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من ر المراد فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط قال ثم يقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم قال فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شئ ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لانه لا ينبغى لاحد

الماء والرمل اذا أصابته الريح حبك قال الفراء الحبك تكسر كل شئ كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء اذا مرت به الريح ويقال لدرع الحديد حبك وقيل الحبك الشدة أى والسماء ذات الشدة والمحبوك الشديد الخلق من فرس أو غيره قال الواحدى بعد حكاية القول الاول هذا قول الاكثرين قال ابن عباس والسماء ذات الحبك أى حسنها واستوائها وعنه قال ذات البهاء والجمال وان بنيانها كالبرد المسلسل وعنه قال ذات الخلق الحسن وعن ابن عمر مثله وعن على قال هى السماء السابعة واستعمال الحبك فى الطرائق هو الذى عليه أهل اللغة وان كان الاكثر من المفسرين على خلافه على انه يمكن ان ترجع تلك الاقوال فى تفسير الحبك الى هذا وذلك بان يقال ان ما فى السماء من الطرائق يصح أن يكون سببا لمزيد حسنها واستواء خلقها وحصول الزينة فيها ومزيد القوة لها وفى البيضاوى ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق أو انها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى (انكم) هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك أى انكم يا أهل مكة (لفى قول مختلف) متناقض فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بعضكم يقول انه شاعر وبعضكم يقول انه ساحر وبعضكم يقول انه مجنون والقرآن شعر سحر كهانة ووجه تخصيص القسم بالسماء المتصفة بتلك الصفة تشبيه أقوالهم فى اختلافها باختلاف طرائق السماء وقيل المراد بكونهم فى قول مختلف ان بعضهم ينفى الحشر وبعضهم يشك فيه وقيل كونهم يقرون ان الله خالقهم ويعبدون الاصنام وقيل قول مختلف مصدق مكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به أو عن الحق وهو البعث والتوحيد من صرف عن الهداية فى علم الله تعالى يقال أفكه يأفكه افكا أى قلبه عن الشئ وصرفه عنه ومنه قوله تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا وقال مجاهد يؤفن عنه من أفن والافن فساد العقل وقيل يحرم منه من حرم وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدى يدفع عنه من دفع وقال ابن عباس يضل عنه من ضل وفى الخطيب قيل ان هذا القول مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول وارشد الى المستوى (قتل الخراصون) هذا دعاء عليهم وحكى الواحدى عن المفسرين جميعا ان المعنى لعن الكذابون

أن يجزين فيها ثم نصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا به وقد رواه الترمذى فى صفة الجنة من جامعه عن محمد بن اسمعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (٩٣) قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وان الفاجر أو الكافر اذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وهذا حديث صحيح وقد ورد فى الصحيح من غير هذا الوجه (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) يقول عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله أى دعا عباد الله اليه وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين أى وهو فى نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق الى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة فى كل من دعا الى خير وهو فى نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت فى صحيح مسلم المؤذنون أطول الناس اعناقا يوم القيامة وفى السنن مرفوعا الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الائمة وغفر للمؤذنين وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن عروبة الهروى حدثنا غسان قاضى هراة وقال أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه قال سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة

والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل أجرى مجرى اللعن واستعمل بمعناه تشبيها الملعون الذى يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذى تفوته الحياة وكل نعمة قال ابن الانبارى والقتل اذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال الفراء معنى قتل لعن وفى القاموس ما يقتضى ان قتل يأتى بمعنى لعن ونصه قتل الانسان ما أكفره أى لعن وقاتلهم الله أى لعنهم والخراصون الكذابون الذين يتخرصون فيما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب شاعر ساحر قال الزجاج الخراصون هم الكذابون والخرص حزرما على النخل من الرطب تمرا والخراص الذى يخرصها وليس هو المراد هنا قال ابن عباس فى الآية لعن المرتابون وعنه قال هم الكهنة وقيل هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة ليصرفوا الناس عن الاسلام (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة عن أمور الآخرة وأصل الغمرة ما ستر الشئ وغطاه ومنها غمرات الموت قال ابن عباس الغمرة الكفر والشرك (ساهون) أى لاهون غافلون والسهو الغفلة عن الشئ وذهابه عن القلب وقال ابن عباس فى غفلة لاهون وعنه قال فى ضلالتهم يتمادون (يسألون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يجئ يوم الجزاء تكذيبا منهم واستهزاء ثم أخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون ويعذبون فيها يقال فتنت الذهب اذا أحرقته لتختبره وأصل الفتنة الاختبار قال عكرمة ألم تر ان الذهب اذا أدخل النار قيل فتن قال ابن عباس يفتنون يعذبون قال الشهاب أصلها اذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل فى التعذيب والاحراق وعدى يفتنون بعلى لتضمنه معنى يعرضون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم حين التعذيب ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال مجاهد حريقكم ورجح الاول الفراء وجملة (هذا الذى كنتم به تستعجلون) من جملة ما هو محكى بالقول أى هذا ما كنتم تطلبون تعجيله فى الدنيا استهزاء منكم وقيل هى بدل من فتنتكم ولما ذكر سبحانه حال أهل النار ذكر حال أهل الجنة فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى هم كائنون فى بساتين فيها عيون جارية فى جهاتهم وأمكنتهم لا يبلغ وصفها الواصفون حال كونهم (آخذين) أى قابضين (ما آتاهم ربهم) شيأ فشيأ من الخير والثواب والكرامة راضين به ومسرورين ومتلقين له بالقبول لا يستوفونه بكماله لامتناع

كشهيد الجهاد والمجاهدين وهو بين الاذان والاقامة كالمتشحط فى سبيل الله تعالى فى دمه قال وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت ان لا أحج ولا اعتمر ولا أجاهد قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كنت مؤذنا لكمل أمرى وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثا قال فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الاذان بالسيوف قال صلى الله عليه وسلم كلا يا عمر انه سيأتى على الناس زمان يتركون الاذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على (٩٤) النار لحوم المؤذنين قال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ولهم هذه الآية ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين قالت فهو المؤذن اذا قال حى على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما وعكرمة انها نزلت فى المؤذنين وقد ذكر البغوى عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه انه قال فى قوله عز وجل وعمل صالحا قال يعنى صلاة ركعتين بين الاذان والاقامة ثم أورد البغوى حديث عبد الله بن المغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة ثم قال فى الثالثة لمن شاء وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثورى عن زيد العمى عن أبى اياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الثورى لا أراه الا قد رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة ورواه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة كلهم من حديث الثورى به وقال الترمذى هذا حديث حسن ورواه النسائى أيضا من حديث سليمان التيمى عن قتادة عن أنس به والصحيح ان الآية عامة فى المؤذنين وفى غيرهم فاما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الاذان مشروعا بالكلية لانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى رضى الله عنه فى منامه فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره أن يلقيه على بلال رضى الله عنه فانه أندى صوتا كما هو مقرر فى موضعه فالصحيح اذن انها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى انه تلا هذه الآية ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين فقال هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله فى دعوته

استيفاء ما لا نهاية له (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) الجملة تعليل لما قبلها أى لانهم كانوا فى الدنيا قبل دخولهم الجنة محسنين فى اعمالهم الصالحة من فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قال ابن عباس أى قبل ان تنزل الفرائض يعملون ثم ذكر احسانهم الذى وصفهم به فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم بالليل دون النهار وبابه خضع والهجعة النومة الخفيفة والمعنى كانوا قليلا ما ينامون من الليل ويصلون أكثره وكذا قال المحلى وما زائدة أو مصدرية أو موصولة أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه والتهجاع القليل من النوم وقيل ما نافية أى ما كانوا ينامون قليلا من الليل فكيف بالكثير منه وهذا ضعيف جدا وهكذا قول من قال ان المعنى كان عددهم قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون وبه قال ابن الانبارى وهو أضعف مما قبله وقال قتادة فى تفسير هذه الآية كانوا يصلون بين العشاءين وبه قال أبو العالية وابن وهب قال ابن عباس ما تأتى عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا الا يصلون فيها وعنه قال يقول قليلا ما كانوا ينامون وعن أنس قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء (وبالاسحار هم يستغفرون) أى يطلبون فى أوقات السحر من الله سبحانه أن يغفر ذنوبهم قال الحسن مدوا الصلاة الى الاسحار ثم أخذوا بالاسحار الاستغفار وقال الكلبى ومقاتل ومجاهد هم بالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم طلب منهم للمغفرة وقال الضحاك هى صلاة الفجر قال ابن عمر يستغفرون يصلون قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل والمعنى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق قدره وان اجتهدوا القول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا أحصى ثناء عليك وقيل يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) أى يجعلون فى اموالهم ويوجبون على انفسهم حقا للسائل والمحروم تقربا الى الله عز وجل بمقتضى الكرم يصلون بها الارحام والفقراء والمساكين وقال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا الزكاة المفروضة والاول أولى فتحمل على صدقة النفل وصلة الرحم وقرى الضيف لان السورة مكية والزكاة لم تفرض الا بالمدينة وسيأتى فى سورة سأل سائل وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم بزيادة معلوم والسائل هو الذى يسأل

ودعا الناس الى ما أياب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله وقوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أى فرق عظيم بين هذه وهذه ادفع بالتى هى أحسن أى من أساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه كما قال عمر رضى الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه وقوله عزوجل فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وهو الصديق أى اذا أحسنت الى من أساء اليك قادته تلك الحسنة اليه الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولى لك حميم أى قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ثم قال عزوجل وما (٩٥) يلقاها الا الذين صبروا أى وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها الا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أى ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والاخرى قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم وقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أى ان شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فاما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه اذا وسوس الا الاستعاذة بخالقه الذى سلطه عليك فاذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك ورد كيده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد قدمنا ان هذا المقام لا نظير له فى القرآن الا فى سورة الاعراف عند قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وفى سورة المؤمنين عند قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وانه الذى لا نظير له وانه على ما يشاء قادر ومن آياته الليل والنهار والشمس

الناس لفاقته واختلف فى تفسير المحروم فقيل هو الذى يتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنيا فلا يتصدقون عليه وبه قال قتادة والزهرى وقال الحسن ومحمد بن الحنفية هو الذى لا سهم له فى الغنيمة ولا يجرى عليه من الفئ شئ وقال زيد بن اسلم هو الذى اصيب ثمره أو زرعه او ماشيته وقال القرظى هو الذى اصيب بجائحة وقيل الذى لا يكتسب وقيل هو الذى لا يجد غنى يغنيه وقيل هو المملوك وقيل الكلب وقيل غير ذلك قال الشعبى لى اليوم سبعون سنة منذ احتلمت اسأل عن المحروم فما أنا اليوم باعلم منى فيه يومئذ والذى ينبغى التعويل عليه ما يدل عليه المعنى اللغوى والمحروم فى اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الاصل ومن أصيب ماله بجائحة أذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه وأظهر هذه الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ قال ابن عباس فى أموالهم حق سوى الزكاة يصل بها رحما ويقرى بها ضيفا أو يعين بها محروما وعنه قال السائل الذى يسأل الناس والمحروم الذى ليس له سهم فى المسلمين وعنه قال المحروم هو المحارف الذى يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس فأمر الله المؤمنين برفده وعن عائشة فى الآية قالت هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وأخرج الترمذى والبيهقى فى سننه عن فاطمة بنت قيس انها سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية قال ان فى المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ثم ذكر سبحانه ما نصبه من الدلائل الدالة على توحيده ووعده ووعيده فقال (وفى الارض آيات) أى دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والاشجار والانهار والثمار وفيها آثار الهلاك للامم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم اليه وهى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل صلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها معادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيآت والافعال الى غير ذلك من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره (للموقنين) أى للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وخص الموقنين بالله لانهم

والقمر أى أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لايفتران والشمس ونورها واشراقها والقمر وضياؤه وتقدير
منازله فى فلكه واختلاف سيره فى سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والاعوام
و يتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات ثم لما كان الشمس والقمر احسن الاجرام المشاهدة فى العالم العلوى
والسفلى نبه تعالى على انهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى
خلقهن ان كنتم اياه تعبدون اى ولاتشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فانه لايغفر أن
يشرك به ولهذا قال تعالى فان
استكبروا اى عن افراد العبادة
وابوا الا ان يشركوا معه غيره فالذين
عند ربك يعنى الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار وهم لايسأمون
كقوله عز وجل فان يكفر بها
هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها
بكافرين وقال الحافظ ابو يعلى
حدثنا سفيان يعنى ابن وكيع حدثنا
ابى عن ابن ابى ليلى عن ابى الزبير
عن جابر رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاتسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس
ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل
رحمة لقوم وعذابا لقوم وقوله
ومن آياته اى على قدرته على اعادة
الموتى انك ترى الارض خاشعة اى
هامدة لانبات فيها بل هى ميتة
فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
أى أخرجت من جميع ألوان
الزروع والثمار ان الذى أحياها
لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير
(ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون
علينا افمن يلقى فى النار خير ام من
يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم
انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز
لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ...
ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) قوله تبارك وتعالى ان الذين يلحدون فى آياتنا قال ابن عباس الالحاد وضع الكلام على غير مو...
وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد وقوله عز وجل لايخفون علينا فيه تهديد شديد ووعيد أكيد اى انه تعالى ...
واسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة ...
أيستوى هذا وهذا لايستويان ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة اعملوا ماشئتم قال مجاهد ... اعملوا ماشئتم ...

الذين يعترفون بذلك و يتدبرون فيه فينتفعون به (وفى انفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها
من حال الى حال آيات تدل على توحيد الله وصدق ماجاءت به الرسل فانه خلقهم نطفة ثم
علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان ينفخ فيهم الروح ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوانهم
وطبائعهم والسنتهم ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم
واعضاء وحواس ومجارى ومنافس وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج
الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على
حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما
خلقت له وما سوى ذلك فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا منها شئ
جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وقيل يريد اختلاف الالسن
والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيلى الغائط والبول يأكل و يشرب من مدخل
واحد ويخرج من سبيلين وقيل المراد بالانفس الارواح أى وفى نفوسكم التى بها حياتكم
آيات ولا وجه لتخصيص شئ دون شئ بل اللفظ أوسع من ذلك (أفلا تبصرون) أى تنظرون
بعين البصيرة والعبرة الارض وما فيها والانفس وما فيها فتستدلون بذلك على الخالق الرازق
المنفرد بالالوهية وانه لاشريك له ولا ضد ولا نداو ان وعده الحق وقوله الحق وان ماجاءت
اليكم به رسله هو الحق الذى لاشك فيه ولاشبهة تعتريه (وفى السماء رزقكم) أى سبب
رزقكم وهو المطر فانه سبب الارزاق قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ماينزل من
السماء من مطر وثلج وقيل المراد بالسماء السحاب أى وفى السحاب رزقكم وقيل المراد
بالسماء المطر وسماه سماء لانه ينزل من جهتها وقال ابن كيسان يعنى وعلى رب السماء
رزقكم قال ونظيره ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وهو بعيد وقال سفيان
الثورى أى عند الله فى السماء رزقكم وقيل المعنى وفى السماء تقدير رزقكم قرأ الجمهور
بالافراد وقرئ ارزاقكم بالجمع (وماتوعدون) من الجنة والنار قاله مجاهد وقال عطاء من
الثواب والعقاب وقال الكلبى من الخير والشر وقال ابن سيرين ماتوعدون من أمر
الساعة وبه قال الربيع والاولى الحمل على ماهو الاعم من هذه الاقوال فان جزاء
الاعمال مكتوب فى السماء والقضاء والقدر ينزل منها والجنة والنار فيها ثم أقسم سبحانه

وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه) أي ان ما أخبركم به في هذه الآيات (لحق) وقال الزجاج هو ما ذكر من أمر الرزق والآيات قال الكلبي يعني ما قص في الكتاب وقال مقاتل يعني من أمر الساعة وقيل ان ما في قوله وما توعدون مبتدأ وخبره فورب السماء الخ فيكون الضمير لها ثم قال سبحانه (مثل ما انكم تنطقون) أي كمثل نطقكم وما زائدة كذا قال بعض الكوفيين وقال الزجاج والفراء أي لحق حقا مثل نطقكم وقال المازني ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح وقال سيبويه هو مبني لاضافته الى غير متمكن قرأ الجمهور بنصب مثل على تقدير كمثل نطقكم وقرئ بالرفع على انه صفة لحق لان مثل نكرة وان أضيفت فهي لا تتعرف بالاضافة كغير ورجح قول المازني أبو علي الفارسي ومعنى الآية تشبيه تحقيق ما أخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق كما أنت تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت أسنده الثعلبي وذكره القرطبي وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ذكر سبحانه قصة ابراهيم ليبين انه أهلك بسبب التكذيب من أهلك وفي الاستفهام تفخيم للحديث وشأنه وتنبيه على ان هذا الحديث ليس مما قد علم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه انما علم بطريق الوحي وقيل ان هل بمعنى قد كما في قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر والضيف مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة وقد تقدم الكلام على قصة ضيف ابراهيم في سورة هود وسورة الحجر (المكرمين) أي انهم مكرمون عند الله سبحانه لانهم ملائكة جاؤا اليه في صورة بني آدم كما قال تعالى في وصفهم في آية أخرى بل عباد مكرمون وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وقال مجاهد ومقاتل أكرمهم ابراهيم وأحسن اليهم وقام على رؤسهم وكان لا يقوم على رؤس الضيف وأمر امرأته ان تخدمهم وقال الكلبي أكرمهم بالعجل أي عجل لهم القرى وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لانهم كانوا غير مدعوين والاول أولى (اذ دخلوا عليه) العامل في الظرف الحديث أي هل أتاك حديثهم الواقع في

وعيد اي من خير أو شر انه عالم بكم وبصير باعمالكم ولهذا قال انه بما تعملون بصير ثم قال جل جلاله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قال الضحاك والسدي وقتادة وهو القرآن وانه لكتاب عزيز اي منيع الجناب لا يرام ان يأتي احد بمثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي ليس للبطلان اليه سبيل لانه منزل من رب العالمين ولهذا قال تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في اقواله وافعاله حميد بمعنى محمود اي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته ثم قال عز وجل ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب الا كما قد قيل للرسل من قبلك (٩٧) فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على اذى قومهم لهم فاصبر انت على اذى قومك لك وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن ابي حاتم غيره وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب اليه وذو عقاب أليم اي لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية ان ربك لذو مغفرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته واحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على ان كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل ولو نزلناه على

بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وكذلك لو انزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي أي لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولا نكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام اعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه هكذا روى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير والسدي وغيرهم وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أعجمي وعربي أي هل أنزل بعضها بالاعجمي وبعضها بالعربي هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ

ثم قال عز وجل قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء اى قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما فى الصدور من الشكوك والريب والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى لا يفهمون ما فيه وهو عليهم عمى اى لا يهتدون الى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا أولئك ينادون من مكان بعيد قال مجاهد يعنى بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول قلت وهذه كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع (٩٨) الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون وقال الضحاك ينادون يوم القيامة باشنع أسمائهم وقال السدى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضى اذ قال يالبيكاه فقال له عمر رضى الله عنه لم تلبى هل رأيت أحدا او دعاك أحد فقال دعانى داع من وراء البحر فقال عمر رضى الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبى حاتم وقوله تبارك وتعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أى كذب وأوذى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى بتأخير الحساب الى يوم المعاد لقضى بينهم أى لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وانهم لفى شك منه مريب أى وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشئ كانوا فيه هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص) يقول تعالى من عمل صالحا فلنفسه أى انما يعود نفع ذلك على نفسه ومن أساء فعليها أى انما يرجع وبال ذلك عليه وما ربك بظلام للعبيد اى لا يعاقب أحدا الا بذنبه ولا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه ثم قال جل وعلا اليه يرد علم الساعة أى لا يعلم ذلك احد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل وكما قال عز وجل الى ربك

والانكار

وقت دخولهم عليه أو ضيف لانه مصدر او المكرمين أو محذوف أى اذكر كذا ذكر السمين (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما ويحتمل أن يكون المعنى فقالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من أن يلغو فيكون على هذا مفعولا به (قال سلام) أى قال ابراهيم سلام والمراد به التحية قرأ الجمهور بنصب سلام الاول ورفع الثانى على انه مبتدأ محذوف الخبر أى عليكم سلام والعدول الى الرفع لقصد افادة الجملة الاسمية للدوام والثبات بخلاف الفعلية فانها لمجرد التجدد والحدوث ولهذا قال أهل المعانى ان سلام ابراهيم أبلغ من سلام الملائكة وقرئ بالرفع فى الموضعين وقرئ بالنصب فيهما وقرئ سلم بكسر السين وقرئ سلم فيهما (قوم) أى أنتم قوم (منكرون) قيل انه قال هذا فى نفسه ولم يخاطبهم به لان ذلك يخالف الاكرام قيل انه أنكرهم لكونهم ابتدؤا بالسلام ولم يكن ذلك معهودا عند قومه وقيل انه رأى فيهم ما يخالف بعض الصور البشرية وقيل لانه رآهم على غير صور الملائكة الذين يعرفهم وقيل لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل المعنى أنتم غرباء ولا نعرفكم فعرفونى من أنتم وقيل غير ذلك (فراغ) أى عدل (الى أهله) قاله الزجاج أى الذين كان عندهم بقرة وكان عامة ماله البقر قاله الخطيب فالمراد بأهله خدمه كالرعاء وقيل ذهب اليهم فى خفية من ضيوفه والمعنى متقارب وقد تقدم تفسيره فى سورة والصافات يقال راغ وارتاغ أى طلب وماذا تريغ أى تريد وتطلب وراغ الى كذا مال اليه سرا وحاد (فجاء بعجل سمين) أى فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما فى سورة هود بعجل حنيذ وفى الكلام حذف تدل عليه الفاء الفصيحة أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به قال فى الصحاح العجل ولد البقر والعجول مثله والجمع العجاجل والانثى عجلة وقيل العجل فى بعض اللغات الشاة (فقربه) أى قرب العجل (اليهم) ووضعه بين أيديهم وعرض عليهم الاكل و(قال ألا تأكلون) الاستفهام للانكار وذلك انه لما قربه اليهم لم يأكلوا منه أو للعرض أو للتحضيض (فأوجس منهم خيفة) أى أحس فى نفسه خوفا منهم لما لم يأكلوا مما قربه اليهم وقيل معنى أوجس أضمر وانما وقع له ذلك لما لم يتحرموا بطعامه ومن أخلاق الناس ان من أكل من طعام انسان صار آمنا منه فظن ابراهيم انهم جاؤا للشر ولم يأتوا للخير وفى زاده ان الانكار الحاصل قبل تقريب العجل كما مر فى هود بمعنى عدم العلم بانهم من أى بلدة

بمثلها وقال جل جلاله لا يجليها لوقتها الا هو وقوله تبارك وتعالى وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه أى الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وقد قال سبحانه وتعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها وقال جلت عظمته يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار وقال تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وقوله جل وعلا ويوم يناديهم أين شركائى أى يوم القيامة ينادى الله المشركين على رؤس الخلائق أين شركائى الذين عبدتموهم معى قالوا آذناك اى أعلمناك ما منا (٩٩) من شهيد اى ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اى ذهبوا فلم ينفعوهم وظنوا مالهم من محيص اى وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين مالهم من محيص أى لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) يقول تعالى لا يمل الانسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وان مسه الشر وهو البلاء أو الفقر فيؤس قنوط اى يقع فى ذهنه انه لا يتهيأ له بعد هذا خير ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى أى اذا أصابه خير ورزق بعد ما كان فى شدة ليقولن هذا لى انى كنت أستحقه عند ربى وما أظن الساعة قائمة أى يكفر بقيام الساعة أى لاجل انه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن كان ثم معاد فليحسن الى ربى كما احسن الى فى هذه الدار يتمنى على الله عز وجل مع اساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى واذا أنعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه أى اعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لاوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله فتولى بركنه واذا مسه الشر أى الشدة

والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر فان من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره وقيل انه وقع فى قلبه انهم ملائكة فلما رأوا ما ظهر عليه من أمارات الخوف (قالوا لا تخف) واعلموه انهم ملائكة مرسلون اليه من جهة الله سبحانه (وبشروه بغلام عليم) أى ذى علم كثير عنده أن يبلغ مبالغ الرجال والمبشر به عند الجمهور هو اسحق وقال مجاهد وحده انه اسمعيل وهو مردود بقوله وبشرناه باسحق وقد قدمنا تحقيق هذا الكلام فى هود بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره (فأقبلت امرأته) أى سارة (فى صرة) لم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان وانما هو كقولك أقبل يشتمنى أى أخذ فى شتمى كذا قال الفراء وغيره والصرة الصيحة والضجة أى جاءت صائحة لانها لما بشرت بالولد وجدت حرارة الدم أى دم الحيض وقيل الصرة الجماعة من الناس قال الجوهرى الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من حرب أو غيره وقال عكرمة وقتادة انها الرنة التأوه والمعنى أنها كانت فى زاوية من زوايا البيت تنظر اليهم فأقبلت فى صيحة أو ضجة أو فى جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة (فصكت وجهها) أى ضربت بيدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب قال مقاتل والكلبى جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا ومعنى الصك ضرب الشئ بالشئ العريض يقال صكه أى ضربه وقال ابن عباس فى صرة فى صيحة فصكت لطمت (وقالت) كيف ألد (وأنا عجوز عقيم) استبعدت ذلك لكبر سنها ولكونها عقيما لا تلد (قالوا كذلك) أى كما قلنا لك وأخبرناك (قال ربك) فلا تشكى فى ذلك ولا تعجبى منه فان ما أراد الله كائن لا محالة ولم نقل ذلك من جهة أنفسنا وقد كانت اذ ذاك بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة ذكره القرطبى وقد سبق بيان هذا مستوفى وجملة (انه هو الحكيم العليم) تعليل لما قبلها أى حكيم فى أفعاله وأقواله عليم بكل شئ (قال فما خطبكم) مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال ابراهيم بعد هذا القول من الملائكة والخطب الشأن والقصة والمعنى فما شأنكم وقصتكم (أيها المرسلون) من جهة الله وماذا الامر الذى لاجله أرسلكم سوى هذه البشارة (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى كافرين يريدون قوم لوط (لنرسل) أى لننزل (عليهم) من السماء (حجارة)

فذودعاء عريض أى يطيل المسئلة فى الشئ الواحد فالكلام العريض ماطال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ماقل ودل وقد قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه (قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد الا انهم فى مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شئ محيط) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به أى كيف ترون حالكم عند الذى أنزله على رسوله ولهذا قال عز وجل من أضل ممن هو فى شقاق بعيد أى فى كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم أى سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية فى الآفاق من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدى ودلائل فى أنفسهم قالوا وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التى حلت بهم نصر الله فيها محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيآت العجيبة كما هو مبسوط فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ماهو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وماهو متصرف فيه تحت الاقدار التى لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعداها كما أنشده ابن أبى الدنيا فى كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبى جعفر القرشى حيث قال وأحسن المقال بها

واذا نظرت تريد معتبرا * فانظر اليك ففيك معتبر
أنت الذى تمسى وتصبح فى الدنيا وكل أموره عبر
أنت المصرف كان فى صغر * ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذى تنعاه خلقته * ينعاه منه الشعر والبشر
أنت الذى تعطى وتسلب لا * ينجيه من ان يسلب الحذر
أنت الذى لاشئ منه له * وأحق منه بماله القدر

وقوله تعالى حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ

أى لنرجمهم بحجارة (من طين) متحجر مطبوخ بالنار واستدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط (مسومة) صفة لحجارة أو حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور أو من الحجارة لكونها وصفت بالجار والمجرور أى معلمة بعلامات تعرف بها قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل معروفة بانها حجارة العذاب وقيل مكتوب على كل حجر من يهلك بها (عند ربك) ظرف لمسومة أى معلمة عنده (للمسرفين) المتمادين فى الضلال المجاوزين الحد فى الفجور باتيانهم الذكور وقال مقاتل للمشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها قال السدى ومقاتل كانوا اربعمائة ألف فادخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفع حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم أفاده زاده وهو جمع شاذ أى الخارجين منهم عن أرضهم (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) هذا كلام من جهة الله سبحانه أى لما أردنا اهلاك قوم لوط أخرجنا من كان فى قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به والفاء فصيحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كانه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا من كان فيها بقولنا فأسر باهلك (فما وجدنا فيها) أى فى قرى قوم لوط وهى وان لم تذكر لكن دل عليها السياق (غير بيت من المسلمين) أى غير أهل بيت يقال بيت شريف ويراد به أهله قيل وهم أهل بيت لوط وقال مجاهد لوط وابنتاه وعن سعيد بن جبير قال كانوا ثلاثة عشر ونحوه قال الاصفهانى والاسلام الانقياد والاستسلام لامر الله سبحانه فكل مؤمن مسلم ومن ذلك قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد أوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الاسلام والايمان فى الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما من طرق أنه سئل عن الاسلام فقال ان تشهد أن لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وسئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره فالمرجع فى الفرق بينهما هو الذى قاله الصادق المصدوق ولا التفات الى غيره مما قاله أهل العلم فى رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة مختلة متناقضة وأما ما فى الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان فذلك باعتبار المعانى اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هى هذه التى أخبرنا

شهيداً أى كنى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال لكن
الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه الآية وقوله تعالى ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم أى فى شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون
فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبؤن به وهو كائن لا محالة وواقع لاريب فيه قال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد
ابن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا سعيد الانصارى قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه صعد المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانى لم أجمعكم لامر أحدثه فيكم ولكن فكرت فى هذا الامر الذى
أنتم اليه صائرون فعلمت أن المصدق
بهذا الامر أحمق والمكذب به
هالك ثم نزل ومعنى قوله رضى الله
عنه ان المصدق به أحمق اى لانه
لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه
ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك
مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك
يتمادى فى لعبه وغفلته وشهواته
وذنوبه فهو أحمق بهذا الاعتبار
والاحمق فى اللغة ضعيف العقل
وقوله والمكذب به هالك هذا واضح
والله أعلم ثم قال تعالى مقرراً انه
على كل شىء قدير وبكل شىء محيط
واقامة الساعة لديه يسير سهل
عليه تبارك وتعالى الا انه بكل شىء
محيط أى المخلوقات كلها تحت
قهره وفى قبضته وتحت طى علمه
وهو المتصرف فيها كلها بحكمه
فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لا اله
الا هو آخر تفسير سورة حم السجدة
ولله الحمد والمنة

*(تفسير سورة الشورى
وهى مكية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(حم عسق كذلك يوحى اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

لمن فى الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) قد تقدم الكلام
على الحروف المقطعة وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً منكراً فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة
الحوطى حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال جاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له وعنده ٦١
حذيفة بن اليمان رضى الله عنه تعال أخبرنى عن تفسير قول الله تعالى حم عسق قال فاطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فاعرض

بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجاب سؤال السائل له عن ذلك بها قال الكرخى
فيه اشارة الى ما قاله الخطابى وغيره ان المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون والمؤمن مسلم
دائماً فهو أخص وبهذا يستقيم تأويل الآيات والاحاديث (وتركنا فيها) أى فى تلك
القرى بعد اهلاك الكافرين (آية) أى علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب
وهى تلك الاحجار أو صخر منضود أو ماء اسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب فى
تلك القرى فانها ظاهرة بينة وقيل هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة (للذين يخافون
العذاب الاليم) أى كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فلا
يفعل مثل فعلهم وانما خص هؤلاء لانهم الذين يتعظون بالمواعظ ويتفكرون فى الآيات
دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك وهم المشركون المكذبون بالبعث والوعد والوعيد (و) تركنا
(فى) قصة (موسى) آية وهذا معنى واضح قاله السمين أو فى الارض وفى موسى آيات قاله
الفراء وابن عطية والزمخشرى قال أبو حيان وهو بعيد جداً ينزه القرآن عن مثله وقيل
وتركنا فيها آية وجعلنا فى موسى آية قال أبو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد أمكن
أن يكون العامل فى المجرور وتركنا والوجه الاول هو الاولى وما عداه متكلف متعسف لم
تلجئ اليه حاجة ولا دعت اليه ضرورة (اذ أرسلناه الى فرعون) الظرف متعلق بمحذوف وهو
نعت لآية أى كائنة وقت أرسلناه أو بآية نفسها أو منصوب بتركنا والاول أولى (بسلطان
مبين) وهو الحجة الظاهرة الواضحة وهى العصا وما معها من الآيات التسع (فتولى بركنه)
التولى الاعراض والركن الجانب قاله الاخفش والمعنى أعرض عن الايمان بجانبه أى
مع جنوده لانهم له كالركن كما فى قوله أعرض ونأى بجانبه قال الجوهرى ركن الشىء جانبه
الاقوى ويأوى الى ركن شديد أى عز ومنعة وقال ابن عباس بركنه بقومه وقال ابن زيد
ومجاهد وغيرهما الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ومنه قوله تعالى أو آوى الى
ركن شديد أى عشيرة ومنعة وقيل الركن نفس القوة وبه قال قتادة وغيره (وقال) فرعون فى
حق موسى (ساحر أو مجنون) فردد فيما رآه من أحوال موسى بين كونه ساحراً أو مجنوناً
فأو هنا على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك فى أمره تمويهاً
على قومه وهذا من اللعين مغالطة وايهام لقومه فانه يعلم ان ما رآه من الخوارق لا يتيسر

عنه فلم يجبه بشئ وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يحر اليه شيأ فقال له حذيفة رضى الله عنه انا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا اذن الله تبارك وتعالى فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كانها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف افلتت فما هو الا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى حم عسق يعنى عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون ق يعنى واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى الجزء الثانى من مسند ابن عباس رضى الله عنه عن ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ولكن اسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الخشنى الدمشقى عن ابى معاوية قال صعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر فقال أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر حم عسق فوثب ابن عباس رضى الله عنه فقال أنا قال حم اسم من أسماء الله تعالى قال فعين قال عاين المولون عذاب يوم بدر قال فسين قال سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال فقاف فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس وقوله عز وجل كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أى كما أنزل اليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتاب والصحف على الانبياء قبلك وقوله تعالى الله العزيز اى ابن فى انتقامه الحكيم فى أقواله وأفعاله قال الامام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ان الحرث ابن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فينفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يأتينى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه صلى الله عليه وسلم ليتفصد عرقا الحديث

على يد ساحر ولا يفعله من به جنون وقال أبو عبيدة ان أو بمعنى الواو ولانه قد قال ذلك جميعا ولم يتردد وبه قال المؤرج والفراء كقوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا قال تعالى ان هذا لساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وتجىء أو بمعنى الواو ورد الناس عليه وقالوا الاضرورة تدعو الى ذلك وأما الآيتان فلا تدلان على أنه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما أعم من أن يكونا معا أو هذه فى وقت وهذه فى وقت آخر ذكره السمين (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى طرحناهم فى البحر فغرقوا (وهو) أى فرعون (مليم) أى آت بما يلام عليه حين ادعى الربوبية وكذب الرسل وكفر بالله وطغى فى عصيانه وفى الاسناد تجوز على حد عيشة راضية يقال ألام الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم واللوم العذل تقول لامه على كذا من باب قال ولومه أيضا فهو ملوم واللائمة الملامة (و) تركنا (فى) قصة اهلاك (عاد) آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهى التى لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا انما هى ريح العذاب والاهلاك قال على هى النكباء وهى كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها وانحرافها عن مهاب الرياح المعروفة وهى رياح متعددة لا ريح واحدة قال ابن عباس الريح العقيم الشديدة التى لا تلقح شيأ وعنه قال لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب واختلف فيها فقيل الجنوب والاظهر انها الدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والعقم ههنا مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية شبه ما فى الريح من الصفة التى تمنع من انشاء مطر أو القاح شجر بما فى المرأة من الصفة المذكورة التى تمنع من الحمل ثم قيل العقيم وأريد به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح به أو سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أفاده الكرخى وفى الشهاب أصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر كما قاله الراغب وهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول فلما أهلكتهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الاهلاك بعدم الحمل لما فيه من اذهاب النسل وهذا هو المراد هنا ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال (ما تذر من شئ أتت عليه) أى مرت عليه من أنفسهم وانعامهم وأموالهم (الا جعلته كالرميم) أى كالشئ الهالك البالى المتفتت وقال قتادة هو الذى ديس من يابس النبات وقال السدى وأبو العالية انه التراب المدقوق وقال قطرب انه الرماد وقيل ما رمته الماشية من الكلا وأصل الكلمة من رم العظم اذا بلى فهو رميم والرمة العظام البالية والجمع رمم ورمام قال

الصحيحين ولفظه للبخاري وقد رواه الطبراني عن عبد الله ابن الامام أحمد عن ابيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن الحرث بن هشام انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال وقال وهو أشده علي قال وأحيانا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني فاعي ما يقول وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض تفرد به أحمد وقد ذكرنا كيفية اتيان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله تبارك وتعالى له ما في السموات وما في الارض أي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه وهو العلي العظيم كقوله تعالى وهو الكبير المتعال وهو العلي الكبير والآيات في هذا كثيرة وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة والسدي وكعب الاحبار اي فرقا من العظمة والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض كقوله جل وعلا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقوله جل جلاله ألا ان الله هو الغفور الرحيم اعلام بذلك وتنويه به وقوله سبحانه وتعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء يعني المشركين الله حفيظ عليهم اي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدا وسيجزيهم بها أوفر الجزاء وما انت عليهم بوكيل أي انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) يقول تعالى وكما اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك قرآنا عربيا اي واضحا جليا بينا لتنذر ام القرى وهي مكة ومن حولها أي من سائر البلاد شرقا وغربا وسميت مكة ام القرى لانها أشرف من سائر البلاد لادلة كثيرة مذكورة في مواضعها ومن أوجز ذلك

ابن عباس كالرميم كالشيء الهالك البالي وفي القرطبي كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم والتقدير ما تترك من شيء الا مجعولا كالرميم فالجملة في موضع المفعول الثاني لتذر وأعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر (وفي ثمود اذ قيل لهم) أي وتركنا في قصة ثمود آية وقت ان قلنا لهم بعد عقر الناقة (تمتعوا حتى حين) أي عيشوا متمتعين بالدنيا الى حين وقت الهلاك وانقضاء الاجل وهو ثلاثة أيام كما في قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن امتثال أمر الله وهذا ترتيب اخباري والا ففي الحقيقة عتوهم انما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله تمتعوا حتى حين على تفسيره اذ المراد به ما بقي من آجالهم والمراد بامر ربهم هو المذكور في سورة هود يا قوم هذه ناقة الله لكم آية (فأخذتهم) بعد مضي ثلاثة أيام (الصاعقة) وهي كل عذاب مهلك وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وأخذتهم من بعد عقر الناقة والصاعقة هي نار تنزل من السماء فيها رعد شديد وقد مر الكلام على الصاعقة في البقرة وفي مواضع (وهم ينظرون) اي يرونها عيانا لانها كانت نهارا وقيل ان المعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب والاول أولى (فما استطاعوا من قيام) أي لم يقدروا على القيام حين نزول العذاب قال قتادة من نهوض يعني لم ينهضوا من تلك الصرعة والمعنى انهم عجزوا عن القيام فضلا عن الهرب ومثله قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) اي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن اهلكهم الله ولم تمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (و) أهلكنا أو نبذنا او اذكر (قوم نوح) وثلاثة اوجه أخر في النصب ذكرها السمين وفي قراءة الجر اربعة اوجه ذكرها السمين ايضا لا نطول بذكرها (من قبل) اي من قبل هؤلاء المهلكين فان زمانهم متقدم على زمن فرعون وعاد وثمود (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين عن طاعة الله (والسماء بنيناها بأيد) اي بقوة وقدرة قاله ابن عباس قيل التقدير وبنينا السماء بنيناها وقرئ برفع السماء على الابتداء (وانا لموسعون) الموسع ذو الوسع والسعة والمعنى انا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك وقيل لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة وقيل انا لموسعون الرزق بالمطر قال الجوهري اوسع الرجل صار ذا سعة وغنى وقيل جاعلوها واسعة وعليه تكون الحال مؤسسة اخبر

وأدلة ما قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال ان عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة والله انك لخير ارض الله الى الله وأحب ارض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله عز وجل وتنذر يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى لا ريب فيه أي لا شك في وقوعه وانه كائن (١٠٤) لا محالة وقوله جل وعلا فريق في الجنة وفريق في السعير كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن أي يغبن أهل الجنة أهل النار وكقوله عز وجل ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد. قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث حدثني أبو قبيل المغافري عن شفي الاصبحي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم للذي في يمينه هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ثم قال صلى الله عليه وسلم للذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاي شيء نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أي عمل ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه فقبضهما ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى وقال فريق في السعير وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن ماتع الاصبحي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن

أولا انه بناها بقوته وقدرته وثانيا بانه وسعها اي جعلها واسعة فالارض بالنسبة اليها كحلقة في فلاة (والارض فرشناها) قرئ بنصب الارض على الاشتغال وبرفعها على الابتداء والاول اولى لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها والمعنى بسطناها ومهدناها ومددناها فالفراش كناية عن البسط والتسوية (فنعم الماهدون) أي نحن يقال مهدت الفراش بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها (ومن كل شيء خلقنا زوجين) اي صنفين أو أمرين متقابلين أو نوعين من ذكر وأنثى وبر وبحر وشمس وقمر وحلو ومر وسماء وارض وليل ونهار ونور وظلمة وجن وانس وخير وشر وموت وحياة وسهل وحزن وصيف وشتاء وايمان وكفر وسعادة وشقاوة وحق وباطل وحلو وحامض وسرور وغم الى غير ذلك مما لا ينحصر فكل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) اي خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا فتعرفوا أنه خالق كل شيء وتستدلوا بذلك على توحيد الله وصدق وعده ووعيده (ففروا الى الله) اي قل لهم يا محمد اذا كان الامر كذلك ففروا واهربوا الى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي اي الى ثوابه من عقابه بان تطيعوه ولا تعصوه وقيل المعنى اخرجوا من مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا عن كل شيء غير الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقيل فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقيل فروا من الجهل الى العلم والمعاني متقاربة اي اذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ (اني لكم منه) اي من الله اي من جهته (نذير) منذر (مبين) بين الانذار والجملة تعليل للامر بالفرار (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) تنصيص على اعظم ما يجب ان يفر منه وهو الشرك بالله فنهاهم عن الشرك بالله بعد ان أمرهم بالفرار الى الله (اني لكم منه نذير مبين) تعليل النهي وتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد ابلغ والاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني مرتب على الاشراك وقيل انما كرر ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز ولا ينجو عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) اي الامر والشان والقصة كذلك والكاف بمعنى مثل ثم فصل ما اجمله بقوله (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان هذا شأن الامم المتقدمة وان ما وقع من العر

العرب من التكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم (أتواصوا به) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب من حالهم اى هل اوصى اولهم آخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه حتى قالوه جميعا متفقين عليه او الاستفهام للنفي اى ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد (بل هم قوم طاغون) اضراب عن التواصي الى ما جمعهم من الطغيان اى لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر فهو اضراب انتقالي ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عنهم فقال (فتول عنهم) اى اعرض عنهم وكف عن جدالهم ودعائهم الى الحق فقد فعلت ما أمرك الله به وبلغت رسالته وكررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما أنت بملوم) عند الله على الاعراض بعد هذا الانذار لانك قد اديت ما عليك وما قصرت فيما امرت به وبذلت المجهود في البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف او بقوله الآتي وذكر الآية قال ابن عباس امره الله ان يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ولما امره بالاعراض عنهم امره بان لا يترك التذكير والموعظة بالتي هي احسن فقال (وذكر) أي جميعهم (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أي من قدر الله ايمانه أو من آمن فانه يزداد بها بصيرة قال الكلبي المعنى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم وقال مقاتل عظ كفار مكة فان الذكرى تنفع من كان في علم الله انه يؤمن وقيل ذكرهم بالعقوبة وأيام الله وخص المؤمنين بالتذكير لانهم المنتفعون به (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) مستأنفة مقررة لما قبلها لان كون خلقهم لمجرد العبادة مما ينشط رسول الله صلى الله عليه وسلم للتذكير وينشطهم للاجابة قيل هذا خاص فيمن سبق بعلم الله انه يعبده فهو عموم مراد به الخصوص قال الواحدي قال المفسرون هذا خاص لاهل طاعته يعني من أهل من الفريقين قال وهذا قول الكلبي والضحاك واختيار الفراء وابن قتيبة قال القشيري والآية دخلها التخصيص بالقطع لان المجانين والصبيان لم يؤمروا بالعبادة ولا أراده منهم وقد قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة قاله شيخ الاسلام زكريا نقلا عن الرازي فالآية محمولة على المؤمنين منهم ويدل عليه قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال مجاهد ان المعنى الا ليعرفوني

أبي الزاهرية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم فذكره ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه انه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول ان الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المزود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا الموقوف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي فقالوا له ما يبكيك ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الاخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة رضي الله عنهم أجمعين وقوله تبارك وتعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي اما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء الى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب اخبرني الحرث عن عمرو بن أبي سويد انه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت الا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة الا ما لا خير فيه (ام اتخذوا من دونه أولياء

فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم) يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ومخبرا انه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده فانه هو القادر على احياء الموتى وهو على كل شيء قدير ثم قال عز وجل وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله (١٠٦) أي مهما اختلفتم فيه من الامور وهذا عام في جميع الاشياء فحكمه الى الله أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ذلكم الله ربي أي الحاكم في كل شيء عليه توكلت واليه أنيب أي أرجع في جميع الامور وقوله جل جلاله فاطر السموات والارض أي خالقهما وما بينهما جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى ومن الانعام أزواجا أي وخلق لكم من الانعام ثمانية أزواج وقوله تبارك وتعالى يذرؤكم فيه أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورا واناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والانعام وقال البغوي يذرؤكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به ليس كمثله شيء أي ليس كخالق الازواج كلها شيء لانه الفرد الصمد الذي لا نظير له وهو السميع البصير وقوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك انه المتصرف ينيد الحاكم فيهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام انه بكل شيء عليم

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) يقول تعالى لهذه الامة شرع

قال الكلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده وروي عن مجاهد انه قال المعنى الا لآمرهم وأنهاهم ويدل عليه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون واختار هذا الزجاج وقال زيد بن أسلم هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء للمعصية وقال الكلبي المعنى الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة دون النعمة كما في قوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال جماعة الا ليخضعوا الي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدره عليه خلقهم على ما أراد ورزقهم كما قضى لا يملك احد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا ووجه تقديم الجن على الانس ههنا تقدم وجودهم قال ابن عباس في الآية ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها وعنه قال على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي وسعادتي وقيل معنى الا ليعبدون الا مستعدين لان يعبدوا بان خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التي تحصل بها العبادة وهذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لان هذا البعض وان لم يعبد الله لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة وهذا أحسن (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) هذه الجملة فيها بيان استغنائه سبحانه عن عباده وانه لا يريد منهم منفعة كما يريده السادة من عبيدهم بل هو الغني المطلق الرازق المعطي وقيل المعنى ما أريد منهم ان يرزقوا أحدا من عبادي ولا ان يرزقوا أنفسهم ولا يطعموا أحدا من خلقي ولا يطعموا أنفسهم وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله فمن أطعم عيال الله فهو كمن أطعمه وهذا كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عبدي استطعمتك فلم تطعمني أي لم تطعم عبادي ومن زائدة لتوكيد العموم ثم بين سبحانه انه هو الرزاق لا غيره فقال (ان الله هو الرزاق) لا رازق سواه ولا معطي غيره فهو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم فلا يشتغلوا بغير ما خلقوا له من العبادة هذا تعليل لعدم ارادة الرزق منهم (ذو القوة المتين) تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في تمامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك قرأ الجمهور برفع المتين على انه وصف لرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا مضمر وعلى كل تقدير فهو تأكيد لان ذو القوة

لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الاحزاب عليهم فى قوله تبارك وتعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الآية والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفى الحديث نحن معشر الانبياء (١٠٧) اولاد علات ديننا واحد اى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولهذا قال تعالى ههنا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه أى وصى الله تعالى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وقوله عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه أى شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم اليه يا محمد من التوحيد ثم قال جل جلاله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب أى هو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ولهذا قال تبارك وتعالى وما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم أى انما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك الا البغى والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى اى لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعا وقوله جلت عظمته وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعنى الجيل المتأخر بعد القرن الاول المكذب للحق لفى شك منه مريب أى ليسوا على يقين من أمرهم وايمانهم وانما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التى قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسى فانها أيضا عشر فصول كهذه وقوله

يفيد فائدته وقرئ بالجر صفة للقوة والتذكير لكون تأنيثها غير حقيقى قال الفراء كان حقه المتينة فذكرها لانه ذهب بها الى الشئ المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين أى محكم الفتل ومعنى المتين هنا الشديد القوة قال ابن عباس المتين الشديد (فان للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والمعاصى من أهل مكة وغيرهم (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى نصيب الكفار من الامم السالفة قال ابن الاعرابى يقال يوم ذنوب أى طويل الشر لا ينقضى وأصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة ومن استعمال الذنوب فى النصيب من الشئ قول الشاعر

لعمرك والمنايا طارقات * لكل بنى أب منها ذنوب

وما فى الآية مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبيرة فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب فهو تمثيل جعل الذنوب مكان الحظ والنصيب قاله ابن قتيبة وقيل عبر عن النصيب بالذنوب لشبهه به فى انه يصب عليهم العذاب كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم قال ابن عباس ذنوبا دلوا قال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب (فلا يستعجلون) أى فلا يطلبوا منى ان أعجل لهم العذاب كما فى قوله فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (فويل للذين كفروا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ووضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم (من يومهم الذى يوعدون) العذاب فيه قيل هو يوم القيامة وقيل يوم بدر والاول أولى

(سورة الطور وفى نسخة والطور بالواو وهى تسع أو ثمان وأربعون آية)

وهى مكية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت الطور بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وعن أم سلمة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى جنب البيت بالطور وكتاب مسطور أخرجه البخارى وغيره

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) قال الجوهرى والقرطبى هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام قال

فلذلك فادع أى فلذلك أوصينا اليك من الدين الذى وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم فادع الناس اليه وقوله عزوجل واستقم كما أمرت أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عزوجل وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم يعنى المشركين فيما اختلقوه وكذبوه وافتروه من عبادة الاوثان وقوله جل وعلا وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الانبياء لا نفرق بين أحد منهم وقوله وأمرت لاعدل بينكم أى فى الحكم كما أمرنى الله وقوله جلت عظمته الله ربنا وربكم (١٠٨) أى هو المعبود لا اله غيره فنحن نقر بذلك اختيارا وأنتم وان لم تفعلوه اختيارا فله يسجد من فى العالمين طوعا واجبارا وقوله تبارك وتعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أى نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون وقوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم قال مجاهد أى لا خصومة قال السدى وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لان هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة وقوله عزوجل الله يجمع بيننا أى يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وقوله جل وعلا واليه المصير أى المرجع والمآب يوم الحساب (والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد) يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له أى يجادلون المؤمنين وصدته المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى حجتهم داحضة عند ربهم أى باطلة عند الله وعليهم غضب أى منه ولهم عذاب شديد اى يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا ان تعود الجاهلية وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا فى ذلك ثم قال تعالى الله الذى أنزل الكتاب بالحق يعنى الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه والميزان وهو العدل

مجاهد والسدى الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سيناء قال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سيناء وللآخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل مدين واسمه زبير قلت ومدين بالارض المقدسة وهى قرية شعيب عليه السلام وقيل ان الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت فليس بطور فاقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريما وتذكيرا بما فيه من الآيات قال ابن عباس الطور جبل عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطور جبل من جبال الجنة أخرجه ابن مردويه وكثير ضعيف جدا (وكتاب مسطور) أى مكتوب متفق الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة والسطر الصف من الشئ يقال بنى سطرا والسطر أيضا الخط والكتابة وهو فى الاصل مصدر وبابه نصر وسطر أيضا بفتحتين والجمع اسطار كسبب وأسباب وجمع الجمع أساطير وجمع السطر أسطر وسطور كافلس وفلوس والمراد بالكتاب القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو للاشعار بانه ليس مما يتعارفه الناس وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل جميع الكتب المنزلة وقيل ما تكتبه الحفظة قاله الفراء وغيره ومثله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقال الكلبى هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل انه الكتاب الذى كتبه الله تعالى للملائكة فى السماء يقرؤن فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتبه الله فى قلوب الاولياء من المؤمنين بيانه أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وفيه بعد (فى رق) متعلق بمسطور أى مكتوب فى رق وهو الصحيفة قال الجوهرى الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى فى رق منشور وقال المبرد الرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه قال أبو عبيد وجمعه رقوق قال الراغب الرق كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره قرئ بفتح الراء ويجوز كسرها كما قرئ به شاذا وأما الرق الذى هو ملك الارقاء فهو بالكسر لا غير يقال عبد رق وعبد مرقوق (منشور) مبسوط مفتوح غير مطوى لا ختم عليه أو لائح وهو بالنسبة للتوراة الالواح التى أنزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف (والبيت المعمور) بكثرة الغاشية والاهل والزوار من الملائكة قيل هو فى السماء السابعة وقيل فى سماء الدنيا وقيل هو الكعبة فعلى القولين الاولين يكون

والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقوله والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقوله تبارك وتعالى وما يدريك لعل الساعة قريب فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد فى الدنيا وقوله عز وجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اى يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعنادا والذين آمنوا مشفقون منها اى خائفون وجلون من وقوعها ويعلمون انها الحق اى كائنة لا محالة فهم مستعدون لها (١٠٩) عاملون من أجلها وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر فى الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفى بعض ألفاظه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو فى بعض اسفاره فناداه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم فقال له متى الساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت فقوله فى الحديث المرء مع من احب هذا متواتر لا محالة والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها وقوله تعالى ألا ان الذين يمارون فى الساعة أى يجادلون فى وجودها ويدفعون وقوعها لفى ضلال بعيد اى فى جهل بين لان الذى خلق السموات والارض قادر على احياء الموتى بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه فى رزقه اياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء فى رزقه البر والفاجر كقوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ولها نظائر كثيرة وقوله جل وعلا يرزق من يشاء أى يوسع على من يشاء وهو القوى العزيز أى لا يعجزه شىء ثم قال عز وجل من كان يريد

وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل اليه من الملائكة ويعبد الله فيه وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازا باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بنى آدم وقيل هو فى السماء الثالثة أو السادسة أو الرابعة فهذه أقوال ستة فى محل البيت المعمور وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة أخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وفى الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وعن أبى الطفيل ان ابن الكواء سأل عليا عن البيت المعمور فقال ذلك الضراح (١) بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه أبدا الى يوم القيامة ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عمر رفعه ان البيت المعمور لحيال الكعبة لو سقط منه شئ لسقط عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه وعن ابن عباس نحوه وضعف اسناده السيوطى (والسقف المرفوع) يعنى السماء سماها سقفا لكونها كالسقف للارض ومنه قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل هو العرش وهو سقف الجنة وقال على السماء (والبحر المسجور) أى الموقد المحمى من السجر وهو ايقاد النار فى التنور ومنه قوله واذا البحار سجرت وقد ورد ان البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا فيزاد بها فى نار جهنم وقيل المسجور المملوء بالماء وهو البحر المحيط كما ذكره العمادى قيل انه من أسماء الاضداد يقال بحر مسجور أى مملوء وبحر مسجور أى فارغ خال وقيل المسجور المسول ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه وقال أبو العالية المسجور الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل المسجور المفجور ومنه قوله واذا البحار فجرت وقال الربيع ابن أنس هو الذى يختلط فيه العذب بالمالح والاول أولى وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد ابن كعب والاخفش وغيرهم وعن على فى الآية قال بحر فى السماء تحت العرش وعن ابن عمر مثله وقال ابن عباس المسجور المحبوس وعنه المرسل والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم قوله (ان عذاب ربك لواقع) أى كائن لا محالة لمن يستحقه (ماله من دافع) يدفعه ويرده عن أهل النار خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن مزيدة

(١) بالضم بيت فى السماء وهو البيت المعمور اه صحاح الجوهرى اه منه

يزيد الآخرة اى عمل الآخر نزدله فى حرثه اى نقويه ونعينه على ماهو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى مايشاء الله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أى ومن كان انما سعيه ليحصل له شئ من الدنيا وليس له الى الآخرة همّ البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا ان شاء أعطاه منها وان لم يشألم يحصل له لا هذه ولا هذه وفاز الساعى بهذه النية بالصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة والدليل على هذا ان هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التى فى سبحان وهى قوله تبارك وتعالى من كان (١١٠) يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقال الثورى عن معمر عن ابى العالية عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب وقوله جل وعلا ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله اى هم لا يتبعون ماشرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ماشرع لهم شياطينهم من الجن والانس من تحريم ماحرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل اكل الميتة والدم والقمار الى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التى كانوا قد اخترعوها فى جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والاقوال الفاسدة وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحى بن قمعة يجر قصبه فى النار من
لانه اول من سيب السوائب وكان هذا الرجل احد ملوك خزاعة وهو اول من فعل هذه الاشياء وهو الذى حمل قريشا على عبادة الاصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم اى لعوجلوا بالعقوبة لولا ماتقدم من الانظار الى يوم المعاد وان الظالمين لهم عذاب اليم اى شديد موجع فى جهنم وبئس المصير ثم قال تعالى ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا اى فى عرصات القيامة وهو واقع بهم اى الذى يخافون منه واقع بهم لامحالة هذا حالهم يوم معادهم وهم فى هذا الخوف والوجل والذين آمنوا

للتأكيد ووجه تخصيص هذه الامور بالاقسام بها انها عظيمة دالة على كمال القدرة الربانية (يوم تمور السماء مورا) أى انه لواقع فى هذا اليوم والمور الاضطراب والحركة قال أهل اللغة مار الشئ يمور مورا اذا تحرك وداروجاء وذهب قاله الاخفش وأبو عبيدة وقال ابن عباس تحرك وقال الضحاك يموج بعضها فى بعض وقال مجاهد تدور دورا وقيل تجرى جريا وقيل تتكفأ قاله الاخفش قال البغوى والمور يجمع هذه المعانى اذ هو فى اللغة الذهاب والمجئ والتردد والدوران والاضطراب ويطلق المور على الموج ومنه ناقة موارة اليد أى سريعة تموج فى مشيها موجا ومعنى الآية ان العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم دافع فى هذا اليوم الذى تكون فيه السماء هكذا وهو يوم القيامة وقيل ان السماء ههنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثا كما دل عليه كلامه فى سورة النمل قيل ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الاعلام والانذار بان لارجوع ولا عود الى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة وقد تقدم تفسير مثل هذا فى سورة الكهف (فويل يومئذ للمكذبين) ويل كلمة عذاب يقال للهالك واسم واد فى جهنم وانما دخلت الفاء لان فى الكلام معنى المجازاة أى اذا وقع ماذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم أى شدة عذاب ثم وصف المكذبين بقوله (الذين هم فى خوض يلعبون) أى فى تردد فى الباطل واندفاع فيه يلهون لايذكرون حسابا ولا يخافون عقابا والمعنى انهم يخوضون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والاستهزاء وقيل يخوضون فى أسباب الدنيا ويعرضون عن الآخرة والخوض من المعانى الغالبة فانه يصلح للخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل كالاحضار فانه عام فى كل شئ ثم غلب استعماله فى الاحضار للعذاب قال تعالى لكنت من المحضرين ونظيره فى الاسماء الغالبة دابة فانها غلبت فى ذوات الاربع والقوم غلب فى الرجال أفاده الكرخى أخذا عن حواشى الكشاف (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) الدع الدفع بعنف وجفوة يقال دععته أدعه دعا أى دفعته قال الراغب أصله ان يقال للعاثر دع دع وهذا بعيد

وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم فاين هذا من هذا اي أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الابار حدثنا محمد بن سعد الانصاري عن ابي طيبة قال ان الشرب من اهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول ما امطركم قال فما يدعو داع من القوم بشئ الا امطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول امطرينا كواعب اترابا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به (١١١) ولهذا قال تعالى ذلك هو الفضل الكبير اي الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله تعالى لهم وقوله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا اسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه وانما اطلب منكم ان تكفوا شركم عني وتذروني ابلغ رسالات ربي ان لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله تعالى الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة انفرد به البخاري ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن ابي طلحة والعوفي ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن

من هذه اللفظة والمعنى انهم يدفعون الى النار دفعا عنيفا شديدا قال مقاتل تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم وقرئ يدعون مخففا من الدعاء أي يدعون الى النار قال ابن عباس يدعون يدفعون أي يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التي تشاهدونها هي النار التي (كنتم بها تكذبون) في الدنيا ثم وبخهم سبحانه أو أمر ملائكته بتوبيخهم فقال (أفسحر هذا) الذي تشاهدون وترون كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة ولكتبه المنزلة هذا سحر وقدم الخبر هنا على المبتدا لانه الذي وقع الاستفهام عنه وتوجه التوبيخ اليه (أم أنتم لا تبصرون) أي أم أنتم عمي عن هذا كما كنتم عميا عن الحق في الدنيا وهذا بازاء قولهم في الدنيا انما سكرت أبصارنا وظاهر كلام الكشاف ان أم منقطعة حيث قال أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم وفي التفسير الكبير هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل أي لا واحد منهما ثابت فجعلها معادلة (اصلوها) أي اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم ان ذلك ليس بسحر ولم يكن في أبصاركم خلل فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها (فاصبروا) على العذاب (أو لا تصبروا) وافعلوا ما شئتم فالامران (سواء عليكم) في عدم النفع قاله أبو حيان وبه قال أبو البقاء وقيل سواء عليكم الصبر وعدمه واليه نحا الزمخشري والاول أحسن لان جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء بالعمل اذا كان واقعا حتما كان الصبر وعدمه سواء (ان المتقين في جنات ونعيم) لما فرغ سبحانه من ذكر حال المجرمين ذكر حال المتقين والجملة مستأنفة أو من جملة ما يقال للكفار زيادة في غمهم وحسرتهم والتنوين في جنات ونعيم للتفخيم (فاكهين بما آتاهم ربهم) يقال رجل فاكه أي ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى انهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل ذو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تقدم بيان معنى هذا قرأ الجمهور فاكهين بالالف والنصب على الحال وقرئ بالواو على انه خبر بعد خبر وقرئ فكهين والفكه طيب النفس كما تقدم

يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا حدثنا آدم بن أبي اياس حدثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسألكم عليه أجرا الا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وروى الامام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قل لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى اجرا الا ان توادوا (١١٢) الله تعالى وان تقربوا اليه بطاعته وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول الا المودة في القربى اى الا ان تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه انه قال معنى ذلك ان تودوني في قرابتي اى تحسنوا اليهم وتبروهم وقال السدي عن ابي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرا وأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وانكم لانتم هم قال نعم وقال أبو اسحق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فقال قربى النبي صلى الله عليه وسلم رواهما ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام حدثني يزيد بن ابي زياد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس رضي الله عنهما شك عبد السلام اما الفضل علكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا اذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك اولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال صلى الله عليه وسلم يقول حتى جثوا

في الدخان ويقال للاشر والبطر ولا يناسب التفسير بهما والمفاكهة الممازحة وتفكه تعجب وقيل تندم قال تعالى فظلتم تفكهون أي تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى اذ التفكه ليس باعطاء الرب بل بالمعطى وقيل موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) معطوف على الصلة أو حال بتقدير قد أو معطوف على في جنات والاول أظهر (كلوا واشربوا هنيأ) أي يقال لهم ذلك والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج أي ليهنئكم ما صرتم اليه هنا والمعنى كلوا طعاما هنيأ وقد تقدم تفسير هنيأ في سورة النساء وقال ابن عباس هنيأ أي لا تموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين (بما) أي بسبب ما (كنتم تعملون) في الدنيا للآخرة (متكئين) على نمارق (على سرر) بضم الراء الاولى جمع سرير وقرئ بفتحها (مصفوفة) قال ابن الاعرابي المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفا أي موضوعة بعضها الى بعض قيل سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة (وزوجناهم) قال يونس بن حبيب تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت بامرأة وليس من كلام العرب زوجته بامرأة قال وقول الله تعالى وزوجناهم (بحور عين) أي قرناهم وقال الفراء زوجته بامرأة لغة أزدشنوءة وانما قلنا قرناهم لان الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح يقال زوجت ابلي أي قرنت بعضها الى بعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح قرأ الجمهور بحور عين من غير اضافة وقرأ عكرمة باضافة الحور الى العين وهن عظام الاعين حسانها شداد بياض الاعين وقد تقدم تفسيرها في سورة الدخان ولما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة على العموم ذكر حال طائفة منهم على الخصوص وقال (والذين آمنوا) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه منصوب بفعل مقدر أي وأكرمنا الذين آمنوا والثاني انه مجرور على ما قاله الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بحور عين وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان قال أبو حيان ولا يتخيل أحد ان قوله والذين آمنوا معطوف على حور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي ابن عباس وغيره قلت أما ما ذكره الزمخشري من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته وليس في الكلام

في الكلام العربي ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لا عجبهم وأي مانع معنوي أو صناعي يمنعه والثالث أنه مرفوع على أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ألحقنا بهم والأول أولى وقيل المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصها بهم كونهم السبب في نزولها إن صح ذلك فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (واتبعتهم ذريتهم بإيمان) أي حال كون الذرية متلبسة بإيمان استقلالي أو تبعي أما الذرية الكافرة فلا تتبع آباءها وهذا على أن الباء للملابسة لكن جمهور المفسرين على أنها للسببية أو بمعنى في وبهذا الاعتبار لا يظهر دخول الأولاد الكبار فإن إيمانهم استقلالي لا تبعي كالصغار وقال أبو السعود أي اتبعتهم ذريتهم بإيمان قاصر عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقا وقرأ أبو عمرو واتبعناهم بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه كقوله ألحقنا وقرأ الباقون اتبعتهم بإسناد الفعل إلى الذرية وقرئ ذريتهم بالإفراد والجمع ومعنى الآية أن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه وإن كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتطيب نفسه بشرط أن يكونوا مؤمنين فيختص ذلك بمن يتصف بالإيمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار فإنهم وإن كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية وقيل إن الذرية تطلق على الكبار والصغار كما هو المعنى اللغوي فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم (ألحقنا بهم ذريتهم) الذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء فإن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فإن كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة قاله الخطيب والأول أولى وقيل إن الضمير في بهم راجع إلى الذرية المذكورة أولا أي ألحقنا بالذرية المتبعة لآبائهم بإيمان ذريتهم وإلحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم وهذا هو الأليق بكمال لطفه قال ابن عباس أيضا في الآية إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ هذه الآية وأخرجه البزار وابن مردويه عنه مرفوعا وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به أخرجه الطبراني

على الركب وقالوا أولادنا وما في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن بن علي عن عبد السلام عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف بإسناده مثله أو قريبا منه وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال فاطمة وولدها رضي الله عنهم وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنا إسمعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضي الله

عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا الضرح فترى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودرعرق بين عينيه ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لايدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي وقال البخاري حدثنا
عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر هو الصديق
رضي الله عنه قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وفي الصحيح ان الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه والله
لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي (١١٤) ان أصل من قرابتي وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما والله
لاسلامك يوم أسلمت كان أحب
الي من اسلام الخطاب لو أسلم لان
أسلامك كان أحب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اسلام
الخطاب فحال الشيخين رضي الله
عنهما هو الواجب على كل احد أن
يكون كذلك ولهذا كانا أفضل
المؤمنين بعد النبيين والمرسلين
رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة
أجمعين وقال الامام أحمد رحمه
الله حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن
أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن
حيان قال انطلقت انا وحصين بن
ميسرة وعمرو بن مسلم الى زيد بن أرقم
رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال
له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا
كثيرا رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت
معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد
خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني
وقدم عهدي ونسيت بعض الذي
كنت أعي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوه
ومالا فلا تكلفونيه ثم قال رضي
الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد
الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال صلى الله عليه وسلم أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب
واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه
وقال صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس
نساؤه من أهل بيته قال ان نساءه من أهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل

وابن مردويه وعن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا الآية أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب من اين لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك أخرجه أحمد واسناده صحيح (وما ألتناهم من عملهم من شيء) قرئ بفتح اللام من ألتنا وبكسرها وهما سبعيتان أي وما نقصنا الآباء بالحاق ذريتهم بهم من ثواب أعمالهم شيأ وقيل المعنى وما نقصنا الذرية من أعمالهم شيأ لقصر أعمارهم والاول أولى وقد قدمنا تحقيق معنى لاته وآلته في سورة الحجرات وقرئ وآلتناهم بالمد وهو لغة قال في الصحاح يقال ما آلته من عمله شيأ أي مانقصه قال ابن عباس ما ألتناهم ما نقصناهم ومن زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) يعني مرهون والظاهر انه عام وان كل انسان مرتهن بعمله فان قام به على الوجه الذي أمره الله به فكه والا أهلكه وقيل هو بمعنى راهن والمعنى كل امرئ بما كسب ثابت دائم وقيل هذا خاص بالكفار لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر سبحانه ما أمدهم به من الخير فقال (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي النعم وقتا فوقتا بفاكهة متنوعة ولحم من أنواع اللحمان مما تشتهيه أنفسهم ويستطيبونه من فنون النعماء وانواع الآلاء وان لم يقترحوا ولم يصرحوا بطلبه بل بمجرد مايخطر على قلوبهم يقدم اليهم (يتنازعون فيها) أي يتعاطون ويتناولون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم (كأسا) أي يتجاذب بعضهم الكاس من بعض هذا من يد هذا وهذا من يد هذا تلذذا وتأنسا والكاس اناء الخمر ويطلق على كل اناء مملوء من خمر أو غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا (لا لغو فيها ولا تأثيم) قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى به ولا ما فيه اثم كما يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا واللغو من الكلام هو الذي لا نفع فيه ولا مضرة والتأثيم تفعيل من الاثم والضمير في فيها راجع الى الكاس وقيل الى الجنة ولا يجري فيها ما فيه اثم والاول أولى قال ابن قتيبة لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا ولا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الضحاك لا تأثيم أي لا كذب قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن

زيد

وآل جعفر وآل العباس رضى الله عنهم قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة قال نعم وهكذا رواه مسلم فى الفضائل والنسائى من طرق عن يزيد بن حيان به وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا على بن المنذر الكوفى حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الاعمش عن عطية عن أبى سعيد والاعمش عن أبى حبيب عن أبى ثابت عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض والآخر عترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما تفرد بروايته الترمذى ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال الترمذى أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفى حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول يا أيها الناس انى تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى تفرد به الترمذى أيضا وقال حسن غريب وفى الباب عن ابى ذر وابى سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم ثم قال الترمذى أيضا ثنا ابو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلى عن على بن عبد الله بن عباس عن ابيه عن جده عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله تعالى لما يغذوكم من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى ثم قال حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث آخر عند قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبى اسحق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن أنكرنى فانا ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك هذا بهذا الاسناد ضعيف وقوله عز وجل ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا اى ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا اى اجرا وثوابا كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال

زيد لا سباب ولا تخاصم فيها قال ابن عباس لا باطل ولا كذب فيها (ويطوف عليهم غلمان لهم) أى يطوف عليهم بالكاس والفواكه والطعام والتحف وغير ذلك مماليك لهم وقيل أولادهم قال الكرخى لم يضفهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا فى الدنيا أن يكون خادما له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وقيل انهم من أخدمهم الله تعالى اياهم من أولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا فى الجنة قال الكلبى لا يكبرون أبدا وقيل هم أولاد المشركين وهم خدم أهل الجنة وليس فى الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه أخبر بانهم على نهاية التنعم (كأنهم) فى الحسن واللطافة والبهاء من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مستور مصون فى الصدف لم تمسه الايدى لانه مادام رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قال الكسائى كننت الشئ سترته وصنته من الشمس وأكننته جعلته فى الكن ومنه كننت الجارية وأكننتها فهى مكنونة (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذى أذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة وقيل يقول بعضهم لبعض بما صرتم فى هذه المنزلة الرفيعة وقيل ان التساؤل بينهم عند البعث من القبور والاول أولى لدلالة السياق على انهم قد صاروا فى الجنة أخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجئ سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا فيتحدثان فيتكئ ذا ويتكئ ذا فيتحدثان بما كانوا فى الدنيا فيقول أحدهما يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا (قالوا) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل فقيل قالوا ايماء الى علة الوصول لما هم فيه من النعيم ومحط العلة قوله الآتى فمن الله علينا (انا كنا قبل) أى من قبل الآخرة وذلك فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أى خائفين وجلين من عذاب الله أو كنا خائفين من عصيان الله أو من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت والمقصود اثبات خوفهم فى سائر الاوقات والاحوال بطريق الاولى فان كونهم بين أهليهم مظنة الامن فاذا خافوا فى تلك الحال فلان

قرقوان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها وقوله تعالى ان الله غفور شكور أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر وقوله جل وعلا أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك أي لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون يختم على قلبك أي يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين (١١٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين أي لانتقمنا منه اشد الانتقام وما قدر أحد من الناس ان يحجز عنه وقوله جلت عظمته ويمح الله الباطل ليس معطوفا على قوله يختم فيكون مجزوما بل هو مرفوع على الابتداء قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو في رسم المصحف الامام كما حذفت في قوله سندع الزبانية وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقوله عز وجل ويحق الحق بكلماته معطوفا على ويمح الله الباطل ويحق الحق أي يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه انه عليم بذات الصدور أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم اليه اذا تابوا ورجعوا اليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح علمه ويستر ويغفر كقوله عز وجل ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا اسحق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كانت راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته

يخافوا دونها أولى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله الآتي انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة وبالتوفيق لطاعته (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب جهنم والسموم من أسماء جهنم كذا قال الحسن ومقاتل وقال الكلبي وأبو عبيدة هو عذاب النار وقال الزجاج سموم جهنم ما يوجد من حرها قال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الشمس والحر أكثر وقيل سميت الريح سموما لانها تدخل المسام وهي في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وقيل سم يومنا أي اشتد حره قالت عائشة لو فتح الله على أهل الارض من عذاب السموم قدر الانملة لاحرقت الارض ومن عليها وقالوا ايماء أيضا الى علة الوصول (انا كنا من قبل ندعوه) أي نوحد الله ونعبده أو نسأله ان يمن علينا بالمغفرة والرحمة فحط العلة قوله (انه هو البر الرحيم) قرئ انه بكسر الهمزة على الاستئناف وفتحها أي لانه والبر كثير الاحسان وقيل اللطيف قاله ابن عباس والرحيم كثير الرحمة لعباده (فذكر) أي اثبت ودم على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير (فما أنت بنعمة ربك) التي انعم بها عليك من رجاحة العقل وعلو الهمة والنبوة وكرم الفعال وطهارة الاخلاق أو ما أنت في حال اذكارك بنعمة ربك (بكاهن ولا مجنون) وقيل المعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما أنا بمعسر بحمد الله وغناه وقيل الباء للقسم والتقدير ما أنت ونعمة الله بكاهن ولا مجنون والكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب من دون وحي أي ليس ما تقوله كهانة فانك انما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بابلاغه والمقصود من الآية رد ما كان يقوله المشركون انه كاهن أو مجنون (أم يقولون شاعر) أم هي المنقطعة وقد تقدم الخلاف هل هي مقدرة ببل والهمزة أو ببل وحدها قال الخليل هي هنا للاستفهام قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال النحاس يريد سيبويه ان أم في كلام العرب للخروج من حديث الى حديث أي لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق قال الكواشي وانما قدرت ببل لان ما بعدها متيقن وما بعد أم مشكوك فيه مسؤول عنه وذكرت أم هنا خمس عشرة مرة وكلها الزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب لكن قال الثعلبي نقلا عن الخليل ان كل ما في سورة الطور من أم فهو استفهام وليس بعطف وانما استفهم تعالى مع

فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وانا ربك أخطأ من شدة الفرح وقد ثبت أيضا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ان أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش وقال همام بن الحرث سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها قال لا بأس به وقرأ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية (١١٧) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عز وجل ويعفو عن السيآت اى يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيآت في الماضي ويعلم ما تفعلون اى هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه وقوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال السدي يعني يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لانفسهم ولاصحابهم واخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وانه جعلها كقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ رضي الله عنه بالشام فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله انى لأرجو ان يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بان أحدكم اذا عمل له يعني أحدهم عملا قال احسنت رحمك الله احسنت بارك الله فيك ثم قرأ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية انه جعل قوله الذين يستمعون القول اى هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله والمعنى الاول اظهر لقوله تعالى ويزيدهم من فضله اى يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية حدثنا اسمعيل بن عبد الله الكندي حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويزيدهم من فضله قال الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا وقال قتادة عن ابراهيم النخعي في قوله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا

علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره أجاهل انت مع علمه بجهله (نتربص به) باسناد الفعل الى جماعة المتكلمين وقرئ على البناء للمفعول نعت لشاعر وقد كانت العرب تحترز عن أذية الشاعر فقالوا الا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء (ريب المنون) أى صروف الدهر وحوادثه والمعنى ننتظر به حوادث الايام فيموت كما مات غيره أو يهلك كما هلك من قبله والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وسمي الدهر منونا لانه يقطع الاجل واطلاق الريب على الحوادث استعارة تصريحية شبهت بالريب أى الشك لانها لا تدوم ولا تبقى على حال كما انه كذلك قال الاخفش المعنى نتربص الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا أى الى زيد قال الاصمعي المنون واحد لا جمع له قال الفراء يكون واحدا وجمعا وقال الاخفش جمع لا واحد له قال ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا الى دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كأحدهم فأنزل الله في ذلك هذه الآية وقال ابن عباس ريب المنون الموت ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عنهم فقال (قل تربصوا) أى انتظروا موتي أو هلاكي أمر تهديد لا ايجاب أو ندب أو اباحة لان تربصهم هلاكه حرام لا محالة (فاني معكم من المتربصين) لموتكم أو هلاككم (أم تأمرهم احلامهم بهذا) أى بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض فان الكاهن هو المفرط في الفطنة والذكاء ودقة النظر والمجنون هو ذاهب العقل مغطى على فهمه فضلا عن أن تكون له فطنة وذكاء والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون قال الواحدي قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالاحلام والعقول فأزرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وفي القاموس الحلم بالكسر الأناة والعقل والجمع احلام وحلوم وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) أى بل أطغوا وجاوزوا الحد في العناد فقالوا ما قالوا وهذه الاضرابات من شيء الى شيء مع الاستفهام كما هو مدلول أم المنقطعة تدل على ما تعقبها أشنع مما تقدمها وأكثر جرأة وعنادا (أم يقولون تقوله) أى اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله والتقول لا يستعمل الا في الكذب في الغالب وان

الصالحات قال يشفعون في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعون في اخوان اخوانهم وقوله عز وجل والكافرون لهم عذاب شديد لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرا وبطرا وقال قتادة كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك وذكر قتادة حديث انما اخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة (118) الحياة الدنيا وسؤال السائل أيأتي الخير بالشر الحديث وقوله عز وجل ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو اعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروي ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي من بعد اياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم اليه كقوله عز وجل وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين وقوله جل جلاله وينشر رحمته اي يعم بها الوجود على اهل ذلك القطر وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا ان رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضي الله عنه مطرتم ثم قرأ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد أي هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم واخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) آي يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر خلق السموات والارض وما بث فيهما أي ذرأ فيهما اي في السموات والارض من دابة وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم وقد فرقهم في ارجاء أقطار السموات والارض ومع هذا كله هو على جمعهم اذا

كان أصله تكلف القول ومنه اقتال عليه ويقال اقتال عليه بمعنى تحكم عليه ثم أضرب سبحانه عن قوله تقوله وانتقل الى ما هو أشد شناعة عليهم فقال (بل لا يؤمنون) أي سبب صدور هذه الاقوال المتناقضة عنهم كونهم كفارا لا يؤمنون بالله ولا يصدقون ما جاء به رسوله استكبارا ثم تحداهم سبحانه وألزمهم الحجة فقال (فليأتوا بحديث) مختلق مفتعل (مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه وبديع أسلوبه قال الرازي والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل فليأتوا مطلقا بل قال (ان كانوا صادقين) فيما زعموا من قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله من عند نفسه وجاء به من جهته فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به مع انه كلام عربي وهم رؤس العرب وفصحاؤهم والممارسون بجميع الاوضاع العربية من نظم ونثر (أم خلقوا من غير شيء) أم هي المنقطعة كما تقدم فيما قبلها وكما سيأتي فيما بعدها أي بل أخلقوا على هذه الكيفية البديعة والصنعة العجيبة من غير خالق لهم قال الزجاج أي أخلقوا باطلا لغير شيء لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون وجعل من بمعنى اللام قال ابن كيسان أم خلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى أم خلقوا من غير أب ولا أم فهم كالجماد لا يفهمون ولا تقوم عليهم حجة (أم) أي بل أيقولون (هم الخالقون) لانفسهم فلا يؤمرون ولا ينهون مع انهم يقرون ان الله خالقهم واذا أقروا لزمتهم الحجة قال الجلال المحلي ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (ام خلقوا السموات والارض) وهم لا يدعون ذلك فلزمتهم الحجة ولهذا اضرب عن هذا وقال (بل لا يوقنون) اي ليسوا على يقين من الامر بل يخبطون في ظلمات الشك في وعد الله ووعيده والا لآمنوا بنبيه وهذا فيه مزيد تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم (أم عندهم خزائن ربك) أي خزائن أرزاق العباد وقيل مفاتيح الرحمة قال مقاتل يقول بايديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقال الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل مقدوراته وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها (ام هم المصيطرون)

يشاء قدير أى يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق وقوله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم اى مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فانما هى عن سيآت تقدمت لكم ويعفو عن كثير أى من السيآت فلا يجازيكم عليها بل يعفو عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة وفى الحديث الصحيح والذى نفسى بيده مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن الا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فامسك وقال يارسول الله انى أرى ماعملت من خير وشر فقال أرأيت مارأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة قال قال أبو ادريس فانى أرى مصداقها فى كتاب الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ثم رواه من وجه آخر عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال والاول أصح وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا الازهر بن راشد الكاهلى عن الخضر بن القواس البجلى عن ابن أبى سخيلة عن على رضى الله عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى احلم من ان يثنى عليه العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله تعالى أكرم من ان يعود بعد عفوه وكذا رواه الامام احمد عن مروان بن معاوية وعبدة عن ابن أبى سخيلة قال قال على رضى الله عنه فذكر نحوه مرفوعا ثم روى ابن أبى حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال حدثنا ابى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبى الوضاح عن أبى الحسن عن أبى جحيفة قال دخلت على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا أحدثكم بحديث ينبغى لكل مؤمن أن يعيه قال فسألناه فتلا هذه الآية وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال ماعاقب الله تعالى به فى الدنيا فالله أحلم من أن يثنى عليه

أى المسلطون الغالبون القاهرون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون مايشاؤن وقرئ بالسين من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه وقهره ولم يأت على مفيعل الا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم جبل وهو المحيمر قال فى الصحاح المسيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله وأصله من السطر لان الكتاب يسطر اى أهم الحفظة قال أبو عبيدة سطرت على أى اتخذتنى خولا لك قرئ المصيطرون بالصاد الخالصة وبصاد مشمة زايا (ام لهم سلم يستمعون فيه) أى بل ايقولون ان لهم سلما ومرقى مصعوبا الى السماء يصعدون به ويستمعون فيه كلام الملائكة ومايوحى اليهم ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى حتى تمكنهم منازعة النبى صلى الله عليه وسلم بزعمهم وهذا الزعم منهم على سبيل الفرض والتقدير ولم يقع منهم بالفعل لانهم لما كانوا على حالة المعاندة والمعارضة كأنهم ادعوا ذلك وقيل فى بمعنى على أى يستمعون عليه كقوله ولأصلبنكم فى جذوع النخل قاله الاخفش وقال أبو عبيد يستمعون به وقال الزجاج المعنى انهم كجبريل الذى يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى وقيل اى صاعدين فيه (فليأت مستمعهم) ان ادعى ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة ظاهرة واضحة بينة (ام له البنات) اى بل أتقولون لله البنات (ولكم البنون) سفه سبحانه احلامهم وضلل عقولهم وبخهم أى أيضيفون الى الله البنات وهى أضعف الصنفين ويجعلون لانفسهم البنين وهم أعلاهما وفيه اشعار بان من كان هذا رأيه فهو بمحل سافل فى الفهم والعقل فلا يستبعد منه انكار البعث وجحد التوحيد ثم رجع سبحانه الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أم تسألهم أجرا) أى بل أتسألهم أجرا يدفعونه اليك على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) أى من التزام غرامة تطلبها منهم (مثقلون) أى مجهودون بحملهم ذلك المغرم الثقيل ومتعبون ومغتمون من أثقله الحمل أتعبه لكن هذا الثقل معنوى لان العادة ان من غرم انسانا مالا يصير الغارم مغتما منه وكارها له فلا يسمع قوله ولا يتبعه قال قتادة يقول هل سألت هؤلاء القوم أجرا فجهدهم فلا يستطيعون الاسلام (أم عندهم الغيب) أى بل أيدعون أن عندهم الغيب وهو مافى اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات

العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة وقال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعني ابن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شئ يصيب المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله تعالى عنه به من سيا آته وقال أحمد أيضا حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا أبو أسامة عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال في قوله تبارك وتعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده فقال له بعضهم انا لنبأس لك لما نرى فيك قال فلا تبتئس بما ترى فان ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال قلت للعلاء بن بدر وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقد ذهب بصري وأنا غلام قال فبذنوب والديك وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ الضحاك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت بكسر ...يكم ويعفو عن كثير ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري الفلك فيه بأمره وهي الجواري في البحر كالاعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك أي هذه في البحر كالجبال في البر ان يشأ يسكن الريح أي التي

فالغيب بمعنى الغائب والالف واللام في الغيب بمعنى النوع لا للعهد ولا لتعريف الجنس فالمراد نوع الغيب وهذا الزعم فرضي اذ لم يقع منهم بالفعل لكنهم على حالة من المكابرة والمعارضة بحيث ينسب اليهم هذا الزعم قال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله ام عندهم الغيب حتى علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم (فهم يكتبون) ذلك بعد ما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب قال ابن قتيبة معنى يكتبون يحكمون بما يقولون (أم يريدون كيدا) أي مكرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيهلكونه بذلك المكر (فالذين كفروا) هذا من وقوع الظاهر موضع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل أم يريدون كيدا فهم (هم المكيدون) أي الممكور بهم المجزيون بكيدهم فضرر كيدهم يعود عليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله أو حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون فيه اندراجا أوليا لتوغلهم في هذه الصفة وكان هذا المكر والتحيل والكيد في دار الندوة وهي دار من دور أهل مكة والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة ثم أهلكهم الله تعالى ببدر عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من كلمة أم وهي خمس عشرة فان بدرا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة وأذلهم في غير موطن ومكر سبحانه بهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (أم لهم اله غير الله) أي بل أيدعون أن لهم الها غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم وهذا استفهام انكاري على معنى نفي الحصول من أصله أي ليس لهم في الواقع اله غير الله وعلى معنى نفي الانبغاء واللياقة بالنظر لاعتقادهم أن هنالك الهة غيره ثم نزه سبحانه نفسه عن هذه المقالة الشنعاء فقال (سبحان الله عما يشركون) ما يحتمل وجهين أحدهما أن تكون مصدرية ومعناه سبحانه عن اشراكهم ثانيهما خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان الله عن البنات والبنين وأن يكون عن مثل الالهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدون ثم ذكر سبحانه بعض جهالاتهم فقال (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشئ والمركوم المجعول بعضه على بعض قال الفراء من قرأ كسفا بكسر الكاف وسكون السين جعله واحدا ومن قرأ كسفا

تسير في البحر بالسفن لو شاء اسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء ان في ذلك لآيات لكل صبار أي في الشدائد شكور أي أن في تسخير البحر واجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون اليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار في الشدائد شكور في الرخاء وقوله عز وجل أو يوبقهن بما كسبوا أي ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها ويعفو عن كثير أي من ذنوبهم ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب في البحر وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا أي لو شاء لأرسل (١٢١) الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آبقة لا تسير على طريق ولا الى جهة مقصد وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للاول وهو انه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت ولكن من لطفه ورحمته انه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما انبت الزرع والثمار حتى أنه يرسل الى مثل بلاد مصر سيحا من أرض أخرى غيرها لانهم لا يحتاجون الى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم وقوله تعالى ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فانهم مقهورون بقدرتنا (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم

(١٦ - فتح البيان تاسع) ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فانما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة وما عند الله خير وأبقى أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي ولهذا قال تعالى للذين آمنوا أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا وعلى ربهم يتوكلون أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وقد قدمنا الكلام على الاثم والفواحش

بكسر الكاف وفتح السين جمع كسفة وهذا الكلام على سبيل الفرض والتقدير في المعلوم ان قريشا لم ينزل عليهم قطع من السماء تعذيبا لهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم كأنه يقول لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتركهم فقال (فذرهم) أي اتركهم وخل عنهم جواب شرط مقدر أي اذا بلغوا في الكفر والعناد الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي يوم موتهم أو يوم قتلهم ببدر وهو الظاهر قاله البقاعي أو يوم القيامة قرئ يلاقوا ويلقوا ويصعقون على البناء للمفعول وللفاعل عند السبعة فالاولى يحتمل ان تكون من صعق فهو مصعوق وان تكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي بضم الياء وكسر العين تؤذن بان افعل بمعنى فعل والصعقة الهلاك على ما تقدم بيانه (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) أي لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا (ولا هم ينصرون) أي ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع بل هو واقع بهم لا محالة (وان للذين ظلموا) أي لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (عذابا) في الدنيا (دون ذلك) أي غير عذاب يوم القيامة أي قبله وهو قتلهم يوم بدر وقال ابن زيد هو مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد وقال مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين وقيل عذاب القبر قبل يوم القيامة قاله ابن عباس وقيل المراد بالعذاب هو القحط والجوع قبل يوم بدر لانه كان في ثانية الهجرة والقحط وقع لهم قبلها والذي يأتي بعده هو قتلهم يوم بدر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون اليه من عذاب الله وما أعده لهم في الدنيا والآخرة (واصبر لحكم ربك) الى ان يقع بهم العذاب الذي وعدناهم به (فانك بأعيننا) أي بمرأى ومنظر منا وفي حفظنا وحمايتنا فلا تبال بهم قال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك فلا يصلون اليك وانما جمع لفظ الأعين مع ان مدلوله واحد وهو المصدر لمناسبة نون العظمة (وسبح بحمد ربك) أي نزه ربك عما لا يليق به متلبسا بحمد ربك على انعامه عليك أي قل سبحان الله وبحمده (حين تقوم) من مجلسك قال عطاء وسعيد وسفيان الثوري وأبو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه

في سورة الاعراف واذا ما غضبوا هم يغفرون أى من سجيتهم تقتضى الصفح والعفو عن الناس ليس من سجيتهم الانتقام من الناس وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات الله وفي حديث آخر كان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله تربت يمينه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن ابراهيم قال كان المؤمنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا وقوله عز وجل والذين استجابوا لربهم أى اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره وأقاموا الصلاة وهي أعظم العبادات لله عز وجل وأمرهم شورى بينهم أى لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى وشاورهم في الامر الآية ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الامر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم ومما رزقناهم ينفقون وذلك بالاحسان الى خلق الله الاقرب اليهم منهم فالاقرب وقوله عز وجل والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون أى فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الاذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وان كانوا مع هذا اذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم اليه وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل وقد التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحرث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو في يده صلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف من يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه وكذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن لبيد ابن الاعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن المرأة

فيقول سبحان الله وبحمده أو سبحانك اللهم وبحمدك عند قيامه من كل مجلس يجلسه وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع بن أنس حين تقوم الى الصلاة قال الضحاك يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وفيه نظر لان التكبير يكون بعد القيام لا حال القيام ويكون التسبيح بعد التكبير وهذا غير معنى الآية فالاول أولى وقيل المعنى صل لله حين تقوم من مقامك وبه قال أبو الجوزاء وحسان بن عطية وقال الكلبي وابن عباس واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر وعن أبي برزة الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بآخرة اذا قام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك فقال رجل يارسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون في المجلس أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وابن مردويه وابن أبي شيبة وأخرجه النسائي والحاكم عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك أخرجه ابن جرير والترمذي وقال حسن صحيح وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة وقيل حين تقوم من منامك عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استيقظ من نومه فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (ومن الليل فسبحه) أمره الله سبحانه ان يسبحه في بعض الليل حقيقة أيضا قال مقاتل أى صل المغرب والعشاء وقيل ركعتي الفجر وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال الركعتان قبل صلاة الصبح أخرجه ابن مردويه (وادبار النجوم) أى وقت ادبارها من آخر الليل وقيل صلاة الفجر واختاره ابن جرير وقيل هو التسبيح في أدبار الصلوات وقال ابن عباس ركعتا الفجر وقيل سنة الصبح قرئ ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر وبفتحها على الجمع أى أعقاب النجوم وأدبارها اذا غربت ودبر الامر آخره

وقد تقدم الكلام على هذا في سورة ق

(سورة النجم احدى أو اثنتان وستون آية)

وهي مكية جميعها في قول الجمهور وعن ابن عباس وعكرمة الا آية منها وهي قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية وقيل ان السورة كلها مدنية والصحيح هو الاول وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الناس كلهم الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف وعنه قال أول سورة استعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها والنجم وعن ابن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ والنجم فسجد بنا وأطال السجود وعن زيد بن ثابت قال قرأت والنجم عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد فيها أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والطيالسي وابن أبي شيبة وابن مردويه وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فلما هاجر الى المدينة تركها وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول الى المدينة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) هو الكوكب وسمي به لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن اذا طلع واللام لتعريف الجنس والمراد به جنس النجوم يعني نجوم السماء كلها حين تغرب أقسم الله بالنجوم اذا غابت وليس يمتنع ان يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع وبه قال جماعة من المفسرين وقيل المراد به الثريا وهو اسم غلب عليها تقول العرب النجم وتريد به الثريا وبه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان كانت في العدد نحو ما يقال انها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وقيل المراد بالنجم الشعرى المذكورة في قوله تعالى وانه هو رب الشعرى وقال السدي النجم هاهنا هو الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل النجم هنا النبت الذي لا ساق له كما في قوله والنجم

اليهودية وهي زينب اخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة التي سمت الذراع يوم خيبر فاخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قالت أردت ان كنت نبيا لم يضرك وان لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين وان انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق (١٢٣) أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) قوله تبارك وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وكقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فشرع العدل وهو القصاص وندب الى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ولهذا قال ههنا فمن عفا وأصلح فأجره على الله أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث وما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وقوله تعالى انه لا يحب الظالمين أي المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة ثم قال جل وعلا ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون زعموا انها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قالت أم المؤمنين رضي الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش رضي الله عنها فجعل صلى الله عليه وسلم يصنع بيده شيأ فلم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضي الله عنها تقحم لعائشة رضي الله عنها فنهاها فأبت ان تنتهي فقال لعائشة رضي الله عنها سبيها فسبتها فغلبتها وانطلقت زينب رضي الله عنها فأتت عليا رضي الله عنه فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لها انها حبة أبيك ورب الكعبة فانصرفت وقالت لعلي رضي الله عنه اني قلت له صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال كذا وكذا قال وجاء علي الى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه في ذلك هكذا أورد هذا السياق وعلي بن

نيدبن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء عن عبد الله البهي عن عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير اذن وهي غضبى ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك اذا قلبت لك ابنة أبي بكر درعيها ثم أقبلت علي فأعرضت عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس في فيها ما ترد علي شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه وهذا لفظ النسائي وقال البزار (١٢٤) حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو غسان حدثنا أبو الاحوص عن أبي حمزة عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر ورواه الترمذي من حديث أبي الاحوص عن أبي حمزة واسمه ميمون ثم قال لا نعرفه الا من حديثه وقد تكلم فيه من قبل حفظه وقوله عز وجل انما السبيل أي انما الحرج والعنت على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أي يبدؤن الناس بالظلم كما جاء في الحديث الصحيح المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم أولئك لهم عذاب أليم أي شديد موجع قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عثمان الشحام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فاذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلق بي الى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ما حاجتك يا أبا عبد الله قلت حاجتي ان استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدي قال ومن أخو بني عدي قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب اليه أما بعد فان استطعت ان لا تبيت الا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم فانك اذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ما حاجتك يا أبا عبد الله قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي قال نعم رواه ابن أبي حاتم ثم ان الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبا الى العفو والصفح ولمن صبر وغفر أي صبر على الاذى وستر السيئة فان ذلك لمن عزم الامور قال سعيد بن جبير يعني لمن حق الامور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الامور المشكورة

تفيد

والشجر يسجدان قاله الاخفش وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل النجم القرآن وسمي نجما لانه نزل منجما مفرقا والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق المنجم وبه قال مجاهد والفراء وغيرهما والاول أولى قال الحسن المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد بها النجوم التي ترجم بها الشياطين (اذا هوى) أي اذا انصب أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو استتر ومعنى هويه سقوطه من علو يقال هوى النجم يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقيل غروبه وقيل طلوعه والاول أولى وبه قال الاصمعي وغيره ويقال هوى في السير اذا مضى قال الراغب الهوي ذهاب في انحدار وفي ارتفاع وقيل هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل أو مصيره اليه وان لم يقصده ومعنى هوى على قول من فسر النجم بالقرآن انه نزل من أعلى الى أسفل وأما على قول من قال انه الشجر الذي لا ساق له أو انه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يظهر لهوى معنى صحيح وفي العامل في هذا الظرف أوجه وعلى كل منها اشكال ذكرها السمين لا نطول الكلام بذكرها هنا وجواب القسم قوله (ما ضل صاحبكم وما غوى) أي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق والهدى ولا عدل عنه والغي ضد الرشد أي ما صار غاويا ولا تكلم بالباطل وقيل ما خاب فيما طلب والغي الخيبة وبين الضلال والغي التباين الكلي فان الضلال فعل المعاصي والغي هو الجهل المركب وبتقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى والاول أولى وقيل وهو من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد وايضاحه ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد لا صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي وفي قوله صاحبكم اشارة بانهم المطلعون على حقيقة حاله وعبر بالصحبة لانها مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومحتجة عليهم باهماله في ادراره وهم يعرفون طهارة شمائله والخطاب لقريش قال ابن عباس أقسم الله ان ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم ولا غوى (وما ينطق عن الهوى) أي ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره فعن على بابها ومثل النطق الفعل وقال أبو عبيدة ان عن بمعنى الباء أي بالهوى وقال قتادة أي ما ينطق بالقرآن عن هواه (ان هو الا وحي يوحى) أي ما هذا الذي ينطق به من القرآن وكل أحواله وأقواله وأفعاله الا وحي من الله يوحيه اليه ويوحى صفة لوحي

والافعال الجيدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي حدثنا عبد الصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا أتاك رجل يشكو اليك رجلا فقل يا أخي اعف عنه فان العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له ان كنت تحسن ان تنتصر والا فارجع الى باب العفو فانه باب واسع فانه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الامور وقال الامام أحمد حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان (١٢٥) عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رجلا شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله انه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال انه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لاقعد مع الشيطان ثم قال يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله الا أعزه الله تعالى بها ونصره وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله عز وجل بها قلة وكذا رواه أبو داود عن عبد الاعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشير ابن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلا وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو سبب سبه (٣) للصديق رضي الله عنه (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة انه ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وانه من هداه فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له كما قال عز وجل ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثم قال عز وجل مخبرا

تفيد الاستمرار التجددي وتفيد نفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية كما تقول هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة والآية دليل على كون السنة المطهرة وحيا يوحى (علمه شديد القوى) جمع قوة والمعنى انه علمه جبريل الذي هو شديد قواه هكذا قال أكثر المفسرين وقال الحسن هو الله عز وجل والاول أولى وهو من باب اضافة الصفة الى الموصوف ومن شدة قوته انه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده أسرع من رجعة الطرف وهذه القوة ثابتة له ولو كان على صورة الآدميين (ذو مرة) أي قوة وشدة في الخلق وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقيل ذو حصافة عقل ومتانة رأي قال قطرب العرب تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة والتفسير للمرة بهذا أولى لان القوة والشدة قد أفادهما قوله شديد القوى قال الجوهري المرة احدى الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل وقال ابن عباس ذو خلق حسن وقيل منظر حسن وقيل قوة في العقل وحدة بحيث لا يدفعه عما يزاوله دافع ولا يسأم من شيء يزاوله فحصل الفرق بين القوة والمرة ومن جملة شدته وقوته قدرته على التشكل فلذلك قال (فاستوى) أي ارتفع جبريل وعلا الى مكانه في السماء بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم قاله سعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير وقيل معناه قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما يأتي الى الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ولم يره أحد من الانبياء على صورته التي خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى فاستوى القرآن في صدره صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه أو صدر جبريل حين نزل به وقيل المعنى اعتدل محمد في قوته أو في رسالته ذكره الماوردي وقيل المعنى ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج وقال الحسن فاستوى يعني الله عز وجل على العرش والاول أولى وقيل المعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك رآه عليها حتى سأله اياها على ما ذكرنا (وهو بالافق الاعلى) أي فاستوى جبريل حال كونه بالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وهو فوق

(٣) قوله وهو سبب سبه للصديق الخ كذا في النسخ وحرر اهـ

عن الظالمين وهم المشركون بالله لما رأوا العذاب أي يوم القيامة تمنوا الرجعة الى الدنيا يقولون هل الى مرد من سبيل كما قال جل وعلا ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عز وجل وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين من الذل أي الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى ينظرون من طرف خفي قال مجاهد يعني ذليل أي ينظرون اليها مسارقة خوفا منها والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة وما هو أعظم (١٢٦) مما في نفوسهم أجارنا الله من ذلك وقال الذين آمنوا أي يقولون يوم القيامة ان الخاسرين أي الخسار الأكبر الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أي ذهب بهم الى النار فعدموا لذتهم في دار الابد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم الا ان الظالمين في عذاب مقيم أي دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقوله تعالى وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله أي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ومن يضلل الله فماله من سبيل أي ليس له خلاص (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الاهوال والامور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله أي اذا أمر بكونه فانه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع وقوله عز وجل مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير أي ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه الا اليه يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى فان أعرضوا يعني المشركين فما أرسلناك عليهم حفيظا أي لست عليهم بمصيطر وقال عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال جل وعلا ههنا ان عليك الا البلاغ أي

جانب المغرب والافق ناحية السماء وجمعه آفاق قال قتادة ومجاهد هو الموضع الذي تطلع منه الشمس وكذا قال سفيان وقيل هو يعني جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى ليلة المعراج ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل رواه أحمد والطبراني وغيرهما وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح أخرجه أبو الشيخ وابن جرير وأحمد وعن ابن عباس قال الافق الاعلى مطلع الشمس (ثم دنا) جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى أي قرب من الارض (فتدلى) أي فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى فدنا قاله ابن الانباري وغيره قال الزجاج معنى دنا فتدلى واحد أي قرب وزاد في القرب كما تقول دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز قال الفراء الفاء في فتدلى بمعنى الواو والتقدير تدلى جبريل ودنا ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا أن تقدم أيهما شئت قال الجمهور والذي دنا فتدلى هو جبريل وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى الى ربه والمعنى دنا منه أمره وحكمه والاول اولى وقيل ومن قال ان الذي استوى هو جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى عنده ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه دنو كرامة فتدلى أي هوى للسجود وبه قال الضحاك وعن ابن عباس قال دنا ربه فتدلى والتدلي هو النزول بقرب الشئ (فكان) مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم أو ما بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه تعالى (قاب) أي قدر (قوسين) عربيين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار ذكره معناه في الصحاح قال الزمخشري وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان قال بعضهم أراد قابي قوس فقلبه وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فأخبر ان جبريل قرب من محمد كقرب

انما كلفناك ان تبلغهم رسالة الله اليهم ثم قال تبارك وتعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها أى اذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك وان تصبهم يعنى الناس سيئة أى جدب ونقمة وبلاء وشدة فان الانسان كفور أى يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف الا الساعة الراهنة فان أصابته نعمة أشر وبطر وان أصابته محنة يئس وقنط كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء يا معشر النساء تصدقن فانى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة ولم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم تركت يوما (١٢٧) قالت ما رأيت منك خيرا قط وهذا حال أكثر النساء الا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالمؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد الا للمؤمن (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) يخبر تعالى انه خالق السموات والارض ومالكهما والمتصرف فيهما وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا أى يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام ويهب لمن يشاء الذكور أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا أى ويعطى لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والانثى أى من هذا وهذا قال البغوى كمحمد صلى الله عليه وسلم ويجعل من يشاء عقيما أى لا يولد له قال البغوى كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا واناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لا نسل له ولا ولد له انه عليم أى بمن يستحق كل قسم من هذه الاقسام قدير أى على ما يشاء من تفاوت الناس فى ذلك وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام ولنجعله آية للناس أى دلالة على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى وحواء عليها السلام

كقرب قاب قوسين قال الزجاج أى فيما تقدرون أنتم والله سبحانه عالم بمقادير الاشياء ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو اسحق الهمدانى وأبو وائل شقيق بن سلمة فكان قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شئ وهى لغة بعض الحجازيين وقيل هى لغة أزدشنوءة والقوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس والجمع قسى وأقواس والقوس أيضا بقية التمر فى الجلة أى الوعاء والقوس برج فى السماء وقال الكسائى أراد قوسا واحدة أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود فى هذه الآية قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح وعنه قال فى الآية دنا جبريل منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين وبه قال ابن عباس والحسن وعائشة وقتادة وقال ابن عباس القاب القيد والقوسين الذراعين وعن أبى سعيد قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم اقترب من ربه فكان قاب قوسين أو أدنى ألم تر الى القوس ما أقربها من الوتر وعن أنس ودنا الجبار رب العزة حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية عن سلمة عن ابن عباس وفيه جهالة وقال الضحاك نحو ما قال أنس (أو أدنى) أو بمعنى الواو وقيل بمعنى بل والاول أولى كقوله أو يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين فى رأى الرائى أى لتقارب ما بينهما يشك الرائى فى ذلك وأدنى أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف أى أو أدنى من قاب قوسين أو أدنى من ذلك وروى لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورة الآدمى سأله عند الافق الاعلى ان يراه على صورته التى خلق عليها فأراه فرآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان بحراء فسد الافق الى المغرب فخر مغشيا عليه فدنا منه قربا زائدا وضمه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه (فأوحى الى عبده) اى فأوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم بتعليم من الله لا من عند نفسه (ما أوحى) فيه تفخيم للوحى الذى اوحى اليه والوحى القاء الشئ بسرعة ومنه الوحاء وهو السرعة والضمير فى عبده يرجع الى الله كما فى قوله ما ترك على ظهرها من دابة وقيل المعنى فأوحى الله الى عبده جبريل وبالاول قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة وقيل فأوحى الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أبهم الله سبحانه ما أوحاه جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم

من ذكر بلا أنثى وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى ولنجعله آية للناس فهذا المقام في الآباء والمقام الأول في الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (١٢٨) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقوله تعالى أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا كذا جاء الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا وقوله عز وجل أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنه علي حكيم فهو علي عليم خبير حكيم وقوله عز وجل وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا يعني القرآن ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ولكن جعلناه أي القرآن نورا نهدي به من نشاء من عبادنا كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى الآية وقوله تعالى وإنك أي يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم وهو الخلق القويم ثم فسره بقوله تعالى صراط الله أي شرعه الذي أمر به الله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ألا إلى الله تصير الأمور أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا

أو ما أوحاه الله إلى عبده جبريل أو إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبينه لنا فليس لنا أن نتعرض لتفسيره وقال سعيد بن جبير الذي أوحاه الله إليه هو ألم نشرح لك صدرك الخ وألم يجدك يتيما فآوى الخ وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك وقيل إن ما للعموم لا للإبهام والمراد كل ما أوحى به إليه والحمل على الإبهام أولى لما فيه من التعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره ليلة المعراج رؤية حقيقية يقال كذبه إذا قال له الكذب ولم يصدقه قال المبرد معنى الآية أنه رأى شيئا فصدق به قرئ ما كذب مخففا وبالتشديد وهما سبعيتان وما في ما رأى موصولة أو مصدرية قال ابن مسعود في الآية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلة رفرف خضر قد ملأ ما بين السماء والأرض أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه والبيهقي وغيرهم وبه قالت عائشة وقيل هو الله عز وجل رآه بعين رأسه وقيل بقلبه وقيل جعل بصره في فؤاده والكلام على هذه المسألة مستوفى في موطنه وقد تكلم عليه القاضي عياض في الشفاء والخفاجي في شرحه والقسطلاني في شرح المواهب اللدنية والنووي وقال والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه انتهى قال سليمان الجمل وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمة وهو الذي يرجع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر فأخبره بأنه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم أر وإنما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تبارك وتعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص (أفتمارونه على ما يرى) قرئ من المماراة وهي المجادلة والملاحاة وقرئ أفتمرونه أي أفتجحدونه واختار أبو عبيد الثانية قال لأنهم لم يماروه وإنما جحدوه يقال مراه حقه أي جحده ومريته أنا أي جحدته قال المبرد يقال

أمراه

كبيرا *(تفسير سورة الزخرف وهى مكية)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين) يقول تعالى حم والكتاب المبين اى البين الواضح الجلى المعانى والالفاظ لانه نزل بلغة العرب التى هى افصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى انا جعلناه أى أنزلناه قرآنا عربيا أى بلغة العرب فصيحا واضحا لعلكم تعقلون أى تفهمونه (١٢٩) وتتدبرونه كما قال عزوجل بلسان عربى مبين وقوله تعالى وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم بين شرفه فى الملا الاعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الارض فقال تعالى وانه أى القرآن فى أم الكتاب اى اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد لدينا أى عندنا قاله قتادة وغيره لعلى اى ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة حكيم اى محكم برىء من اللبس والزيغ وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة ولهذا استنبط العلماء رضى الله عنهم من هاتين الآيتين ان المحدث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث ان صح لان الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن فى الملا الأعلى فاهل الارض بذلك اولى واحرى لانه نزل عليهم وخطابه متوجه اليهم فهم احق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم والانقياد له بالقبول والتسليم لقوله تعالى وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم وقوله عزوجل افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف المفسرون فى معناها فقيل معناها اتحسبون ان نصفح عنكم فلم نعذبكم ولم تفعلوا ما امرتم به قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابو صالح والسدى واختاره ابن جرير وقال قتادة فى قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جدا وحاصله انه يقول فى معناه انه تعالى من لطفه ورحمته

أمراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه وقيل على بمعنى عن وقرئ أفتمرونه بضم التاء من أمريت اى أتريبونه وتشكون فيه قال جماعة من المفسرين المعنى على الاول أفتجادلونه وذلك انهم جادلوه حين أسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس أى فتجادلونه جحدا الاترومون به دفعه عما شاهده وعلمه وقال ما يرى ولم يقل ما رأى على حكاية الحال الماضية استحضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين (ولقد رآه نزلة أخرى) اللام هى الموطئة للقسم أى والله لقد رآه والنزلة المرة من النزول أى رأى جبريل نازلا نزلة أخرى أو رآه رؤية اخرى ونصب نزلة على الظرف او المصدرية او الحالية وبالاول قال الزمخشرى وهو مذهب الفراء نقله عنه مكى وبالثانى قدر أبو البقاء وبالثالث قال الحوفى وابن عطية قال جمهور المفسرين المعنى انه رأى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام مرة اخرى فى صورة نفسه وذلك ليلة المعراج وقيل رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه مرة اخرى بفؤاده وقيل بعينه اخرج مسلم والطبرانى وغيرهما عن ابن عباس فى الآية قال رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه بقلبه مرتين وأخرج نحوه عنه الترمذى وحسنه وعن انس قال رأى محمد ربه وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وعنه لقد رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل وعنه قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد روى نحو هذا عنه من طرق وأخرج مسلم والترمذى وابن مردويه عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وعنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نورا أخرجه مسلم وابن مردويه وعنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره أخرجه النسائى وابن المنذر وغيرهما قال صاحب التحرير والحجج فى المسئلة وان كانت كثيرة لكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون الخ وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به وعن أنس نحوه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل فى المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسئلة فاخبره انه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لانها لم تخبر أنها سمعت النبى

ﷺ لا يترك دعاءهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن وان كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر به ليهتدي من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه وآمرا له بالصبر عليهم وكم أرسلنا من نبي في الاولين أي في شيع الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن أي يكذبونه ويسخرون به وقوله تبارك وتعالى فاهلكنا أشد منهم بطشا أي فاهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل أفلم يسيروا في الارض فينظروا (١٣٠) كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة والآيات في ذلك كثيرة وقوله جل جلاله ومضى مثل الاولين قال مجاهد سنتهم وقال قتادة عقوبتهم وقال غيرهما عبرتهم أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين ان يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وكقوله جلت عظمته سنة الله التي قد خلت في عباده وقال عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم أي ليعترفن بان الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الاصنام والانداد ثم قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا أي فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع انها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا وهكذا وجعل لكم فيها سبلا أي طرقا بين الجبال والاودية لعلكم تهتدون أي في سيركم من بلد الى بلد وقطر الى قطر واقليم الى اقليم والذي نزل من السماء ماء بقدر أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لانفسكم ولانعامكم وقوله تبارك وتعالى فأنشرنا به بلدة ميتا أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت

صلى الله عليه وسلم يقول لم أره وانما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية وقوله لا تدركه الابصار واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز لاحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي انتهى (عند سدرة المنتهى) لما أسري به في السموات قاله الجلال المحلي ومن المعلوم ان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر أو بثلاث سنين على الخلاف والرؤية الاولى كانت في بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين والسدرة هي شجرة النبق قال مقاتل تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهلها وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد والنبق بكسر الموحدة ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الاصلاح وهي لغة البصريين والاولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السدرة هي في السماء السادسة كما في الصحيح وروي انها في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى مكان الانتهاء أو مصدر ميمي والمراد به الانتهاء نفسه قيل اليه ينتهي علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها وقيل ينتهي اليها ما يعرج به من الارض وقيل تنتهي اليها أرواح الشهداء وقيل غير ذلك واضافة الشجرة الى المنتهى من اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان أو من اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وأن الى ربك المنتهى واختلف لم سميت سدرة المنتهى على ثمانية أقوال ذكرها القرطبي وغيره وعن ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهو في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج من الارواح فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم (عندها جنة المأوى) اى عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة المأوى وهي عن يمين العرش وسميت بها لانه أوى اليها آدم وقيل ان أرواح

المؤمنين

وأنبتت من كل زوج بهيج ثم نبه باحياء الارض على احياء الاجساد يوم المعاد بعد موتها فقال كذلك تخرجون ثم قال عز وجل والذى خلق الازواج كلها أى مما تنبت الارض من سائر الاصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها وجعل لكم من الفلك أى السفن والانعام ما تركبون أى ذللها لكم وسخرها ويسرها لا كلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا لتستووا على ظهوره أى لتستووا متمكنين مرتفقين على ظهوره أى على ظهور هذا الجنس ثم تذكروا نعمة ربكم أى فيما سخر لكم اذا (١٣١) استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أى مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والسدى وابن زيد مقرنين اى مطيقين وانا الى ربنا لمنقلبون أى لصائرون اليه بعد مماتنا واليه سيرنا الاكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوى على الزاد الاخروى فى قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وباللباس الدنيوى على الاخروى فى قوله تعالى وريشا ولباس التقوى ذلك خير (ذكر الاحاديث الواردة عند ركوب الدابة) حديث أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبى اسحق عن على بن ربيعة قال رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى ثم ضحك فقلت له مم ضحكت يا أمير المؤمنين فقال رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده اذا قال رب اغفر لى ويقول علم عبدى انه لا يغفر الذنوب غيرى وهكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى الاحوص زاد النسائى ومنصور عن أبى اسحق السبيعى عن على بن ربيعة الاسدى الوالبى به وقال الترمذى حسن صحيح وقد قال عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة قلت لابى اسحق السبيعى ممن سمعت هذا الحديث قال من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته فقال من رجل

المؤمنين تأوى اليها وقيل يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل يصير اليها المتقون وقرئ جنة بالرفع على الابتداء وقرئ جنه فعلا ماضيا من جن يجن أى ضمه المبيت أو ستره ايواء الله له قال الاخفش أدركه كما تقول جنه الليل أى ستره وأدركه قال ابن مسعود الجنة فى السماء السابعة العليا والنار فى الارض السابعة السفلى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) الغشيان بمعنى التغطية والستر وبمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين أى يأتينى وفى ابهام الموصول وصلته من التفخيم والتكثير للغواشى ما لا يخفى فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلالته أشياء لا يحيط بها الوصف ولا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها جراد من ذهب وقال ابن مسعود فراش من ذهب قال الرازى وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر والافلا وجه له وقيل طوائف من الملائكة وقال مجاهد رفرف أخضر وقيل رفرف من طيور خضر وقيل غشيها أمر الله وقيل نور الخلائق وقيل نور رب العزة والمجئ بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة أو للدلالة على الاستمرار التجددى (ما زاغ البصر) أى ما مال بصر النبى صلى الله عليه وسلم عما رآه ولم يلتفت الى ما غشى السدرة من فراش الذهب وغيره هذا بالنظر لكون الذى غشيها هو فراش من الذهب وبالنظر لكونه أنوار الله لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها مع ان ذلك العالم غريب عن بنى آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر (وما طغى) أى ما جاوز ما رأى وفى هذا وصف أدب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ولم يمده الى غير ما رأى وقيل ما جاوز ما أمر به (لقد رأى) أى والله لقد رأى تلك الليلة (من آيات ربه الكبرى) أى العظام ما لا يحيط به الوصف قيل رأى رفرفا سد الافق وقيل رأى جبريل فى حلة خضراء كما تقدم وقيل عجائب الملكوت وقال الضحاك رأى سدرة المنتهى وقيل هو كل ما رآه فى مسراه تلك الليلة وعوده ومن للتبعيض ومفعول رأى الكبرى أو رأى شيأ عظيما من آيات ربه أو من زائدة ولما قص الله سبحانه هذه الاقاصيص قال للمشركين موبخا لهم ومقرعا (أفرأيتم اللات والعزى) اى أخبرونى عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل أوحت اليكم شيأ كما أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم أم هى جمادات لا تعقل ولا تنفع وقال أبو السعود الهمزة للانكار والفاء

نهمن علي بن ربيعة وتعرورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الاسدى عن علي بن ربيعة الوالبي به حديث عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عبدالله عن علي بن أبي طلحة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال مامن امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت الا أقبل الله عليه عزوجل فضحك اليه كما ضحكت اليك (١٣٢) تفرد به أحمد حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبدالله البارقي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع الى أهله قال آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج والترمذى من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن عمرو ابن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعى قال حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابل من ابل الصدقة الى الحج فقلنا يا رسول الله مانرى ان تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم مامن بعير الا فى ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها اذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله عزوجل أبو لاس اسمه محمد بن الاسود بن خلف حديث آخر فى معناه قال أحمد حدثنا عتاب أخبرنا عبدالله ح وعلى بن اسحق أخبرنا عبدالله يعنى ابن المبارك أخبرنا اسامة بن زيد أخبرنى محمد بن حمزة انه سمع أباه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله عزوجل ثم لاتقصروا عن حاجاتكم (وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤنه تعالى المنافية لها غاية المنافاة والمعنى أعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمته واحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملا الاعلى وماتحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وذلتها شركاء الله على ماتقدم من عظمته (ومناة الثالثة الاخرى) ذكر هذه الاصنام الثلاثة التى اشتهرت فى العرب وعظم اعتقادهم فيها قال الواحدى وغيره وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وهى تأنيث الاعز بمعنى العزيزة ومناة من منى الله الشئ اذا قدره وقرئ اللات بتخفيف التاء وهى مأخوذة من اسم الله وقيل أصله لات يليت فالتاء أصلية وقيل هى زائدة وأصله لوى يلوى لانهم كانوا يلوون أعناقهم اليها أو يلتوون ويعتكفون عليها ويطوفون بها وقرئ اللات بتشديد التاء فقيل هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل فى الاصل غلب على هذا الرجل وقال مجاهد كان رجلا فى رأس جبل له غنيمة يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وقال الكلبى كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم وقيل انه عامر بن الظرب العدوانى قال فى الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطائف وقيل بعكاظ وقيل بنخلة ورجح ابن عطية الاول وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء قال ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج أخرجه البخارى وغيره والالف واللام فى اللات زائدة لازمة وقال أبو البقاء ليست بزائدة وهو غلط والعزى من العز وهى تأنيث الاعز وهى اسم صنم لقريش وبنى كنانة قال مجاهد هى شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها فبعث اليها النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وقيل كانت شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة وقال سعيد بن جبير العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه وقال قتادة هى بيت كان ببطن نخلة وعن ابن عباس ان العزى كانت ببطن نخلة وان اللات كانت بالطائف وان مناة كانت بقديد ومناة صنم بنى هلال وقال ابن هشام صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة كانت للانصار وقرئ مناة بالف من دون همزة وبالمد والهمزة فالاولى اشتقاقها من منى يمنى أى صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك اليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء وقيل هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء

بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه فى جعلهم بعض الانعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر الله عزوجل عنهم فى سورة الانعام فى قوله تبارك وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء (١٣٣) ما يحكمون وكذلك جعلوا له من قسمى البنات والبنين اخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال جل وعلا ههنا وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ثم قال جل وعلا ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وهذا انكار عليهم غاية الانكار ثم ذكر تمام الانكار فقال جلت عظمته واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اى اذا بشر احد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الانفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون انتم من ذلك وتنسبونه الى الله عزوجل ثم قال سبحانه وتعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين اى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلى منذ تكون طفلة واذا خاصمت فلا عبارة لها بل هى عاجزة عيية اومن يكون هكذا ينسب الى جناب الله العظيم فالانثى ناقصة الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى وما فى معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب * وما الحلى الا زينة من نقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا * وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى ان يزورا * وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت ماهى بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة وقوله تبارك وتعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى اعتقدوا فيهم ذلك فانكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال أشهدوا خلقهم اى شاهدوه وقد خلقهم الله اناثا ستكتب شهادتهم اى بذلك ويسئلون عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم اى لو أراد الله لحال

وبالهاء قال فى الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهى لغة والثالثة الاخرى وصف لمناة وصفها بانها ثالثة وبانها أخرى والثالثة لا تكون الا أخرى قال أبو البقاء فالوصف بالاخرى للتأكيد وقد استشكل وصف الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف به الثانية فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير والتقدير أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل ان وصفها بالاخرى لقصد التعظيم لانها كانت عند المشركين عظيمة وقيل ان ذلك للتحقير والذم وان المراد المتأخرة الوضيعة المقدار كما فى قوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وهذا للزمخشرى وقال ابن عادل وفيه تطرلان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شئ من ذلك فلقرينة خارجية ثم كرر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها فقال (ألكم الذكر وله الانثى) اى كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور قيل وذلك قولهم ان الملائكة بنات الله وقيل المراد كيف تجعلون اللات والعزى ومناة وهى اناث فى زعمكم شركاء لله ومن شأنهم ان يحتقروا الاناث ثم ذكر سبحانه ان هذه التسمية والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة فقال (تلك اذا قسمة ضيزى) قرئ بياء ساكنة بغير همزة وبهمزة ساكنة والمعنى انها قسمة خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق قال الاخفش يقال ضاز فى الحكم اى جار وضازه حقه يضيزه ضيزا أى نقصه وبخسه قال وقد يهمز وقال الكسائى ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزا اذا تعدى وظلم وبخس وانتقص قال الفراء وبعض العرب يقول ضئزا بالهمز وعن أبى زيد انه سمع العرب تهمز ضيزى قال البغوى ليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت انما تكون فى الاسماء مثل ذكرى وشعرى قال المؤرج كرهوا ضم الضاد فى ضيزى وخافوا انقلاب الياء واوا وهى من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا فى جمع الابيض بيض وكذا قال الزجاج وقيل هى مصدر كذكرى فيكون المعنى قسمة ذات جور وظلم قال ابن عباس ضيزى جائرة لا حق فيها وقيل عوجاء غير معتدلة ثم رد سبحانه عليهم بقوله (ان هى الا أسماء) اى ما الاوثان أو الاصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة الا أسماء محضة ليس فيها شئ من معنى الالوهية التى تدعونها لانها لا تبصر

يتناولون عبادة هذه الاصنام التى هى على صور الملائكة التى هى بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطأ احدها جعلهم لله تعالى ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا الثانى دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الثالث عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا اذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والاهواء والتقليد للاسلاف والكبراء والآباء والخبط فى الجاهلية الجهلاء الرابع احتجاجهم بتقديره على ذلك قدرا وقد جهلوا فى هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى (١٣٤) قد انكر ذلك عليهم اشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وانزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال عز وجل واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال جل وعلا فى هذه الآية بعد ان ذكر حجتهم هذه مالهم بذلك من علم اى بصحة ما قالوه واحتجوا به ان هم الا يخرصون أى يكذبون ويتقولون وقال مجاهد فى قوله تعالى مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يعنى ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى منكرا على المشركين فى عبادتهم السابعة
غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة أم آتيناهم كتابا من قبله اى من قبل شركهم فهم به مستمسكون اى فيما هم فيه اى ليس الامر كذلك كقوله عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اى لم يكن ذلك ثم قال تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والاجداد بانهم كانوا على امة والمراد بها الدين ههنا وفى قوله تبارك وتعالى وان هذه أمتكم امة واحدة وقولهم وانا على آثارهم اى وراءهم مهتدون دعوى منهم بلا دليل

ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع فليست الا مجرد أسماء وقيل ان قوله هى راجع الى الاسماء الثلاثة المذكورة والاول أولى (سميتموها أنتم وآباؤكم) قلدتم فيها الآخر الاول وتبع فى ذلك الابناء الآباء وفى هذا من التحقير لشأنها مالا يخفى كما تقول فى تحقير رجل ماهو الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة ومثل هذه الآية قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم يقال سميته زيدا وسميته بزيد فقوله سميتموها صفة لاسماء والضمير يرجع الى الاسماء لا الى الاصنام أى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء ليشير الكلام ان هناك أسماء مجردة لا مسميات لها قطعا (ما أنزل الله بها من سلطان) أى من حجة ولا برهان قال مقاتل لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون انها آلهة ثم أخبر عنهم بقوله (ان يتبعون) بالتحتية وقرئ بالفوقية أى ما تتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها وفيه التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم الى غيرهم (الا الظن الذى) لا يغنى من الحق شيأ وهو ظن انها تستحق العبادة وبهذا تبين ان العطف فى قوله (وما تهوى الانفس) للمغايرة أى ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو الحق الذى يجب اتباعه ومن اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافى لا يعد انسانا ولا يعتد به (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان الواضح الظاهر بالكتاب المنزل والنبى المرسل بأنها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار والجملة اعتراض أو حال من فاعل يتبعون وأيا ما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسل وانزال الكتب أقبح (أم للانسان ما تمنى) أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة التى للانكار فاضرب عن اتباعهم الظن الذى هو مجرد التوهم وعن اتباعهم هوى النفس وما تميل اليه وانتقل الى انكار أن يكون لهم ما يتمنون من كون الاصنام تنفعهم وتشفع لهم وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى وقيل قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ثم علل انتفاء أن يكون للانسان ما تمنى بقوله (فلله الآخرة والاولى) أى ان أمور الآخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل فليس لهم معه أمر من الامور ومن جملة ذلك أمنياتهم الباطلة واطماعهم

ثم بين جل وعلا ان مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها اشباههم ونظراؤهم من الامم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون وهكذا قال ههنا وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ثم قال عز وجل قل اي يا محمد لهؤلاء المشركين أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله قال الله تعالى فانتقمنا منهم اى من الامم المكذبة بانواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اى كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الانبياء الذي تنتسب اليه قريش في نسبها ومذهبها انه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه اى هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا اله الا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي فيه بها من هداه الله تعالى من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام لعلهم يرجعون أي اليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه يعني لا اله الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وروى نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن زيد كلمة الاسلام وهو يرجع الى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا بل متعت هؤلاء يعني

الفارغة ثم أكد ذلك وزاد في ابطال ما يتمنونه فقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ) كم هنا هي الخبرية المفيدة للتكثير ولهذا جمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك فلفظها مفرد ومعناها جمع والمعنى الاقناط مما علقوا به والتوبيخ لهم عما يتمنونه ويطمعون فيه من شفاعة الاصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع الا لمن أذن ان يشفع له فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله (الا من بعد أن يأذن الله) لهم بالشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) بالشفاعة لكونه من أهل التوحيد وليس للمشركين في ذلك حظ ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة على الوجه الذي بينته الرسل وهم الكفار يضمون الى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء وهي انهم (ليسمون الملائكة) المنزهين عن كل نقص (تسمية الانثى) وذلك انهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فزعموا انها بنات الله فجعلوهم اناثا وسموهم بنات (وما لهم به من علم) أي والحال انهم غير عالمين بما يقولون فانهم لم يعرفوهم ولا شاهدوهم ولا بلغ اليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر المخبرون عنها بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة وقرئ وما لهم بها أي بالملائكة أو التسمية ومن زائدة في المبتدا المؤخر (ان يتبعون الا الظن) أي ما يتبعون في هذه المقالة الا مجرد الظن والتوهم وقال النسفي هو تقليد الآباء ثم أخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أي ان جنس الظن لا يغني عن العلم شيأ من الاغناء ومن بمعنى عن والحق هنا العلم وفيه دليل على ان مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وان الظان غير عالم وهذا في الامور التي يحتاج فيها الى العلم وهي المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظن وهي المسائل العملية وقد قدمنا تحقيق هذا ولا بد من هذا التخصيص فان دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية فالعمل بها عمل بالظن وقد وجب علينا العمل في هذه الامور فكانت أدلة وجوب العمل بها فيها مخصصة لهذا العموم وما ورد في معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهي عن اتباعه وفي الكرخي الظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما

المشركين وآباءهم أى فتطاول عليهم العمر فى ضلالهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين أى بين الرسالة والنذارة ولما جاءهم الحق قالوا هـذا سحر وانا به كافرون أى كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والرواح كفرا وحسدا وبغيا وقالوا أى كالمعترضين على الذى أنزله تعالى وتقدس لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير فى أعينهم من القريتين يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والسدى وابن زيد وقد ذكر غير واحد منهم قتادة انهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة (١٣٦) وعروة بن مسـعود الثقفى وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدى يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عروة الثقفى وعن مجاهد يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفى وعنه أيضا انهم يعنون عتبة ابن ربيعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما جبارا من جبابرة قريش وعنه رضى الله عنهما انهم يعنون الوليد ابن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف وقال السدى عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفى والظاهر ان مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان قال الله تبارك وتعالى رادا عليهم فى هـذا الاعتراض أهم يقسمون رحمة ربك أى ليس الامر مردودا اليهم بل الى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها الا على أزكى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا ثم قال عز وجل مبينا انه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الاموال والارزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا الآية وقوله جلت عظمته ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا فى الاعمال لاحتياج هـذا الى هذا وهذا الى هـذا قاله السدى وغيره وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وهو راجع الى الاول ثم قال عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون أى رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الاموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة اى لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة ان اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لاجل المال هـذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغيرهم لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا

العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها كمسائل علم الفقه وقال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغنى فى الاعتقادات شيأ وأما فى الافعال العرفية أو الشرعية فان الظن فيها يتبع عند عدم الوصول الى اليقين (فأعرض عمن تولى) أى أعرض (عن ذكرنا) المراد بالذكر هنا القرآن أو ذكر الآخرة أو ذكر الله على العموم وقيل المراد به هنا الايمان والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت اليهم ما أمرت به وليس عليك الا البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازى وأكثر المفسرين يقولون ان كل ما فى القرآن من قوله فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطـل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة (ولم يرد الا الحياة الدنيا) أى لم يرد سواها ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها فانه غير متأهل للخير ولا مستحق للاعتناء بشأنه ثم صغر سبحانه شأنهـم وحقر أمرهـم فقال (ذلك) أى التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (هو مبلغهم من العلم) ليس لهم علـم غيره ولا يلتفتون الى سواه من أمر الدين قال الفراء أى ذلك قدر عقولهـم ونهاية علمهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل الاشارة بقوله ذلك الى جعلهم الملائكة بنات الله وتسميتهـم لهم تسمية الانثى والاول أولى والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك الذى يندرج تحته الظن الفاسد والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن وقيل معترضة بين المعلل والعلة وهى قوله (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) فان هـذا تعليل للامر بالاعراض والمعنى انه سبحانه وتعالى أعلم بمن حاد عن الحق وأعرض عنه ولم يهتد اليه وأعلم بمن اهتدى فقبـل الحق وأقبل اليه وعمـل به فهو مجاز كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارشاد له بأنه لا يتعب نفسه فى دعوة من أصر على الضلالة وسبقت له الشقاوة فان الله قد علم حال هـذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد وتكرير قوله هو أعـلم لزيادة التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين ثم أخـبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال (ولله ما فى السموات وما فى الارض) أى هو المالك لذلك والمتصرف فيه لا يشاركه فيه أحد (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) من الشرك وغيره اللام متعلقة بما دل عليه الكلام كأنه قال هو مالك ذلك يضـل من يشاء ويهدى من يشاء ليجزى المسىء باساءته والمحسن باحسانه وقيل ان قوله ولله ما فى السموات الخ جملة معترضة والمعـنى هو

أعلم

من فضة ومعارج أى سلالم ودرجا من فضة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى وابن زيد وغيرهم عليها يظهرون أى يصعدون ولبيوتهم أبوابا أى اغلاقا على أبوابهم وسررا عليها يتكئون أى جميع ذلك يكون فضة وزخرفا أى وذهبا قاله ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد ثم قال تبارك وتعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى انما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى اى يعجل لهم بحسناتهم التى يعملونها فى الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح وورد فى حديث آخر (١٣٧) لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أسنده البغوى من رواية زكريا بن منظور عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبرانى من طريق زمعة بن صالح عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شيأ ثم قال سبحانه وتعالى والآخرة عند ربك للمتقين أى هى لهم خاصة لا يشاركهم فيها احد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد اليه فى تلك المشربة لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال أوفى شك أنت يا ابن الخطاب ثم قال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا وفى رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وفى الصحيحين أيضا وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فانها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة وانما خولهم الله تعالى فى الدنيا لحقارتها كما روى الترمذى وابن ماجه من طريق ابى حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أبدا قال الترمذى حسن صحيح (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال

أعلم بمن ضل وهو أعلم بمن اهتدى ليجزى وقيل هى لام العاقبة لا التعليل أى وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسىء ان يجزى الله كلا منهما بعمله وبه صرح الواحدى والزمخشرى وقال مكى ان اللام متعلقة بقوله لا تغنى شفاعتهم وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى قرئ ليجزى بالتحتية وبالنون (ويجزى الذين أحسنوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال (الذين) أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) قرأ الكبائر على الجمع وكبير على الافراد والكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار أو ما عين له حدا أو ذم فاعله ذما شديدا ولاهل العلم فى تحقيق الكبائر كلام طويل وكما اختلفوا فى تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا فى عددها (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه وهو من عطف الخاص على العام قال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقيل الكبائر الشرك والفواحش الزنا وقد قدمنا فى سورة النساء ما هو أبسط من هذا وأكثر فائدة وقال ابن عباس الكبائر ما سمى الله فيه النار والفواحش ما كان فيه حد الدنيا (الا اللمم) أى الا ما قل وصغر من الذنوب والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش قال السمين وهذا هو المشهور ويجوز ان يكون متصلا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر وأصل اللمم فى اللغة ما قل وصغر ومنه ألم بالمكان قل لبثه فيه وألم بالطعام قل أكله منه قال المبرد أصل اللمم ان يلم بالشئ من غير ان يرتكبه يقال ألم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه قال الازهرى العرب تستعمل الالمام فى معنى الدنو والقرب قال الزجاج أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال ألممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا لماما والماما أى الحين بعد الحين ومنه المام الخيال قال فى الصحاح ألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وقد اختلف أقوال أهل العلم فى تفسير هذا المذكور فى الآية فالجمهور على انه صغائر الذنوب وقيل هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة وكالكذب الذى لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك فى الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب فى المصيبة والتبختر فى المشى

المبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) يقول تعالى ومن يعش أي يتعامى ويتغافل ويعرض عن ذكر الرحمن والعشى في العين ضعف بصرها والمراد ههنا عشى البصيرة نقيض له شيطانا فهو له قرين كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وكقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وكقوله جل جلاله وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم (١٣٨) ما بين أيديهم وما خلفهم الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه الى صراط الجحيم فاذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وكل به قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقرأ بعضهم حتى اذا جاآنا يعني القرين والمقارن قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريري قال بلغنا ان الكافر اذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى الى النار فذلك حين يقول ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين والمراد بالمشرقين ههنا هو ما بين المشرق والمغرب وانما استعمل ههنا تغليبا كما يقال القمران والعمران والابوان قاله ابن جرير وغيره ثم قال تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون أي لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الاليم وقوله جلت عظمته أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين أي ليس ذلك اليك انما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العادل في ذلك ثم قال تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم وملكه ما تضمنته صياصيهم هذا معنى قول السدي واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا قتادة فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فقال ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه صلى

والجلوس بين الفساق ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة المسجد اذا كان يغلب تنجيسهم له واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة ونحو ذلك ذكره الخطيب وغيره وقيل هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة وابن عباس وبه قال مجاهد والحسن والزهري ومنه

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

واختار هذا القول الزجاج والنحاس وقيل هو ذنوب الجاهلية فان الله لا يؤاخذ بها في الاسلام وبه قال زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال نفطويه هو ان يأتي بذنب لم يكن له به عادة قال والعرب تقول ما تأتينا الا الماما أي في الحين قال ولا يكون ان يلم ولا يفعل لان العرب لا تقول ألم بنا الا اذا فعل لا اذا هم ولم يفعل والراجح الاول أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وعن ابن مسعود في قوله الا اللمم قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وعن أبي هريرة انه سئل عن قوله الا اللمم قال هي النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبي وعن ابن عباس فيه قال الا اللمم الا ما قد سلف وعنه قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها وعن أبي هريرة قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود فذلك الالمام وعن ابن عباس ايضا قال اللمم كل شئ بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلاة وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حد الآخرة فكل شئ ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص اللمم دون الشرك (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر قال الكرخي عقب به ما سبق لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى وقال غيره الجملة تعليل لما تضمنه الاستثناء أي ان ذلك وان خرج عن حكم المؤاخذة فليس بخلوه عن كونه ذنبا يفتقر الى مغفرة الله ويحتاج الى رحمته

الله عليه وسلم في امته شيأ يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط الا وقد رأى العقوبة في أمته الا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته من بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضا وفي الحديث النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ثم قال عز وجل فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه هو الحق وما (١٣٩) يهدي اليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم الموصل الى جنات النعيم والخير الدائم المقيم ثم قال جل جلاله وانه لذكر لك ولقومك قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه وأورد الترمذي ههنا حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا ينازعهم فيه أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين رواه البخاري ومعناه انه شرف لهم من حيث انه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغي ان يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الاولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه وانه لذكر لك ولقومك أي لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكقوله تبارك وتعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وسوف تسئلون أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له وقوله سبحانه وتعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أي جميع الرسل دعوا الى ما دعوت الناس اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الاصنام والانداد كقوله جلت عظمته ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قال مجاهد في قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واسئلهم ليلة الاسراء فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام

رحمته بل لسعة المغفرة الربانية وقيل انه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه وأناب وعن عمر وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام يعني مع التوبة ولا صغيرة مع الاصرار قلت وفي كون الاصرار على الصغيرة كبيرة اختلاف بين أهل العلم قال النووي في المنهاج وشرط العدالة اجتناب الكبائر والاصرار على صغيرة قال في تحفة المحتاج قيل عطف الاصرار من عطف الخاص على العام وفيه نظر لان الاصرار لا يصير الصغيرة كبيرة حقيقة وانما يلحقها في الحكم ولا ينافي هذا قول كثيرين كابن عباس ونسب للمحققين كالاشعري وابن فورك والاستاذ أبي اسحق انتهى وفي الزواجر عن اقتراف الكبائر نقلا عن الرافعي أما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن الشرط ان لا يصر عليها فان أصر كان الاصرار كارتكاب الكبيرة انتهى والحاصل ان المعتمد وفاقا للكثير من المتأخرين كالاذرعي والبلقيني والزركشي وابن العماد وغيرهم انهم لا تضر المداومة على نوع من الصغائر ولا على أنواع سواء كان مقيما على الصغيرة أو الصغائر أو مكثرا من فعل ذلك حيث غلبت الطاعات المعاصي والا ضر ثم رأيت ابن العماد قال ما نقله الاسنوي عن الرافعي من ان الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة ليس كذلك ولم يذكر الرافعي هذه العبارة قال البلقيني المراد عدم غلبة الصغائر على الطاعة وفسر القاضيان الماوردي والطبري الاصرار في قوله تعالى ولم يصروا بأن لم يعزموا على ان لا يعودوا اليه وقضيته حصول الاصرار بالعزم على العود بترك العزم على عدم العود ويوافقه قول ابن الصلاح الاصرار التلبس بضد التوبة باستمرار العزم على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به في حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وليس لزمن ذلك وعدده حصر وقال ابن عبد السلام الاصرار ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك وكذلك اذا اجتمعت صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر انتهى والصواب في هذا الباب ما ذكره القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله في ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ونصه قد قيل ان الاصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به وانما هي مقالة لبعض الصوفية فانه قال لا صغيرة مع الاصرار وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثا ولا يصح ذلك بل الحق ان الاصرار حكمه حكم ما أصر عليه والاصرار على الصغيرة

جعوا الله واختار ابن جرير الاول والله اعلم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه الى فرعون وملئه من الامراء والوزراء والقادة والاتباع والرعايا من القبط وبنى اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم (١٤٠) عن عبادة ما سواه وانه بعث معه آيات عظاما كيده وعصاه وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ومن نقص الزروع والانفس والثمرات ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها وما تأتيهم من آية الا هى أكبر من أختها ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخبالهم وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون الى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له فى العبارة بقولهم يا أيها الساحر أى العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة ولم يكن السحر فى زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لان الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وانما هو تعظيم فى زعمهم ففى كل مرة يعدون موسى عليه السلام ان كشف عنهم هذا ان يؤمنوا ويرسلوا معه بنى اسرائيل وفى كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز في
الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده انه جمع قومه ونادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى

صغيرة والاصرار على الكبيرة كبيرة انتهى ويفهم من ذلك أيضا ان الاصرار على الكبيرة ليس كفرا ثم التوبة عن الكبيرة وان كانت واجبة عينا فورا بنصوص الكتاب والسنة واجماع الامة لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة أيضا كما دلت عليه السنة المطهرة واختاره محققو أهل الحديث ثم ذكر سبحانه احاطة علمه باحوال عباده فقال (هو أعلم بكم) أى باحوالكم وتفاصيل أموركم (اذ) حين (أنشأكم من الارض) أى خلقكم منها فى ضمن خلق أبيكم آدم وحين ما صوركم فى الارحام وقيل المراد آدم فانه خلقه من طين (واذ أنتم أجنة) أى هو أعلم باحوالكم وقت كونكم أجنة وهى جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن سمى بذلك لاجتنانه أى لاستتاره فى بطن أمه ولهذا قال (فى بطون أمهاتكم) فلا يسمى من خرج عن البطن جنينا والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها عن ثابت بن الحرث الانصارى قال كانت اليهود اذا هلك لهم صبى صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله فى بطن أمها الا انه شقى أو سعيد فانزل الله عند ذلك هذه الآية أخرجه الطبرانى وغيره (فلا تزكوا أنفسكم) اى لا تمدحوها ولا تثنوا عليها خيرا ولا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وحسن الاعمال واهضموها فان ترك تزكية النفس أبعد من الرياء وأقرب الى الخشوع قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل لا تزكوها رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى أخرج أحمد ومسلم وأبو داود عن زينب بنت أبى سلمة انها سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم الله أعلم باهل البر منكم سموها زينب وقال المحلى فى الآية وهذا النهى على سبيل الاعجاب واما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (هو أعلم بمن اتقى) مستأنفة مقررة للنهى أى فانه يعلم المتقى منكم وغيره قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم آدم فمن جاهد نفسه وخلصت منه التقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا وهو الذى ينتفع بها ويثاب عليها وقيل نزلت

من تحتى قال قتادة قد كانت لهم جنات وأنهار ماء أفلا تبصرون أى أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك يعنى وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى وقوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين قال السدى يقول بل أنا خير من هذا الذى هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة ان أم ههنا بمعنى بل ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء انه قرأها أما أنا خير من هذا الذى هو مهين قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الامصار فانهم قرؤا أم أنا خير من هذا الذى (١٤١) هو مهين على الاستفهام قلت وعلى كل تقدير فانما يعنى فرعون لعنه الله بذلك انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب فى قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله التابعة الى يوم القيامة ويعنى بقوله مهين كما قال سفيان حقير وقال قتادة والسدى يعنى ضعيف وقال ابن جرير يعنى لا ملك له ولا سلطان ولا مال ولا يكاد يبين يعنى لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيى حصر قال السدى لا يكاد يبين أى لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدى وابن جرير يعنى عيى اللسان وقال سفيان يعنى فى لسانه شئ من الجمرة حين وضعها فى فيه وهو صغير وهذا الذى قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وانما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ينظر الى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء فى صورة يبهر أبصار ذوى الالباب وقوله مهين كذب بل هو المهين الحقير خلقة وخلقا ودينا وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد وقوله ولا يكاد يبين افتراء أيضا فانه وان كان قد أصاب لسانه فى حال صغره شئ من جهة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك فى قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وبتقدير أن يكون قد بقى شئ لم يسأل ازالته كما قاله الحسن البصرى وانما سأل زوال ما يحصل معه الابلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التى ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها وفرعون وان كان يفهم وله عقل فهو يدرى هذا وانما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله فلولا ألقى عليه اسورة من ذهب وهى ما يجعل فى الايدى من الحلى قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وغير واحد أو جاء معه الملائكة مقترنين اى يكنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه نظرا الى الشكل

فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا ثم لما بين الله سبحانه وتعالى جهالة المشركين على العموم خص بالذم بعضهم فقال (أفرأيت الذى تولى) عن الخير وأعرض عن اتباع الحق (وأعطى قليلا) اى أعطى عطاء قليلا أو شيأ قليلا من المال المسمى (وأكدى) منع الباقى وقطع ذلك وأمسك عنه مأخوذ من الكدية وهى الصلابة يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ فيها الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد أكدى ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتم ولمن طلب شيأ فلم يبلغ آخره قال الكسائى وأبو زيد ويقال كديت أصابعه اذا مجلت من الحفر وكدت يده اذا كلت ولم تعمل شيأ وكدت الارض اذا قل نباتها وأكديت الرجل عن الشئ رددته وأكدى الرجل اذا قل خيره قال الفراء معنى الآية أمسك عن العطية وقطع وقال المبرد منع منعا شديدا وقال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين فترك ورجع الى شركه قال مقاتل كان الوليد يمدح القرآن ثم أمسك عنه فاعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه وقال الضحاك نزلت فى النضر بن الحرث وقال محمد بن كعب القرظى نزلت فى أبى جهل قال ابن عباس أكدى قطع نزلت فى العاص بن وائل وعنه قال أطاع قليلا ثم انقطع (أعنده علم الغيب فهو يرى) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى أعند هذا المكدى علم ما غاب عنه من أمر العذاب فهو يعلم ذلك قال مقاتل وهو الوليد بن المغيرة وعليه الاكثر وقال السدى انه العاص ابن وائل السهمى أو ابو جهل كما قاله محمد بن كعب وهذا الخلاف فيمن تولى وأعطى وأكدى واما الذى عيره وضمن له ان يحمل عنه العذاب فلم يذكروا تعيينه (ام لم ينبأ) اى ألم يخبر ولم يحدث (بما فى صحف موسى) يعنى أسفاره وهى التوراة او صحف قبلها (و) بما فى صحف (ابراهيم الذى وفى) اى تمم واكمل ما امر به قال المفسرون اى بلغ قومه ما أمر به وأداه وقيل بالغ فى الوفاء بما عاهد الله عليه عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قوله وابراهيم الذى وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات كان يصليهن وزعم انها صلاة الضحى أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم قال السيوطى ضعيف وفى اسناده جعفر بن الزبير وهو ضعيف وعن سهل بن معاذ ابن أنس عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى

الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما تطرق اليه لو كان يفهم ولهذا قال تعالى فاستخف قومه فأطاعوه أي استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له انهم كانوا قوما فاسقين قال الله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما آسفونا أسخطونا وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابن لهيعة (١٤٢) عن عقبة بن مسلم التجيبي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له ثم تلا صلى الله عليه وسلم فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضي الله عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضي الله عنه فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وقوله سبحانه وتعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قال أبو مجلز سلفا لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد ومثلا أي عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد

وفي انه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الآية أخرجه ابن أبي حاتم وفي اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وعن ابن عباس قال سهام الاسلام ثلاثون سهما لم يتممها أحد قبل ابراهيم قال الله وابراهيم الذي وفى وعنه قال يقول ابراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان قبل ابراهيم وموسى يؤخذ الرجل بجريرة غيره وأول من خالفهم ابراهيم ثم بين سبحانه ما في صحفهما فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر الخ وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الانعام (وان ليس للانسان الا ما سعى) وهذا أيضا من جملة ما في صحف موسى وابراهيم والمعنى ليس له الا أجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع أحدا عمل أحد وهذا العموم مخصوص بمثل قوله سبحانه والحقنا بهم ذريتهم وبمثل ما ورد في شفاعة الانبياء والملائكة للعباد ومشروعية دعاء الاحياء للاموات ونحو ذلك ولم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بمثل هذه الامور فان الخاص لا ينسخ العام بل يخصصه فكلما قام الدليل على ان الانسان ينتفع به وهو من غير سعيه كان مخصصا لما في هذه الآية من العموم وتعقب أيضا بانها خبر ولا نسخ في الاخبار وبأنها على ظاهرها والدعاء من الولد دعاء من الوالد من حيث انتسابه للولد وبانها مخصوصة بقوم ابراهيم وموسى لانها حكاية لما في صحفهم وأما هذه الامة فلها ما سعت هي وما سعى لها غيرها المناسب ان لكل نبي وصالح شفاعة وهو انتفاع بعمل الغير ولغير ذلك ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز ان تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وحينئذ فالظاهر ما قلنا ان الآية عامة قد خصصت بأمور كثيرة قال ابن عباس في الآية فأنزل الله بعد ذلك والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الآية فأدخل الله الابناء الجنة بصلاح الآباء وكان ابن عباس اذا قرأ هذه الآية استرجع واستكان وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وقيل هو من باب العدل وأما من باب الفضل

وعكرمة والضحاك والسدى يضحكون أى أعجبوا بذلك وقال قتادة يجزعون و يضحكون وقال ابراهيم النخعى يعرضون وكان السبب فى ذلك ماذكره محمد بن اسحق فى السيرة حيث قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون الآيات ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن (١٤٣) الزبعرى التميمى حتى جلس فقال الوليد ابن المغيرة له والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وعيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله ابن الزبعرى ورأوا انه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته فانزل الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون أى عيسى وعزيرا ومن عبد معهما من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أى يصدون عن أمر لذلك من قوله ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة أى ما وضع على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم وذكر ابن جرير من رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال يعنى قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب

فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وقيل هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة وانما هو فى صحف موسى وابراهيم قال شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثالثها لاهل الكبائر فى الخروج من النار وهذا انتفاع بسعى الغير رابعها ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادى عشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الآخر على بن ابى طالب وانتفع بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير ثانى عشرها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات كما جاء فى الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة على الميت والدعاء له فى الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال

لتجدهم أنتم لها واردون الى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذاك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى بن عقيل الانصاري قال قال ابن عباس رضي الله عنهما لقد علمت آية من القرآن ماسألني عنها رجل قط ولا ادري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا ان لانكون سألناه (١٤٤) عنها فقلت أنا لها اذا راح غدا فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس ان آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها فقلت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال رضي الله عنه نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير وقد علمت قريش ان النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألست تزعم ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فان كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال فانزل الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قلت مايصدون قال يضحكون وانه لعلم للساعة قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الانصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير فقالوا له ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقال مجاهد في قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قالت قريش انما يريد محمد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عليه السلام ونحو هذا قال قتادة وقوله وقالوا أآلهتنا خير أم هو قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى ماضربوه لك الا جدلا أي مراء وهم يعلمون انه ليس بوارد على الآية لانها لما لا يعقل وهي قوله تعالى انكم وما تعبدون من

تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الخ وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الخ فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها حادي عشريها ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله مالا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة انتهى كلامه رحمه الله (وأن سعيه سوف يرى) أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة ويبصره في الآخرة في ميزانه من غير شك (ثم يجزاه) أي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله فالضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب على سعيه وقيل على الجزاء المتأخر وهو قوله (الجزاء الاوفى) فيكون هو مفسرا له ويجوز أن يرجع الى الجزاء الذي هو مصدر يجزاه وقواه السفاقسي ويجعل الجزاء الاوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما في قوله اعدلوا هو أقرب للتقوى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما (وأن الى ربك المنتهى) أي المرجع والمصير اليه سبحانه لا الى غيره فيجازيهم باعمالهم هذا كله في الصحف الاولى والخطاب عام أو النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عن ابي بن كعب في هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لافكرة في الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو الخالق لذلك والقاضي بسببه قال الحسن والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أضحك من شاء في الدنيا بان سره وأبكى من شاء بان غمه وهذا على ان كلا من الفعلين حذف مفعوله وقال سهل بن عبد الله أضحك المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط وقيل أضحك المؤمن في العقبى بالمواهب وابكاهم في الدنيا بالنوائب وقيل خلق الفرح والحزن وقيل ان الفعلين من الافعال اللازمة كقوله والله يحيي ويميت وهذا يدل على ان مايعمل الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء (وانه هو أمات وأحيي) أي قضى أسباب الموت والحياة ولا يقدر على ذلك غيره وقيل خلق نفس الموت والحياة كما في قوله خلق الموت والحياة وقيل أمات الآباء واحيي الابناء وقيل أمات في الدنيا وأحيي للبعث وقيل المراد بهما النوم واليقظة وقال عطاء

أمات

أمات بعدله وأحيى بفضله وقيل أمات الكافر وأحيى المؤمن كما في قوله أو من كان ميتا فأحييناه (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) من كل حيوان وهذا أيضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق أنثى ولا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله لا بفعل الطبيعة وفيه رد على الطبائعيين القائلين بالبرد والرطوبة في الانثى فرب امرأة أحر وأيبس مزاجا من الرجل (من نطفة) مني ولا يدخل في ذلك آدم وحواء فانهما لم يخلقا من النطفة والنطفة الماء القليل (اذا تمنى) اى تصب في الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبي والضحاك وعطاء بن ابي رباح وغيرهم يقال منى الرجل يمني وأمنى اى صب المنى وقال أبو عبيدة اذا تمنى اذا تقدر يقال منيت الشئ اذا قدرته ومني له اذا قدر له (وان عليه النشأة الاخرى) اى اعادة الارواح الى الاجسام عند البعث وفاء بوعده فانه قال انا نحن نحيي ونميت لا بحكم العقل ولا الشرع قرئ النشأة بالقصر بوزن الضربة وبالمد بوزن الكفالة سبعيتان وهما على القراءتين مصدران (وانه هو أغنى وأقنى) اى أغنى من شاء وافقر من شاء ومثله قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقوله يقبض ويبسط قاله ابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد وقتادة والحسن اغنى مول وأقنى أخدم وقيل معنى أقنى أعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال أي أصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل معنى أقنى أرضى بما أعطى اى أغناه ثم أرضاه بما أعطاه قال الجوهري قني الرجل يقنى مثل غني يغنى ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت له مالا كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا دخلت عليه الهمزة والتضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه أي أكسبه اياه وأقناه أرضاه والقناء الرضا قال أبو زيد تقول العرب من أعطى مائة من البقر فقد أعطى القنى ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى الغنى ومن أعطى مائة من الابل فقد أعطى المنى وقال الاخفش وابن كيسان أقنى أفقر وهو يؤيد القول الاول وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى وأرضى وقيل أقنى زاد فوق الغنى وحذف مفعول أغنى وأقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده وكذلك باقيها (وأنه هو رب الشعرى) هي كوكب يطلع خلف الجوزاء في شدة الحر والمراد به هنا الشعرى التي يقال لها العبور وهي أشد ضياء من الشعرى التي يقال لها الغميصاء وانما

دون الله حصب جهنم ثم هي خطاب لقريش وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين ان مقالتهم انما كانت جدلا منهم ليسوا يعتقدون صحتها وقد قال الامام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أورثوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه الا من حديثه كذا قال وقد روى من وجه آخر عن أبي امامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حمد بن عياش الرملي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن الشامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا ادري رفعه أم لا قال ما ضلت أمة بعد نبيها الا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر وما ضلت أمة بعد نبيها الا أعطوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ما ضل قوم قط الا أوتوا الجدل ثم تلا صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقوله تعالى ان هو الا عبد أنعمنا عليه يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو الا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل أي دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على ما نشاء وقوله عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم أي بدلكم ملائكة في الارض يخلفون قال السدي يخلفونكم فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضكم بعضا وهذا القول يستلزم الاول وقال مجاهد يعمرون الارض بدلكم وقوله سبحانه وتعالى وانه لعلم للساعة تقدم تفسير ابن اسحق ان المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الاسقام وفي هذا نظر

وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير فى وانه عائد على القرآن بل الصحيح انه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق فى ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى وانه لعلم للساعة أى أمارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وانه لعلم للساعة أى آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وأبى العالية وأبى مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا وقوله تعالى فلا تمترن بها أى لا تشكوا فيها انها واقعة وكائنة لا محالة واتبعونى أى فيما أخبركم به هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان أى عن اتباع الحق انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة إى بالنبوة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال ابن جرير يعنى من الامور الدينية لا الدنيوية وهذا الذى قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال

تراك أمكنة اذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على انه أراد جميع النفوس قال ابن جرير وانما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذى قاله محتمل وقوله عز وجل فاتقوا الله أى فيما أمركم به وأطيعونى فيما جئتكم به ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى أنا وأنتم عبيد له فقراء اليه مشتركون فى على عبادته وحده لا شريك له هذا صراط مستقيم أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده وقوله سبحانه وتعالى فاختلف الاحزاب من بينهم أى اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه منهم من يقر بانه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعى أنه ولد الله ومنهم من يقول انه الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال تعالى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف

ذكر سبحانه انه رب هو الشعرى مع كونه ربا لكل الاشياء للرد على من كان يعبدها وأول من عبدها وسن عبادتها ابو كبشة وكان من أشراف العرب وذلك لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ابى كبشة تشبيها له به لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة وكان من أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمه ومن ذلك قول أبى سفيان عند دخوله على هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة قال ابن عباس فى الآية هو الكوكب الذى يدعى الشعرى وعنه قال نزلت هذه الآية فى خزاعة وكانوا يعبدون الشعرى وهو الكوكب الذى يتبع الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا (وانه اهلك عاد الاولى) وصف عادا بالاولى لكونهم كانوا من قبل ثمود قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانهم اول امة اهلكت بعد نوح وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالصرصر والاخرى بالصيحة وقيل عاد الاولى قوم هود أهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم بن عوص بن سام بن نوح (و) اهلك (ثمود) كما اهلك عادا (فما أبقى) أحدا من الفريقين وثمود هم قوم صالح عليه السلام أهلكوا بالصيحة وقد تقدم الكلام على عاد وثمود فى غير موضع (و) أهلك (قوم نوح) بالغرق (من قبل) أى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم) من عاد وثمود (وأطغى) منهم أو أظلم واطغى من جميع الفرق الكفرية أو أظلم واطغى من مشركى العرب وانما كانوا كذلك لانهم عتوا على الله بالمعاصى مع طول مدة دعوة نوح لهم كما فى قوله فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقيل لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ويغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) الائتفاك الانقلاب والمؤتفكة مدائن قوم لوط عليه السلام وسميت المؤتفكة لانها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها تقول أفكته اذا قلبته ومعنى (أهوى) أى أسقط أى أهواها جبريل الى الارض بعد أن رفعها الى السماء مقلوبة الى الارض قال المبرد جعلها تهوى (فغشاها ما غشى) أى ألبسها ما ألبسها من الحجارة المنضودة المسومة التى وقعت عليها كما فى قوله فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وفى هذه العبارة تهويل للامر الذى غشاها به وتعظيم له وقيل ان الضمير راجع الى جميع الامم المذكورة أى فغشاها من العذاب ما غشى

نعليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) يقول تعالى هل ينظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أي فانها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين فاذا جاءت انما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم وقوله تعالى الاخلاء يومئذ (١٤٧) بعضهم لبعض عدو الا المتقين أي كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة الا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني اني ملاقيك اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيرا وبكيت قليلا قال ثم يموت الآخر فتجتمع ارواحهما فيقال ليثن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت علي قال فيموت الكافر الآخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل رواه ابن أبي حاتم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة الا المتقين وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن احمد عن هشام

علي اختلاف أنواعه (فبأي آلاء ربك تتمارى) هذا خطاب للانسان المكذب أي فبأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وقدرته أيها الانسان المكذب تتشكك وتمتري وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعريضا لغيره فهو من باب الالهاب والتهييج والتعريض بالغير وعن ابن عباس انه للوليد بن المغيرة وقيل لكل من يصلح له قال ابن عادل الصحيح العموم لقوله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا قلت ولقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قيل اسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وهو الآلاء المتمارى فيها قلت لا حاجة الى هذا التكلف لان التفاعل مجرد عن التعدد في الفاعل والفعل للمبالغة في الفعل وسمى هذه الامور المذكورة آلاء أي نعما مع كون بعضها نقما لا نعما لانها مشتملة على العبر والمواعظ ويكون فيها انتقام من العصاة وفي ذلك نصرة للانبياء والصالحين قرئ تمارى من غير ادغام وبادغام احدى التاءين في الاخرى (هذا نذير من النذر الاولى) أي هذا محمد رسول اليكم من الرسل المتقدمين قبله فانه أنذركم كما أنذروا قومهم كذا قال ابن جرير ومحمد بن كعب وغيرهما وقال قتادة يريد القرآن وانه أنذر بما أنذرت به الكتب الاولى وقيل هذا الذي أخبرنا به عن أخبار الامم تخويف لهذه الامة من أن ينزل بهم ما نزل باولئك كذا قال أبو مالك وقال أبو صالح ان الاشارة بقوله هذا الى ما في صحف موسى وابراهيم والاول أولى قال ابن عباس هذا نذير أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل والتنوين للتفخيم على جميع التقادير المتقدمة (أزفت الآزفة) أي قربت الساعة ودنت سماها آزفة لقرب قيامها وقيل لدنوها من الناس كما في قوله اقتربت الساعة أخبرهم بذلك ليستعدوا لها قال في الصحاح أزفت الآزفة يعني القيامة وأزف الرجل عجل قال ابن عباس الآزفة من أسماء القيامة واللام فيه للعهد لا للجنس لئلا يخلو الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل ولدا قيل ان الآزفة علم بالغلبة للساعة هنا وفيه نظر لان وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة في قربه كما يدل عليه الافتعال في اقتربت الساعة فتأمل (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس أو حال قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله سبحانه وقيل كاشفة بمعنى انكشاف والهاء فيها كالهاء في العاقبة والداهية وقيل كاشفة بمعنى كاشف والهاء للمبالغة كراوية وعلامة

ونسابة والاول أولى والمعنى انه لا يقدر على كشفها اذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها أحد غير الله كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم وقيل ليس لها نفس مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو ثم وبخهم سبحانه فقال (أفمن هذا الحديث تعجبون) المراد بالحديث القرآن أى كيف تعجبون منه تكذيبا (وتضحكون) منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء (ولا تبكون) خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد الشديد عن صالح أبى الخليل قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفى لفظ فما رؤى النبى صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا (وأنتم سامدون) لاهون غافلون عما يطلب منكم مستأنفة أو تقرير لما قبلها أو حالية والسمود الغفلة والسهو عن الشئ والاعراض واللهو وقيل الجمود وقيل الاستكبار وقال فى الصحاح سمد سمودا رفع رأسه تكبرا فهو سامد وقال ابن الاعرابى السمود اللهو والسامد اللاهى يقال للقينة اسمدينا أى الهينا بالغناء وقال المبرد سامدون خامدون وقال مجاهد غضاب مبرطمون والبرطمة الاعراض وقيل اشرون بطرون وقيل ساهون لاهون غافلون لاعبون وقال ابن عباس لاهون معرضون عنه وعنه قال هو الغناء باليمانية وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال أبو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدى لنا أى غنى وقال كانوا يمرون على النبى صلى الله عليه وسلم شامخين ألم تر الى البعير كيف يخطر شامخا وعن أبى خالد الوالبى قال خرج على بن أبى طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال ما لكم سامدون لا أنتم فى صلاة ولا أنتم فى جلوس تنتظرون (فاسجدوا لله) لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له أى اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله (واعبدوا) فانه المستحق لذلك منكم وهو من عطف العام على الخاص أى ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وهذا إنما يؤخذ من لام الاختصاص ومن السياق وقد تقدم فى فاتحة السورة أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد عند تلاوة هذه الآية وسجد معه الكفار فيكون المراد بها سجود التلاوة وقيل سجود الفرض

ابن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافى حدثنا حكيم بن نافع عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رجلين تحابا فى الله احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذى احببته فىّ وقوله تبارك وتعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ثم بشرهم فقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أى آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم قال المعتمر بن سليمان عن ابيه اذا كان يوم القيامة فان الناس (١٤٨) حين يبعثون لا يبقى احد منهم الا فزع فينادى مناديا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فييأس الناس منها غير المؤمنين ادخلوا الجنة اى يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم أى نظراؤكم تحبرون أى تتنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها فى سورة الروم يطاف عليهم بصحاف من ذهب أى زبادى آنية الطعام وأكواب وهى آنية الشراب أى من ذهب لا خراطيم لها ولا عرى وفيها ما تشتهى الانفس وقرأ بعضهم تشتهيه الانفس وتلذ الاعين أى طيب الطعم والريح حسن المنظر قال عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرنى اسمعيل بن ابى سعيد قال ان عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد يفسح له فى بصره مسيرة مائة عام فى قصور من ذهب وخيام لؤلؤ ليس فيها موضع شبر الا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة الا فيها لون

لا ينقص ذلك مما أوتى شيأ وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحى حدثنى عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه ان أبا امامة رضى الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر الجنة فقال والذى نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها فى فيه ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذى فى فيه على الذى اشتهى ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها

خالدون وقال الامام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز ثنا أبو الاشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه الا قال من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره ومن الاشربة ثلثمائة اناء في كل اناء لون ليس في الآخر وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه ليقول رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وان له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الارض وقوله تعالى وأنتم فيها أي في الجنة خالدون أي لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولا ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون أي أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله اياكم فانه لا يدخل أحدا عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وانما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الاعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم ثنا الفضل بن شاذان المقرى ثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيكون له شكرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة وذلك قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة أي من جميع الانواع منها تأكلون أي مما اخترتم وأردتم ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة والله تعالى أعلم (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)

(سورة القمر ويقال سورة اقتربت)

وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وقال ابن عباس اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه قال البيهقي منكر وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة رفعه من قرأ اقتربت الساعة في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر أخرجه ابن الضريس وهي خمس وخمسون آية وهي مكية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل الا ثلاث آيات من قوله أم يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة أدهى وأمر قال القرطبي ولا يصح وقيل الا سيهزم الجمع الآية وعن ابن عباس انها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وجميع آيات السورة فواصلها على الراء الساكنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) أي قربت (١) ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية الى ما مضى من الدنيا قريبة ويمكن أن يقال انها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة فكل آت قريب (وانشق القمر) أي وقد انشق القمر وانفلق وكذا قرأ حذيفة بزيادة قد والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف قال الواحدي وجماعة المفسرين على هذا الا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه قال وانما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لان انشقاقه من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة قال ابن كيسان في الكلام تقديم وتأخير أي انشق القمر واقتربت الساعة وحكى القرطبي عن الحسن مثل قول عطاء أنه الانشقاق الكائن يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله سبحانه ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وأين ذلك قال الرازي قال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد لا معنى له لان من منع ذلك وهو الفلسفي خذله الله يمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوزه لا يحتاج الى التأويل بل ثم رد على المانع وقال والقرآن أدل دليل

(١) اشارة الى ان افتعل المشتمل على الزوائد بمعنى فعل المجرد وأتى بالمزيد للمبالغة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اهـ منه

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الاشقياء فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم أى ساعة واحدة وهم فيه مبلسون أى آيسون من كل خير وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين أى بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ونادوا يا مالك وهو خازن النار قال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أى يقبض ارواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وقال عز وجل ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك قال انكم ماكثون قال ابن عباس مكث ألف سنة ثم قال انكم ماكثون رواه ابن أبى حاتم أى لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق ومعاندتهم له فقال لقد جئناكم بالحق أى بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ولكن أكثركم للحق كارهون أى ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه وانما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة ثم قال تبارك وتعالى أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال مجاهد أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذى قاله مجاهد كما قال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وذلك لان المشركين كانوا يتحيلون فى رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم أى سرهم وعلانيتهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون أى نحن الله نعلم ما هم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون

وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا وقيل معنى انشق وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه فى اثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه قال ابن كثير قد كان الانشقاق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك فى الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة قال وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان احدى المعجزات الباهرات قال الزجاج زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه أهل العلم ان تأويله ان القمر ينشق يوم القيامة والامر بين فى اللفظ واجماع أهل العلم لان قوله الآتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يدل على ان هذا كان فى الدنيا لا فى القيامة انتهى ولم يأت من خالف الجمهور وقال ان الانشقاق سيكون يوم القيامة الا بمجرد استبعاد فقال انه لو انشق فى زمن النبوة لم يبق أحد الا رآه لانه آية والناس فى الآيات سواء ويجاب عنه بانه لا يلزم ان يراه كل أحد لا عقلا ولا شرعا ولا عادة وان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر اليها ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال بعض أهل العلم وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم ومع هذا فقد نقل الينا بطريق التواتر وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به فى وجه قائله والحاصل انا اذا نظرنا الى كتاب الله فقد أخبرنا بانه انشق ولم يخبرنا بانه سينشق وان نظرنا الى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت فى الصحيح وغيره من طرق متواترة انه قد كان ذلك فى أيام النبوة وان نظرنا الى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت الى شذوذ من شذ واستبعاد من استبعد وفى الباب رسائل شتى للشيخ رفيع الدين الدهلوى رحمه

فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) يقول تعالى قل يا محمد ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى لو فرض هذا العبدته على ذلك لأنى عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرنى به ليس عندى استكبار ولا اباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال عز وجل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فأنا أول العابدين أى الآنفين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب حدثنى ابن أبى ذئب عن قسيط عن بعجة بن بدر الجهنى ان امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها ان ترجم فدخل عليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ان الله تعالى يقول فى كتابه وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال عز وجل وفصاله فى عامين قال فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه ان بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف وقال الشاعر

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله
ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لانه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره ان كان هذا فأنا ممتنع منه هذا فيه نظر فليتأمل اللهم الا ان يقال ان ان ليست شرطا وانما هى نافية كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين وقال قتادة هى كلمة من كلام العرب ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى ان ذلك لم يكن فلا ينبغى وقال أبو صخر قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى فأنا أول من عبده بان لا ولد له وأول من وحده وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد فأنا أول العابدين أى أول من عبده ووحده وكذبكم وقال البخارى فأنا أول العابدين الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد والاول أقرب على انه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع وقال السدى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بان له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن ان نافية ولهذا قال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون أى تعالى وتقدس وتنزه

الله وغيره وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وروى عنه من طرق أخرى عند مسلم والترمذى وغيرهما وقال فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعنه قال رأيت القمر منشقا شقتين مرتين مرة بمكة قبل ان يخرج النبى صلى الله عليه وسلم شقة على أبى قبيس وشقة على السويداء وذكر أن هذا سبب نزول الآية أخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل وعنه أيضا قال رأيت القمر وقد انشق وأبصرت الجبل بين فرجتى القمر أخرجه أحمد وأبو نعيم وابن جرير وغيرهم وله طرق عنه وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال انشق القمر فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وله طرق عنه وأخرج مسلم والترمذى وغيرهما عن ابن عمر فى الآية قال كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فرقتين فرقة من دون الجبل وفرقة خلفه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم عن أبيه فى الآية قال انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وعبد بن حميد وغيرهم وعن عبد الرحمن السلمى قال خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان الدنيا قد آذنت بفراق اليوم المضمار وغدا السباق أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم ونقل فى المواهب عن الحافظ ابن حجر أن الانشقاق لم يقع الا مرة واحدة وان رواية مرتين مؤولة مصروفة عن ظاهرها وكان أى الانشقاق قبل الهجرة بنحو خمس سنين (وان يروا) أى كفار قريش (آية) تدل على صدق الرسول والمراد بها هنا انشقاق القمر (يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) أى دائم مطرد قوى وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات

خالق الاشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له وقوله تعالى فذرهم يخوضوا أى فى جهلهم وضلالهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم القيامة أى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم فى ذلك اليوم وقوله تبارك وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أى هو اله من فى السماء واله من فى الارض يعبده أهلهما وكلهم خاضعون له اذلاء بين يديه وهو الحكيم العليم وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أى (١٥٢) هو المدعو الله فى السموات والارض وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما أى هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لانه الرب العلى العظيم المالك للاشياء الذى بيده أزمة الامور نقضا وابراما وعنده علم الساعة أى لا يجليها لوقتها الا هو واليه ترجعون أى فيجازى كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم قال تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه أى من الاصنام والاوثان الشفاعة أى لا يقدرون على الشفاعة لهم الا من شهد بالحق وهم يعلمون هذا استثناء منقطع أى لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعته عنده باذنه له ثم قال عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره من خلقهم ليقولن الله أى هم يعترفون انه الخالق للاشياء جميعها وحده لا شريك له فى ذلك ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيأ ولا يقدر على شئ فهم فى ذلك فى غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ولهذا قال تعالى فأنى يؤفكون وقوله جل وعلا وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون أى وقال محمد صلى الله عليه وسلم قيله أى وقال شكى الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كما أخبر تعالى فى الآية الاخرى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وهذا الذى قلناه هو قول ابن مسعود رضى الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير قال البخارى وقرأ عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه وقال الرسول يارب وقال مجاهد فى قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال يؤثر الله عز وجل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى ربه عز وجل

وترادف الآيات أعرضوا عن التصديق بها وقالوا هذا سحر مستمر قال الواحدى قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فقال الله وان يروا آية يعنى انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها والايمان بها ويقولوا سحر قوى شديد يعلو كل سحر من قولهم استمر الشئ اذا قوى واستحكم وقد قال بان معنى مستمر قوى شديد جماعة من أهل العلم قال الاخفش هو مأخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وبه قال أبو العالية والضحاك واختاره النحاس وقال الفراء والكسائى وأبو عبيدة سحر مستمر أى ذاهب مار سوف يذهب ولا يبقى من قولهم مر الشئ واستمر أى ذهب وبطل وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما واختاره النحاس وقيل يشبه بعضه بعضا وقيل قد مر من الارض الى السماء وقيل هو من المرارة يقال مر الشئ صار مرا أى مستبشع عندهم مر على اهوائهم لا يقدرون ان يسيغوه كما لا يساغ المر وبه قال الزمخشرى وفى هذه الآية أعظم دليل على ان الانشقاق قد كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قررناه سابقا وفى التفهيمات للشيخ ولى الله المحدث الدهلوى رحمه الله وأما شق القمر فعندنا ليس من المعجزات انما هو من آيات القيامة كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولكنه صلى الله عليه وسلم أخبر عنه قبل وجوده فكان معجزة من هذا السبيل انتهى واعترضه بعض من لا يسمن قوله ولا يغنى من جوع ودفعه جماعة من علماء الهند وغيرهم وليس فى هذه العبارة انكار تلك المعجزة كما فهمه بعض القاصرين عن بلوغ رتبة الكمال بل هى أدل دليل على اثباتها عند من يفهم كلام العلماء بالله تعالى تأمل ثم ذكر سبحانه تكذيبهم فقال (وكذبوا) رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) ما زينه لهم الشيطان الرجيم من دفع الحق بعد ظهوره ذكر هذين بصيغة الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة مع ان الظاهر المضارع لكونهما معطوفين على يعرضوا (وكل أمر مستقر) مستأنفة لتقرير بطلان ما قالوه من التكذيب واتباع الهوى ولاقناطهم مما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة فالخير يستقر باهل الخير والشر يستقر باهل الشر قال الفراء تقول يستقر قرار تكذيبهم وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل كل ما قدر فهو كائن لا محالة

ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى وقيله يارب قراءتين احداهما النصب ولها توجيهان احدهما انه معطوف على قوله تبارك وتعالى نسمع سرهم ونجواهم والثاني ان يقدر فعل وقال قيله والثانية الخفض وقيله عطفا على قوله وعنده علم الساعة تقديره وعلم قيله وقوله تعالى فاصفح عنهم اى المشركين وقل سلام أى لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا فسوف يعلمون هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا احل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله افواجا وانتشر الاسلام في المشارق (١٥٣) والمغارب والله اعلم آخر تفسير سورة الزخرف

(تفسير سورة الدخان وهي مكية)*

قال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون ألف ملك ثم قال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وعمرو ابن ابي خثعم يضعف قال البخاري منكر الحديث ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام ابي المقدام عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له ثم قال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وهشام ابو المقدام يضعف والحسن لم يسمع من ابي هريرة رضي الله عنه كذا قال ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم اجمعين وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد اني قد خبأت خبأ فما هو وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الدخان فقال هو الدخ فقال اخسأ ما شاء الله كان ثم انصرف *(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم انه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل انا أنزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقد ذكرنا

وقال الكلبي المعنى لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر أي ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق وقيل كل أمر من أمرهم وأمره صلى الله عليه وسلم مستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الاخرى ذكره أبو السعود والظاهر هو الاول وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به قرأ الجمهور مستقر بكسر القاف وهو مرتفع على أنه خبر المبتدا وهو كل وقرئ بالجر على انه صفة لامر وقرئ بفتح القاف قال أبو حاتم ولا وجه لها وقيل وجهه كل أمر ذو استقرار أو زمان استقرار أو مكانه على انه مصدر أو ظرف زمان أو ظرف مكان (ولقد جاءهم) أي كفار مكة أو الكفار على العموم (من الانباء) أي من بعض اخبار الامم المكذبة المقصوصة علينا في القرآن (ما فيه مزدجر) أي ازدجار عن الكفر على انه مصدر ميمي يقال ازدجرته وزجرته اذا نهيته عن السوء ووعظته بغلظة أو اسم مكان والمعنى جاءهم ما فيه موضع ازدجار أي انه في نفسه موضع لذلك وأصله مزتجر وتاء الافتعال تقلب دالا بعد الزاي والدال والذال كما تقرر في موضعه وهذا في آخر كتاب سيبويه وقرئ مزجر بابدال التاء زايا وادغامها وقرئ مزجر اسم فاعل من ازجر اى صار ذا زجر وما موصولة أو موصوفة (حكمة) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما بدل كل من كل أو بدل اشتمال أو من مزدجر (بالغة) تامة أي ان القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل وقرئ حكمة بالنصب على انها حال من ما أي حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة نهاية الصواب (فما تغن النذر) ما استفهامية أي أي شئ أو أي اغناء تغني النذر وتحصله وتكسبه أو نافية أي لم تغن النذر شيأ أو لم تنفع فيهم والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة ولا ترسم الياء هنا بعد النون اتباعا لرسم المصحف والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أي الامور المنذرة لهم كاحوال الامم السابقة وما بلغ اليهم من العذاب الذي بلغ قريشا وتسامعوا به أو بمعنى الانذار على انه مصدر ثم أمره الله سبحانه بالاعراض عنهم فقال (فتول عنهم) أي أعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الانذار وهي منسوخة بآية السيف قاله أكثر المفسرين وقال الرازي ان قولهم بالنسخ ليس بشئ بل المراد منها

الاحاديث الواردة فى ذلك فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجعة فان نص القرآن انها فى رمضان والحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى أخبرنى عثمان بن محمد ابن المغيرة بن الاخنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه فى الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل انا كنا منذرين أى معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله (١٥٤) على عباده وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أى فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والارزاق وما يكون فيها الى آخرها وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك والضحاك وغير واحد من السلف وقوله جل وعلا حكيم أى محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله أمرا من عندنا أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره واذنه وعلمه انا كنا مرسلين أى الى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة اليه ولهذا قال تعالى رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما أى الذى أنزل القرآن هو رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما فيهما ان كنتم موقنين أى ان كنتم متحققين ثم قال تعالى لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين وهذه الآية كقوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت الآية (بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يقول تعالى بل هؤلاء المشركون فى شك يلعبون أى قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهددا فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قال سليمان بن مهران الاعمش عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال دخلنا المسجد يعنى مسجد الكوفة عند أبواب كندة فاذا رجل يقص على أصحابه يوم تأتى السماء بدخان مبين تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين

لا تناظرهم بالكلام ذكره الخطيب (يوم) أى اذكر يوم (يدع الداع) واليه ذهب الرمانى والزمخشرى وفيه وجوه هذا أقربها وسقطت الواو من يدع اتباعا للفظ وقد وقعت فى الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع مبالغة فى التخفيف واكتفاء بالكسرة والداعى هو اسرافيل وقيل جبريل والاول أولى (الى شئ نكر) أى أمر فظيع ينكرونه استعظاما له لعدم تقدم العهد لهم بمثله وهو هول يوم القيامة وقيل هو الحساب قرأ الجمهور نكر بضم الكاف وقرئ بسكونها تخفيفا وقرئ بكسر الكاف وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول (خشعا أبصارهم) قرأ الجمهور خشعا جمع خاشع وقرئ خاشعا على الافراد وقرأ ابن مسعود خاشعة قال الفراء الصفة اذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتأنيث والجمع يعنى جمع التكسير لا جمع السلامة لانه يكون من الجمع بين الفاعلين والخشوع فى البصر الخضوع والذلة وأضاف الخشوع الى الابصار لان العز والذل يتبين فيها ويظهر أكثر من ظهوره على بقية البدن (يخرجون) أى الناس مطلقا مؤمنهم وكافرهم (من الاجداث) واحدها جدث وهو القبر (كأنهم) لكثرتهم وتموجهم واختلاط بعضهم ببعض (جراد منتشر) أى منبث فى الاقطار مختلط بعضه ببعض فى الاماكن لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة (مهطعين الى الداع) الاهطاع الاسراع فى المشى أى حال كونهم مسرعين الى الداعى وهو اسرافيل وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين آذانهم الى الصوت والاول أولى وبه قال أبو عبيدة وغيره وقال ابن عباس ناظرين اليه بأبصارهم لا يقلعون وقيل مادى أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أى صعب شديد على الكافرين كما فى المدثر يوم عسير على الكافرين غير يسير وفى اسناد هذا القول الى الكفار دليل على ان اليوم ليس بشديد على المؤمنين ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدم من الانباء المجملة فقال (كذبت قبلهم) أى قبل قريش (قوم نوح) أى كذبوا نبيهم وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فكذبوا عبدنا) تفصيل بعد اجمال وتفسير لما قبله من التكذيب المبهم وفيه مزيد تقرير وتأكيد أى فكذبوا نوحا والفاء على هذا تفصيلية فان التفصيل يكون عقب الاجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب والفاء حينئذ للتعقيب والمكذب الثانى غير الاول

وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد وقال ان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان (١٥٥) من الجهد قال الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم لهم فسقوا فنزلت انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال ابن مسعود رضي الله عنه أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر قال ابن مسعود رضي الله عنه فقد مضى خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الامام أحمد في مسنده وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيرهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الاعمش به وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وابراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الاعرج في قوله عز وجل يوم تأتي السماء بدخان مبين قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جدا بل منكر وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج

الاول وان اتحد المكذب أو كذبوه بعدما كذبوا جميع الرسل والفاء على هذا للتسبب واثما لم يرتض القاضي هذين الوجهين وان جرى في الكشاف عليهما لان الظاهر هو الاتحاد في كليهما ثم بين سبحانه انهم لم يقتصروا على مجرد التكذيب فقال (وقالوا مجنون) أي نسبوا نوحا الى الجنون (وازدجر) معطوف على قالوا اي وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما أرسل به بانواع الزجر وقيل انه معطوف على مجنون أي وقالوا انه ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه والاول أولى قال مجاهد هو من كلام الله سبحانه أخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب وأنواع الاذى قال الرازي وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذكر من تقدمه (فدعا) نوح (ربه) على قومه (أني) أي باني وقرئ بكسر الهمزة اما على اضمار القول أي فقال اني واما اجراء الدعاء مجرى القول وهو مذهب الكوفيين (مغلوب) من جهة قومي لتمردهم عن الطاعة وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة وذلك بعد صبره عليهم غاية الصبر حيث مكث ألف سنة الا خمسين عاما يعالجهم فلم يفد فيهم شيأ ولما يئس عن اجابتهم وعلم تمردهم وعتوهم وأصرارهم على ضلالتهم طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم فقال (فانتصر) أي انتقم لي منهم ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال (ففتحنا) مخففا ومشددا وهما سبعيتان (أبواب السماء) أي كلها في جميع الاقطار وهو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب والاول أولى (بماء) الباء للتعدية على المبالغة حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح (منهمر) غزير نازل بقوة أي منصبا انصبابا شديدا في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما والهمر الصب بكثرة يقال همر الماء والدمع يهمر همرا وهمورا اذا كثر (وفجرنا الارض عيونا) أي جعلنا الارض كلها عيونا متفجرة وهو أبلغ من قولك فجرنا عيون الارض قرأ الجمهور فجرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف قال عبيد بن عمير أوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وسالت بالمياه (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وقرئ الماآن وقرأ علي ومحمد بن كعب الماوان أي التقى ماء السماء وماء الارض على أمر قد قضي عليهم أي كائنا على حال قدرها الله وقضى بها في اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان قيل كان ماء

من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا تفرد باخراجه مسلم فى صحيحه وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد انى خبأت لك خبأ قال هو الدخ فقال صلى الله عليه وسلم له اخسأ فلن تعدو قدرك قال وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعنى الدخان فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية (١٥٦) فقال صلى الله عليه وسلم له اخسأ فلن تعدو قدرك ثم قال ابن جرير وحدثنى عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبى حدثنا سفيان بن سعيد الثورى حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة رضى الله عنه يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره قال ابن جرير لو صح هذا الحديث لكان فاصلا وانما لم أشهد له بالصحة لان محمد بن خلف العسقلانى حدثنى انه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان فقال له لا قال فقلت أقرأته عليه قال لا قال فقلت له أقرئ عليه وأنت حاضر فقال لا فقلت له فمن أين جئت به فقال جاءنى به قوم فعرضوه على وقالوا لى اسمعه منا فقرؤه على ثم ذهبوا فحدثوا به عنى أو كما قال وقد أجاد ابن جرير فى هذا الحديث ههنا فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه فى أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جدا لاسيما فى أول سورة بنى اسرائيل فى ذكر المسجد الاقصى والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثنى محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثنى ابى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة

السماء أكثر وقيل بالعكس وحكى ابن قتيبة أن المعنى على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر بل كان ماء السماء وماء الارض على سواء قال قتادة قدر لهم اذ كفروا ان يغرقوا قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماآن (وحملناه) اى نوحا (على) سفينة (ذات ألواح) وهى الاخشاب العريضة (ودسر) قال الزجاج هى المسامير التى تشد بها الالواح واحدها دسار وكل شئ أدخل فى شئ يشده فهو دسر وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جبير وغيرهم وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة الدسر ظهر السفينة التى يضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء أى تدفعه والدسر الدفع وقال الليث الدسار خيط يشد به ألواح السفينة قال فى الصحاح الدسار واحد الدسر وهى خيوط تشد بها ألواح السفينة ويقال هى المسامير وقيل صدر السفينة وقيل عوارضها واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وقيل أصلها وطرفاها قال ابن عباس الالواح الواح السفينة والدسر معاريضها التى تشد بها السفينة وقال أيضا المسامير وقال أيضا الدسر كلكل السفينة وقال مجاهد نطاق السفينة وعنه أيضا اضلاع السفينة (تجرى باعيننا) أى بمنظر ومرأى منا وحفظ منا لها كما فى قوله واصنع الفلك باعيننا وقيل بامرنا وقيل بوحينا وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها والاول أولى (جزاء) قال الفراء فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا فالنصب على العلة وقيل أى اغرقوا انتصارا وهو تفسير للمعنى وقيل جازيناهم جزاء (لمن كان كفر) به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام فانه كان لهم نعمة كفروها اذ كل نبى نعمة على أمته قرأ الجمهور كفر مبنيا للمفعول والمراد به نوح وقيل هو الله سبحانه فانهم كفروا به وجحدوا نعمته وقرئ كفر بفتح الكاف والفاء مبنيا للفاعل أى جزاء وعقابا لمن كفر بالله (ولقد تركناها) أى السفينة (آية) عبرة للمعتبرين قال قتادة أبقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى زمانا مديدا ودهرا طويلا حتى نظر اليها ورآها أوائل هذه الامة أو أبقينا خبرها أو أبقينا جنس السفن أو تركنا بمعنى جعلنا وقيل المعنى تركنا هذه الفعلة التى فعلناها بهم عبرة وموعظة لمن يعتبر ويتعظ بها (فهل من مدكر) أصله

الدجال ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن اسمعيل بن عياش به وهذا اسناد جيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يهيج الدخان بالناس فاما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفا وروى سعيد بن عوف عن الحسن قوله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه قال لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى تنفذ وروى ابن جرير (١٥٧) من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلماني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله ابن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الامة وترجمان القرآن وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الاحاديث المرفوعة الصحاح والحسان وغيرهما التي اوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على ان الدخان من الآيات المنتظرة مع انه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين أي بين واضح يراه كل أحد وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه انما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى يغشى الناس أي يتغشاهم ويعمهم ولو كان أمرا خياليا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه يغشى الناس وقوله تعالى هذا عذاب أليم أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا كقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أو يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله سبحانه وتعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أي يقول الكافرون اذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم

مدتكر فأبدلت التاء دالا ثم أبدلت المعجمة مهملة لتقاربهما وأدغمت الدال في الدال والمعنى هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها فيترك المعصية ويختار الطاعة ثم انه تعالى لما أجاب دعوة نوح بان أغرقهم أجمعين قال استعظاما لذلك العقاب وابعادا لمشركي مكة (فكيف كان عذابي) الذي عذبتهم به (و) كيف كان عاقبة (نذر) أي انذاري قال الفراء الانذار والنذر مصدران والاستفهام للتهويل والتعجيب أي كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للاذكار والاتعاظ بان وشحناه بأنواع المواعظ والعبر الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد يحفظه الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قال ابن عباس لولا ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق ان يتكلموا بكلام الله وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعا مثله وقال سعيد ابن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن والجملة قسمية وردت في آخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار فيها كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي وتالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان أنزلناه على لغتهم (فهل من مدكر) أي متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره وطالب لحفظه فيعان عليه وقارئ يقرأه وطالب علم وخير وقال ابن عباس هل من متذكر كرر هذا في هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة أنباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع ان لو تذكر وانما كرر هذه الآية عند كل قصة بقوله فهل من مدكر لان هل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والهاء للاستخراج وفي الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارعة في تعلمه (كذبت عاد) هم قوم هود ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له مسارعة الى بيان ما نزل بهم من العذاب ولم يقل فكذبوا هودا كما قال في قصة نوح فكذبوا عبدنا لان تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة (فكيف كان عذابي ونذر) أي فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم ونذر

كقوله جلت عظمته ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وكذا قوله جل وعلا وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وهكذا قال جل جلاله ههنا أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا اليهم رسولا بين الرسالة والنذارة ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جلت عظمته يوم يتذكر الانسان (١٥٨) وانى له الذكرى الآية وكقوله عزوجل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد الى آخر السورة وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يحتمل معنيين أحدهما انه يقول تعالى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعنا كم الى الدار الدنيا لعدتم الى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون وكقوله جلت عظمته ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون والثاني ان يكون المراد انا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله اليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم ان يكون باشرهم كقوله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ولا يلزم أيضا ان يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا اليه قال الله تعالى اخبارا عن شعيب عليه السلام انه قال لقومه حين قالوا لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة انكم عائدون الى عذاب الله وقوله عزوجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب رضي الله عنه وجماعة عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة أيضا قال

مصدر بمعنى انذاري كما تقدم والاستفهام للتهويل والتعظيم والغرض بهذا توجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) هذه الجملة مستأنفة مبينة لما أجمله سابقا من العذاب والصرصر شدة البرد أي ريح شديدة البرد وقيل الصرصر شدة الصوت وقد تقدم بيانه في حم السجدة قال ابن عباس ريحا صرصرا أي باردة (في يوم نحس مستمر) أي دائم الشؤم الى الابد استمر عليهم بنحوسة واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم قال الزجاج أي بيوم الاربعاء في آخر الشهر أي شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب الشمس قال الخطيب وقد قال في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وفي حم السجدة في أيام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان انتهى قال الضحاك كان ذلك اليوم مرا عليهم وكذا حكى الكسائي عن قوم انهم قالوا هو من المرارة أي كالشيء المر تكرهه النفوس وقيل هو من المرة بمعنى القوة أي في يوم قوى الشؤم مستحكمه كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه والظاهر انه من الاستمرار لا من المرارة ولا من المرة أي دام عليهم العذاب فيه حتى أهلكهم وشمل اهلاكه كبيرهم وصغيرهم وقيل استمر بهم الى نار جهنم قال ابن عباس في أيام شداد عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء يوم نحس مستمر أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرجه هو عنه من وجه آخر مرفوعا وعن علي أيضا مرفوعا وعن أنس أيضا مرفوعا وفيه قيل وكيف ذاك يارسول الله قال أغرق الله فيه فرعون وقومه وأهلك فيه عادا وثمودا أخرج ابن مردويه والخطيب بسند قال السيوطي ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قرأ الجمهور باضافة يوم الى نحس مع سكون الحاء وهو من اضافة الموصوف الى الصفة او على تقدير مضاف اى في يوم عذاب نحس وقرئ بتنوين يوم على ان نحس صفة له وقرئ بكسر الحاء (تنزع الناس) أوقع الظاهر موضع المضمر ليعم ذكورهم واناثهم والا فالأصل تنزعهم اى تقلعهم من الارض من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها قال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على رؤسهم فتدق اعناقهم وتبين رؤسهم من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقيل من قبورهم لانهم حفروا حفائر ودخلوها روى انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم

موتى

ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود رضي الله عنه البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا اسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدوا الى عباد الله اني لكم رسول أمين وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون (١٥٩) كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) يقول تعالى ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر وجاءهم رسول كريم يعني موسى كليمه عليه الصلاة والسلام أن أدوا الى عباد الله كقوله عز وجل ان أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى وقوله جل وعلا اني لكم رسول أمين اي مأمون على ما أبلغكموه وقوله تعالى وان لا تعلوا على الله اي لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والايمان ببراهينه كقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اني آتيكم بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة واضحة وهي ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والادلة القاطعات واني عذت بربي وربكم ان ترجمون قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم وقال قتادة الرجم بالحجارة أي أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من ان تصلوا الي بسوء من قول أو فعل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون أي فلا تتعرضوا لي ودعوا الامر بيني وبينكم مسالمة الى ان يقضي الله بيننا فلما طال مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك وما زادهم ذلك الا كفرا وعنادا دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم كما قال تبارك وتعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى

موتى (كأنهم) وحالهم ما ذكر (أعجاز نخل منقعر) الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر كل شئ وعن ابن عباس قال أصول النخل وعنه أعجاز سواد النخل والمنقعر المنقطع المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة اذا قطعتها من أصلها حتى تسقط شبههم في طول قامتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الارض التي ليس لها رؤس وذلك ان الريح قلعت رؤسهم اولا ثم كبتهم على وجوههم وهذا ما جرى عليه الزجاج وغيره وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض باجسامهم فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح لما صرعتهم وألقتهم على الارض فكأنها أقلعت أعجاز نخل منقعر وتذكير منقعر مع انه صفة لاعجاز نخل وهي مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تأنيثه اعتبارا بالمعنى كما قال أعجاز نخل خاوية قال المبرد كل ما ورد عليك من هذا الباب ان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا أو الى المعنى تأنيثا وقيل ان النخل والنخيل يذكر ويؤنث (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم كرر للتهويل وقال ابو السعود تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما قيل وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) انكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد أتبعه ببيان تكذيب ثمود فقال (كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير اي كذبت بالرسل المرسلين او مصدر بمعنى الانذار اي كذبت بالانذار الذي انذروا به وانما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل لان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب سائرهم لاتفاقهم في الدعوة الى كليات الشرائع (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) الاستفهام للانكار اي كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا وحده لا متابع له على ما يدعو اليه قرأ الجمهور بنصب بشرا على الاشتغال اي انتبع بشرا واحدا منا وهو الراجح لتقدم أداة هي بالفعل اولى وقرئ بالرفع على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرئ برفع بشر ونصب واحدا على الحال (انا اذا لفي ضلال) اي انا اذا اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق والصواب (وسعر) اي عذاب وعناء وشدة كذا قال

بروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما وهكذا قال ههنا فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فعند ذلك أمره الله تعالى ان يخرج بنى اسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا قال جل جلاله فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون كما قال تعالى ولقد أوحينا الى موسى ان أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقوله عز وجل ههنا واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوزه هو وبنو اسرائيل البحر أراد موسى ان يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير (١٦٠) حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل اليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بانهم جند مغرقون فيه وانه لا يخاف دركا ولا يخشى قال ابن عباس رضى الله عنهما واترك البحر رهوا كهيئته وامضه وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كهيئته يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال عكرمة والربيع بن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الاحبار وسماك بن حرب وغير واحد ثم قال تعالى كم تركوا من جنات وهى البساتين وعيون والمراد بها الانهار والآبار ومقام كريم وهى المساكن الانيقة والاماكن الحسنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير ومقام كريم المنابر وقال ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المغافرى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله تعالى له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الانهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الارض عيونا فاذا انتهى جريته الى ما أراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وقال فى قول الله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ان قال كانت الجنان بحافتى نهر النيل من أوله الى آخره فى الشقين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وكان له تسع (٢) خلج خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنتهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ وزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها ونعمة كانوا فيها فاكهين اى عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤا ويلبسون ما أحبوا مع

الفراء وغيره وقال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهب النار والسعر الجنون يذهب كذا وكذا لما يلتهب به من الحدة وقال مجاهد سعر بعد عن الحق وقال السدى فى احتراق وقيل المراد به هنا الجنون من قولهم ناقة مسعورة اى كأنها من شدة نشاطها مجنونة وقال ابن عباس فى شقاء ثم كرروا الانكار والاستبعاد فقالوا (أألقى الذكر عليه من بيننا) اى كيف خص من بيننا بالوحى والنبوة وفينا من هو أحق بذلك منه ثم اضربوا عن الانكار وانتقلوا الى الجزم بكونه كذابا اشرا فقالوا (بل هو كذاب اشر) الاشر المرح والنشاط أو البطر والتكبر وتفسيره بالبطر والتكبر انسب بالمقام قرأ الجمهور أشر ككفرح صفة مشبهة وعلى انه افعل التفضيل وقرئ بضم الشين وفتح الهمزة ثم اجاب سبحانه عليهم بقوله (سيعلمون غدا) السين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بقوله غدا وقت نزول العذاب الذى حل بهم فى الدنيا او فى يوم القيامة جريا على عادة الناس فى التعبير بالغد عن المستقبل من الامر وان بعد كما فى قولهم ان مع اليوم غدا والاول أولى قرأ الجمهور بالتحتية على انه اخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة على سبيل الالتفات وقرئ بالتاء على انه خطاب من صالح لقومه (من الكذاب الاشر) من استفهامية اى اى فريق هو الكذاب الاشر المتكبر البطر أهو هم أم صالح عليه السلام (انا مرسلوا الناقة) مستأنفة لبيان ما تقدم اجماله من الوعيد ومبادى الموعود به حتما اى انا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه وسوجدوها لهم (فتنة لهم) اى ابتلاء وامتحانا واختبارا (فارتقبهم) اى انتظر ما يصنعون وما يصنع بهم (واصطبر) اى اصبر على ما يصيبك من الاذى منهم ولا تعجل حتى يأتيك امرنا (ونبئهم) اى اخبرهم اخبارا عظيما عن امر عظيم وهو (ان الماء قسمة بينهم) أى بين ثمود وبين الناقة لها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها أحد منهم ولهم يوم لا تشاركهم فيه كما فى قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال بينهم بضمير العقلاء تغليبا قرأ الجمهور قسمة بكسر القاف بمعنى مقسوم وقرئ بفتحها (كل شرب) هو بكسر الشين الحظ من الماء والنصيب (محتضر) أى انه يحضره من هو له فالناقة تحضره يوما وهم يحضرونه يوما قال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون و يحضرون يوم نوبتها فيحتلبون (فنادوا صاحبهم) أى فتمادوا على ذلك أو فبقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها والفاء فصيحة تفصح

(٢) هكذا فى الاصول التى بايدينا ولم يحرر العدد اه مصححه

مع الاموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا الى جهنم وبئس المصير واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو اسرائيل كما قال تبارك وتعالى كذلك وأورثناها بني اسرائيل وقال في الآية الاخرى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال عز وجل ههنا كذلك وأورثناها قوما آخرين وهم بنو اسرائيل كما تقدم وقوله سبحانه وتعالى فما (١٦١) بكت عليهم السماء والارض أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الارض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم واجرامهم وعتوهم وعنادهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أحمد بن اسحق البصري حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى ابن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والارض وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الارض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الربذي وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثنا عيسى ابن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ألا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سأل رجل عليا رضي الله عنه هل تبكي السماء والارض على أحد فقال له لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك انه ليس عبد الا له مصلى في الارض ومصعد عمله من السماء وان آل فرعون لم يكن

ان في الكلام محذوفا وهو ما تقدم والمعنى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها (فتعاطى) التعاطي تناول الشيء بتكلف اي تناول الناقة بسيفه (فعقر) او اجترأ على تعاطي اسباب العقر فعقرها غير مكترث قال محمد بن اسحق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله اي وقع موقعه وبينه بقوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) قال عطاء يريد صيحة جبريل صاح بهم في اليوم الرابع من عقر الناقة لانه كان في يوم الثلاثاء ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت وقد مضى بيان هذا في سورة هود والاعراف (فكانوا كهشيم المحتظر) قرأ الجمهور بكسر الظاء والهشيم حطام الشجر ويابسه والمحتظر صاحب الحظيرة وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الريح يقال احتظر على غنمه اذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض قال في الصحاح المحتظر الذي يعمل الحظيرة أي من يابس الشجر والشوك يحفظ الغنم من السباع والذئاب والحظيرة زريبة الغنم ونحوها قاله الشهاب وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة فمن قرأ بالكسر أراد الفاعل للاحتظار ومن قرأ بالفتح أراد الحظيرة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومعنى الآية أنهم صاروا كالشجر اذا يبس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه وقال قتادة هو العظام النخرة المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما يتناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى قال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والهشيم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيحتطم ويتهشم وقال ابن عباس كحظائر من الشجر محترقة وكالعظام المحترقة وكالحشيش تأكله الغنم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) فائدة تكرير هذه الآية ان يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بانهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم فقال (كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور المنذرة لهم على لسانه ثم

لهم عمل صالح فى الارض ولا عمل يصعد فى السماء ثم قرأ على رضى الله عنه فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير قال أتى ابن عباس رضى الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرأيت قول الله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين فهل تبكى السماء والارض على أحد قال رضى الله عنه نعم انه ليس أحد من الخلائق الا وله باب فى السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فاغلق بابه من السماء الذى كان يصعد فيه (١٦٢) عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض الذى كان يصلى فيها ويذكر الله عزوجل فيها بكت عليه وان قوم فرعون لم تكن لهم فى الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى الله عزوجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما نحو هذا وقال سفيان الثورى عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان يقال تبكى الارض على المؤمن أربعين صباحا وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد وقال مجاهد أيضا ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكى الارض فقال أتعجب وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل وقال قتادة كانوا أهون على الله عزوجل من ان تبكى عليهم السماء والارض وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا عبد السلام ابن عاصم حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن ابراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا الا على اثنين قلت لعبيد أليس السماء والارض تبكى على المؤمن قال ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدرى ما بكاء السماء قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ان يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وان الحسين بن على رضى الله عنهما لما قتل احمرت السماء وحدثنا على بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد ابن عمرو زنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد قال لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدى الكبير وقال عطاء الخراسانى بكاؤها ان تحمر أطرافها وذكروا أيضا فى مقتل الحسين رضى

بين سبحانه ما عذبهم به فقال (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى ريحا ترميهم بالحصباء بالمد وهى الحصا ومنه المحصب وهو موضع بالحجاز قال أبو عبيدة والنضر بن شميل الحاصب الحجارة فى الريح قال فى الصحاح الحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أى ترمى وكل ما ألقيته فى النار فقد حصبتها به وبابه ضرب وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لكونهما فى تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قوله لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذى أرسل عليهم نفس الحجارة لا الريح التى تحصبها الا انه قيل ههنا أرسلنا عليهم حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح لها (الا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه ومن تبعه وفى الاستثناء وجهان أحدهما انه متصل أى أرسل الحاصب على الجميع الا أهله فانه لم يرسل عليهم والثانى انه منقطع وبه قال أبو البقاء ولا أدرى ما وجهه فان الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى فى المستثنى منه ودخوله فيه وهذا داخل ليس الا وهو كلام مشكل (نجيناهم بسحر) أى آخر الليل وهو فى كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار فيكون فيه مخائل الليل ومخائل النهار وقيل هما سحران الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وانصرف سحر لانه نكرة لم يقصد به سحر ليلة معينة ويوم معين ولو قصد معينا لامتنع كذا قال الزجاج والاخفش وغيرهما والباء بمعنى فى أو هى للملابسة أى حال كونهم متلبسين بسحر (نعمة من عندنا) النصب على العلة أو على المصدر به أى انعاما منا على لوط ومن تبعه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى من شكر) نعمتنا ولم يكفرها مع أصل الايمان أو من ضم الى الايمان عمل الطاعات (ولقد أنذرهم بطشتنا) أى أنذر لوط قومه بطشة الله بهم وهى عذابه الشديد وعقوبته البالغة (فتماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذار ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهى الشك أو تجادلوا وكذبوا بانذاره (ولقد راودوه عن ضيفه) أى أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم يقال راودته عن كذا مراودة وروادا أى أردته وراد الكلام يروده رودا أى طلبه المرة بعد المرة فالمعنى طلبوه المرة بعد المرة أن يخلى بينهم وبينهم وقد تقدم تفسير المراودة فى سورة هود

(فطمسنا

الله عنه انه ماقلب حجر يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وانه كسفت الشمس واحمر الافق وسقطت حجارة وفي كل ذلك نظر والظاهر انه من خسف الشيعة وكذبهم ليعظموا الامر ولاشك انه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ماهو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شيء من ذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك (١٦٣) وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه ويوم مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت ابراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم ان الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته وقوله تبارك وتعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يمتن تعالى عليهم بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره اياهم في الاعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى من فرعون انه كان عاليا أي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل ان فرعون علا في الارض وقوله جلت عظمته فاستكبروا وكانوا قوما عالين من المسرفين اي مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه وقوله جل جلاله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال مجاهد اخترناهم على علم على العالمين على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال ان لكل زمان عالما وهذه كقوله تعالى قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس أي أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام واصطفاك على نساء العالمين أي في زمنها فان خديجة رضي الله عنها اما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقوله جل جلاله وآتيناهم من الآيات أي الحجج والبراهين وخوارق العادات مافيه بلاء مبين أي اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به (ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ومانحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) يقول تعالى منكرا على المشركين في انكارهم البعث

(فطمسنا أعينهم) الطموس الدرس والانمحاء قاله في المختار أي صيرناها ممسوحة لايرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب وقيل اذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الاعين على صورتها قال الضحاك طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا (فذوقوا) أي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد بهذا الامر الخبر أي أذقتهم (عذابي ونذر) يعني ماأنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي أتاهم صباحا من يوم غير معين (عذاب) نازل عليهم (مستقر) دائم لايفارقهم ولا ينفك عنهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ولعل وجه تكرير تيسير القرآن بالذكر في هذه السورة الاشعار بانه منة عظيمة لا ينبغي لاحد ان يغفل عن شكرها ولان في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ وهذا حكم التكرير في قوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) جمع نذير او مصدر بمعنى الانذار كما تقدم وهي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى وهذا أولى لقوله (كذبوا بآياتنا كلها) فانه بيان لذلك والمراد بها الآيات التسع التي تقدم ذكرها وقيل النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء (فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) أي أخذ غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لايعجزه شيء ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (أكفاركم خير من أولئكم) الاستفهام للانكار والمعنى النفي أي ليس كفاركم يا أهل مكة أو يامعشر العرب خيرا من كفار من تقدمكم من الامم الذين أهلكوا بسبب الكفر فكيف تطمعون في السلامة من العذاب وأنتم شر منهم قال ابن عباس يقول ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط وقيل من قوم عاد وثمود وفرعون وقومه ثم أضرب سبحانه عن ذلك وانتقل الى تبكيتهم بوجه آخر هو أشد من التبكيت بالوجه الاول فقال (أم لكم براءة في الزبر) هي الكتب المنزلة على الانبياء والمعنى انكار ان تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتب

والمعاد وانه ما ثم الا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد انما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله تعالى العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذرا لهم بأسه الذي لا يرد كما حل باشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم (١٦٤) سبأ حيث أهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين المعاد وكذلك ههنا شبههم باولئك وقد كانوا عربا من قحطان كما ان هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سموه تبعا كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من اعلام الاجناس ولكن اتفق ان بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق انه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فاراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه واخبراه انه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذهما معه الى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك أيضا واخبراه بعظمة هذا البيت وانه من بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وانه سيكون له شأن عظيم على يدى ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر ثم كر راجعا الى اليمن ودعا أهلها الى التهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن وقد ذكر القصة بطولها الامام محمد بن اسحق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر وانه ملك دمشق وانه كان اذا استعرض الخيل صفت له من دمشق الى اليمن ثم ساق من

الانبياء ثم أضرب عن هذا التبكيت وانتقل الى التبكيت لهم بوجه آخر فقال (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي جماعة لا تطاق لكثرة عددنا وقوتنا أو أمرنا مجتمع لا نغلب وافرد منتصر اعتبارا بلفظ جميع وموافقة لرؤس الآى أو المعنى نحن كل واحد منا منتصر قال الكلبي المعنى نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا ولا نرام ولا نضام فرد الله سبحانه عليهم بقوله (سيهزم الجمع) أي جمع كفار مكة أو كفار العرب على العموم قرأ الجمهور بالتحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاي ونصب الجمع وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وبالفوقية على الخطاب مبنيا للفاعل (ويولون الدبر) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب والمراد بالدبر الجنس وهو في معنى الادبار وقيل وحد لاجل رؤس الآى وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الادبار وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر فلله الحمد وهذه من علامات النبوة قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر قالوا نحن جميع منتصر فنزلت هذه الآية (بل الساعة موعدهم) أي موعد عذابهم الاخروي بعد بدر وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والاسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب وانما هو مقدمة من مقدماته وطليعة من طلائعه ولهذا قال (والساعة أدهى) أي وعذاب الساعة أعظم في الضر وأفظع وأشد من موقف بدر يقال دهاه أمر كذا أي أصابه دهوا ودهيا والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه مأخوذ من الدهاء وهو النكر والفظاعة واظهار الساعة في مقام اضمارها لزيادة تهويلها (وأمر) أي أشد مرارة من عذاب الدنيا في البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع ويقول سيهزم الى قوله أدهى وأمر (ان المجرمين) أي المشركين (في ضلال وسعر) أي في ذهاب عن الحق وبعد عنه وفي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا وفي نار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة أو في هلاك ونيران في الآخرة وقد تقدم في هذه السورة تفسير سعر فلا نعيده (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون أو يوم يسحبون

يقال

يقال لهم (ذوقوا مس سقر) اى قاسوا حرها وشدة عذابها كقولهم وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب قال الكرخي ان مس سقر مجاز عن اصابتها بعلاقة السببية والظاهر من تقرير الكشاف انه من الاستعارة بالكناية وسقر علم لجهنم غير منصرف للتأنيث والتعريف من سقرته النار اذا لوحته اخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون الخ (انا كل شئ خلقناه بقدر) اى كل شئ من الاشياء خلقه الله سبحانه متلبسا بقدر قدره وقضاء قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه والقدر التقدير والعامة على نصب كل بالاشتغال وقرئ بالرفع وقد رجح الناس النصب بل اوجبه بعضهم قال لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة (١) وقال ابو البقاء وانما كان النصب اولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شئ مخلوق فهو بقدر وانما دل نصب كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شئ بقدر فخلقناه تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شئ فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات وللسمين هنا كلام مبسوط لا نطول بذكره اخرج مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة أخرجه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر أخرجه الترمذي واستغربه وفي الباب احاديث بين صحيح منها وضعيف قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات أى خلقهن قال النووي ان مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب

طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ادري الحدود طهارة لاهلها أم لا ولا أدري تبع لعينا كان أم لا ولا أدري ذو القرنين نبيا كان أم ملكا وقال غيره عزيرا كان نبيا أم لا كذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الطهراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا عزير لا ادري أنبيا كان أم لا ولا ادري ألعين تبعا أم لا ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي ان شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافرا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه ثم عاد الى اليمن وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي ابن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الاحبار واليه المرجع في ذلك كله والى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن اسحق في السيرة كما هو مشهور فيها وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فان تبعا هذا المشار اليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده الى عبادة النيران والاصنام فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبا وقد بسطنا قصتهم هنالك ولله الحمد والمنة وقال سعيد بن جبير كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتبع هذا هو تبع الاوسط واسمه أسعد أبو كريب بن ملكيكرب اليماني ذكروا انه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة سنة وذكروا انه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة ان هذه البلدة مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفا عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(١) قوله على قواعد أهل السنة وذلك انه اذا رفع كل شئ كان مبتدأ وخلقناه صفة لكل أو لشئ وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله فيلزم أن يكون هنا شئ ليس مخلوقا لله تعالى وليس بقدر كذا قرره بعضهم اهـ سيدنا والفقار أحمد

داره وهو شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم وذكر ابن أبى الدنيا انه حفر قبر بصنعاء فى الاسلام فوجدوا فيه
امرأتين صحيحتين وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حبى ولميس وروى حبى وتماضر ابنتى تبع ماتتا وهما
يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركان به شيأ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وقد ذكرنا فى سورة سبا شعر سبا فى ذلك أيضا قال قتادة
ذكر لنا ان كعبا كان يقول فى تبع نعت نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضى الله
عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان رجلا صالحا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبى زرعة يعنى عمرو بن جابر الحضرمى قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه قد كان أسلم ورواه الامام أحمد فى مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على الابار حدثنا أحمد بن محمد بن أبى برزة حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبى حاتم كما أورده ابن عساكر لا أدرى تبع كان لعينا أم لا فالله أعلم ورواه ابن عساكر من طريق
زكريا بن يحيى المدنى عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل
أخبرنى تميم بن عبد الرحمن قال قال عطاء بن أبى رباح لا تسبوا تبعا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبه والله تعالى أعلم
(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم
لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم) يقول تعالى مخبرا عن عدله وتنزهه نفسه عن
اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا

ماقدرها الله وأنكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا انتهى وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة السنة أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية وليس هذا موضع بسطه والله تعالى أعلم (وما أمرنا) لشئ نريد وجوده (الا واحدة) أى الا أمرة واحدة أو فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو كلمة واحدة وهى قوله كن فيكون فهنا بان الفرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقيل المراد بالامر القيامة (كلمح بالبصر) فى سرعته واللمح النظر على العجلة والسرعة وفى الصحاح لمحه وألمحه اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة أى فكما ان لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر قال الكلبى وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم وأعوانكم والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما أصابهم ولذلك تسبب عنه قوله (فهل من مدكر) يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم ان ذلك حق فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حل بالامم السالفة (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى جميع ما فعلته الامم من خير اوشر مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل فى كتب الحفظة ودواوينهم (وكل صغير وكبير مستطر) يقال سطر يسطر سطرا كتب وأسطر مثله أى كل شئ من أعمال الخلق أقوالهم وأفعالهم وما هو كائن مسطور فى اللوح المحفوظ صغيره وكبيره وجليله وحقيره قال ابن عمر مسطور فى الكتاب ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الاشقياء ذكر حال السعداء فقال (ان المتقين فى جنات ونهر) أريد به الجنس لمناسبة جمع الجنات وانما أفرد فى اللفظ لموافقة رؤس الآى وبه قرأ الجمهور وهو يشمل انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقرئ بسكون الهاء وهما لغتان وقرئ بضم النون والهاء على الجمع شاذا والمعنى انهم فى بساتين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة وقيل النهر السعة والضياء ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم والاول أولى (فى مقعد صدق) من اضافة الموصوف الى الصفة أى فى مجلس حق ومكان مرضى

لالغو

من النار وقال تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الاهو رب العرش الكريم ثم قال تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين و يثيب المؤمنين وقوله عز وجل ميقاتهم أجمعين أى يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ أى لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وكقوله جلت عظمته ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم أى لا يسأل اخا له عن حاله وهو يراه عيانا وقوله جل وعلا ولاهم ينصرون أى (١٦٧) لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من

لا لغو فيه ولا كذب ولا تأثيم وهو الجنة وأريد به الجنس وقرئ مقاعد شاذا (عند مليك) أى عزيز الملك واسعه (مقتدر) أى قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء وعندهنا كناية عن الكرامة وشرف المنزلة وتقريب الرتبة بحيث ابهم على ذوى الافهام وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير

(سورة الرحمن هى ست أو ثمان وسبعون آية وهى مكية)

قال القرطبي كلها فى قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر قال ابن عباس الا آية منها وهى قوله يسأله من فى السموات والارض الآية وصوابه الآيتين كما صرح به الكازرونى والآيتان هما يسأله الى قوله كل يوم هو فى شان هذه واحدة فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه أخرى وقال ابن مسعود ومقاتل هى مدنية كلها والاول أصح قال ابن الزبير أنزلت بمكة وعن عائشة نزلت بمكة وعن ابن عباس مثله وعن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ وهو يصلى نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فبأى آلاء ربكما تكذبان أخرجه احمد وابن مردويه قال السيوطى بسند حسن وعن ابن عباس نزلت سورة الرحمن بالمدينة ويمكن الجمع بين القولين بانه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال مالى اراكم سكوتا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كلما أتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وحكى عن الامام احمد انه كان يستنكر روايته عن زهير وقال البزار لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه أخرجه البزار وابن جرير والدارقطنى فى الافراد وغيرهم من حديث ابن عمر وصحح السيوطى اسناده وقال البزار لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد وعن على سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

خارج ثم قال الا من رحم الله أى لا ينفع يومئذ الا رحمة الله عز وجل بخلقه انه هو العزيز الرحيم أى هو عزيز ذو رحمة واسعة (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون) يقول تعالى مخبرا عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والاثيم أى فى قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد انه أبو جهل ولا شك فى دخوله فى هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن همام بن الحرث ان أبا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الأثيم فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضى الله عنه قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر أى ليس له طعام من غيرها قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها فى الارض لافسدت على أهل الارض معايشهم وقد تقدم نحوه مرفوعا وقوله كالمهل قالوا كعكر الزيت يغلى فى البطون كغلى الحميم أى من حرارتها ورداءتها وقوله خذوه أى الكافر وقد ورد انه تعالى اذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون الفا منهم وقوله فاعتلوه أى سوقوه سحبا ودفعا فى ظهره قال مجاهد خذوه فاعتلوه أى خذوه فادفعوه وقال الفرزدق ليس الكرام بناحليك أباهم * حتى ترد الى عطية تعتل الى سواء الجحيم أى وسطها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كقوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود وقد تقدم ان الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل فى بدنه فيسلت ما فى بطنه من امعائه حتى تمرق من كعبيه أعاذنا الله

ثم عاليه من ذلك وقوله تبارك وتعالى ذق انك أنت العزيز الكريم أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أي لست بعزيز ولا كريم وقد قال الاموي في مغازيه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل لعنه الله فقال ان الله تعالى أمرني ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته (١٦٨) وأنزل ذق انك أنت العزيز الكريم وقوله عز وجل ان هذا ما كنتم به تمترون كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولهذا قال تعالى ههنا ان هذا ما كنتم به تمترون (ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثاني فقال ان المتقين أي لله في الدنيا في مقام أمين أي في الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب في جنات وعيون وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم وقوله تعالى يلبسون من سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها واستبرق وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش متقابلين أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره الى غيره وقوله تعالى كذلك وزوجناهم بحور عين أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كأنهن الياقوت والمرجان هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال لو ان حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها وقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة آمنين أي مهما

(الرحمن) مبتدأ وما بعده من الافعال خبر له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن آية مع هذا المضمر (١) وعلى الوجه الاول ليس بآية (علم القرآن) أي يسره للذكر ليحفظ ويتلى قاله الزجاج قال الكلبي علم القرآن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته وقيل علم جبريل القرآن وقيل علم الانسان وهذا أولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه وقيل جعله علامة لما يعبد الناس به وآية يعتبر بها قيل نزلت هذه الآية جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وقيل جوابا لقولهم وما الرحمن ولما كانت هذه السورة لتعديد نعمه التي انعم بها على عباده قدم النعمة التي هي أجلها قدرا وأكثرها نفعا وأعلاها رتبة وأتمها فائدة وأعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن العزيز فانها مدار سعادة الدارين وقطب رحى الخيرين وعماد الامرين وسنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية ثم امتن بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الامور ومرجع جميع الاشياء فقال (خلق الانسان) أي آدم قاله قتادة والحسن وقال ابن كيسان المراد هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاولى حمل الانسان على الجنس وقدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه أفاده السمين ثم امتن ثالثا بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد لانه لا يمكن ابراز ما في الضمائر ولا اظهار ما يدور في الخلد الا به فقال (علمه البيان) قال قتادة والحسن المراد بالبيان أسماء كل شيء وقيل المراد به اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس أي علمه النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علمه بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وآله وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال ابن كيسان المراد به بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وهو بعيد وقال الضحاك البيان الخير والشر والحدود والاحكام وقال الربيع بن أنس هو ما ينفعه مما يضره وقيل البيان الكتابة بالقلم والاولى حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون

(١) وذلك انهم عدوا الرحمن آية ولا يتم ذلك الا بانضمام خبر أو مخبر عنه اليه اذ الآية لابد أن تكون مفيدة اه سيدي والفدا أحمد

طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر اليهم كلما أرادوا وقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى هذا استثناء يؤكد النفي فانه استثناء منقطع ومعناه انهم لا يذوقون فيها الموت أبدا كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقد تقدم الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام وقال عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لأهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم ان تعيشوا فلا تموتوا أبدا وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا أبدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا رواه مسلم عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو اسحق وأهل العراق أبو مسلم الاغر وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الاغر وقال أبو بكر بن أبي دواد السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن ابراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا ييأس ويحيا فيها فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو ابن محمد الناقد حدثنا سليم بن عبد الله الرقي حدثنا مصعب بن ابراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدام بن داود حدثنا عبد الله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون وقال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة قال صلى الله

يتكلمون به (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروج ومنازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وقال ابن زيد وابن كيسان يعني ان بهما تحسب الاوقات والآجال والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب لان الدهر يكون كله ليلا أو نهارا قال الضحاك معنى بحسبان بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبهما الذي يدوران عليه قال الاخفش الحسبان جماعة الحساب مثل شهب وشهبان أو مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران وأما الحسبان بالضم في سورة الكهف فهو العذاب كما مضى وقال ابن عباس بحساب ومنازل يرسلان (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق والمراد بسجودهما انقيادهما لامر الله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين طوعا وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما في قوله يتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد المراد بالنجم نجم السماء وسجوده طلوعه ورجح هذا ابن جرير وقيل سجوده أفوله وسجود الشجر تمكينه من الاجتناء لثماره قال النحاس أصل السجود الاستسلام والانقياد لله وهذه الجملة والتي قبلها خبران آخران للرحمن وترك الرابط فيهما لظهوره كأنه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (والسماء رفعها) أي جعلها مرفوعة مسموكة فوق الارض (ووضع الميزان) المراد به العدل أي وضع وأثبت في الارض العدل الذي شرعه وأمر به كذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم قال الزجاج المعنى انه أمرنا بالعدل ويدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تجاوزوا العدل وقال الحسن والضحاك المراد به آلة الوزن ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف أي لا تجوروا فيما يوزن به وقيل الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وبه قال الحسين ابن الفضل والاول أولى ومعنى ان لا تطغوا لئلا تطغوا فلا نافية وتطغوا منصوب بان وقبلها لام العلة مقدرة وهذا أولى وقيل ان هي مفسرة لان في الوضع معنى القول ولا للنهي والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال الميزان الآلة التي يوزن بها قال طغيانه البخس وقيل الميزان كل ما توزن به الاشياء وتعرف

عليه وسلم إلا النوم أخو الموت ثم قال لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم وقوله تعالى ووقاهم عذاب الجحيم أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب ولهذا قال عز وجل فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم أي إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وقوله تبارك وتعالى فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها لعلهم يتذكرون أي يتفهمون ويعملون ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مسلياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك فارتقب أي انتظر إنهم مرتقبون أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وقال تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار آخر تفسير سورة الدخان ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الجاثية وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في الآية ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه وما أنزل الله تبارك

مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم وقيل المعنى أنه وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال ثم أمر سبحانه بإقامة العدل بعد إخباره للعباد بأنه وضعه لهم فقال (وأقيموا الوزن بالقسط) أي قوموا وزنكم بالعدل وقيل المعنى أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية قلت ومنه القسطاس بمعنى الميزان وقيل معناه لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل معناه لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم والأول أولى وقال قتادة في هذه الآية اعدل ابن آدم كما تحب أن يعدل لك وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس أمر سبحانه أولاً بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة ثم نهى عن الخسران الذي هو النقص والبخس وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه قرأ الجمهور تخسروا من أخسر وقرئ بفتح التاء والسين من خسر وهما لغتان ويقال أخسرت الميزان وخسرته ثم لما ذكر سبحانه أنه رفع السماء ذكر أنه وضع الأرض فقال (والأرض وضعها للأنام) أي خفضها مدحوة وبسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة ولا وجه لتخصيص الأنام بالإنس والجن قال ابن عباس للأنام للناس أي لأجل انتفاعهم بها وعنه قال كل شيء فيه روح (فيها فاكهة) أي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الثمار والجملة حال مقدرة والأحسن أن يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفعت بالفاعلية ونكرت لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى ثم أفرد النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال (والنخل) المعهود (ذات الأكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وأكمام وأكاميم والكم ما ستر شيئاً ومنه كم القميص بالضم والجمع كمام وكمة والكمة القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس قال الحسن ذات الأكمام أي ذات الليف فإن النخلة تكمم بالليف وكمامها ليفها الذي في أعناقها وسعفها وكفرها وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره

وتعالى من السحاب من المطر فى وقت الحاجة اليه وسماه رزقا لان به يحصل الرزق فأحيا به الارض بعد موتها أى بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شئ وقوله عزوجل وتصريف الرياح أى جنوبا وشمالا ودبورا وصبا برية وبحرية ليلية ونهارية ومنها ما هو للمطر ومنها ما هو للقاح ومنها ما هو غذاء للارواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج وقال سبحانه وتعالى أولا لآيات للمؤمنين ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف الى ما هو أشرف منه وأعلى وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما (١٧١) أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا غريبا فى خلق الانسان من الاخلاط الاربعة والله أعلم (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) يقول تعالى هذه آيات الله يعنى القرآن بما فيه من الحجج والبينات نتلوها عليك بالحق أى متضمنة الحق من الحق فاذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ثم قال تعالى ويل لكل أفاك أثيم أى أفاك فى قوله كذاب حلاف مهين أثيم فى فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال يسمع آيات الله تتلى عليه أى تقرأ عليه ثم يصر أى على كفره وجحوده استكبارا وعنادا كأن لم يسمعها أى كأنه ما سمعها فبشره بعذاب أليم أى فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أى اذا حفظ شيأ من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا أولئك لهم عذاب مهين أى فى مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال من ورائهم جهنم أى كل من اتصف بذلك سيصيرون

وجذوعه وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال وقال ابن عباس أوعية الطلع (والحب ذو العصف والريحان) الحب هو جميع ما يقتات من الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والارز والعصف قال السدى والفراء هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه قال ابن كيسان يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يبدو له ساق ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب قال الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا قال فى الصحاح وقال الحسن العصف التبن وقال مجاهد هو ورق الشجر والزرع وقيل هو ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس ومنه قوله كعصف مأكول وقيل هو الزرع الكثير قال قد أعصف الزرع ومكان معصف أى كثير الزرع قال ابن عباس العصف التبن والريحان خضرة الزرع وقال العصف ورق الزرع اذا يبس والريحان ما أنبتت الارض من الريحان الذى يشم وعنه قال العصف الزرع أول ما يخرج بقلا والريحان حين يستوى على سوقه ولم يسنبل والريحان الرزق فى قول الاكثر وفى لغة حمير وقال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد انه الريحان الذى يشم وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الكلبى ان العصف هو الورق الذى لا يؤكل والريحان هو الحب المأكول وقال الفراء أيضا العصف المأكول من الزرع والريحان ما لا يؤكل وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح قال ابن الاعرابى يقال شئ ريحانى وروحانى أى له روح وقال فى الصحاح الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت أبتغى ريحان الله وقيل العصف رزق البهائم والريحان رزق الناس قال ابن عباس كل ريحان فى القرآن فهو رزق قرأ الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاثة عطفا على فاكهة وقرئ بالنصب عطفا على الارض أو على اضمار فعل أى وخلق الحب ذا العصف وقرئ الريحان بالجر عطفا على العصف (فبأى آلاء) أى فبأى فرد من افراد نعم (ربكما تكذبان) أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها والمراد بالتكذيب الانكار والخطاب للجن والانس لان لفظ الانام يعمهما وغيرهما ثم خصص بهذا الخطاب من يعقل وبهذا قال الجمهور من المفسرين ويدل عليه قوله فيما سيأتى سنفرغ لكم أيه الثقلان ويدل على هذا ما قدمناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على الجن والانس وقيل الخطاب للانس وثناه على قاعدة العرب فى خطاب الواحد بلفظ التثنية كما قدمنا

الى جهنم يوم القيامة ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ أى لا ينفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أى ولا تغنى عنهم الآلهة التى عبدوها من دون الله شيأ ولهم عذاب عظيم ثم قال تبارك وتعالى هذا هدى يعنى القرآن والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم وهو المؤلم الموجع والله سبحانه وتعالى أعلم (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون)

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر لتجرى الفلك وهى السفن فيه بأمره تعالى فانه هو الذى أمر البحر بحملها ولتبتغوا من فضله أى فى المتاجر والمكاسب ولعلكم تشكرون أى على حصول المنافع المجلوبة اليكم من الاقاليم النائية والآفاق القاصية ثم قال عز وجل وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض أى من الكواكب والجبال والبحار والانهار وجميع ما تنتفعون به أى الجميع من فضله واحسانه وامتنانه ولهذا قال جميعا منه أى من عنده وحده لا شريك له فى ذلك كما قال تبارك وتعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وروى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه كل شئ هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن انه كذلك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا الفريابى عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى اراكة قال سأل رجل عبد الله بن عمر رضى الله رسول عنهما مم خلق الخلق قال من النور والنار والظلمة والثرى قال وائت ابن عباس رضى الله عنهما فاسأله فأتاه فقال له مثل ذلك فقال ارجع اليه فسله مم خلق ذلك كله فرجع اليه فسأله فتلا وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه هذا أثر غريب وفيه نكارة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى ليصفحوا عنهم ويتحملوا الاذى منهم وكان هذا فى ابتداء الاسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم أمروا

فى قوله ألقيا فى جهنم والآلاء النعم قال القرطبى وهو قول جميع المفسرين واحدها الى وألى مثل معى ومعى وعصا والى وألى أربع لغات حكاها النحاس وزاد فى القاموس الو وقال ابن زيد انها القدرة أى فبأى قدرته وبه قال الكلبى وقال ابن عباس فبأى نعمة الله وقال يعنى الجن والانس وكرر سبحانه هذه الآية فى هذه السورة فى احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير بها على عادة العرب فى الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدا الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب ايات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء رفع البلاء وتأخير العقاب وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاوليين أخذا من قوله ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة أفاده شيخ الاسلام فى متشابه القرآن قال القتيبى ان الله عدد فى هذه السورة نعماءه وذكر خلقه آلاءه ثم أتبع كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع له احسانك وهو يكفره ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا والتكرير حسن فى مثل هذا ومنه قول الشاعر

لا تقتلى رجلا ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك

ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس بالاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليهم قال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازى وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة وكررت هذه اللفظة فى هذه السورة اما للتأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى قال الجلال المحلى والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا

على العباد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقال مجاهد لا يرجون أيام الله لا ينالون نعم الله تعالى وقوله تبارك وتعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون أي اذا صفحوا عنهم في الدنيا فان الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ولهذا قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون أي تعودون اليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم (١٧٣) بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم وارسال الرسل اليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات أي من المآكل والمشارب وفضلناهم على العالمين أي في زمانهم وآتيناهم بينات من الامر أي حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وانما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الامة ان تسلك مسلكهم وان تقصد منهجهم ولهذا قال جل وعلا ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها أي اتبع ما أوحي اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين وقال جل جلاله ههنا ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم الا خسارا ودمارا وهلاكا والله ولي المتقين وهو تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ثم قال عز وجل هذا بصائر للناس يعني القرآن وهدى ورحمة لقوم يوقنون (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قلت ويؤخذ من هذا انه يسن لسامع القارئ لهذه السورة ان يجيبه بالجواب المذكور كلما قرأ الآية المذكورة كما فعلت الجن وأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ولام على الصحابة في سكوتهم وصرح بالسنية الكازروني في تفسيره وصنيع أبي السعود يقتضي ان الاستفهام للتوبيخ والانكار ولفظه الفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعم وصنوف الآلاء الموجبة للشكر والايمان حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ وقرئ آلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر في جميع هذه السورة ولما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير وهو السماء والارض وما فيهما ذكر خلق العالم الصغير وقال (خلق الانسان) وهذا تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والمراد بالانسان هنا آدم قال القرطبي بالاتفاق من أهل التأويل ولا يبعد ان يراد به الجنس لان بني آدم مخلوقون في ضمن خلق أبيهم آدم (من صلصال) أي من طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت اذا نقر أي ليختبر هل فيه عيب أولا وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن يقال صل اللحم واصل اذا أنتن وقد تقدم بيانه في سورة الحجر (كالفخار) أي الخزف الذي طبخ بالنار والمعنى انه خلق الانسان من طين يشبه في يبسه الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى في آل عمران من تراب وقال في الحجر من حمإ مسنون وقال في الصافات من طين لازب وزاد الخازن من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فيها اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار قال الخطيب المذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة اثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه والغالب في جبلته التراب فلذا نسب اليه وان كان خلقه من العناصر

محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) يقول تعالى لا يستوى المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تبارك وتعالى ههنا أم حسب الذين اجترحوا السيآت اى عملوها وكسبوها ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم أى نساويهم بهم فى الدنيا (١٧٤) والآخرة ساء ما يحكمون أى ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا ان نساوى بين الأبرار والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن اهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخى حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجى عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقى الله من الفاسقين قيل وما هن يا أباذر قال يسلم حلال الله لله وحرام الله لله وأمر الله لله ونهى الله لله لا يؤتمن عليهن الا الله قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم كما انه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الابرار هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن اسحق فى كتاب السيرة انهم وجدوا حجرا بمكة فى أس الكعبة مكتوب عليه تعملون السيآت وترجون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب وقد روى الطبرانى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن مسروق ان تميما الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهذا قال تعالى ساء ما يحكمون وقال عز وجل وخلق الله السموات والارض بالحق أى بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ثم قال جل وعلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى انما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة فى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لا يهوى شيأ الا عبده وقوله وأضله الله على علم يحتمل قولين أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه والثانى يستلزم الاول ولا ينعكس

الاربع كان الجان من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجان من مارج) يعنى خلق أبا الجن وقيل هو ابليس أو جنس الجن ومن لابتداء الغاية والمارج اللهب الصافى من النار وقيل الخالص منها وقيل لسانها الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد قال المبرد المارج النار المرسلة التى لا تمنع وقال أبو عبادة المارج خلط النار من مرج اذا اختلط واضطرب قال الجوهرى مارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان وقال ابن عباس من لهب النار وخالصها وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (من نار) هو بيان للمارج أو من للتبعيض أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى أو من صاف من نار أو مختلط من النار كما تقدم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانه أنعم عليكما فى تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لا تحصى فهلا اعترفتم بهذه الاصول فصدقتم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى هو ربهما وقيل مبتدأ وخبره مرج البحرين بينهما اعتراض والاول أولى والمراد بالمشرقين مشرق الشتاء والصيف وبالمغربين مغرباهما قال ابن عباس للشمس مطلع فى الشتاء ومغرب فى الشتاء ومطلع فى الصيف ومغرب فى الصيف غير مطلعها فى الشتاء وغير مغربها فى الشتاء وعنه قال مشرق الفجر ومشرق الشفق ومغرب الشمس ومغرب الشفق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان فى ذلك من النعم ما لا يحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أو غير ذلك ولا يتيسر لمن أنصف من نفسه تكذيب فرد من افراده (مرج البحرين يلتقيان) المرج التخلية والارسال يقال مرجت الدابة اذا أرسلتها وأصله الاهمال كما تمرج الدابة فى المرعى قال الحسن وقتادة هما بحرا فارس والروم وقال ابن جريج هما البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان وقيل بحر السماء وبحر الارض وقيل بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما والمعنى خلى وأهمل وانه أرسل كل واحد منهما يتجاوران ويتماسان على وجه الارض لا فصل بينهما فى مرأى العين قال سعيد بن جبير يلتقيان فى كل عام وقيل يلتقى طرفاهما ومع ذلك ولم يختلطا فلهذا قال (بينهما برزخ)

وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة أى فلا يسمع ما ينفعه ولا يعى شيأ يهتدى به ولا يرى حجة يستضئ بها ولهذا قال تعالى فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من (١٧٥) مشركى العرب فى انكار المعاد وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أى ما ثم الا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة والالهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون ان فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شئ الى ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا الا الدهر قال الله تعالى وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون أى يتوهمون ويتخيلون فأما الحديث الذى أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائى من رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب ليله ونهاره وفى رواية لا تسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى فى كتابه وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ويسبون الدهر فقال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روى يونس عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى حاجز يحجز بينهما وقيل البرزخ الجزائر (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بان يدخل فيه ويختلط به وقيل لا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق قال ابن عباس أرسل البحرين بينهما حاجز لا يختلطان بينهما من البعد ما لا يبغى كل واحد منهما على صاحبه وفى الخطيب لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه لا فى الظاهر ولا فى الباطن حتى ان العذب الداخل فى الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح فمتى حفرت فى جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت الماء العذب قال البقاعى بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى خلطهما الله تعالى فى رأى العين وحجز بينهما فى غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغى بعضكم على بعض أيها العقلاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان هذه الآية وأمثالها لا يتيسر تكذيبها بحال (يخرج) قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان (منهما اللؤلؤ) أى الدر (والمرجان) الخرز الاحمر المعروف وقال الفراء اللؤلؤ العظام والمرجان ما صغر قال الواحدى وهو قول جميع أهل اللغة وقال مقاتل والسدى ومجاهد اللؤلؤ صغار الدر والمرجان كباره وقال ابن عباس اذا امطرت السماء تفتحت الاصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ وعن على قال المرجان عظام اللؤلؤ وقال ابن عباس اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان اللؤلؤ الصغار وقال ابن مسعود المرجان الخرز الاحمر وقال منهما وانما يخرج ذلك من المالح لا من العذب لانه اذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما كذا قال الزجاج وغيره وقال أبو على الفارسى هو من باب حذف المضاف أى من أحدهما كقوله على رجل من القريتين عظيم وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقال الاخفش زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقيل هما بحر السماء وبحر الارض فاذا وقع ماء السماء فى صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا عنهما وقال بعضهم كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان فى البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما فى قعر البحر وأجاب عنه ابن عادل بان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن

يقول قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس ابن يزيد به وقال محمد بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي يقول وادهراه وأنا الدهر قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الائمة في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر كانت العرب في جاهليتها اذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا ياخيبة الدهر فيسندون تلك الافعال الى الدهر (١٧٦) ويسبونه وانما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم انما سبوا الله عز وجل لانه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لان الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه و يسندون اليه تلك الافعال هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الاسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات أي اذا استدل عليهم و بين لهم الحق وان الله تعالى قادر على اعادة الابدان بعد فنائها وتفرقها ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أي أحيوهم ان كان ما تقولونه حقا قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم الى الوجود كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم أي الذي قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه أي انما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يوم يجمعكم ليوم الجمع لأي يوم أجلت وقال ليوم الفصل وما نؤخره الا لأجل معدود وقال ههنا ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الاجساد قال الله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا أي يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا (ولله ملك السموات والارض و يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

عليهم الايمان يألفون و يشاهدون ولا يخلو هذا الجواب عن التعسف (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان في ذلك الخروج من الآيات مالا يستطيع أحد تكذيبه ولا يقدر على انكاره (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) المراد بالجوار السفن الجارية في البحر وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان لم تكن كذلك فقال تعالى لنوح واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازي الفلك أولا ثم السفينة ثم الجارية والمرأة المملوكة تسمى أيضا جارية لان شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والعامة على كسر الراء من الجوار لانه منقوص على فواعل والياء محذوفة لفظا وقرئ برفع الراء تناسيا للمحذوف وقرئ باثبات الياء في الوقف ولا تثبت في الرسم لانها من ياآت الزوائد والمنشآت المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالاعلام وهي الجبال والعلم الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر وقال قتادة المنشآت المخلوقات للجري وقال الاخفش المنشآت المجريات وقيل المحدثات المسخرات وقيل الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن وقد مضى الكلام على هذا في سورة الشورى وافراد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين وقرئ بكسرها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه ولا انكاره (كل من عليها فان) أي كل من على الارض من الحيوانات هالك وعلى هذا لا يحتاج لتخصيص الآية بغير الجنة والنار والحور والولدان والحجب والعرش والارواح وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن الجميع بلفظ من وقيل أراد من عليها من الجن والانس ولا يقال ان هذه الآية الى قوله يطوفون بينها وبين حميم آن ليست نعما فكيف قال عقب كل منها فبأي آلاء الآية والجواب ان ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من أعظم المنن وقيل وجه النعمة في فناء الخلق ان الموت سبب النقلة الى دار الجزاء والثواب قال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب وقيل جسر يوصل الحبيب الى الحبيب

يخبر تعالى أنه مالك السموات والارض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل ويوم تقوم الساعة أي يوم القيامة يخسر المبطلون وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات وقال ابن أبي حاتم قدم سفيان الثوري المدينة فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس فقال له يا شيخ أما علمت ان الله تعالى يوما يخسر فيه المبطلون قال فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله تعالى ذكره ابن أبي حاتم ثم قال تعالى وترى كل أمة جاثية أي على ركبها من الشدة والعظمة ويقال ان هذا اذا جيء بجهنم (١٧٧) فانها تزفر زفرة لا يبقى أحد الا جثا لركبتيه حتى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسي نفسي نفسي لا أسألك اليوم الا نفسي وحتى ان عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لا أسألك اليوم الا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني قال مجاهد وكعب الاحبار والحسن البصري كل أمة جاثية أي على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والاول أولى قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم وقال اسمعيل بن رافع المديني عن محمد ابن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في حديث الصور فيتميز الناس وتجثوا الامم وهي التي يقول الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وهذا فيه جمع بين القولين ولا منافاة والله أعلم وقوله عز وجل كل أمة تدعى الى كتابها يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ولهذا قال سبحانه وتعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ولهذا قال جلت عظمته هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أي انا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم

وقال مقاتل وجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت تستوى الاقدام (ويبقى وجه ربك) الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا وقيل المعنى وتبقى حجته التي يتقرب بها اليه والاول أولى والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له وخاطب الاثنين في قوله فبأي آلاء ربكما وخاطب هنا الواحد لان الاشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبقى وجه ربك أيها السامع ليعلم كل أحد أن غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء ولم يقل ويبقى وجه الرب من غير خطاب مع انه أدل على فناء الكل لان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب (ذو الجلال) أي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح يقال جل الشيء أي عظم وأجللته أي أعظمته وهو اسم من جل قرأ الجمهور ذو على انه صفة للوجه وقرئ ذي على انه صفة لرب (والاكرام) معناه انه يكرم عن كل شيء لا يليق به وقيل انه ذو الاكرام لاوليائه فني وصفه بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله فبأي آلاء فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم من أجل النعم وأعظم الآلاء عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم أم بغيرها ومما قلت في معنى الآية

تفنى السقاة وتفنى الكاس والنادي * ومن تلاقيه من خل ومن عادي
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها * يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي

(يسأله من في السموات والارض) مستأنف أو حال من وجه والعامل فيه يبقى أي يبقى مسؤلا عمن فيهما أي يسألونه جميعا لانهم محتاجون اليه قال أبو صالح يسأله أهل السموات المغفرة ولا يسألونه الرزق وأهل الارض يسألونه الامرين جميعا وقال مقاتل يسأله أهل الارض المغفرة والرزق وتسأل لهم الملائكة أيضا الرزق والمغفرة فكانت المسئلتان

عليكم قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء فيقابلون الملائكة الذين فى ديوان الاعمال على ما بأيدى الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ فى كل ليلة قدر مما قد كتبه الله فى القدم على العباد قبل ان يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى (١٧٨) ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيآت ما عملوا

وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى عن حكمه فى خلقه يوم القيامة فقال تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة وهى الخالصة الموافقة للشرع فيدخلهم ربهم فى رحمته وهى الجنة كما ثبت فى الصحيح ان الله تعالى قال للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء ذلك هو الفوز المبين أى البين الواضح ثم قال تعالى وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عند سماعها وكنتم قوما مجرمين أى فى أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها أى اذا قال لكم المؤمنون ذلك قلتم ماندرى ما الساعة أى لانعرفها ان نظن الا ظنا أى ان نتوهم وقوعها الا توهما أى مرجوحا ولهذا قال وما نحن بمستيقنين أى بمتحققين قال الله تعالى وبدا لهم سيآت ما عملوا أى وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة وحاق بهم أى أحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن أى من العذاب والنكال وقيل اليوم ننساكم أى نعاملكم معاملة الناسى لكم فى نار جهنم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أى فلم تعملوا له لانكم لم تصدقوا به ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وقد ثبت فى الصحيح ان الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة ألم أزوجك

جميعا من أهل السماء وأهل الارض لاهل الارض وكذا قال ابن جريج وقيل يسألونه الرحمة قال قتادة لايستغنى عنه أهل السماء ولا أهل الارض أى فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والحاصل انه يسأله كل مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال أو لسان الحال ما يطلبونه من خيرى الدارين أو من خير أحدهما وقال ابن عباس مسئلة عباده اياه الرزق والموت والحياة (كل يوم هو فى شان) أى استقر سبحانه فى شأن كل وقت من الاوقات واليوم عبارة عن الوقت والشان هو الامر ومن جملة شؤنه سبحانه إعطاء أهل السموات والارض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين أغراضهم قال المفسرون من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويفقر ويعز ويذل ويمرض ويشفى ويعطى ويمنع ويغفر ويعاقب ويرحم ويغضب الى غير ذلك مما لايحصى وقيل كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأنا وشيأ وقيل المراد سوق المقادير الى المواقيت وقال الحسين بن الفضل انها شؤن له يبديها لاشؤن يبتديها وقال أبو سليمان الدارانى فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى ولا وجه لتخصيص شأن دون شأن بل الآية تدل على انه سبحانه كل يوم فى شأن من الشؤن له أى شأن كان من غير تعيين وشؤنه سبحانه لاتحصى ولا يعلمها الا هو فالعموم أولى وأنسب بمقام القدرة وكمالها وقيل المراد باليوم المذكور هو يوم الدنيا ويوم الآخرة وشأنه فى الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وغير ذلك وشأنه فى الآخرة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك قال ابن بحر وسفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما ستة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة وقيل المراد كل يوم من أيام الدنيا عن عبد الله بن منيب قال تلا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقلنا يارسول الله وما ذلك الشأن قال ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده والبزار وابن جرير والطبرانى وأبو الشيخ فى العظمة وابن منده وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر وعن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية مثله أخرجه البخارى فى تاريخه وابن ماجه وابن أبى عاصم وغيرهم وزاد البزار ويجيب داعيا وقد رواه البخارى تعليقا

ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم انساك كما نسيتني قال الله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا أي انما جازيناكم هذا الجزاء لانكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزؤن بها وغرتكم الحياة الدنيا أي خدعتكم فاطمأننتم اليها فاصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عزوجل فاليوم لا يخرجون منها أي من النار ولا هم يستعتبون أي يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين (١٧٩) والكافرين قال فلله الحمد رب السموات ورب الارض أي المالك لهما وما فيهما ولهذا قال رب العالمين ثم قال جل وعلا وله الكبرياء في السموات والارض قال مجاهد يعني السلطان أي هو العظيم الممجد الذي كل شئ خاضع لديه فقير اليه وقد ورد في الحديث الصحيح يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما اسكنته ناري رواه مسلم من حديث الاعمش عن أبي اسحق عن الاغر بن مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله تعالى وهو العزيز أي الذي لا يغالب ولا يمانع الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا اله الا هو آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الاحقاف وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) يخبر تعالى انه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام والحكمة في الاقوال والافعال ثم قال تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق أي لا على وجه

تعليقا وجعله من كلام أبي الدرداء وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويفرج كربا أخرجه البزار (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان اختلاف شؤنه سبحانه في تدبير أمر عباده نعمة لا يمكن جحدها ولا يتيسر لمكذب تكذيبها (سنفرغ لكم أيه الثقلان) هذا وعيد شديد من الله سبحانه للجن والانس قال القرطبي يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي بذلته قال الزجاج والكسائي وابن الاعرابي وأبو علي الفارسي ان الفراغ ههنا ليس هو الفراغ من شغل لان الله تعالى ليس له شغل يفرغ منه ولا يشغله شأن عن شأن ولكن تأويله القصد أي سنقصد لحسابكم أو مجازاتكم أو محاسبتكم قال الواحدي حاكيا عن المفسرين ومنهم ابن عباس ان هذا تهديد من الله سبحانه لعباده ومن هذا قول القائل لمن يريد تهديده اذن أتفرغ لك أي أقصد قصدك وفرغ يجيء بمعنى قصد قال الزجاج ان الفراغ في اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من الشغل والآخر القصد للشئ والاقبال عليه كما هنا ويكون الكلام على طريق التمثيل والاستعارة وقد ألم (١) به صاحب المفتاح ونحا اليه الزمخشري وقيل ان الله سبحانه وعد على التقوى وأوعد على المعصية ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه وبه قال الحسن ومقاتل وابن زيد قرأ الجمهور سنفرغ بالنون وضم الراء وقرئ بالنون مع فتح الراء قال الكسائي هي لغة تميم وقرئ بكسر النون وفتح الراء وقرئ بالياء التحتية مفتوحة مع ضم الراء أي سيفرغ الله وقرئ بضم الياء وفتح الراء وترسم أيه بغير ألف وأما في النطق فقرأ أبو عمرو والكسائي أيها بالالف في الوقف ووقف الباقون على الرسم أيه بتسكين الهاء وفي الوصل قرأ ابن عامر أيه بضم الهاء والباقون بفتحها وسمي الجن والانس الثقلين لعظم شأنهما بالنسبة الى غيرهما من حيوانات الارض وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احياء وأمواتا كما في قوله وأخرجت الارض أثقالها وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل لانهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف وجمع في قوله لكم ثم قال أيه الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ومن جملتها ما في هذا التهديد من النعم فمن ذلك انه ينزجر به المسيء عن اساءته ويزداد به المحسن احسانا فيكون ذلك سببا للفوز بنعيم الدار الآخرة الذي هو النعيم في الحقيقة (يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان قدم الجن هنا لكون

(١) حيث قال الفراغ الخلاص عن المهام والله عزوجل لا يشغله شان عن شان وقع مستعارا للاخذ في الجزاء وحده وهو المراد في قول صاحب الكشاف فجعل ذلك فراغا لهم على طريق التمثيل اه مصححه

العبث والباطل وأجل مسمى أي والى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص وقوله تعالى والذين كفروا عما أنذروا معرضون أي لاهين عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى اليهم كتابا وأرسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أي وسيعلمون غب ذلك ثم قال تعالى قل أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أي أرشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الارض أم لهم شرك في السموات أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطمير ان الملك والتصرف كله الا لله عز وجل (١٨٠) فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به من أرشدكم الى هذا من دعاكم اليه أهو أمركم به أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ولهذا قال ائتوني بكتاب من قبل هذا أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الاصنام أو أثارة من علم أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ان كنتم صادقين أي لا دليل لكم لا نقليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون أو أثرة من علم أي أو علم صحيح يؤثرونه عن أحد ممن قبلهم كما قال مجاهد في قوله تعالى أو أثارة من علم أو أحد يأثر علما وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أو بينة من الامر وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن حكيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سفيان لا أعلم الا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصري أو أثارة شيء يستخرجه فيثيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضا أو أثارة من علم يعني الخط وقال قتادة أو أثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الاقوال متقاربة وهي راجعة الى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه وقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون أي لا أضل ممن يدعو أصناما ويطلب منها ما لا تستطيعه الى يوم القيامة وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لانها جماد حجارة صم وقوله تبارك وتعالى واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين كقوله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا أي سيخونونهم أحوج

خلق أبيهم متقدما على خلق آدم ولوجود جنسهم قبل جنس الانس وهذا الخطاب يقال لهما في الآخرة وقيل في الدنيا ويرجح كونه في الآخرة قوله يرسل عليكما الخ فان هذا الارسال انما هو في القيامة كما سيأتي وكذا قوله فاذا انشقت السماء (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) أي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما ونواحيهما وأطرافهما هربا من قضاء الله وقدره (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم واهربوا واخرجوا فيهما كنتم يدرككم الموت يقال نفذ الشيء من الشيء اذا خلص منه كما يخلص السهم والامر بالنفوذ أمر تعجيز (لا تنفذون الا بسلطان) أي لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر ولا قهر ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة والسلطان القوة التي يتسلط بها صاحبها على الامر قال الضحاك بينما الناس في أسواقهم اذ انشقت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس وعلى هذا يكون في الدنيا قال ابن المبارك ان ذلك يكون في الآخرة وقال الضحاك أيضا معنى الآية ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقيل ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان أي ببينة من الله وقال قتادة معناها لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى أي لا تنفذون الا الى سلطان وقال ابن عباس لا تخرجون من سلطاني (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد فانها تزيد المحسن احسانا وتكف المسيء عن اساءته مع ان من حذركم وأنذركم قادر على الايقاع بكم من دون مهلة (يرسل عليكما شواظ من نار) قرأ الجمهور يرسل بضم التحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون ونصب شواظ وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وقرئ بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد والشواظ اللهب الذي لا دخان معه قال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال الاخفش وأبو عمرو هو النار والدخان جميعا وقال ابن عباس هو لهب النار وقيل هو اللهب الخالص (ونحاس) قرأ الجمهور بضم النون وقرئ بكسرها وقرئ نحس والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو الدخان الذي لا لهب له وبه قال الخليل

مايكون اليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) يقول عزوجل مخبرا عن المشركين فى كفرهم وعنادهم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله بينات أى فى حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون هذا سحر مبين أى سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا أم يقولون افتراه يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ أى لو كذبت عليه وزعمت انه أرسلنى وليس كذلك لعاقبنى أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الارض لا أنتم ولا غيركم ان يجيرنى منه كقوله تبارك وتعالى قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد وقوله جل وعلا وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم الى التوبة والانابة أى ومع هذا كله ان رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عزوجل فى سورة الفرقان وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقوله تبارك وتعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلى فما أنا بالامر الذى لا نظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثتى اليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الانبياء الى الامم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة قل ما كنت بدعا من الرسل ما أنا بأول رسول ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم غير ذلك وقوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية نزل

وقال الضحاك هو دردى الزيت المغلى وقال الكسائى هو النار التى لها ريح شديدة وقال ابن عباس هو دخان النار وعنه قال الصفر يعذبون به وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير ان يمتزج أحدهما بالآخر وقرئ نحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار وهما سبعيتان لكن قراءة الجر لابد فيها من كسر شين شواظ أو امالة نار فمن قرأ بالجر يريدون أحد الامرين فقد وقع فى التلفيق لان هذا الوجه لم يقرأ به أحد قال المهدوى من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر فى نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذى لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف فكأنه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشئ من نحاس (فلا تنتصران) أى لا تقدران على الامتناع من عذاب الله بل يسوقكم الى المحشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الوعيد الذى يكون به الانزجار عن الشر والرغب فى الخير (فاذا انشقت السماء) أى انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة أو انفك بعضها من بعض لقيام الساعة وقيل انفجرت فصارت أبوابا لنزول الملائكة لتحيط بالعالم من سائر جهات الارض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل المراد منه خراب السماء وفيه تهويل وتعظيم للامر (فكانت وردة) أى كوردة حمراء أو محمرة مثلها قال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل فكانت كلون الفرس الورد قاله ابن عباس وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة والصفرة (كالدهان) قال الفراء وأبو عبيدة تصير السماء كالاديم لشدة حر النار وقال ابن عباس كالاديم الاحمر أى على خلاف العهد بها وهو الزرقة وقال الفراء أيضا شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد فى ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه والدهان جمع دهن كقرط وقراط ورمح ورماح وقيل انه اسم مفرد أى اسم لما يدهن به كالحزام والادام قاله الزمخشرى وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها وقال الحسن كالدهان اى كصبيب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه ألوانا وقال زيد بن أسلم انها تصير كعكر الزيت قال الزجاج وقتادة انها اليوم خضراء ويكون لها لون أحمر حكاه الثعلبى قال الماوردى زعم المتقدمون ان أصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض الهواء بينها ترى بهذا اللون الازرق كما يرى الدم فى العروق أزرق ولا هواء هناك يمنع من اللون الاصلى ذكره الكرخى والعمادى

بعدها ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة انها منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله فما هو فاعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح ان المؤمنين قالوا هنيأ لك يا رسول الله فما لنا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك وما أدري ما يفعل بي ولا بكم اي ما ادري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا وقال ابو بكر الهذلي (١٨٢) عن الحسن البصري في قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قال أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم انه في الجنة ولكن قال لا ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اخرج كما اخرجت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي ام أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولا ادري ايخسف بكم او ترمون بالحجارة وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره ولا شك ان هذا هو اللائق به صلى الله عليه وسلم فانه بالنسبة الى الآخرة جازم انه يصير الى الجنة هو ومن اتبعه وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤل اليه أمره وامر مشركي قريش الى ماذا ايؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن ام العلاء وهي امرأة من نسائهم اخبرته وكانت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت طار لهم في السكنى حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فمرضناه حتى اذا توفي أدرجناه في اثوابه فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب شهادتي عليك لقد اكرمك الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله تعالى اكرمه فقلت لا ادري بأبي انت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لأرجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فقلت والله لا ازكي احدا بعده ابدا واحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عمله فقد انفرد باخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له ما ادري وانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

والكازروني (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها ما في هذا التهديد والتخويف من حسن العاقبة بالاقبال على الخير والاعراض عن الشر (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أي يوم تنشق السماء لا يسئل أحد من الانس ولا من الجن عن ذنبه لانهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم فالتنوين عوض عن الجملة والفاء جواب الشرط وقيل هو محذوف اى فاذا انشقت السماء رأيت أمرا مهولا والهاء في ذنبه تعود على أحد المذكورين وضمير الآخر مقدر أي ولا يسئل عن ذنبه جان أيضا وناصب الظرف لا يسئل ولا غير مانعة والجمع بين مثل هذه الآية وبين مثل قوله فوربك لنسألنهم أجمعين ان ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة وقيل قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل انهم لا يسئلون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم لان الله سبحانه قد أحصى الاعمال وحفظها على العباد ولكن يسئلون سؤال توبيخ وتقريع ومثل هذه الآية قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال أبو العالية المعنى لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم وقيل ان عدم السؤال هو عند البعث والسؤال هو في موقف الحساب وقال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا والجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الوعيد الشديد لكثرة ما يترتب عليه من الفوائد (يعرف المجرمون بسيماهم) هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال والسيما العلامة قال الحسن سيماهم سواد الوجوه وزرقة الاعين كما في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقيل سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) قال أبو حيان يؤخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قلت يسحب انما يتعدى بعلى قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقال ضمن معنى يدفع أي يدفعون وقال مكي انما يقال أخذت الناصية وأخذت بها ولو قلت أخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكى عن العرب أخذت الخطام وأخذت بالخطام بمعنى قاله الكرخي والنواصي شعور مقدم الرأس والمعنى انها تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل

ما يفعل بي وهذا اشبه ان يكون هو المحفوظ بدليل قولها فاحزنني ذلك وفي هذا وأمثاله دلالة على انه لا يقطع لمعين بالجنة الا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء و بلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما اشبه هؤلاء رضي الله عنهم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي أي انما اتبع ما ينزله الله على من الوحي وما انا الا نذير مبين اي بين النذارة امري ظاهر لكل ذي لب وعقل والله اعلم (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله (١٨٣) لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به أي ما ظنكم ان الله صانع بكم ان كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله على لابلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أي وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي بشرت به وأخبرت بمثل ما اخبر هذا القرآن به وقوله عز وجل فآمن أي هذا الذي شهد بصدقه من بني اسرائيل لمعرفته بحقيته واستكبرتم أنتم عن اتباعه وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم انتم بنبيكم وكتابكم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية واسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة رواه عنهما ابن جرير

تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بنواصيهم وتجرهم على وجوههم وتارة تأخذ بأقدامهم وتجرهم على رؤسهم قال ابن عباس تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذا الترهيب الشديد والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الاحشاء (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يقال لهم عند الاخذ بالنواصي والاقدام فقيل يقال لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي تشاهدونها وتنظرون اليها مع انكم كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون (يطوفون) أي يترددون ويسعون (بينها) أي بين جهنم فتحرقهم (وبين حميم آن) نصب وجوههم فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم والحميم الماء الحار والآن الذي قد انتهى حره وبلغ غايته كذا قال الفراء وقال الزجاج أنى يأنى أنى فهو آن اذا انتهى في النضج والحرارة وقال ابن عباس هو الذي انتهى حره وقيل هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه باغلالهم حتى تنخلع أوصالهم قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف وما يحصل به من الترغيب في الخير والترهيب عن الشر ولما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه الاخروية التي أنعم بها عليهم فقال (ولمن خاف) أي لكل فرد من افراد الخائفين أو لمجموعهم (١) والاول هو المعتمد (مقام ربه) مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب كما في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل المعنى خاف قيام ربه عليه وهو اشرافه على احواله واطلاعه على افعاله واقواله كما في قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أو قيام الخائف عند ربه للحساب وحاصله احتمالات ثلاثة في تفسير المقام أولها انه اسم مكان والثاني انه مصدر تحته احتمالان اما بمعنى قيام الله على الخلائق أو بمعنى قيام الخلائق بين يديه قال مجاهد والنخعي هو الرجل الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وفيه اشارة الى سبب استحقاق الجنتين في نفس الامر وهو انه ليس مجرد الخوف بل الخوف الناشئ عنه ترك المعاصي (جنتان) اختلف فيهما فقال مقاتل يعني جنة عدن وجنة النعيم وقيل احداهما التي خلقت له والاخرى ورثها وقيل احداهما منزله والاخرى منزل أزواجه وقيل احداهما أسافل القصور والاخرى أعاليها

(١) يعني ان الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فكل خائف ليس له الا جنة واحدة والاول هو المعتمد كما قاله المؤلف سلمه الله اه مصححه

وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدي والثوري ومالك بن انس وابن زيد انهم كلهم قالوا انه عبد الله بن سلام وقوله تعالى وقال الذين كفروا (١٨٤) للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ماسبقنا هؤلاء اليه يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضي الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والاماء وماذاك الا لأنهم عند انفسهم يعتقدون ان لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا واخطؤا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لانه لو كان خيرا لسبقونا اليه لانهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير الا وقد بادروا اليها وقوله تعالى واذلم يهتدوا به أي بالقرآن فسيقولون هذا افك قديم أي كذب قديم أي مأثور عن الناس الأقدمين فينتقصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذي قال رسول صلى الله عليه وسلم بطر الحق وغمط الناس ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى وهو التوراة اماما ورحمة وهذا كتاب يعني القرآن مصدق أي وحماء لما قبله من الكتب لسانا عربيا أي فصيحا بينا واضحا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين أي مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة وقوله تعالى فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلون ولاهم يحزنون على ما خلفوا أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون أي الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون

وقيل جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية وقيل جنة للعقيدة التي يعتقدها وجنة للعمل الذي يعمله وقيل جنة بالعمل وجنة بالتفضل وقيل جنة روحانية وجنة جسمانية وقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال الفراء انما هي جنة واحدة والتثنية لاجل موافقة رؤس الآي قال النحاس وهذا من أعظم الغلط على كتاب الله فان الله يقول جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيهما الخ وقيل انما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة قال ابن عباس وعبد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فادوا فرائضه الجنتين وعنه أيضا يقول خاف ثم اتقى والخائف من ركب طاعة الله وترك معصيته وعن عطاء انها نزلت في أبي بكر وعن ابن شوذب مثله وقال ابن مسعود في الآية لمن خافه في الدنيا وعن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق قال نعم وان رغم أنف أبي الدرداء أخرجه أحمد والترمذي والنسائي والبزار وأبو يعلى والطبراني وغيرهما وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال أبو الدرداء وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان زنى وان سرق وان رغم أنف أبي الدرداء أخرجه ابن مردويه وعن يسار مولى لآل معاوية عن أبي الدرداء في الآية قال قيل لأبي الدرداء وان زنى وان سرق قال من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق وعن ابن شهاب قال كنت عند هشام بن عبد الملك فقال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أبو هريرة وان زنى وان سرق فقلت انما كان ذلك قبل ان تنزل الفرائض فلما نزلت الفرائض ذهب هذا أخرجه ابن مردويه وعن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنان الفردوس أربع جنات جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنه في الآية قال جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين قال القرطبي في هذه الآية دليل على ان من قال لزوجته ان لم أكن من أهل الجنة فانت طالق أنه لايحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله

شهرا حتى اذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيا تهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) لما ذكر تعالى فى الآية الاولى التوحيد له واخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون فى غير ما آية من القرآن كقوله عز و جل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا وقال جل جلاله أن اشكرلى ولوالديك الى المصير الى غير ذلك من الآيات الكثيرة (١٨٥) وقال عز و جل ههنا ووصينا الانسان بوالديه احسانا أى أمرناه بالاحسان اليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة أخبرنى سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضى الله عنه قال قالت أم سعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ونزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه احسانا الآية ورواه مسلم وأهل السنن الا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه حملته أمه كرها أى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب الى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ووضعته كرها أى بمشقة أيضا من الطلق وشدته وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقد استدل على رضى الله عنه بهذه الآية مع التى فى لقمان وفصاله فى عامين وقوله تبارك وتعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال محمد بن اسحق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهنى قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها الى عثمان رضى الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت اختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بى أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضى الله سبحانه وتعالى فى ما شاء فلما أتى بها عثمان رضى الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فأتاه فقال له ما تصنع قال ولدت تماما الستة أشهر

وحياء منه وهو قول سفيان الثورى وبه أفتى ومذهب الشافعى أنه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذه النعمة العظيمة وهى اعطاء الخائف من مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة (ذواتا أفنان) أى صاحبتا أفنان هذه صفة للجنتين وما بينهما اعتراض أو خبر مبتدا محذوف أى هما ذواتا قال الخطيب وفى تثنية ذات لغتان الاولى الرد الى الاصل فان أصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذوى والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتان انتهى ومثله قال السمين وعبارة الجلال المحلى تثنية ذوات على الاصل ولامها ياء انتهى والافنان الاغصان وهى الدقيقة التى تتفرع من فروع الشجر واحدها فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا وبهذا قال مجاهد وعكرمة وعطية وغيرهم وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الاثمار وقال الزجاج الافنان الالوان واحدها فن كدن وهو الضرب والنوع من كل شئ وبه قال عطاء وسعيد بن جبير وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل معناها ذواتا فضل وسعة على ما سواهما قاله قتادة وقيل ذواتا أنواع واشكال من الثمار وقيل الافنان ظل الاغصان على الحيطان روى عن مجاهد وعكرمة قال ابن عباس ذواتا ألوان وقال فنن غصونها يمس بعضها بعضا وقال الفن الغصن والمعنى ان له فيهما ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال قائلهم

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان كل واحد منها ليس محل للتكذيب ولا موضع للانكار (فيهما) أى فى كل واحدة منهما (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وهذا ايضا صفة أخرى للجنتين قال الحسن احداهما السلسبيل والاخرى التسنيم وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا أضعافا مضاعفة حصاهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحمأتهما المسك الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال أبو بكر الوراق تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز و جل فتجريان فى كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه فى الاشجار فى كل غصن منها وان زاد علوها (فبأى آلاء ربكما

وهل يكون ذلك فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال حولين كاملين فلم نجده بقي الا ستة أشهر قال فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت لهذا علي بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل فأنا أول العابدين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا واذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا واذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لان الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده أي قوي وشب وارتجل و بلغ أربعين سنة أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه و يقال انه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الاربعين قال أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال قلت لمسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال اذا بلغت الاربعين فخذ حذرك وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الله القواريري حدثنا عروة ابن قيس الازدي وكان قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن السلولي عمرو بن أوس قال قال محمد بن عمرو ابن عثمان عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العبد المسلم اذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه واذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة اليه واذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء واذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته واذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه وقد روي هذا من غير هذا الوجه وهو في مسند الامام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه. فلما علاه قال للباطل ابعد

قال رب أوزعني أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي

تكذبان) فان من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لاهل السعادة (فيهما من كل فاكهة زوجان) هذا صفة ثالثة للجنتان والزوجان الصنفان والنوعان والمعنى ان في الجنتين من كل نوع يتفكه به في الدنيا ضربين يستلذ بكل نوع من أنواعه قيل أحد الصنفين رطب والآخر يابس لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب قيل ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان في مجرد تعداد هذه النعم ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب الى فعل الخير والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهمه وذلك نعمة عظمى ومنة كبرى فكيف بالتنعم به عند الوصول اليه (متكئين) قال في القاموس توكأ عليه تحامل واعتمد واتكأ جعل له متكأ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم اما انا فلا آكل متكئا أي جالسا جلوس المتمكن المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الاكل بل كان جلوسه للاكل مستوفزا مقعيا غير متربع ولا متمكن وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وانتصابه على الحال من فاعل قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من وقيل منصوب على المدح وقيل عاملها محذوف والتقدير يتنعمون متكئين أي مضطجعين أو متربعين (على فرش بطائنها من استبرق) والفرش جمع فراش والبطائن هي التي تحت الظهائر وهي جمع بطانة قال الزجاج هي ما يلي الارض والاستبرق ما غلظ من الديباج واذا كانت البطائن من استبرق فكيف تكون الظهائر قيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فيه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وبه قال ابن عباس قيل انما اقتصر على ذكر البطائن لانه لم يكن أحد في الارض يعرف ما في الظهائر وقال الحسن بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال الحسن أيضا البطائن هي الظهائر وبه قال الفراء وقال قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وأنكر ابن قتيبة هذا وقال لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين قال ابن مسعود رضي الله عنه في الآية أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم

وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه أى فى المستقبل وأصلح لى فى ذريتى أى نسلى وعقبى انى تبت اليك وانى من المسلمين وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله عز وجل ويعزم عليها وقد روى أبوداود فى سننه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم ان يقولوا فى التشهد اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا قال الله عز وجل أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة أى هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون الى الله المنيبون اليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفارهم الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيآتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل فى أصحاب الجنة أى هم فى جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب اليه وأناب ولهذا قال تعالى وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال ابن جرير حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين عليه الصلاة والسلام قال يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله تعالى فى الجنة قال فدخلت على مزداد فحدث بمثل هذا قال قلت فان ذهبت الحسنة قال أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الاعلى الصنعانى عن المعتمر بن سليمان باسناده مثله وزاد عن الروح الامين قال قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيآته فذكره وهو حديث غريب واسناده

(١٨٧)

الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) مبتدأ وخبر ودان أصله دانو مثل غازفأعل اعلاله وجنى فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والجنى ما يجتنى من الثمار قيل ان الشجرة تدنو حتى يجتنيها من يريد جناها قال ابن عباس جناها ثمرها والدانى القريب ينالك أى يناله القائم والقاعد والمتكئ والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قال الرازى جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها ان الثمرة على رؤس الشجر فى الدنيا بعيدة عن الانسان المتكئ وفى الجنة يتكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان فى الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفى الآخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها ان الانسان فى الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه فى وقت واحد ومكان واحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانها كلها بموضع لا يتيسر لمكذب ان يكذب بشئ منها لما يشتمل عليه من الفوائد العاجلة والآجلة (فيهن) أى فى الجنتين المذكورتين لان أقل الجمع اثنان (١) أو لاشتمالهما على أماكن وعلالى وقصور ومجالس قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما أعد لصاحبهما فيهما من النعيم أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى وقيل فيهن أى فى الفرش التى بطائنها من استبرق قال أبو حيان وفيه بعد لان الاستعمال ان يقال على الفراش كذا ولا يقال فى الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشرى مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك وقال الفراء كل موضع فى الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به أى انهن يقصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين من الانس والجن لا ينظرن الى غيرهم ولا يرين سواهم والآية دلت على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها وقد تقدم هذا فى سورة الصافات قال ابن عباس قاصرات الطرف عن غير أزواجهن قال الرازى وانظر الى حسن هذا الترتيب فانه بين أولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والعيون الجارية ثم ذكر المأكول ثم ذكر موضع الراحة بعد

(١) أشار بهذا الى ان الضمير راجع الى الجنتين ومنازلهما أو يعود على الجنات الدال عليهن جنتان لان كل فرد من الخائفين له جنتان فصح انهما جنات كثيرة كذا قال الكرخى اهـ سيد ذو الفقار أحمد

جيد لا بأس به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة فقال لي يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وعنده عمار وصعصعة والاشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده فقال قائل منهم ان عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال علي رضي الله عنه (١٨٨) كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه قال آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الاشقياء العاقين للوالدين فقال والذي قال لوالديه أف لكما وهذا عام في كل من قال هذا ومن زعم انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف لان عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان من خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابن لابي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج وقال آخرون عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وهذا أيضا قول السدي وانما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عقهما وقال ابن

الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من أعظم الملذذات قال (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الضمير راجع الى الازواج المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل يعود الى المتكئين والجملة نعت لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا أو حال لتخصص النكرة بالاضافة قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث الجارية اذا افترعها وقيل الطمث المس أي لم يمسسهن قاله أبو عمرو وقال المبرد أي لم يذللهن والطمث التذليل ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء قول الفرزدق

دفعن الي ولم يطمثن قبلي * وهن أصح من بيض النعام

وفي السمين أصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض أو دم الجماع قال الواحدي قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قبلهم أحد ولم يتسلط عليهن قال مقاتل لانهن خلقن في الجنة وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر أبكارا وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا والاول أولى قرأ الجمهور يطمثهن بكسر الميم وقرئ بضمها وبفتحها وفي هذه الآية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه قال ابن عباس في الآية لم يطمثهن لم يدن منهن أو لم يدمهن وفي الآية دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضي ذلك اذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان في مجرد هذا الترغيب في هذه النعم نعمة جليلة ومنة عظيمة لان به يحصل الحرص على الاعمال الصالحة والفرار من الاعمال الطالحة فكيف بالوصول الى هذه النعم والتنعم بها في جنات النعيم بلا انقطاع ولا زوال (كأنهن الياقوت والمرجان) هذا صفة لقاصرات أو حال منهن ولم يذكر مكي غيره والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لا تؤثر فيه ومن المعلوم ان الياقوت أحمر اللون فهذا التشبيه يقتضي ان لون أهل الجنة البياض المشرب بحمرة فينافي المقرر المعلوم من انه البياض المشرب بصفرة فالجواب ان التشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة وهذا لا ينافي ان البياض مشرب بصفرة كما قال الحسن هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وانما خص المرجان على القول بأنه

صغار

أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن اسمعيل بن ابي خالد أخبرني عبد الله المديني قال اني لفي المسجد حين خطب مروان فقال ان الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وان يستخلفه فقد استخلفه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقلية ان أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها في معاوية الا رحمة وكرامة لولده فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما فقال عبد الرحمن رضي الله عنه ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك (١٨٩) قال وسمعتهما عائشة رضي الله عنها فقالت يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حين أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف وقد رواه البخاري باسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي أنزل فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب ما أنزل الله عز وجل فينا شيأ من القرآن الا ان الله تعالى أنزل عذري طريق أخرى قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي أنزل الله تعالى فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله وقوله أتعدانني ان أخرج أي أبعث وقد خلت القرون من قبلي أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر وهما يستغيثان الله أي يسألان الله فيه ان يهديه ويقولان لولدهما ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير

صغار الدر لان صفاءها أشد من صفاء كبار الدر عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ينظر الى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء الجنة لترى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فحجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصغيته لرأيته من ورائه أخرجه ابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وغيرهم وقد رواه الترمذي موقوفا وقال هو أصح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان نعمه كلها لا يتيسر تكذيب شيء منها كائنة ما كانت فكيف بهذه النعم الجليلة والمنن الجزيلة (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) هل ترد في الكلام على أربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله هل أتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل أنتم منتهون وبمعنى الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ وكما في هذه الآية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا الا الاحسان اليه في الآخرة كذا قال ابن زيد وغيره وقال الصادق هل جزاء من أحسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد قال الرازي في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكروني أذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال محمد بن الحنفية هي للبر والفاجر البر في الآخرة والفاجر في الدنيا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وضعفه وأخرج البغوي في تفسيره وغيره في غيره عن أنس مرفوعا مثله وعن جابر مرفوعا في الآية قال هل جزاء من أنعمنا عليه بالاسلام الا ان أدخله الجنة وأخرج ابن النجار عن علي مرفوعا مثل حديث ابن عمر وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله في الدنيا الا الجنة في الآخرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي هذه الآية في سورة الرحمن للكافر والمسلم هل جزاء

الاولين قال الله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وقوله أولئك بعد قوله والذي قال دليل على ما ذكرناه من انه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقتادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان الحلبي عن سليم بن حبيب المحاربي عن أبي امامة الباهلي رضي الله (١٩٠) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل المسكين قال خالد الذي يهوي بيده الى المسكين فيقول هلم أعطيك فاذا جاءه قال ليس معي شيء والذي يقول للماعون ابن(١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا غريب جدا وقوله تبارك وتعالى ولكل درجات مما عملوا أي لكل عذاب بحسب عمله وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون أي لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات النار تذهب سفالا ودرجات الجنة تذهب علوا وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها ويقول أخاف ان أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال أبو مجلز لفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقوله عز وجل فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض الله بغير الحق وبما كنتم تفسقون فجوزوا من جنس عملهم فكما نعموا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الاهانة والخزي والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظعة أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه

الاحسان الا الاحسان أخرجه ابن عدي وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي والبيهقي وأخرجه ابن مردويه موقوفا على ابن عباس وقال ابراهيم الخواص في الآية هل جزاء الاسلام الا دار الاسلام وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها الاحسان اليكم في الدنيا والآخرة بالخلق والرزق والارشاد الى العمل الصالح والزجر عن العمل الذي لا يرضاه (ومن دونهما جنتان) أي من دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة جنتان أخريان لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة ومعنى من دونهما أي من امامهما ومن قبلهما أي هما أقرب منهما وأدنى الى العرش فهما أفضل من الاولين والى هذا ذهب الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقيل دونهما في الدرج وقيل بالفضل وقيل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى قال ابن جريج هي أربع جنات جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان قال ابن زيد ان الاولين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان كلها حق ونعم لا يمكن جحدها ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الاخريين فقال (مدهامتان) وما بينهما اعتراض قال أبو عبيدة والزجاج من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل ما علاه السواد ريا فهو مدهم عند العرب قال مجاهد مسودتان والدهمة في اللغة السواد يقال فرس أدهم وبعير أدهم اذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذي فيه وناقة دهماء وادهام ادهيماما أي اسواد وسميت قرى العراق سواد الكثرة خضرتها والشاة لدهماء الحمراء الخالصة الحمرة ويقال للقيد أدهم وفي المختار دهمهم الامر غشيهم وبابه فهم وكذا دهمتهم الخيل ودهمهم بفتح الهاء لغة وقال ابن عباس هما خضراوان قد اسودتا من الخضرة من الري من الماء وعن ابن الزبير نحوه وعن أبي أيوب الانصاري قال سألت النبي صلى

(١) بياض بأصله

ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه واذكر أخا عاد وهو هود عليه الصلاة والسلام بعثه الله عزوجل الى عاد الاولى وكانوا يسكنون الاحقاف جمع حقف وهو الجبل (١٩١) من الرمل قاله ابن زيد وقال عكرمة الاحقاف الجبل والغار وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر قال ابن ماجه باب اذا دعا فليبدأ بنفسه حدثنا الحسين بن على الخلال حدثنا ابى (١) حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا على بن اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمنا الله وأخا عاد وقوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه يعنى وقد أرسل الله تعالى الى من حول بلادهم فى القرى مرسلين ومنذرين كقوله عزوجل فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وكقوله جل وعلا فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أى قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا أى لتصدنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادا منهم وقوعه كقوله جلت عظمته يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال انما العلم عند الله أى الله أعلم بكم ان كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأنى انى أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون أى لا تعقلون ولا تفهمون قال الله تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم أى لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا انه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين الى المطر قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم أى هو العذاب الذى قلتم فأتنا بما تعدنا ان كنت من

الله عليه وسلم عن قوله مدهامتان قال خضراوان أخرجه الطبرانى وابن مردويه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان جميعها نعم ظاهرة واضحة لا تجحد ولا تنكر (فيهما عينان نضاختان) النضخ فوران الماء من العين والمعنى ان فى الجنتين المذكورتين عينين فوارتين قال أهل اللغة والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة لان بالحاء الرش وبالخاء المعجمة فوران الماء قاله السمين قال الحسن ومجاهد تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير انها تنضخ بأنواع الفواكه والماء قال ابن عباس فائضتان تنضخان بالماء وقيل بالخير والبركة على أهل الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فانها ليست بموضع للتكذيب ولا بمكان للجحد (فيهما فاكهة ونخل ورمان) هذا من صفات الجنتين المذكورتين قريبا والنخل والرمان وان كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة الى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والازهرى وغيرهما وقيل انما خصهما لكثرتهما فى أرض العرب قال الخطيب كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التى يعجبون بها وقيل خصهما لان النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء وقد ذهب الى انهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم وبه قال الشافعى فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة وحينئذ فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلا ولم يخالف فى ذلك الا أبو حنيفة رحمه الله وقد خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد وهو قول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له فى الآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان من جملتها هذه النعم التى فى جنات النعيم ومجرد الحكاية لها تؤثر فى نفوس السامعين وتجذبهم الى طاعة رب العالمين (فيهن خيرات حسان) قرأ الجمهور خيرات بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى هى جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال امرأة خيرة وأخرى شرة أو جمع خيرة مخفف خيرة وعلى الثانية جمع خيرة بالتشديد قال الواحدى قال المفسرون الخيرات النساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه قيل وهذه الصفة عائدة الى الجنان لاربع ولا وجه لهذا فانه قد وصف نساء الجنتين الاوليين بأنهن قاصرات الطرف كأنهن الياقوت والمرجان وبين الصفتين بون بعيد عن ابن مسعود فى الآية قال

(١) بياض بالاصل

الصادقين تدمر أي تخرب كل شيء من بلادهم مما من شأنه الخراب بأمر ربها أي باذن الله لها في ذلك كقوله سبحانه وتعالى ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم أي كالشيء البالي ولهذا قال عز وجل فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم أي قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم يبق لهم باقية كذلك نجزي القوم المجرمين أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا وقد ورد حديث في قصتهم وهو غريب جدا من غرائب الحديث وافراده قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن (١٩٢) الحرث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغي اليه قال فحملتها فأتيت بها المدينة فاذا المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تخفق واذا بلال رضي الله عنه متقلدا السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما شأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه وجها قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال صلى الله عليه وسلم هل كان بينكم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني ان أحملها اليك فها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله ان رأيت ان تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فالى أين يضطر مضطرك قال قلت ان مثلي ما قال الاول معزى حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر انها كانت لي خصما أعوذ بالله ورسوله ان أكون كوافد عاد قال لي وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت ان عادا قحطوا فاحس فبعثوا وافدا لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم لم أجئ الى مريض فأداويه ولا الى أسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر فأومأ الى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا رمددا لا تبقي من عاد أحدا قال فما بلغني انه أرسل عليهم من الريح الا كقدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافدا لهم

لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها من الله كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مراحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عنه مرفوعا واختلف أيهما أكثر حسنا وأبهى جمالا الحور أو الآدميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة كقوله عليه السلام في دعائه على الميت في الجنازة وأبدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف وروي مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج الانبياء والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن وفيه بعد بعيد والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا وانما هن مخلوقات في الجنة لان الله قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أقل ساكني الجنة النساء فلا يصيب كل واحد منهم امرأة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نساء الدنيا ذكره القرطبي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان شيئا منها كائنا ما كان لا يقبل التكذيب (حور مقصورات في الخيام) أي محبوسات فيها ومنه القصر لانه يحبس من فيه وقيل مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي مخدرة والحور جمع حوراء وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها وقد تقدم بيان معنى الحوراء والخلاف فيه وقيل معنى مقصورات انهن قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وحكاه الواحدي عن المفسرين والاول أولى وبه قال أبو عبيدة ومقاتل وغيرهما قال في الصحاح قصرت الشيء أقصره قصرا حبسته والمعنى انهن خدرن في الخيام والخيام جمع خيمة وقيل جمع خيم والخيم جمع خيمة وهي أعواد تنصب وتظلل بالثياب فتكون أبرد من الاخبية قيل الخيمة من خيام الجنة درة مجوفة فرسخ في فرسخ قال ابن عباس مقصورات محبوسات في الخيام قال في بيوت اللؤلؤ وقال الحور سود الحدق وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيام در مجوف أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن (فبأي آلاء ربكما) الذي صوركم

فأحسن صوركم وجعل لكم في الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم) أي قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان) وقد تقدم تفسيره في صفة الجنتين الاولين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فانها كلها نعم لاتكفر ومنن لاتجحد (متكئين على رفرف خضر) قرأ الجمهور رفرف على الافراد وقرئ رفارف على الجمع وقرئ خضر بضم الخاء وسكون الضاد المعجمة وبضمها وهي لغة قليلة قال أبو عبيدة الرفارف البسط وبه قال الحسن ومقاتل والضحاك وغيرهم وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وروى عن أبي عبيدة انه قال هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض قال في الصحاح والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة اسم جمع أو اسم جنس جمعي نقله سماكي وقال الزجاج قالوا الرفرف هنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقيل المحابس انتهى وقيل الطنافس ومن القائلين بانها رياض الجنة خضر خصبة سعيد بن جبير واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر وهي تحريك جناحيه في الهواء وقال ابن عباس رفرف فضول المحابس والفرش والبسط وعن علي قال هي فضول المحابس (وعبقري حسان) أي الزرابي والطنافس الموشية قال ابن عباس العبقري الزرابي والرفرف الرياض قال أبو عبيدة كل وشي من البسط عبقري وهو منسوب الى أرض يعمل فيها الوشي قال الفراء العبقري الطنافس الثخان وقيل الرقاق وقيل البسط وقيل الديباج قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكنها الجن ينسب اليها كل فائق قال الخليل العبقري عند العرب كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء قال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من أرض الجن ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع قرأ الجمهور عبقري وقرئ عباقري وعباقر وهو منسوبة الى عباقر اسم بلد وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان كل واحد منها أجل من ان يتطرق اليه التكذيب وأعظم من أن يجحده جاحد أو ينكره منكر وقد قدمنا في أوائل هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)

قالوا لاتسكن كوافد عاد ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الاعراف وقال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وقالت كان صلى الله عليه وسلم اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة مايؤمنني ان يكون

فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا واخرجاه من حديث ابن وهب طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ناشئا في أفق من آفاق السماء ترك عمله وان كان في صلاته ثم يقول اللهم اني أعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وان أمطر قال اللهم صيبا نافعا طريق أخرى قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء ابن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به قالت واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت سري عنه فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الاعراف وهود بما أغنى عن اعادته ههنا ولله تعالى الحمد والمنة وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا اسمعيل بن زكريا الكوفي حدثنا أبو مالك عن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافتح على عاد من الريح الا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم في البدو الى الحضر فلما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فألقي أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الابواب والله سبحانه وتعالى أعلم (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا

لهم سمعا وابصارا وافئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) يقول تعالى ولقد مكنا الامم السالفة فى الدنيا من الاموال والاولاد وأعطيناهم منها مالم نعطكم مثله ولا قريبا منه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وافئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أى وأحاط بهم العذاب والنكال الذى كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه أى فاحذروا أيها المخاطبون ان تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب فى الدنيا والآخرة وقوله تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى يعنى أهل مكة قد أهلك الله الامم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد وكانوا بالاحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت فى طريقهم وممرهم الى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضا وقوله عز وجل وصرفنا الآيات أى بيناها وأوضحناها لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أى فهل نصروهم عند احتياجهم اليهم بل ضلوا عنهم أى بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا اليهم وذلك افكهم أى كذبهم وما كانوا يفترون أى وافتراؤهم فى اتخاذهم اياهم آلهة وقد خابوا وخسروا فى عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم

منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين) قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو [illegible] عن الزبير واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه [illegible]
[illegible]

قرأ الجمهور بالجر على انه صفة للرب سبحانه وقرئ بالرفع على انه صفة للاسم وتبارك تفاعل من البركة قال الرازى وأصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون دائما والمعنى دام اسمه وثبت أودام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل فى الخير أو يكون معناه علا وارتفع شأنه وقيل معناه تنزيه الله سبحانه وتقديسه واذا كان هذا التبارك منسوبا الى اسمه عز وجل فما ظنك بذاته سبحانه وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل هو مقحم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائى غيره ولها الا مقدار ما يقول وعن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام أخرجه مسلم وقد تقدم تفسير ذى الجلال والاكرام فى هذه السورة وذكر سليمان الجمل هنا كلاما طويلا يتعلق بشرح هذه الآيات من تذكرة القرطبى وغالبه فى تفسيره لا نطول بذكره لقلة الفائدة

* (سورة الواقعة هى ست أو سبع أو تسع وتسعون آية) *

وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها نزلت بالمدينة وهى قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبى انها مكية الا أربع آيات منها وهى أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا فى سفره الى مكة وقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا فى سفره الى المدينة قال ابن عباس نزلت الواقعة بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدا أخرجه البيهقى فى الشعب والحرث بن أبى أسامة وأبو يعلى وابن مردويه وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلموها أولادكم أخرجه ابن عساكر وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى أخرجه الديلمى وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود والواقعة قال مسروق

من أراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة) أى قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة قال المفسرون وهى النفخة الاخيرة الثانية وقيل هى اسم للقيامة كالآزفة وغيرها وسميت الواقعة لانها كائنة لا محالة أو لقرب وقوعها أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد أى اذكر وقت وقوع الواقعة أو اذا وقعت كان كيت وكيت قاله مكى وقيل غير ذلك (ليس لوقعتها كاذبة) الكاذبة مصدر كالعاقبة أى ليس لمجيئها وظهورها كذب أصلا والمعنى انها اذا وقعت النفخة الآخرة عند البعث لم يكن هنالك تكذيب لها أصلا ولا تكون هنالك نفس تكذب على الله وتكذب بما اخبر عنه من امور الآخرة ووقوع القيامة لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام كقوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقال الزجاج معناه لا يردها شئ وبه قال الحسن وقتادة وقال الثورى ليس لوقعتها أحد يكذب بها وقال الكسائى ليس لها تكذيب أى لا ينبغى ان يكذب بها أحد وقال ابن عباس ليس لها مردود (خافضة رافعة) قرأ الجمهور برفعهما على اضمار مبتدأ أى هى خافضة وقرئ بنصبهما على الحال والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وغير ذلك قال عكرمة والسدى ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى وقال قتادة خفضت أقواما فى عذاب الله ورفعت أقواما الى طاعة الله وقال محمد بن كعب خفضت أقواما كانوا فى الدنيا مرفوعين ورفعت أقواما كانوا فى الدنيا مخفوضين والعرب تستعمل الخفض والرفع فى المكان والمكانة والعز والاهانة ونسبة الخفض والرفع اليها على طريق المجاز والخافض والرافع فى الحقيقة هو الله سبحانه قال ابن عباس خافضة رافعة تخفض ناسا وترفع آخرين وعنه قال أسمعت القريب والبعيد وعن عمر بن الخطاب قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا حركت حركة شديدة يقال رجه يرجه رجا اذا حركه والرجة الاضطراب وارتج البحر

دلائل النبوة أخبرنا ابو الحسن على بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا اسمعيل القاضى أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا الى قومهم قالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وانما أوحى اليه قول الجن رواه البخارى عن مسدد بنحوه وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبى عوانة به ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبى عوانة وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحى فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوا حقا وما زادوا باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير من سننهما من حديث اسرائيل به وقال الترمذى حسن صحيح وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما وكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصرى انه صلى الله عليه وسلم ما شعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم وذكر محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن محمد بن

كعب القرظي قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ودعائه اياهم الى الله عز وجل واباءهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة (١٩٦) الا بك قال فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين وهذا صحيح ولكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان بعد موت عمه وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن اسحق وغيره والله أعلم وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين الى ضلال مبين فهذا مع الاول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا [illegible] وفرحا [illegible] كما [illegible] لا [illegible] مما سنوردها ههنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة فاما ما رواه البخاري ومسلم جميعا عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد [illegible] عن أبي اسامة حماد بن اسامة عن مسعر بن كدام عن [illegible] عبد الرحمن قال [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن [illegible] [illegible] الاولى ويكون اثباته مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون في الاولى [illegible] [illegible] أي [illegible] اجتماعهم [illegible] الله أعلم ويحتمل ان يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم قال الحافظ البيهقي [illegible]

وغيره اضطرب قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها (وبست الجبال بسا) البس الفت يقال بس الشيء اذا فته حتى يصير فتاتا ويقال بس السويق اذا لته بالسمن أو بالزيت قال مجاهد ومقاتل المعنى ان الجبال فتت فتا وبه قال ابن عباس وقال السدي كسرت كسرا وقال الحسن قلعت من أصلها وقال مجاهد أيضا بست كما يبس الدقيق بالسمن أو بالزيت والمعنى انها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت وقال أبو زيد البس السوق والمعنى على هذا سيقت الجبال سوقا قال أبو عبيد بس الابل وابتسم العتان اذا زجرها وقال عكرمة المعنى هدت هدا وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقال قتادة ومقاتل وابن عباس ومجاهد معنى رجت زلزلت أي تخفض وترفع ووقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يرتفع ما هو منخفض وينخفض ما هو مرتفع وقيل المعنى وقوع الواقعة هو رج الارض وبس الجبال (فكانت هباء منبثا) أي غبارا متفرقا منتشرا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه وقال مجاهد الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وقيل هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب وقيل ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها على صورة الشرر فاذا وقع لم يكن شيأ قاله ابن عباس وعطية وقد تقدم بيانه في الفرقان عند تفسير قوله فجعلناه هباء منثورا قرأ الجمهور منبثا بالمثلثة وقرئ بالفوقية أي منقطعا من قولهم بتّه الله أي قطعه وقال ابن عباس شعاع الشمس وعنه الهباء ما يثور مع شعاع الشمس وانبثاثه تفرقه وقال علي الهباء المنبث رهج الدواب والهباء المنثور غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة ثم ذكر سبحانه أحوال الناس واختلافهم فقال (وكنتم أزواجا ثلاثة) الخطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط والمعنى وكنتم في ذلك اليوم أصنافا ثلاثة اثنان في الجنة وواحد في النار كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر فهو زوج قال ابن عباس الازواج الاصناف وهي التي في سورة الملائكة ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ثم فسر سبحانه هذه الاصناف فقال (فأصحاب الميمنة) وهي ما جهة اليمين أي أصحاب اليمين وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم أو الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة أي أصحاب

حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ذكر الرواية عنه بذلك) قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير ما فعل * قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان

في وجه الصبح أو قال في السحر اذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال انه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال قال الشعبي سألوه الزاد قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن اسمعيل بن علية بنحوه وقال مسلم أيضا حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقيل استطير اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم طريق أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أبو جعفر ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي حدثنا يونس عن الزهري عن عبيد الله قال ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الميمنة مبتدأ خبره (ما أصحاب الميمنة) أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم وسعادتهم وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير الرابط كما في قوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة ولا يجوز مثل هذا الا في مواضع التعظيم والتفخيم والكلام في قوله (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) كالكلام فيما تقدم والمراد بهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار أو يأخذون صحائف أعمالهم بشمائلهم والمراد تعجيب السامع من حال الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في نهاية السعادة وغاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وغاية سوء الحال فالاستفهام في كلا الموضعين للتعجيب وقال السدي أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وأصحاب المشأمة هم الذين كانوا عن شماله وقال زيد بن أسلم أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الايمن وأصحاب المشأمة هم الذين أخذوا من شقه الايسر وقال ابن جريج أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات وأصحاب المشأمة هم أهل السيآت وقال الحسن والربيع أصحاب الميمنة هم الميامين على أنفسهم بالاعمال الحسنة وأصحاب المشأمة هم المشائيم على أنفسهم بالاعمال القبيحة وقال المبرد أصحاب الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين وقيل المراد أصحاب المنزلة السنية الرفيعة وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة أخذا من تيامنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أخرج أحمد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي (والسابقون) مبتدأ وخبره قوله (السابقون) والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم كما مر في القسمين الاولين كما تقول أنت أنت وزيد زيد وفيه تأويلان أحدهما يعني السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك وعرفت محاسنهم والثاني ان متعلق السبقين مختلف والتقدير السابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والاول أولى لما فيه من الدلالة على التفخيم والتعظيم وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل أمة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقال محمد بن كعب انهم الانبياء وقال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون طريق أخرى فيها انه كان معه ليلة الجن قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي عن عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهو بمكة من أحب منكم ان يحضر أمر الجن الليلة فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني ان أجلس فيه ثم انطلق حتى قام (١٩٨) فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال ما فعل الرهط قلت هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادا ثم نهى ان يستطيب أحد بروث أو عظم ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله ابن الحكم عن أبي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الايلي به ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به وقد روى اسحق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحو ما تقدم ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى ابن عبيدة عن سعيد بن الحرث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه أيضا طريق أخرى قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر ابن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثني أبي حدثنا ابن عفان وعارم قالا حدثنا معتمر قال أبي حدثني أبو تميمة عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] صلى

كف بين ظهرهم ثم لا تخرج منه فانك ان خرجت منها هلكت فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي انه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت انك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قال فكيف كان فذكر الحديث كله وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم خط عليه خطا وقال لا تبرح منها فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله صلى الله عليه

سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وقال مجاهد هم الذين سبقوا الى الجهاد وبه قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هم السابقون الى التوبة وأعمال البر وقال الزجاج المعنى والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله قال ابن عباس السابقون يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل ياسين سبق الى عيسى وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه سبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه قال نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكل رجل منهم سابق أمة وعلي أفضلهم سبقا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوا وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم أخرجه أحمد قيل ووجه تأخير هذا الصنف الثالث مع كونه أشرف من الصنفين الاولين وأسبق الاقسام وأقدمهم في الفضل هو ان يقترن به ما بعده وهو قوله (أولئك المقربون في جنات النعيم) فالاشارة هي اليهم أي المقربون الى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته أو الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية وما في أولئك من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده هذا أظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة وأشهره وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وجنات النعيم خبر ثان أو حال من الضمير في المقربون أو متعلق به أي قربوا الى رحمة الله فيها قرأ الجمهور جنات بالجمع وقرئ جنة بالافراد واضافة الجنات الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل (ثلة من الاولين) أي هم ثلة وهي الجماعة التي لا يحصر عددها قال الزجاج معنى ثلة فرقة من ثللت الشيء اذا قطعته والمراد بالاولين هم الامم السابقة من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من بينهما من الانبياء العظام (وقليل من الآخرين) أي من هذه الامة وسموا قليلا بالنسبة الى من كان قبلهم وهم كثيرون لكثرة الانبياء فيهم وكثرة من أجابهم قال الحسن سابقو من مضى أكثر من سابقينا قال الزجاج الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي

وسلم فذعر ثلاث مرات حتى اذا كان قريبا من الصبح أتانى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنمت فقلت لا والله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا فقال صلى الله عليه وسلم لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم ثم قال صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا مستثفرين ثيابا بياضا قال صلى الله عليه وسلم أولئك جن نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة فقلت يارسول الله وما يغنى ذلك عنهم فقال صلى الله عليه وسلم انهم لايجدون عظما الاوجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثا الاوجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة طريق أخرى قال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضى حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البوشنجى حدثنا روح ابن صلاح حدثنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال استتبعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نفرا من الجن خمسة عشر بنى اخوة وبنى عم يأتوننى الليلة فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه الى المكان الذى أراد فخط لى خطا وأجلسنى فيه وقال لى لاتخرج من هذا فبت فيه حتى أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحر فى يده عظم حائل وروثة وحممة فقال اذا ذهبت الى الخلاء فلا تستنج بشئ من هؤلاء قال فلما أصبحت قلت لأعلم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا طريق أخرى قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد المروزى حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن ابى الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لى خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان أنا أرحلهم عنك فقال انى لن يجيرنى من الله أحد طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبى فزارة العبسى حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما كان ليلة الجن قال لى النبى صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت ليس معى ماء ولكن معى اداوة فيها نبيذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم تمرة طيبة وماء طهور ورواه أبو داود والترمذى

صلى الله عليه وسلم ولا يخالف هذا ما ثبت فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم انى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال ثلث أهل الجنة ثم قال نصف أهل الجنة لان قوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين انما هو تفصيل للسابقين فقط كما سيأتى فى ذكر أصحاب اليمين انهم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فلا يمتنع أن يكون فى أصحاب اليمين من هذه الامة من هو أكثر من أصحاب اليمين من غيرهم فيجتمع من قليل سابقى هذه الامة ومن ثلة أصحاب اليمين منها من يكون نصف اهل الجنة والمقابلة بين الثلتين فى أصحاب اليمين لاتستلزم استواءهما لجواز أن يقال هذه الثلة أكثر من هذه الثلة كما يقال هذه الجماعة أكثر من هذه الجماعة وهذه الفرقة أكثر من هذه الفرقة وهذه القطعة أكثر من هذه القطعة وبهذا تعرف انه لم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بالحديث المذكور وعن أبى هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثانى أخرجه أحمد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ثم ذكر سبحانه حالة أخرى للسابقين المقربين فقال (على سرر موضونة) قرأ الجمهور بضم السين والراء الاولى وقرئ بفتح الراء وهى لغة كما تقدم جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة والموضونة المنسوجة والوضن النسج المضاعف يقال وضن الشئ يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه والغزل نسجه والموضونة الدرع المنسوجة أو المتقاربة النسج أو المنسوجة حلقتين حلقتين أو بالجواهر كذا فى القاموس قال الواحدى قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب وقيل مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد وقيل ان الموضونة المصفوفة قاله ابن عباس وقال مجاهد هى المرمولة بالذهب والمعنى مستقرين على سرر (متكئين عليها) أى على السرر على الجنب أو غيره كحال من يكون على كرسى فيوضع تحته شئ آخر للاتكاء عليه قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد ان يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس ارتفع (متقابلين)

وابن ماجه من حديث ابن زيد به طريق اخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق أخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أمعك ماء قال معى نبيذ فى اداوة قال صلى الله عليه وسلم اصبب على فتوضأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله شراب وطهور تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدارقطنى من طريق آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه به طريق اخرى قال الامام أحمد (٢٠٠) حدثنا عبد الرزاق أخبرنى أبى عن ميناء عن عبد الله رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ما شأنك قال نعيت الى نفسى يا ابن مسعود هكذا رأيته فى المسند مختصرا وقد رواه الحافظ أبو نعيم فى كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب حدثنا اسحق بن ابراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل حدثنا أبى قالا حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فتنفس فقلت مالك يا رسول الله قال نعيت الى نفسى يا ابن مسعود قلت استخلف قال من قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ما شأنك بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال نعيت الى نفسى يا ابن مسعود قلت استخلف قال من قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ما شأنك قال نعيت الى نفسى قلت فاستخلف قال صلى الله عليه وسلم من قلت على بن أبى طالب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم أما والذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين وهو حديث غريب جدا وأحر م به ان لا يكون محفوظا وبتقدير صحته فالظاهر ان هذا بعد وفودهم اليه بالمدينة على ما سنورده ان شاء الله تعالى فان فى ذلك الوقت كان فى آخر الامر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضا فى دين الله أفواجا نزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وهى السورة التى نعيت نفسه الكريمة فيها الينا نص على ذلك ابن عباس رضى الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويرد لوروده فى ذلك انه بالاصر

لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة وقال مجاهد وغيره هذا فى المؤمن وزوجته وأهله (يطوف عليهم ولدان مخلدون) اى يدور حولهم للخدمة غلمان شكلهم شكل الولدان دائما والجملة حالية اومستأنفة لبيان بعض ما أعد الله لهم من النعيم قال مجاهد المعنى لا يموتون وقال الحسن والكلبى لا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة مبقون أبدا قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون قال الفراء يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلدة وهى القرطة وهى الحلقة تعلق فى الاذن وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل مستورون بالحلية وروى نحوه عن الفراء وقيل مخلدون ممنطقون قيل وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا لا حسنة لهم ولا سيئة وهو ضعيف وقيل هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين فى الجنة ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من أولاد الدنيا وهذا هو الصحيح وأطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان أسنت (باكواب واباريق) الاكواب هى الاقداح المستديرة الافواه التى لا آذان لها ولا عرى وقد مضى بيان معناها فى سورة الزخرف والاباريق هى ذوات العرى والخراطيم واحدها ابريق وهو الذى يبرق لونه من صفائه ويرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس) اناء (من معين) اى من خمر جارية أو من ماء جار والمراد به هنا الخمر الجارية من منبع لا ينقطع ابدا وقد تقدم بيان معنى الكأس فى سورة الصافات (لا يصدعون عنها) اى لا تتصدع رؤسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا وعنها كناية عن الكاس اى بسببها والصداع هو الداء المعروف الذى يلحق الانسان فى راسه والخمر تؤثر فيه وقيل المعنى لا يتفرقون كما يتفرق الشراب ويقوى هذا المعنى قراءة مجاهد يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اى يتفرقون والجملة مستأنفة لبيان ما اعد الله لهم من النعيم (ولا ينزفون) اى لا يسكرون فتذهب عقولهم قرئ بكسر الزاى وبفتحها وهما سبعيتان من أنزف الشارب ونزف اذا نفد عقله او شرابه اى لا يحصل لهم منها ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وفاكهة مما يتخيرون) اى يختارونه يقال تخيرت الشئ اذا أخذت خيره اى الجيد

حديث سنورده ان شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم وقد رواه أبو نعيم أيضا عن الطبرانى عن محمد بن عبد الله الحضرمى عن على ابن الحسين بن أبى بردة عن يحيى بن يعمر الاسلمى عن حرب بن صبيح عن سعيد بن مسلمة عن أبى مرة الصنعانى عن أبى عبد الله الجدلى عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا اسناد غريب وسياق عجيب *طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن ابى رافع عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النحل وقال لا تبرح مكانك فاقرأهم كتاب الله (٢٠١) فلما رأى المرعى قال كأنهم هؤلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت لا قال أمعك نبيذ قلت نعم فتوضأ به *طريق أخرى مرسلة قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهرانى أخبرنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال هم اثنا عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه انظرنى حتى آتيك وخط عليه خطا وقال لا تبرح حتى آتيك فلما خشيهم ابن مسعود رضى الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبرح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لو ذهبت ما التقينا الى يوم القيامة *طريق أخرى مرسلة أيضا قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انى أمرت ان أقرأ على الجن فايكم يتبعنى فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله ان ذاك لذو ندبة

فاتبعه ابن مسعود رضى الله عنه أخو هذيل قال فدخل النبى صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود رضى الله عنه خطا ليثبته بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النسور تمشى فى دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللغط الذى سمعت قال صلى الله عليه وسلم اختصموا فى قتيل فقضى بينهم بالحق رواه ابن جرير وابن أبى حاتم فهذه الطرق كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون اليه فى ذلك الوقت وقد يحتمل ان أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ثم بعد

(مما يشتهون) اى ما يتمنونه وتشتهيه انفسهم والمعنى يطوفون عليهم بهذه الاشياء المأكول والمشروب والمتفكه به قرأ الجمهور وفاكهة ولحم طير بالجر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر مقدر اى ولهم فاكهة ولحم طير وفى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة لان الجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار ولذا قدم الفاكهة على اللحم عن ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا اخرجه ابن ابى الدنيا والبزار والبيهقى واخرج احمد والترمذى والضياء عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذه الطير لناعمة قال آكلها أنعم منها وانى لارجو ان تكون ممن يأكل منها وفى الباب أحاديث (وحور عين) قرأ الجمهور برفعهما عطفا على الولدان أو على تقدير مبتدا اى ونساؤهم حور عين أو على تقدير خبر اى ولهم حور عين وقرئ بجرهما عطفا على أكواب قال الزجاج وجاز أن يكون معطوفا على جنات أى هم فى جنات وفى حور على تقدير مضاف أى وفى معاشرة حور قال قطرب هو معطوف على الاكواب من غير حمل على المعنى قال ولا ينكر ان يطاف عليهم بالحور وتكون لهم فى ذلك لذة وقرئ بنصبهما على تقدير اضمار فعل كأنه قيل ويزوجون حورا عينا أو ويعطون والحور شديدات بياض أجسادهن قال أبو عمرو وليس فى بنى آدم حور وانما قيل للنساء حور العيون تشبيها بالظباء والبقر والعين شديدات سواد العيون مع سعتها وقد تقدم تفسير الحور العين فى سورة الطور وغيرها (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المصون فى الصفاء والنقاء شبهن باللؤلؤ المكنون وهو الذى لم تمسه الايدى ولا وقع عليه الغبار والشمس والهواء فهو أشد ما يكون صفاء قال ابن عباس المكنون المخزون الذى فى الصدف قال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال روى أن نورا سطع فى الجنة فقيل ماهذا قيل ثغر حوراء ضحكت (جزاء بما كانوا يعملون) أى يفعل بهم ذلك كله للجزاء باعمالهم أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) اللغو الباطل من الكلام والتأثيم النسبة الى الاثم قال محمد بن كعب لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما والمعنى انه لا يقول بعضهم لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم قال ابن عباس لغوا باطلا ولا تأثيما كذبا (الا قيلا سلاما سلاما) القيل

ذلك وفدوا اليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأما ابن مسعود رضي الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه اياهم وانما كان بعيدا منه ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة هذه طريقة البيهقي وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج اليهم لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الاولى من طريق الامام أحمد وهي عند مسلم ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسير قل أوحي الى من حديث ابن جريج (٢٠٢) قال قال عبد العزيز بن عمر أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي على انه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه ممن لم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الاديب حدثنا أبو بكر بن اسمعيل أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد ابن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم باداوة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال من هذا قال أنا أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ائتني باحجار أستنج بها ولا تأتني بعظم ولا روثة فأتيته باحجار في ثوبي فوضعتها الى جنبه حتى اذا فرغ وقام اتبعته فقلت يارسول الله ما بال العظم والروثة قال صلى الله عليه وسلم أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم الا وجدوه طعاما أخرجه البخاري في صحيحه

القول والاستثناء منقطع لان السلام لم يندرج تحت اللغو والتأثيم أي لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا أو الا ان يقولوا سلاما سلاما واختار هذا الزجاج أو الا قيلا سلموا سلاما سلاما والمعنى انهم لا يسمعون الا تحية بعضهم لبعض قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل انهم يفشون سلاما بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل ان قولهم يسلم من اللغو والاول أولى وقيل ان الاستثناء متصل وهو بعيد جدا وقرئ سلام سلام بالرفع وقيل يجوز الرفع على معنى سلام عليكم ولما فرغ سبحانه من ذكر أحوال السابقين وما أعده لهم من النعيم المقيم ذكر أحوال أصحاب اليمين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) قد قدمنا ما في هذه الجملة الاستفهامية من التفخيم والتعظيم (في سدر مخضود) أي هم في سدر والظرفية للمبالغة في التنعم والانتفاع به والسدر نوع من الشجر قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق والمخضود الذي خضد شوكه أي قطع فلا شوك فيه وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان ان السدر المخضود الموقر حملا وقد أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامة قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم أقبل أعرابي يوما فقال يارسول الله ذكر في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال وما هي قال السدر فان لها شوكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله يقول في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يتفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر قال ابن عباس خضده وقره من الحمل وعنه قال المخضود الذي لا شوك فيه وقال أيضا الموقر الذي لا شوك فيه (وطلح منضود) قال أكثر المفسرين ان الطلح في الآية هو شجر الموز وقال جماعة ليس هو شجر الموز ولكنه الطلح المعروف وهو أعظم أشجار العرب وقال الفراء وأبو عبيدة هو شجر عظام لها شوك وقيل هو شجر له ظل بارد طيب قال الزجاج الطلح هو أم غيلان ولها نور طيب فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا قال ويجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل شوكه قال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل والمنضود المتراكب الذي قد نضد أوله وآخره وأسفله وأعلاه بالحمل ليس له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى

عن موسى بن اسمعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريبا منه فهذا يدل مع ما تقدم على انهم وفدوا عليه بعد ذلك وسنذكر ان شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك وقد روي عن ابن عباس غير ما روي عنه أولا من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم فهذا يدل على انه قد روى القصتين وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أهل حران وأربعة من

أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسى وحسا ومنشى وشاصر وماضر والارد ابيان والاحقم وذكر أبو حمزة الثمالى ان هذا الحى من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود ابليس وقال سفيان الثورى عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم انهم كانوا خمسة عشر وفى رواية انهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه ان اسم سيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة انهم كانوا اثنى عشر ألفا فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم ومما يدل (٢٠٣) على ذلك ما قاله البخارى فى صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثنى ابن وهب حدثنى عمر هو ابن محمد قال ان سالما حدثه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ما سمعت عمر رضى الله عنه يقول لشئ قط انى لأظنه هكذا الا كان كما يظن بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظنى أو ان هذا على دينه فى الجاهلية أو لقد كان كاهنهم على بالرجل فدعى له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فانى أعزم عليك الا ما أخبرتنى قال كنت كاهنهم فى الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينما أنا يوما فى السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع فقالت

ألم تر الجن وابلاسها

ويأسها من بعد انكاسها

ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر رضى الله عنه صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبى هذا سياق البخارى وقد رواه البيهقى من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوهم ان عمر رضى الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذى ذبح وكذلك هو صريح فى رواية ضعيفة عن عمر رضى الله عنه وسائر الروايات تدل على ان هذا الكاهن هو الذى أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه [illegible]

فلما أخذه من ثم ولله الحمد والمنة قال البيهقى حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذى لم يذكر اسمه فى الحديث الصحيح أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الاصبهانى

أفنانها تصمد بغير كله كلما أخذت ثمرة عاد مكانها أحسن منها وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه عن عتبة بن عبد السلمى قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال يارسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر منها شوكا يعنى الطلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود يعنى الخصى منها فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر أخرجه ابن أبى داود والطبرانى وأبو نعيم وابن مردويه وعن على فى قوله طلح قال هو الموز وعن ابن عباس مثله وعن أبى هريرة مثله وعن أبى سعيد الخدرى مثله وقرأ على طلع وقال ابن عباس منضود بعضه على بعض (وظل ممدود) أى دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس قال أبو عبيدة والعرب تقول لكل شئ طويل لا ينقطع ممدود ومنه قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن أنس يعنى ظل العرش وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وأخرج البخارى وغيره نحوه من حديث أنس وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما نحوه من حديث أبى سعيد (وماء مسكوب) اى منصب جار يجرى بالليل والنهار أينما شاؤا لا ينقطع عنهم فهو مسكوب يسكبه الله فى مجاريه وأصل السكب الصب يقال سكبه سكبا أى صبه والمعنى جار بلا حد ولا خد أى فى غير أخدود (وفاكهة كثيرة) اى ألوان متنوعة وأجناس متكثرة (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كما تنقطع فواكه الدنيا فى بعض الاوقات وهذا نعت لفاكهة ولا للنفى كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها (ولا ممنوعة) أى لا تمتنع على من أرادها فى أى وقت على أى صفة شاء بل هى معدة لمن أرادها لا يحول بينه وبينها حائل من ثمن أو حائط أو باب أو سلم أو بعد قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قال ابن قتيبة يعنى انها غير محظورة عليها كما يحظر على البساتين فى الدنيا (وفرش مرفوعة) اى مرفوع بعضها فوق بعض أو مرفوعة على الاسرة وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتى فى الجنة وارتفاعها كونها على الارائك أو كونها

قرأته عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه أبو بكر القصري حدثنا محمد بن فراس الكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب قال فقال له عمر رضي الله عنه ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال فبينما نحن كذلك (٣٠٤) اذ طلع سواد بن قارب قال فقال له عمر رضي الله عنه يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال سواد رضي الله عنه فاني كنت نازلا بالهند وكان لي رئي من الجن قال فبينا أنا ذات ليلة نائم اذ جاءني في منامي ذلك قال قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما خير الجن كأنجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم
واسم بعينيك الى رأسها

قال ثم أنبهني فأفزعني وقال يا سواد ابن قارب ان الله عز وجل بعث نبيا فانهض اليه تهتدي وترشد فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها
وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
وليس قدماها كأذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم
واسم بعينيك الى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها تهوي الى مكة تبغي الهدى * ليس ذوو الشر كأخيارها فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنو الجن ككفارها قال فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله قال فانطلقت الى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بالمدينة يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قال قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه مني قال صلى الله عليه وسلم قل يا سواد فقلت

مرتفعات الاقدار في الحسن والكمال قال تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وحسنه وغيرهم وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد انتهى وهو ضعيف (انا أنشأناهن انشاء) قيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن الولادة ولم يسبقن بخلق وانهن لسن من نسل آدم عليه السلام بل مخترعات وهو ما جرى عليه أبو عبيدة وغيره وقيل المراد نساء بني آدم والمعنى ان الله سبحانه أعادهن بعد الموت الى حال الشباب والنساء وان لم يتقدم لهن ذكر لكنهن قد دخلن في أصحاب اليمين فتلخص ان نساء الدنيا يخلقهن الله في القيامة خلقا جديدا من غير توسط ولادة خلقا يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية وانتفاء سمات النقص كما انه خلق الحور العين على ذلك الوجه وأما على قول من قال ان الفرش المرفوعة كناية عن النساء فرجع الضمير ظاهر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ان المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي والترمذي وعبد بن حميد قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وعن سلمة ابن مزيد الجعفي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا أخرجه الطبراني وابن قانع والبيهقي وابن أبي حاتم قال ابن عباس خلقهن غير خلقهن الاول وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا (فجعلناهن أبكارا) أي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جن قال ابن عباس أبكارا عذارى أي كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا يحصل لهن وجع في ازالة البكارة (عربا أترابا) العرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة البعل قال المبرد هي العاشقة لزوجها وقال زيد بن أسلم هي الحسنة الكلام قرأ الجمهور بضم العين والراء وقرئ باسكان الراء وهما لغتان في جمع فعول وقراءتان سبعيتان قال ابن عباس عربا عواشق لازواجهن وأزواجهن لهن عاشقون أترابا في سن واحد ثلاث وثلاثين سنة وعنه قال العروب الملقة لزوجها وقال مجاهد أترابا أمثالا وأشكالا وقال السدي أترابا في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا

مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب والاتراب جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران (لاصحاب اليمين) يعني ان الله أنشأهن لاجلهم أو خلقهن لاجلهم أو هن مساويات لاصحاب اليمين في السن أو هن لاصحاب اليمين أو هذا الذي ذكرنا لهم (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) هذا راجع الى قوله وأصحاب اليمين أي هم ثلة الخ وقد تقدم تفسير الثلة عند ذكر السابقين والمعنى انهم جماعة أو أمة أو فرقة أو قطعة من الاولين وهم من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعة أو أمة أو فرقة أو قطعة من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة من آخرها أخرج مسدد وابن المنذر والطبراني بسند حسن عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جميعها من هذه الامة وعنه قال هما جميعا من هذه الامة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هما جميعا من أمتي أخرجه عبد بن حميد وابن عدي والفريابي وغيرهم قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال الثلتان جميعا من هذه الامة وبه قال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك وهو اختيار الزجاج فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذا في أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا ثم لما فرغ سبحانه مما أعده لاصحاب اليمين شرع في ذكر أصحاب الشمال وما أعده لهم فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الكلام في هذا وما فيه من التفخيم كما سبق في أصحاب اليمين والشمال والمشأمة واحدة (في سموم وحميم) السموم حر النار والحميم الماء الحار الشديد الحرارة وقيل السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن وقد سبق بيان معناهما (وظل من يحموم) اليحموم يفعول من الاحم أو الحيم وهو الاسود تقول اسود يحموم اذا كان شديد السواد والمعنى انهم يفزعون الى الظل فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد السواد وقيل هو مأخوذ من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لي أفلحت يا سواد فقال له عمر رضي الله عنه هل يأتيك رئيك الآن فقال منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين ومما يدل على وفادتهم اليه صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر الى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبيد المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم انه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له حدثت انك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قلت حدثني كيف كان شأنه فقال ان أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذني أحد منهم فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا ابن مسعود فقال صلى الله عليه وسلم ما أخذك أحد يعشيك فقلت لا قال صلى الله عليه وسلم فانطلق لعلي أجد لك شيأ فانطلقنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة رضي الله عنها فتركني قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد لك عشاء فارجع الى مضجعك قال فرجعت الى المسجد فجمعت حصباء المسجد فوسدته والتففت بثوبي فلم ألبث الا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجب رسول الله فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى بلغت مقامي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال صلى الله عليه وسلم أتنطلق انت معي حيث انطلقت قلت ما شاء الله فأعادها علي ثلاث مرات كل ذلك أقول ما شاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد فخط صلى الله عليه وسلم بعصاه خطا ثم قال اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك ثم انطلق يمشي وأنا انظر اليه خلال

النخل حتى اذا كان من حيث لا أراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أظن ان هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فاسعى الى البيوت فأستغيث الناس فذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى ان لا أبرح مكانى الذى أنا فيه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول اجلسوا فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنمت بعدى فقلت لا ولقد فزعت الفزعة الاولى حتى رأيت ان آتى البيوت فأستغيث الناس حتى سمعتك (٢٠٦) تقرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فقال لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك ان يختطفك بعضهم فهل رأيت من شئ منهم فقلت رأيت رجالا سودا مستثفرين بثياب بيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك وفد جن نصيبين أتونى فسألونى الزاد والمتاع فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة قلت فما يغنى عنهم ذلك قال صلى الله عليه وسلم انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذى كان عليه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها الذى كان فيها يوم أكلت فلا يستنقى أحد منكم بعظم ولا بعرة وهذا اسناد غريب جدا ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم وقد روى الحافظ ابو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثنى نمير بن زيد القينى حدثنا أبى حدثنا قحافة بن ربيعة حدثنى الزبير بن العوام رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى مسجد المدينة فلما انصرف قال أيكم يتبعنى الى وفد الجن الليلة فأسكت القوم ثلاثا فمر بى فأخذ بيدى فجعلت أمشى معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وافضينا الى أرض براز فاذا برجال طوال كأنهم

وقيل مأخوذ من الحمم وهو الفحم والرماد وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها اسود قال ابن عباس يحموم دخان أسود وفى لفظ دخان جهنم وقيل وادى فى جهنم وقيل اسم من أسمائها والاول أظهر ثم وصف الله سبحانه هذا الظل بقوله (لا بارد) أى ليس كغيره من الظلال التى تكون باردة بل هو حار ضار لانه من دخان نار جهنم (ولا كريم) قال سعيد بن المسيب أى ليس فيه حسن منظر وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقال الضحاك ولا كريم ولا عذب قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شئ نفت عنه وصفا تنوى به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة والنعتان المذكوران لقوله ظل لا ليحموم وما قيل من انه يلزم على ذلك تقديم غير الصريحة على الصريحة فلا يرد لان الترتيب غير واجب نص عليه الرضى مع انه هنا يفضى الى عدم توازن الفاصلتين وجعلهما نعتين ليحموم لا يلائم البلاغة القرآنية وكان من حق الظاهر أن يقال وظل حار ضار فعدل الى قوله وظل من يحموم ليتبادر منه الى الذهن أولا الظل المتعارف فيطمع السامع فاذا نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والاسترواح جاءت السخرية والتهكم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل الذى فيه بردوا كرام غير هؤلاء فيكون أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم قال الرازى وفى الامور الثلاثة اشارة الى كونهم فى العذاب دائما (١) ثم ذكر سبحانه أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب فقال (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل هذا العذاب النازل بهم (مترفين) فى الدنيا أى منعمين بما لا يحل لهم فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وانما كان الترفه هنا ذما من حيث انهم جعلوا من جملته القعود عن الطاعات وتركها فصح ذمهم بهذا الاعتبار مع انه فى الواقع ليس ذما فى حد ذاته والمترف المتنعم وقال السدى مشركين وقيل متكبرين والاول أولى والجملة تعليل لاستحقاقهم هذه العقوبة قال الرازى والحكمة فى ذكره سبب عذابهم ولم يذكر فى أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك للتنبيه على ان الثواب منه تعالى فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم بالمتفضل نقصا ولا ظلما وأما العدل فانه ان لم يذكر سبب العقاب يظن انه ظالم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل فى حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال فى السابقين لان أصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته

(١) لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذى يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون فى ظل من يحموم فلا انفكاك لهم من العذاب أو يقال ان السموم تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى احشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كأنه قال [illegible]

فانه

الرماح مستنفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكير التميمي حدثنا حصين بن عمر أخبرني عبيد المكتب عن ابراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى اذا كانوا في بعض الطريق اذاهم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لاصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر الى ما يصير اليه أمر هذه الحية قال فما لبثت ان ماتت (٢٠٧) فعمدت الى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى قال فوالله انا لقعود اذ اقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمرا قلنا ومن عمرو قالت أيكم دفن الحية قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل ان يبعث بأربعمائة عام قال الرجل فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فانبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد آمن بي قبل ان أبعث بأربعمائة سنة وهذا حديث غريب جدا والله أعلم قال أبو نعيم وقد روى الثوري عن أبي اسحق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه وروى عبد الله بن أحمد والطبراني عن صفوان بن المعطل هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وانهم قالوا انه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وروى أبو نعيم من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ ابن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين اني كنت بفلاة من الارض فذكر انه راى ثعبانين اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر قال فذهبت الى المعترك فوجدت حيات كثيرة مقتولة واذ ينفح من بعضها ريح المسك فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلففتها في عمامتي ودفنتها فبينا انا أمشي اذ ناداني مناد يا عبد الله لقد هديت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التقوا فكان من القتلى ما رأيت واستشهد الذي دفنته وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال عثمان لذلك الرجل ان كنت صادقا فقد رأيت عجبا وان كنت كاذبا فعليك كذبك وقوله تبارك وتعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن أي طائفة من الجن يستمعون القرآن فلما

فانه يحسن اطلاق الجزاء في حقه (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الحنث الذنب أي يصرون على الذنب العظيم قال الواحدي قال أهل التفسير عني به الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أي كانوا لا يتوبون عن الشرك وبه قال الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة ومجاهد هو الذنب العظيم الذي لا يتوبون عنه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه قوله (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) الاستفهام في الموضعين للانكار والاستبعاد وقد تقدم الكلام على هذا في الصافات وفي سورة الرعد والمعنى انهم أنكروا واستبعدوا أن يبعثوا بعد الموت وقد صاروا عظاما وترابا والمراد انه صار لحمهم وجلودهم ترابا وصارت عظامهم نخرة بالية والعامل في الظرف ما يدل عليه مبعوثون لان ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله أي أنبعث اذا متنا (أوآباؤنا الاولون) معطوف على الضمير في لمبعوثون لوقوع الفصل بينهما بالهمزة والمعنى ان بعث آبائهم الاولين أبعد لتقدم موتهم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عليهم ويرد استبعادهم فقال (قل) لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين) من الامم (والآخرين) منهم الذين أنتم من جملتهم (لمجموعون) بعد الموت (الى ميقات) أي لوقت (يوم معلوم) معين عند الله وهو يوم القيامة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والمعنى انهم يحشرون الى ما وقتت به الدنيا من يوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون المكذبون) هذا وما بعده من جملة ما هو داخل تحت القول وهو معطوف على ان الاولين والمراد اهل مكة ومن في مثل حالهم ووصفهم سبحانه بوصفين قبيحين وهما الضلال عن الحق والتكذيب للبعث وثم للتراخي زمانا أو رتبة (لآكلون) في الآخرة (من شجر من زقوم) أي من شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو من أخبث الشجر المر ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الريح وقد تقدم تفسيره في سورة الصافات ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية بيانية أو الاولى مزيدة والثانية بيانية أو الثانية مزيدة والاولى للابتداء (فمالئون منها) أي من شجر الزقوم وتأنيث الضمير لكون الشجر اسم جنس واسم الجنس يجوز تذكيره وتأنيثه لغتان (البطون) أي

تضربوه قالوا أنصتوا أي استمعوا وهذا أدب منهم وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أرى كم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ورواه (٢٠٨) الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد عن زهير كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله وقوله عز وجل فلما قضي أي فرغ كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فقضاهن سبع سموات في يومين فاذا قضيتم مناسككم ولوا الى قومهم منذرين أي رجعوا الى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقد استدل بهذه الآية على انه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولا شك ان الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى وقال عز وجل وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعثه الله تعالى بعد ابراهيم فمن ذريته وسلالته

بطونكم لما يلحقكم من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) الضمير عائد الى الزقوم المأكول والحميم الماء الحار الذي قد بلغ حره الى الغاية والمعنى فشاربون عقب أكله من الماء الحار أو يعود الضمير الى شجر لانه يذكر ويؤنث أو يعود الى الأكل المدلول عليه بقوله لآكلون وقرئ من شجرة بالافراد (فشاربون شرب الهيم) قرأ الجمهور شرب الهيم بفتح الشين وقرئ بضمها وبكسرها وهي لغات قال أبو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها قال المبرد الفتح أصل المصدر والضم اسم المصدر والهيم الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها وهذه الجملة بيان لما قبلها أي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولا تروى بشرب الماء ومفرد الهيم أهيم والانثى هيماء وقال الضحاك وابن عيينة والاخفش وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل والمعنى انهم يشربون كما تشرب هذه الارض الماء ولا يظهر له فيها أثر قال في الصحاح الهيام بالضم أشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء يأخذ الابل فتهيم في الارض لا ترعى يقال ناقة هيماء والهيماء أيضا المفازة لا ماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك في اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل العطاش قال النسفي وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا) أي ما ذكر من الزقوم المأكول والحميم المشروب (نزلهم) اي رزقهم وغذاؤهم قرأ الجمهور نزل بضمتين وقرئ بضمة وسكون (يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمعنى ان ما ذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعد لهم ويأكلونه يوم القيامة وفي هذا تهكم بهم لان النزل هو ما يعد للاضياف تكرمة لهم ومثل هذا قوله فبشرهم بعذاب أليم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة (١) مقررة لمضمون الكلام غير داخلة تحت القول ثم التفت سبحانه الى خطاب الكفرة تبكيتا لهم والزاما للحجة فقال (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) بالخلق أو بالبعث (٢) اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة قاله المحلي وقال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيأ وأنتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون

(١) فذلكة الشيء ذكره اجمالا وفي القاموس فذلك حسابه انهاه وفرغ منه مخترعة من قوله اذا أجمل حسابه هو كذا وكذا انتهى كأنه قال وجملته كذا وكذا أي حاصله كيت وكيت اه سيدذو الفقار أحمد مدظله بالبعث

(٢) جواب ما يقال كيف قال ذلك مع انهم مصدقون بالله بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وايضاحه ان ذلك تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الاول فكأنه قال هو خلقكم أولا باعترافكم فلا يمتنع عليه ان يعيدكم ثانيا فهلا تصدقون بذلك أو هم وان صدقوا بألسنتهم لكن لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق كانوا كأنهم مكذبون به فينزل تصديقهم منزلة عدمه لفقدان ما يحققه من آثاره الدالة عليه ذكره الكرخي اه سيدذو الفقار أحمد

فاما قوله تبارك وتعالى فى الانعام يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى أحدهما ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم فقال مخبرا عنهم قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يذكروا عيسى لان عيسى عليه السلام أنزل عليه الانجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو فى الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى وهكذا قال ورقة ابن نوفل حين أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال

بالبعث (أفرأيتم) اى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة (ماتمنون) أى ماتقذفون وتصبون فى أرحام النساء من النطف قرأ الجمهور تمنون بضم الفوقية من أمنى يمنى وقرئ بفتحها من منى يمنى وهما لغتان وقيل معناهما مختلف يقال أمنى اذا أنزل عن جماع ومنى اذا أنزل من احتلام وسمى المنى منيا لانه يمنى أى يراق (أأنتم تخلقونه) أى أتقدرون المنى وتصورونه أنتم بشرا سويا وهذا من باب الاشتغال أو أنتم مبتدأ والجملة بعده خبره والاول أرجح لاجل أداة الاستفهام (أم نحن الخالقون) أى المقدرون المصورون له وأم هى المتصلة وقيل هى المنقطعة والاول أولى (نحن قدرنا بينكم الموت) قرأ الجمهور قدرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهما لغتان وقراءتان سبعيتان يقال قدرت الشئ وقدرته أى قسمناه عليكم ووقتناه لكل فرد من افرادكم وقيل قضينا وقيل كتبنا وقيل أوجبنا والمعنى متقارب قال مقاتل فمنكم من يموت كبيرا ومنكم من يموت صغيرا وقال الضحاك معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء (ومانحن بمسبوقين) أى بمغلوبين وعاجزين بل قادرين (على ان نبدل أمثالكم) اى نأتى بخلق مثلكم قال الزجاج ان أردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا وقال السمين الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء أى نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم ويؤيده ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين أو جمع مثل بفتحتين وهو الصفة أى نغير صفاتكم التى أنتم عليها اخلاقا وخلقا قلت والاول أولى وقال ابن جرير المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم ومانحن بمسبوقين فى آجالكم أى لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور والهيئات قال الحسن أى نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا وقال سعيد بن المسيب يعنى فى حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت وادباليمن وقال مجاهد يعنى فى أى خلق شئنا ومن كان قادرا على هذا فهو قادر على البعث (ولقد علمتم النشأة الاولى) وهى ابتداء الخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا قبل ذلك شيأ أو الترابية لابيكم آدم واللحمية لامكم حواء والنطفية لكم وكل منها تحويل من شئ الى غيره وقال قتادة والضحاك يعنى خلق آدم من

بخ بخ هذا الناموس الذى كان يأتى موسى ياليتنى أكون فيها جذعا مصدقا لما بين يديه أى من الكتب المنزلة على الانبياء قبله وقولهم يهدى الى الحق أى فى الاعتقاد والاخبار والى طريق مستقيم فى الاعمال فان القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وقال سبحانه وتعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح وهكذا قالت الجن يهدى الى الحق فى الاعتقادات والى طريق مستقيم أى فى العمليات ياقومنا أجيبوا داعى الله فيه دلالة على انه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الجن والانس حيث دعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التى فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهى سورة الرحمن ولهذا قال أجيبوا داعى الله وآمنوا به وقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قيل ان من ههنا زائدة

 وفيه نظر لان زيادتها فى الاثبات قليل وقيل انها على بابها للتبعيض ويجركم من عذاب أليم اى ويقيكم من عذابه الاليم وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى ان الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وانما جزاء صالحيهم ان يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا فى هذا المقام وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الايمان أعلى من هذا لأوشك ان يذكروه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يدخل مؤمنو الجن الجنة لانهم من ذرية ابليس ولا تدخل ذرية ابليس الجنة والحق ان مؤمنهم كمؤمن الانس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة

من السلف وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي هذا الاستدلال نظر وأحسن منه قوله جل وعلا ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فقد امتن تعالى على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولى أبلغ من الانس فقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضا فانه اذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الاولى والاحرى ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى ان الذين (٢١٠) آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وما أشبه ذلك من الآيات وقد أفردت هذه المسئلة في جزء على حدة ولله الحمد والمنة وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الايمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة لانه ليس في الآخرة الا الجنة أو النار فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع ان مؤمنى الجن لا يدخلون الجنة وان أجيروا من النار ولو صح لقلنا به والله أعلم وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ولا خلاف ان مؤمنى قومه في الجنة فكذلك هؤلاء وقد حكى فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انهم لا يدخلون بحبحة الجنة وانما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ومن الناس من زعم انهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بنى آدم بعكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وانما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة لانهم من جنسهم وكل هذه الاقوال فيها نظر ولا دليل عليها ثم قال مخبرا عنهم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض أى بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به وليس لهم من دونه أولياء أى لا يجيرهم منه أحد أولئك في ضلال مبين وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا نجع في كثير منهم وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودا وفودا كما تقدم بيانه ولله الحمد والمنة والله أعلم (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى

تراب (فلولا تذكرون) اى فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الاخرى وتقيسونها على النشأة الاولى فان من قدر على الاولى يقدر على الثانية فانها اقل كلفة من الاولى في العادة قرأ الجمهور النشأة بالقصر وقرئ بالمد وقد مضى تفسير هذا في سورة العنكبوت وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم) أى أخبرونى (ما تحرثون) من أرضكم وتثيرون فتطرحون وتلقون فيها البذر والمعنى أفرأيتم البذر الذى تلقونه في الطين (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب والزرع طرح البذر والزرع أيضا الانبات يقال زرعه الله أى أنبته (أم نحن الزارعون) أى المنبتون له الجاعلون له زرعا لا أنتم قال المبرد زرعه الله أى أنماه فاذا أقررتم بهذا فكيف تنكرون البعث عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت قال أبو هريرة ألم تسمعوا الله يقول أفرأيتم ما تحرثون الآية أخرجه البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى في الشعب وضعفه (لو نشاء لجعلناه) أى لجعلنا ما تحرثون (حطاما) أى متحطما متفتتا متكسرا أى نباتا يابسا لا حب فيه والحطام الهشيم الذى لا ينتفع به ولا يحصل منه حب ولا شيء مما يطلب من الحرث وقيل تبنا لا قمح فيه (فظلتم تفكهون) أى فصرتم تعجبون قاله ابن عباس قال الفراء تفكهون تتعجبون فيما نزل بكم في زرعكم قال في الصحاح وتفكه تعجب ويقال تندم وقال الحسن وقتادة وغيرهما معنى الآية تعجبون من ذهابه وتندمون مما حل بكم وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله وقال أبو عمرو والكسائى هو التلهف على ما فات قرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء مع لام واحدة وقرئ بكسرها معها وقرئ ظللتم بلامين أولاهما مكسورة على الاصل وروى فتحها وهى لغة وقرأ الجمهور تفكهون بالهاء وقرئ تفكنون بالنون مكان الهاء أى تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الصحاح التفكن التندم والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث (انا لمغرمون) قرأ الجمهور بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزتين على الاستفهام أى أتقولون انا لملزمون غرما بما هلك من زرعنا والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض قاله الضحاك وابن كيسان والكرخى وقال الزمخشرى أى لملزمون غرامة ما أنفقنا وقيل المعنى انا لمعذبون قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وعكرمة

لمولع

بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) يقول تعالى أولم يرهؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام
الاجساد يوم المعاد ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن أى ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كونى فكانت بلا
ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة أفليس ذلك بقادر على (٢١١) ان يحيي الموتى كما قال عزوجل فى الآية
الاخرى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولهذا قال تعالى بلى انه على كل شئ قدير ثم قال جل جلاله متهددا ومتوعدا لمن كفر به ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق أى يقال لهم أما هذا حق أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون قالوا بلى وربنا أى لا يسعهم الا الاعتراف قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ثم قال تبارك وتعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أى على تكذيب قومهم لهم وقد اختلفوا فى تعداد أولى العزم على أقوال وأشهرها انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتم الانبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الانبياء فى آيتين من سورتى الاحزاب والشورى وقد يحتمل ان يكون المراد باولى العزم جميع الرسل فتكون من فى قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم
وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمى حدثنا السرى بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبى
عن مسروق قال قالت لى عائشة رضى الله عنها ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما
قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها
والصبر عن محبوبها ثم لم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا
جهدى ولا قوة الا بالله ولا تستعجل لهم أى لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى فذرنى والمكذبين أولى

لمولع بنا يقال أغرم فلان لفلان أى أولع به وقال مقاتل مهلكون أى لهالك رزقنا
قال النحاس مأخوذ من الغرام وهو الهلاك والظاهر من السياق المعنى الاول أى انا
لمغرمون بذهاب ما حرثناه ومصيره حطاما ثم أضربوا عن قولهم هذا وانتقلوا فقالوا
(بل نحن محرومون) أى حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا والمحروم الممنوع من الرزق الذى لا حظ
له فيه وهو المحارف وقيل محارفون محدودون لا مجدودون أفرأيتم الماء الذى تشربون)
فتسكنون به ما يلحقكم من العطش وتدفعون به ما ينزل بكم من الظما واقتصر سبحانه
على ذكر الشرب مع كثرة فوائد الماء ومنافعه لانه أعظم فوائده وأجل منافعه (أأنتم
أنزلتموه من المزن) أى السحاب قاله ابن عباس وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع
مزن والمزنة المطر قاله فى الصحاح (أم نحن المنزلون) دون غيرنا فاذا عرفتم ذلك فكيف
لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث ثم بين لهم سبحانه أنه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة
فقال (لو نشاء جعلناه أجاجا) الاجاج الماء الشديد الملوحة الذى لا يمكن شربه وقال الحسن
هو الماء المر الذى لا ينتفعون به فى شرب ولا زرع ولا غيرهما (فلولا) أى فهلا (تشكرون)
نعمة الله الذى خلق لكم ماء عذبا تشربون منه وتنتفعون به (أفرأيتم النار التى تورون)
أى أخبرونى عنها ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب يقال أوريت
النار اذا قدحتها والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند
والسفلى الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى تكون منها
الزنود وهى المرخ والعفار تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وزاد
الجلال المحلى الكلخ نقل سليمان الجمل عن شيخه انه قال ولم نجده فى القاموس ولا فى المختار
غير أنه أخبر بعض أهل المغرب والشام بأنه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب تؤخذ
منه قطعتان وتضرب احداهما بالاخرى فتخرج النار (أم نحن المنشؤن) لها بقدرتنا
دونكم ومعنى الانشاء الخلق وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما فى ذلك من بديع الصنعة
وعجيب القدرة (نحن جعلناها) أى النار التى فى الدنيا (تذكرة) لنار جهنم الكبرى حيث
علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون
اليها ويذكرون ما أوعدوا به قال مجاهد وقتادة تبصرة للناس فى الظلام وقال عطاء موعظة

النعمة ومهلهم قليلا وكقوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار كقوله جل وعلا كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها وكقوله عز وجل ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم الآية وقوله جل وعلا بلاغ قال ابن جرير يحتمل معنيين أحدهما أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ والآخر أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ وقوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون أي لا يهلك على الله الا هالك وهذا من عدله عز وجل انه لا يعذب الا من يستحق العذاب والله أعلم (٢١٢)

(تفسير سورة القتال وهي مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) يقول تعالى الذين كفروا أي بآيات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله أضل أعمالهم أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم قال جل وعلا والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم وآمنوا بما نزل على محمد عطف خاص على عام وهو دليل على انه شرط في صحة الايمان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى وهو الحق من ربهم جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي أمرهم وقال مجاهد شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب وقد جاء في حديث تشميت العاطس يهديكم الله ويصلح بالكم ثم قال عز وجل ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل أي انما أبطلنا أعمال الكفار وتجاوزنا عن سيآت الابرار وأصلحنا شؤنهم لان الذين كفروا اتبعوا الباطل اى اختاروا الباطل على الحق وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى يبين لهم مآل اعمالهم وما يصيرون اليه في معادهم والله سبحانه وتعالى اعلم (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها

ليتعظ بها المؤمن وقال ابن عباس تذكرة للنار الكبرى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها أخرجه البخاري ومسلم (ومتاعا للمقوين) أي للمسافرين قاله ابن عباس يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء وهي الارض القفر كالمسافرين وأهل البوادي النازلين في الاراضي المقفرة يقال أرض قواء بالمد والقصر أي مقفرة ويقال أقوى اذا سافر اى نزل القوى وخصوا بالذكر لان منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة وتذكر نار جهنم وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيأ وبات فلان القوى أي جائعا وقال قطرب القوى من الاضداد يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال أقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد وأقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء لاغنى لاحد عنها وقال المهدوي الآية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي عن أكثر المفسرين القول الاول وهو الظاهر (فسبح باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب ما بعدها من ذكر الله سبحانه وتنزيهه على ما قبلها مما عدده من النعم التي أنعم بها على عباده وجحود المشركين لها وتكذيبهم بها وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم وسبح يتعدى بنفسه وبحرف الجر فالباء زائدة والاسم باق على معناه أو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر قال الكرخي قالوا كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن سوء الادب وقيل لفظة باسم زائدة والمعنى فسبح ربك وهذا أبلغ لما يلزم ذلك بالطريق الاولى على سبيل الكناية الرمزية وأثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة (فلا أقسم) ذهب الجمهور الى أن لا مزيدة للتوكيد والمعنى فاقسم ويؤيد هذا قوله بعد وانه لقسم وقال جماعة من اهل التفسير انها للنفي والمنفي بها محذوف وهو كلام الكفار الجاحدين قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كذلك ثم قال مستأنفا أقسم وضعف هذا بان حذف اسم لا وخبرها غير جائز كما قال

ابو

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) يقول تعالى مرشدا للمؤمنين الى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب أي اذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدا بالسيوف حتى اذا أثخنتموهم أي أهلكتموهم قتلا فشدوا الوثاق الأسارى الذين تأسرونهم ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال (٢١٣) المعركة مخيرون في أمرهم ان شئتم مننتم عليهم فاطلقتم أساراهم مجانا وان شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه والظاهر ان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فان الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الاسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ثم قد ادعى بعض العلماء ان هذه الآية المخيرة بين مفاداة الاسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال آخرون وهم الاكثرون ليست بمنسوخة ثم قال بعضهم انما الامام مخير بين المن على الاسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له ان يقتله ان شاء لحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ما عندك يا ثمامة فقال ان تقتل تقتل ذا دم وان تمنن تمنن على شاكر وان كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال الامام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسألة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الاحكام ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة وقوله عز وجل حتى تضع الحرب أوزارها قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم

أبو حيان وغيره وقيل انها لام الابتداء والاصل فلا أقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الالف وقد قرئ هكذا بدون ألف وعلى هذا التقدير فلأنا أقسم بذلك وقيل ان لا ههنا بمعنى ألا التي للتنبيه وهو بعيد وقيل ان لا هنا على ظاهرها وانها لنفي القسم أي فلا اقسم على هذا لان الامر أوضح من ذلك وهذا مدفوع بقوله وانه لقسم مع تعيين المقسم والمقسم عليه (بمواقع النجوم) أي مساقطها وهي مغاربها كذا قال قتادة وغيره ولعل لله في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها وقال عطاء بن أبي رباح منازلها وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال الضحاك هي الانواء التي كان أهل الجاهلية يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال الماوردي ويكون قوله فلا اقسم مستعملا في حقيقته من نفي القسم وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله وصفاته القديمة وقيل المراد نزول القرآن نجوما من اللوح المحفوظ وبه قال السدي وغيره وحكى الفراء عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن قال ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق بين السنين وفي لفظ نزل من السماء الدنيا الى الارض نجوما ثم قرأ هذه الآية وعنه قال نجوم القرآن حين ينزل قرأ الجمهور مواقع على الجمع وقرئ موقع على الافراد قال المبرد موقع ههنا مصدر فهو يصلح للواحد والجمع ثم أخبر الله سبحانه عن تعظيم هذا القسم وتفخيمه فقال (وانه لقسم) هذه الجملة معترضة بين المقسم به والمقسم عليه وقوله (لو تعلمون) جملة معترضة بين جزئي الجملة المعترضة فهو اعتراض في اعتراض قال الفراء والزجاج هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في انه يعود الى القسم الذي يدل عليه اقسم والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم (عظيم) لو تعلمون لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال (انه لقرآن كريم) أي كرمه الله وأعزه ورفع قدره على جميع الكتب وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة أو كذبا وقيل انه كريم لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه وحكى الواحدي عن أهل المعاني انه وصف القرآن بالكريم لان من شأنه أن يعطي الخير الكثير

الدجال وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ابراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال ان سلمة بن نفيل أخبرهم انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت لاقتال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن جاء القتال لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك الا ان عقد المؤمنين بالشام والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة وهكذا (٢١٤) رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكوني به

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر عن الوليد ابن عبد الرحمن الجرشي عن جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال لما فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فقالوا يارسول الله سيبت الخيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لاقتال قال كذبوا الآن جاء القتال لايزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وعقدا دار المسلمين بالشام وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن داود بن رشيد به والمحفوظ انه من رواية سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوى القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب الى ان لا يبقى حرب وقال قتادة حتى تضع الحرب أوزارها حتى لا يبقى شرك وهذا كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أى أوزار المحاربين وهم المشركون بان يتوبوا الى الله عز وجل وقيل أوزار أهلها بان يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى وقوله عز وجل ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم أى هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ولكن ليبلو بعضكم ببعض أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الاعداء ليختبركم ويبلو أخباركم كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال تبارك وتعالى في سورة براءة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ثم لما كان

بالدلائل التي تؤدى الى الحق في الدين قال الازهرى الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل حسن مرضى أو نفاع جم المنافع أو عزيز مكرم لايهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل غض طرى يبقى أبد الدهر (في كتاب مكنون) أى مستور مصون من التغيير والتبديل على حد قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل محفوظ عن الباطل وهو اللوح المحفوظ قاله جماعة وقيل هو كتاب مصون من غير المقربين من الملائكة لايطلع عليه من سواهم وقال عكرمة هو التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه وقال السدى هو الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف الذى في أيدينا (لايمسه الا المطهرون) من جميع الادناس قال المحلى خبر بمعنى النهى أى لايمسوه أى يحرم عليهم مسه بدون الطهارة ولم يبق صريحا على خبريته لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى لانه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف في خبره تعالى محال وقيل ان لا ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك آخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وضعف ابن عطية النهى قال الواحدى أكثر المفسرين على ان الضمير عائد الى الكتاب المكنون أى لايمس الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملائكة وقيل هم الملائكة والرسل من بنى آدم والمعنى لايمسه المس الحقيقى وقيل المعنى لاينزل به الا المطهرون وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن فقيل لايمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس كذا قال قتادة وغيره وقال الكلبى المطهرون من الشرك وقال الربيع بن أنس المطهرون من الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضل وغيره المعنى لايقرؤه الا الموحدون وقال الفراء لايجد نفعه وبركته الا المؤمنون وقال الحسين بن الفضل لايعرف تفسيره وتأويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقد ذهب الجمهور الى منع المحدث من مس المصحف وبه قال على وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وروى عن ابن عباس والشعبى وجماعة منهم أبو حنيفة انه يجوز للمحدث مسه وقد أوضح الشوكانى ما هو الحق في هذا في شرحه للمنتقى فليرجع

من شأن القتال ان يقتل كثير من المؤمنين قال والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم أى لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها ومنهم من يجرى عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحيى الدمشقى حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامى رجل كانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الاكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الايمان تفرد به أحمد (٢١٥) رحمه الله حديث آخر قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثنى اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب الكندى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشهيد عند الله ست خصال ان يغفر له فى أول دفقة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى انسان سبعين نفسا من أقاربه وقد اخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وعن أبى قتادة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل شىء الا الدين وروى من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقال أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للشهيد فى سبعين من أهل بيته ورواه أبو داود والاحاديث فى فضل الشهيد كثيرة جدا وقوله تبارك وتعالى سيهديهم أى الى الجنة كقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم وقوله عز وجل ويصلح بالهم أى أمرهم وحالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اى عرفهم بها وهداهم اليها قال مجاهد يهتدى اهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها احدا وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا وقال محمد بن كعب يعرفون بيوتهم اذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم اذا انصرفتم من الجمعة وقال مقاتل

فليرجع اليه قرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من التطهير وقرئ بكسر الهاء على انه اسم فاعل أى المطهرون أنفسهم وقرئ على انه اسم مفعول من أطهر وقرئ بتشديد الطاء وكسر الهاء أصله المتطهرون قال ابن عباس فى الآية الكتاب المنزل فى السماء لا يمسه الا الملائكة وعن أنس قال المطهرون الملائكة وعن علقمة قال أتينا سلمان الفارسى فخرج علينا من كنيف فقلنا له لو توضأت يا أبا عبد الله ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال انما قال الله فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وهو الذى فى السماء لا يمسه الا الملائكة ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وعن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القرآن الا على طهر أخرجه مالك فى الموطا عن عبد الله بن أبى بكر وأخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال قرأت فى صحيفة عبد الله المذكور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يمس القرآن الا طاهر وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم وغيره وفى أسانيده نظر وعن ابن عمر انه كان لا يمس المصحف الا متوضئا وعن عبد الرحمن بن زيد قال كنا مع سلمان فانطلق الى حاجته فتوارى عنا ثم خرج علينا فقلنا لو توضأت فسألناك عن أشياء من القرآن فقال سلونى فانى لست أمسه انما يمسه المطهرون ثم تلا هذه الآية أخرجه سعيد ابن منصور وابن أبى شيبة فى المصنف وابن المنذر وغيرهم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر أخرجه الطبرانى وابن مردويه وعن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن كتب له فى عهده ان لا يمس القرآن الا طاهر أخرجه ابن مردويه (تنزيل) أى منزل وسمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على الحال (من رب العالمين) صفة رابعة للقرآن أو خبر مبتدأ محذوف وفيه رد على من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) الاشارة الى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة والمدهن والمداهن المنافق كذا قال الزجاج وغيره وقال عطاء وغيره هو الكذاب وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون كما فى قوله ودوا لو تدهن فيدهنون وقال ابن عباس مدهنون مكذبون وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون

ابن حيان بلغنا ان الملك الذى كان وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه كل شئ اعطاه الله تعالى فى الجنة فاذا انتهى الى أقصى منزله فى الجنة دخل الى منزله وازواجه وانصرف الملك عنه ذكره ابن ابى حاتم رحمه الله وقد ورد الحديث الصحيح بذلك ايضا رواه البخارى من حديث قتادة عن ابى المتوكل الناجى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة والذى نفسى بيده ان احدهم بمنزله فى الجنة اهدى منه بمنزله الذى كان فى الدنيا ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم كقوله عز وجل ولينصرن الله من ينصره فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى ويثبت اقدامكم كما جاء فى الحديث من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة ثم قال تبارك وتعالى والذين كفروا فتعسا لهم عكس تثبيت الاقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش اى فلا شفاه الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى وأضل اعمالهم اى أحبطها وأبطلها ولهذا قال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اى لا يريدونه ولا يحبونه فاحبط اعمالهم (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) يقول تعالى أفلم يسيروا يعنى المشركين بالله المكذبين لرسوله فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اى عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم اى ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى وللكافرين أمثالها ثم قال ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان صلى

١ - اص باصله

الكفار على الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذى لا يعقل حق الله عليه ويدفعه بالعلل والاول أولى لان أصل المدهن الذى ظاهره خلاف باطنه كأنه يشبه الدهن فى سهولته قال المؤرج المدهن المنافق الذى يلين جانبه ليخفى كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق وأصله اللين وأن يسر خلاف ما يظهر وقال فى الكشاف مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به انتهى قال الراغب والادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك قلت سميت المداراة والملاينة مداهنة وهذا استعارة ومجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية فلذا تجوز به هنا عن التهاون أيضا لان المتهاون بالامر لا يتصلب فيه وقال بعض اللغويين تاركون للجزم فى قبول القرآن (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) فى الكلام مضاف محذوف كما حكاه الواحدى عن المفسرين أى تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون بنعمة الله فتضعون التكذيب موضع الشكر وقال الهيثم ان أزدشنوءة يقولون ما رزق فلان أى ما شكر وعلى هذه اللغة لا يكون فى الآية مضاف محذوف بل معنى الرزق الشكر ووجه التعبير بالرزق عن الشكر ان الشكر يقتضى زيادة الرزق فيكون الشكر رزقا تعبيرا بالسبب عن المسبب ومما يدخل تحت هذه الآية قول الكفار اذا سقاهم الله وأنزل عليهم المطر سقينا بنوء كذا ومطرنا بنوء كذا قال الازهرى معنى الآية وتجعلون بدل شكركم رزقكم الذى رزقكم الله التكذيب بانه من عند الله الرزاق قرأ على ١ وابن عباس تجعلون شكركم وقرأ الجمهور تكذبون بالتشديد من التكذيب وقرأ بالتخفيف من الكذب أخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية فلا أقسم الى قوله تكذبون وأصل الحديث بدون ذكر أنه سبب نزول الآية ثابت فى الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهنى ومن حديث أبى سعيد الخدرى وعن على عنه صلى الله عليه وسلم فى الآية قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا أخرجه أحمد والترمذى والضياء فى المختارة وغيرهم وفى الباب أحاديث وعن عائشة قالت ما مطر رسول الله

صلى الله عليه وسلم من القرآن الا آيات يسيرة تجعلون رزقكم قال شكركم رواه ابن عساكر وعن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم أخرجه ابن مردويه (فلولا اذا بلغت الحلقوم) أي فهلا اذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم عند الموت ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم عندهم اذا جاؤا بمثل هذه العبارة والحلقوم ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ) التنوين عوض من الجملة المضافة اليها اذ أي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للصرف والكسر للاعراب (تنظرون) أي الى ما هو فيه ذلك الذي بلغت نفسه أو روحه الحلقوم قال الزجاج وأنتم يا أهل الميت في تلك الحال ترون الميت قد صار الى ان تخرج نفسه والمعنى انهم في تلك الحال لا يمكنهم الدفع عنه ولا يستطيعون شيأ ينفعه أو يخفف عنه ما هو فيه (ونحن أقرب اليه منكم) أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل أراد ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب اليه منكم (ولكن لا تبصرون) أي لا تدركون ذلك لجهلكم بان الله أقرب الى عبده من حبل الوريد أو لا تبصرون ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولون قبضه أو لا تعلمون ما هو فيه من المشقة والكرب (فلولا ان كنتم غير مدينين) يقال دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم قال الفراء دنته ملكته ويقال دانه اذا أذله واستعبده وقيل معنى مدينين محاسبين قاله ابن عباس وقيل مجزيين والمعنى الاول الصق بمعنى الآية أي فهلا ان كنتم غير مربوبين ومملوكين (ترجعونها) أي النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مقرها الذي كانت فيه والعامل في اذا بلغت قوله ترجعونها ولولا الثانية تأكيد لفظي للاولى قال الفراء وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد (ان كنتم صادقين) ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مربوبين ولا مملوكين وقيل معناه ان صدقتم في نفي البعث فردوا روح المحتضر الى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث ثم ذكر سبحانه طبقات الخلق عند الموت وبعده فقال (فأما ان كان) الذي بين حاله (من المقربين) أي السابقين من الثلاثة الاصناف المتقدم تفصيل حالهم (فروح وريحان) قرأ الجمهور روح بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها وقال مجاهد الروح الفرح وقرئ بضم الراء ومعناه الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وبه قال الحسن وفي

الكافرين لا مولى لهم ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا وأجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوءك وان الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال أما انكم ستجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني ثم ذهب يرتجز ويقول *اعل هبل اعل هبل* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله وما نقول قال صلى الله عليه وسلم قولوا *الله أعلى وأجل*

ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال سبحانه وتعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار أي يوم القيامة والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام أي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الانعام خضما وقضما ليس لهم همة الا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ثم قال تعالى والنار مثوى لهم أي يوم جزائهم وقوله عز وجل وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك يعني مكة أهلكناهم فلا ناصر لهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لاهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الانبياء فاذا كان الله عز وجل قد أهلك الامم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والاخرى فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فان العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وقوله تعالى من قريتك التي أخرجتك أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي محمد بن عبد الاعلى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار وأتاه فالتفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأنت أحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين أخرجوني لم أخرج منك فأعدى الاعداء

من عدا على الله تعالى فى حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مثل الجنة وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) يقول تعالى أفمن كان على بينة من ربه أى على بصيرة ويقين فى أمر الله (٢١٨) ودينه بما أنزل الله فى كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم أى ليس هذا كهذا كقوله تعالى أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى وكقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ثم قال عز وجل مثل الجنة التى وعد المتقون قال عكرمة مثل الجنة أى نعتها فيها أنهار من ماء غير آسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة يعنى غير متغير وقال قتادة والضحاك وعطاء الخراسانى غير منتن والعرب تقول أسن الماء اذا تغير ريحه وفى حديث مرفوع أورده ابن أبى حاتم غير آسن يعنى الصافى الذى لا كدر فيه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال عبد الله رضى الله عنه أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أى بل فى غاية البياض والحلاوة والدسومة وفى حديث مرفوع لم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين أى ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون لا يصدعون عنها ولا ينزفون بيضاء لذة للشاربين وفى حديث مرفوع لم يعصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى أى وهو فى غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح وفى حديث مرفوع لم يخرج من بطون النحل وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد ورواه الترمذى فى صفة

فى هذه

القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح والريحان الرزق فى الجنة قاله مجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل وقال هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزقه وقال قتادة انه الجنة وقال الضحاك هو الرحمة وقال الحسن هو الريحان المعروف الذى يشم قال قتادة والربيع بن خيثم هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان يبعث وكذا قال أبو الجوزاء وأبو العالية (وجنت نعيم) يعنى انها ذات تنعم قال ابن عباس اى مغفرة ورحمة وترسم جنة هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير والكسائى وغيرهما والباقون بالتاء على الرسم وهل الجواب لاما أولان أولهما أقوال ومعنى أما عند أبى اسحق الخروج من شئ الى شئ أى دع ما كنا فيه وخذ فى غيره وعلى هذا الجواب لان فقط لان أما ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع شرط آخر أولى (وأما ان كان) ذلك المتوفى (من أصحاب اليمين) الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم وقد تقدم ذكرهم وتفصيل أحوالهم وما أعده الله لهم من الجزاء (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى لست ترى فيهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم بذلك فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم أى أنت سالم من الاغتمام بهم وقيل المعنى انهم يدعون لك ويسلمون عليك وقيل انه صلى الله عليه وسلم يحيى بالسلام اكراما وقيل هو اخبار من الله سبحانه بتسليم بعضهم على بعض وقيل المعنى وسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين يعنى انه التفات بتقدير القول ومن للابتداء كما يقال سلام من فلان على فلان وفسر المحلى السلام بمعنى السلامة قال القارى وهذا تفسير غريب قال ابن عباس تأتيه الملائكة بالسلام من قبل الله يسلم عليه ويخبره انه من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) بالبعث (الضالين) عن الهدى وهم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم وتفصيل أحوالهم وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم هذا العذاب والا فمقتضى الظاهر ان يقال وأما ان كان من أصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر تأمل (فنزل) أى فله نزل يعد لنزوله (من حميم) وهو الماء الذى قد تناهت حرارته وذلك بعد ان يأكل من الزقوم كما تقدم بيانه قال الربيع ابن خيثم هذا عند الموت وهذا تهكم بهم (وتصلية جحيم) يقال أصلاه النار وصلاه اذا جعله فى النار وهو من اضافة المصدر الى المفعول أو الى المكان قال المبرد وجواب الشرط

الجنة عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن سعيد بن اياس الجريري به وقال حسن صحيح وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد الله بن قدامة الايادي حدثنا أبو عمران الجوني عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الانهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهارا وفي الصحيح اذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا مصعب بن ابراهيم بن (٢١٩) حمزة الزبيري وعبد الله بن الصقر السكري قالا حدثنا ابراهيم بن المنذر الخراساني حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثني عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الاسود قال دلهم وحدثنيه أيضا أبو الاسود عن عاصم بن لقيط قال ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله فعلى ما يطلع من الجنة قال صلى الله عليه وسلم على انهار عسل مصفى وانهار من خمر مابها صداع ولاندامة وانهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة قلت يارسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هرون أخبرني الجريري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لعلكم تظنون ان أنهار الجنة تجري في أخدود في الارض والله انها لتجري سائحة على وجه الارض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الاذفر وقد رواه أبو بكر بن مردويه من حديث مهدي بن حكيم عن يزيد بن هرون به مرفوعا وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات كقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة آمنين وقوله تبارك وتعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقوله سبحانه ومغفرة من ربهم أي مع ذلك كله وقوله سبحانه وتعالى كمن هو خالد في النار أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار ليس هؤلاء كهؤلاء وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات وسقوا ماء حميما أي حارا شديد الحر لا يستطاع فقطع أمعاءهم أي قطع ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء عياذا بالله تعالى من ذلك (ومنهم من يستمع

في هذه الثلاثة المواضع محذوف والتقدير مهما يكن من شئ فروح الخ وفي هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) أي ان ما ذكر في هذه السورة من أولها الى آخرها أو ان المذكور قريبا من أحوال المحتضرين وقصتهم (لهو حق اليقين) أي محضه وخالصه واضافة حق الى اليقين من باب اضافة الشئ الى نفسه قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين هذا عند الكوفيين وجوزوا ذلك أي اضافة الموصوف الى الصفة لاختلاف اللفظ وأما البصريون فيجعلون المضاف اليه محذوفا والتقدير حق الامر اليقين أو الخبر اليقين قال ابن عباس انه هو حق اليقين ما قصصنا عليك في هذه السورة (فسبح باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي نزهه عما لا يليق بشأنه فسبح متلبسا باسم ربك المتبرك به وقيل المعنى فصل بذكر ربك وقيل الباء زائدة وادعاء زيادتها خلاف الاصل والاسم بمعنى الذات وقيل هي للتعدية لان سبح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف أخرى والاول أولى عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم وصححه البيهقي

(سورة الحديد هي تسع وعشرون آية وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعليه الجمهور وقال الزمخشري انها مكية ويؤيده ما نقل في سبب اسلام عمر بن الخطاب انه لما قرأ هذه الآيات الى قوله ان كنتم مؤمنين وكانت مكتوبة في صحيفة عند أخته أسلم فهذا يقتضي ان هذه الآيات مكية فعلى هذا تستثنى على القول بان السورة مدنية تأمل وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء وخلق الحديد يوم الثلاثاء وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر مرفوعا لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت علي يوم الثلاثاء أخرجه الديلمي وعن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية أفضل من ألف آية أخرجه أحمد

اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيأ فاذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم (٢٢٠) ماذا قال آنفا أي الساعة لا يعقلون ما يقال ولا يكترثون له قال الله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح ثم قال عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم اليها وثبتهم عليها وزادهم منها وآتاهم تقواهم أي ألهمهم رشدهم وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة أي وهم غافلون عنها فقد جاء اشراطها أي امارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة وكقوله جلت عظمته اقتربت الساعة وانشق القمر وقوله سبحانه وتعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقوله جل وعلا اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة لانه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين وقد اخبر صلى الله عليه وسلم بأمارات الساعة واشراطها وابان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه وقال الحسن البصري بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في اسمائه عن صلى الله عليه وسلم انه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي وقال البخاري حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا ابو رجاء حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها بعثت انا والساعة كهاتين ثم قال تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم اى فكيف للكافرين بالتذكر اذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وقالوا

والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم وفي اسناده بقية بن الوليد وفيه مقال معروف وأخرجه النسائي عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر العرباض بن سارية فهو مرسل وأخرجه ابن الضريس عن يحيى بن أبي كثير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول ان فيهن آية أفضل من ألف آية قال يحيى فنراها الآية التي في آخر الحشر وقال ابن كثير في تفسيره والآية المشار اليها والله أعلم هي قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن الآية والمسبحات هي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والارض) أي نزهه ومجده قال المقاتلان يعني كل شيء من ذي روح وغيره وقد تقدم الكلام في تسبيح الجمادات عند تفسير قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والمراد بالتسبيح المسند الى ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم والحيوانات والجمادات هو ما يعم التسبيح بلسان المقال كتسبيح الملائكة والانس والجن وبلسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل موجود يدل على الصانع وقد أنكر الزجاج ان يكون تسبيح غير العقلاء هو تسبيح الدلالة وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة لم تكن لتخصيص داود فائدة وفعل التسبيح قد يتعدى بنفسه تارة كما في قوله وسبحوه وباللام أخرى كهذه الآية وأصله ان يكون متعديا بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء فاذا استعمل باللام فهي اما زائدة للتأكيد كما في شكرته وشكرت له أو هي للتعليل أي افعل التسبيح لاجل الله سبحانه خالصا له وجاء هذا الفعل في بعض هذه الفواتح كالحشر والصف ماضيا كهذه الفاتحة وفي بعضها كالجمعة والتغابن مضارعا وفي بعضها كالاعلى أمرا وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر استيعابا واستيفاء لهذه الكلمة من جميع جهاتها المشهورة وللاشارة الى ان هذه الاشياء مسبحة في كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة أبدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل أبدا وبدأ بالمصدر في الاسراء لانه الاصل وأبلغ من حيث انه مشعر باطلاقه

آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا اخبار بانه لا اله الا الله ولا يتأتى كونه آمرا بعلم ذلك ولهذا عطف عليه بقوله عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى وفى الصحيح انه كان يقول فى آخر الصلاة اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما أسرفت وما انت اعلم به منى أنت الهى لا اله الا انت وفى الصحيح انه قال يا ايها الناس توبوا الى ربكم (٢٢١) فانى استغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الاحول قال سمعت عبد الله بن سرخس قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ولك فقلت استغفر لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم نظرت الى بعض كتفه الايمن أو كتفه الايسر شعبة الذى شك فاذا هو كهيئة الجمع عليه الثآليل رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن جرير وابن ابى حاتم من طرق عن عاصم الاحول به وفى الحديث الآخر الذى رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبى نصيرة عن أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون وفى الاثر المروى قال ابليس وعزتك وجلالك لا ازال أغويهم ما دامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا ازال اغفر لهم ما استغفرونى والاحاديث فى فضل الاستغفار كثيرة وقوله تبارك وتعالى والله يعلم متقلبكم ومثواكم اى يعلم تصرفكم فى نهاركم ومستقركم فى ليلكم كقوله تبارك وتعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله سبحانه وتعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهذا القول ذهب اليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وعن ابن عباس رضى الله عنهما

عن التعرض للفاعل والزمان ثم بالماضى لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والاستقبال ثم بالامر لخصوصه بالاستقبال مع تأخره فى النطق به فى قولهم فعل يفعل افعل (وهو العزيز) أى القادر الغالب الذى لا ينازعه منازع ولا يمانعه ممانع كائنا ما كان قرأ قالون وأبو عمرو بسكون الهاء والباقون بضمها (الحكيم) الذى يفعل أفعال الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) يتصرف فيه وحده ولا ينفذ فيهما غير تصرفه وأمره وقيل المراد خزائن المطر والنبات وسائر الارزاق ذكره مرتين وليس بتكرار لان الاول فى الدنيا كما أشار له فى التقرير والثانى فى العقبى لقوله عقبه والى الله ترجع الامور والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (يحيى ويميت) الفعلان فى محل رفع على انهما خبران لمبتدا محذوف أو كلام مستأنف لبيان بعض أحكام الملك أو حال من الضمير فى له والعامل الاستقرار والمعنى انه يحيى بالانشاء فى الدنيا ويميت بعده وقيل يحيى النطف وهى أموات ويميت الاحياء وقيل يحيى الاموات للبعث (وهو على كل شئ قدير) لا يعجزه شئ كائنا ما كان (هو الاول) قبل كل شئ بلا بداية أو السابق على جميع الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) بعد كل شئ بلا نهاية أو الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها والاول خارجا والآخر ذهنا أو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات (والظاهر) العالى الغالب على كل شئ أو الظاهر وجوده بالادلة الواضحة (والباطن) أى العالم بما بطن من قولهم فلان يبطن أمر فلان أى يعلم داخلة أمره أو المعنى المحتجب حقيقة ذاته عن ادراك الابصار والحواس والعقول فلا تكتنهها الالباب والاحلام لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فاضمحل ما فى الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وقد فسر هذه الاسماء الاربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعين المصير الى ذلك كما أخرج ابن أبى شيبة ومسلم والترمذى والبيهقى عن أبى هريرة قال جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال قولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم وربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا

متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة وقال السدي متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم والاول أولى وأظهر والله أعلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين انهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه (٢٢٢) كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا وقال عز وجل ههنا ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الاعداء ثم قال مشجعا لهم فأولى لهم طاعة وقول معروف اي وكان الاولى بهم ان يسمعوا ويطيعوا اي في الحالة الراهنة فاذا عزم الامر اي جد الحال وحضر القتال فلو صدقوا الله أي أخلصوا له النية لكان خيرا لهم وقوله سبحانه وتعالى فهل عسيتم ان توليتم أي عن الجهاد ونكلتم عنه أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم اي تعودوا الى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الارحام ولهذا قال تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وهذا نهي عن الافساد في الارض عموما وعن قطع الارحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح في الارض وصلة الارحام وهو الاحسان الى الاقارب في المقال والافعال وبذل الاموال وقد وردت الاحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق عديدة ووجوه كثيرة قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثني معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي

من الفقر وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا مثل هذا في الاربعة الاسماء المذكورة وتفسيرها وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم وأخرج أبو داود عن أبي زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري قال ما هو قلت والله لا أتكلم به قال فقال لي أشيء من شك قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيأ فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات عن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه والعنان اسم للسحاب

الرحمن عزوجل فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى ألا ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذالك قال أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ثم رواه البخارى من طريقين آخرين عن معاوية بن أبى مزرد به قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبى مزرد به وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن ابيه عن أبى بكرة رضى الله عنه (٢٢٣) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أحرى ان يجعل الله تعالى عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم ورواه ابوداود والترمذى وابن ماجه من حديث اسمعيل هو ابن علية به وقال الترمذى هذا حديث صحيح وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائى حدثنا محمد بن عباد المخزومى عن ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره النسأ فى الاجل والزيادة فى الرزق فليصل رحمه تفرد به احمد وله شاهد فى الصحيح وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى ذوى أرحام أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسيؤن أفأكافئهم قال صلى الله عليه وسلم لا اذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله عزوجل ما كنت على ذلك تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر وقال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا مطر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخارى وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا قتادة عن أبى ثمامة الثقفى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم توضع الرحم يوم القيامة لها حجنة كحجنة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها وقال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبى قابوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقد رواه أبوداود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة عن

للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم لسماء الدنيا (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة ولو أراد ان يجعلهما فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليكون عليها المدار وهذا بيان لبعض ملكه للسموات والارض وقد تقدم تفسيره فى سورة الاعراف وفى غيرها مستوفى (ثم استوى على العرش) أى الكرسى استواء يليق به قاله المحلى وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال كنت جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ امرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم هل تدرون كم ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندرى قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة و بعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عزوجل فوق ذلك أخرجه الترمذى وأبوداود وزاد فى رواية وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شئ وقد تقدم الكلام على الاستواء مرارا فى غير موضع وفى هذا الباب كتب ورسائل مستقلة وهى معروفة عند أهل العلم (يعلم ما يلج فى الارض) أى يدخل فيها من المطر والقطر والبذر والكنوز والموتى وغيرها (وما يخرج منها) من نبات ومعادن وغيرها (وما ينزل من السماء) من الملائكة والرحمة والعذاب والمطر وغيرها (وما يعرج فيها) أى يصعد اليها من الملائكة وأعمال العباد والدعوات وقال المحلى كالاعمال الصالحة والسيئة واعترضه القارى بان الذى يرفع من الاعمال هو الصالح كما فى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقد تقدم تفسير هذا فى سورة سبا (وهو معكم أينما كنتم) بقدرته وسلطانه وعلمه عموما وبفضله ورحمته خصوصا فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء برأو بحر وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة قال ابن عباس عالم بكم وهذا تمثيل للاحاطة بما يصدر منهم أينما داروا فى الارض من بر وبحر (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه من أعمالكم شئ

عمرو بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الاولية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن ابراهيم بن عبد الله بن قارض ان أباه حدثه انه دخل على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو مريض فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه وصلتك رحم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته أو قال من بتها أبته تفرد به أحمد من هذا الوجه ورواه احمد ايضا من حديث الزهري عن ابي سلمة (٢٢٤) عن المرداد أو ابي المرداد عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه ابوداود والترمذي من رواية ابي سلمة عن ابيه والاحاديث في هذا كثيرة وقال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس الحجاج بن القرافصة عن ابي عمر البصري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله واصمهم واعمى ابصارهم والاحاديث في هذا كثيرة والله أعلم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الاعراض عنه فقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها أي بل على قلوب أقفالها فهي اى مطبقة لا يخلص اليها شيء من معانيه قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به ثم قال تعالى ان الذين ارتدوا على

(له ملك السموات والارض) هذا التكرير للتأكيد وذكره مع الاعادة كذكره مع الابداء لانه كالمقدمة (١) لهما (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) الاخوان وابن عامر يقرؤن بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القرآن ذكره السمين (يولج الليل) أي يدخله (في النهار) بان ينقص من الليل ويزيد في النهار (ويولج النهار في الليل) بعكس ذلك وقد تقدم تفسير هذا في سورة آل عمران وفي مواضع (وهو عليم بذات الصدور) أي بضمائرها ومعتقداتها ومكنوناتها لا تخفى عليه من ذلك خافية (آمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا بالتوحيد وصحة الرسالة وهذا خطاب لكفار العرب أو للجميع ويكون المراد بالامر بالايمان في حق المسلمين الاستمرار عليه أو الازدياد عليه ثم لما أمرهم بالايمان أمرهم بالانفاق في سبيل الله فقال (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة فان المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله فعليهم ان يصرفوها فيما يرضيه وقيل جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه وسينتقل الى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا به كذا قال الحسن وغيره وفيه الترغيب الى الانفاق في سبيل الخير وتهوين له على النفس قبل ان ينتقل عنهم و يصير الى غيرهم والظاهر ان معنى الآية الترغيب في الانفاق في الخير وما يرضاه الله على العموم وقيل هو خاص بالزكاة المفروضة ولا وجه لهذا التخصيص قال المحلي نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك و يشكل هذا على القول بان السورة مكية وكذا على القول بانها مدنية على استثناء هذه الآيات وكانت في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل وقع الصلح على دفع الجزية وايضاح هذه القصة مذكور في سورة براءة فراجعها ان شئت ثم ذكر سبحانه ثواب من أنفق في سبيل الله فقال (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أي الذين جمعوا بين الايمان بالله ورسوله وبين الانفاق في سبيل الله وفيه اشارة الى عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز في غزوة العسرة ثلثمائة بعير باقتابها واحلاسها وأحمالها وجاء بالف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لهم أجر كبير) وهو الجنة (ومالكم لا تؤمنون بالله) هذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع والخطاب للكفار أي أي عذر لكم وأي مانع من الايمان وقد أزيحت عنكم العلل وقيل المعنى

(١) فان ما قبله مستعمل كناية عن الجزاء اذا اريد الاعادة وكذا ما بعده كان قوله يحيي ويميت اشارة الى الابداء اه سيد ذو الفقار أحمد

أى شئ لكم من الثواب فى الآخرة اذا لم تؤمنوا (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) أى يدعوكم للايمان والمعنى أى عذر لكم فى ترك الايمان والحال ان الرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (و) الحال ان (قد أخذ) الله (ميثاقكم) حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم فى عالم الذر حين أشهدكم على أنفسكم كما فى قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى أو بما نصب لكم من الادلة الدالة على التوحيد ووجوب الايمان وركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون وهو اختيار القاضى كالكشاف والاول أولى قرأ الجمهور قد أخذ مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه لتقدم ذكره وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان (ان كنتم مؤمنين) بما أخذ لكم من الميثاق أو بالحجج والدلائل أو ان كنتم مؤمنين بسبب من الاسباب فهذا من أعظم أسبابه وأوضح موجباته لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل مريدين للايمان به فبادروا اليه وقيل ان بمعنى اذ (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) أى واضحات ظاهرات وهى الآيات القرآنية وقيل المعجزات والقرآن أعظمها (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أى ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بتلك الآيات أو بالدعوة منها اليه (وان الله بكم) فى اخراجكم من الكفر الى الايمان (لرؤف رحيم) أى كثير الرأفة والرحمة بليغهما حيث أنزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية فلا رأفة ولا رحمة أبلغ من هذه (وما لكم أن لا) والاصل فى ان لا (تنفقوا) فموضعه نصب أو جر وليست ان زائدة كما يرى أبو الحسن زيادتها بل هى مصدرية والمعنى فى عدم الانفاق (فى سبيل الله) أى فى طاعته وما يكون قربة اليه فسبيله كل خير يوصلهم اليه فهو استعارة تصريحية والاستفهام للتوبيخ والتقريع وفى هذه الآية دليل على ان الانفاق المأمور به فى قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه هو الانفاق فى سبيل الله كما بينا ذلك والمعنى أى عذر لكم وأى شئ يمنعكم من ذلك (ولله ميراث السموات والارض) أى والحال ان كل ما فيهما راجع الى الله

أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى أى فارقوا الايمان ورجعوا الى الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم أى زين لهم ذلك وحسنه وأملى لهم أى غرهم وخدعهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر أى مالؤهم وناصحوهم فى الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون ولهذا قال الله عز وجل والله يعلم اسرارهم أى ما يسرون وما يخفون الله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى والله يكتب ما يبيتون ثم قال تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم أى كيف حالهم اذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الارواح فى أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى ولو ترى اذ يتوفى (٢٢٥) الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أى بالضرب أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولهذا قال ههنا ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) يقول تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أى أيعتقد المنافقون ان الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى فى ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الافعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة

والاضغان جمع ضغن وهو ما فى النفوس من الحسد والحقد للاسلام وأهله والقائمين بنصره وقوله تعالى ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك فى جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للامور على ظاهر السلامة ورد السرائر الى عالمها ولتعرفنهم فى لحن القول أى فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أى الحزبين هو بمعانى كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه وفى الحديث

ما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى جلبابها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته ههنا وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة عن عياض بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين رجلا (٢٢٦) ثم قال ان فيكم أو منكم منافقين فاتقوا الله قال فمر عمر رضي الله عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه فقال مالك فحدثه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعدا لك سائر اليوم وقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أي ولنختبرنكم بالاوامر والنواهي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن انه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا الا لنعلم أي لنرى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الايمان من بعد ما تبين له الهدى انه لن يضر الله شيأ وانما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيآت وقد قال الامام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فخافوا أن يبطل الذنب العمل ثم روى من طريق عبد الله

سبحانه بانقراض العالم كرجوع الميراث الى الوارث ولا يبقى لهم منه شيء وهذا أدخل في التوبيخ وأكمل في التقريع فان كون تلك الامور تخرج عن أهلها وتصير لله سبحانه ولا يبقى أحد من مالكيها أقوى في ايجاب الانفاق عليهم من كونها لله في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وتفاوت درجات المنفقين فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة وبه قال أكثر المفسرين قال قتادة كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ونفقتان احداهما أفضل من الاخرى كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك وكذا قال مقاتل وغيره وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية وهو الراجح قاله الكرخي وذكر القتال للاستطراد وفي الكلام حذف والتقدير لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لظهوره ولدلالة ما سيأتي عليه فان الاستواء يكون بين الشيئين ولا يتم الا بذكر اثنين وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعده لان حاجة الناس كانت اذ ذاك أكثر وهم أقل وأضعف وتقديم الانفاق على القتال للايذان بفضيلة الانفاق لما كانوا عليه من الحاجة فانهم كانوا يجودون بانفسهم ولا يجدون ما يجودون به من الاموال وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه أهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات

* والجود بالنفس أقصى غاية الجود * (أولئك) اشارة الى من باعتبار معناه وهو مبتدأ وخبره قوله (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) أي أرفع منزلة وأعلى رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها قال الزجاج لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم أيضا أنفذ وقد أرشد صلى الله عليه وآله وسلم الى هذه الفضيلة بقوله فيما صح عنه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهذا خطاب منه صلى الله عليه وآله وسلم للمتأخرين صحبة كما يرشد الى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية حتى اذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى

ابن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا (٢٢٧) والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال

ولهذا قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم أي بالردة ولهذا قال بعدها ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم كقوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين فلا تهنوا أي تضعفوا عن الاعداء وتدعوا الى السلم أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون أي في حال علوكم على عدوكم فأما اذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة الى جميع المسلمين ورأى الامام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه الى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم الى ذلك وقوله جلت عظمته والله معكم فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الاعداء ولن يتركم أعمالكم أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم اياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا والله أعلم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يقول تعالى تحقيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها انما الحياة الدنيا لعب ولهو أي حاصلها ذلك الا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم أي هو غني عنكم لا يطلب

الله عليه وآله وسلم يوشك ان يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا من هم يا رسول الله أقريش قال لا ولكنهم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا أهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لأحدهم جبل من ذهب ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وهذا الحديث قال ابن كثير غريب بهذا الاسناد وقد رواه ابن جرير ولم يذكر فيه الحديبية وأخرج أحمد عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد و بين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وفي لفظ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري وعن ابن عمر قال لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره أخرجه ابن أبي شيبة (وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله) المثوبة (الحسنى) وهي الجنة مع تفاوت درجاتهم فيها قرأ الجمهور كلا على انه مفعول مقدم وقرئ بالرفع على الابتداء أو على انه خبر مبتدأ محذوف ومثل هذا قول الشاعر

قد أصبحت أم الخيار تدعي * على ذنبا كله لم أصنع

قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم رغب سبحانه في الصدقة فقال (من ذا الذي يقرض الله) أي ينفق ماله في سبيل الله فانه كمن يقرضه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد أقرض من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه و يصح أن يكون من ذا مبتدأ أو الموصول خبره وهذا منه تعالى في غاية اللطف بالعباد والاحسان البالغ حيث أعطانا الاموال من عنده وجعل رجوعها اليه منا قرضا مع انه المالك الحقيقي قال الكلبي (قرضا) أي صدقة (حسنا) أي محتسبا من قلبه بلا من ولا أذى وقال مقاتل حسنا

منكم شيأ وانما فرض عليكم الصدقات من الاموال مواساة لاخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم ويرجع ثوابه اليكم ثم قال جل جلاله ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يحرجكم تبخلوا ويخرج أضغانكم قال قتادة قد علم الله تعالى ان في اخراج الاموال اخراج الاضغان وصدق قتادة فان المال محبوب ولا يصرف الا فيما هو أحب الى الشخص منه وقوله تعالى هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل اي لا يجيب الى ذلك ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي انما نقص نفسه من الاجر وانما يعود وبال ذلك عليه والله الغني (١٢٨) اي عن كل ما سواه وكل شئ فقير اليه دائما ولهذا قال تعالى وانتم الفقراء اي بالذات اليه فوصفه بالغنى وصف لازم له ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه وقوله تعالى وان تتولوا اي عن طاعته واتباع شرعه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم اي ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره وقال ابن ابي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب اخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الائمة رحمة الله عليهم والله اعلم آخر تفسير سورة القتال ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الفتح وهي مدنية)

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسير سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا اني اكره ان يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته أخرجاه من حديث شعبة به (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول الى المسجد الحرام ليقضي

طيبة به نفسه واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الانفاق بالاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض من حيث ان الله وعد به الجنة تشبيها بالقرض لان القرض اخراج المال لاسترداد البدل وقيل القرض الحسن هو النفقة على الاهل قاله زيد بن اسلم وقال الحسن هو التطوع بالعبادات وقيل انه العمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء والاول اولى وقال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي به الناس وان تستحقر ما تعطي وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشر خصال اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا وقد تقدم تفسير الآية في سورة البقرة (فيضاعفه له) اي يعطيه اجره على انفاقه أضعافا مضاعفة من فضله قرأ اهل الكوفة والبصرة بالالف وتخفيف العين وقرئ فيضعفه وعلى كل من القراءتين فالفعل اما مرفوع أو منصوب فالقراآت اربعة وكلها سبعية قال ابن عطية الرفع هنا على العطف او الاستئناف والنصب بالفاء على جواب الاستفهام (وله) مع المضاعفة (اجر كريم) وهو الجنة والمضاعفة هنا هي كون الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف على اختلاف الاحوال والاشخاص والاوقات (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) اي اذكر أو يؤجرون يوم ترى او يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم هذا أصله والعامل فيه يضاعفه قاله ابو البقاء والخطاب لكل من يصلح له (يسعى نورهم) اي نور التوحيد والطاعات والنور هو الضياء الذي يرى وقيل هو القرآن (بين ايديهم) ظرف ليسعى او حال من نورهم (وبايمانهم) وذلك على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم الى الجنة قال قتادة ان المؤمن يضيء له نور كما بين عدن الى صنعاء حتى ان من المؤمنين من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وقال الضحاك ومقاتل وبايمانهم كتبهم التي أعطوها فكتبهم بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وقال الضحاك ايضا نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختار هذا ابن جرير الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم بين ايديهم وفي ايمانهم كتب أعمالهم قال ابن مسعود في الآية

يؤتون

عمرته فيمو حالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا الى المصالحة والمهادنة وان يرجع عامه هذا ثم يأتى من قابل فاجابهم الى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم كما سيأتى تفصيله فى موضعه من تفسير هذه السورة ان شاء الله تعالى فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع انزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من امره وامرهم وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الامر اليه كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره انه قال انكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية وقال الاعمش عن ابى سفيان عن جابر رضى الله عنه (٢٢٩) قال ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابى اسحق عن البراء رضى الله عنه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا وقال الامام احمد حدثنا ابو نوح حدثنا مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قال فسألته عن شئ ثلاث مرات فلم يرد على قال فقلت لنفسى ثكلتك امك يا ابن الخطاب ألححت كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك قال فركبت راحلتى فحركت بعيرى فتقدمت مخافة ان يكون نزل فى شئ قال فاذا انا بمناد يا عمر قال فرجعت وانا اظن انه نزل فى شئ قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم نزل على البارحة سورة هى احب الى من الدنيا وما فيها انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ورواه البخارى والترمذى والنسائى من طرق عن مالك رحمه الله وقال على بن المدينى هذا اسناد مدنى جيد لم نجده الا عندهم وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك رضى الله عنه قال نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على آية أحب الى مما على الارض ثم قرأها عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيأ مريأ يا نبى الله بين

يؤتون نورهم على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره على ابهامه يطفأ مرة ويقد اخرى قال الفراء الباء بمعنى فى أى فى جهة أيمانهم وهذا على قراءة العامة اعنى بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اى عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانه اشرف الجهات وقرئ بكسرها على ان المراد بالايمان ضد الكفر وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية أى يسعى كائنا بين أيديهم وكائنا بايمانهم وقال أبو البقاء تقديره وبايمانهم استحقوه أو وبايمانهم يقال لهم أى تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم (بشراكم اليوم) أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (ذلك هو الفوز العظيم) لا يقادر قدره حتى كأنه لا فوز غيره ولا اعتداد بما سواه والاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هذا اذا كان قوله ذلك هو الفوز العظيم قول الله تعالى لا من جملة مقول الملائكة والا فالاشارة حينئذ الى الجنة بتأويل ما ذكر أو لكونها فوزا ذكره الكرخى (يوم) أى اذكر يوم (يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) واللام للتبليغ كنظائرها (انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم الى الجنة قرأ الجمهور انظرونا أمرا بوصل الهمزة وضم الظاء مشتق من النظر بمعنى الانتظار وقرئ من الانظار بقطع الهمزة أى امهلونا وأخرونا يقال أنظرته واستنظرته أى أمهلته واستمهلته قال الفراء تقول العرب انظرنى أى انتظرنى وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئوا بنورهم وهذا أليق بقوله (نقتبس من نوركم) أى نستضئ منه الا ان الشيخ أبا حيان قال ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا فى الشعر وانما يتعدى بالى والقبس الشعلة من النار والسراج فلما قالوا ذلك (قيل) أى قال لهم المؤمنون أو الملائكة الموكلون بهم زجرا وتهكما بهم (ارجعوا وراءكم) اى الى الموضع الذى أخذنا منه النور (فالتمسوا) أى اطلبوا هنالك (نورا) لانفسكم فانه من هنالك يقتبس وقيل المعنى ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا النور بما التمسناه به من الايمان والاعمال الصالحة وقيل أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة تهكما بهم وعن ابن

الله عز وجل ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما أخرجاه فى الصحيحين من رواية قتادة به وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الانصارى عن عمه مجمع بن حارثة الانصارى رضى الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها اذا الناس ينفرون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس (٢٣٠) نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رسول الله أو فتح هو قال صلى الله عليه وسلم اى والذى نفس محمد بيده انه لفتح قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما ورواه أبو داود فى الجهاد عن محمد ابن عيسى عن مجمع بن يعقوب به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا أبو بحر حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبى علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ الا بالشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعلوا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسى قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحى قال وكان اذا أتاه الوحى اشتد عليه فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد رواه احمد وأبو داود والنسائى من غير وجه عن جامع بن شداد به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا أخرجاه وبقية الجماعة مالا

عباس قال بينما الناس فى ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلهم من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا الى النور تبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم فى الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو الناس يوم القيامة بامهاتهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فان الله يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا وفى الباب أحاديث وآثار (فضرب بينهم بسور) معطوف على ما قبله متفرع عليه فان المؤمنين أو الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بأنوار معارفهم وأعمالهم بقى المنافقون فى ظلمة نفاقهم فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين النور الذى يؤديهم الى الجنة سور فعلى هذا يكون قوله فضرب الخ من قبيل الاستعارة التمثيلية والسور هو الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا الحاجز بين الجنة والنار أو بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الحائط بينهما وقيل هو الاعراف قال الكسائى الباء فى بسور زائدة ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال (له) اى لذلك السور (باب باطنه) اى باطن ذلك السور وهو الجانب الذى يلى أهل الجنة (فيه الرحمة) وهى الجنة أو النور (وظاهره) وهو الجانب الذى يلى أهل النار (من قبله) اى من قبل ذلك الظاهر ومن عنده ومن جهته (العذاب) اى الظلمة أو نار جهنم وقيل ان المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة والمنافقون يحصلون فى العذاب وبينهم السور وقيل ان الرحمة التى فى باطنه نور المؤمنين والعذاب الذى فى ظاهره ظلمة المنافقين عن عبادة ابن الصامت انه كان على سور بيت المقدس فبكى فقيل ما يبكيك فقال ههنا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جهنم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان السور الذى ذكره الله فى القرآن فضرب بينهم بسور هو الذى ببيت المقدس الشرقى باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب يعنى وادى جهنم وما يليه ولا يخفاك ان تفسير السور المذكور فى هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الاشكال

الأبادأو من حديث زياد به وقال الامام احمد حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الخزاز وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال قام رسول الله (٢٣١) صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه أو قال ساقاه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا غريب من هذا الوجه فقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا أي بينا ظاهرا والمراد به صلح الحديبية فانه حصل بسببه خير جزيل وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والايمان وقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الاعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الاولين ولا من الآخرين وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الاطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ولما كان أطوع خلق الله تعالى لله وأشدهم تعظيما لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيأ يعظمون به حرمات الله الا أجبتهم اليها فلما أطاع الله في ذلك وأجاب الى الصلح قال الله تعالى له انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك أي في الدنيا والآخرة ويهديك صراطا مستقيما أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم وينصرك الله نصرا عزيزا أي بسبب خضوعك لامر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله عز وجل الا رفعه الله تعالى وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما عاقبت أحدا عصى الله

ما لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فان هذا غير ما سيقت له الآية وغير ما دلت عليه وأين يقع بيت المقدس أو سوره بالنسبة الى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين وأي معنى لذكر مسجد بيت المقدس ههنا فان كان المراد أن الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سورا مضروبا بين المؤمنين والمنافقين فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد وان كان المراد أن الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين الى بيت المقدس فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد ويجعل المنافقين خارجه فهم اذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس فان كان مثل هذا التفسير ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه وآمنا به والا فلا كرامة ولا قبول ولعله أخذ ذلك من الاسرائيليات فقد قال شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب وكعب وكذا وهب كثير الرواية عن بني اسرائيل وليس عند أهل السنة الى قبوله سبيل ولما ضرب بالسور بين المؤمنين والمنافقين أخبر الله سبحانه عما قاله المنافقون اذ ذاك فقال (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة والجملة حالية من الضمير في بينهم أو استئناف وهو الظاهر (ألم نكن معكم) أي موافقين لكم في الظاهر نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونعمل باعمال الاسلام مثلكم ثم أخبر الله سبحانه عما أجابهم به المؤمنون فقال (قالوا بلى) أي كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) بالنفاق وابطان الكفر قال مجاهد أهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات واللذات قاله ابن عباس وقيل استعملتموها في الفتنة وقيل بالمعاصي قاله أبو سنان (وتربصتم) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر والدوائر وقيل تربصتم بالتوبة قاله ابن عباس والاول أولى (وارتبتم) أي شككتم في أمر الدين ولم تصدقوا ما أنزل الله من القرآن في التوحيد ولا بالمعجزات الظاهرة (وغرتكم الاماني) الباطلة التي من جملتها ما كنتم فيه من التربص وقيل هي طول الامل والطمع في امتداد الاعمار وقيل ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين وقال قتادة الاماني هنا غرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل هو طمعهم في المغفرة وكل هذه الاشياء تدخل في مسمى الاماني (حتى جاء أمر الله) وهو الموت قاله ابن عباس وقيل نصره

تعالى فيك بمثل ان تطيع الله تبارك وتعالى فيه (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) يقول تعالى هو الذى أنزل السكينة أى جعل الطمأنينة (٢٣٢) قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة الوقار فى قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضى الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم ايمانا مع ايمانهم وقد استدل بها البخارى وغيره من الائمة على تفاضل الايمان فى القلوب ثم ذكر تعالى انه لو شاء لانتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى ولله جنود السموات والارض أى ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له فى ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جلت عظمته وكان الله عليما حكيما ثم قال عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها قد تقدم حديث أنس رضى الله عنه حين قالوا هنيئا لك يا رسول الله هذا لك فما لنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى ماكثين فيها أبدا ويكفر عنهم سيآتهم أى خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر وكان ذلك عند الله فوزا عظيما كقوله جل وعلا فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز الآية وقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء أى يتهمون الله تعالى فى حكمه ويظنون بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ان يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم أى أبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ثم قال ... ولله جنود السموات والارض ... الكفرة

سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو القاؤهم فى النار (وغركم بالله الغرور) بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان قاله ابن عباس أى خدعكم بحكم الله وامهاله الشيطان وقرئ بضمها وهو مصدر وقيل غركم بان الله عفو كريم لا يعذبكم وماذا عسى أن تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم وغفور رحيم فلا يزال بالانسان حتى يوقعه أو بانه لا بعث ولا حساب قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم) أيها المنافقون (فدية) تفدون بها أنفسكم من النار وقيل عوض وبدل وقيل ايمان وتوبة والاول أولى (ولا من الذين كفروا) بالله ظاهرا وباطنا وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق بهذا الاعتبار فحسن عطفه على المنافق (مأواكم) أى منزلكم الذى تأوون اليه (النار هى مولاكم) أى هى أولى بكم والمولى فى الاصل من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن يلازمه وقيل مولاكم مكانكم عن قرب من الولى وهو القرب أو المعنى ذات ولايتكم وهذا على ان المولى مصدر قيل ان الله يركب فى النار الحياة والعقل فهى تتغيظ على الكفار وقيل المعنى هى ناصركم على طريقة قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * والمعنى لا ناصر لكم الا النار كان معنى البيت لا تحية لهم الا الضرب على التهكم والمراد نفى الناصر ونفى التحية (وبئس المصير) الذى تصيرون اليه النار (ألم يأن للذين آمنوا) يقال أنى لك يأنى اذا حان أى جاء اناه أى وقته قرأ الجمهور ألم يأن وقرئ ألما يأن (أن تخشع قلوبهم لذكر الله) أى ألم يحضر خشوع قلوبهم ولم يجئ وقته هذه الآية نزلت فى المؤمنين قال الحسن يستبطئهم وهم أحب خلقه اليه وقيل نزلت فى أهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام دون محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج نزلت فى طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع فاما من وصفهم الله بالرقة والخشوع فطبقة فوق هؤلاء وقال السدى وغيره المعنى ألم يأن للذين آمنوا فى الظاهر وأسروا الكفر ان تخشع وتلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر الله وسيأتى ما يقوى قول من قال انها نزلت فى المسلمين والخشوع لين القلب ورقته والمعنى انه ينبغى ان يورثهم الذكر خشوعا ورقة ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

استبطأ

والمنافقين ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا أى على الخلق ومبشرا أى للمؤمنين ونذيرا أى للكافرين وقد تقدم تفسيرها فى سورة الاحزاب لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد تعظموه وتوقروه من التوقير وهو الاحترام (٢٣٣) والاجلال والاعظام وتسبحوه أى تسبحون الله بكرة واصيلا اى اول النهار وآخره ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وتكريما ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كقوله جل وعلا من يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق أيديهم اى هو حاضر معهم يسمع اقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقد قال ابن ابى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانبارى حدثنا على بن بكار عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سل سيفه فى سبيل الله فقد بايع الله وحدثنا ابى حدثنا

(٣٠ فتح البيان تاسع) يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ولهذا قال تعالى ههنا فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى انما يعود وبال ذلك على الناكث والله غنى عنه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما أى ثوابا جزيلا وهذه البيعة هى بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان

استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فانزل الله ألم يأن الآية أخرجه ابن مردويه وأخرج أيضا عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أصحابه فى المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرا وجهه فقال أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بانه قد غفر لكم ولقد أنزل على فى ضحككم آية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قالوا يا رسول الله فما كفارة ذلك قال تبكون بقدر ما ضحكتم وأخرج مسلم والنسائى وابن ماجه وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية ألم يأن الخ الا أربع سنين وعنه قال لما نزلت هذه الآية أقبل بعضنا على بعض أى شئ أحدثنا أى شئ صنعنا وعن ابن عباس قال ان الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ألم يأن الآية وعن عبد العزيز بن أبى دواد ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت هذه الآية ألم يأن الخ (وما نزل من الحق) المراد به القرآن فيحمل الذكر المعطوف عليه على ما عداه مما فيه ذكر الله سبحانه باللسان أو خطور بالقلب وقيل المراد بالذكر هو القرآن فيكون هذا العطف من باب عطف التفسير أو باعتبار تغاير المفهومين قرأ الجمهور نزل مشددا مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ مخففا مبنيا للفاعل وقرئ أنزل مبنيا للفاعل (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) قرأ الجمهور بالتحتية على الغيبة جريا على ما تقدم وقرئ على الخطاب التفاتا والمعنى النهى لهم ان يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن (فطال عليهم الامد) أى طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم قرأ الجمهور الامد بتخفيف الدال وقرئ بتشديدها أى الزمن الطويل وقيل المراد به على الاولى الاجل والغاية يقال أمد فلان كذا أى غايته (فقست قلوبهم) بذلك السبب فلذلك حرفوا وبدلوا فنهى الله سبحانه أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا مثلهم وعن أبى بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن طاعة الله لانهم تركوا العمل بما أنزل اليهم وحرفوا وبدلوا ولم يؤمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هم الذين ابتدعوا الرهبانية وهم

الصحابة رضى الله عنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قيل ألفا وثلثمائة وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة الاوسط أصح * ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضى الله عنه قال
[illegible]
ابن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنه قال كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده فى ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رووا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين (٢٣٤) ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهم سهما من كنانته فوضعوه فى بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقيل لجابر رضى الله عنه كم كنتم يومئذ قال كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه انهم كانوا خمس عشرة مائة وروى البخارى من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة قلت فان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثنى انهم كانوا خمس عشرة مائة قال البيهقى هذه الرواية تدل على انه كان فى القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذى رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذى رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن العباس الدورى عن يحيى بن معين عن شبابة ابن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة وكذلك هو الذى فى رواية سلمة بن الاكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب رضى الله عنهم وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازى والسير وقد أخرج صاحبا الصحيح من حديث شعبة عن (١) عروة بن مرة قال سمعت عبد الله بن ابى أوفى رضى الله عنه يقول كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين وروى محمد بن اسحق فى السيرة عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد

أصحاب الصوامع (اعلموا) خطاب للمؤمنين المذكورين وهم الصحابة الذين أكثروا المزاح فيكون فى الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب (أن الله يحيى الارض بعد موتها) وهذا تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة وهذه استعارة تمثيلية والمعنى من قدر على ذلك فهو قادر على ان يبعث الاجسام بعد موتها ويلين القلوب بعد قسوتها وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) أى كى تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعملوا بموجب ذلك أو لكى تكمل عقولكم (ان المصدقين والمصدقات) قرأ الجمهور بتشديد الصاد فى الموضعين من الصدقة والاصل المتصدقين والمتصدقات وقرئ على الاصل وقرئ بتخفيف الصاد فى الموضعين من التصديق أى صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به (وأقرضوا الله قرضا حسنا) معطوف على اسم الفاعل فى المصدقين والمصدقات لانه لما وقع صلة للالف واللام الموصولة حل محل الفعل فكأنه قال ان الذين تصدقوا وأقرضوا كذا قال أبو على الفارسى وغيره وقيل صلة لموصول محذوف أى والذين أقرضوا وقيل جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والقرض الحسن عبارة عن التصدق والانفاق فى سبيل الله مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب أجر (يضاعف لهم) قرأ الجمهور بفتح العين على البناء للمفعول والقائم مقام الفاعل اما الجار والمجرور أو ضمير يرجع الى المصدقين على حذف مضاف أى ثوابهم وقرئ يضاعفه بكسر العين وزيادة الهاء وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها والمضاعفة هنا ان الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف (ولهم أجر كريم) وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله جميعا) (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق قال المقاتلان هم الذين لم يشكوا فى الرسل حين أخبروهم ولم يكذبوهم وقال مجاهد هذه الآية للشهداء خاصة وهم الانبياء الذين يشهدون للامم وعليهم واختار هذا الفراء والزجاج وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وكذا قال ابن جرير وقيل هم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة لانبيائهم بالتبليغ والظاهر أن معنى الآية ان الذين آمنوا بالله ورسله جميعا بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الدرجة عند الله وقيل ان الصديقين هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا بالله وصدقوا جميع رسله

والقائمون

(١) قوله عن عروة بن مرة فى نسخة عمرو بن مرة وحرر اه

قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة كذا قال ابن اسحق وهو معدود من أوهامه فان المحفوظ في الصحيحين انهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي ان شاء الله تعالى * ذكر سبب هذه البيعة العظيمة قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه الى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت (٢٣٥) قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان ابن عفان رضي الله عنه فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل ان يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه ان عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد صبا اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل وذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن ابن الزبير رضي الله عنهما

والقائمون لله سبحانه بالتوحيد أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنو أمتي شهداء ثم تلا هذه الآية وقال ابن مسعود كل مؤمن صديق وشهيد وعنه قال ان الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلا هذه الآية وعن أبي هريرة نحوه وقال ابن عباس في الآية هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فمن أنا قال من الصديقين والشهداء ثم بين سبحانه ما لهم من الخير بسبب ما اتصفوا به من الايمان بالله ورسله فقال (لهم أجرهم ونورهم) الضمير الاول راجع الى الموصول والضميران الآخران راجعان الى الصديقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم وأما على قول من قال ان الذين آمنوا بالله ورسله هم نفس الصديقين والشهداء فالضمائر الثلاثة كلها راجعة الى شيء واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وعقابهم فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي جمعوا بين الكفر والتكذيب (أولئك أصحاب الجحيم) يعذبون بها ولا أجر لهم ولا نور بل عذاب مقيم وظلمة دائمة ولما ذكر سبحانه حال الفريق الثاني وما وقع منهم من الكفر والتكذيب وذلك بسبب ميلهم الى الدنيا وتأثيرها بين لهم حقارتها وأنها أحقر من ان تؤثر على الدار الآخرة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان واللعب هو الباطل واللهو كل شيء يتلهى به ثم يذهب قال قتادة لعب ولهو أكل وشرب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة وشغل عنها وقيل اللعب الاقتناء واللهو النساء وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الانعام (وزينة) كزينة النسوان والزينة التزين بمتاع الدنيا من اللباس والحلي ونحوهما من دون عمل للآخرة (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران قرأ الجمهور بتنوين تفاخر وقرئ بالاضافة أي يفتخر به بعضكم على بعض وقيل يتفاخرون بالخلقة والقوة وقيل بالانساب والاحساب كما كانت عليه العرب (وتكاثر) كتكاثر الدهقان والتكاثر ادعاء الاستكثار (في الاموال والاولاد) أي يتكاثرون بأموالهم وأولادهم ويتطاولون بذلك على الفقراء والمعنى ان التشاغل وشغل البال بالحياة

قريبا من هذا السياق وزاد فى سياقه ان قريشا بعثوا وعندهم عثمان رضى الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز
ابن حفص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم عندهم اذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل
والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان
روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فسار المسلمون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه (٢٣٦) على ان لا يفروا أبدا فارعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم
من المسلمين ودعوا الى الموادعة
والصلح وقال الحافظ أبو بكر البيهقى
أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا
أحمد بن عبيد الصفار حدثنا تمام
حدثنا الحسن بن بشير حدثنا
الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن
أنس بن مالك رضى الله عنه قال
لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيعة الرضوان كان عثمان بن
عفان رضى الله عنه رسول رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى أهل
مكة فبايع الناس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ان عثمان
فى حاجة الله تعالى وحاجة رسوله
فضرب باحدى يديه على الاخرى
فكانت يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعثمان رضى الله عنه خيرا
من أيديهم لانفسهم قال ابن هشام
وحدثنى من أثق به عمن حدثه
باسناد له عن ابن ابى مليكة عن ابن
عمر رضى الله عنهما قال بايع صلى
الله عليه وسلم لعثمان رضى الله
عنه فضرب باحدى يديه على
الاخرى وقال عبد الملك بن هشام
النحوى فذكر وكيع عن اسمعيل
ابن أبى خالد عن الشعبى قال ان
أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الاسدى وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى
حدثنا سفيان حدثنا ابن أبى خالد عن الشعبى قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة كان أول من انتهى اليه
أبو سنان الاسدى فقال ابسط يدك أبايعك فقال النبى صلى الله عليه وسلم علام تبايعنى فقال أبو سنان رضى الله عنه على ما فى نفسك
هذا أبو سنان بن وهب الاسدى رضى الله عنه وقال البخارى حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر بن محمد يقول حدثنا صخر بن
الربيع عن نافع رضى الله عنه قال ان الناس يتحدثون ان ابن عمر رضى الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر رضى الله عنه

الدنيا اذ ربين هذه الامور الخمسة اجتمعت أولا قال القشيرى وهذه الدنيا المذمومة هى
ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا وأما الطاعات وما يعين
عليها فمن أمور الآخرة وقال على كرم الله وجهه لعمار بن ياسر لا تحزن على الدنيا فان الدنيا
ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها
العسل وهو بزقة ذبابة وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان وأفضل
ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب
الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال فى مبال ثم بين سبحانه
لهذه الحياة شبها وضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث) أى مطر (أعجب الكفار) أى
الزراع لانهم يكفرون البذر أى يغطونه بالتراب كما يستر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما
يحصل منه من الجحد والطغيان (نباته) الحاصل به (ثم يهيج) أى يجف بعد نضارته وخضرته
قاله أبو السعود وقيل ييبس وفيه تسامح فان حقيقته ان يتحرك الى أقصى ما يتأتى له فالمعنى
يطول جدا (فتراه مصفرا) أى متغيرا عما كان عليه من الخضرة والرونق الى لون الصفرة
والذبول وقرئ مصفارا (ثم يكون حطاما) أى متفتتا هشيما متكسرا متحطما بعد يبسه
شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به
الناظرون الى خضرته وكثرة نضارته ثم لا يلبث ان يصير هشيما تبنا كأن لم يكن وقيل
المعنى ان الحياة الدنيا كزرع أنبته الغيث وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما
رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم
على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقد تقدم تفسير هذا المثل فى سورة
يونس والكهف ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا وسرعة زوالها ذكر ما أعده للعصاة فى الدار
الآخرة وما أعده لاهل الطاعة فقال (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان)
أخبر بان فى الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو أنه قابل
العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين والتنكير فيهما
للتعظيم قال قتادة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه وأهل
طاعته قال الفراء التقدير فى الآية اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد
ثم ذكر سبحانه بعد الترهيب والترغيب حقارة الدنيا فقال (وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور)

يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الانصار ان يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة وعمر رضى الله عنه لايدرى بذلك فبايعه عبد الله رضى الله عنه ثم ذهب الى الفرس فجاءبه الى عمر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى يتحدث الناس ان ابن عمر أسلم قبل عمر رضى الله عنهما ثم قال البخارى وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمرى أخبرنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما (٢٣٧) قال ان الناس كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس يحدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر رضى الله عنه ياعبد الله انظر ماشأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر رضى الله عنه فخرج فبايع وقد أسنده البيهقى عن أبى عمرو الاديب عن أبى بكر الاسماعيلى عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثنى الوليد بن مسلم فذكره وقال الليث عن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضى الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة وقال بايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت رواه مسلم عن قتيبة عنه وروى مسلم عن يحيى بن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم ابن عبد الله الاعرج عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لانفر وقال البخارى حدثنا المكى بن ابراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال يزيد قلت ياأبا مسلم على أى شئ كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت وقال البخارى أيضا حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت فقال صلى الله عليه وسلم ياسلمة ألا تبايع قلت قد بايعت قال صلى الله عليه وسلم أقبل فبايع فدنوت فبايعته قلت علام بايعته ياسلمة قال على الموت وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبى عبيد وكذا روى البخارى عن عباد بن تميم

الغرور) لمن اغتر بها وركن اليها واعتمد عليها وعمل لها ولم يعمل للآخرة أى هى فى نفسها غرور لاحقيقة له وهذا يقتضى ان الاضافة بيانية والمعنى وما التمتع بالدنيا الامتاع اى تمتع هو الغرور وأى الاغترار قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ الى ماهو خير منه وهذه الجملة مقررة للمثل المتقدم ومؤكدة له قال ذو النون يامعشر المريدين لاتطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ثم ندب عباده الى المسابقة الى مايوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فان ذلك سبب الى الجنة فقال (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة السابقين بالاعمال الصالحة التى توجب لكم المغفرة من ربكم وتوبوا مما وقع منكم من المعاصى وقيل المراد بالآية التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل المراد الصف الاول ولاوجه لتخصيص مافى الآية بمثل هذا بل هو من جملة ماتصدق عليه صدقا شموليا أو بدليا وحاصل المعنى لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما أنتم عليه من أمور الدنيا بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى كعرضهما واذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها قال الحسن يعنى جميع السموات السبع والارضين السبع مبسوطات كل واحدة الى صاحبتها وقيل المراد بالجنة التى عرضها هذا العرض هى جنة كل واحد من أهل الجنة وقال ابن كيسان عنى به جنة واحدة من الجنات والعرض أقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشئ بعرضه دون طوله وقيل المراد بالعرض السعة لاضد الطول كما فى قوله تعالى فذو دعاء عريض وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم والاول أولى وقد مضى تفسير هذا فى سورة آل عمران ثم وصف سبحانه تلك الجنة بصفة أخرى فقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) هذه الجملة مستأنفة وفى هذا دليل على انها مخلوقة وعلى ان استحقاق الجنة يكون بمجرد الايمان بالله ورسله ولكن هذا مقيد بالادلة الدالة على انه لايستحقها الامن عمل بما فرض الله عليه واجتنب مانهاه الله عنه وهى أدلة كثيرة فى الكتاب والسنة (ذلك) أى ماوعد به سبحانه من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء) اعطاءه اياه تفضلا واحسانا وفيه دليل على انه لايدخل أحد الجنة الابفضل الله لابعمله (والله ذو الفضل العظيم) فهو يتفضل على من

انهم بايعوه على الموت وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن ابراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار اليمامى عن اياس بن سلمة عن ابى سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها يعنى الركى فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى البيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع (٢٣٨) وبايع حتى اذا كان فى وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم بايعنى ياسلمة قال قلت يارسول الله قد بايعتك فى أول الناس قال صلى الله عليه وسلم وأيضا قال ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا فأعطانى حجفة أو درقة ثم بايع حتى اذا كان فى آخر الناس قال صلى الله عليه وسلم ألا تبايع ياسلمة قال قلت يارسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم قال صلى الله عليه وسلم وأيضا فبايعته الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم ياسلمة أين حجفتك أو درقتك التى أعطيتك قال قلت يارسول الله لقينى عامر عزلا فاعطيتها اياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انك كالذى قال الاول اللهم ابغنى حبيبا هو أحب الى من نفسى قال ثم ان المشركين من أهل مكة راسلونا فى الصلح حتى مشى بعضنا فى بعض فاصطلحنا قال وكنت خادما لطلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أسقى فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وتركت أهلى ومالى مهاجرا الى الله ورسوله فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا فى بعض أتيت شجرة فكسحت شوكها ثم اضطجعت فى أصلها فى ظلها فأتانى أربعة من مشركى أهل مكة فجعلوا يقعون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبغضتهم وتحولت الى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك اذ نادى مناد من أسفل الوادى يا آل المهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سيفى فشددت على أولئك الاربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا فى يدى ثم قلت والذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه الا ضربت الذى فيه عيناه قال ثم جئت بهم أسوقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجاء عمى عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشاء بما يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع والخير كله بيده وهو الكريم المطلق والجواد الذى لا يبخل فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ثم بين سبحانه ان ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره وثبت فى أم الكتاب فقال (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من زلزلة وقحط مطر وجدب وضعف نبات وقلته ونقص ثمار وعاهة زرع والمصيبة غلبت فى الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول انما خصت بالذكر دون الخير لانها أهم على البشر (ولا فى أنفسكم) قال قتادة بالاوصاب والاسقام وقال مقاتل اقامة الحدود وقال ابن جريج ضيق المعاش وقيل موت الاولاد واللفظ أوسع من ذلك (الا فى كتاب) أى الا حال كونها مكتوبة فى كتاب وهو اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى نخلقها والضمير عائد الى المصيبة أو الى الانفس أو الى الارض أو الى جميع ذلك قاله المهدوى وهو حسن قال ابن عباس فى الآية هو شئ قد فرغ منه قبل ان تبرأ الانفس (ان ذلك) أى ان اثباتها فى الكتاب على كثرتها (على الله يسير) غير عسير (لكيلا تأسوا) أى أخبرناكم بأنا قد فرغنا من التقدير لكيلا تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا بطر المختال الفخور (بما آتاكم) منها أى أعطاكم قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر أى جاءكم فان ذلك يزول عن قريب لا يستحق أن يفرح بحصوله ولا يحزن على فوته قيل والفرح والحزن المنهى عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز والا فليس من أحد الا وهو يحزن ويفرح ولكن ينبغى ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يلزم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر كما قال ابن عباس ليس أحد الا وهو يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبرا ومن أصابه خير جعله شكرا وعنه قال يريد مصائب المعاش ولا يريد مصائب الدين أمرهم أن يأسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة قال جعفر بن محمد الصادق رضى الله تعالى عنه يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال فخور) أى لا يحب من اتصف بهاتين الصفتين وهما الاختيال والافتخار قيل هو ذم للفرح الذى يختال فيه

في سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وهكذا رواه مسلم عن اسحق بن ابراهيم بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد ابن المسيب قال كان أبي ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها فان كان بينت لكم فأنتم أعلم وقال أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجد بن قيس مختبئا تحت ابط بعيره رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به وقال الحميدي ايضا حدثنا سفيان عن عمرو انه سمع جابرا رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض اليوم قال جابر رضي الله عنه لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة قال سفيان انهم اختلفوا في موضعها اخرجاه من حديث سفيان وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن هرون الفلاس المخرمي حدثنا سعيد بن عمرو الاشعثي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة الا صاحب الجمل الاحمر قال فانطلقنا نبتدره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب الي من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يصعد الثنية ثنية المرار فانه يحط عنه ما حط عن بني اسرائيل فكان أول من صعد خيل من الخزرج ثم بادر الناس بعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب الي من ان يستغفر لي صاحبكم فاذا هو

صاحبه ويبطر وقيل انه من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاستحقار والاولى تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قرأ الجمهور بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحتين وهي لغة الانصار وقرئ بفتح الباء واسكان الخاء وضمهما كلها لغات وهو كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله والخبر مقدر أي الذين يبخلون بما يجب عليهم من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره واذاعة أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالله غني عنهم وقيل الموصول في محل جر بدل من مختال وهو بعيد فان هذا البخل بما في اليد وأمر الناس بالبخل ليس هو معنى المختال الفخور لا لغة ولا شرعا وقيل نعت له وهو أيضا بعيد ويدل على الاول قوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه محمود عند خلقه لا يضره ذلك قرأ الجمهور باثبات ضمير الفصل وقرئ بحذفه قال سعيد بن جبير الذين يبخلون بالعلم ويأمرون الناس بالبخل لئلا يعلموا الناس شيأ وقال زيد بن أسلم انه البخل بأداء حق الله وقيل انه البخل بالصدقة وقال طاوس انه البخل بما في يديه وقيل اراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مأكلهم قاله السدي والكلبي (لقد) لام قسم (أرسلنا رسلنا) أي الملائكة قاله الزمخشري والمحلي وفيه بعد وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر (بالبينات) أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة (وأنزلنا معهم الكتاب) المراد الجنس فيدخل فيه كتاب كل رسول (والميزان ليقوم الناس بالقسط) قال قتادة ومقاتل بن حيان الميزان العدل والمعنى أمرناهم بالعدل كما في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان وقوله الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وقال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل به والمعنى ليتبعوا ما أمروا به من العدل فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة والقسط العدل وهو يدل على ان المراد بالميزان العدل ومعنى انزاله انزال أسبابه وموجباته وعلى القول بان المراد به الآلة التي يوزن بها فيكون انزاله بمعنى ارشاد الناس اليه والهامهم الوزن به ويكون الكلام من باب علفتها تبنا وماء باردا (وأنزلنا الحديد) أي خلقناه كما في قوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا قول الحسن والمعنى انه

رجل ينشد ضالة رواه مسلم عن عبيد الله به وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول أخبرتني أم مبشر انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا رواه مسلم وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال ان عبد حاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو (٢٤٠) حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما كما قال عز وجل في الآية الاخرى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخبرا رسوله صلى الله عليه وسلم بما يعتذر به المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا ان يستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا قال تعالى يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا أي لا يقدر احد أن يرد ما اراد الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم وان صانعتمونا ونافقتمونا ولهذا قال تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم قال تعالى بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا اي لم يكن تخلفكم تخلف [illegible] ... ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا اعتقدتم انهم

خلقه وأخرجه من المعادن وعلم الناس صنعته وقيل انه نزل مع آدم (فيه بأس شديد) لانه تتخذ منه آلات الحرب قال الزجاج يمتنع به ويحارب والمعنى انه تتخذ منه آلة للدفع وآلة للضرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح وقوة وشدة (ومنافع للناس) اى انهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون اليه مثل السكين والفأس والابرة وآلات الزراعة والتجارة والعمارة قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد آلتها أى له دخل في آلتها وهذا الحصر كلي كما هو مشاهد (وليعلم الله من ينصره ورسله) معطوف على قوله ليقوم أى لقد أرسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله علم مشاهدة أو معطوف على علة مقدرة كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله والاول أولى والمعنى ان الله أمر في الكتاب الذى أنزل بنصرة دينه ورسله فمن نصر دينه ورسله علمه ناصرا ومن عصى علمه بخلاف ذلك ومعنى (بالغيب) غائبا عنهم أو غائبين عنه (ان الله قوى عزيز) أى قادر على كل شئ غالب لكل شئ وليس له حاجة في ان ينصره أحد من عباده وينصر رسله بل كلفهم بذلك لينتفعوا به اذا امتثلوا ويحصل لهم ما وعد به عباده المطيعين قال ابو نصر العتبي وقد كان يختلج في صدري معنى هذه الآية لجمعها بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط وسألت عدة من أعيان العلماء المذكورين بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير ولم أحصل منهم على جواب حتى أعملت التفكر وأمعنت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبيل المراشد ويفصل جمل الفرائض فيتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود قد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى أهل الطلاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التعاب والتوثب واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع الصفة المندوب اليها الى استعمال آلة للعدل يقع بها التعادل ويعم معها التساوى والتعادل فألهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم امر العيش مع سوغ ظلم البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان

يقتلون وتستأصل شافتهم وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أى هلكى قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال قتادة فاسدين وقيل هى لغة عمان ثم قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله أى من لم يخلص العمل فى الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيعذبه فى السعير وان أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه فى نفس الامر ثم بين تعالى انه الحاكم المالك المتصرف فى أهل السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما أى لمن تاب اليه وأناب وخضع لديه (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يقول تعالى مخبرا عن الاعراب الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحديبية اذ ذهب النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم الى خيبر يفتحونها انهم يسألون ان يخرجوا معهم الى المغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الاعداء ومجالدتهم ومصابرتهم فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الاعراب المتخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرا ولهذا قال تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله قال مجاهد وقتادة وجويبر هو الوعد الذى وعد به أهل الحديبية واختاره ابن جرير وقال ابن زيد هو قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وهذا الذى قاله ابن زيد فيه نظر لان هذه الآية التى فى براءة نزلت فى غزوة تبوك وهى متأخرة عن غزوة الحديبية وقال ابن جريج يريدون ان يبدلوا كلام الله يعنى بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل أى وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم فسيقولون بل تحسدوننا أى ان نشرككم فى المغانم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا أى ليس الامر كما زعموا ولكن لا فهم لهم (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما

ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات من أنواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من أغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة والعائدة بها بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام احكامهما بالسيف الذى هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع من صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذى وصفه الله تعالى بالبأس الشديد فجمع بالقول الوجيز معانى كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادى والمقاطع فظهر بهذا التأويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله على خلقه وأمينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له فى أرضه انتهى المقصود منه ولما ذكر ارسال الرسل اجمالا أشار هنا الى نوع تفصيل فذكر رسالته لنوح وابراهيم فقال (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) كرر القسم للتوكيد ولاظهار مزيد الاعتناء بالامر ونوح هو الاب الثانى لجميع البشر وابراهيم أبو العرب والروم وبنى اسرائيل (وجعلنا فى ذريتهما) أى نوح وابراهيم (النبوة والكتاب) أى الكتب الاربعة المنزلة على الانبياء منهم وقيل جعل بعضهم أنبياء وبعضهم يتلون الكتاب وقيل الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابة وكتابا (فمنهم مهتد) أى فمن الذرية من اهتدى بهدى نوح وابراهيم وقيل المعنى فمن المرسل اليهم من قوم الانبياء مهتد بما جاء به الانبياء من الهدى والاول أولى لتقدم ذكرهم لفظا وأما الثانى فلدلالة أرسلنا والمرسلين عليه (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن الطاعة وقيل المراد بالفاسق هنا الذى ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا أو لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد به هنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين (ثم قفينا على آثارهم) أى أتبعنا على آثار الذرية أو على آثار نوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل (برسلنا) الذين أرسلناهم الى الامم كموسى والياس وداود وسليمان وغيرهم (وقفينا بعيسى بن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) اختلف المفسرون فى هؤلاء القوم الذين يدعون اليهم الذين هم أولوا بأس شديد على أقوال أحدها انهم هوازن رواه شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبى بشر عنهما وبه يقول قتادة فى رواية عنه الثانى ثقيف قاله الضحاك الثالث بنو حنيفة قاله جويبر ورواه محمد بن اسحق عن الزهرى وروى مثله عن سعيد وعكرمة الرابع هم أهل فارس رواه على بن أبى (٢٤٢) طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة فى احدى الروايات عنه وقال كعب الاحبار هم الروم وعن ابن أبى ليلى وعطاء والحسن وقتادة هم فارس والروم وعن مجاهد هم أهل الاوثان وعنه أيضا هم رجال أولوا بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا الاشج حدثنا عبد الرحمن بن الحسن القواريرى عن معمر عن الزهرى فى قوله تعالى ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال لم يأت اسلك بعد وحدثنا ابى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن ابن أبى خالد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال هم البارزون قال وحدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الاعين ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة قال سفيان هم الترك قال ابن أبى عمر وجدت فى مكان آخر حدثنا ابن أبى خالد عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة رضى الله عنه فنسر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتلون قوما نعالهم الشعر قال هم القيام
البارزون يعنى الاكراد وقوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون يعنى يشرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون فى دينكم بلا قتال بل باختيار ثم قال عز وجل فان تطيعوا أى تستجيبوا وتنفروا فى الجهاد وتؤدوا الذى عليكم فيه يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعنى زمن الحديبية حين دعيتم فتخلفتم يعذبكم عذابا اليما ثم ذكر تعالى الاعذار فى ترك الجهاد فمنها اللازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذى يطرأ أياما ثم يزول فهو فى

مريم وهو من ذرية ابراهيم من جهة أمه (وآتيناه الانجيل) وهو الكتاب الذى أنزله الله عليه وقد تقدم ذكر اشتقاقه فى سورة آل عمران قرأ الجمهور انجيل بكسر الهمزة وقرئ بفتحها (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) على دينه وهم الحواريون واتباعهم (رأفة) أى مودة فكان يود بعضهم بعضا (ورحمة) يتراحمون بها وقيل هذا اشارة الى أنهم أمروا فى الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس فألان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه وأصل الرأفة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرأفة أشد الرحمة (ورهبانية ابتدعوها) أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها فالنصب على الاشتغال وليس بمعطوفة على ما قبلها وقيل معطوفة على ما قبلها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عند أنفسهم والاول أولى ورجحه أبو على الفارسى والزمخشرى وأبو البقاء وجماعة الا ان هؤلاء يقولون انه اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرأفة والرحمة لما كانتا من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه والرهبانية بفتح الراء وضمها وقد قرئ بهما وهى بالفتح الخوف من الرهب وبالضم منسوبة الى الرهبان وذلك لانهم غلوا فى العبادة وحملوا على أنفسهم المشقات فى الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح والملبس وتعلقوا بالكهوف والصوامع والغيران والديرة لان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقى منهم نفر قليل فترهبوا وتبتلوا ذكر معناه الضحاك وقتادة وغيرهما وانما خصت بذكر الابتداع لان الرأفة والرحمة فى القلب أمر غريزى لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب (ما كتبناها عليهم) صفة ثانية لرهبانية أو مستأنفة مقررة لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم والمعنى ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) الاستثناء منقطع أى ما كتبناها نحن عليهم رأسا ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله والى هذا ذهب قتادة وجماعة وقيل متصل أى ما كتبناها عليهم لشئ من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى وهذا قول مجاهد وقال الزجاج معناه لم نكتب عليهم شيأ البتة قال ويكون الا ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاء والالف فى كتبناها والمعنى ما كتبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يرعوا هذه الرهبانية التى ابتدعوها من جهة أنفسهم وما قاموا بها حق

خال مرضه ملحق بذوى الاعذار اللازمة حتى يبرأ ثم قال تبارك وتعالى مرغبا فى الجهاد وطاعة الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول أى ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش يعذبه عذابا أليما فى الدنيا بالمذلة وفى الآخرة بالنار والله تعالى أعلم (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما) يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وانهم كانوا ألفا وأربعمائة (٢٤٣) وان الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية

قال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق ان عبد الرحمن رضى الله عنه قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثنى ابى انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم وقوله تعالى فعلم ما فى قلوبهم أى من الصدق والوفاء والسمع والطاعة فأنزل الله السكينة وهى الطمأنينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والاقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن [illegible] اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس قال فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فبايع صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيأ لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى

القيام بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى وضموا اليها التثليث ودخلوا فى دين الملوك الذين غيروا وبدلوا وتركوا الترهب ولم يبق على دين عيسى الا القليل منهم وهم المرادون بقوله (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الذى يستحقونه بالايمان وذلك لانهم آمنوا بعيسى وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن الايمان بما أمروا أن يؤمنوا به ووجه الذم لهم على تقدير أن الاستثناء منقطع انهم قد كانوا ألزموا أنفسهم الرهبانية معتقدين انها طاعة وان الله يرضاها فكان تركها وعدم رعايتها حق الرعاية يدل على عدم مبالاتهم بما يعتقدونه دينا وأما على القول بان الاستثناء متصل وان التقدير ما كتبناها عليهم لشئ من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله بعد أن وفقناهم لابتداعها فوجه الذم ظاهر عن ابن مسعود فى الآية قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله قلت لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال هل تدرى أى عرى الاسلام أوثق قلت الله ورسوله أعلم قال أفضل الناس أفضلهم عملا اذا فقهوا فى دينهم يا عبد الله هل تدرى أى الناس اعلم قلت الله ورسوله أعلم قال فان أعلم الناس أبصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا بالعمل وان كان يزحف على استه واختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى بن مريم وفرقة لم تكن لهم طاقة على موازرة الملوك فأقاموا بين ظهرانى قومهم فدعوهم الى دين الله ودين عيسى فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا فى الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله ورهبانية ابتدعوها الى قوله فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم الذين آمنوا بى وصدقونى وكثير منهم فاسقون هم الذين جحدونى وكفروا بى أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب وغيرهم وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيأ أشد من شتم يشتمنا هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون مع ما يعيبونا به من أعمالنا فى قراءتهم فادعوهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا

الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ماطاف حتى أطوف (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) قال مجاهد في قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها هي

جميع المغانم الى اليوم فعجل لكم هذه يعني فتح خيبر وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما فعجل لكم هذه يعني صلح الحديبية وكف أيدي الناس عنكم أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال وكذلك كف أيدي الناس الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم ولتكون آية للمؤمنين أي يعتبرون بذلك فان الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الاعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم انه العالم بعواقب الامور وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وان كرهوه في الظاهر كما قال عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ويهديكم صراطا مستقيما أي بسبب انقيادكم لامره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا أي وغنيمة أخرى وفتحا آخر معينا لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فانه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة ما المراد بها فقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي خيبر وهذا [illegible] وعلمها على قوله في قوله عز وجل فعجل لكم هذه انها صلح الحديبية وقال الضحاك وابن اسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال قتادة هي مكة واختاره ابن جرير وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري هي فارس والروم وقال مجاهد هي كل فتح وغنيمة الى يوم القيامة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم وقوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يقول عز وجل مبشرا

فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو ليتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منهما فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا ونحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونأكل مما تأكل الوحوش ونشرب مما تشرب فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله رهبانية ابتدعوها الآية وقال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك وفني من فني منهم قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط صاحب الصومعة من صومعته وجاء السائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه وقال الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الآية أخرجه النسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله أخرجه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب ثم أمر الله سبحانه المؤمنين بالرسل المتقدمين بالتقوى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك ما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين من رحمته) أي نصيبين مضاعفين بسبب ايمانكم برسوله بعد ايمانكم بمن قبله من الرسل قال ابن عباس أي أجرين بايمانهم بعيسى عليه السلام ونصب أنفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وأصل الكفل الحظ والنصيب وقد تقدم الكلام على تفسيره في سورة النساء قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه كفلين ضعفين وهي بلسان الحبشة وقال ابن عمر الكفل ثلثمائة جزء وخمسون جزأ من رحمة الله وعن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن أدبها

لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولانهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائهم من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة (٢٤٥) من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاؤوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا قال عفان فعفا عنهم ونزلت هذه الآية وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما

وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران أخرجه الشيخان (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط كما قال نورهم يسعى بين أيديهم وقيل النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم) أي بليغ المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي التوراة واللام متعلقة بما تقدم من الأمر بالإيمان والتقوى أي اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا ليعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من أهل الكتاب ولا في لئلا زائدة قاله الفراء والأخفش وغيرهما (ألا يقدرون على شيء) أي ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على أن ينالوا شيئا (من فضل الله) الذي تفضل به على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يقدرون على دفع ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به وقيل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ولا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه والأول أولى (و) جملة (أن الفضل بيد الله) معطوفة على الجملة التي قبلها أي ليعلموا أنهم لا يقدرون وليعلموا أن الفضل الخ (يؤتيه من يشاء) من عباده والظاهر أنه مستأنف وقيل هو خبر ثان عن الفضل (والله ذو الفضل العظيم) جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمراد بالفضل هنا ما تفضل به على الذين اتقوا وآمنوا برسوله من الأجر المضاعف وقال الكلبي هو رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وقيل هو الإسلام

(سورة المجادلة ثنتان وعشرون آية وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعها بالمدينة غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والمجادلة بكسر الدال كما ذكره السعد في حواشي الكشاف وفي التهذيب بفتح الدال وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي الثامنة والخمسون منها وهي أول العشر الأخير من القرآن بعدد السور [illegible] فيها

شيأ لا نعرف فقال اكتب باسمك اللهم وكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك ان كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية رواه النسائي من حديث حسين بن

واقد به وقال ابن جرير حدثنا ابن أحمد حدثنا يعقوب العمي حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدي وانتهى الى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع قال فبعث صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا الا حمله فلما دنا من مكة منعوه ان يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه ان عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فقال يا رسول الله ابعثني اين شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة الى قوله تعالى عذابا أليما قال فكف الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها اللهم كراهية أن تطأهم الخيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لأن خالدا رضي الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم

آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي تراجعك الكلام في شأنه أي أجاب قولها ومطلوبها بأن أنزل حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها وعلى هذا فقد للتحقيق ومن قال انها للتقريب والتوقع فلم يلاق المعنى وقد سمع باظهار الدال وادغامها في السين قراءتان سبعيتان (وتشتكي الى الله) أي تظهر ما بها من المكروه والفاقة والوحدة والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كلما قال لها قد حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا ثم تقول أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا (١) وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك فهذا معنى قوله وتشتكي الى الله قال الواحدي قال المفسرون نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك وكان الظهار طلاقا في الجاهلية وقيل هي خولة بنت حكيم وقيل اسمها جميلة والاول أصح وقيل هي بنت خويلد قال الماوردي انها نسبت تارة الى أبيها وتارة الى جدها وأحدهما أبوها والآخر جدها فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد روي ان عمر بن الخطاب مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته ووعظته فقيل له أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (والله يسمع تحاوركما) مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبلها أي والله يعلم تراجعكما في الكلام من حاور اذا راجع أو حور اذا رجع أو جملة حالية وهو بعيد وقد أخرج ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن عائشة قالت تبارك الذي وسع سمعه كل شئ اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني

---

(١) أي من عدم النفقة لفقرها وأعلى نفقة الزوج عليهم لكن اذا ... واحد فعل الاصول كما أشار اليه القاري ذكره الحفناوي اه ذو الفقار أحمد

قاضوه على ان يأتي في العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم صلى الله عليه وسلم لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لانه لم يسق عام الفتح هديا وانما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم وقال ابن اسحق حدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال ان قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدا أو يأخذوا أحدا فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم (٢٤٧) وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا الى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل قال ابن اسحق وفي ذلك أنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأتوه باثني عشر فارسا من الكفار فقال لهم هل لكم علي عهد هل لكم علي ذمة قالوا لا فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين كفروا أي هم الكفار دون غيرهم وصدوكم عن المسجد الحرام أي وأنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الامر والهدي معكوفا ان يبلغ محله أي وصدوا الهدي ان يصل الى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدي سبعين بدنة كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات أي بين أظهرهم ممن يكتم ايمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة أي اثم وغرامة بغير علم

اللهم اني أشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وهو أوس بن الصامت (ان الله سميع بصير) يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة أخرج أحمد وأبو داود وابن المنذر والطبراني والبيهقي من طريق يوسف بن عبد الله قال حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه فدخل عليّ يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي ثم رجع فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فاذا هو يريدني عن نفسي قلت كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ عليّ قد سمع الى قوله عذاب أليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قلت والله ما ذاك عنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سأعينه بعرق من تمر فقلت وأنا يا رسول الله سأعينه بوسق آخر فقال قد أصبت وأحسنت فاذهبي وتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت وفي الباب أحاديث ثم بين سبحانه شأن الظهار في نفسه وذكر حكمه بطريق الاستئناف فقال (الذين يظاهرون) بضم الياء وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقرأ الجمهور يظهرون بالتشديد مع فتح حرف المضارعة وقرئ يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وزيادة ألف وقد تقدم مثل هذا في سورة الاحزاب وقرئ يتظاهرون وكلها سبعيات ومعنى الظهار شرعا أن يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي ولا خلاف في كون هذا ظهارا واختلفوا اذا قال أنت علي كظهر ابنتي أو أختي أو غير ذلك من ذوات المحارم فذهب جماعة منهم أبو حنيفة ومالك الى انه ظهار وبه قال الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وقال جماعة منهم قتادة والشعبي انه لا يكون ظهارا بل يختص الظهار بالأم وحدها واختلفت الرواية عن الشافعي فروي عنه كالقول الاول وكالقول الثاني وأصل الظهار مشتق من الظهر وهو لغة العلو وليس

ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم الى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما أى لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبى عباد المكى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بنى هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكى به وقال فيه عن أبى جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جمعة حبيب ابن سباع ورواه ابن أبى حاتم من حديث حجر بن خلف به وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن اسمعيل البخارى حدثنا عبد الله ابن عثمان بن جبلة عن أبى حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله تعالى عذابا أليما بقتلهم اياهم وقوله عز وجل اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى يعنى قول لا اله الا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الامام أحمد حدثنا الحسن ابن قزعة أبو على البصرى حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل يعنى ابن أبى بن كعب عن أبيه رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وكذا رواه الترمذى عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه الا من هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله

هو من ظهر الانسان واختلفوا اذا قال لامرأته أنت على كرأس أمى أو يدها أو رجلها أو نحو ذلك هل يكون ظهارا أم لا وهكذا اذا قال أنت على كأمى ولم يذكر الظهر والظاهر انه اذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا وروى عن أبى حنيفة انه اذا شبهها بعضو من أمه يحل له النظر اليه لم يكن ظهارا وروى عن الشافعى انه لا يكون الظهار الا فى الظهر وحده واختلفوا اذا شبه امرأته بأجنبية فقيل يكون ظهارا وقيل لا والكلام فى هذا مبسوط فى كتب الفروع (منكم) أى حال كونهم منكم أيها العرب وهذا توبيخ لهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب ومن أيمان جاهليتهم دون سائر الامم (من نسائهم) يعنى يحرمون زوجاتهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا (ما هن أمهاتهم) أى ما نساؤهم بأمهاتهم فذلك كذب بحت منهم وانه منكر وزور وفى هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم قرأ الجمهور أمهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية فى اعمال ما عمل ليس وقرئ بالرفع على عدم الاعمال وهى لغة نجد وبنى أسد ثم بين لهم سبحانه أمهاتهم على الحقيقة فقال (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) أى ما أمهاتهم الا النساء اللائى ولدنهم يريد أن الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة فلذا زاد سبحانه فى توبيخهم وتقريعهم فقال (وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى وان المظاهرين ليقولون بقولهم هذا فظيعا من القول ينكره الشرع والزور الكذب الباطل المنحرف عن الحق (وان الله لعفو غفور) أى بليغ العفو والمغفرة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا القول المنكر ولما ذكر سبحانه الظهار اجمالا ووبخ فاعليه شرع فى تفصيل أحكامه فقال (والذين يظاهرون من نسائهم) أى والذين يقولون ذلك القول المنكر الزور ويتبعون هذا اللفظ من جاعهن (ثم يعودون لما قالوا) أى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى كما فى قوله أن تعودوا لمثله أى الى مثله قال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا يتعاقبان قال والحمد لله الذى هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال بأن ربك أوحى لها وقال وأوحى الى نوح وقال الفراء اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال

الزجاج

عنه أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل وأنزل الله تعالى في كتابه وذكر قوما فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال الله جل ثناؤه وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم وقال مجاهد كلمة التقوى الاخلاص وقال عطاء بن أبي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال يونس ابن بكير عن ابن اسحق عن الزهري عن عروة عن المسور وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي رضي الله عنه وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله والله أكبر وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى قال يقول شهادة ان لا اله الا الله وهي رأس كل تقوى وقال سعيد بن جبير وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله والجهاد في سبيله وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري وألزمهم كلمة التقوى قال بسم الله الرحمن الرحيم وقال قتادة وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وكانوا أحق بها وأهلها كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها وكان الله بكل شئ عليما أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر قال النسائي حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبي رزين عن عبد الله بن العلاء بن زبر عن بسر بن عبد الله عن أبي ادريس عن أبي بن كعب رضي الله عنه انه كان يقرأ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاغلظ له فقال انك لتعلم اني كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمني مما علمه الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله * وهذا ذكر الاحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح قال

الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من أجل ما قالوا واختلف أهل العلم في تفسير العود المذكور على أقوال الاول انه العزم على الوطء وبه قال العراقيون أبو حنيفة وأصحابه وروي عن مالك وقيل هو الوطء نفسه وبه قال الحسن وروي أيضا عن مالك وقيل هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق وبه قال الشافعي وقيل هو الكفارة والمعنى انه لا يستبيح وطأها الا بكفارة وبه قال الليث بن سعد وروي عن أبي حنيفة وقيل هو تكرير الظهار بلفظه وبه قال أهل الظاهر وروي عن بكير بن الاشج وأبي العالية والفراء والمعنى ثم يعودون الى قول ما قالوا وقيل المعنى يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين وقيل معنى العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وقيل العود الندم أي يندمون فيرجعون الى الألفة قال ابن عباس في الآية هو الرجل يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي فاذا قال ذلك فليس يحل له ان يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر بعتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا والمس النكاح فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وان هو قال لها أنت علي كظهر أمي ان فعلت كذا فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث فان حنث فلا يقربها حتى يكفر ولا يقع في الظهار طلاق (فتحرير رقبة) أي فالواجب عليهم اعتاق رقبة يقال حررته أي جعلته حرا والظاهر أنها تجزئ أي رقبة كانت وقيل يشترط ان تكون مؤمنة كالرقبة في كفارة القتل وبالاول قال أبو حنيفة وأصحابه وبالثاني قال مالك والشافعي واشترطا أيضا سلامتها من كل عيب ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذي أدى شيأ قال الاخفش الآية فيها تقديم وتأخير والمعنى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا أي فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي هو خبر المبتدا وهو فعليهم (من قبل ان يتماسا) المراد بالتماس هنا الجماع وبه قال الجمهور فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر وقيل ان المراد به الاستمتاع بالجماع أو اللمس أو النظر الى الفرج بشهوة وبه قال مالك وهو أحد قولي الشافعي (ذلكم) أي الحكم المذكور (توعظون به) أي تؤمرون أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة قال الزجاج معنى الآية ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به أي ان

الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن اسحق بن يسار عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضى الله عنهما قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا

وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموه الى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح قريش قد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر الناس فان أصابونى كان الذى أرادوا وان أظهرنى الله تعالى دخلوا فى الاسلام وهم وافرون وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما اذا تظن قريش فوالله لا ازال أجاهدهم على الذى بعثنى الله تعالى به حتى يظهرنى الله عزوجل أو تنفرد هذه السالفة ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بن ظهرى الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة والله لا يدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم

قال صلى الله عليه وسلم للناس انزلوا قالوا يارسول الله ما بالوادى من ماء ينزل عليه الناس فاخرج [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فاعطاه رجلا من أصحابه فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقال يامعشر قريش انكم تعجلون على محمد صلى الله عليه وسلم ان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموه قال محمد بن اسحق قال الزهرى وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون

غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شئ من أعمالكم فهو مجازيكم عليها قال ابن عباس أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى ظاهرت من امرأتى فرأيت بياض خلخالها فى ضوء القمر فوقعت عليها قبل ان أكفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله من قبل ان يتماسا قال قد فعلت يارسول الله قال أمسك عنها حتى تكفر وأخرج أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس ان رجلا قال يارسول الله انى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها من قبل ان أكفر فقال وما حملك على ذلك قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال (فمن لم يجد) الرقبة فى ملكه ولا تمكن من قيمتها (فصيام) أى فعليه صيام (شهرين متتابعين) متواليين لا يفطر فيهما فان أفطر استأنف ان كان الافطار لغير عذر وان كان لعذر من مرض أو سفر فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء ابن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبى والشافعى ومالك انه يبنى ولا يستأنف وقال أبو حنيفة انه يستأنف وهو مروى عن الشافعى ومعنى (من قبل أن يتماسا) ما تقدم قريبا فلو وطئ ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ استأنف و به قال أبو حنيفة ومالك وقال الشافعى لا استأنف اذا وطئ ليلا لانه ليس محلا للصوم والاول أولى (فمن لم يستطع) صيام شهرين متتابعين (فاطعام ستين مسكينا) أى فعليه ان يطعم ستين مسكينا لكل مسكين مدان وهما نصف صاع وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وقال الشافعى وغيره لكل مسكين مد واحد من غالب قوت البلد والظاهر من الآية ان يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة أو يدفع اليهم ما يشبعهم ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له ان يطعم بعض الستين فى يوم وبعضهم فى يوم آخر عن أبى هريرة ثلاث فيهن مد كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة الصيام (ذلك) أى ما تقدم من البيان وتعليم الاحكام والتنبيه عليها واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وتصدقوا ان الله أمر بها أو لتطيعوا الله ورسوله فى الاوامر والنواهى وتقفوا عند حدود الشرع

ولا تتعدوها ولا تعودوا الى الظهار الذي هو منكر من القول وزور أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان أصيب منها في ليلي فأتتابع في ذلك ولا أستطيع ان أنزع حتى يدركني الصبح فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ انكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بامري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف ان ينزل فينا القرآن أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال أنت بذاك قلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت أنا بذاك وها أنا ذا فامض في حكم الله فاني صابر لذلك قال اعتق رقبة فضربت عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت هل أصابني ما أصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا ما لنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائرها عليك وعلى عيالك فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة أمر لي بصدقتكم فادفعوها الي فدفعوها اليه (وتلك) أي الاحكام المذكورة في الظهار والكفارة (حدود الله) فلا تجاوزوا حدوده التي حدها لكم فانه قد بين لكم ان الظهار معصية وان كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة (وللكافرين) الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حده الله لعباده وسماه كفرا تغليظا وتشديدا (عذاب أليم) وهو عذاب جهنم يوم القيامة ولما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين فقال (ان الذين يحادون الله ورسوله) المحادة المشاقة والمعاداة والمخالفة ومثله قوله ان الذين يشاقون الله ورسوله قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف صاحبك فهي كناية عن المعاداة لكونها لازمة لها وأصلها الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب والمحادون هم أهل مكة فان هذه الآية وردت في غزوة الاحزاب وهي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كان بمكة فقالوا وان كان انما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبدا علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما تكلم به مع أصحابه ثم رجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا اليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ثم رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صده الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم الى والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيكم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه فقال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى ان لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وأبو بكر رضي الله عنه قاعد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال من هذا يا محمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبي قحافة قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل والله لا تصل اليك قال ويحك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هذا يا محمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أغدر وهل غسلت سوأتك الا بالأمس قال فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل

ما كلم به أصحابه وأخبره انه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوأ الا ابتدروه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شئ الا أخذوه فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه وجئت قيصر والنجاشى فى ملكهما والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا فروا رأيكم قال وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعى الى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة (٢٥٢) عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الاحابيش حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عمر رضى الله عنه ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بها من بنى عدى أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز منى بها عثمان بن عفان رضى الله عنه قال فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه يخبرهم انه لم يأت لحرب أحد وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضى الله عنه حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد ابن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردفه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان رضى الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضى الله عنه ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضى الله عنه قد قتل قال محمد فحدثنى الزهرى ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا ائت محمدا فصالحه ولا تكن فى صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى أبا بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أوليس برسول الله أوليسوا بالمشركين قال بلى فعلام نعطى الدنية فى ديننا فقال أبو

فى السنة الرابعة وقيل فى الخامسة والمقصود منها البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم (كبتوا) أى يكبتوا ويذلوا ويتفرق جمعهم وعبر عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقيق وقوعه وقيل المعنى على المضى وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر فان الله كبتهم بالقتل والاسر والقهر (كما كبت الذين من قبلهم) أى أذلوا وأخزوا يقال كبت الله فلانا اذا أذله والمردود بالذل يقال له مكبوت قال المقاتلان أخزوا كما أخزى الذين من قبلهم من أهل الشرك وكذا قال قتادة وقال أبو عبيدة والاخفش أهلكوا وقال ابن زيد عذبوا وقال السدى لعنوا وقال الفراء أغيظوا يوم الخندق والمراد بمن قبلهم كفار الأمم الماضية المعادين لرسل الله (وقد أنزلنا آيات بينات) أى والحال انا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسله من الامم المتقدمة وقيل المراد الفرائض التى أنزلها الله سبحانه وقيل هى المعجزات الدالة على صدق الرسول (وللكافرين) بكل ما يجب الايمان به فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولا أوليا (عذاب مهين) يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه (يوم يبعثهم الله جميعا) أى اذكر يوم يبعثهم مجتمعين فى حالة واحدة أو يبعثهم كلهم لا يبقى منهم أحد غير مبعوث (فينبئهم) أى فيخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا من الاعمال القبيحة اما ببيان صدورها عنهم توبيخا لهم وتكميلا للحجة عليهم أو بتصويرها فى صورة قبيحة هائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم (أحصاه الله) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف ينبئهم بذلك مع كثرته واختلاف أنواعه فقيل أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شئ (و) الحال انهم قد (نسوه) ولم يحفظوه (والله على كل شئ شهيد) تذييل مقرر لاحصائه تعالى أى لا يخفى عليه شئ من الاشياء بل هو مطلع وناظر ثم أكد سبحانه بيان كونه عالما بكل شئ فقال (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى ألم تعلم ان علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شئ مما فيهما (ما يكون من نجوى ثلاثة) مستأنفة لتقرير شمول علمه وسعته واحاطته بكل المعلومات قرأ الجمهور يكون بالتحتية وقرئ بالفوقية وكان على القراءتين تامة ومن مزيدة للتأكيد والنجوى السرار يقال قوم نجوى أى ذوو نجوى وهى مصدر والمعنى ما يوجد من تناجى ثلاثة أو من ذوى نجوى ويجوز

ان تطلق النجوى على الاشخاص المتناجين قال الفراء ثلاثة نعت للنجوى فانخفضت وان شئت أضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز (الا هو رابعهم) أى العلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم كذا فى الخازن وأبى السعود والجمل التى بعد الا فى موضع نصب على الحال يعنى ما يوجد شئ من هذه الاشياء الا فى حال من هذه الاحوال فالاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (ولا) نجوى (خمسة الا هو سادسهم) أى جاعلهم ستة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع على تلك النجوى وتخصيص العددين بالذكر لان أغلب عادات المتناجين ان يكونوا ثلاثة أو خمسة أو كانت الواقعة التى هى سبب النزول فى متناجين كانوا ثلاثة فى موضع وخمسة فى موضع أولأن العدد الفرد أشرف من الزوج لان الله تعالى وتر يحب الوتر فخصهما بالذكر تنبيها على انه لابد من رعاية الامور الالهية فى جميع الامور قال الفراء والعدد غير مقصود لانه سبحانه مع كل عدد قل أو كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية (ولا أدنى من ذلك) أى ولا أقل من العدد المذكور كالواحد والاثنين (ولا أكثر) منه كالستة والسبعة (الا هو معهم) أى مصاحب لهم بعلمه يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه شئ منه قرأ الجمهور أكثر بالثاء وبالجر بالفتحة عطفا على لفظ نجوى وقرئ بالباء الموحدة وبالرفع عطفا على محل نجوى قال الواحدى قال المفسرون ان المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله هذه الآيات (أين ما كانوا) معناه احاطة علمه بكل تناج يكون معهم فى اى مكان من الامكنة ولو كانوا تحت الارض فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الامكنة وبعدها (ثم ينبئهم) أى يخبرهم (بما عملوا يوم القيامة) توبيخا لهم وتبكيتا والزاما للحجة (ان الله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ كائنا ما كان (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) هؤلاء هم من تقدم ذكرهم من المنافقين واليهود وصيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال مقاتل كان بين النبى صلى الله

بكر رضى الله عنه الزم غرزه حيث كان فانى أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أولسنا بالمسلمين أوليسوا بالمشركين قال صلى الله عليه وسلم بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا فقال صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ثم قال عمر رضى الله عنه مازلت أصوم وأصلى وأتصدق وأعتق من الذى صنعت مخافة كلامى الذى تكلمت به يومئذ حتى رجوت ان يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل ابن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير اذن وليه ردّه عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وكان فى شرطهم حين كتبوا الكتاب انه من أحب ان يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها باصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف فى القرب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب اذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو فى الحديد قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا ان يهلكوا فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بينى وبينك قبل ان يأتيك هذا قال صدقت فقام اليه فأخذ

عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال ابن زيد كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك (ويتناجون بالاثم والعدوان) قرأ الجمهور يتناجون بوزن يتفاعلون لقوله فيما بعد اذا تناجيتم فلا تتناجوا وقرئ ينتجون بوزن يفتعلون وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا ومعنى الاثم ما هو اثم في نفسه كالكذب والظلم والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته وقرئ معصيات بالجمع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل المعنى يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول رسمت معصية هذه والتي بعدها بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فأبو عمرو وابن كثير والكسائي يقفون بالهاء غير أن الكسائي يقف بالامالة على أصله والباقون يقفون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) قال القرطبي ان المراد بها اليهود كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية وعليكم قال ابن عمر في الآية يريدون بذلك شتمه فنزلت هذه الآية أخرج أحمد والبخاري والترمذي وصححه عن أنس ان يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال هل تدرون ما قال هذا قالوا الله أعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك قال عليك ما قلت وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة عليكم السام واللعنة فقال يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت ألا تسمعهم يقولون السام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما سمعتني أقول وعليكم فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك فنزلت (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم اذا خرجوا من عنده

(لولا

تلبيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني الى أهل الشرك فيفتنوني في ديني قال فزاد الناس شرا الى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وانا لن نغدر بهم قال فوثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يمشي مع أبي جندل الى جنبه ويقال اصبر أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انحروا واحلقوا قال فما قام أحد قال ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال يا أم سلمة ما شأن الناس قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم انسانا واعمد الى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدا حتى اذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى اذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي اسحق بنحوه وقد رواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بنحوه وخالفه في أشياء وفيه اغراب وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشروط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه فقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك

(لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا بذلك ولو كان محمد نبيا لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به وقيل المعنى لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول وعليكم ووقع علينا الموت عند ذلك (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى المرجع وهو جهنم (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) لما فرغ سبحانه عن نهى اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين اذا تناجوا فيما بينهم ان لا يتناجوا بما فيه اثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون وقيل الخطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا ظاهرا أو بزعمهم واختار هذا الزجاج وقيل الخطاب لليهود والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والاول أولى قال ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية وأغزاها التقى المنافقون فانغضوا رؤسهم الى المسلمين ويقولون قتل القوم واذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تناجوا وأظهروا الحزن فبلغ ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين فأنزل الله هذه الآية وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى سعيد قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرقه أمر أو يأمر بشئ فكثر أهل النوب والمحتسبون ليلة حتى اذا كنا أنداء نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى قلنا انا كنا يا رسول الله فى ذكر المسيح فرقا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفى ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل قال ابن كثير هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء ثم بين لهم ما يتناجون به فى أنديتهم وخلواتهم فقال (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية ثم خوفهم سبحانه فقال (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيجزيكم بأعمالكم ثم بين سبحانه ان ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجى هو من جهة الشيطان فقال (انما النجوى) يعنى الاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (من الشيطان) لا من غيره أى من تزيينه وتسويله (ليحزن الذين آمنوا) أى لاجل ان يوقعهم فى الحزن بما يحصل لهم من التوهم انها فى

وصادوك ومانعوك فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا أيها الناس على أترون ان نميل على عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفى لفظ أترون ان نميل على ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فان يأتونا كان الله قد قطع عنقا من المشركين والاتركناهم محزونين وفى لفظ فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله عز وجل أم ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه وفى لفظ فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم انما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبى صلى الله عليه وسلم فروحوا اذن وفى لفظ فامضوا على اسم الله تعالى حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا

مكيدة يكادون بها قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاى من حزن يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال فى القاموس وأحزنه جعله حزينا والقراءة الاولى أشد فى المعنى (وليس بضارهم شيأ) أى وليس الشيطان أو التناجى الذى يزينه الشيطان أو الحزن بضار المؤمنين شيأ من الضرر (الا باذن الله) أى بمشيئته وقيل بعلمه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أى يكلون أمرهم اليه ويفوضونه فى جميع شؤنهم ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) وقرئ تفاسحوا (فى المجالس) قرئ على الجمع لان لكل واحد منهم مجلسا وقرئ على الافراد قال الواحدى والوجه التوحيد فى المجلس لانه يعنى به مجلس النبى صلى الله عليه وسلم والتفسح التوسع يقال فسح له يفسح فسحا أى وسع له ومنه قولهم بلد فسيح أمر الله سبحانه المؤمنين بحسن الادب بعضهم مع بعض بالتوسعة فى المجلس وعدم التضايق فيه قال قتادة ومجاهد والضحاك كانوا يتنافسون فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فأمروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس والحسن ويزيد بن أبى حبيب هو مجلس القتال اذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصف الاول ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة فى القتال لتحصيل الشهادة وقال القرطبى الصحيح فى الآية انها عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو يوم جمعة وان كل واحد أحق بمكانه الذى يسبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه ويؤيد هذا حديث ابن عمر عند مسلم والبخارى وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا (فافسحوا يفسح الله لكم) أى فوسعوا يوسع الله لكم فى الجنة أو فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما عن مقاتل بن حيان قال أنزلت هذه الآية يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فى الصفة وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على

فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذووا الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على (٢٥٦) جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا آته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم له نحوا من قوله لبديل ابن ورقاء فقال عروة عند ذلك اى محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تك الاخرى فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه قال من ذا قالوا ابو بكر قال اما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر وكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبى صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة قال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه صحب التمام قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فرجع عروة الى أصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على

كسرى وقيصر والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل منهم من بنى كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل تاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر أخبرنى أيوب عن عكرمة انه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم بالكتاب قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا يكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله والله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل

القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم أنت يا فلان وانت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية (واذا قيل انشزوا فانشزوا) قرأ الجمهور بكسر الشين فيهما وقرئ بضمها فيهما وهما لغتان بمعنى واحد وقراءتان سبعيتان يقال نشز أى ارتفع ينشز وينشز كعكف يعكف ويعكف قال جمهور المفسرين أى انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل الخير وبه قال ابن عباس وقال عكرمة ومجاهد والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فقيل لهم اذا نودى للصلاة فانهضوا وقال الحسن انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبى فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى أجيبوا اذا دعيتم الى أمر بمعروف والظاهر حمل الآية على العموم والمعنى اذا قيل لكم انهضوا الى أمر من الامور الدينية فانهضوا ولا تتثاقلوا ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصا فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجا أوليا وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسح فى المجلس اندراجا أوليا وقد قدمنا ان معنى نشز ينشز ارتفع وهكذا أنشز ينشز اذا تنحى عن موضعه ومنه امرأة ناشزة أى متنحية عن زوجها وأصله مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الارض وتنحى ذكر معناه النحاس (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم فى الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما (والذين أوتوا العلم) أى ويرفع العالمين منهم خاصة (درجات) عالية فى الكرامة فى الدنيا والثواب فى الآخرة ومعنى الآية انه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات فمن جمع بين الايمان والعلم رفعه الله بايمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين أوتوا العلم وقيل المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرؤا القرآن والاولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض وقال ابن عباس فى الآية يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين

على الذين لم يؤمنوا درجات وقال ابن مسعود على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وعنه قال ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية وعنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم والاحاديث والاخبار والآيات في فضيلة العلم والعلماء كثيرة جدا فقد ذكرنا طرفا منها في كتابنا الحطة في ذكر الصحاح الستة (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم من خير وشر فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) المناجاة المسارة والمعنى اذا أردتم مسارة الرسول في أمر من أموركم (فقدموا بين يدي نجواكم) أي مسارتكم له (صدقة) في هذا الامر تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا والآخرة واختلف في انه للندب أو للوجوب قال الحسن نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته وكان ذلك يشق على المؤمنين لان الشيطان كان يلقي في أنفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله الآية الاولى فلم ينتهوا فانزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على أهل الايمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه وقال ابن عباس ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك ضن كثير من الناس وكفوا عن المسئلة فانزل الله بعد هذا أأشفقتم الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق وعن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه الآية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم الآية فبي خفف الله عن هذه الامة والمراد بالشعيرة هنا وزن شعيرة من ذهب وليس المراد الواحدة من حب الشعير أخرجه الترمذي وحسنه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وعنه رضي الله تعالى عنه قال ما عمل بها أحد غيري

ابن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شيء أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل يا معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله عز وجل قال عمر رضي الله عنه فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت (٢٥٨) ألست نبي الله حقا قال صلى الله عليه وسلم بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال صلى الله عليه وسلم بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال صلى الله عليه وسلم اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال صلى الله عليه وسلم بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام قلت لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى قال أفأخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها حتى مالقي من الناس قالت له ام سلمة رضي الله عنها يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية

ابن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبى صلى الله (٢٥٩) عليه وسلم قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم نجانى الله تعالى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهم وأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه رسول الله ولم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت هكذا ساقه البخارى ههنا وقد أخرجه فى التفسير وفى عمرة الحديبية وفى الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهرى به ووقع فى بعض الاماكن عن الزهرى عن عروة بن مروان والمسور عن رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن اسحق تباين فى مواضع وهنالك فوائد ينبغى اضافتها الى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وقال البخارى فى التفسير حدثنا أحمد بن اسحق السلمى حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر الى الذين يدعون الى كتاب الله فقال على بن أبى طالب رضى الله

حتى نسخت وما كانت الا ساعة يعنى آية النجوى وعنه رضى الله تعالى عنه قال ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى آية النجوى كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدى نجواى درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت أأشفقتم الآية وعن سعد بن ابى وقاص قال نزلت آية النجوى فقدمت شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد فنزلت الآية الاخرى أأشفقتم الآية (ذلك) أى ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدى النجوى (خير لكم) لما فيه من طاعة الله وتقييد الامر بكون امتثاله خيرا لهم من عدم الامتثال (وأطهر) لنفوسهم يدل على انه أمر ندب لا أمر وجوب قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) يعنى من كان منكم لا يجد تلك الصدقة المأمور بها بين يدى النجوى فلا حرج عليه فى النجوى بدون صدقة (أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك والاشفاق الخوف من المكروه والاستفهام للتقرير وقيل المعنى أبخلتم وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقيل انه لم يبق الا يوما واحدا وقال قتادة ما كان الا ساعة من نهار (فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به من الصدقة بين يدى النجوى وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل وأما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم واذ على بابها فى الدلالة على المضى وقيل هى بمعنى اذا وقيل بمعنى ان (وتاب الله عليكم) رجع بكم عنها بأن رخص لكم فى الترك (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) المعنى اذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدى النجوى فاثبتوا على اقامة الصلاة المفروضة وايتاء الزكاة الواجبة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه (والله خبير بما تعملون) لا يخفى عليه من ذلك شئ فهو مجازيكم وليس فى الآية ما يدل على تقصير المؤمنين فى الامتثال أما الفقراء منهم فالامر واضح وأما من عداهم من المؤمنين فانهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل أمروا بالصدقة اذا أرادوا المناجاة فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا فى امتثال الامر بالصدقة على ان فى الآية ما يدل على ان الامر للندب

كما قدمنا وقد استدل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل امكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح فان النسخ لم يقع الا بعد امكان الفعل وأيضا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدى نجواه كما تقدم (ألم تر الى الذين تولوا قوما) اى والوهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال السدى ومقاتل هم اليهود تولوا المنافقين ويدل على الاول قوله (غضب الله عليهم) فان المغضوب عليهم هم اليهود ويدل على الثانى قوله (ماهم منكم ولا منهم) فان هذا صفة المنافقين كما قال الله فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والجملة فى محل نصب على الحال أو هى مستأنفة (ويحلفون على الكذب) أى انهم مسلمون أو يحلفون انهم ما نقلوا الاخبار الى اليهود والجملة عطف على تولوا داخلة فى حكم التعجيب من فعلهم (و) الحال ان (هم يعلمون) بطلان ما حلفوا عليه وانه كذب لا حقيقة له فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها (أعد الله لهم عذابا شديدا) بسبب هذا التولى والحلف على الباطل (انهم ساء ما كانوا يعملون) من الاعمال القبيحة فى الزمان الماضى أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا ايمانهم جنة) قرأ الجمهور أيمانهم جمع يمين وهى ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بانهم من المسلمين توقيا من القتل فجعلوا هذه الايمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من ان يصاب بسهم أو سيف أو رمح وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة أى جعلوا تصديقهم جنة من القتل فآمنت ألسنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم (فصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الاسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط وتهوين أمر المسلمين وتضعيف شوكتهم وقيل المعنى فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب اظهارهم الاسلام (فلهم عذاب مهين) أى يهينهم ويخزيهم قيل هو تكرير لقوله أعد الله لهم عذابا شديدا للتأكيد وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ولا وجه للقول بالتكرير فان العذاب الموصوف بالشدة غير العذاب الموصوف بالاهانة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه (شيأ) من الاغناء قال مقاتل قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذا فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ان كانت قيامة فنزلت الآية (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب النار) لا يفارقونها (هم

عنه ثم قال سهيل بن حنيف أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعنى الصلح الذى كان بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر رضى الله عنه فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار فقال بلى قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى الله أبدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة (٢٦٠) الفتح وقد رواه البخارى أيضا فى مواضع أخر ومسلم والنسائى من طرق أخر عن أبى وائل سفيان بن سلمة عن سهيل بن حنيف به وفى بعض ألفاظه يا أيها الناس اتهموا الرأى فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أقدر على ان أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددته وفى رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأها عليه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال ان قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا ندرى ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد رسول الله قال لو نعلم انك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله واشترطوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا قال صلى الله عليه وسلم نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن عكرمة بن عمار قال حدثنى سماك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلى رضى الله عنه اكتب يا على هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امح يا على اللهم انك تعلم انى رسولك امح يا على واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله والله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحاه

من النبوة أخرجت من هذه قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليماني بنحوه وروى الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم بن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى أولادها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله (٢٦١) شهيدا) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام انه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم ان هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على ان يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء وقوله عز وجل آمنين أي في حال دخولكم وقوله محلقين رؤسكم ومقصرين حال مقدرة لانهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وانما كان هذا في ثاني الحال كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم والمقصرين في الثالثة أو الرابعة وقوله سبحانه وتعالى لا تخافون حال مؤكدة في المعنى فأثبت لهم الامن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع الى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم

(هم فيها خالدون) لا يخرجون منها (يوم) أي اذكر يوم (يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أي لله يوم القيامة على انهم مؤمنون (كما يحلفون لكم) في الدنيا وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم فان يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الامور معلومة بضرورة المشاهدة فكيف يجترؤن على ان يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين شيطان فاذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق فقال حين رآه علام تشتمني أنت وأصحابك فقال ذرني آتيك بهم فحلفوا واعتذروا فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها (ويحسبون) في الآخرة (انهم) بتلك الايمان الكاذبة (على شيء) مما يجلب نفعا أو يدفع ضررا كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب المتهالكون عليه البالغون الى حد لم يبلغ اليه غيرهم باقدامهم عليه وعلى الايمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمن (استحوذ عليهم الشيطان) أي غلب عليهم واستعلى واستولى قال المبرد استحوذ على الشيء حواه وأحاط به وقيل قوي عليهم وقيل جمعهم يقال أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه الى بعض والمعاني متقاربة لانه اذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم (فأنساهم ذكر الله) أي أوامره والعمل بطاعاته فلم يذكروا شيأ من ذلك وقيل زواجره في النهي عن معاصيه وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم والاشارة بقوله (أولئك) الى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات (حزب الشيطان) أي جنوده وأتباعه ورهطه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة الى خسرانهم ليس بخسران لانهم باعوا الجنة بالنار والهدى بالضلال وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الايمان الفاجرة في الدنيا والآخرة وفوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله) قد تقدم معنى المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في أول هذه السورة والجملة تعليل لما قبلها (أولئك في الأذلين) أي أولئك المحادون لله ولرسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من أذله الله من الامم السابقة واللاحقة لا ترى أحدا أذل منهم

وخرج فى صفر الى خيبر ففتحها الله تعالى عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهى اقليم عظيم كثير النخل والزروع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم الا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبى طالب وأصحابه وأبو موسى الاشعرى وأصحابه رضى الله عنهم ولم يغب منهم أحد قال ابن زيد الا أبا دجانة سماك بن خرشة كما هو مقرر فى موضعه ثم رجع الى المدينة فلما كان فى ذى القعدة من سنة سبع خرج صلى الله عليه وسلم الى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية فاحرم من ذى الحليفة وساق معه الهدى قيل (٢٦٢) كان ستين بدنة فلبى وسار وأصحابه يلبون فلما كان صلى الله عليه وسلم مر قريبا من الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم وانه قد نكث العهد الذى بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فاخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بمر الظهران حيث ينظر الى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسى والنبل والرماح الى بطن يأجج وسار الى مكة بالسيوف مغمدة فى قربها كما شارطهم عليه فلما كان فى أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك قال دخلت علينا بالسلاح القسى والرماح فقال صلى الله عليه وسلم لم ذلك وقد بعثنا به الى يأجج فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رؤس الكفار من مكة لئلا ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه رضى الله عنهم غيظا وحنقا وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا فى الطرق وعلى البيوت ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اى فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدى قد بعثه الى ذى طوى وهو راكب ناقته القصوى التى كان راكبها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الانصارى آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقودها وهو يقول

باسم الذى لا دين الا دينه * باسم الذى محمد رسوله خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله * ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله

لانهم لما حادوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان قال عطاء يريد الذل فى الدنيا والخزى فى الآخرة (كتب الله) مستأنفة لتقرير ما قبلها من كونهم فى الاذلين أى كتب فى اللوح المحفوظ وقضى فى سابق علمه وقال الفراء كتب بمعنى قال (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحدهما قال الزجاج معنى غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب فى الحرب ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) على نصر أوليائه (عزيز) غالب لاعدائه لا يغلبه أحد (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) ايمانا صحيحا بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن (يوادون من حاد الله ورسوله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له أى يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما أى من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم عن عبد الله بن شوذب قال جعل والد أبى عبيدة بن الجراح يتقصد لابى عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فنزلت هذه الآية أخرجه البيهقى فى سننه والحاكم والطبرانى وغيرهم ثم زاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) اى ولو كان المحادون لله ورسوله آباء الموادين الخ فان الايمان يزجر عن ذلك ويمنع منه ورعايته أقوى من رعاية الابوة والبنوة والاخوة والعشيرة وقدم أولا الآباء لانهم يجب طاعتهم ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلب ثم ثلث بالاخوان لانهم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد افاده السمين روى عن ابن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى (١) الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك) يعنى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله (كتب)

(١) يقال للقطعة من الفرسان رعلة ولجماعة الخيل رعيل ١٩ مختار الصحاح

فى مصحف تتلى على رسوله * بان خير القتل فى سبيله * يارب انى مؤمن بقيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * انى شهيد انه رسوله
خلوا فكل الخير فى رسوله * يارب انى مؤمن بقيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله (٢٦٣)
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بين يديه وفى رواية وابن رواحة آخذ بغرزه وهو رضى الله عنه يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله
قد نزل الرحمن فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله
يارب انى مؤمن بقيله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا اسمعيل يعنى ابن زكريا عن عبد الله يعنى ابن عثمان عن أبى الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران فى عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قريشا تقول ما يتباعثون من العجف فقال أصحابه لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة قال صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا ولكن اجمعوا الى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا وحشا كل واحد منهم فى جرابه ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه ثم قال لا يرى القوم فيكم غميزة فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليمانى مشى الى الركن الاسود فقالت قريش ما ترضون بالمشى أما انكم لتنقزون نقز الظباء ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة قال أبو الطفيل فأخبرنى ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى حجة

اى خلق وقيل أثبت وقيل جعل وقيل حكم والمعانى متقاربة (فى قلوبهم الايمان) وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أى قواهم بنصر منه على عدوهم فى الدنيا وسمى نصره لهم روحا لان به يحيى أمرهم وقيل هو نور القلب وقال الربيع بن أنس بالقرآن والحجة وقيل بجبريل وقيل بالايمان وقيل برحمة وقيل بكتاب أنزله فيه حياة لهم وقيل بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحياة القلوب وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن روّاد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقيل هى فى أهل البدع والاهواء (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) على الأبد (رضى الله عنهم) أى قبل اعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة (ورضوا عنه) أى فرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا (أولئك حزب الله) أى جنده الذين يمتثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أولياءه وفى اضافتهم الى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم وتكريم فخيم (ألا ان حزب الله هم المفلحون) اى الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة الكاملون فى الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كأن فلاح غيرهم بالنسبة الى فلاحهم كلا فلاح

(سورة الحشر أربع وعشرون آية)

وهى مدنية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير يعنى انها نزلت فى بنى النضير كما صرح بذلك فى بعض الروايات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى نزهه فاللام مزيدة وفى الاتيان بما تغليب للاكثر (وهو العزيز الحكيم) فى ملكه وصنعه (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) اللام متعلقة بأخرج وهى لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس أى عند أول الحشر قال الزمخشرى وهى كاللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقولك جئت لوقت كذا والمراد من أهل الكتاب هم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظارا منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم فغدروا

الوداع وقال أحمد أيضا حدثنا يونس حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوأ فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال فرملوا ثلاثة أشواط وأمرهم ان يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون (٢٦٤) ولم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط كلها الا ابقاء عليهم فقال المشركون أهؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به وفي لفظ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذي القعدة فقال المشركون انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم وقال البخاري وزاد ابن سلمة يعني حماد بن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لعامه الذي استأمن قال ارملوا ليرى المشركين قوتهم والمشركون من قبل قعيقعان وحدثنا محمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته ورواه في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به وقال أيضا حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا اسمعيل بن أبي خالد انه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انفرد به البخاري دون مسلم وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن رافع حدثنا سريج بن النعمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن ابراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية

بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن عاهدوه وصاروا عليه مع المشركين فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضوا بالجلاء قال الكلبي كانوا أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم في زمن عمر بن الخطاب وكان جلاؤهم أول حشر من المدينة وآخر حشر اجلاء عمر لهم وقيل ان أول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر وآخر الحشر اخراجهم من خيبر الى الشام وقيل آخر الحشر هو حشر جميع الناس الى أرض المحشر وهي الشام قال عكرمة من شك ان الحشر يوم القيامة في الشام فليقرأ هذه الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر وعن ابن عباس مثله قال ابن العربي للحشر أول وأوسط وآخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء أهل خيبر والآخر حشر يوم القيامة وقد أجمع المفسرون على ان هؤلاء المذكورين في الآية هم بنو النضير ولم يخالف في ذلك الا الحسن البصري فقال هم بنو قريظة وهو غلط فان بني قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه فحكم عليهم بان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة وقد أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى ان لهم ما أقلت الابل من الامتعة والاموال الا الحلقة يعني السلاح فأنزل الله فيهم سبح لله الى قوله لأول الحشر فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الاجلاء وأجلاهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا وكان الله قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله لأول الحشر فكان اجلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا الى الشام وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وان يسيروا الى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء (ما ظننتم أن يخرجوا) هذا خطاب للمسلمين أي ما ظننتم أيها المسلمون ان بني النضير يخرجون من ديارهم لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون مانعة وعقار ونخيل

ونخيل واسعة وأهل عدد وعدة (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لايبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم انه يأتيهم أمره من تلك الجهة وهو أنه سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك وقيل هو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف قاله ابن جريج والسدي وأبو صالح فان قتله أضعف شوكتهم وقيل ان الضمير في أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله من حيث لم يحتسبوا والاول أولى لقوله (وقذف في قلوبهم الرعب) فان قذف الرعب كان في قلوب بني النضير لافي قلوب المسلمين قال أهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر أي يملاه وقذفه اثباته فيه قيل وكان قذف الرعب في قلوبهم بقتل سيدهم كعب بن الاشرف والاولى عدم تقييده بذلك وتفسيره به بل المراد بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم هو الذي ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) وذلك انهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ماخرب من حصنهم قال الزجاج معنى تخريبها بأيدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك قرأ الجمهور يخربون بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال أبو عمرو وانما اخترت القراءة بالتشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا وانما خربوها بالهدم وليس ماقاله بمسلم فان التخريب والاخراب عند أهل اللغة بمعنى واحد قال سيبويه ان معنى فعلت وأفعلت يتعاقبان نحو أخربته وخربته وأفرحته وفرحته واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم قال الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ماأقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة أو العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال الزهري أيضا يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وأيدي

وقاضاهم على ان يعتمر العام المقبل ولايحمل سلاحا عليهم الاسيوفا ولا يقيم بها الا ماأحبوا فاعتمر صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما ان أقام بها ثلاثا أمروه ان يخرج فخرج صلى الله عليه وسلم وهو في صحيح مسلم أيضا وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنه قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لانقر بهذا ولو نعلم انك رسول الله مامنعناك شيأ ولكن اكتب (٢٦٥) محمد بن عبد الله قال صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه امح رسول الله قال رضي الله عنه لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ان لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف في القراب وان لا يخرج من أهلها باحد أراد ان يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها فلما دخلها ومضى الاجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي ياعم ياعم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد رضي الله عنه ابنة أخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلي رضي الله عنه أنت مني وأنا منك وقال لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه أنت أخونا ومولانا قال علي رضي الله عنه ألا تتزوج ابنة حمزة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم انها ابنة أخي من الرضاعة انفرد به من هذا الوجه وقوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم اليها عامكم ذلك مالم تعلموا أنتم فجعل من دون ذلك أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو الصلح الذي كان بينكم و بين

اعدائكم من المشركين ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه وعلى سائر أهل الارض هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق أى بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعى صحيح والعمل الشرعى مقبول فاخباراتها حق وانشاآتها عدل ليظهره على الدين كله أى على أهل جميع الاديان من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومسلمين ومشركين وكفى بالله شهيدا أى انه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء (٢٦٦) بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) يخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم انه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على اصحابه رضى الله عنهم فقال والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال عز وجل فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهذه صفة المؤمنين ان يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار رحيما برا بالاخيار غضوبا عبوسا فى وجه الكافر ضحوكا بشوشا فى وجه اخيه المؤمن كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا من وشبك صلى الله عليه وسلم بين اصابعه كلا الحديثين فى الصحيح وقوله سبحانه وتعالى تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الاعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الاولى كما قال جل وعلا ورضوان من الله أكبر وقوله جل جلاله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى

المؤمنين بالمقاتلة وقال أبو عمرو بايديهم فى تركهم لها وبايدى المؤمنين فى اجلائهم عنها والجملة مستأنفة لبيان ما فعلوه أو فى محل نصب على الحال (فاعتبروا يا أولى الابصار) أى اتعظوا وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم يا أهل العقول والبصائر قال الواحدى ومعنى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال النسفى وهو دليل على جواز القياس انتهى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى علم التعبير لان صاحبه ينقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيرى الاعتبار هو النظر فى حقائق الاشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شئ آخر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه مع الاهل والولد وقضى به عليهم (لعذبهم) بالقتل والسبى (فى الدنيا) كما فعل ببنى قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء وأجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما فى الابعاد واحدا من جهتين احداهما أن الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد الثانى ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لجماعة ولواحد كذا قال الماوردى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) مستأنفة غير متعلقة بجواب لولا متضمنة لبيان ما يحصل لهم فى الآخرة من العذاب وان نجوا من عذاب الدنيا (ذلك) أى ما تقدم ذكره من الجلاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (بانهم شاقوا الله ورسوله) أى بسبب المشاقة منهم لله ولرسوله لعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) اقتصر ههنا على مشاقة الله لان مشاقته مشاقة لرسوله قرأ الجمهور يشاق بالادغام وقرئ يشاقق بالفك (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) قال مجاهد ان بعض المهاجرين وقعوا فى قطع النخل فنهاهم بعضهم وقالوا انما هى مغانم المسلمين وقال الذين قطعوا بل هو غيظ للعدو فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع النخل وتحليل من قطعه من الاثم فقال ما قطعتم من لينة قال قتادة والضحاك انهم قطعوا

الله عنهما سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال الخشوع قلت ما كنت أراه الا هذا الاثر في الوجه فقال ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون وقال السدي الصلاة تحسن وجوههم وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن اسمعيل بن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى عن شريك عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر (٢٦٧) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار والصحيح انه موقوف وقال بعضهم ان للحسنة لنورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه والغرض ان الشئ الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه فالمؤمن اذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمود بن محمد المروزي حدثنا حامد بن آدم المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبد الله العزرمي عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله تعالى رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر العزرمي متروك وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان وقال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبي ظبيان ان أباه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوة ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلي عن زهير به فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم وقال مالك رضي الله عنه بلغني ان النصارى

من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات وقال محمد بن اسحق انهم أحرقوا النخلة وقطعوا النخلة فقال بنو النضير وهم أهل الكتاب يا محمد ألست تزعم انك نبي تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما أنزل عليك اباحة الفساد في الارض فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجد المسلمون في أنفسهم فنزلت الآية ومعنى الآية أي شئ قطعتم من ذلك أو تركتم فباذن الله والضمير في تركتموها عائد الى ما لتفسيرها باللينة وكذا في قوله قائمة على أصولها ومعنى على أصولها انها باقية على ما هي عليه واختلف المفسرون في تفسير اللينة فقال الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل انها النخل كله الا العجوة وقال مجاهد انها النخل كله ولم يستثن عجوة ولا غيرها وقال الثوري هي كرام النخل وقال أبو عبيدة انها جميع ألوان التمر سوى العجوة والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون تمره أجود التمر وقال الاصمعي هي الدقل وأصل اللينة لونة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لين وقيل ليان وقرأ ابن مسعود ولا تركتم قوما على أصولها أي قائمة على سوقها وقرئ على أصلها وقائما على أصوله وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان رضي الله تعالى عنه

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فأنزل الله ما قطعتم الآية وأخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال اللينة النخلة قال استنزلوهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم فقال المسلمون قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فأنزل الله ما قطعتم من لينة الآية وفي الباب أحاديث والكلام في صلح بني النضير مبسوط في كتب السير (وليخزي الفاسقين) أي ليذل الخارجين عن الطاعة وهم اليهود ويغيظهم في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاؤا من القطع والترك ازدادوا غيظا قال الزجاج وليخزي الفاسقين بان يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا من قطع وترك والتقدير وليخزي الفاسقين أذن في ذلك يدل على المحذوف قوله فباذن الله وقد

كانوا اذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فى ذلك فان هذه الامة معظمة فى الكتب المتقدمة واعظمها وأفضلها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والاخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه أى فراخه فآزره أى شده فاستغلظ أى شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع أى فكذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه (٢٦٨) فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك والاحاديث فى فضل الصحابة رضى الله عنهم والنهى عن التعرض بمساويهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم ثم قال تبارك وتعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه لبيان الجنس مغفرة أى لذنوبهم وأجرا عظيما أى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الامة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل قال مسلم فى صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد احدهم ولا نصيفه آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحجرات وهى مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) هذه آداب أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول

استدل بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لابأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها وعلى جواز الاجتهاد وعلى تصويب المجتهدين والبحث مستوفى فى كتب الاصول (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى ماردّه عليه من أموال الكفار يقال فاء يفئ اذا رجع والضمير فى منهم راجع الى بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه اذا حمله على السير السريع وما فى ما أوجفتم نافية والفاء جواب الشرط ان كانت ما فى ما أفاء الله شرطية وان كانت موصولة فالفاء زائدة ومن فى من خيل زائدة للتأكيد والركاب ماركب من الابل خاصة قال الرازى العرب لايطلقون لفظ الراكب الاعلى راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى ان ماردّ الله على رسوله من أموال بنى النضير لم تركبوا لتحصيله خيلا ولا ابلا ولم تقطعوا اليها مسافة ولاتجشمتم لها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فجعل الله سبحانه أموال بنى النضير لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لهذا السبب فانه افتتحها صلحا وأخذ أموالها وقد كان يسأله المسلمون ان يقسم لهم فنزلت الآية أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولاركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل مابقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وعن ابن عباس قال جعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ماأراد ولم يكن يومئذ خيل ولاركاب يوجف بها قال والايجاف ان يوضعوا السير وهى لرسول الله فكان من ذلك خيبر وفدك وقرى عرينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعمد لينبع فأتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها الله فأنزل الله عذره فقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية وفى الكرخى وهذا وان كان كالغنيمة لانهم خرجوا أيامًا وقاتلوا وصالحوا لكن لقلة تعبهم أجراه الله تعالى مجرى الفئ (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائه تسلطا غير معتاد من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب وفى هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تسرعوا في الاشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الامور حتى يدخل في عموم هذا الادب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم فان لم تجد قال رضي الله عنه أجتهد رأيي فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض منه انه أخر رأيه ونظره واجتهاده الى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وقال العوفي عنه نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال سفيان الثوري لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل وقال الحسن البصري لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال لا تدعوا قبل الامام وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا وكذا لوضع كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه واتقوا الله أي فيما أمركم به ان الله سميع أي لاقوالكم عليم بنياتكم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين ان لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته وقد روي انها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال البخاري حدثنا مرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت الا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما عند ذلك فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا

صلى الله عليه وآله وسلم دون أصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب بل مشوا اليها مشيا (والله على كل شيء قدير) يسلط من يشاء على من أراد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان انه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والتكرير لقصد التقرير والتأكيد ووضع أهل القرى موضع منهم أي من بني النضير للاشعار بان هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم بل هو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلحا ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب قيل والمراد بالقرى بنو النضير وقريظة وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع وقد تكلم أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما متفق أو مختلف فقيل متفق كما ذكرنا وقيل مختلف وفي ذلك كلام طويل لأهل العلم قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث آيات أما الآية الاولى وهي قوله وما أفاء الله على رسوله منهم فهي خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة له وهي أموال بني النضير وما كان مثلها وأما الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فهذا كلام مبتدأ غير الاول لمستحق غير الاول وان اشتركت هي والاولى في ان كل واحدة منهما تضمنت شيأ أفاءه الله على رسوله واقتضت الآية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت آية الانفال وهي الآية الثالثة انه حاصل بقتال وعريت الآية الثانية وهي ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال فنشأ الخلاف من ههنا فطائفة قالت هي ملحقة بالاولى وهي مال الصلح وطائفة قالت هي ملحقة بالثالثة وهي آية الانفال والذين قالوا انها ملحقة بآية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة أو محكمة هذا حاصل كلامه وقال مالك ان الآية الاولى من هذه السورة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم والآية الثانية هي في بني قريظة ويعني ان معناها يعود الى آية الانفال ومذهب الشافعي ان سبيل خمس الفيء سبيل خمس الغنيمة وان أربعة أخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين (فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) المراد بقوله لله انه يحكم فيه بما يشاء وللرسول يكون

تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون قال ابن الزبير رضى الله عنهما فما كان عمر رضى الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى أبا بكر رضى الله عنه انفرد به دون مسلم ثم قال البخارى حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثنى ابن أبى مليكة ان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أخبره انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه أمر القعقاع بن معبد وقال عمر رضى الله عنه بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أردت الا خلافى فقال عمر رضى الله عنه ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت الآية ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم الآية وهكذا رواه ههنا منفردا به أيضا وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا اسحق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق ابن شهاب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى قلت يا رسول الله والله لا أكلمك الا كأخى السرار حصين بن عمر هذا وان كان ضعيفا لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبى هريرة رضى الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم وقال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد اخبرنا ابن عون حدثنا أبو موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكسا رأسه فقال له ماشأنك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله فهو من أهل

ملكا له ولذى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم قد منعوا من الصدقة فجعل لهم حقا فى الفىء قيل تكون القسمة فى هذا المال على ان تكون أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسه يقسم أخماسا للرسول خمس ولكل صنف من الاصناف الاربعة المذكورة خمس وقيل يقسم أسداسا السادس سهم الله سبحانه ويصرف الى وجوه القرب كعمارة المساجد ونحو ذلك وعن ابن عباس قال كان ما أفاء الله على رسوله من خيبر نصف لله ورسوله والنصف الآخر للمسلمين فكان الذى لله ورسوله من ذلك الكتيبة (١) والوطيح والسلالم ووحدوه وكان الذى للمسلمين الشق والشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم ولم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر لأحد من المسلمين الا لمن شهد الحديبية ولم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين تخلف عنه عند مخرجه الحديبية ان يشهد معه خيبر الا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى وأخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفايا فى النضير وخيبر وفدك فاما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه وأما فدك فكان لابن السبيل وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء قسم منها جزأين بين المسلمين وحبس جزأ لنفسه ولنفقة أهله فما فضل عن نفقة أهله رده على فقراء المهاجرين قال البقاعى ومن زعم ان شيأ مما فى هذه السورة نسخ بشىء مما فى سورة الانفال فقد أخطأ لان الانفال نزلت فى بدر وهى قبل هذه بمدة (كيلا يكون) الفىء (دولة بين الاغنياء منكم) دون الفقراء والدولة اسم لشىء يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة قال مقاتل المعنى انه يغلب الاغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم قرأ الجمهور يكون بالتحتية ودولة بالنصب وقرئ بالفوقية ودولة بالرفع أى كيلا تقع أو توجد دولة وكان تامة وقرأ الجمهور دولة بضم الدال وقرئ بفتحها قال عيسى بن عمرو يونس والاصمعى هما لغتان بمعنى واحد وقال أبو عمرو بن العلاء الدولة بالفتح الذى يتداول من الاموال وبالضم الفعل وكذا قال أبو عبيدة وجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف وقيل بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ودالت الايام تدول مثل دارت الايام تدور وزنا ومعنى وقيل بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسر الميم قال عمر بن الخطاب ما على وجه الارض مسلم الا وله حق فى هذا الفىء الا ما ملكت ايمانكم ثم لما بين سبحانه مصارف هذا المال

---

(١) الكتيبة موضع والوطيح كشريف حصن بخيبر والسلالم كعلابط ايضا حصن والشق بكسر الشين المعجمة موضع بخيبر او واد به ويفتح أو الصواب الفتح فى اللغة وزاد فى منتهى الارب او قلعة من قلاع خيبر ونطاة بفتح النون والطاء المهملة بلا لام خيبر أو عين بها او حصن بها او وجاها كذا فى القاموس وأما وحدوه فلم اقف عليه وما فى القاموس فهو حدود اء موضع بلاد عذرة والوحيده من اعراض المدينة بينها وبين مكة والوحد ان ارض اه مصححه والله اعلم

امرهم

النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى قوله وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا (٢٧١) ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال صلى الله عليه وسلم لا بل هو من أهل الجنة قال أنس رضي الله عنه فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم انه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى آخر الآية جلس ثابت رضي الله عنه في بيته قال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد رضي الله عنه انه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد رضي الله عنه فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت رضي الله عنه أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حبان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد بن معاذ

أمرهم بالاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فقال (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكم من مال الغنيمة والفيء (فخذوه وما نهاكم عنه) أي عن أخذه (فانتهوا) عنه ولا تأخذوه قال الحسن والسدي ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما أعطاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم من معصيتي فاجتنبوه والحق ان هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر أو نهي أو قول أو فعل وان كان السبب خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا اياه وأوصله الينا وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها قال الماوردي انه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن فساد قال المهدوي هذا يوجب ان كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الغنائم فجميع أوامره ونواهيه داخلة فيها ذكره القرطبي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت قال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في كتاب الله قالت لقد قرأت ما بين الدفتين فما وجدت فيه شيئا من هذا قال لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم بأخذه الرسول وترك ما نهاهم عنه أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن والاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك وفي الباب أحاديث ثم بين من له الحق في الفيء فقال (للفقراء) قيل بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله أبو البقاء ومقتضاه اشتراط الفقر فيه وهو مذهب الامام أبي حنيفة ومن ثم جعله الزمخشري كذلك وأطال الكلام فيه ولا يصح أن يكون بدلا من الرسول وما بعده لئلا يستلزم وصف الرسول صلى الله عليه

رضي الله عنه حدثني هيثم بن عبد الاعلى الاسدي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت ابي يذكر عن انس رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وزاد فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من أهل الجنة فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه والصحيح ان حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضي الله عنه موجودا لانه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم والوفود انما تواتروا في سنة تسع من الهجرة والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس حدثني عمي اسمعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول قال قعد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف ان تكون نزلت في وأنا صيت رفيع للصوت قال فمضى عاصم بن عدي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن ابي ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم رضي الله عنه الى المكان فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا شديدا فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال رضي الله عنه أنا صيت وأتخوف ان تكون هذه الآية نزلت في لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى

وسلم بالنفر وقيل التقدير لكيلا يكون دولة ولكن يكون للفقراء وقيل التقدير اعجبوا للفقراء او به فسر المحلي وهو موافق لمذهب امامه الشافعي وأصحابه من الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده ويخالفه ولان الآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفا لهم فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره أبو البقاء وتبعه الكواشي مجيء قوله ألم تر الى الذين نافقوا يقولون الآيات مصدرا بألم تر وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلا لذكر أضدادهم وقيل التقدير والله شديد العقاب للفقراء أي الكفار بسبب الفقراء وقيل هو عطف على ما مضى بتقدير الواو كما تقول المال لزيد لعمرو ولبكر (المهاجرين) أي الذين هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار والاموال والاهلين كما قال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) أي حيث أخرجهم كفار مكة منها واضطروهم الى الخروج وكانوا مائة رجل قال النسفي وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي حال كونهم يطلبون منه ان يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بالجهاد للكفار بانفسهم وأموالهم والمراد نصر دينه واعلاء كلمته وهذا حال مقدرة أي ناوين نصرتهما اذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (أولئك) المتصفون بتلك الصفات (هم الصادقون) أي الكاملون في الصدق الراسخون فيه قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود ثم لما فرغ من مدحهم مدح الانصار بخصال حميدة فقال (والذين تبوؤا الدار والايمان) وهو كلام مستأنف والمراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ومعنى تبوئهما انهم اتخذوهما مباءة أي تمكنوا منهما تمكنا

الآية وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أنتما ثم قال من أين أنتما قالا من أهل الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائما ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه (٢٧٣) ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولهذا قال تبارك وتعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض كما قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله عز وجل أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا لهم مغفرة وأجر عظيم وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر رضي الله عنه أن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال أكثرهم لا يعقلون ثم أرشد تعالى إلى الأدب

شديدا والتبوؤ في الأصل إنما يكون للمكان ولكنه جعل الإيمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلا للحال منزلة المحل وقيل التقدير واعتقدوا الإيمان أو أخلصوا الإيمان كذا قال أبو علي الفارسي أو تبوؤا الدار وموضع الإيمان ويجوز أن يكون تبوؤا ضمنا معنى لزموا أي لزموا الدار والإيمان ومعنى (من قبلهم) أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل هجرة المهاجرين وقبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين فلا بد من تقدير مضاف لأن الأنصار إنما آمنوا بعد إيمان المهاجرين وقيل من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوئ الدار وقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (يحبون من هاجر إليهم) وذلك أنهم أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم (ولا يجدون) أي لا يجد الأنصار (في صدورهم حاجة) أي حسدا وغيظا وحزازة(١) فالمراد بالحاجة هذه المعاني وإطلاق لفظ الحاجة عليها من إطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية لأن هذه المعاني لا تنفك عن الحاجة غالبا وفي الكلام مضاف محذوف أي لا يجدون في صدورهم مس حاجة أو أثر حاجة وكل ما يجده الإنسان في صدره مما يحتاج إليه فهو حاجة (مما أوتوا) أي مما أوتي المهاجرون ودونهم من الفيء بل طابت أنفسهم بذلك وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم ثم قال إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبين المهاجرين وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في أموالكم وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم (ويؤثرون على أنفسهم) أي في كل شيء من أسباب المعاش والإيثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال آثره بكذا أي خصصه به وفضله والمعنى ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا (ولو كان بهم خصاصة) أي حاجة وفقر والخصاصة

(١) حزازة بفتح الحاء المهملة والزاءين المعجمتين بينهما ألف أصله مرض في القلب ويكنى به عما يضمره الإنسان من الغيظ والعداوة وهو المراد هنا والحسد تمني زوال النعمة والغبطة تمني مثلها من غير أن تزول اهـ سيد ذو الفقار أحمد

فى ذلك فقال عز وجل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم أى لكان لهم فى ذلك الخيرة والمصلحة فى الدنيا والآخرة ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم الى التوبة والانابة والله غفور رحيم وقد ذكر انها نزلت فى الاقرع بن حابس التميمى رضى الله عنه فيما أورده غير واحد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس رضى الله عنه انه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد يا محمد وفى رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله ان حمدى لزين وان ذمى لشين فقال ذاك الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن (٢٧٤) ابى اسحق عن البراء فى قوله تبارك وتعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان حمدى زين وذمى شين فقال صلى الله عليه وسلم ذاك الله عز وجل وهكذا ذكره الحسن البصرى وقتادة مرسلا وقال سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك ان أسلموا قالوا أسلمنا ولم يباطنك بنو أسد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن على الباهلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائى يحدث عن أبى مسلم البجلى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنى فمدها فجعل يقول لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله

مأخوذة من خصاص البيت وهى الفروج التى تكون فيه وقيل مأخوذة من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أصابنى الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيأ فقال الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله فقال الرجل من الانصار وفى رواية فقال أبو طلحة الانصارى انا يا رسول الله فذهب به الى أهله فقال لامرأته أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخرى به شيأ قالت والله ما عندى الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئى السراج ونطوى بطوننا الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وأنزل الله فيهما هذه الآية وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر قال اهدى الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة فقال ان أخى فلان وعياله أحوج الى هذا فبعث به اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت الى الاول فنزلت فيهم هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) قرأ الجمهور يوق بسكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وقرئ بفتح الواو وتشديد القاف وقرأوا شح بضم الشين وقرئ بكسرها وهذا كلام تام ومن شرطية و يوق فعل الشرط والشح البخل مع الحرص كذا فى الصحاح وقيل الشح أشد من البخل قال مقاتل شح نفسه حرص نفسه قال سعيد بن جبير شح النفس هو أخذ الحرام ومنع الزكاة قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يمنع شيأ أمره الله باداته فقد وقى شح نفسه قال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما فى يده والشح أن يشح بما فى أيدى الناس يحب أن يكون له ما فى أيديهم بالحلال والحرام لا يقنع وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم (فاولئك هم المفلحون) جزاء الشرط المتقدم وفيه رعاية معنى من بعد رعاية لفظها والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب أى الفائزون بما أرادوا والظاهر من الآية ان الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشىء من الاشياء التى يقبح الشح بها شرعا من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيده اضافة الشح الى النفس عن ابن مسعود ان رجلا قال انى أخاف ان أكون قد هلكت قال وماذاك قال انى سمعت الله يقول ومن يوق

شح

عليم حكيم) يأمر تعالى بالتثبت فى خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون فى نفس الامر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه فى نفس الامر وقبلها آخرون لانا انما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لانه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة فى كتاب العلم من شرح البخارى ولله تعالى الحمد والمنة وقد ذكر كثير من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الامام أحمد فى مسنده من رواية ملك عن ابن المصطلق وهو الحرث بن ضرار ابن أبى ضرار والد جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى انه سمع الحرث بن ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعانى الى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع فادعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل الى يا رسول الله رسولا ابان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحرث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس عليه الرسول فلم يأته وظن الحرث انه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لى وقتا يرسل الى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحرث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الحرث منعنى الزكاة وأراد قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث البعث الى الحرث رضى الله عنه وأقبل الحرث باصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحرث فقالوا هذا الحرث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا

شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأن رجلا شحيح لا يكاد يخرج منى شئ فقال له ابن مسعود ليس ذلك بالشح ولكنه البخل ولا خير فى البخل وان الشح الذى ذكره الله فى القرآن ان تأكل مال أخيك ظلما وعن ابن عمر فى الآية قال ليس الشح ان يمنع الرجل ماله ولكنه البخل وانه لشر انما الشح أن تطمع عين الرجل الى ما ليس له وعن على بن أبى طالب قال من أدى زكاة ماله فقد وقى شح نفسه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محق الاسلام محق الشح شئ قط أخرجه أبو يعلى وابن مردويه وأخرج أحمد والبخارى فى الادب ومسلم والبيهقى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا رواه النسائى وفى الجامع الصغير الشحيح لا يدخل الجنة رواه الخطيب فى كتاب البخلاء عن ابن عمر وقد وردت أحاديث فى ذم الشح كثيرة ثم لما فرغ سبحانه من الثناء على المهاجرين والانصار ذكر ما ينبغى ان يقوله من جاء بعدهم فقال (والذين جاؤا من بعدهم) وهم التابعون باحسان الى يوم القيامة وقيل هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر اسلامهم فى عصر النبوة ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة الى يوم القيامة لانه يصدق على الكل انهم جاؤا بعد المهاجرين الاولين والانصار عن سعد بن أبى وقاص قال الناس على ثلاث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما أنتم كائنون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الآية

(يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين أمرهم الله ان يستغفروا لانفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والانصار قال فى المصباح الاخ لامه محذوفة وهى واو وترد فى التثنية على الاشهر فيقال اخوان وفى لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان وجمعه اخوة واخوان بكسر الهمزة فيهما وضمها لغة وقيل جمعه بالواو والنون وعلى آخاء وزان آباء أقل والانثى أخت وجمعها اخوات وهو جمع مؤنث سالم

(ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى غشا وحقدا وبغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته ولا أتاني فلما دخل الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت الاحين احتبس على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا الى قوله حكيم ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به (٢٧٦) ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير انه سماه الحرث بن سرار والصواب انه الحرث بن ضرار كما تقدم وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله قالت فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم انه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد انهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله انا حدثنا ان رسولك رجع من نصف

رحيم) أي كثير الرأفة والرحمة بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك أمر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والانصار ان يطلبوا من الله سبحانه ان ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الاطلاق فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية فان وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير امة نبيه صلى الله عليه وسلم وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم ان لم يتدارك نفسه باللجاء الى الله سبحانه والاستغاثة به بان ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الامة فان جاوز ما يجده من الغل الى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه وهذا الداء العضال انما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الامة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الاكاذيب المختلقة والاقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة الينا بروايات الائمة الاكابر في كل عصر من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر ومازال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة الى منزلة ومن رتبة الى رتبة حتى صاروا اعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين وسعوا في كيد الاسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم محيط قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الآية أمروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه للفقراء المهاجرين ثم قال هؤلاء المهاجرون أفمنهم أنت قال لا ثم قرأ عليه والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية ثم قال هؤلاء الانصار أفانت منهم قال لا ثم قرأ عليه والذين جاؤا من بعدهم الآية ثم قال أفمن هؤلاء أنت قال أرجو قال ليس من هؤلاء من سب هؤلاء ولما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلاث من المؤمنين ذكر ما جرى بين المنافقين واليهود من المقاولة لتعجيب المؤمنين

الطريق وانا خشينا ان ما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وان النبي صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فانزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الى آخر الآية وقال مجاهد وقتادة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى بني المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال ان بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وانهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم وأمره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤا أخبروا خالدا رضي الله عنه انهم مستمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فانزل الله تعالى هذه الآية قال قتادة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التثبت من الله والعجلة من الشيطان وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل ابن حيان وغيرهم في هذه الآية انها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم وقوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله أي اعلموا ان بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لامره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لانفسكم كما قال تبارك وتعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة الى مراعاة مصالحهم فقال لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لادى ذلك الى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون وقوله عز وجل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم أي حببه الى نفوسكم وحسنه في قلوبكم قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاسلام علانية والايمان في القلب قال ثم يشير بيده الى صدره ثلاث مرات ثم يقول التقوى ههنا التقوى ههنا وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أي وبغض اليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة وقوله تعالى

المؤمنين من حالهم فقال (ألم تر الى الذين نافقوا) هم عبد الله بن أبي وأصحابه وقال ابن عباس ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن نبتل وأوس بن قيظي واخوانهم بنو النضير والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له (يقولون لاخوانهم) اللام لام التبليغ (الذين كفروا من أهل الكتاب) مستأنفة لبيان المتعجب منه والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار وجعلهم اخوانا لهم لكون الكفر قد جمعهم وان اختلف نوع كفرهم فهم اخوان في الكفر وقيل هو من قول بني النضير لبني قريظة والاول أولى لان بني النضير وبني قريظة هم يهود والمنافقون غيرهم (لئن أخرجتم) اللام هي الموطئة للقسم وتسمى المؤذنة أيضا أي والله لئن أخرجتم من دياركم (لنخرجن معكم) من ديارنا في صحبتكم وهذا جواب القسم (ولا نطيع فيكم) أي في شأنكم ومن أجلكم (أحدا) ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم وان طال الزمان وهو معنى قوله (أبدا) وهو ظرف للنفي لا للمنفي ثم لما وعدوهم بالخروج معهم وعدوهم بالنصرة لهم فقالوا (وان قوتلتم) حذف منه اللام الموطئة وهو قليل في كلام العرب والكثير اثباتها (لننصرنكم) على عدوكم ثم كذبهم الله سبحانه فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصر لهم وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب ووقع كما أخبر وهذا مبني على تقدم نزول الآية على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال واعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الغيب عن ابن عباس قال ان رهطا من بني عوف بن الحرث منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لا نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام ثم لما أجمل سبحانه كذبهم فيما وعدوا به فصل ما كذبوا فيه فقال (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) هذا تكذيب للمقالة الاولى وقوله (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) تكذيب للمقالة الثالثة وأما الثانية فلم يذكر لها تكذيب في التفصيل وقد

أولئك هم الراشدون أى المتصفون بهذه الصفة هـم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم قال الامام أحمد حـدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبدالواحـد بن أيمن المكى عن أبى رفاعة الزرقى عن أبيه قال لما كان يوم أحـد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم استووا حتى أثنى على ربى عزوجل فصاروا خلفه صفوفا فقال صلى الله عليه وسـلم اللهـم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت (٢٧٨) اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم انى أسألك النعـيم المقيم الذى لا يحـول ولا يزول اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف اللهم انى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب اله الحـق ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان ابن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به وفى الحديث المرفوع من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ثم قال فضلا من الله ونعمة أى هذا العطاء الذى منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه والله علـيم حكيم أى عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (وان طائفتان من

كان الامر كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود وهـم بنو النضير ومن معهم ولم ينصروا من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر (ولئن نصروهم) أى جاؤا (١) لنصرهم قاله المحلى أو لو قدر وجود نصرهم اياهم لان ما نفاه الله لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود وهـذا من تمام تكذيبهم فى المقالة الثالثة (ليولن (٢) الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى اليهود ولا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم وهم المنافقون وقيل يعنى لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم وقيل معنى الآية لا ينصرونهم طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهـم لا يدومون على نصرهـم والاول أولى ويكون من باب قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم) أى لانتم يا معاشر المسلمين أشد خوفا وخشية فى صدور المنافقين أو صدور اليهود أو صدور الجميع (من الله) أى من رهبة الله والرهبة هنا بمعنى المرهوبية لانها مصدر من المبنى للمفعول وفيـه دلالة على نفاقهم يعنى انهـم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم منه (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى ما ذكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم بشىء من الاشياء ولو كان لهم فقه لعلموا ان الله سبحانه هو الذى سلطكم عليهم فهو أحق بالرهبة منه دونكم ثم أخبر سبحانه بمزيد فشلهم وضعف نكايتهم فقال (لا يقاتلونكم جميعا) يعنى لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم ولا يقدرون على ذلك (الا فى قرى محصنة) بالدروب (٣) والدور والخنادق (أو من وراء جدر) أى من خلف الحيطان التى يستترون بها لجبنهم ورهبتهم قرأ الجمهور جـدر بالجمع وقرئ جدار بالافراد واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم لانها موافقة لقوله قرى محصنة وهما سبعيتان وقرئ جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهى لغة فى الجدار (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ غليظ على بعض وقلوبهم مختلفة ونياتهم متباينة قال السدى المراد اختلاف قلوبهـم حتى لا يتفقوا على أمر واحـد وقال مجاهـد بأسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن كذا والمعنى انهم اذا انفردوا نسبوا أنفسهم الى الشدة والبأس واذا لاقوا عدوا ذلوا وخضعوا وانهزموا وقيل المعنى ان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم بالنسبة اليكم لما قذف الله فى قلوبهم من الرعب والاول أولى

(١) أى خرجوا القصد نصرهم ولا يلزم من خروجهم لذلك نصرهم بالفعل فلا يرد كيف قال أولا وان لقوله قوتلوا لا ينصرونهم وقال ثانيا ولئن نصروهـم فنفى النصرة أولا وأثبتها ثانيا ولا يرد أيضا كيف قال ولئن نصروهـم وقال ليولن الادبار وكيف ينصرونهـم ويولوا الادبار اذ مقتضى النصرة الثبات وعدم الهزيمة فأشار الجلال المحلى لدفع هذين الايرادين بقوله أى جاؤا لنصرهم وبعضهم أشار للدفع بقوله ولئن نصروهم أى على سبيل الفرض والتقدير كما هو مفاد قول المؤلف العلامة لو قدر وجود نصرهم اه سيدى والفقار أحمد (٢) الضمير فى هذا الفعل لليهود كالضمير فى قوله ثم لا ينصرون هذا ما جرى عليه الجلال وقيل الضميران للمنافقين وقيل كل منهما للجميع اليهود والمنافقين معا [illegible] الفقار أحمد (٣) [illegible] اه

المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) يقول تعالى آمرا بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فسماهم مؤمنين مع الاقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على انه لا يخرج عن الايمان بالمعصية وان عظمت لا كما تقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله (٢٧٩) عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة والى الناس أخرى ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال صلى الله عليه وسلم أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والوقعات المهولة وقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله أي حتى ترجع الى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما قال صلى الله عليه وسلم تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبي يحدث ان أنسا رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه أنزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الاعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه وذكر سعيد ابن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فانزل الله تعالى هذه الآية فامر بالصلح بينهما وقال السدي كان

لقوله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) فانه يدل على ان اجتماعهم انما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم الموصوف بالشدة والجملة حالية أو مستأنفة للاخبار بذلك والعامة على أن شتى بلا تنوين لانها ألف تأنيث ومعنى شتى متفرقة قال مجاهد يعني اليهود والمنافقين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى أي لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم وروى عنه أيضا انه قال المراد المنافقون وقال الثوري هم المشركون وأهل الكتاب قال قتادة تحسبهم جميعا أي مجتمعين على أمر ورأي وقلوبهم متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم وهم يجتمعون في عداوة أهل الحق وقرأ ابن مسعود وقلوبهم أشت أي أشد اختلافا قال ابن عباس في الآية هم المشركون وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك بانهم) أي ذلك الاختلاف والتشتت بسبب انهم (قوم لا يعقلون) شيئا مما فيه صلاحهم فان تشتيت القلوب يوهن قواهم ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه (كمثل) أي ان مثل المنافقين واليهود أي بني النضير كمثل (الذين من قبلهم) من كفار المشركين وأهل مكة (قريبا) يعني في زمان قريب وقيل يشبهونهم في زمن قريب وقيل العامل فيه (ذاقوا) أي ذاقوا في زمن قريب اي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير نحو سنة ونصف لانها كانت في ربيع الاول من الرابعة وبدر كانت في رمضان من الثانية (وبال أمرهم) أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر قاله مجاهد وغيره وقيل المراد بنو النضير حيث أمكن الله منهم قاله قتادة وقيل قتل بني قريظة قاله الضحاك وقيل هو عام في كل من انتقم الله منه بسبب كفره والاول أولى ولهم مع ذلك (عذاب أليم) في الآخرة ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلا آخر فقال (كمثل الشيطان) وقيل المثل الاول خاص باليهود والثاني بالمنافقين أي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال أو تخاذلهم وعدم تناصرهم كمثل الشيطان والمراد به حقيقته لا شيطان الانس وقيل الثاني بيان للاول ثم بين سبحانه وجه الشبه فقال (اذ قال للانسان اكفر) أي أغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه والمراد بالانسان هنا جنس من أطاع الشيطان من نوع الانسان كما قال مجاهد المراد بالانسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم وقيل هو أبو جهل وقيل هو عابد كان في بني اسرائيل

رجل من الانصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وان المرأة أرادت ان تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها فى علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها وان المرأة بعثت الى اهلها فجاء قومها وانزلوها لينطلقوا بها وان الرجل قد كان خرج فاستعان اهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين اهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاؤا الى الله تعالى وقوله عز وجل فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين اى اعدلوا بينهما فيما كان اصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ان الله يحب المقسطين قال ابن ابى حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدمى حدثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن عز وجل بما اقسطوا فى الدنيا رواه النسائى عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى به وهذا اسناد جيد قوى رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن اوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم واهاليهم وما ولوا ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى انما المؤمنون اخوة اى الجميع اخوة فى الدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وفى الصحيح والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه وفى الصحيح ايضا اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله والاحاديث فى هذا كثيرة وفى الصحيح مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى الصحيح ايضا المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وقال احمد حدثنا احمد بن الحجاج حدثنا عبد الله اخبرنا مصعب بن ثابت حدثنى ابو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن من اهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما فى الرأس تفرد به أحمد تكنى

حمله الشيطان على الكفر فأطاعه وهو برصيصا والاول أولى عن على بن أبى طالب ان رجلا كان يتعبد فى صومعة وان امرأة كان لها اخوة فعرض لها شئ فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال اقتلها فانهم ان ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاؤه فاخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون اذ جاءه الشيطان فقال انى أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة انجيك فسجد له فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية اخرجه احمد فى الزهد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم قلت وهذا لا يدل على ان هذا الانسان هو المقصود بالآية بل يدل على انه من جملة من تصدق عليه وقد اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس باطول من هذا وليس فيه ما يدل على انه المقصود بالآية واخرجه بنحوه ابن جرير عن ابن مسعود وعنه قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر (فلما كفر) اى الانسان مطاوعة للشيطان وقبولا لتزيينه (قال) الشيطان (انى برىء منك) ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة يتبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب كما ينبئ عنه قوله (انى أخاف الله رب العالمين) وان أريد به أبو جهل فقوله اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية وهذا تعليل لبراءته من الانسان بعد كفره قيل وليس قول الشيطان انى اخاف الله على حقيقته انما هو على وجه التبرى من الانسان كذبا ورياء والا فهو لا يخاف الله فهو تأكيد لقوله انى برىء منك قرئ انى باسكان الياء وبفتحها (فكان عاقبتهما انهما فى النار) اى فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان الذى كفر انهما صائران الى النار (خالدين فيها) وقرئ خالدان على انه خبر أن (وذلك) اى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) ويدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا ثم رجع سبحانه الى خطاب المؤمنين بالموعظة الحسنة لان الموعظة بعد المصيبة أوقع فى النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى لتنظر أى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة والعرب

ولا بأس بإسناده وقوله تعالى فأصلحوا بين أخويكم يعني الفئتين المقتتلتين واتقوا الله أي في جميع أموركم لعلكم ترحمون وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكبر بطر الحق وغمص الناس ويروى وغمط الناس والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم (٢٨١) وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء وقوله تبارك وتعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا تلمزوا الناس والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى ويل لكل همزة لمزة والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل هماز مشاء بنميم أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهو اللمز بالمقال ولهذا قال ههنا ولا تلمزوا أنفسكم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ولا تلمزوا أنفسكم لا يطعن بعضكم على بعض وقوله تعالى ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تداعوا بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها قال الإمام أحمد حدثنا إسمعيل حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة ولا تنابزوا بالألقاب قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت ولا تنابزوا بالألقاب ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهيب عن داود به وقوله جل وعلا بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتعانون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ومن لم يتب أي من هذا فأولئك هم الظالمون (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله

تكنى عن الزمان المستقبل بالغد وهو في الأصل عبارة عن يوم بينك وبينه ليلة وإنما أطلق اسم الغد على يوم القيامة تقريبا له كقوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر فكأنه لقربه شبه بما ليس بينك وبينه إلا ليلة واحدة ولأن الدنيا أي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما بأحكام وأحوال متشابهة وتعقيب الثاني للأول فلفظ الغد حينئذ استعارة وفائدة تنكير النفس بيان أن الأنفس الناظرة في معادها قليلة جدا كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك وأين تلك النفس وفائدة تنكير الغد تعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفي النفس للتقليل أو للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب أفاده الكرخي (واتقوا الله) كرر الأمر بالتقوى للتأكيد أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل فإن ما قدمت لغد عبارة عن أعمال الخير والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله (إن الله خبير بما تعملون) ورجح هذا الوجه بفضل التأسيس على التأكيد وأنت خبير بأن التقوى تشمل كليهما فإنها على ما مر في أول البقرة هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك ولا وجه للتوزيع بل المقام مقام الاهتمام بأمر التقوى فالتأكيد أولى وأقوى ذكره الكرخي والمعنى لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أمره وطاعته أو ما قدروه حق قدره أو لم يخافوه أو جميع ذلك (فأنساهم أنفسهم) أي جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه ففي الكلام مضاف محذوف أي أنساهم حظوظ أنفسهم أو تقديم خير لأنفسهم قال سفيان نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم وقيل نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم أن يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ونسب الله تعالى الفعل إلى نفسه في أنساهم إيذانا بأن ذلك بسبب أمره ونهيه كقوله أحمدت الرجل إذا وجدته محمودا وأصل نسوا انسيوا يقال نسي ينسى كرضي يرضى (أولئك هم الفاسقون) أي الكاملون في الخروج عن طاعة الله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) في الفضل والرتبة

ثواب رحيم) يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس فى غير محله لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن الا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا وقال ابو عبد الله بن ماجه حدثنا ابو القاسم بن أبى ضمرة نصر ابن محمد بن سليمان الحمصى حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى قيس النصرى حدثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة (٢٨٢) ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الا خيرا تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه وقال مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن العتبى ثلاثتهم عن مالك به وقال سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام رواه مسلم والترمذى وصححه من حديث سفيان بن عيينة به وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله القرمطى العدوى حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدنى حدثنا اسماعيل ابن قيس الانصارى حدثنى عبد الله بن محمد بن أبى الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات لامتى الطيرة والحسد وسوء الظن فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله عمن هن فيه قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فاستغفر الله واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد رضى الله عنه قال أتى ابن مسعود رضى الله عنه برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به سماه ابن أبى حاتم فى روايته الوليد بن عقبة بن أبى

والمراد الفريقان على العموم فيدخل فى فريق أهل النار من نسى الله منهم دخولا أوليا ويدخل فى فريق أهل الجنة الذين اتقوا دخولا أوليا لان السياق فيهم وقد تقدم الكلام فى معنى مثل هذه الآية فى سورة المائدة وفى سورة السجدة وفى سورة ص وفيه مزيد الترغيب فيما يزلفهم الى الله ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من أصحابها ومن ثم دق ولطف استدلال الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وحسن كلام القاضى حيث قال لا يستوى الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوا نفوسهم أى استعملوها فى المهنة والشهوات فاستحقوا النار قاله الكرخى ثم أخبر سبحانه وتعالى عن أصحاب الجنة بعد نفى التساوى بينهم وبين أهل النار فقال (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الظافرون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه وفى الآية تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه ولما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة وأهل النار وبين عدم التساوى بينهم فى شئ من الاشياء ذكر تعظيم كتابه الكريم وأخبر عن جلالته وانه حقيق بان تخشع له القلوب وترق له الافئدة فقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) اى من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التى تلين لها القلوب انه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة فى الارض وجعل فيه تمييز كالانسان على قساوته ثم أنزلنا عليه القرآن (لرأيته) مع كونه فى غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم (خاشعا متصدعا) أى متشققا (من خشية الله) سبحانه حذرا من عقابه وخوفا من ان لا يؤدى ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وهذا تمثيل وتخييل يقتضى علو شأن القرآن وقوة تأثيره فى القلوب قال ابن عباس فى الآية يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل وحملته اياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس اذا أنزل عليهم القرآن ان يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع والخاشع الذليل المتواضع وعن على وابن مسعود مرفوعا فى الآية قال هى رقية الصداع ورواه الديلمى باسنادين لا ندرى كيف رجالهما وأخرج الخطيب فى تاريخه باسناده الى ادريس بن عبد الكريم

معيط وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن ابراهيم بن نشيط الخولانى عن كعب بن علقمة عن أبى الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال قلت لعقبة ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم قال ففعل فلم ينتهوا قال فجاءه دجين فقال انى نهيتهم فلم ينتهوا وانى داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيى موؤدة من قبرها ورواه أبو داود والنسائى من حديث الليث بن سعد به نحوه وقال سفيان الثورى عن راشد بن سعد عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت (٢٨٣) النبى صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم فقال أبو الدرداء رضى الله عنه كلمة سمعها معاوية رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثورى به وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمى حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معدى كرب وأبى امامة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم ولا تجسسوا أى على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق فى الشر ومنه الجاسوس واما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال عز وجل اخبارا عن يعقوب انه قال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله وقد يستعمل كل منهما فى الشر كما ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكريم الحداد مسلسلا الى ابن مسعود مرفوعا قال الذهبى هو باطل قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له وقويناك عليه فيكون على هذا من باب الامتنان على النبى صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسى وقيل الخطاب للامة (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ وينزجروا بالزواجر وفيه توبيخ وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ولا اتعظوا بمواعظه ولا انزجروا بزواجره ثم أخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال (هو) أى الذى وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شئ يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دائما أزلا وأبدا فهو حاضر فى كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته ولما عبر عنه بأخص أسمائه أخبر عنه لطفا بنا وتنزيلا لنا بأشهرها الذى هو مسمى الاسماء كلها بقوله (الله) أى المعبود الذى لا تنبغى العبادة والالوهية الا له (الذى لا اله الا هو) فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شئ (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقيل الآخرة والدنيا وقيل المعدوم والموجود وقدم الغيب على الشهادة لكونه متقدما وجودا (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم تفسير هذين الاسمين (هو الله الذى لا اله الا هو) كرره للتأكيد والتقرير لكون التوحيد حقيقا بذلك (الملك) الذى لا يزول ملكه المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص وقيل هو الذى كثرت بركته والقدس بالتحريك فى لغة أهل الحجاز (١) السطل لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاوانى التى يستخرج بها الماء قرأ الجمهور القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وكان سيبويه يقول سبوح قدوس بفتح أولهما وحكى أبو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائى اعرابيا فصيحا يقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان (السلام) قال ابن العربى اتفق العلماء على ان معنى قولنا فى الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا فى ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال (٢) الاول معناه الذى سلم من كل عيب

---

(١) السطل والسيطل كحيدر طسيسة لها عروة ج سطول أو السيطل الطست وليس بالسطل المعروف اه قاموس

(٢) فان قلت على تفسير السلام بالسلامة من النقائص لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا اشارة الى براءته من جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما ذكره الخازن اه سيدنا والفتار أحمد

قال لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال الاوزاعي التجسس البحث عن الشيء والتحسس الاستماع الى حديث القوم وهم له كارهون ان يستمع على أدبارهم والتدابر الصرم رواه ابن أبي حاتم عنه وقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله ما الغيبة قال صلى الله عليه وسلم ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال صلى الله (٢٨٤) عليه وسلم ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير عن بشار عن غندر عن شعبة عن العلاء وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو اسحق ومعاوية بن قرة وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني علي بن الاقمر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال عن مسدد تعني قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال صلى الله عليه وسلم ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الارحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن المخارق ان امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها الى النبي صلى الله عليه وسلم أي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر ائذنوا له بئس أخو العشيرة وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم أما معاوية فصعلوك وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيتها على التحريم الشديد

وبريء من كل نقص الثاني معناه ذو السلام أي المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي وبه قال الاكثر وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى انه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده وهو مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) أي الذي وهب لعباده الامن من عذابه وقيل المصدق لرسوله باظهار المعجزات وقيل المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب والمصدق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب وقيل المؤمن الذي يأمن أولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه يقال آمنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وآمنهم من خوف فهو مؤمن وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى أمن وقريء بفتحها بمعنى المؤمن به على الحذف كقوله واختار موسى قومه وقال أبو حاتم لا تجوز هذه القراءة لان معناه انه كان خائفا فامنه غيره (المهيمن) من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء أي الشهيد على عباده باعمالهم الرقيب عليهم كذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل قال الواحدي وذهب كثير من المفسرين الى ان أصله مؤيمن من آمن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن والاول أولى وقيل القائم على خلقه برزقه وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو الامين والمؤتمن وقيل هو العلي وقيل اسم من أسماء الله وهو أعلم بتأويله وقد قدمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة (العزيز) الذي لا يوجد له نظير وقيل القاهر وقيل الغالب غير المغلوب وقيل القوي (الجبار) جبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات والعرب تسمي الملك الجبار ويجوز ان يكون من جبر اذا اغنى الفقير وأصلح الكسير وعلى هذا هو صفة فعل أو من جبره على كذا اذا أكرهه على ما أراد فهو الذي جبر خلقه على ما أراد منهم وبه قال السدي ومقاتل واختاره الزجاج والفراء قال هو من أجبره على الامر أي قهره قال ولم أسمع فعالا من أفعل الا في جبار من أجبر ودراك من أدرك قلت وانه يستعمل ثلاثيا أيضا وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته وقيل هو القهار الذي اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبر في صفة الله مدح وفي صفة الناس ذم (المتكبر) أي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما لا يليق به وأصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد والكبر في

صفات

وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الانسان الميت كما قال عز وجل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه أي كما تكرهون هذا طبعا فاكرهوا ذاك شرعا فان عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال صلى الله عليه وسلم في العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه وقد قال ليس لنا مثل السوء وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وقال أبو داود حدثنا (٢٨٥) واصل بن عبد الاعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ورواه الترمذي عن عبد الله بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الاسود بن عامر حدثنا أبو بكر ابن عياش عن الاعمش عن سعيد ابن عبد الله بن جريج عن أبي بردة البلوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته تفرد به أبو داود وقد روي من حديث البراء ابن عازب فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا ابراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة ابن حبيب الزيات عن أبي اسحق السبيعي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها فقال يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته طريق أخرى عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف

صفات الله مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة والعز والكبرياء فان أظهر ذلك كان ذلك ضم كمال الى كمال وفي صفات المخلوقين ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكذب كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس قال قتادة هو الذي تكبر عن كل سوء قال ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء وهو الملك وقيل هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده ثم نزه سبحانه نفسه الكريمة عن شرك المشركين فقال (سبحان الله عما يشركون) أي عما يشركونه أو عن اشراكهم به (هو الله الخالق) أصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له أي المقدر للاشياء ولما يوجده على مقتضى ارادته ومشيئته وهذا يرجع الى صفة الارادة وتعلقها التنجيزي القديم (البارئ) أي المنشئ المبدع المخترع للاشياء والاعيان الموجد لها والمبرز من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث لكن في خصوص الاعيان وقيل المميز لبعضها من بعض (المصور) أي الموجد للصور المركب لها على هيآت مختلفة فالتصوير آخرا والتقدير أولا والبرء بينهما أو تابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وقرأ حاطب بن أبي بلتعة الصحابي المصور بفتح الواو ونصب الراء على أنه مفعول به للبارئ أي الذي برأ المصور أي ميزه (له الاسماء الحسنى) قد تقدم بيانها والكلام فيها عند تفسير قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والحسنى مؤنث الاحسن الذي هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء ففي القاموس ولا تقل رجل أحسن في مقابلة امرأة حسناء وعكسه غلام أمرد ولا يقال جارية مرداء وانما يقال هو الاحسن على ارادة أفعل التفضيل وجمعه أحاسن والحسنى بالضم ضد السوأى قال الزمخشري ولله الاسماء الحسنى التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة كقوله ولي فيها مآرب أخرى وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الأخر كقوله فعدة من أيام أخر لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وان كان المفرد مذكرا (يسبح له ما في السموات والارض) أي ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما (وهو العزيز الحكيم) أي الغالب لغيره الذي لا يغالبه

رحله قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك قال أبو داود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن المستورد أنه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها في جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله في جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة تفرد به أبو داود وحدثنا ابن المصفى حدثنا بقية وأبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد (٢٨٦) وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم تفرد به أبو داود وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أخبرنا أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك قال ثم انطلق بي الى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون الى عرض جنب أحدهم فيأخذون منه الحذوة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد وهو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ذكر

ولله الحمد والمنة وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظللت منذ اليوم صائما فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله ان امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صامتا وكيف يصوم

مغالب الحكيم في كل الامور التي يقضي بها عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا اذا آوى الى فراشه ان يقرأ آخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة الحشر بعث الله سبعين ملكا يطردون عنه شياطين الانس والجن ان كان ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي أخرجه ابن مردويه وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة أخرجه البيهقي والدارمي وأحمد والطبراني وابن الضريس والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته أوجب الله له الجنة أخرجه البيهقي في الشعب وابن عدي وابن مردويه والخطيب

(سورة الممتحنة هي ثلاث عشرة آية وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل أي المختبرة أضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لكشفها عن عيوب المنافقين وعلى هذا فالاضافة بيانية أي السورة الممتحنة وقيل بفتح الحاء اسم مفعول اضافة الى المرأة التي نزلت فيها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط لقوله سبحانه فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن وعلى هذا فليست الاضافة بيانية والمعنى سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) قال المفسرون نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وسيأتي

من ظل يا كل من لحوم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة فأتى النبي صلى الله
عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار اسناد ضعيف ومتن غريب وقد رواه
الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هرون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يارسول الله ان ههنا امرأتين صامتا وانهما كادتا تموتان من العطش (٢٨٧) أراه قال بالهاجرة فأعرض عنه أو سكت
عنه فقال يانبي الله انهما والله
قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال
ادعهما فجاءتا قال فجيء بقدح
أو عس فقال لاحداهما اقيئي فقاءت
من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف
القدح ثم قال للاخرى قيئي فقاءت
قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا
وغيره حتى ملأت القدح ثم قال ان
هاتين صامتا عما أحل الله تعالى
لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما
جلست احداهما الى الاخرى
فجعلتا يأكلان لحوم الناس وهكذا
قد رواه الامام أحمد عن يزيد بن
هرون وابن أبي عدي كلاهما عن
سليمان بن طرخان التيمي به مثله
أو نحوه ثم رواه أيضا من حديث
مسدد عن يحيى القطان عن عثمان
ابن غياث حدثني رجل أظنه في
حلقة أبي عثمان عن سعد مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
أمروا بصيام فجاء رجل في نصف
النهار فقال يارسول الله فلانة وفلانة
قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين
أو ثلاثا ثم قال ادعهما فجاءتا بعس
أو قدح فقال لاحداهما قيئي
فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا وقال
للاخرى مثل ذلك ثم قال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما أتت احداهما للاخرى فلم تزالا يأكلان
لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا قال البيهقي كذا قال عن سعد والاول وهو عبيد أصح وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو
ابن الضحاك بن مخلد حدثنا أبي أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن عم لابي هريرة ان ماعزا جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد زنيت فأعرض عنه حتى قالها أربعا فلما كان في الخامسة قال زنيت قال نعم وتدري ما الزنا قال نعم
أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال ما تريد الى هذا القول قال أريد أن تطهرني قال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشاء في البئر قال نعم يارسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي

ذكر القصة وأضاف سبحانه العدو الى نفسه تعظيما لجرمهم وتغليظا فيه والعدو وصف
يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والآية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من
الوجوه وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان (تلقون اليهم بالمودة) أي توصلون
اليهم المودة على ان الباء زائدة أو هي سببية والمعنى تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه
وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقال الزجاج تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله
عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم والجملة في محل نصب على الحال من ضمير تتخذوا
ويجوز أن تكون مستأنفة لقصد الاخبار بما تضمنته أو لتفسير موالاتهم اياهم أو في محل
نصب صفة لاولياء وجملة (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) في محل نصب على الحال من
فاعل تلقون أو من فاعل لا تتخذوا ويجوز أن تكون مستأنفة لبيان حال الكفار قرأ
الجمهور بما جاءكم بالموحدة وقرئ لما جاءكم باللام أي لاجل ما جاءكم من الحق على حذف
المكفور به أي كفروا بالله والرسول لاجل ما جاءكم من الحق أي دين الاسلام والقرآن
أو على جعل ما هو سبب للايمان سببا للكفر توبيخا لهم (يخرجون الرسول واياكم)
مستأنفة لبيان كفرهم أو حالية وقدم الرسول عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز
انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز أن يقال يخرجونكم والرسول (ان
تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج أي يخرجونكم لاجل ايمانكم أو كراهة ان تؤمنوا
(ان كنتم خرجتم) من مكة (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) جواب الشرط
محذوف أي ان كنتم كذلك فلا تلقوا اليهم بالمودة فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
وانتصاب جهادا وابتغاء على العلة أي ان كنتم خرجتم للجهاد في سبيلي ولاجل ابتغاء
مرضاتي أو حال كونكم مجاهدين ومبتغين (تسرون اليهم بالمودة) مستأنفة للتقريع
والتوبيخ أي تسرون اليهم الاخبار بسبب المودة وقيل هي بدل من قوله تلقون ثم أخبر
سبحانه بانه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء فقال (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي بما
أضمرتم في صدوركم وما أظهرتم وأعلنتم بألسنتكم والجملة في محل نصب على الحال والباء
في بما زائدة يقال علمت كذا وعلمت بكذا هذا على ان أعلم مضارع وقيل هو أفعل تفضيل
أي أعلم من كل واحد بما تخفون وما تعلنون (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

أي من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوي وعدوكم أولياء ويلقي اليهم بالمودة فقد أخطأ طريق الحق والصواب وضل عن قصد السبيل (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) أي ان يلقوكم ويصادفوكم يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ومنه المثاقفة وهي طلب مصادفة الغرة في المسابقة يقال ثقفت الشيء ثقفا من باب تعب أخذته وثقفت الرجل في الحرب أدركته وثقفته ظفرت به وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف وقيل المعنى ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والمعنيان متقاربان (ويبسطوا اليكم أيديهم) بالضرب ونحوه (وألسنتهم بالسوء) أي بالسب والشتم (وودوا لو تكفرون) معطوف على جواب الشرط أو على جملة الشرط والجزاء ورجحه أبو حيان على غيره من الاحتمالات والمعنى انهم تمنوا ارتدادكم وودوا رجوعكم الى الكفر (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أي لا ينفعكم القرابات على عمومها ولا الاولاد وخصهم بالذكر مع دخولهم في الارحام لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم والمعنى ان هؤلاء لا ينفعونكم شيئا يوم القيامة حتى توالوا الكفار لاجلهم كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة بل الذي ينفعكم ما أمركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم وجملة (يوم القيامة يفصل بينكم) مستأنفة لبيان عدم نفع الارحام والاولاد في ذلك اليوم والمعنى يفرق بينكم فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار وقيل المراد بالفصل بينهم انه يفر كل واحد منهم من الآخر من شدة الهول كما في قوله يوم يفر المرء من أخيه الآية ويجوز أن يتعلق يوم القيامة بما قبله أي لن ينفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة فيوقف على يوم القيامة ويبتدأ بقوله يفصل بينكم والاولى ان يتعلق يوم القيامة بما بعده كما ذكرنا قرأ الجمهور يفصل بالتخفيف وبضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وقرئ بفتح الياء وكسر الصاد مبنيا للفاعل وقرئ بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة من التفصيل وقرئ بضم الياء وكسر الصاد مخففة وقرئ بالنون وكلها سبعية (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم فهو مجازيكم على ذلك وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها

صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار قالا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا قال صلى الله عليه وسلم فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذي نفسي بيده انه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها اسناد صحيح وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس طريق أخرى قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان بن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح وربما قال فلذلك هاجت هذه الريح وقال السدي في قوله تعالى أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا زعم ان سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما وان سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان رضي الله عنه نائما لم يسر معهم فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه فضربا الخباء فقالا ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئا غير هذا أن يجيء الى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما اداما فانطلق فأتى رسول الله صلى الله عليه فأتى وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم ان كان عندك قال صلى الله عليه وسلم ما يصنع أصحابك بالادم قد ائتدموا فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما قال ونزلت أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا انه كان نائما وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن

هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الاسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاما فقالا ان هذا لنؤوم فأيقظاه فقالا له ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرآنك السلام ويستأدمانك فقال صلى الله عليه وسلم انهما قد ائتدما فجاآ فقالا يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا فقال صلى الله عليه وسلم بلحم اخيكما والذي نفسي بيده اني لارى لحمه بين ثناياكما فقالا رضي الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم مراه فليستغفر لكما وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن اسحق عن عمه موسى بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل من لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا قال فيأكله ويكلح ويصيح غريب جدا وقوله عز وجل واتقوا الله اى فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ان الله تواب رحيم اى تواب على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه واعتمد عليه قال الجمهور من العلماء طريق المغتاب للناس في توبته ان يقلع عن ذلك ويعزم على ان لا يعود وهل يشترط الندم على مافات فيه نزاع وان يتحلل من الذي اغتابه وقال آخرون لا يشترط ان يتحلله فانه اذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما اذا لم يعلم بما كان منه فطريقه اذن ان يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وان يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته فتكون تلك بتلك كما قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله اخبرنا يحيى بن أيوب عن أيوب عن عبد الله بن سليمان ان اسمعيل بن يحيى المعافري اخبره ان سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله تعالى اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مؤمنا بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه وقال أبو داود أيضا حدثنا اسحق بن الصباح حدثنا ابن أبي مريم اخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم انه سمع اسمعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الانصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته تفرد به أبو داود (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) يقول تعالى مخبرا للناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ومعرفة القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والافخاذ وغير ذلك وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما ان الاسباط بطون بني اسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الاشباه لابي عمر بن عبد البر ومن كتاب القصد والامم في معرفة انساب العرب والعجم فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء

فأتونى به فخرجنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب قالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله انى كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع اليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني اضرب عنقه فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزلت هذه الآية وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة متضمنة لبيان هذه القصة وان هذه الآيات الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم نازلة في ذلك ولما فرغ سبحانه من النهي عن موالاة المشركين والذم لمن وقع منه ذلك ضرب لهم ابراهيم مثلا حين تبرأ من قومه فقال

(قد كانت لكم أسوة حسنة) أى خصلة حميدة تقتدون بها يقال لي به اسوة في هذا الامر أى اقتداء فارشدهم سبحانه الى الاقتداء بابراهيم في ذلك الا في استغفاره لابيه قرأ الجمهور اسوة بكسر الهمزة وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان وأصل الاسوة بالضم

وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم في البشرية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع الى قبيلته وقال مجاهد في قوله عز وجل لتعارفوا كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من قبيلة كذا وكذا وقال سفيان الثوري كانت حمير ينتسبون الى مخاليفها وكانت عرب الحجاز ينتسبون الى قبائلها وقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الاثر ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم أي انما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالاحساب وقد وردت الاحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم (٢٩٠) قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة ابن سليمان ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمري به حديث آخر قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى الله تفرد به أحمد رحمه الله حديث آخر وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن ابراهيم العسكري حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائي سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلمون اخوة لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى حديث آخر قال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن شبيب بن عرفدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان ثم قال لا نعرفه عن حذيفة الا من هذا الوجه حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبيد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الاركان

والكسر القدوة ويقال هو أسوتك أي مثلك وأنت مثله (في ابراهيم) أي في أفعاله وأقواله وفي متعلقة باسوة ومنعه أبو البقاء أو بحسنة أو نعت ثان لاسوة أو حال من الضمير المستتر في حسنة او خبر لكان ولكم تبيين (والذين معه) هم أصحابه المؤمنون وقال ابن زيد هم الانبياء قال الفراء يقول أفلا تأسيت يا حاطب بابراهيم فتتبرأ من أهلك كما تبرأ ابراهيم من أبيه وقومه (اذ قالوا لقومهم) خبر كان أو متعلق بخبرها قالهما أبو البقاء ومن جوز في كان ان تعمل في الظرف علقه بها هذا ما في السمين وقال الحفناوي الظرف بدل اشتمال من ابراهيم والذين معه وهذا أحسن الاعاريب المذكورة هنا والمعنى وقت قولهم لقومهم الكفار وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى ولهم فيهم أرحام وقرابات ومع ذلك لم يبالوا بهم بل قالوا (انا برآء منكم) اى من دينكم جمع بريء مثل شركاء جمع شريك وظرفاء جمع ظريف قرأ الجمهور بضم الباء وفتح الراء وألف بين همزتين ككرماء في كريم وقرئ بكسر الباء وفتح الراء ككرام في كريم وبضم الباء وهمزة بعد ألف (ومما تعبدون من دون الله) وهي الاصنام (كفرنا بكم) أي بما آمنتم به من الاوثان أو بدينكم أو بافعالكم أي لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا) أي هذا دأبنا معكم مادمتم على كفركم (حتى تؤمنوا بالله وحده)

وتركوا

بمحجن فى يده فما وجد لها مناخا فى المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم على أيدى الرجال فخرج بها الى بطن المسيل فانيخت ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى واثنى عليه بما هو له اهل ثم قال يا أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقى كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى ان الله عز وجل يقول يا أيها الناس انا خلقنا كم من ذكر وانثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقا كم ان الله عليم خبير ثم قال صلى الله عليه وسلم أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وهكذا رواه عبد بن حميد عن أبى عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن أسحق حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على ابن رباح عن عقبة ابن عامر رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان انسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤه ليس لاحد على أحد فضل الا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤه ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ان أكرمكم عند الله اتقا كم ليس هو فى شئ من الكتب الستة من (٢٩١) هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة زوج درة بنت أبى لهب عن درة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت قام رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله أى الناس خير قال صلى الله عليه وسلم خير الناس اقراهم واتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الاسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ من الدنيا ولا أعجبه أحد قط الا ذو تقى تفرد به أحمد وقوله تعالى ان الله عليم خبير أى عليم بكم خبير بأموركم فيهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير فى ذلك كله وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الاحاديث الشريفة من ذهب من العلماء الى ان الكفاءة فى النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم وذهب الآخرون الى أدلة أخرى مذكورة فى كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة وقد روى الطبرانى عن عبد الرحمن انه سمع رجلا من بنى هاشم يقول انا أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال غيرك انا أولى به منك ولك منه نسبة

(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) يقول تعالى منكرا على الاعراب الذين أول ما دخلوا فى الاسلام ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان فى قلوبهم بعد قالت

وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فاذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة والبغضاء محبة

(الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) هو استثناء متصل من قوله فى ابراهيم بتقدير مضاف محذوف ليصح الاستثناء أى قد كانت لكم أسوة حسنة فى مقالات ابراهيم كلها الا قوله لابيه الخ أو من أسوة حسنة وصح ذلك لان القول من جملة الاسوة كأنه قيل قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم فى جميع أقواله وأفعاله الا قوله لابيه وهذا عندى واضح غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذى هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشرى غيره أو من التبرى والقطيعة التى ذكرت أى لم يواصله الا قوله ذكر هذا ابن عطية أو هو منقطع أى لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن فلا تأسوا به فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة وعدها اياه أو ان ذلك انما وقع منه لانه ظن انه قد أسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تحقيق هذا فى سورة براءة قال ابن عباس فى الآية نهوا ان يتأسوا باستغفار ابراهيم لابيه وهو مشرك (وما أملك لك من الله من شئ) هذا من تمام القول المستثنى يعنى ما أغنى عنك وما أدفع عنك من عذاب الله وثوابه شيأ والجملة فى محل نصب على الحال من فاعل لاستغفرن فالاستثناء متوجه الى الاستغفار لا الى هذا القيد فانه اظهار للعجز وتفويض للامر الى الله وذلك من خصال الخير

(ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) هذا من دعاء ابراهيم واصحابه ومما فيه

الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقد استفيد من هذه الآية الكريمة ان الايمان أخص من الاسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم للاخص منه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيأ فقال سعد رضي الله عنه يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيأ وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم حتى أعادها سعد رضي الله عنه ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعطى رجالا وأدع من هو أحب الى منهم فلم أعطه شيأ مخافة ان يكبوا في النار على وجوههم أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على ان الايمان أخص من الاسلام وقد قررنا ذلك بادلته في أول شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة ودل ذلك على ان ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقا لانه تركه من العطاء ووكله الى ما هو فيه من الاسلام فدل هذا على ان هؤلاء الاعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وانما هم مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لانفسهم مقاما أعلى مما وصلوا اليه فادبوا في ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير وانما قلنا هذا لان البخاري رحمه الله ذهب الى ان هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك وقد روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد انهم قالوا في قوله تبارك وتعالى ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا خوف القتل والسبي قال مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمة وقال قتادة نزلت في قوم امتنوا بايمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحيح الاول انهم قوم ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد فادبوا وأعلموا ان ذلك لم يصلوا اليه بعد ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة وانما قيل لهؤلاء تأديبا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد ثم قال تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ أي لا ينقصكم من اجوركم شيأ كقوله عز وجل وما ألتناهم من عملهم من شئ وقوله تعالى ان الله غفور رحيم أي لمن تاب اليه واناب وقوله تعالى انما المؤمنون أي انما المؤمنون الكمل الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض وجاهدوا باموالهم

اسوة حسنة يقتدى به فيها وقيل هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا هذا القول والتوكل هو تفويض الامور الى الله والانابة الرجوع والمصير المرجع وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) الظاهر انه دعاء متعدد لا ارتباط لكل بسابقه كالجمل المعدودة وليس هو وما بعده بدلا مما قبله كما قيل لعدم اتحاد المعنيين لا كلا ولا جزأ ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء قال الزجاج لا تظهرهم علينا فظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم ذلك وبه قال ابن عباس وقال أيضا لا تسلطهم علينا فيفتنونا (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز) أي الغالب الذي لا يغالب (الحكيم) ذو الحكمة البالغة في ملكه وصنعه (لقد كان لكم فيهم) أي في ابراهيم والذين معه في التبري من الكفار (اسوة) اى قدوة (حسنة) كرر هذا للمبالغة في التحريض على الحكم والتأكيد على الائتساء بابراهيم وقومه ولهذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وقيل ان هذا نزل بعد الاولى بمدة قال ابن عباس اى في صنيع ابراهيم كله الا في الاستغفار لابيه وهو مشرك (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى ان هذه الاسوة انما تكون لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة او يطمع في الخير من الله في الدنيا والآخرة بدل اشتمال من كم باعادة الجار قال المحلي تبعا للكواشي وقال ابو حيان وغيره بدل (١) بعض من كل (ومن

(١) لان من اسم موصول يطلق على الذوات المتصفة بالرجاء من المخاطبين ولاشك ان ذلك لبعض المخاطبين لكنه لا بد من ضمير في بدل البعض وتقديره لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر منكم والذي هو منهم بعضهم وقد شرط في بدل الاشتمال أن لا يكون بعضا فانهم جعلوا ضابط الاشتمال أن يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الجزئية والكلية فحصل من ذلك التأكيد والتقرير مع الشمول والعموم ذكره الكرخي وقال أبو السعود بدل اشتمال من حيث ملاحظة صلة الموصول اما من حيث ملاحظة نفسه فهو بدل بعض كما قاله بعضهم وفائدة هذا البدل الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان كما ينبئ عنه قوله ومن يتول الخ فانه مما يتوعد بامثاله الكفرة اه سعد والنقار أجهز

وأنفسهم فى سبيل الله اى و بذلوا مهجهم ونفائس أموالهم فى طاعة الله ورضوانه أولئك هم الصادقون أى فى قولهم اذا قالوا
انهم مؤمنون لا كبعض الاعراب الذين ليس لهم من الايمان الا الكلمة الظاهرة وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا
رشدين حدثنا عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذى يأمنه
الناس على أموالهم وانفسهم والذى اذا أشرف على طمع يذكر الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى قل أتعلمون الله بدينكم أى
أتخبرونه بما فى ضمائركم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض أى لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر
من ذلك ولا أكبر والله بكل شئ عليم ثم قال تعالى يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم يعنى الاعراب الذين يمنون
باسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ردا عليهم قل لا تمنوا على اسلامكم فان نفع ذلك انما
يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين أى فى دعواكم ذلك كما قال النبى صلى الله
عليه وسلم للانصار يوم حنين يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم (٢٩٣) الله بى وكنتم متفرقين فالفكم الله بى وكنتم
عالة فاغناكم الله بى كلما قال شيأ
قالوا الله ورسوله أمن وقال الحافظ
أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن
سعيد الجوهرى حدثنا يحيى بن
سعيد الاموى عن محمد بن قيس عن
أبى عون عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال جاءت
بنو أسد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أسلمنا
وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
فقههم قليل وان الشيطان ينطق
على ألسنتهم ونزلت هذه الآية
يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان ان كنتم صادقين
ثم قال لا نعلمه يروى الا من هذا
الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات و بصره باعمال
المخلوقات فقال ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق
والعصمة *(تفسير سورة ق وهى مكية)* هذه السورة هى اول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وأما ما يقوله العوام
انه من عم فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضى الله عنهم المعتبرين فيما نعلم والدليل على ان هذه السورة هى اول المفصل ما رواه
ابو داود فى سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الاشج حدثنا
أبو خالد سليمان بن حيان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد
حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبة
رضى الله عنه وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له قال مسدد وكان فى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ثقيف قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجليه حتى
يراوح بين رجليه من طول القيام فاكثر ما يحدثنا صلى الله عليه وسلم ما لقى من قومه قريش ثم يقول صلى الله عليه وسلم لا سواء وكنا

(ومن يتول) أى يعرض عن التأسى بابراهيم وامته (فان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد)
الى أوليائه لم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآية وتشدد المؤمنون
فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم فى تحول الحال الى خلافه
فقال (عسى الله) وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج
عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين (ان يجعل بينكم
و بين الذين عاديتم منهم مودة) وذلك بان يسلموا فيصيروا من اهل دينكم وقد أسلم قوم
منهم بعد فتح مكة وحسن اسلامهم ووقعت بينهم و بين من تقدمهم فى الاسلام مودة
وجاهدوا وفعلوا الافعال المقربة الى الله وقيل المراد بالمودة هنا تزويج النبى صلى الله عليه
وسلم بام حبيبة بنت ابى سفيان فصار معاوية خال المؤمنين قاله ابن عباس ولا وجه لهذا
التخصيص وان كان من جملة ما صار سببا الى المودة فان ابا سفيان بعد ذلك ترك ما كان
عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تحصل المودة الا باسلامه يوم
الفتح وما بعده وعن أبى هريرة قال أول من قاتل أهل الردة على اقامة دين الله ابو سفيان
ابن حرب وفيه نزلت هذه الآية وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل
ابا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقى
ذا الخمار مرتدا فكان أول من قاتل فى الردة وجاهد عن الدين قال وهو فيمن قال الله فيه

مستضعفين مستذلين قال مسدد بمكة فلما خرجنا الى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا فلما كانت ليلة أبطأ عنا صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة قال صلى الله عليه وسلم انه طرأ على حزبى من القرآن فكرهت ان أجئ حتى أتمه قال أوس سألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده ورواه ابن أبى ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الاحمر به ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفى به اذا علم هذا فاذا عددت ثمانيا وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق بيانه ثلاث البقرة وآل عمران والنساء وخمس المائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة وسبع يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل وتسع سبحان والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان وأحد عشرة الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس وثلاث عشرة الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب (٢٩٤) المفصل كما قاله الصحابة رضى الله عنهم فتعين ان أوله سورة ق وهو الذى قلنا ولله الحمد والمنة قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث مالك به وفى رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله عن أبى واقد قال سألنى عمر رضى الله عنه فذكره حديث آخر وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن أبى اسحق حدثنى عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن اسعد ابن زرارة عن ام هشام بنت حارثة قالت لقد كانت تنورنا وتنور النبى صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق والقرآن المجيد الا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنة الحرث بن النعمان قالت ما حفظت ق الا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بها كل جمعة قال وكانت تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وكذا رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من حديث شعبة به والقصد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة فى المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) ق حرف من حروف الهجاء المذكورة فى أوائل السور كقوله تعالى ص ون والم وحم وطس ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد اسلفنا الكلام عليها فى أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل

عسى الله ان يجعل الآية وفى صحيح مسلم عن ابن عباس ان اباسفيان قال يارسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وعندى أحسن العرب واجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان ازوجكها الحديث قال محمد بن ابراهيم الوزير فى التنقيح ما لفظه قال ابن حزم هذا موضوع لاشك فى وضعه والآفة فيه عن عكرمة بن عمار قلت قد رد الحفاظ على ابن حزم ما ذكره وجمع ابن كثير الحافظ جزأ مفردا فى بيان ضعف كلامه وفى الحديث غلط ووهم فى اسم المخطوب لها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عزة أخت أم حبيبة خطب أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته لها اختها أم حبيبة كما ثبت فى الصحيحين فاخبرهما النبى صلى الله عليه وسلم بتحريم الجمع بين الاختين وقد ذكر له تأويلات كثيرة هذا اقربها والموجب للتأويل ما علم من تزويج النبى صلى الله عليه وسلم لام حبيبة قبل اسلام أبى سفيان (والله قدير) أى بليغ القدرة كثيرها على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) أى بليغهما كثيرهما لمن أسلم من المشركين ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغى للمؤمنين من معاداة الكافرين وترك موادتهم فصل القول فيمن يجوز بره منهم ومن لا يجوز فقال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن هؤلاء (ان تبروهم) وتكرموهم

محيط بجميع الارض يقال له جبل قاف وكان هذا والله أعلم من خرافات بنى اسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب وعندى ان هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى فى هذه الامة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم فكيف بامة بنى اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته وانما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فيما قد يجوزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب فى تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج الى أخبارهم ولله الحمد والمنة حتى ان الامام أبا محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى رحمة الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال حدثنا أبى قال حدثت عن محمد بن اسمعيل المخزومى حدثنا ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الارض بحرا محيطا بها (٢٩٥) ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تبارك وتعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فاسناد هذا الاثر فيه انقطاع والذى رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ق هو اسم من أسماء الله عز وجل والذى ثبت عن مجاهد انه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى ص ن طس الم ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل المراد قضى الامر والله وان قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت ق وفى هذا التفسير نظر لان الحذف فى الكلام انما يكون اذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف وقوله تعالى والقرآن المجيد أى الكريم العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد واختلفوا فى جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة انه قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وفى هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وان لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير فى اقسام القرآن كما تقدم فى قوله ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وهكذا قال ههنا ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أى تعجبوا من ارسال رسول اليهم من البشر كقوله جل جلاله أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس

وتكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا وهذا بدل من الموصول بدل اشتمال عن عبد الله ابن الزبير قال قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها اسماء بنت أبى بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن وهى مشركة فابت اسماء ان تقبل هديتها أو تدخلها بيتها حتى أرسلت الى عائشة ان سلى عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله هذه الآية فامرها ان تقبل هديتها وتدخلها بيتها أخرجه احمد والبزار وابو يعلى وغيرهم وزاد ابن ابى حاتم فى المدة التى كانت بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن اسماء بنت ابى بكر قالت أتتنى أمى راغبة وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أأصلها فانزل الله لا ينهاكم الآية فقال نعم صلى أمك (١) (وتقسطوا اليهم) اى تفضوا اليهم بالقسط وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر يقال اقسطت الى الرجل اذا عاملته بالعدل قال الزجاج المعنى وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين ومعنى الآية ان الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ان لا يظاهروا الكفار عليهم ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل قال ابن زيد كان هذا فى اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخ بقوله فاقتلوا المشركين

(١) أى تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربى اهـ . . يدذو الفقار أحمد

أي وليس هذا بعجيب فان الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ثم قال عز وجل مخبرا عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد أي يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الاوصال منا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك الى هذه البنية والتركيب ذلك رجع بعيد أي بعيد الوقوع والمعنى انهم يعتقدون استحالته وعدم امكانه قال الله تعالى رادا عليهم قد علمنا ما تنقص الارض منهم أي ما تأكل من أجسادهم في البلا نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الابدان وأين ذهبت والى أين صارت وعندنا كتاب حفيظ أي حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الاشياء مضبوطة قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم أي ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل والمريج المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض (٢٩٦) مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) يقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أي بالمصابيح ومالها من فروج قال مجاهد يعني من شقوق وقال غيره فتوق وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير أي كليل عن ان ترى عيبا أو نقصا وقوله تبارك وتعالى والارض مددناها على

أي وسعناها وفرشناها وألقينا فيها رواسي وهي الجبال لئلا تميد باهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أي من جميع الزروع والثمار والنبات والانواع ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وقوله بهيج أي حسن المنظر تبصرة وذكرى لكل عبد منيب أي ومشاهدة خلق السموات والارض وما جعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب أي خاضع خائف وجل رجاع الى الله عز وجل وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا أي نافعا فأنبتنا به جنات أي حدائق من بساتين ونحوها وحب الحصيد وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره والنخل باسقات أي طوالا شاهقات وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم الباسقات الطوال لها طلع نضيد أي منضود رزقا للعباد أي للخلق وأحيينا به بلدة ميتا وهي الارض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعدما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي

حيث وجدتموهم وقيل هذا الحكم كان ثابتا في الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وقيل هي خاصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد قاله الحسن وقال الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقال مجاهد هي خاصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا وقيل هي خاصة بالنساء والصبيان وحكى القرطبي عن أكثر اهل التأويل انها محكمة وهو الاولى لحديث اسماء المتقدم المتفق عليه ثم بين سبحانه من لا يحل بره ولا العدل في معاملته فقال (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم) وهم صناديد الكفار من قريش وعتاة اهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) أي عاونوا الذين قاتلوكم واخرجوكم على ذلك وهم سائر اهل مكة ومن دخل معهم في عهدهم (ان تولوهم) بدل اشتمال من الموصول كما سلف (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) أي الكاملون في الظلم لانهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عدو الله ولرسوله ولكتابه وجعلوهم أولياء لهم وفيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها ولما ذكر سبحانه حكم فريقي الكافرين في جواز البر والاقساط للفريق الاول دون الثاني ذكر حكم من يظهر الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة اولانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) من بين الكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية

بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير وقال سبحانه وتعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله باشباههم ونظرائهم وامثالهم من المكذبين قبلهم من النقمات والعذاب الاليم فى الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام بجميع أهل الارض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم فى سورة الفرقان وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وهم أمته الذين بعث اليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الارض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق واصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام وقوم تبع وهو اليمانى وقد ذكرنا من شأنه فى سورة الدخان ما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والشكر كل كذب الرسل أى كل من هذه الامم وهؤلاء القرون كذبت رسولهم ومن كذب رسولا فكانما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا كذبت قوم نوح المرسلين وانما جاءهم رسول واحد فهم فى نفس الامر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم فحق (٢٩٧) وعيد أى فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون ان يصيبهم ما أصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك وقوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول اى أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم فى شك من الاعادة بل هم فى لبس من خلق جديد والمعنى ان ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة أسهل منه كما قال عز وجل وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال الله جل جلاله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقد تقدم فى الصحيح يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يقول لن

على ان يردعليهم من جاءهم من المسلمين فلما هاجر اليه النساء أبى الله ان يرددن الى المشركين وأمر بامتحانهن فقال (فامتحنوهن) أى فاختبروهن بالحلف أى هل هن مسلمات حقيقة أولا وقد أخرج البخارى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء مسلمات فانزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى بلغ ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك وأخرجه أيضا من حديثهما باطول من هذا وعنه وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عاتق فجاء اهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم حتى أنزل الله فى المؤمنات ما أنزل وقد اختلف فيما كان يمتحنهن به فقيل كان يستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من أرض الى أرض ولا لالتماس دنيا بل حبا لله ولرسوله ورغبة فى دينه فاذا حلفت كذلك أعطى النبى صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها اليه قال ابن عباس كان اذا جاءت المرأة النبى صلى الله عليه وسلم حلفها عمر بن الخطاب بالله ما خرجت رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله أخرجه الطبرانى وغيره بسند حسن وقيل الامتحان هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا علموا ان ذلك حق منهن لم يرجعن الى الكفار وأعطى

 يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون على من اعادته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) يخبر تعالى عن قدرته على الانسان بانه خالقه وعلمه محيط بجميع اموره حتى انه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بنى آدم من الخير والشر وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل وقوله عز وجل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد يعنى ملائكته تعالى أقرب الى الانسان من حبل وريده اليه ومن تأوله على العلم فانما فر لئلا يلزم حلول او اتحاد وهما منفيان بالاجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل وأنا أقرب اليه من حبل الوريد وانما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد كما قال فى المحتضر ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يعنى ملائكته وكما قال تبارك وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة اقرب الى الانسان من حبل وريده اليه باقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك فللملك لمة من الانسان كما ان للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما اخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى

فههنا اذ يتلقى المتلقيان يعنى الملكين اللذين يكتبان عمل الانسان عن اليمين وعن الشمال قعيد أى مترصد ما يلفظ اى ابن آدم من قول اى ما يتكلم بكلمة الا لديه رقيب عتيد اى الا ولها من يرقبها معتد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شئ من الكلام وهو قول الحسن وقتادة أو انما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضى الله عنهما على قولين وظاهر الآية الاول لعموم قوله تبارك وتعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال الامام أحمد حدثنا ابن معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثى عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحرث المزنى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها عليه سخطه الى يوم يلقاه قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح وله شاهد فى الصحيح وقال الاحنف بن قيس صاحب اليمين يكتب الخير (٢٩٨) وهو أمين على صاحب الشمال فان اصاب العبد خطيئة قال له امسك فان استغفر الله تعالى نهاه ان يكتبها وان أبى كتبها رواه ابن ابى حاتم وقال الحسن البصرى وتلا هذه الآية عن اليمين وعن الشمال قعيد يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن يسارك فيحفظ سيآتك فاعمل ما شئت أقلل او أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كلما تكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وذكر عن الامام أحمد انه كان يئن فى مرضه فبلغه عن طاوس انه قال يكتب الملك كل شئ حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله وقوله تبارك وتعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد يقول عز وجل وجاءت أيها الانسان سكرة الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه ذلك ما كنت منه تحيد أى هذا هو الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص وقد اختلف المفسرون فى المخاطب بقوله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد فالصحيح ان المخاطب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا ابراهيم بن أبى زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال ان عائشة رضى الله عنها قالت حضرت أبى رضى الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فاخذته غشية فتمثلت بيت من الشعر

من لا يزال دمعه مقنعا * فانه لا بد مرة مدفوق قالت فرفع رضى الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس كذلك ولكن

بعلها فى الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقها الذى أصدقها وأحلهن للمؤمنين اذا آتوهن أجورهن قاله ابن عباس وقيل ما كان الامتحان الا بان يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وهى يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات الى آخرها واختلف أهل العلم هل دخل النساء فى عهد الهدنة ام لا على قولين فعلى القول بالدخول تكون هذه الآية مخصصة لذلك العهد وبه قال الاكثر وعلى القول بعدمه لا نسخ ولا تخصيص (الله اعلم بايمانهن) معترضة لبيان ان حقيقة حالهن لا يعلمها الا الله سبحانه ولم يتعبدكم بذلك وانما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعوتهن فى الرغب فى الاسلام (فان علمتموهن مؤمنات) أى علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذى أمرتم به وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضى اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله لا تقف ما ليس لك به علم وقال الكرخى المراد بالعلم الظن وسمى علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به ففى الكلام استعارة تبعية (فلا ترجعوهن الى الكفار) اى الى أزواجهن الكافرين هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعضهم ليس من قبيل النسخ وانما هو من قبيل التخصيص او تقييد المطلق لان العقد اطلق فى رد من أسلم فكان ظاهرا فى عموم الرجال مع النساء فبين الله خروجهن عن عموما

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الخياط عن اسمعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما ان ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقد أوردت لهذا الاثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول سبحان الله ان للموت لسكرات وفي قوله ذلك ما كنت منه تحيد قولان أحدهما ان ما ههنا موصولة أي الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتنأى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك والقول الثاني ان ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه وقد قال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي حدثنا حفص بن عمر الحدي حدثنا معاذ بن محمد الهذلي عن يونس ابن عبيد عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيي وأسهر دخل جحره وقالت له الارض يا ثعلب ديني فخرج (٢٩٩) وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الارض كذلك الانسان لا محيد له عن الموت وقوله تبارك وتعالى ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له قالوا يا رسول الله كيف نقول قال صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد أي ملك يسوقه الى المحشر وملك يشهد عليه باعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فقال سائق يسوقها الى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد وقال مطرف عن أبي جعفر مولى أشجع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد أحدها ان المراد بذلك الكافر رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثاني ان المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لان الآخرة بالنسبة الى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والثالث ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليوم حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا يعني من هذا اليوم

عمومه ويفرق بين الرجال والنساء بان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت لضعف قلبها او قلة هدايتها الى الخروج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان طمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته كذا في الخطيب (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) تعليل للنهي عن ارجاعهن والتكرير لتأكيد الحرمة والجملة الاولى لنفي الحل حالا والثانية لنفيه فيما يستقبل من الزمان وفيه دليل على ان المؤمنة لا تحل لكافر وان اسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا بمجرد هجرتها (وآتوهم) خطاب لولاة الامور والامر للوجوب فيكون منسوخا أو للندب كما هو مذهب الشافعي فليس منسوخا أي واعطوا ازواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن (ما أنفقوا) أي مثل ما أنفقوا عليهن من المهور قال الشافعي واذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها بلا عوض عن ابن عباس قال نزلت سورة الممتحنة بعد ذلك الصلح فكان من أسلم من نسائهم تسأل ما أخرجك فان كانت خرجت فرارا من زوجها ورغبة عنه ردت وان كانت خرجت رغبة في الاسلام أمسكت ورد على زوجها مثل ما أنفق ووجوب الايتاء أو ندبه انما هو في نساء أهل الذمة كما هو مورد الآية فانها وردت في شأن أهل مكة الذين هادنهم صلى الله عليه وسلم وأما نساء الحربيين الذين لم يعقد لهم عهد فلا يجب ولا يسن رد مهورهن

فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اى قوى لان كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال الله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال عز وجل ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون (وقال قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل و يقول هذا مالدى عتيد اى معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتنى به قد احضرته وقد اختار ابن جرير انه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى فى الخليقة بالعدل فيقول القيا فى جهنم كل كفار عنيد وقد اختلف النحاة فى قوله ألقيا فقال بعضهم هى لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه ومما انشد ابن جرير على هذه قول الشاعر (٣٠٠) فان تزجرانى يا ابن عفان ازدجر * وان تتركانى أحم عرضا ممنعا وقيل بل هى نون التأكيد سهلت الى الالف وهذا بعيد لأن هذا انما يكون فى الوقف والظاهر انها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره الى عرصة الحساب فلما ادى الشهيد عليه امرهما الله تعالى بالقائه فى نار جهنم و بئس المصير ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد اى كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك مناع للخير اى لا يؤدى ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة معتد أى فيما ينفقه و يصرفه يتجاوز فيه الحد وقال قتادة معتد فى منطقه وسيره وأمره مريب أى شاك فى أمره مريب لمن نظر فى أمره الذى جعل مع الله الها آخر أى أشرك بالله فعبد معه غيره فالقياه فى العذاب الشديد وقد تقدم فى الحديث ان عنقا من النار يبرز للخلائق فينادى بصوت يسمع الخلائق انى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر و بالمصورين ثم تنطوى عليهم وقال الامام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوى عليهم فتقذفهم فى غمرات جهنم قال قرينه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذى وكل به ربنا ما أطغيته أى يقول عن الانسان الذى قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول ربنا ما أطغيته أى ما أضللته ولكن كان فى ضلال بعيد أى بل كان هو فى نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى فى الآية الأخرى فى قوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وقوله تبارك وتعالى قال لا تختصموا لدى يقول الرب عز وجل للانسى وقرينه من الجن وذلك انهما يختصمان بين يدى الحق تعالى و يقول الانسى يا رب هذا أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى و يقول الشيطان ربنا ما أطغيته ولكن

اتفاقا و به قال قتادة والامر كما قال ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات فقال (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) بشرطه وهو انقضاء العدة فيما اذا كانت المسلمة مدخولا بها والولى والشاهدان و بقية شروط الصحة فى المدخول بها وغيرها الا انهن قد صرن من أهل دينكم وان كان أزواجهن الكفار لم يطلقوهن لانفساخ العقد بالاسلام (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن لان المهر أجر البضع وذلك بعد انقضاء عدتهن كما تدل عليه أدلة وجوب العدة وقال أبو حنيفة رحمه الله لا عدة على المهاجرة واستدل بهذه الآية والاول أولى و به قال الاوزاعى والليث والشافعى وأحمد والآية ردلما يتوهم من ان رد المهر الى أزواجهن الكفار مغن عن تجديد مهرلهن اذا تزوجهن المسلمون فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذى يجب على المسلم اذا تزوجهن والمراد بايتاء المهر التزامه وان لم يدفع بالفعل (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) قرأ الجمهور تمسكوا بالتخفيف من الامساك واختارها أبو عبيد لقوله فامسكوهن بمعروف وقرئ بالتشديد من التمسك وهما سبعيتان والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب والمراد هنا عصمة عقد النكاح والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن بينكم و بينهن عصمة ولا علقة زوجية والمعنى ان من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين قال النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب

كان في ضلال بعيد أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما لا تختصموا لدى أي عندي وقد قدمت اليكم بالوعيد أي قد أعذرت اليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين ما يبدل القول لدى قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا قاض وما أنا بظلام للعبيد اى لست أعذب احدا بذنب أحد ولكن لا اعذب احدا الا بذنبه بعد قيام الحجة عليه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) يخبر تعالى انه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت وذلك لانه تبارك وتعالى وعدها ان سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به اليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد اى هل بقى شئ تزيدونى هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الاحاديث حا قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الاسود حدثنا حرمى بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه ورواه أبان العطار وسليمان التيمى عن قتادة بنحوه حديث آخر قال البخاري حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميرى سعيد ابن يحيى بن مهدى حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط ورواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به طريق أخرى قال البخاري وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا واما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا حديث آخر قال مسلم في صحيحه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابى صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت النار فى الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فى ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة انما أنت رحمتى ارحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد رواه الامام احمد من طريق اخرى عن ابى سعيد رضي الله عنه بابسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه ان رسول الله صلى

الحرب فتكفر وكان الكفار يزوجون المسلمات والمسلمون يزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية وهذه خاصة بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب وقيل عامة في جميع الكوافر مخصصة باخراج الكتابيات منها وقد ذهب جمهور أهل العلم الى انه اذا أسلم وثنى أو كتابى لا يفرق بينهما الا بعد انقضاء العدة وقال بعض أهل العلم يفرق بينهما بمجرد اسلام الزوج وهذا انما هو اذا كانت المرأة مدخولا بها وأما اذا كانت غير مدخول بها فلا خلاف بين أهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالاسلام اذ لا عدة عليها عن ابن عباس قال أسلم عمر بن الخطاب وتأخرت امرأته في المشركين فانزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر (واسألوا ما أنفقتم) أى اطلبوا مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدة الى الكفار من أهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاءت امرأة من الكفار الى المسلمين وأسلمت ردوا مهرها على زوجها الكافر قال الخطيب وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين وأطال سليمان الجمل في بيان ذلك (ذلكم) المذكور من ارجاع المهور من الجهتين (حكم الله) وقوله (يحكم بينكم) مستأنفة أو حالية (والله عليم حكيم) أى بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله قال القرطبي وكان هذا مخصوصا بذلك الزمان في تلك

الله عليه وسلم قال افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب تدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والاشراف وقالت الجنة أى رب تدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء وقال للجنة انت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى فى النار أهلها فتقول هل من مزيد قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قدنى قدنى وأما الجنة فيبقى فيها ماشاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا مايشاء حديث آخر وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرفنى الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عنى ثم أمدحه مدحة يرضى بها عنى ثم يؤذن لى فى الكلام ثم تمر أمتى على الصراط مضروب بين ظهرانى جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهى الاعمال وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض قيل وما الحوض يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم (٣٠٢) والذى نفسى بيده ان شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لايشرب منه انسان فيظمأ أبدا ولا يصرف فيروى أبدا وهذا القول هو اختيار ابن جرير وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى الحمانى عن نصر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قال ماامتلأت قال تقول وهل فىّ من مكان يزاد فىّ وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة وتقول هل من مزيد وهل فىّ مدخل واحد قد امتلأت قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبى مريم انه سمع مجاهدا يقول لايزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل فىّ من مزيد وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا فعند هؤلاء ان قوله تعالى هل امتلأت انما هو بعد مايضع عليها قدمه فتنزوى وتقول حينئذ هل بقى فىّ مزيد يسع شيأ قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وذلك حين لايبقى فيها موضع يسع ابرة والله أعلم وقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال قتادة وأبو مالك والسدى وأزلفت أدنيت وقربت من المتقين غير بعيد وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لانه واقع لامحالة وكل ماهو آت قريب هذا ماتوعدون لكل أواب أى رجاع تائب مقلع حفيظ اى يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه وقال عبيد بن عمير الأواب الحفيظ الذى لايجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل من خشى الرحمن بالغيب اى من خاف الله فى سره حيث لايراه احد الا الله عز وجل كقوله صلى الله عليه وسلم ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وجاء بقلب منيب اى ولقى الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه ادخلوها اى الجنة بسلام قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله وقوله سبحانه وتعالى ذلك يوم الخلود أى يخلدون فى الجنة فلا يموتون ابدا ولا يظعنون ابدا ولا يبغون عنها حولا وقوله جلت عظمته لهم مايشاؤن فيها اى مهما اختاروا وجدوا من أى أصناف الملاذ طلبوا

النازلة خاصة باجماع المسلمين ولما نزلت الآية المتقدمة قال المسلمون رضينا بحكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله (وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) مما دفعتم اليهم من مهور النساء المسلمات وقيل المعنى وان انفلت منكم أحد من نسائكم الى الكفار فارتدت المسلمة واليه نحا الزمخشرى (فعاقبتم) أى فاصبتموهم فى القتال بعقوبة قال الواحدى قال المفسرون أى فغنمتم قال الزجاج تأويله وكانت العقبى لكم أى كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا) من مهر المهاجرة التى تزوجوها ولا تؤتوه زوجها الكافر سواء كانت الردة قبل الدخول أو بعده فكان الحكم انه يجب للزوج من الغنيمة جميع المهر قال قتادة ومجاهد انما أمروا ان يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا من الفىء والغنيمة وهذه الآية منسوخة قد انقطع حكمها وارتفع بعد الفتح بشقيه فلا يجب دفع مهر من جاءت مسلمة للكفار ولا مهر من ارتدت لزوجها وبه قال عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ماأنفقوا وحاصل معناها ان من أزواجكم يجوز ان يتعلق بفاتكم أى من جهة أزواجكم ويراد بالشئ المهر الذى غرمه الزوج لان التفسير ورد ان الرجل المسلم اذا فرت زوجته الى الكفار أمر الله المؤمنين ان يعطوا ماغرمه وفعله النبى صلى الله عليه وسلم مع جمع من الصحابة المذكورين فى التفاسير ويجوز ان

يتعلق

أحضر لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير ابن مرة قال من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فأمطره عليكم فلا يدعون بشئ الا أمطرتهم قال كثير لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن امطرينا جواري مزينات وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا وقال الامام احمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني ابي عن عامر الاحول عن ابي الصديق رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة ورواه الترمذي وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد كما اشتهى وقوله تعالى ولدينا مزيد كقوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي انها النظر الى وجه الله الكريم وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير ابي اليقظان عن انس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل ولدينا مزيد قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة وقد رواه الامام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا فقال (٣٠٣) في مسنده أخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل وما يوم المزيد قال عليه السلام ان ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ماشاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ماتمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة هكذا أورده الامام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الام وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بابسط من هذا وذكر ههنا أثرا مطولا عن أنس ابن مالك رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل ان يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضئ ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره

يتعلق بمحذوف على انه صفة لشئ ثم يجوز في شئ أن يراد به المهر ولكن لابد على هذا من مضاف محذوف أي من مهر أزواجكم ليتطابق الموصوف وصفته ويجوز ان يراد بشئ النساء أي نوع وصنف منهن وهو ظاهر قوله من أزواجكم وقوله فآتوا الذين ذهبت أزواجهم والمعنى انهم يعطون من ذهبت زوجته الى المشركين فكفرت ولم يرد عليه المشركون مهرها كما حكم الله مثل ذلك المهر الذي أنفقه عليها من الغنيمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) أي احذروا ان تتعرضوا لشئ مما يوجب العقوبة عليكم فان الايمان الذي أنتم متصفون به يوجب على صاحبه ذلك (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أي قاصدات لمبايعتك على الاسلام أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية الى قوله غفور رحيم فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما والله ما مست يده يد امرأة قط من المبايعات ما بايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك وظاهر هذا التركيب ان النساء طلبن المبايعة مع ان المقرر في السير انه صلى الله عليه وسلم ابتدأهن بالمبايعة شارطا عليهن الشروط الآتية وبعد ان بايعهن التزمنها ويمكن على بعد أن يقال التقدير في الآية اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن (على ان لا يشركن بالله شيأ) من الاشياء كائنا ما كان وهذا كان يوم فتح مكة فان نساء أهل

حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج به (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) يقول تعالى وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين من قرن هم أشد منهم بطشا أى كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا فنقبوا فى البلاد هل من محيص قال ابن عباس رضى الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد فنقبوا فى البلاد ضربوا فى الارض وقال قتادة فساروا فى البلاد أى ساروا فيها يبتغون الارزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم بها ويقال لمن طوف فى البلاد نقب فيها قال امرؤ القيس لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب وقوله تعالى هل من محيص أى هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله اذ جاءهم لما كذبوا الرسل فانتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص وقوله (٣٠٤) عز وجل ان فى ذلك لذكرى أى لعبرة لمن كان له قلب أى لب يعى به وقال مجاهد عقل أو ألقى السمع وهو شهيد أى استمع الكلام فوعاه وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه وقال مجاهد أو ألقى السمع يعنى لا يحدث نفسه فى هذا بقلب وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه اذا استمع باذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثورى وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فيه تقرير المعاد لان من قدر على خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن قادر على ان يحيى الموتى بطريق الاولى والاحرى وقال قتادة قالت اليهود عليهم لعائن الله خلق الله السموات والارض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه وما مسنا من لغوب أى من اعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى فى الآية الاخرى أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير وكما قال عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها وقوله عز وجل فاصبر على ما يقولون يعنى المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس فى وقت الفجر وقبل الغروب فى وقت العصر وقيام الليل كان واجبا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أمته حولا ثم نسخ فى حق الامة وجوبه ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الاسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسمعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال أما انكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح

مكة أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه فامره الله تعالى ان يأخذ عليهن ان لا يشركن به (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) هو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات أى دفنهن أحياء لخوف العار والفقر (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) أى لا يلحقن بازواجهن ولدا ليس منهم قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها وليس المراد هنا انها تنسب ولدها من الزنا الى زوجها لان ذلك قد دخل تحت النهى عن الزنا قال ابن عباس كانت الحرة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاما وعنه قال فى الآية لا يلحقن بازواجهن غير أولادهم (ولا يعصينك فى معروف) أى فى كل أمر هو طاعة لله واحسان الى الناس وكل ما أمر به الشرع ونهى عنه والمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع قال عطاء فى كل بر وتقوى قال ابن عباس انما هو شرط شرطه الله النساء وقال المقاتلان عنى بالمعروف النهى على النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب وخمش الوجوه والدعاء بالويل وكذا قال قتادة وسعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن أسلم ومعنى القرآن أوسع مما قالوه مع دخول النوح فيه قيل ووجه التقييد بالمعروف مع كونه صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به التنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى

واس

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث اسماعيل به وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اى فصل له كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وادبار السجود قال ابن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسبيح بعد الصلاة ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء فقراء المهاجرين فقالوا يارسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما ذاك قالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال صلى الله عليه وسلم أفلا اعلمكم شيأ اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون احد أفضل منكم الا من فعل مثل ما فعلتم تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال فقالوا يارسول الله سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والقول الثانى ان المراد بقوله تعالى وادبار السجود هما الركعتان بعد المغرب روى ذلك عن عمر وعلى وابنه الحسن وابن عباس وأبى هريرة وابى امامة رضى الله عنهم وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبى والنخعى والحسن وقتادة وغيرهم قال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن ابى اسحق عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله (٣٠٥) عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على اثر كل صلاة مكتوبة ركعتين الا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان الثورى به زاد النسائى ومطرف عن أبى اسحق به وقال ابن أبى حاتم حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر ادبار النجوم وركعتين بعد المغرب ادبار السجود ورواه الترمذى

عن هشام الرفاعى عن محمد بن فضيل به وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضى الله عنهما وانه بات فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ثابت فى الصحيحين وغيرهما فأما هذه الزيادة فغريبة لاتعرف الا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم (واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) يقول تعالى واستمع يا محمد يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال قتادة قال كعب الاحبار يأمر الله تعالى ملكا ان ينادى على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء يوم يسمعون الصيحة بالحق يعنى النفخة فى الصور التى تأتى بالحق الذى كان أكثرهم فيه يمترون ذلك يوم الخروج أى من الاجداث انا نحن نحيى ونميت والينا المصير أى هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واليه مصير الخلائق كلهم فيجازى كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا وذلك ان الله عز وجل ينزل مطرا من السماء ينبت به اجساد الخلائق

وابن ماجه عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا ما فى القرآن ان لانشرك بالله شيأ حتى بلغ ولا يعصينك فى معروف فقال فيما استطعتن وأطقتن فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا يارسول الله ألا تصافحنا قال انى لا أصافح النساء انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة وفى الباب أحاديث وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال بايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ آية النساء فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وغيرهم عن أم سلمة الانصارية قالت قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف الذى لاينبغى لنا ان نعصيك فيه قال لاتنحن قلت يارسول الله ان بنى فلان أسعدونى على عمى لابد لى من قضائهن فأبى على فعاودته مرارا فأذن لى بقضائهن فلم أنح بعد ولم يبق من النسوة امرأة الا وقد ناحت غيرى وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لانشرك بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت يارسول الله ان فلانة أسعدتنى وأنا أريد ان أجزيها فلم يقل لها شيأ فذهبت ثم رجعت فقالت ما وفت منا امرأة الا أم سليم وأم العلاء وبنت أبى سبرة امرأة

كلها فى قبورها كما ينبت الحب فى الثرى بالماء فاذا تكاملت الاجساد أمر الله تعالى اسرافيل فينفخ فى الصور وقد أودعت الارواح فى ثقب فى الصور فاذا نفخ اسرافيل فيه خرجت الارواح تتوهج بين السماء والارض فيقول الله عزوجل وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى الجسد الذى كانت تعمره فترجع كل روح الى جسدها فتدب فيه كما يدب السم فى اللديغ وتنشق الارض عنهم فيقومون الى موقف الحساب سراعا مبادرين الى أمر الله عزوجل مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر وقال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وقوله عزوجل ذلك حشر علينا يسير أى تلك اعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال سبحانه وتعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير وقوله جل وعلا نحن أعلم بما يقولون أى نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقوله تبارك وتعالى وما أنت عليهم بجبار أى ولست بالذى تجبر هؤلاء على (٣٠٦) الهدى وليس ذلك مما كلفت به وقال مجاهد وقتادة والضحاك وما أنت عليهم بجبار أى لا تتجبر عليهم والقول الاول اولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جبارا عليهم وانما قال وما أنت عليهم بجبار بمعنى وما أنت بجبرهم على الايمان انما أنت مبلغ قال الفراء سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عزوجل فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى بلغ أنت رسالة ربك فانما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله جل جلاله فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ولهذا قال تعالى ههنا وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك يا بار يا رحيم آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الذاريات وهى مكية)

*(بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون) قال شعبة بن الحجاج عن سماك عن خالد بن عرعرة انه سمع عليا رضى الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل أنه سمع عليا رضى الله عنه وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انه صعد منبر الكوفة فقال لا تسألونى عن آية فى كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبأتكم بذلك فقام اليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى والذاريات ذروا قال رضى الله عنه الريح قال فالحاملات وقرا قال رضى الله عنه السحاب قال فالجاريات يسرا قال رضى الله عنه السفن قال فالمقسمات أمرا قال رضى الله عنه الملائكة وقد روى فى ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر

معاذا وبنت أبى سبرة وامرأة معاذ وقد وردت احاديث كثيرة فى النهى عن النوح (فبايعهن) هذا جواب اذا والمعنى اذا بايعنك على هذه الامور فبايعهن أى التزم لهن ما وعدناهن على ذلك من اعطاء الثواب فى مقابلة ما ألزمن أنفسهن به من الطاعات فهو بيع لغوى والبيع فى اللغة مقابلة شئ بشئ على وجه العوضية وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر ذكر الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فى صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهى فى الدين ولم يذكر فى بيعتهن اركان الامر وهى ستة أيضا الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة لوضوح كون هذه الامور ونحوها من اركان الدين وشعائر الاسلام ولان النهى دائم فى كل الازمان وكل الاحوال فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد وقيل انما خص الامور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء ولا يحجزهن عنها شرف النسب قال ابن الجوزى وجملة من أحصى من المبايعات اذ ذاك أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام بهذه الآية انتهى وعن أسماء بنت يزيد بن السكن انها قالت كنت فى النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال انى لا اصافح النساء ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن رواه البخارى وقيل صافحهن بحائل اى ثوب وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا

بسدح

البزار حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فأخبرني عن المقسمات أمرا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فأخبرني عن الجاريات يسرا قال رضي الله عنه هي السفن ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه فحلف بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيأ فكتب في ذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب عمر ما اخاله الا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه انه موقوف على عمر رضي الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه وانما ضربه لانه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا والله أعلم وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه (٣٠٧) القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك وقد قيل ان المراد بالذاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقرا السحاب كما تقدم لانها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت نفسي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم انها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الادنى الى الاعلى الى ماهو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل باوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى انما توعدون لصادق أي لخبر صدق وان الدين وهو الحساب لواقع أي لكائن لا محالة ثم قال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد الماء والرمل والزرع اذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحبك قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ورائكم الكذاب المضل وان رأسه من ورائه حبكا حبكا يعني بالحبك الجعودة وعن أبي صالح ذات الحبك الشدة وقال خصيف ذات الحبك ذات الصفاقة وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحبك حبكت بالنجوم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والسماء ذات الحبك يعني السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله أعلم وكل هذه الاقوال ترجع الى شئ واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء

بقدح من ماء ثم غمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه والاول أولى وأصح وهذا هو البيعة الثابتة بالسنة في دين الاسلام والتي احدثها الصوفية والمشايخ وجهلة المتصوفة فلا تثبت بدليل شرعي ولا اعتداد بها بل هي مصادمة لما ثبت بالكتاب والسنة كما ترى (واستغفر لهن الله) أي اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك مما سلف ومما يقع منهن (ان الله غفور رحيم) أي بليغ المغفرة بتمحيق ما سلف وكثير الرحمة لعباده بتوفيق ما تستأنف (يا أيها الذين آمنوا) لما افتتح السورة بالنهي على اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيد العدم موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عنها قاله أبو حيان وهذا على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) هم جميع طوائف الكفر وقيل اليهود خاصة وقيل المنافقون خاصة وقال الحسن اليهود والنصارى والاول أولى لان جميع طوائف الكفر تتصف بان الله سبحانه غضب عليها قال ابن عباس في الآية كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحرث يوادان رجالا من اليهود فانزل الله هذه الآية (قد يئسوا من الآخرة) يرد على هذا انهم طامعون في ثواب الآخرة لانهم يعتقدون انهم على حق وان تمسكهم بشريعة موسى ينفعهم فلا يكونوا آيسين ويمكن ان يقال المراد باليأس الحرمان أي قد حرموا من ثواب الآخرة ومن لابتداء الغاية أي انهم لا يوقنون بالآخرة البتة بسبب كفرهم قال ابن مسعود أي لا يؤمنون بها ولا يرجونها (كما يئس

متسعة الارجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات وقوله تعالى انكم لفي قول مختلف أي انكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع وقال قتادة انكم لفي قول مختلف ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به يؤفك عنه من أفك أي انما يروج على من هو ضال في نفسه لانه قول باطل انما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غمر لا فهم له كما قال تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي يؤفك عنه من أفك يضل عنه من ضل وقال مجاهد يؤفك عنه من أفك يؤفن عنه من أفن وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به وقوله تعالى قتل الخراصون قال مجاهد الكذابون قال وهي مثل التي في عبس قتل الانسان ما أكفره والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قتل الخراصون أي لعن المرتابون وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبه هلك المرتابون وقال قتادة الخراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى الذين هم في غمرة ساهون قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد الكفر والشك غافلون لاهون يسألون أيان يوم الدين (٣٠٨) وانما يقولون هذا تكذيبا وعنادا وشكا واستبعادا قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون كما يفتن الذهب على النار وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وابراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون يحرقون ذوقوا فتنتكم قال مجاهد حريقكم وقال غيره عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) يقول تعالى مخبرا عن المتقين لله عز وجل انهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والاغلال وقوله تعالى آخذين ما آتاهم ربهم قال ابن جرير أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الاعمال أيضا ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى آخذين ما آتاهم ربهم قال من الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين قبل الفرائض يعملون وهذا الاسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لان قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك أي في الدار الدنيا محسنين كقوله جل جلاله كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية ثم انه تعالى بين احسانهم في العمل فقال جل وعلا

•(بسم

الكفار من أصحاب القبور) أي كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث وقيل كما يئس الكفار الذين قد ماتوا منهم من خير الآخرة لانهم قد وقفوا على الحقيقة وعلموا انه لا نصيب لهم في الآخرة فيكون من على الوجه الاول ابتدائية وعلى الثاني بيانية والاول أولى وقيل تبعيضية أي حال كونهم بعض أصحاب القبور اذ المقبورون فيهم المؤمن والكافر قال ابن مسعود كما يئس الكافر اذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وقال ابن عباس هم الكفار أصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة وعنه قال من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله تعالى

(سورة الصف هي أربع عشرة آية وهي مدنية)

وهو المختار ونسب الى الجمهور وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس أيضا نزلت بمكة ولعل هذا لا يصح عنه وبه قال عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشري ويؤيد كونها مدنية ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الاعمال أحب الى الله فلم يقم أحد منا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها وأخرجه ابن أبي حاتم وقال في آخره فنزلت فيهم هذه السورة وأخرجه أيضا الترمذي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في الشعب والسنن

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اختلف المفسرون فى ذلك على قولين أحدهما ان ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تكن تمضى عليهم ليلة الا يأخذون منها ولو شيأ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة لا تأتى عليهم الا يصلون فيها لله عز وجل اما من أولها واما من أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك رضى الله عنه وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وقال أبو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة والقول الثانى ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم واختاره ابن جرير وقال الحسن البصرى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل الا أقله ونشطوا فمدوا الى السحر حتى كان الاستغفار بسحر وقال قتادة قال الاحنف بن قيس كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كانوا لا ينامون الا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية وقال الحسن البصرى كان الاحنف بن قيس يقول عرضت عملى على عمل أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا اذا قوم لا نبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت عملى على عمل أهل النار فاذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رجل من بنى تميم لابى يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبى رضى الله عنه طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذا استيقظ وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت ان وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا الارحام وأفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى يحيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لمن هى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائما والناس نيام وقال معمر فى قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كان الزهرى والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضى الله عنهما وابراهيم النخعى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما ينامون وقال الضحاك انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون وهذا القول فيه بعد وتعسف وقوله عز وجل وبالاسحارهم يستغفرون قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار الى الاسحار كما قال تبارك وتعالى والمستغفرين بالاسحار فان كان الاستغفار فى صلاة فهو أحسن وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فيعطى سؤله حتى يطلع الفجر وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى اخبارا عن يعقوب انه قال لبنيه سوف أستغفر لكم ربى قالوا أخرهم الى وقت السحر وقوله تعالى وفى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) قد تقدم الكلام على هذا ووجه التعبير فى بعض السور بلفظ الماضى كهذه السورة وفى بعضها بالمضارع وفى بعضها بلفظ الامر الارشاد الى مشروعية التسبيح فى كل الاوقات ماضيها ومستقبلها وحالها وقد قدمنا ذلك وهذا فى أول سورة الحديد وأعاد الموصول هنا وفى الحشر والجمعة والتغابن جريا على الاصل وأسقطه فى الحديد موافقة لقوله فيها له ملك السموات والارض وقوله هو الذى خلق السموات والارض ولم يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما فيكون أكثر مبالغة لان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها او بالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يغالب (الحكيم) فى أفعاله وأقواله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ على جهة الانكار أى لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية وحذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالها كما فى نظائرها قال النسفى وهى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما وحرف الجر كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا فى كلام المستفهم محذوفة الالف وقد جاء استعمال الاصل قليلا كقول الشاعر

أموالهم حق للسائل والمحروم لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال وفي أموالهم حق أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارب الذي ليس له في الاسلام سهم يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذي لا يكون له مال الا ذهب قضى الله له تعالى ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذي لا يسأل الناس شيأ (٢١٠) قال الزهري وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له وقال محمد بن اسحق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقال الشعبي أعياني ان أعلم ما المحروم واختار ابن جرير ان المحروم الذي لا مال له باي سبب كان وقد ذهب ماله سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وهذا يقتضي ان هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والانهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج اليه فيه ولهذا قال عز وجل وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال قتادة من تفكر في خلق نفسه عرف انه انما خلق ولينت مفاصله للعبادة ثم قال تعالى وفي السماء رزقكم يعني المطر وما توعدون يعني الجنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثوري قرأ واصل الاحدب هذه الآية وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال ألا أرى رزقي في السماء وانا أطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيأ فلما أن كان في اليوم الثالث اذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن منه نية فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت وقوله تعالى فورب السماء والارض انه

على ما قام يشتمني جرير عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله أخبرنا باحب الاعمال فنعمل به فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان أحب الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد أهل معصية الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله لم تقولون ما لا تفعلون قال النخعي ثلاث آيات في كتاب الله منعتني ان أقضي على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وهذه الآية ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) أي عظم ذلك في المقت وهو أشد البغض والمقت والمقاية مصدران يقال مقيت ومقوت اذا لم يحبه الناس قال الكسائي ان تقولوا في موضع رفع لان كبر فعل بمعنى بئس ومقتا منتصب على التمييز وعلى هذا فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل انه قصد بقوله كبر التعجب وقد عده ابن عصفور من أفعال التعجب المبوب لها في النحو واليه نحا الزمخشري وقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله قال السمين وهذه قاعدة مطردة وهي ان كل فعل يجوز التعجب منه يجوز أن يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام وقيل انه ليس من أفعال الذم ولا من أفعال التعجب بل

لحق مثل ما انكم تنطقون يقسم تعالى بنفسه الكريمة ان ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لامحالة وهو حق لامرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون وكان معاذ رضي الله عنه اذا حدث بالشئ يقول لصاحبه ان هذا الحق كما انك ههنا قال مسدد عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن البصري قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

(هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم) هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضا فقوله هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين أي الذين أرصد لهم الكرامة وقد ذهب الامام أحمد وطائفة من العلماء الى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل وقوله تعالى قالوا سلاما قال سلام الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها (٣١١) فالخليل اختار الافضل وقوله تعالى قوم منكرون وذلك ان الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال قوم منكرون وقوله عزوجل فراغ الى أهله أي انسل خفية في سرعة فجاء بعجل سمين أي من خيار ماله وفي الآية الاخرى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ أي مشوى على الرضف فقربه اليهم أي أدناه منهم فقال ألا تأكلون تلطف في العبارة وعرض حسن وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه اليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال ألا تأكلون على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم ان رأيت ان تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل وقوله تعالى فأوجس منهم خيفة هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الاخرى وهي قوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا وبشروه بغلام عليم فالبشارة له هي بشارة لها لان الولد منهما فكل منهما بشر به وقوله تعالى فأقبلت امرأته في صرة أي في صرخة عظيمة ورنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدى وهي قولها ياويلتا فصكت وجهها أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الامر الغريب وقالت عجوز عقيم أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم أي

هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول عن الفاعل قال ابن عباس هذه الآية في القتال وحده وهم قوم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الرجل قاتلت وضربت بسيفي ولم يفعل فنزلت (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال المفسرون ان المؤمنين قالوا وددنا ان الله يخبرنا باحب الاعمال اليه حتى نعمله ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله هذه الآية وانتصاب صفا على المصدرية والمفعول محذوف أي يصفون أنفسهم صفا وقيل هو مصدر في موضع الحال أي صافين أو مصفوفين قرأ الجمهور يقاتلون على البناء للفاعل وقرأ زيد بن علي على البناء للمفعول وقرئ يقتلون بالتشديد وجملة (كأنهم بنيان مرصوص) في محل نصب على الحال من فاعل يقاتلون أو من الضمير في صفا على تقدير انه مؤول بصافين أو مصفوفين ومعنى مرصوص ملتزق بعضه ببعض يقال رصصت البناء أرصه رصا اذا ضممت بعضه الى بعض وقال الفراء مرصوص بالرصاص قال المبرد هو مأخوذ من رصصت البناء اذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من الرصيص وهو ضم الاشياء بعضها الى بعض والتراص التلاصق وقيل المتلائم الاجزاء المستويها وقال ابن عباس في الآية مثبت لا يزول ملصق بعضه على بعض وقيل أريد استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض والاول أولى ولما ذكر تعالى الجهاد المشتمل على

عليم بما تستحقونه من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) قال الله تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وقال ههنا قال فما خطبكم أيها المرسلون أي ماشأنكم وفيم جئتم قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة أي معلمة عند ربك للمسرفين أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقال تعالى ههنا فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين وهم لوط وأهل بيته الا امرأته فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين احتج بهذه من ذهب الى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الايمان والاسلام لانه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لان هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعندنا ان كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال وقوله تعالى وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ففي ذلك عبرة للمؤمنين الذين يخافون العذاب الاليم (وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين) يقول تعالى وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين أي بدليل باهر وحجة قاطعة فتولى بركنه أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكبارا وعنادا وقال مجاهد تعزز بأصحابه وقال قتادة غلب عدو الله على قومه وقال ابن زيد فتولى بركنه أي بجموعه التي معه ثم قرأ لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد والمعنى الاول قوي كقوله تعالى ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله أي معرض عن الحق مستكبر وقال ساحر أو مجنون أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرا أو مجنونا قال الله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم أي ألقيناهم في اليم وهو البحر وهو مليم أي وهو ملوم كافر فاجر معاند ثم قال عز وجل وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم أي المفسدة التي لا تنتج شيئا قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى ما تذر من شيء أتت عليه أي مما تفسده الريح الا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب حدثني عبد الله يعني ابن عياش القتباني حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح مسخرة من الثانية يعني من الارض الثانية فلما أراد الله تعالى ان يهلك عادا أمر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا تهلك

المشاق وانه يحب المقاتلين في سبيله ذكر قصتي موسى وعيسى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه وبين انهما أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وجعل العقاب لمن خالفهما مبتدئا بقصة موسى لتقدمه في الزمان فقال (واذ قال موسى لقومه) أي اذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين وقت قول موسى ويجوز أن يكون وجه ذكر قصة موسى وعيسى بعد محبة المجاهدين في سبيل الله التحذير لامة محمد صلى الله عليه وسلم أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معهما (يا قوم لم تؤذونني) هذا مقول القول أي لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم أو بالشتم والانتقاص ومن ذلك رميه بالادرة وقد تقدم بيان هذا في سورة الاحزاب وجملة (وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) في محل نصب على الحال وقد لتحقق العلم أو لتأكيده لا للتقريب ولا للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى كيف تؤذونني مع علمكم بذلك والرسول يحترم ويعظم ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي وتفيدكم العلم بها علما يقينيا (فلما زاغوا) عن الايمان وأصروا على الزيغ واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) عن الهدى وصرفها عن قبول الحق وقيل صرفها عن الثواب قال مقاتل لما عدلوا عن الحق أي بايذائهم أمال الله قلوبهم عنه جزاء بما ارتكبوا أو المعنى لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ

عاداً قال أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك وتعالى لا اذاً تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله عز وجل في كتابه ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم هذا الحديث رفعه منكر والاقرب ان يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم قالوا هي الجنوب وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين قال ابن جرير يعني الى وقت فناء آجالكم والظاهر ان هذه كقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وهكذا قال ههنا وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون وذلك انهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار فما استطاعوا من قيام أي من هرب ولا نهوض وما كانوا منتصرين أي ولا يقدرون على ان ينتصروا مما هم فيه وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء انهم كانوا قوماً فاسقين وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في اماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر اني لكم منه نذير مبين) يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي والسماء بنيناها أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً بايد أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد وانا لموسعون أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي والارض فرشناها أي جعلناها فراشاً للمخلوقات فنعم

الماهدون أي وجعلناها مهداً لاهلها ومن كل شيء خلقنا زوجين أي جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وايمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى لعلكم تذكرون أي لتعلموا ان الخالق واحد لا شريك له ففروا الى الله أي الجئوا اليه واعتمدوا في أموركم عليه اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر اي ولا تشركوا به شيأ اني لكم منه نذير مبين (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يقول تعالى مسلياً لنبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال هؤلاء المشركون قال المكذبون الاولون لرسلهم كذلك ما أتى الذين من قبلهم من

الزيغ أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها قال الزجاج لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق والمعنى انه لا يهدي كل متصف بالفسق وهؤلاء من جملتهم (١) وان من أسلم منهم لم يكن كافراً في علمه أي محتوماً عليه بالكفر بحيث يموت عليه (واذ قال عيسى بن مريم) معطوف على واذ قال موسى معمول لعامله أو معمول لعامل مقدر معطوف على عامل الظرف الاول (يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب ولا أب له فيهم فيكونوا قومه وأمه مريم من أشرفهم نسباً (اني رسول الله اليكم) أي أرسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة حال كوني (مصدقاً لما بين يدي من التوراة) لاني لم آتكم بشيء يخالف التوراة بل هي مشتملة على التبشير بي فكيف تنفرون عني وتخالفونني وذكر أشهر الكتب الذي حكم به النبيون وأشهر الرسل الذي هو خاتم المرسلين (ومبشراً برسول يأتي من بعدي) واذا كنت كذلك في التصديق والتبشير فلا مقتضى لتكذيبي وقرئ بعدي بفتح الياء واسكانها (اسمه أحمد) هو نبينا صلى الله عليه وسلم وهو علم منقول من الصفة وهي تحتمل ان تكون مبالغة من الفاعل فيكون معناها انه أكثر حمداً من غيره أو من المفعول فيكون معناها انه يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر

(١) هذا جواب عما يقال انه تعالى هدى كثيراً من الكافرين بان وفقهم للاسلام فكيف قال لا يهدي فأجاب المؤلف العلامة مد ظله العالي وان من أسلم الخ سيد ذو الفقار أحمد

رسول الا قالوا ساحر أو مجنون قال الله عز وجل أتواصوا به أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة بل هم قوم طاغون أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى فتول عنهم أي فأعرض عنهم يا محمد فما أنت بملوم يعني فما نلومك على ذلك وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين أي انما تنتفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي انما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي اليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الا ليعبدون أي الا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج الا ليعرفون وقال الربيع بن أنس الا ليعبدون أي الا للعبادة وقال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك المراد بذلك المؤمنون وقوله تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أنا الرزاق ذو القوة المتين ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث اسرائيل وقال الترمذي حسن صحيح ومعنى الآية انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب وأخبر انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران يعني ابن زائدة بن نشيط عن أبيه عن أبي خالد هو الوالبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قال الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك والا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي حسن غريب وقد روى الامام أحمد عن وكيع وأبي معاوية عن الاعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبني بناء وقال أبو معاوية يصلح شيأ فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه وقد ورد في بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وأنا أحب اليك من كل شيء وقوله تعالى فان للذين ظلموا ذنوبا أي نصيبا من العذاب مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون أي فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لا محالة فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة آخر تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطور وهي مكية)

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اشتكي فقال طوفي من وراء

مما يحمد غيره وبالاعتبار الاول قدم عيسى هذا الاسم على اسم محمد لان كونه حامدا الله سابق على حمد الخلق له لانهم لم يحمدوه الا بعد وجوده في الخارج وحمده لربه كان قبل حمد الناس له وقال الكرخي انه انما خصه بالذكر لانه في الانجيل مسمى بهذا الاسم ولانه في السماء أحمد فذكر باسمه السماوي لانه أحمد الناس لربه لان حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته سابق على حمدهم له تعالى أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وفي بعض حواشي البيضاوي ان له أربعة آلاف اسم وان نحو سبعين منها من أسمائه تعالى انتهى والحق ان أسماء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم توقيفية لا يزاد عليها ولا يدعى ولا يسمى بغيرها وفي الخازن تحت هذه الآية عن أبي موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه ان يأتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد ان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لاتيته حتى احمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال أبو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر أخرجه الترمذي

الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

*(بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة ان عذابه واقع بأعدائه وانه لا دافع له عنهم فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وارسل منه عيسى ومالم يكن فيه شجر لا يسمى طورا انما يقال له جبل وكتاب مسطور قيل هو اللوح المحفوظ وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارا ولهذا قال في رق منشور والبيت المعمور ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع بي الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الارض بكعبتهم كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل (٣١٥) السماء السابعة ولهذا وجد ابراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور لانه باني الكعبة الارضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون اليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا الوليد حدثنا روح ابن جناح عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم يؤمر ان يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه الى ان تقوم الساعة هذا حديث غريب جدا تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الاموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قال لعلي ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الصراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون فيه أبدا وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك وعندهما ان ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن ابن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الصراح يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بمثله وقال العوفي عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش

الترمذي وعن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى يا رسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم يأتي بعدكم أمة حكماء علماء ابرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل انتهى ومثله في الخطيب وقال مكان قوله يأتي بعدكم أمة لفظ أمة أحمد وقال روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اسمي في التوراة أحيد لاني أحيد أمتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل أحمد وفي القرآن محمد لاني محمود في أهل السماء والارض انتهى ولينظر في سند هذا الحديث قال القرطبي واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته انتهى وذكره عيسى عليه السلام وقال اسمه أحمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة محمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل انتهى من الخطيب *(تنبيه)* قد راجعنا من التفاسير الموجودة عندنا الآن جلها كتفسير أبي السعود والمدارك للنسفي والبيضاوي وحاشيته من الخفاجي والجلالين وحاشية سليمان الجمل عليه والخطيب والخازن وأمثال ذلك في هذا المقام تحت هذه الآية فلم نجد أحدا من هؤلاء الاعلام ذكر هذه الاشارة نقلا عن الانجيل ولعل السبب في ذلك عدم رجوعهم الى الكتب العتيقة والجديدة وتراجمها

تعمره الملائكة يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف وقال قتادة والربيع بن أنس والسدى ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه هل تدرون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم قال فانه مسجد فى السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم وزعم الضحاك انه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس فالله أعلم وقوله تعالى والسقف المرفوع قال سفيان الثورى وشعبة وأبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة عن على والسقف المرفوع يعنى السماء قال سفيان ثم تلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وكذا قال مجاهد وقتادة والسدى وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير وقال الربيع ابن أنس هو العرش يعنى انه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور وقوله تعالى والبحر المسجور قال الربيع بن أنس هو الماء الذى تحت العرش الذى ينزل الله منه المطر الذى تحيا به الاجساد فى قبورها يوم معادها وقال الجمهور هو هذا البحر واختلف فى معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد انه يوقد يوم القيامة نارا كقوله واذا البحار سجرت أى أضرمت فتصير نارا تتاجج محيطة باهل الموقف ورواه سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب وروى عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله ابن عبيد بن عمير وغيرهم وقال العلاء بن بدر انما سمى البحر المسجور لانه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة كذا رواه عنه ابن أبى حاتم وعن سعيد بن جبير والبحر المسجور يعنى المرسل وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بانه ليس موقدا اليوم فهو مملوء وقيل المراد به الفارغ قال الاصمعى عن أبى عمرو ابن العلاء عن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى والبحر المسجور قال الفارغ خرجت أمة تستسقى فرجعت فقالت ان الحوض مسجور يعنى فارغا رواه ابن مردويه فى مسانيد الشعراء وقيل المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الارض لئلا يغمرها فيغرق أهلها قاله على بن أبى طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدى وغيره وعليه يدل الحديث الذى رواه الامام أحمد رحمه الله فى مسنده فانه قال حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثنى شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى ان ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلى حدثنا الحسن بن سفيان عن اسحق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هرون عن العوام بن حوشب حدثنى شيخ مرابط قال خرجت ليلة لحرسى لم يخرج أحد من الحرس غيرى فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل الى ان البحر يشرف يحاذى برؤس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ليلة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل فيه رجل مبهم لم يسم وقوله تعالى ان عذاب ربك لواقع هذا هو المقسم عليه أى واقع بالكافرين كما قال فى الآية الاخرى ماله من دافع أى ليس له دافع يدفعه عنهم اذا أراد الله بهم ذلك قال الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا أبى حدثنا

بالالسنة المختلفة أو عدم وجودها فى تلك الازمنة أو لعدم الاعتماد عليها لما تطرق من التحريف اليها ولكنا أحببنا أن نذكر فى هذا المقام من النصوص الانجيلية وغيرها بعضا من الادلة الدالة على بشارة عيسى عليه السلام باتيان رسول من بعده اسمه أحمد فان من من الله سبحانه على عباده المؤمنين ومن تمام حجته على أهل الكتاب ان الاخبارات والامثلة والبشارات الواردة فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناصة على ثبوت نبوته العامة ورسالته الشاملة للخليقة كلها توجد كثيرا فى تلك الكتب الى هذا الآن مع ما وقع فيها من التحريفات اللفظية والمعنوية كما نطق به الاحاديث والقرآن ومن عرف طريق أخبار النبى المتقدم عن النبى المتأخر ونظر بعين الانصاف الى هذه البشارات وقابلها بالاخبارات التى نقلتها النصارى فى عيسى بن مريم عليهما السلام جزم بان هذه الاخبارات عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى غاية من القوة ونهاية من الصحة والشهرة والقبول وهذه جملة صالحة منها نذكرها هنا ونتكلم عليها بما يكشف عن حالها والدلالة منها على هذا المقصود فاقول وبالله أجول وأصول فمن تلك البشارات ما فى الباب السابع عشر من سفر التكوين وعلى اسمعيل استجيب لك هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا فسيلد اثنى عشر رئيسا واجعله لشعب كبير انتهى فقوله اجعله لشعب كبير مشير الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه لم يكن فى ولد اسمعيل من كان لشعب كبير غيره

موسى بن داود عن صالح المرى عن جعفر بن زيد العبدى قال خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلى فوقف يستمع قراءته فقرأ والطور حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره واستند الى حائط فمكث مليا ثم رجع الى منزله فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضى الله عنه وقال الامام أبو عبيد فى فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن ان عمر قرأ ان عذاب ربك لواقع فربا لها ربوة أعيد منها عشرين يوما وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا قال ابن عباس وقتادة تتحرك تحريكا وعن ابن عباس هو تشققها وقال مجاهد تدور دورا وقال الضحاك استدارتها وتحركها لامر الله وموج بعضها فى بعض وهذا اختيار ابن جرير انه التحرك فى استدارة قال وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الاعشى فقال

كأن مشيتها من بيت جارتها * مور السحابة لا ريث ولا عجل

وتسير الجبال سيرا أى تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا فويل يومئذ للمكذبين أى ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم الذين هم فى خوض يلعبون أى هم فى الدنيا يخوضون فى الباطل ويتخذون دينهم هزوا ولعبا يوم يدعون

أى يدفعون ويساقون الى نار جهنم دعا قال مجاهد والشعبى ومحمد بن كعب والضحاك والسدى والثورى يدفعون فيها دفعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون أى تقول لهم الزبانية ذلك تقريعا وتوبيخا أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها أى ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أى سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها انما تجزون ما كنتم تعملون أى ولا يظلم الله أحدا بل يجازى كلا بعمله (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال ان المتقين فى جنات ونعيم وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال فاكهين بما آتاهم ربهم أى يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك ووقاهم ربهم عذاب الجحيم أى وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف اليها من دخول الجنة التى فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية أى هذا بذاك تفضلا منه واحسانا وقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة قال الثورى عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر فى الحجال وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائى يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه وحدثنا أبى أخبرنا هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا ان الرجل ليتكئ فى الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فاذا حانت منه نظرة فاذا أزواج

وقد قال تعالى ناقلا دعاء ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فى كلامه المجيد ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم قال الرازى وفى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا وأنا أطلب لكم الى أبى حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط حتى يكون معكم الى الابد والفارقليط هو روح الحق اليقين هذا لفظ الانجيل المنقول الى العربى وذكر فى الاصحاح الخامس عشر هذا اللفظ وأما الفارقليط روح القدس يرسله أبى باسمى ويعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء وهو يذكركم ما قلت لكم ثم ذكر بعد ذلك بقليل وانى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان ذلك تؤمنون وذكر فى الاصحاح السادس عشر هكذا ولكن أقول لكم الآن حقا يقينا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى أبى لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء هو يفيد أهل العالم ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والبر والدين وذكر بعد ذلك بقليل هكذا فان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ولكن لا تقدرون على قبوله والاحتفاظ له ولكن اذا جاء روح الحق اليكم يلهمكم ويؤيدكم بجميع الحق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه هذا ما فى الانجيل انتهى كلام الرازى وفى الزبور المائة والتاسع والاربعين سبحوا الرب تسبيحا جديدا سبحوه فى مجمع الابرار ليفرح اسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم فليسبحوا

له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن قد آن لك ان تجعل لنا منك نصيبا ومعنى مصفوفة أى وجوه بعضهم الى بعض كقوله على سرر متقابلين وزوجناهم بحور عين أى وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسان من الحور العين وقال مجاهد وزوجناهم أنكحناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن فى غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم فى الايمان يلحقهم بآبائهم فى المنزلة وان لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالابناء عندهم فى منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بان يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوى بينه وبين ذاك ولهذا قال ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ قال الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته (٣١٨) وان كانوا دونه فى العمل ليقربهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى به وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا فذكره ثم قال وقد رواه الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال ابن أبى حاتم حدثنا العباس ابن الوليد بن يزيد البيروتى أخبرنى محمد بن سعيد أخبرنى شيبان أخبرنى ليث بن حبيب بن أبى ثابت الاسدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم قال هم ذرية المؤمن يموتون على الايمان فان كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوها شيأ وقال الحافظ الطبرانى حدثنا الحسين بن اسحق التسترى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقرأ ابن عباس والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية يقول والذين أدركت ذريتهم الايمان فعملوا بطاعتى ألحقتهم بايمانهم الى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم وهذا راجع الى التفسير الاول فان ذلك مفسر أصرح من هذا وهكذا يقول الشعبى وسعيد بن جبير وابراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد وهو اختيار ابن جرير وقد قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما

اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار يرتلوا له لان الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص تفتخر الابرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ترفيع الله فى حلوقهم وسيوف ذات فمين فى أياديهم ليضعوا انتقاما فى الامم وتوبيخات فى الشعوب ليقيدوا ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال من حديد ليضعوا بهم حكما مكتوبا هذا المجد يكون لجميع الابرار انتهى وهذا الزبور عبر عن المبشر به بالملك وعن مطيعه بالابرار وصدق جميع هذه الصفات على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ولا ينكر ذلك الا من عمى الله عين بصيرته وخذله عن سبيل هدايته ومنها ما فى انجيل يوحنا وترجمته بالعربية ان كنتم تحبونى فاحفظوا على كلامى وأنا ألتمس الاب فيرسل اليكم فارقليطا آخر ليمكث معكم الى ابد الآبدين انتهى وهذا من أعظم الدلائل الدالة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وقد اعترض عنه النصارى اعراضا كليا والفارقليطا عجمية يونانية معناه الشافع والواسطة والمسلى والممجد وهذه المعانى تدل على الممدوح بعضها بالمطابقة وبعضها بالتضمن وبعضها بالالتزام فان التمجيد مرادف للحمد والثلاثة الاخر مما توجب الحمد فهذا هو معنى قوله سبحانه مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد والدليل على ذلك وصفه بالمكث الى الابد والدوام فانه لم يأت بعد عيسى عليه السلام احد يتصف بهذه الصفة غيره وفى التنكير دلالة على ان هذا الفارقليطا الذى هو الآن معكم اى المسيح زمنى لا يبقى الى

الابد

لابغضهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية هذا فضله تعالى على الابناء ببركة عمل الآباء واما فضله على الآباء ببركة دعاء الابناء فقد قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يارب انى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك اسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لما اخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية الى منزلة الآباء من غير عمل يقتضى ذلك اخبر عن مقام العدل وهو انه لا يؤاخذ احد بذنب احد فقال تعالى كل امرئ بما كسب رهين اى مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين وقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى والحقناهم بفواكه ولحوم (٣١٩) من أنواع شئ مما يستطاب و يشتهى وقوله يتنازعون فيها كأسا اى يتعاطون فيها كأسا أى من الخمر قاله الضحاك لا لغو فيها ولا تأثيم اى لا يتكلمون فيها بكلام لاغ اى هذيان ولا اثم اى فحش كما يتكلم به الشربة من اهل الدنيا قال ابن عباس اللغو الباطل والتأثيم الكذب وقال مجاهد لا يستبون ولا يؤثمون وقال قتادة كان ذلك فى الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا واذاها كما تقدم فنفى عنها صداع الراس و وجع البطن وازالة العقل بالكلية وأخبر انها لا تحملهم على الكلام السئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا واخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقال ههنا يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم وقوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون اخبار عن خدمهم وحشمهم فى الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون فى حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم كما قال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى اقبلوا يتحادثون و يتساءلون عن اعمالهم واحوالهم فى الدنيا وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم اذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين أى كنا فى الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى فتصدق علينا واجارنا مما نخاف انا كنا من قبل ندعوه أى نتضرع اليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا انه هو البر الرحيم وقد ورد فى هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجىء سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا فيتحدثان فيتكئ هذا و يتكئ هذا فيتحدثان بما كان فى الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا يوم كنا فى موضع

الابد والذي يأتي بعده ابدى وان فسره النصارى بالروح القدس فهذا خطأ لان الروح القدس لم يبق معهم بعد يوم الدار ولا يوجد معهم فى زماننا هذا غير روح ابليس شئ فيكون عدولهم عن اتباع أمره هو محافظتهم عليه والا فان كان الفارقليطا عبارة عن الروح القدس الذى نزل على الحواريين يوم الدار لاستطاع اساقفة النصارى وقسوسهم ان يفعلوا الخوارق التى فعل المسيح لكنهم لا يستطيعون على شئ من ذلك فالفارقليطا ليس بعبارة عن الروح القدس الذى نزل عليهم يوم الدار أما المقدم فلان الحواريين كانوا يعملون الخوارق التى كان يفعلها المسيح وأما التالى فلانه لم ينقل عنهم لا فى الغابر ولا فى الحال واما قولنا ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو المتصف بالمكث الى الابد فلانه لم يأت بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يدعى النبوة و يظهر المعجزة فانحصرت فيه حتى يأتى غيره ومعنى الدوام هو بقاء ملته على دعائمها الاصلية وعدم تحريف كتابه العزيز بل وسنته المطهرة وعدم اختلال شريعته الحقة الصادقة ولا ينقض ذلك باختلاف المذاهب لان هذا الاختلاف مما يتعلق بالفروع وفى رومية واشعياء ها انا واضع فى صهيون حجرة عثرة وصخرة شك وكل من يؤمن بها لا يخجل انتهى وتقييد عدم الخجالة بالايمان بها فيه دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وأخذه النصارى واولوه على عادتهم واستدلوا به على ربوبية المسيح وليس بشئ وصهيون جبل فى أورشليم وقيل بل عقبة أسست عليها

كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا ثم قال البزار لا نعرفه يروى الا بهذا الاسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة انها قرأت هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم انك انت البر الرحيم قيل للاعمش في الصلاة قال نعم (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبلغ رسالته الى عباده وان يذكرهم بما انزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به اهل البهتان والفجور فقال فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اى لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ولا مجنون وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم قال تعالى منكرا عليهم في قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون اى قوارع الدهر والمنون الموت يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اى انتظروا فاني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة قال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كاحدهم فانزل الله تعالى ذلك من قولهم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ثم قال تعالى ام تأمرهم احلامهم بهذا اى عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الاقاويل الباطلة التي يعلمون في انفسهم انها كذب وزور بل هم قوم طاغون اى ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك وقوله تعالى ام يقولون تقوله اى اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى بل لا يؤمنون اى كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أى ان كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع اهل الارض من الجن والانس ما جاؤا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون) هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الالهية فقال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون اى او جدوا من غير موجد ام هم اوجدوا انفسهم اى لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم

اورشليم والحجرة والصخرة والعثرة والشك من المترادفات وسياق الكلام في رومية ان بولوس كان يعظ بعيسى ويوبخ اليهود على عدم ايمانهم به وهو كلام طويل آخره قوله واما اسرائيل فانه قد طلب شريعة العدل ولم يظفر بها ولم يظفر بها الا انهم لم يطلبوها بالايمان بل باعمال الشريعة وذلك لانهم عثروا بحجرة كما حررها انذا واضع حجرة تعثر وصخرة شك وكل من يؤمن بها لا يخجل يريد بذلك ان بني اسرائيل كانوا يطلبون الهدى فلم يصيبوه لانهم كانوا يطلبونه بمحض الاعمال لا بالايمان وهذا يدل على ان غاية شريعة عيسى لم تكن الا بالقوة النظرية وسبب عدم طلبهم اياه بالايمان لانهم عثروا بعيسى لانهم لم يعرفوه واستدل على عدم ايمانهم به بقول اشعياء وهذا لا يدل على ربوبيته بل ولا على نبوته وسياقه في أشعياء هو قوله الا لا تتكلموا على من تتكلم عليه هذه الامة ولا تخشوا ما يخشونه ولا تخافوا وقدسوا رب الجنود وحده واخشوه وخافوا منه لانه هو المقدس وهو حجرة العثرة وصخرة الشك وهو لاهل بيت اسرائيل فخ ولسكنة اورشليم مصيدة وسيعثرون ويسقطون وينكسرون ويقيدون ويؤسرون فاطووا الشهادة واختموا الصحف التي عند تلاميذي وانا سأنتظر الرب الذي يغطي وجهه عن اهل بيت اسرائيل وأترقبه وها أنا والاولاد الذين وهب لي ربي علامة عجيبة في اسرائيل لرب الجنود الذي يسكن في صهيون انتهى وهذا لا دلالة فيه على عيسى عليه السلام لان أول

صفاته

وانشأهم بعد أن لم يكونوا شيأ مذكورا قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي ان يطير وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الاسارى وكان اذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك ثم قال تعالى أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أي أهم خلقوا السموات والارض وهذا انكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون انه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم ايقانهم هو الذي يحملهم على ذلك أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أي أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن أم هم المسيطرون أي المحاسبون للخلائق ليس الامر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد وقوله تعالى أم لهم سلم يستمعون فيه أي مرقاة الى الملا الاعلى فليأت مستمعهم بسلطان مبين أي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال أي ليس لهم سبيل الى ذلك فليسوا على شئ ولا لهم دليل ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه اليه من البنات وجعلهم الملائكة اناثا واختيارهم لانفسهم الذكور على الاناث بحيث اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال أم له البنات ولكم البنون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد أم تسألهم أجرا أي أجرة على ابلاغك اياهم رسالة الله أي لست تسألهم على ذلك شيأ فهم من مغرم مثقلون أي فهم من أدنى شئ يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم أم عندهم الغيب فهم يكتبون أي ليس الامر كذلك فانه لا يعلم

أحد من أهل السموات والارض الغيب الا الله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم انما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وهذا انكار شديد على المشركين في عبادتهم الاصنام والانداد مع الله ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال سبحان الله عما يشركون (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس وان يروا كسفا من السماء ساقطا أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما ايقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أي متراكم وهذا كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال الله تعالى فذرهم أي دعهم يا محمد حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وذلك يوم القيامة يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزي عنهم يوم القيامة شيأ ولا هم ينصرون ثم قال تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى

صفاته رب الجنود ولم يكن المسيح كذلك والصفة الثانية كونه حجر عثرة ولا تقل انهم قد عثروا بالمسيح اي شكوا فيه لان مطلق الشك لا يكفي في صدقه عليه لقوله يعثرون ويسقطون الخ والصفة الثالثة كونه يعطي وجهه عن اسرائيل وابن مريم كان مختصا بدعوتهم كما صرح به في متى فلا يصدق عليه والصفة الرابعة كونه ناسخا لما قبله من الشرائع كلها لقوله اطووا الشهادة واختموا الصحف وعيسى بن مريم يقول كما في متى وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم عيسى وأمرهم وهو يقول لا تنطلقوا الى طريق العوام ولا تدخلوا في أحد أمصار السامريين بل اذهبوا الى غنم بيت اسرائيل الضالة ويقول كما في متى أيضا لكنك ان أردت ان تلج الحياة فحافظ على الاحكام الخ وهذه كلها صريحة في خصوصية نبوته وعدم نسخ ناموس موسى فلا يصدق عليه فلا دلالة له عليه واذا فهمت هذا فقد علمت ان غاية هذا الفصل التبشير ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقدير كلام أشعياء لا تكلموا على أي تسبوا وترفضوا من تكلم عليه أي من تسبه وترفضه هذه الامة أي اليهود ولا تخشوا من يخشوه أي لا تتوالوا من يتولوه ولا تعادوا من يعادوه بل قدسوا استثناء منقطع من لا تتكلموا واخشوا رب الجنود وحده واخشوه وخافوا منه أي لا تحذروا سلاطين اليونانيين والفلسطينيين والرومانيين والمدينيين ولا تقدسوهم بل اجعلوا جميع اتكالكم على رب الجنود أي الملك العادل والنبي الامي

ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ولهذا قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أى نعذبهم فى الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا خلى عنهم مما كانوا فيه عادوا الى اسوأ ما كانوا عليه كما جاء فى بعض الاحاديث ان المنافق اذا مرض وعوفى مثله فى ذلك كمثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه وفى الاثر الالهى كم اعصيك ولا تعاقبنى قال الله تعالى يا عبدى كم أعافيك وأنت لا تدرى وقوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا أى اصبر على أذاهم ولا تبالهم فانك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس وقوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم قال الضحاك أى الى الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهما وروى مسلم فى صحيحه عن عمر انه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة ورواه أحمد وأهل السنن عن أبى سعيد وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ذلك وقال أبو الجوزاء وسبح بحمد ربك حين تقوم أى من نومك من فراشك واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنى عمير بن هانى حدثنى جنادة بن أبى أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفر لى أو قال ثم دعا استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته وأخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد وسبح بحمد ربك حين تقوم قال من كل مجلس وقال الثورى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص وسبح بحمد ربك حين تقوم قال اذا أراد الرجل ان يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو النضر اسحق ابن ابراهيم الدمشقى حدثنا محمد بن شعيب أخبرنى طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح انه حدثه عن قول الله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم يقول حين تقوم من كل مجلس ان كنت أحسنت ازددت خيرا وان كنت غير ذلك كان هذا كفارة له وقد قال عبد الرزاق فى جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبى عثمان الفقير ان جبريل علم النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوى بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا الله استغفرك وأتوب اليك الا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك رواه الترمذى وهذا لفظه والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج وقال الترمذى حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال اسناده على شرط مسلم الا ان البخارى علله قلت علله الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطنى وغيرهم ونسبوا الوهم فيه الى ابن جريج على ان أبا داود قد رواه فى

الكامل لانه أى رب الجنود والرب بمعنى المربى والمولى يقال هو رب النعمة أى مفيضها ورب البيت أى مولاه واذا أضيف الى الضمير المتصل لا يكون الا بمعنى المعبود على الاصح هو المقدس فقط لا غيره لان تعريف الخبر يفيد الحصر وهو بحيرة العثرة عطف على هو المقدس وخبر لان وصخرة الشك خبر ثالث لان أى رب الجنود هذا هو المنحصرة فيه هذه الصفات ولجميع الناس أما التقديس فلانه لم يرتكب قبل نبوته ما يوجب الثلب وأما العثرة والشك فلانه من أولاد هاجر ولم يبعث منهم قبله نبى وأما أيوب ففى أعراب مدين وأما خالد بن سنان عند من يقول بنبوته ففى أعراب سامرة وهو لاهل بيت اسرائيل فخ هذه صفة أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم وهى أنه فخ يصيدهم ويأسرهم فكما فعل بهم الفلسطانيون هكذا يفعل بهم هو أيضا ولسكنة أورشليم مصيدة المصيدة هى الشبكة التى تصيد كل ما يكر عليها مرة واحدة بخلاف الفخ فانه لا يصيد مما يكر عليه الا ما يقر العقلة ولا يكون الا واحدا فكان مراد اشعياء عليه السلام أنه يتسلط على اليهود ويقهرهم واحدا بعد واحد لانهم متشتتون وأما البلد فانه يتسلط عليها مرة واحدة وسيعثرون أى يشكون فيه ويسقطون اذا شكوا وينكسرون اذا سقطوا ويقيدون اذا انكسروا لانهم لا يستطيعون الفرار ويؤسرون اذا قيدوا فاطووا الشهادة التى عندكم أيها الانبياء واختموا الصحف أى أسفار التوراة ونبوات الانبياء التى عند تلاميذى اى بنى اسرائيل

لانها

سننهم من طريق غير ابن جريج الى ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه أبو داود واللفظ له والنسائى والحاكم فى المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن أبى هاشم عن أبى العالية عن أبى برزة الاسلمى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخر عمره اذا أراد أن يقوم من المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك فقال رجل يارسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون فى المجلس وقد روى مرسلا عن أبى العالية فالله أعلم وهكذا رواه النسائى والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبى العالية عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله سواء وروى مرسلا أيضا فالله أعلم وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال كلمات لا يتكلم بهن أحد فى مجلسه عند قيامه ثلاث مرات الا كفر بهن عنه ولا يقولهن فى مجلس خير ومجلس ذكر الا ختم له بهن كما يختم بالخاتم سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الاسماعيلى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد أفردت لذلك جزأ على حدته بذكر طرقه وألفاظه وعلله وما يتعلق بها ولله الحمد والمنة وقوله تعالى ومن الليل فسبحه أى (٣٢٣) اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة فى الليل كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقوله تعالى وادبار النجوم قد تقدم فى حديث ابن عباس انهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند ادبار النجوم أى عند جنوحها للغيبوبة وقد روى ابن سيلان عن أبى هريرة مرفوعا لا تدعوهما وان طردتكم الخيل يعنى ركعتى الفجر رواه أبو داود ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب الامام أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف لحديث خمس صلوات فى اليوم والليلة قال هل على غيرها قال لا الا أن تطوع وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر وفى لفظ لمسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة النجم وهى مكية)

قال البخارى حدثنا نصر بن على أخبرنى أبو احمد يعنى الزبيدى حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة انزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف وقد رواه البخارى أيضا فى مواضع ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن أبى اسحق به وقوله فى الممتنع انه أمية بن خلف فى هذه الرواية مشكل فانه قد جاء من غير هذه الطريق انه عتبة بن ربيعة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى﴾ قال الشعبى وغيره الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغى له أن يقسم الا بالخالق رواه ابن أبى حاتم واختلف المفسرون فى معنى قوله والنجم اذا هوى فقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالنجم الثريا اذا سقطت مع الفجر وكذا روى عن ابن عباس وسفيان الثورى واختاره ابن جرير وزعم السدى أنها الزهرة وقال الضحاك والنجم اذا هوى اذا رمى به الشياطين وهذا القول له اتجاه وروى الاعمش عن مجاهد فى قوله تعالى والنجم اذا هوى يعنى القرآن اذا نزل وهذه الآية كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه

لانها ستنسخ وتترك اذا ظهر رب الجنود صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحتاج اليها بعد وأنا سأنتظر الرب الذى يغطى وجهه عن اسرائيل وأترقبه يعنى به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يقول انى لأنتظر من يأتى قبله يعنى عيسى الذى أشار اليه فى غير هذا المكان لانه نبى لبنى اسرائيل لكنى انتظر الذى يغطى وجهه عنهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال ان نبوته صلى الله عليه وآله وسلم عامة والعامة تلزم منها دعوة الكل فكيف يغطى وجهه عنهم لان المراد بتغطية الوجه عدم ظهوره منهم واستقامته فى مدتهم ثم قال وها أنا والاولاد يعنى الاتقياء من بنى اسرائيل واضافة الرب الى الضمير المتصل اشارة الى المعبود جل اسمه الذين وهبهم لى ربى أى أعطانى اياهم ووفقهم لاتباع دعوتى بعلامة عجيبة فى اسرائيل أى نكون نحن علامة لهم حتى يعرفوا ما ضلوا عنه ويندموا على ما فعلوه ولرب الجنود الذى يسكن فى صهيون اشارة الى المهدى لانه وصف محمدا صلى الله عليه وآله وسلم برب الجنود الذى يغطى وجهه عن اسرائيل فاذا كان كذلك لا يمكن أن يسكن فى صهيون والى هذا ذهب أكثر العلماء وصرحوا بأن المهدى يستقر فى أورشليم ويعمرها بأموال الهند وفى هذا البرهان اقناع كامل لليهود والنصارى والمسلمين جميعا والمراد بالسكون فى صهيون سكون دينه واستقرار أهل ديانته فيه وهذا أوضح مما قبله وفى سفر التكوين وأما أنت يا يهوذا فانك أنت الذى يحمده اخوته وستكون يدك فى عنق

لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا الى غيره فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود وعن علم الشئ وكتمانه والعمل بخلافه بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى وما ينطق عن الهوى أى ما يقول قولا عن هوى وغرض ان هو الا وحى يوحى اى انما يقول ما أمر به يبلغه الى الناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبى امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر قال انما أقول ما أقول وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الاخنس أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله (٣٢٤) صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتنى قريش فقالوا انك تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا الحق ورواه أبو داود عن مسدد وأبى بكر بن أبى شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أخبرتكم انه من عند الله فهو الذى لا شك فيه ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد وقال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد عن سعيد بن الماى أبى سعيد عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أقول الا حقا قال بعض اصحابه فانك تداعبنا يا رسول الله قال انى لا أقول الا حقا (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه علمه الذى جاء به الى الناس شديد القوى وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وقال ههنا ذو مرة أى ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقوة شديدة وقد ورد الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وقوله تعالى فاستوى يعنى جبريل عليه السلام قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وهو بالافق الاعلى يعنى جبريل استوى فى الافق الاعلى قاله عكرمة وغير واحد قال عكرمة والافق الاعلى الذى يأتى منه الصبح وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذى يأتى منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن عمرو الاحمسى حدثنا ابو القاسم

أعدائك وسيجثو لك أولاد أبيك الا ان القضيب لا ينصرف عن يهوذا ولا واضع الناموس من تحت قدميه حتى يأتى شيلو وتصير اليه عوام الناس وابطا الى الجفن جحشه والى منتخب الكرم ومانانه غاسلا بالخمر قميصه وبدم الكرم لباسه وسوف تكون عيناه أحمر من الخمر واسنانه أبيض من اللبن اه وهذا نص على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوله النصارى وقالوا ان شيلو هو المسيح بن مريم وقال اليهود بل هو فى شأن المسيح المزمع بالاتيان وسياق دعوى النصارى هو ان هذا الفصل فى سفر التكوين يتضمن دعاء يعقوب لبنيه وانه تنبأ لكل واحد منهم بما يناسب شأنه وتنبأ ليهوذا بان السلطنة ستستمر فى أولاده حتى يخرج شيلو ووصفه بهذه الصفات التى أشار اليها فى غير هذا المكان والحق انه يخبر بصحة النهوض وليس فيه ريب الا ان غايته ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه قيد زوال الملك والنبوة من بنى اسرائيل بظهور عيسى ومن بعد ظهوره الى هذا الآن لم يستقل منهم ملك ولم يظهر فيهم نبى وانتقلت السلطنة والنبوة الى اسمعيل وقال اليهود ان شيلو الذى هو عبارة عن المسيح المزمع بالاتيان وانه لم يأت بعد لعدم وقوع الشرط لان شرط ظهوره زوال السلطنة والنبوة منهم وقد زالت النبوة لكن السلطنة لم تزل لان بعض الممالك البعيدة عنا يوجد فيه منهم ملوك لم تبلغ الينا اخبارهم وأجيب بان الراوى قوله لا يزول السلطنة ولا واضع الناموس للجميع ولا يمكن زوال احدهما وبقاء

حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد هو ابن قيس عن اسحق بن أبي الكهتلة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فسد الافق وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره ولا حكاه هو عن أحد وحاصله انه ذهب الى ان المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى أي استويا جميعا بالافق الاعلى وذلك ليلة الاسراء كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال وهو كقوله ائذا كنا ترابا وآباؤنا فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو قال وذكر الفراء عن بعض العرب انه أنشده ألم تر ان النبع يصلب عوده * ولا يستوي والخروع المتقصف وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فان هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى اليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الاولى في (٣٢٥) أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله اليه صدر سورة اقرأ ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤس الجبال فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الامر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالابطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الافق فاقترب منه وأوحى اليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه اليه فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحرث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد اذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في احدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت ان أمس السماء لمسست فالتفت الى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت وأوحى الى ما شاء الله ان يوحي ثم قال البزار لا يرويه الا الحرث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة قلت الحرث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الايادي أخرج له مسلم في صحيحه الا ان ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشيء وقال الامام أحمد مضطرب الحديث وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فان فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله انه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت

الثاني وان الارض كلها محدودة من مجاري ٦٥ درجة من الجنوب الى جزيرة مندوسة ومن ٨١ درجة من الشمال من جزيرة سلامة الى آخر ممالك الفرنج وليس فيها بقعة مجهولة وكذا الجزائر فالاعتراف بان فيها مملكة تكون فيها ملوك وأمم مجهولة محمول على الجهالة وهو ممنوع فمن أين حصل لكم العلم بهذا المجهول فينتقض اعتراضهم واذا تحقق لك ذلك فاعلم انه عليه السلام قيد زوال السلطنة والنبوة بظهور شيلو وصيرورة عوام الناس اليه وقوله حتى يأتي شيلو يدل على انه لا بد للملك والنبوة بعد ظهوره ان تزولا من اليهود وتنتقلا الى غيرهم وهم العرب وقال اليهود ان كان صحة ظهور شيلو التجاء عوام الناس اليه فلا يمكن ان يظهر شيلو ولا تلتجئ عوام الناس اليه لكن عيسى بن مريم قد خرج ولم تلتجئ عوام الناس اليه فعيسى بن مريم ليس بشيلو وأجيب عن ذلك بمنع الصغرى لان قوله وتصير عوام الناس اليه أي الى أمره وكلامه وقد اتبع عوام الناس أمره في تبشيره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه اشارة الى ان الذين ينقادون الى شريعته صلى الله عليه وآله وسلم هم عوام الناس أي ليسوا بيهود كالعرب والفرس والروم والهنود والسنود وحبشة وبعض أهل الصين وأما اليهود فمنهم من يؤمن به ويصير الى كلامه ويتبع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من يمكث راكسا في بحيرة جهله وهواه لان اثبات الشيء لا ينفي ما عداه فخلاصة هذا ان موسى عليه السلام قد نقل عن يعقوب

ما الله به عليم انفرد به أحمد وقال احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع و ينتشر فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه تفرد به أحمد وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن اسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الاسود قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا الى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لانطلقن الى محمد ولأوذينه في ربه سبحانه وتعالى فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابعث اليه كلبا من كلابك ثم انصرف عنه فرجع الى ابيه فقال يا بني ماقلت له فذكر له ما قاله فقال فما قال لك قال قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك قال يا بني والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا أبراه وهي في سدة ونزلنا الى صومعة راهب فقال الراهب يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد فانها يسرح الاسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا ابو لهب انكم قد عرفتم كبر سني وحقي وان هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ففعلنا فجاء الاسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه فقال أبو لهب قد عرفت انه لا ينفلت عن دعوة محمد وقوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى أي فاقترب جبريل الى محمد لما هبط عليه الى الارض حتى كان بينه و بين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أي بقدرهما اذا مدا قاله مجاهد وقتادة وقد قيل ان المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس الى كبدها وقوله تعالى أو أدنى قد تقدم ان هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة أي ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد فان هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية فكان قاب قوسين أو أدنى وهذا الذي قلناه من ان هذا المقترب الداني الذي صار بينه و بين محمد صلى الله عليه وسلم انما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا ان شاء الله تعالى وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس انه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذا احداهما وجاء في حديث شريك بن أبي نمر عن انس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فان صح فهو محمول على وقت آخر وقصة اخرى لا انها تفسير لهذه الآية فان هذه كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض لا ليلة الاسراء ولهذا قال بعده ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى فهذه هي ليلة الاسراء والاولى كانت في الارض وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا زر بن حبيش قال

انه قال لا تزول السلطنة والنبوة عن اولاد يهودا حتى يخرج شيلو و يبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و يؤمن به عوام الناس و يستعبروا كلامه و بعد ذلك تستقر المملكة والنبوة المتباينتان في قبيلة أخرى وهي العرب الماهر في هذا البرهان وفي اجتماع كلتا الصفتين في ذاته صلى الله عليه وآله وسلم اشارة الى نجله وفي نشيد الانشاد هذا صوت محبوبي فانه أتى يقفز على الجبال و يطفر على الاتلال ان محبوبي كالغزال أو كخشف الاوعال هذا هو واقف خلف جدارنا يطل من الكوة و يظهر نفسه من الشبابك فكلمني محبوبي وقالت لي قم يا محبوبي وجميلي وتعال فان الشتاء قد مضى والمطر قد انقضى وظهر الزهر على الارض وقرب زمان الترنم وقد سمع صوت اليمامة في أرضنا وأبدت الطعمة تينها والكرمة عنبها الغض فقم يا محبوبي وجميلي وتعال انتهى وهذا من عمدة الامثال التي تخص محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وتبشر به وقد غفل عنه اليهود والنصارى ولم يتوجهوا له ولا لما قبله و بعده من هذا السفر وانه أحق ان يعترف به فان جميع آياته تتعلق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكني اكتفيت منه بهذا المثال ونقلت لفظة محبوبي من الاصل الانكاري على ما كانت عليه وهو لفظ لو بفتح اللام وسكون الواو الانكارية الساكنة وهي تارة تطلق على العشق وتارة على المعشوق وكان الكاثوليكيون قد ترجموها بابن اخي وأجمعوا لي ذلك امتثالا لامر البابا سركيس وهي في الاصل العبراني

دوو كنلس

قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية فكان قاب قوسين أو أدنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل له ستمائة جناح وقال ابن وهب حدثنا ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في منامه جبريل بأجياد ثم انه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم ير شيأ ثلاثا ثم رفع راسه فاذا هو ثاني رجليه احدى رجليه مع الاخرى على أفق السماء فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه فهرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل في الناس فنظر فلم ير شيأ ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم ير شيأ ثم خرج فنظر فرآه فذلك قول الله عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله ثم دنا فتدلى يعني جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام فكان قاب قوسين أو أدنى ويقولون القاب نصف اصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به وفي حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر شاهد لهذا وروى البخاري عن طلق بن غنام عن زائدة عن الشيباني قال سألت زرا عن قوله فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى قال حدثنا عبد الله ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح وقال ابن جرير حدثني ابن بزيع البغدادي حدثنا (٣٢٧) اسحق بن منصور حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض فعلى ما ذكرناه يكون قوله فاوحى الى عبده ما أوحى معناه فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما أوحى أو فاوحى الله الى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى قال أوحى الله اليه ألم أجدك يتيما ورفعنا لك ذكرك وقال غيره أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك وقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى قال مسلم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما انه رآه بفؤاده مرتين وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه انه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فانه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة الى انه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم وقال الترمذي حدثنا محمد بن عمرو بن نبهان بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العنبري عن سلم بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين ثم قال حسن غريب وقال أيضا حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس أخبرنا بنو هاشم فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت

دووكفلس بامالة الواو ومعناها العم أخو الاب كما ورد في اشمويل وبنو العم كما ورد في الخروج وابن العم كما ورد في ارميا ولم يفسرها احد من اليهود بابن الاخ فعلى ترجمة الانكاريين يكون محبوب سليمان عليه السلام محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لانه تنبأ عليه ولانه خاتم الرسل وعلى ترجمة البابا سركيس يكون ابن اخيه لان محمدا صلى الله عليه وسلم من أولاد اسمعيل وسليمان من أولاد اسحق وهما ابنا ابراهيم عليهم السلام فيكون كل واحد من محمد وسليمان عليهما السلام ابن أخ لصاحبه وعلى لغة اليهود فعلى الاول فيكون سليمان قد عبر بنفسه عن بني اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفس اسمعيل فيكون عمه وعلى الثاني يكون قد عبر عن نفسه ببني اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببني اسمعيل فيكون قد عبر عنه باولاد عمه وعلى الثالث يكون قد عبر عن نفسه ببني اسرائيل وعن محمد صلى الله عليه وآله وسلم بابن اسمعيل فيكون ابن عمه وتأنيث الضمير لانه عبر عن نفسه بالقبيلة والمعنى ان هذا صوت محبوبي يسمع فاسمعوه فانه أتى يقفز على الجبال لانه تولد في الحجاز وهي أرض وعرة كثيرة الجبال ويطفر على الاتلال لانه ربي في البرمع بني تميم ان محبوبي كالغزال جملة استئنافية تتضمن بعض صفاته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك اشارة الى انه كان طويل العنق اسمر العينين أو كخشف الاوعال عطف على كالغزال وتأكيد لها هذا هو واقف خلف جدارنا هذا التحضيض في الاصطفاء لكلامه

بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى فقالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياد وله ستمائة جناح قد سد الافق وقال النسائي حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه وفي رواية رأيت نورا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب قال قالوا يا رسول الله رأيت ربك قال رأيته بفؤادي مرتين ثم قرأ ما كذب الفؤاد ما رأى ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنى فتدلى ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فقال عكرمة تريدان أخبرك انه قد رآه قلت نعم قال قد رآه ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداءه وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدي أخبرنا أبو خلدة عن أبي العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك غريب جدا فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسود ابن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل فانه حديث اسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني ربي الليلة في أحسن صورة احسبه يعني في النوم فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات قال قلت المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال قل يا محمد اذا صليت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة ان تقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات بذل الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زربي عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في احسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت لا يارب

وخلف جدارنا اشارة الى قرب زمانه او الى ضرورة اتيانه يطل من الكوة ويظهر نفسه من الشباك اشارة الى علو مكانه وسمو مقامه والى انه يأتي الى بلدهم لكن لا يتوقف فيها بل يكون فيها كالذي ينظر من الشباك وفيه اشارة الى المعراج الجسماني لان قوله يطل وينظر فيهما اشارة الى غاية انتهاء النظر وهو يدل على الصعود الجسماني وعلى ارتفاع مكان الناظر وفيه رد على من ينكر معراجه بالجسم فتكلمت محبوبتي وقالت اطرادمن المتكلم الى المخاطب والتأنيث باعتبار القبيلة او البلد قم يا محبوبي وجميلي وتعال اظهار للرغبة في ظهوره صلى الله عليه وسلم فان الشتاء قد مضى يريد بالشتاء مدة ما بينهما من الزمان او زمان الفترة بينه وبين عيسى عليه السلام والمطر قد انقضى يريد به الحاجب عن الظهور اما ما هو من جهة غلبة الجهل والفساد أو ما هو من جهة تغير احوال الخلق وانتقالهم من العيافة الى السذاجة وذلك لان المطر يمنع الرجل من الخروج من كنه وظهر الزهر على الربى ترغيب له في الاتيان وبيان تهيئ القوم لقبول دعوته وقرب زمان الترنم تأكيد لقوله ظهر الزهر الخ وفيه اشارة الى بيان رغبة الناس في تلاوة المصحف وذلك مما لم يتفق لاحد من الانبياء فاني لم أر امة من الامم يتعاطون حفظ ناموسهم على الخاطر كما يفعل المسلمون من حفظ القرآن وقد سمع صوت اليمامة في ارضنا الخ هذا كله ماض بمعنى المستقبل الضروري الوقوع فقم يا محبوبي وجميلي وتعال هذا كله ظاهر الدلالة على

الطلب

فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض فقلت يارب في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجمعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فقلت يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم اشرح لك صدرك الم اضع عنك وزرك الم افعل بك ألم أفعل قال فافضى الى باشياء لم يؤذن لى ان أحدثكموها قال فذاك قوله فى كتابه ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل نور بصرى فى فؤادى فنظرت اليه بفؤادى اسناده ضعيف وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده الى هبار بن الاسود رضى الله عنه ان عتبة بن أبى لهب لما خرج فى تجارة الى الشام قال لاهل مكة اعلموا انى كافر بالذى دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال هبار فكنت معهم فنزلنا بارض كثيرة الاسد قال فلقد رأيت الاسد جاء فجعل يشم رؤس القوم واحدا واحدا حتى تخطى الى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم وذكر ابن اسحق وغيره فى السيرة ان ذلك كان بارض الزرقاء وقيل بالسراة وانه خاف ليلتئذ وانهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الاسد فجعل يزأر ثم تخطاهم اليه فضغم رأسه لعنه الله وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى هذه هى المرة الثانية التى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التى خلقه الله عليها وكانت ليلة الاسراء وقد قدمنا الاحاديث الواردة فى الاسراء بطرقها وألفاظها فى اول سورة سبحان بما أغنى عن اعادته ههنا وتقدم ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وغيرهم قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت وهذا اسناد جيد قوى وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبى راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم اسناده حسن أيضا وقال الامام أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين حدثنى عاصم بن بهدلة قال سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح سألت عاصما عن الاجنحة فأبى أن يخبرنى قال فأخبرنى بعض أصحابه ان الجناح ما بين المشرق والمغرب وهذا أيضا اسناد جيد وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثنى حصين حدثنى شقيق قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل عليه السلام فى خضر معلق به الدر اسناده جيد أيضا وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن اسمعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل قالت سبحان الله لقد قف شعرى لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار

الطاب فان قلت يمكن أن لا يكون مطاب سليمان من هذا النبى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قلت فحينئذ اما أن يكون كلاما يخص نبيا آخر أو معشوقا مجازيا أو يكون مهملا ولا سبيل الى كل واحد منها أما الى الشق الاخير فلانه كلام الله أو كلام النبى والاهمال يمتنع عليهما أما على الاول فظاهر وأما على الثانى فلان النبى رجل يختصه الله بتبليغ كلامه من بين أهل عصره فيجب أن يكون عاقلا والعاقل لا يتكلم بالمهمل والا فاذا حصل الشك فى صحة بعض انبائه يفسد اليقين بباقى الكل ولان أكثر القوم ذهبوا الى عصمة الانبياء مما هو يخل بالعصمة وأما انه لا سبيل الى كونه معشوقا مجازيا فلانه لا يجوز للنبى ان يدخل سائر كلامه فى الوحى وان فعل فقد عصى ولانه اما أن يكون ذكرا أو أنثى وعلى كلا الوجهين يلزم منه تفسيق النبى وهو باطل وأما انه لا سبيل الى كونه نبيا آخر فلوجوه الأول ان النصوص المشتبهة قد أخذها القوم من اليهود والنصارى ولم يبق الا ما شبهة فيه والثانى انه لم يتنبأ الا على اثنين فقط وهما يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم والمثال لا يصدق على كل واحد منهما الان صفاته لا توجد فيهما فلا يكون الا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم جعلنى الله واياك ممن يقتص آثاره ويتمسك باخباره وفى سفر الرؤيا ما ترجمته من كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس انى سأطعم المظفر من شجرة الحياة التى هى فى جنة الله وفيه من كانت له اذن سامعة فليستمع ما تقول

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن أخبرك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآية ومن أخبرك ان محمدا قد كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال انما ذاك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها الا مرتين رآه منهبطا من السماء الى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض أخرجاه فى الصحيحين من حديث الشعبى به (رواية أبى ذر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال انى قد سألته فقال قد رأيته نورا أنى أراه هكذا وقع فى رواية الامام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن أبى ابراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت (٣٣٠) ربك فقال نور أنى أراه وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله ابن شقيق قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أى شئ كنت تسأله قال قلت كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألته فقال رأيت نورا وقد حكى الخلال فى علله ان الامام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكرا له وما أدرى ما وجهه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عون الواسطى أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن ابراهيم عن أبيه عن أبى ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وحاول ابن خزيمة ان يدعى انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبى ذر وأما ابن الجوزى فتأوله على ان أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء فاجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الاسراء لاجابه بالاثبات وهذا ضعيف جدا فان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال انه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه كابن خزيمة فى كتاب التوحيد فانه هو المخطئ والله أعلم وقال النسائى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبى ذر قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن على بن مسهر عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام وقال مجاهد فى قوله ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قد تقدم فى أحاديث الاسراء انه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان ما أدرى ما هى وقال الامام أحمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدى عن طلحة عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج

الروح للكائس فان المظفر لا تطهره الموتة الثانية اه وفيه ايضا من كانت له اذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكائس انى سأطعم المظفر من المن المكنون وأعطيه حجرة بيضاء مكتوبا عليها اسم مرتجل لا يفهمه الا من يناله وفيه أيضا وسأعطى المظفر الذى يحفظ جميع افعالى سلطانا على الامم فيرعاهم بقضيب من حديد ويسحقهم كآنية الفخار كما أخذت أنا من أبى وأعطيه أيضا نجمة الصبح فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر يلبس ثيابا بيضاء ولا أمحو اسمه من سفر الحياة وأعترف باسمه امام أبى وامام ملائكته فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر أجعله عمودا فى هيكل الالهى ولا يخرج خارجا وأكتب عليه اسم الهى واسم مدينة الهى أورشليم الجديدة التى نزلت من السماء من عند الهى وأكتب عليه اسمى الجديد فمن كانت له اذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكائس وفيه المظفر أهب له الجلوس معى على كرسى كما ظفرت أنا أيضا وجلست مع أبى على كرسيه فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكائس اه وهذه سبعة بشارات وان مترادفة فى الاصحاح الاولى والثانية من رؤيا يوحنا بن زبدى تدل دلالة صريحة على بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى نبوته العامة وقبلته الجديدة وعلو درجته تغافل النصارى عنها وأولوها تأويلات سخيفة وتسويلات واهية لا تستقيم على شئ منها حجة ولا يثبت برهان وكان

به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من أمته المقحمات انفرد به مسلم وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى هريرة أو غيره شك أبو جعفر قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ يغشى السدرة ما يغشى قال كان اغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا فرآها محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ربه بقلبه وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أى شئ رأيت يغشى تلك السدرة قال رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس ما ذهب يمينا ولا شمالا وما طغى ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة فانه ما فعل الا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطى وما أحسن ما قال الناظم رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * رأى غيره ما قد رآه لتاها وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كقوله لنريك من آياتنا الكبرى أى (٣٣١) الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة ان الرؤية تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولو كان رأى ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس وقد تقدم تقرير ذلك فى سورة سبحان وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن اسحق بن أبى الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود انه قال ان محمدا لم ير جبريل فى صورته الا مرتين أما مرة فانه سأله ان يريه نفسه فى صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الاخرى فانه صعد معه حين صعد به وقوله وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فلما أخبر جبريل ربه عز وجل عاد فى صورته وسجد فقوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل عليه السلام هكذا رواه الامام أحمد وهو غريب (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يقول تعالى مقرعا للمشركين فى عبادتهم الاصنام والانداد والاوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التى بناها خليل الرحمن عليه السلام أفرأيتم اللات وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس انهم قرأوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج فى الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

الاخرى بها ان يكتب كل واحدة منها على حدة لكنى اعرضت عن ذلك وكتبتها فى موضع واحد وما للاختصار واحالات تفصيلها على الكتب الكبار وقوله فمن كانت له اذن سامعة الخ مثل قوله سبحانه وتعالى فى سورة المرسلات ويل يومئذ للمكذبين حيث تكررت مرات وكان يوحنا فى جزيرة اطموس فى يوم الاحد فأتاه الوحى وحل عليه روح القدس وسمع صوتا عظيما يقول له انى أنا الالف والياء الاول والآخر فاكتب ما تراه وأرسله الى الكنائس السبع المشهورة أعنى كنيسة افسس وكنيسة سميرنا وبيرغاموس وثاتيرا وسارديس وفيلا ولفية ولاذقية وفى آخر كل كتاب كتب الى الكنائس السبع قوله فمن كانت له أذن سامعة الخ وهذا ملخص الفصول المشتملة على الحجج وان أردت الاطلاع على العبارة جميعها فارجع الى سفر الرؤيا وهذه الرؤيا هى ما يعتقده النصارى رؤيا رآها يوحنا تشتمل على الاخبار التى حدثت فى العالم من ارتفاع المسيح الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بل من وفاته الى ظهور المهدى ومن وفاة المهدى الى قيام الساعة ولا شك انها تدل على ذلك وانها كلام الله لكنى لست بمطمئن من تحريفها ومع ذلك لا شك ان أماكن الاستدلال فيها قائمة على دعائمها الاصلية فمن جملة ذلك هذه الآيات الشريفة ولفظ المظفر فى الاصل اليونانى يدل على الغالب والغازى والقاهر فى الحرب والموتة الثانية عبارة عند النصارى عن موت الانسان فى الذنب أى انه ما كفيه لا غير واما البعث فانهم يعترفون

وقال البخارى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو الاشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله اللات والعزى قال كان اللات رجلا يلت السويق سويق الحاج قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء واستار بنخلة وهى بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى البخارى من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق فهذا محمول على من سبق لسانه فى ذلك كما كانت السنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية كما قال النسائى أخبرنا أحمد بن بكار حدثنا عبد الحميد بن محمد قال حدثنا مخلد حدثنا يونس عن أبيه حدثنى مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لى أصحابى بئس ماقلت قلت هجرا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وانفث عن شمالك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لاتعد وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج فى جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج الى الكعبة روى البخارى عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التى نص عليها فى كتابه العزيز وانما أفرد هذه بالذكر لانها أشهر من غيرها قال ابن اسحق فى السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت انها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبنى كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فهدمها وجعل يقول ياعزى كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك وقال النسائى أخبرنا على بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبى الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيأ فرجع خالد فلما ابصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا فى الحيل وهم يقولون ياعزى ياعزى فأتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنى معتب قلت وقد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعلا مكانها مسجدا بالطائف قال ابن اسحق وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال على بن أبى طالب قال وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة قلت وكان يقال لها الكعبة اليمانية والكعبة التى بمكة الكعبة الشامية فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقيام جميع الناس عند ظهور المسيح وبخلود اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ولم يتعرضوا للبحث فى هذا المقام وعند اليهود عبارة عن الموتة التى لاتكون بعدها موتة وأورشليم الجديدة عبارة عن مكة المعظمة على بادئ الرأى لقوله النازلة من السماء لان أهل الاسلام قد ذهبوا الى ان قوله أم القرى ومن حولها يفيد العموم وقالوا ان الحجر الاسود كان قد نزل من السماء أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وقد رواه الترمذى وصححه فيكون قوله أورشليم الجديدة النازلة من السماء كناية عن مكة وهذا من قبيل اقامة الظرف مقام المظروف وهى فى جزيرة العرب قريب من ساحل البحر الاحمر فى مجارى طول ٤٠ درجة من الطول الجديد وعرض ٢٢ درجة من الشمال وفى سفر الرؤيا ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى قد جازتا والبحر لن يوجد بعد وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء مهيئة كعروس مزينة لزوجها انتهى وهذا من أجل البشارات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لان جدة الارض والسماء تدل على تحول الاحوال وتبدل الامثال والافلا معنى لزوالهما قبل يوم القيامة ولا معنى لوجود غيرهما وأما البحر فانه قد كنى به عن الضلال الذى كان يعرض فى ذلك الزمان من بعض كهنة اليهود فانهم لم يزالوا يدعون النبوة لكذب وهم أول من خاض فى ذلك البحر وقوله كالعروس الخ بيان لحسن انتظام مكة

جرير بن عبد الله البجلي فهدمه قال وكانت قلس لطي ومن يليها بجبل طي بين سلمى وأجا قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه علي بن أبي طالب فهدمه واصطفى منه سيفين الرسوب والمخذم فنفله اياهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما سيفا علي قال ابن اسحق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر انه كان به كلب أسود وان الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت قال ابن اسحق وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع اسحما قال ابن هشام يقال انه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا مائة حدتها بعدها مائتان لي * وعمرت من عدد الشهور سنينا هل ما بقي الا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا قال ابن اسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وأياد بسنداد وله يقول اعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات في سنداد ولهذا قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ثم قال تعالى ألكم الذكر وله الانثى أي أتجعلون له ولدا وتجعلون ولده انثى (٣٣٢) وتختارون لانفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة ضيزى أي جورا باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ثم قال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الاصنام وتسميتها آلهة ان هي الا أسماء سميتموها اي من تلقاء أنفسكم ما انزل الله بها من سلطان اي من حجة ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس اي ليس لهم مستند الا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الاقدمين ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي ولقد أرسل الله اليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له ثم قال تعالى أم للانسان ما تمنى أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيأ يحصل له قال الامام أحمد حدثنا اسحق حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فانه لا يدري ما يكتب له من أمنيته تفرد به أحمد وقوله فلله الآخرة والاولى أي انما الامر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والآخرة فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الاصنام والانداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى)

مكة شرفها الله وزوجها هو رب الجنود صلى الله عليه وسلم وفي اشعياء وستخرج من قنس الاسي عصى وينبت من عروقه غصن وستستقر عليه روح الرب أعني روح الحكمة والمعرفة والروح الشورى والعدل وروح العلم وخشية الله وتجعله ذا فكرة وقادة مستقيما في خشية الرب فلا يقضي بمحابات الوجوه ولا يدين بمجرد السمع انتهى وهذه صفات رب الجنود صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وأمي وفي سفر الرؤيا فأخذتني الروح الى جبل عظيم شامخ وأرتني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله وفيها مجد الله وضوؤها كالحجر الكريم كحجر اليشم والبلور وكان لها سور عظيم عال واثنا عشر بابا وعلى الابواب اثنا عشر ملكا وكان قد كتب عليها اسماء اسباط اسرائيل الاثني عشر انتهى ولا تأويل لهذا النص بحيث ان يدل على غير مكة شرفها الله تعالى والمراد بمجد الله بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه أيضا ولسور المدينة اثنا عشر أساسا وعليها اسماء رسل الحمل الاثني عشر انتهى وهذا تأكيد صريح لما قبله والاثنا عشر الاساس لعلهم الخلفاء الاثنا عشر من قريش وفيه اشارة الى انتياد جميع المذاهب العيسوية لشريعة خير البرية صلى الله عليه وسلم ولو بعد حين وبعد ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام وهذه الرؤيا طويلة جدا وفيها دلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واحوال امته المرحومة ولكل جملة منها تأويل حسن وتحمل صريح ومعنى صحيح

يقول تعالى منكرا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الانثى وجعلهم لها انها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ولهذا قال تعالى وما لهم بذلك من علم أى ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ أى لا يجدى شيأ ولا يقوم أبدا مقام الحق وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا اى أعرض عن الذى اعرض عن الحق واهجره وقوله ولم يرد الا الحياة الدنيا اى وانما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية ما لا خير فيه ولهذا قال تعالى ذلك مبلغهم من العلم أى طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا اليه وقد روى الامام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفى الدعاء المأثور اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وقوله تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى اى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه (٣٣٤) وحكمته وهو العادل الذى لا يجور ابدا الا فى شرعه ولا فى قدره (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم أجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) يخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه الغنى عما سواه الحاكم فى خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى أى يجازى كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم فسر المحسنين بانهم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش اى لا يتعاطون المحرمات الكبائر وان وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال فى الآية الاخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال ههنا الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهذا استثناء منقطع لان اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الاعمال قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رايت شيأ أشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه اخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الاعمش عن أبى الضحى ان ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وكذا قال مسروق والشعبى وقال عبد الرحمن بن نافع الذى يقال له ابن لبابة الطائفى قال سألت أبا هريرة عن قول الله الا اللمم قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الا اللمم الا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم

بحيث لا تدل الا على هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنزل بعضهم هذه الرؤيا على ما يوافق مذاهب الامامية ولا عبرة به لان التبشير انما وقع فى الكتب القديمة ببعثة محمد النذير البشير صلى الله عليه وآله وسلم لا بغيره من عترته صلى الله عليه وآله وسلم الكائنة الى يوم القيامة الا ما ورد فى القرآن الكريم من كون مثل أصحابه ع وما فى التوراة والانجيل لا على الخصوص فلا دلالة لها على شئ من ذلك فى تلك النصوص وقد بلغ بعض الناس هذه البشارات الى ثلاث وعشرين بشارة وفى بعضها نظر واضح وبعضهم الى ثمان عشرة بشارة منها ما تقدم فى هذا المقام وفى غيره من هذا التفسير وجلها صحيحة ويظهر من الرجوع الى اصول الكتب نقادة الفاظ تراجمها نقادة عظيمة لا ينبغى مثلها فى الكتب الالهية المقدسة ولذلك لا ترى نسخة من نسخ التوراة والانجيل المطبوعة لهذا العهد او لما قبله من الزمان الكثير الا وهى مختلفة العبارة عربية كانت او افرنجية أو فارسية او هندية أو تركية وهذا التفاوت والاختلاف يقضى بالتحريف والتصحيف ويقضى منه العجب ولا عجب على الحقيقة فان الله سبحانه وتعالى قد اخبرنا بذلك من قبل ان نقف عليه ونتأمل فيه بعين الامعان وتدمس الله سبحانه وتعالى فى هذا الزمان على عباده المؤمنين حيث انتهض عصابة منهم للرد على النصارى باللسان والبيان والعمل بالاركان وألحموهم الحاما يبقى عارا عليهم الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى ومن البشارات أيضا ما فى ترجمة القرآن المجيد

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية الا اللمم قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك ما الما وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قول الله تعالى الا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان اهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك ما الما وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك ما الما وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه الا من حديث زكريا بن اسحق وكذا قال البزار لا نعلمه يروى متصلا الا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل وانما ذكره البغوي في سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه الذين يجتنبون كبائر (٣٣٤) الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمم من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الالمام وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن ابي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمم من الزنا او السرقة او شرب الخمر ثم لا يعود وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابي رجاء عن الحسن في قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس الا اللمم يلم بها في الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة وقال السدي قال ابو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم حكاه البغوي وروى ابن جرير من طريق المثنى ابن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب ان عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير الا اللمم قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء وقال العوفي عن ابن عباس في قوله الا اللمم كل شئ بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة يكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حد الآخرة فكل شئ ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة أي رحمته وسعت كل شئ ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقوله تعالى هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض أي هو بصير بكم عليم باحوالكم وافعالكم واقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع

المجيد للقديس سيل نقله من انجيل برنابا ولفظه اعلم يا برنابا ان الذنب ان كان صغيرا يجزي الله عليه لان الله غير راض عن الذنب ولما احبني أمي وتلاميذي لاجل الدنيا اسخط الله لاجل هذا الامر وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم اذية هنالك واني وان كنت بريئا لكن بعض الناس لما قالوا في حق انه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بان لا تضحك الشياطين يوم القيامة علي ولا يستهزؤن بي فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص اني صلبت لكن هذه الاهانة والاستهزاء تبقيان الى أن يجيء محمد رسول الله فاذا جاء في الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس انتهى وهذه بشارة صريحة عظيمة وان قال النصارى ان هذا الانجيل رده مجالس علمائنا المتقدمين وفي ترجمة كتاب اشعياء باللسان الارمني سبحوا الله تسبيحا جديدا وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد وفي سفر الاستثناء قال جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه سنة من نار اهـ وفاران جبل بمكة ومجيؤه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى واشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل لعيسى واستعلانه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيده ما في سفر التكوين في

منكم حين انشأ أباكم آدم من الارض واستخرج ذريته من صلبه امثال الذر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله واذ أنتم أجنة في بطون امهاتكم قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه واجله وعمله وشقي أم سعيد قال مكحول كنا أجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر رواه ابن أبي حاتم عنه وقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم اى تمدحوها وتشكروها وتمنوا باعمالكم هو اعلم بمن اتقى كما قال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد ابن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم باهل البر منكم فقالوا بم نسميها قال سموها زينب وقد ثبت أيضا في الحديث الذي رواه الامام احمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن ابيه قال مدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك قطعت عنق صاحبك مرارا اذا كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسب فلانا والله حسيبه ولا ازكي على الله احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا اخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن همام بن الحرث قال جاء رجل الى عثمان فاثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الاسود يحثوا في وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقينا المداحين ان نحثوا في وجوههم التراب ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى واعطى قليلا واكدى قال ابن عباس اطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كمثل القوم اذا كانوا يحفرون بئرا فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل وقوله تعالى أعنده علم الغيب فهو يرى أي اعند هذا الذي قد امسك يده خشية الانفاق وقطع معروفه اعنده علم الغيب انه سينفد ما في يده حتى قد امسك عن معروفه فهو يرى ذلك عيانا اى ليس الامر كذلك وانما امسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ولهذا جاء في الحديث أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقوله تعالى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى قال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما امر به وقال ابن عباس وفى بتبليغ

حال اسمعيل عليه السلام وسكن برية فاران واخذت له أمه امرأة من أرض مصر انتهى ولا شك ان اسمعيل كان ساكنا بمكة المكرمة زادها الله شرفها الى غير ذلك من الادلة الصريحة التي ينكرها النصارى ويؤولونها على غير محاملها وكل من اسلم من علماء اهل الكتاب اليهود والنصارى في القرون الاولى بل الى الآن شهد بوجود البشارات المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والتحية في كتب العهدين العتيق والجديد وهكذا اعترف بصحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وعموم رسالته من جملة الشقاء على عدم الاسلام وقبول الايمان كهرقل عظيم الروم ومقوقس صاحب مصر وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب واضرابهم والله سبحانه وتعالى يتم نوره ولو كره الكافرون وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية (فلما جاءهم) عيسى (بالبينات) أي بالمعجزات والآيات (قالوا هذا) الذي جاءنا به (سحر مبين) أي واضح ظاهر وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة والاول أولى بل هو المتبادر من السياق وهما قولان حكاهما المفسرون قرأ الجمهور سحر وقرئ ساحر وهما سبعيتان (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي لا احد أكثر ظلما منه حيث يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك والولد اليه ووصف آياته بالسحر (وهو يدعى الى الاسلام) أي والحال انه يدعى أي يدعوه ربه على لسان نبيه الى دين الاسلام الذي هو خير الاديان وأشرفها وفيه سعادة الدارين لان من كان كذلك فحقه

ان

بالبلاغ وقال سعيد بن جبير وفى ما أمر به وقال قتادة وفى طاعة الله وأدى رسالته الى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذى قبله ويشهد له قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما فقام بجميع الاوامر وترك جميع النواهى وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا ان يكون للناس اماما يقتدى به فى جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا آدم بن أبى اياس العسقلانى حدثنا حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى امامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وابراهيم الذى وفى قال أتدرى ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف وقال الترمذى فى جامعه حدثنا أبو جعفر السمنانى حدثنا أبو مسهر حدثنا اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره قال ابن أبى حاتم رحمه الله وحدثنا أبى حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا (٣٣٧) زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا أخبركم لم سمى الله تعالى ابراهيم خليله الذى وفى انه كان يقول كل ما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن سديد بن سعد عن زبان ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه فى صحف ابراهيم وموسى فقال ان لا تزر وازرة وزر أخرى أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شئ من الذنوب فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى وان ليس للانسان الا ما سعى أى كما لا يحمل عليه وزر

غيره كذلك لا يحصل من الاجر الا ما كسب هو لنفسه ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه ان القراءة لا يصل اهداء ثوابها الى الموتى لانه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا ايماء ولم ينقل ذلك عن احد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان خيرا لسبقونا اليه وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بانواع الاقيسة والآراء فاما الدعاء والصدقة فذلك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم الآية والعلم الذى

أن لا يفترى على غيره الكذب فكيف يفتريه على ربه قرأ الجمهور يدعى من الدعاء مبنيا للمفعول وقرئ يدعى من الادعاء مبنيا للفاعل وانما عدى بالى لانه ضمن معنى الانتماء والانتساب (والله لا يهدى القوم الظالمين) جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى لا يهدى من اتصف بالظلم والمذكورون من جملتهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) الاطفاء (١) الاخماد وأصله فى النار واستعير لما يجرى مجراها من الظهور والمراد بالنور القرآن أى يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن زيد أو المراد الاسلام قاله السدى أو محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك أو الحجج والدلائل قاله ابن بحر فنور الله استعارة تصريحية والاطفاء ترشيح وقوله بأفواههم فيه تورية وكذا قوله نوره ولكن قوله متم تجريد لا ترشيح أو المراد بالنور جميع ما ذكر ومعنى بأفواههم بأقوالهم الخارجة من أفواههم التى لا منشأ لها غير الافواه دون الاعتقاد فى القلوب المتضمنة للطعن مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه تهكما بهم وسخرية قال ابن عطية اللام فى ليطفئوا لام مؤكدة مزيدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا وأكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم كقولك لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت وقيل هى لام العلة والمفعول محذوف أى يريدون ابطال القرآن أو دفع الاسلام أو هلاك الرسول ليطفئوا وقيل انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة بنفسها قال الفراء

---

(١) الاطفاء والاخماد يفترقان من وجه وهو ان الاطفاء يستعمل فى القليل فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج اهـ سيدذو الفقار أحمد

نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله وثبت في الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعهم من غيران ينقص من أجورهم شيأ وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى يوم القيامة كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون أى فيخبركم به ويجزيكم عليه اتم الجزاء ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وهكذا قال ههنا ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى الاوفر (وان الى ربك المنتهى وانه هو أضحك وابكى وانه هو امات وأحيي وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه هو أغنى وأقنى وانه هو رب الشعرى وانه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى) يقول تعالى وان الى ربك المنتهى اى المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الاودى قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بنى أود انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم تعلمون ان المعاد الى الله الى الجنة أو الى النار وذكر البغوى من رواية أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن (٣٣٨) النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب قال البغوى وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة كذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ وانما الذى في الصحيح يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته وفي الحديث الآخر الذى في السنن تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فان الله تعالى خلق ملكا ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة أو كما قال وقوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى أى خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان وانه هو أمات وأحيا كقوله الذى خلق الموت والحياة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى كقوله أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله تعالى وان عليه النشأة الاخرى أى كما خلق البداءة هو قادر على الاعادة وهى النشأة الآخرة يوم القيامة وانه هو أغنى وأقنى أى ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون الى بيعه فهذا اتمام النعمة عليهم وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما وعن مجاهد أغنى مول واقنى اخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا أغنى أعطى واقنى رضى وقيل معناه اغنى نفسه وافقر الخلائق اليه قاله الحضرمى بن لاحق وقيل اغنى من شاء من خلقه واقنى اى افقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من

العرب تجعل لام كى في موضع ان في أرادوا أمر واليه ذهب الكسائى ومثل هذا قوله يريد الله ليبين لكم (والله متم نوره) باظهاره في الآفاق (١) وسائر في البلاد من المشارق الى المغارب واعلائه على غيره ومتم الحق ومبلغه غايته قرئ متم نوره بالاضافة سبعية وبتنوين (ولو كره الكافرون) ذلك فانه كائن لا محالة (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى البيان الشافى بالقرآن أو المعجزات (ودين الحق) أى الملة الحقة وهى ملة الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليجعله ظاهرا على جميع الاديان المخالفة لها عاليا عليها غالبا لها قال الخطيب فان قيل قال أولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك أجيب بانه تعالى أرسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر أليق به وأما قوله ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا فلهذا قال (ولو كره المشركون) ذلك فانه كائن لا محالة ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وقال مجاهد ذلك اذا نزل عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام والدين مصدر يعبر به عن الاديان المتعددة وجواب لو في الموضعين محذوف أى اتمه

(١) فلا يرد ان الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان هذا النور وايضاح الجواب ان اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام ويؤيده قوله اليوم اكملت لكم دينكم اه سيد ذو الفقار احمد

ث اللفظ وقوله وانه هو رب الشعرى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه وانه أهلك عادا الاولى وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة وقوله تعالى وثمود فما أبقى أى دمرهم فلم يبق منهم أحدا وقوم نوح من قبل أى من قبل هؤلاء انهم كانوا هم أظلم وأطغى أى أشد تمردا من الذين من بعدهم والمؤتفكة أهوى يعنى مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فغشاها ما غشى يعنى من الحجارة التى أرسلها عليهم وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قال قتادة كان فى مدائن لوط أربعة آلاف ألف انسان فانضرم عليهم الوادى شيأ من نار ونفط وقطران كفم الاتون رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليد عنه به وهو غريب جدا فبأى آلاء ربك تتمارى أى ففى أى نعم الله عليك أيها الانسان تمترى قاله قتادة وقال ابن جريج فبأى آلاء ربك تتمارى يا محمد والاول أولى وهو اختيار (٣٣٩) ابن جرير (هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا) هذا نذير يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى أى من جنسهم أرسل كما ارسلوا كما قال تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أزفت الآزفة أى اقتربت القريبة وهى القيامة ليس لها من دون الله كاشفة أى لا يدفعها اذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذى يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وفى الحديث أنا النذير العريان أى الذى أعجله شدة ما عاين من الشر عن ان يلبس عليه شيأ بل بادر الى انذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله أزفت الآزفة أى اقتربت القريبة يعنى يوم القيامة كما قال فى أول السورة التى بعدها اقتربت الساعة وقال الامام أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنى أبو حازم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقال أبو حازم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال مثلى ومثل الساعة كهاتين وفرق بين اصبعيه الوسطى والتى تلى الابهام ثم قال مثلى ومثل الساعة كمثل فرسى رهان ثم قال مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى ان يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان ثم قال تعالى منكرا على المشركين فى استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلهيهم تعجبون من ان يكون صحيحا وتضحكون منه استهزاء وسخرية ولا تبكون أى كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقوله تعالى وأنتم سامدون قال سفيان الثورى عن أبيه عن ابن عباس قال الغناء هى يمانية اسمد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة وفى

أتمه وأظهره والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم) الاستفهام ايجاب واخبار فى المعنى وذكر بلفظه تشريفا لكونه أوقع فى النفس وقيل المعنى سأدلكم وهذا الخطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب (على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار قرأ الجمهور تنجيكم من الانجاء وقرئ من التنجية وهما سبعيتان عن أبى هريرة قال قالوا لو كنا نعلم أى الاعمال أحب الى الله فنزلت هذه الآية فكرهوا فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الى قوله بنيان مرصوص أخرجه ابن مردويه قال مقاتل نزلت فى عثمان بن مظعون قال وددت يا نبى الله أعلم أى التجارات أحب الى الله فأتجر فيها ثم بين سبحانه هذه التجارة التى دل عليها فقال (تؤمنون بالله ورسوله) أى تدومون على الايمان لان الخطاب مع المؤمنين وتؤمنون خبر بمعنى الامر للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فاخبر بوقوعه وقرأ ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الامر وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر قال الاخفش تؤمنون عطف بيان لتجارة والاولى ان تكون الجملة مستأنفة مبينة لما قبلها (وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم) قدم ذكر الاموال على الانفس لانها هى التى يبدأ بها فى الانفاق والتجهز الى الجهاد أو لعزتها فى ذلك الوقت أو لانها قوام النفس وهذا بمنزلة الثمن الذى يدفعه المشترى (ذلكم)

رواية عن ابن عباس سامدون معرضون وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب وفى رواية عن ابن عباس يستكبرون وبه يقول السدى ثم قال تعالى آمرا عباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم والتوحيد والاخلاص فاسجدوا لله واعبدوا أى فاخضعوا له واخلصوا ووحدوه قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به دون مسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسى فأبيت ان أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها الا سجد معه وقد رواه النسائى فى الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به آخر تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكية) قد تقدم فى حديث أبى واقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة فى الاضحى والفطر (٣٤٠) وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق واعادته والتوحيد واثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر) يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون وقد وردت الاحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن على قالا حدثنا خلف بن موسى حدثنى أبى عن قتادة عن أنس ان رسول الله على صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس ان تغرب فلم يبق منها الا شف يسير فقال والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس الا يسيرا قلت هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمى عن أبيه وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال ربما أخطأ حديث آخر يعضد الذى قبله ويفسره قال الامام أحمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال ما أعماركم فى أعمار من مضى الا كما بقى من النهار فيما مضى وقال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا محمد بن مطرف عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعثت والساعة هكذا وأشار باصبعيه السبابة والوسطى أخرجاه من حديث أبى حازم سلمة بن دينار وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الاعمش عن أبى خالد عن وهب السوائى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهذه من هذه ان كادت لتسبقنى وجمع الاعمش بين السبابة والوسطى وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعى حدثنى اسمعيل بن عبيد الله قال قدم

أى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) أى هذا الفعل خير لكم من أموالكم وأنفسكم أو من كل شئ (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم ممن يعلم فانكم تعلمون انه خير لكم لا اذا كنتم من أهل الجهل فانكم لا تعلمون ذلك (يغفر لكم ذنوبكم) هذا بمنزلة المبيع الذى يأخذه المشترى من البائع فى مقابلة الثمن المدفوع له وهذا جواب الامر المدلول بلفظ الخبر ولهذا جزم وقال الزجاج والمبرد تؤمنون فى معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما وقال الفراء هذا جواب الاستفهام فجعله مجزوما لكونه جوابه وقد غلطه بعض أهل العلم قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا آمنوا وجاهدوا وقال الرازى فى توجيه قول الفراء ان هل أدلكم فى معنى الامر عنده يقال هل أنت ساكت أى اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء أمر وقيل يغفر لكم مجزوم بشرط مقدر أى ان تؤمنوا يغفر لكم وقرئ بالادغام فى يغفر لكم والاولى تركه لان الراء حرف متكرر فلا يحسن ادغامه فى اللام (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) قد تقدم بيان كيفية جرى الانهار من تحت الجنات مرارا والمعنى من تحت أشجارها وغرفها (ومساكن طيبة) أى قصورا من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون

أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنتم والساعة كهاتين تفرد به أحمد رحمه الله وشاهد ذلك أيضا فى الصحيح فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا ان الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا والله لتملؤنه أفعجبتم والله لقد ذكر لنا ان ما بين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى يعقوب حدثنى ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال الا ان الله يقول اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق الا وان الدنيا قد آذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق فقلت لابى أيستبق الناس غدا فقال يا بنى انك لجاهل انما هو السباق بالاعمال ثم جاءت الجمعة الاخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال الا ان الله عز وجل يقول اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الدنيا قد آذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق الا وان الغاية النار والسابق من سبق الى الجنة وقوله تعالى وانشق القمر قد كان هذا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك فى الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود انه قال خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان أحد المعجزات الباهرات (ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك) رواية أنس بن مالك قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال البخارى حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما واخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبى داود الطيالسى ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به رواية جبير بن مطعم رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقى فى الدلائل من طريق محمد بن كثير عن حصين

على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله رواه الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة مرفوعا ذكره الخطيب ولينظر فى سنده وصحته (فى جنات عدن) أى فى جنات اقامة وخلود (ذلك) المذكور من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو (الفوز العظيم) الذى لا فوز بعده والظفر الذى لا ظفر يماثله (و) يؤتكم نعمة (أخرى تحبونها) وقال الاخفش والفراء معطوفة على تجارة فهى فى محل خفض أى وهل أدلكم على خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وقيل هى فى محل رفع أى ولكم خصلة أخرى وقيل فى محل نصب أى يعطيكم خصلة أخرى وفى تحبونها شىء من التعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل ففيه شىء من التوبيخ على محبة العاجل ثم بين سبحانه هذه الاخرى فقال (نصر) أى هى نصر (من الله) لكم (وفتح قريب) يفتحه عليكم وقيل نصر بدل من أخرى على تقدير كونها فى محل رفع وقيل التقدير ولكم نصر وفتح قريب قال الكلبى يعنى النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم (وبشر المؤمنين) معطوف على محذوف أى قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على تؤمنون لانه فى معنى الامر والمعنى آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا محمد بالنصر والفتح وهذا ما جرى عليه فى

سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به ورواه البيهقي أيضا من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره رواية عبد الله بن عباس قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الرازي حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سحر القمر فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله مستمر رواية عبد الله بن عمر قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن (٣٤٢) الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح رواية عبد الله بن مسعود قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين (قال
حتى نظروا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به واخرجاه من حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود به وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى بن عيسى عن الاعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا أشهدوا قال البخاري وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم

الكشاف أو وبشرهم بالنصر في الدنيا والفتح وبالجنة في الآخرة أو وبشرهم بالجنة في الآخرة ووضع الاظهار موضع الاضمار للاشعار بان صفة الايمان هي التي تقتضي هذه البشارة ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أي دوموا على ما أنتم عليه من نصرة الدين قرئ أنصار الله بالتنوين وبالاضافة والرسم يحتمل القراءتين معا واختار أبو عبيد الاضافة لقوله نحن أنصار الله بالاضافة وهي سبعية واللام يحتمل أن تكون مزيدة في المفعول لزيادة التقوية أو غير مزيدة والاول أظهر قال قتادة قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله) أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى من أنصاري الى الله فقالوا نحن أنصار الله والكاف في كما نعت مصدر محذوف أي كونوا كونا كما قال قاله مكي وفيه نظر اذ لا يؤمرون بان يكونوا كونا وقيل الكاف في محل نصب على اضمار القول أي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى وقيل هو كلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا (١) الزمخشري والمعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله والى بمعنى مع أي مع الله وقيل التقدير من أنصاري فيما يقرب الى الله وقيل التقدير من أنصاري متوجها الى نصرة الله وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران

---

(١) فانه قال فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى ابن مريم من أنصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله اهـ
سندو الله تعالى احمد

به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمارة حدثنا عمرو بن حماد حدثنا اسباط عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق ورواه الامام أحمد عن مؤمل عن اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين (٣٤٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اشهد يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى وان يروا آية أي دليلا وحجة وبرهانا يعرضوا أي لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ويقولوا سحر مستمر أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به ومعنى مستمر أي ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له وكذبوا واتبعوا أهواءهم أي كذبوا بالحق اذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم وقوله وكل أمر مستقر قال قتادة معناه ان الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد وكل أمر مستقر أي يوم القيامة وقال السدي مستقر أي واقع وقوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء أي من الاخبار عن قصص الامم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن ما فيه مزدجر أي ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب وقوله تعالى حكمة بالغة أي في هدايته تعالى لمن هداه واضلاله لمن اضله فما تغني النذر يعني أي شيء تغني النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله وهذه الآية كقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وكذا قوله تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) يقول تعالى فتول يا محمد عن هؤلاء الذين اذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم يوم يدع الداع الى شيء نكر أي الى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والاهوال خشعا أبصارهم أي ذليلة أبصارهم يخرجون من الاجداث وهي القبور كأنهم جراد منتشر أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب اجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق ولهذا قال مهطعين

(قال الحواريين) هم أنصار المسيح وخلص أصحابه وأول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها وفي المختار التحوير تبييض الثياب (نحن أنصار الله) من اضافة الوصف الى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه عن عبد الله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنفر الذين لقوه بالعقبة اخرجوا الى اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم أخرجه ابن سعد وابن اسحق وعن محمود بن لبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنقباء انكم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل قومي قالوا نعم أخرجه ابن سعد (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى عليه السلام (وكفرت طائفة) به وذلك لانهم لما اختلفوا بعد رفعه تفرقوا وتقاتلوا فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أي قوينا المحقين منهم على المبطلين وقال ابن عباس أي أيدنا الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته على عدوهم

أى مسرعين الى الداعى لايتخالفون ولايتأخرون يقول الكافرون هذا يوم عسر أى يوم شديد الهول عبوس قمطرير فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى كذبت قبل قومك يا محمد قوم نوح فكذبوا عبدنا اى صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون وقالوا مجنون وازدجر قال مجاهد وازدجر اى استطير جنونا وقيل وازدجر اى انتهروه وزجروه وتوعدوه لئن تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن فدعا ربه انى مغلوب فانتصر اى انى ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر انت لدينك قال الله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر قال السدى وهو الكثير وفجرنا الارض عيونا أى نبعت جميع أرجاء الارض حتى التنانير التى هى محال النيران نبعت عيونا فالتقى الماء اى من السماء والارض على امر قد قدر اى امر مقدر قال ابن جريج عن ابن عباس ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب فتحت ابواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقا الماآن على امر قد قدر وروى ابن ابى حاتم ان ابن الكواء سأل عليا عن المجرة فقال هى شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر وحملناه على ذات الواح ودسر قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظى وقتادة وابن زيد هى المسامير واختاره ابن جرير قال وواحدها دسار ويقال دسير كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذى يضرب به الموج وقال الضحاك الدسر طرفاها واصلها وقال العوفى عن ابن عباس هو كلكلها اى صدرها وقوله تجرى باعيننا اى بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظها وكلاءتنا جزاء لمن كان كفر اى جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام وقوله تعالى ولقد تركناها آية قال قتادة ابقى الله سفينة نوح حتى ادركها اول هذه الامة والظاهر ان المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وقال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية ولهذا قال ههنا فهل من مدكر اى فهل من يتذكر ويتعظ قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود عن ابن مسعود قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وهكذا رواه البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود ابن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر وروى البخارى أيضا من حديث شعبة عن ابى اسحق عن الاسود عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فهل من مدكر وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبى اسحق انه سمع رجلا سأل الاسود فهل من مذكر أو مدكر قال سمعت عبد الله يقرأ فهل من مدكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فهل من مدكر دالا وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن الا ابن

وقيل المعنى فايدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعا (فاصبحوا ظاهرين) أى صاروا بعدما كانوا فيه من الذل غالبين قاهرين فى أقوالهم وأفعالهم لايخافون أحدا ولا يستخفون منه

(سورة الجمعة احدى عشرة آية بلا خلاف وهى مدنية)

قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وأخرج مسلم وأهل السنن عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى الجمعة سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وأخرجوا عن ابن عباس نحوه وأخرج ابن حبان والبيهقى فى سننه عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى ينزهه فاللام زائدة وفى ذكر ما تغليب للاكثر وهو ما لا يعقل وقال النسفى رحمه الله التسبيح اما أن يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى

كل

ماجه من حديث أبى اسحق وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر أى كيف كان عذابى لمن كفر بى وكذب رسلى ولم يتعظ بما جاءت به نذرى وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثار ولقد يسرنا القرآن للذكر أى سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس كما قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وقال تعالى فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا قال مجاهد ولقد يسرنا القرآن للذكر يعنى هونا قراءته وقال السدى يسرنا تلاوته على الالسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق ان يتكلم بكلام الله عز وجل قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله فهل من مدكر أى فهل من متذكر بهذا القرآن الذى قد يسر الله حفظه ومعناه وقال محمد بن كعب القرظى فهل من منزجر عن المعاصى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق فى قوله تعالى فهل من مدكر هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخارى بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله (كذبت عاد فكيف (٣٤٥) كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضا كما صنع قوم نوح وانه تعالى أرسل عليهم ريحا صرصرا وهى الباردة الشديدة البرد فى يوم نحس أى عليهم قاله الضحاك وقتادة والسدى مستمر عليهم نحسه ودمارهم لانه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالاخروى وقوله تعالى تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وذلك ان الريح كانت تأتى أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الابصار ثم تنكسه على أم رأسه

فيسقط الى الارض فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وهذا اخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر يقولون لقد خبنا وخسرنا ان سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا ثم تعجبوا من القاء الوحى عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا بل هو كذاب أشر أى متجاوز فى حد الكذب قال الله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد ثم قال تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اى اختبارا لهم اخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم فى تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ثم قال

كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله وتنزيهه عن الاشياء أو تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى كل شئ ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى الى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بان يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (الملك القدوس العزيز الحكيم) قرأ الجمهور بالجر فى هذه الصفات الاربع على انها نعت لله وقيل على البدل والاول أولى وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا او قرؤا القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وقد تقدم تفسيره عن ميسرة ان هذه الآية يعنى أول سورة الجمعة مكتوبة فى التوراة بسبعمائة آية (هو الذى بعث) أرسل (فى الاميين) أى اليهم والمراد بهم العرب من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها لانهم لم يكونوا أهل كتاب والامى فى الاصل الذى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وكان غالب العرب كذلك وقال النسفى الامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار انتهى وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما (رسولا منهم) أى من أنفسهم ومن جنسهم ومن جملتهم كما فى قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم وما كان حى من أحياء العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد (١) ولدوه ووجه الامتنان بكونه

(١) قال ابن اسحق الا بنى تغلب فان الله طهره منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة لنصرانيتهم ذكره الخطيب اه سيدذو الفقار احمد

تعالى آمر العبده ورسوله صالح فارتقبهم واصطبر أى انتظر مايؤل اليه أمرهم واصبر عليهم فان العاقبة لك والنصر فى الدنيا والآخرة ونبئهم ان الماء قسمة بينهم اى يوم لهم ويوم للناقة كقوله قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقوله تعالى كل شرب محتضر قال مجاهد اذا غابت حضروا الماء واذا جاءت حضروا اللبن ثم قال تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر قال المفسرون هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله اذ انبعث اشقاها فتعاطى اى خسر فعقر فكيف كان عذابى ونذر أى فعاقبتهم فكيف كان عقابى لهم على كفرهم بى وتكذيبهم رسولى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر أى فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد ييبس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين والمحتظر قال السدى هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتنسفه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يجعلون حظارا على الابل والمواشى من ييبس الشوك فهو المراد من قوله كهشيم المحتظر وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب المتناثر من الحائط وهذا قول غريب والاول اقوى والله اعلم (كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ولقد انذرهم (٣٤٦) بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من اتيان الذكور وهى الفاحشة التى لم يسبقهم بها احد من العالمين ولهذا اهلكهم الله هلاكا لم يهلكه امة من الامم فانه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم وارسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا انا ارسلنا عليهم حاصبا وهى الحجارة الا آل لوط نجيناهم بسحر أى خرجوا من آخر الليل فنجوا مما اصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه احد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما اصاب قومها وخرج نبى الله لوط وبنات له من بين اظهرهم سالما لم يمسه سوء ولهذا قال تعالى كذلك نجزى من شكر ولقد انذرهم بطشتنا اى ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا الى ذلك ولا اصغوا اليه بل شكوا فيه وتماروا به ولقد راودوه عن ضيفه وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل فى صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء الى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فاقبلوا يهرعون اليه من كل مكان فاغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون اضيافه ويقول لهم هؤلاء بناتى يعنى نساءهم ان كنتم فاعلين قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق أى ليس لنا فيهن أرب وانك لتعلم مانريد فلما اشتد الحال وأبوا الا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال انها غارت من وجوههم وقيل انه لم يبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام الى الصباح قال الله تعالى ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر أى لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه فذوقوا

منهم ان ذلك أقرب الى الموافقة لان الجنس أميل الى جنسه وأقرب اليه وقيل أميا مثلهم وانما كان أميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب الى صدقه والاقتصار هنا فى المبعوث اليهم على الأميين لا ينافى انه مرسل الى غيرهم لان ذلك مستفاد من دليل آخر كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس (يتلو عليهم آياته) يعنى القرآن مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا تعلم ذلك من أحد والجملة حال أو نعت لرسولا وكذا قوله (ويزكيهم) أى يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقيل من الشرك وخبائث الجاهلية وقال السدى يأخذ زكاة أموالهم وقيل يجعلهم أزكياء القلوب بالايمان وقال الكرخى يحملهم على مايصيرون به أزكياء من حيث العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجملة صفة ثالثة لرسولا والمراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة كذا قال الحسن وقيل الكتاب الخط بالقلم والحكمة الفقه فى الدين كذا قال مالك بن أنس وقيل المراد بالكتاب الفرائض (وان كانوا من قبل) أى من قبل بعثته فيهم ومجيئه اليهم (لفى ضلال مبين) أى فى شرك وذهاب عن الحق وكفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال واضح لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور عطفا على الأميين أى بعثه فى الأميين الذين

على

عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه انهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هرون بالبشارة ان آمنوا والنذارة ان كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر ثم قال تعالى أكفاركم أي أيها المشركون من كفار قريش خير من أولئكم يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم بالرسل وكفرهم بالكتب أأنتم خير أم أولئكم أم لكم براءة في الزبر أي أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال تعالى مخبرا عنهم أم يقولون نحن جميع منتصر أي يعتقدون انهم يتناصرون بعضهم بعضا وان جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر أي سيتفرق شملهم ويغلبون قال البخاري حدثنا اسحق حدثنا خالد عن خالد وقال أيضا حدثنا محمد حدثنا عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان (٣٤٧) شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يارسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر أي جمع يهزم أي أي جمع يغلب قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها يومئذ وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم أخبرني يوسف بن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر هكذا رواه ههنا مختصرا ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرجه مسلم (ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) يخبر تعالى عن المجرمين انهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم اي كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضلالا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم تقريعا وتوبيخا ذوقوا مس سقر وقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر كقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وكقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على اثبات قدر الله

على عهده وبعثه في آخرين منهم أو منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم أي ويعلم آخرين وكل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم أو عطفا على مفعول يزكيهم أي يزكيهم ويزكي آخرين والمراد بالآخرين من جاء بعد الصحابة الى يوم القيامة وقيل المراد بهم من أسلم من غير العرب وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد الناس كلهم وكذا قال ابن زيد والسدي (لما يلحقوا بهم) ذلك الوقت وسيلحقون بهم من بعد وقيل في السبق الى الاسلام والشرف والدرجة وهذا النفي مستمر أيضا لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين ولا ممن بعدهم فالمنفي هنا غير متوقع الحصول ولذلك لما اورد عليه ان لما تنفي ما هو متوقع الحصول والمنفي هنا ليس كذلك فسرها المحلي بلم التي منفيها أعم من ان يكون متوقع الحصول أولا فلما هنا ليست على بابها والضمير في بهم ومنهم راجع الى الأميين وهذا يؤيد أن المراد بالآخرين هم من يأتي بعد الصحابة من العرب خاصة الى يوم القيامة وهو صلى الله عليه وسلم وان كان مرسلا الى جميع الثقلين فتخصيص العرب هنا لقصد الامتنان عليهم وذلك لا ينافي عموم الرسالة ويجوز أن يراد بالآخرين العجم لانهم وان لم يكونوا من العرب فقد صاروا بالاسلام مثلهم والمسلمون كلهم أمة واحدة وان اختلفت أجناسهم وعن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند

السابق بخلقه وهو علمه الاشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الاحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الاحاديث في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري رحمه الله ولنذكر ههنا الاحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن اسمعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به وقال البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحرث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال مانزلت هذه الآيات ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر الا في اهل القدر وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب من كنانة حدثني جرير بن حازم عن سعد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه (٣٤٨) الآية ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال نزلت في اناس من امتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء ابن أبي رباح قال أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت اسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أوفعلوها قلت نعم قال فوالله مانزلت هذه الآية الا فيهم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر أولئك شرار هذه الامة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ان رأيت احدا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين وقد رواه الامام احمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد المكي عن عبد الله بن عباس لهم

قال قيل له ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس قال والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن انفه حتى اقطعه ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق الياتهن مشركات هذا أول شرك هذه الامة والذي نفسي بيدي لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من ان يكون قدر خيرا كما اخرجوه من أن يكون قدر شرا ثم رواه احمد عن ابي المغيرة عن الاوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبي ايوب حدثني ابو صخر عن نافع قال كان لابن عمر صديق من اهل الشام يكاتبه فكتب اليه عبد الله بن عمر انه بلغني انك تكلمت في شئ من القدر فاياك ان تكتب الي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر رواه أبو داود عن احمد بن حنبل به وقال أحمد حدثنا انس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل امة مجوس ومجوس امتي الذين يقولون لاقدر ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا

النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فوضع يده على سلمان الفارسي وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء أخرجه البخاري وغيره وأخرجه أيضا مسلم من حديثه مرفوعا بلفظ لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس وعن قيس بن سعد بن عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لو كان الايمان بالثريا لناله ناس من أهل فارس أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (وهو العزيز الحكيم) أي بليغ العزة والحكمة في تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) أي ما تقدم ذكره أو الاسلام قاله الكلبي أو الوحي والنبوة قاله قتادة أو الحاق العجم بالعرب أو الدين قاله ابن عباس أو الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر قاله النسفي (فضل الله يؤتيه) أي يعطيه (من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم) الذي لا يساويه فضل ولا يدانيه ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله

تشهدوهم لم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن ابى صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة مسخ ألا وذلك فى المكذبين بالقدر والزنديقية ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن صخر حميد بن زياد به وقال الترمذى حسن صحيح غريب وقال الامام احمد حدثنا اسحق بن الطباع اخبرنى مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليمانى قال سمعت ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم منفردا به من حديث مالك وفى الحديث الصحيح استعن بالله ولا تعجز فان اصابك امر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أنى فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان وفى حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشئ لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الاقلام وطويت الصحف وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن ايوب بن زياد حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة حدثنى أبى قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه اوصنى واجتهد لى فقال اجلسونى فلما أجلسوه قال يا بنى (٣٤٩) انك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبتاه وكيف لى أن اعلم ما خير القدر وشره قال تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بنى انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يا بنى ان مت ولست على ذلك دخلت النار ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى البلخى عن ابى داود الطيالسى عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبى رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب وقال سفيان الثورى عن منصور عن ربعى بن خراش عن رجل عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره وكذا رواه الترمذى من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ورواه من حديث ابى داود الطيالسى عن شعبة عن منصور عن ربعى عن على فذكره وقال هذا عندى أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعى عن على به وقد ثبت فى صحيح مسلم من رواية عبد الله ابن وهب وغيره عن ابى هانئ الخولانى عن ابى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة زاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذى

لهم مثلا فقال (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وقال الجرجانى حملوا من الحمالة بمعنى الكفالة لا من الحمل على الظهر والحميل هو الكفيل أى ضمنوا أحكام التوراة (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بموجبها ولا أطاعوا ما أمروا به فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار) الذى هو أبلد الحيوان فخص بالذكر لانه فى غاية الغباوة (يحمل أسفارا) (١) حال أو صفة للحمار اذ ليس المراد به حمارا معينا فهو فى حكم النكرة اذ المراد به الجنس وقرأ المأمون بن هرون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والاسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال ابن عباس أسفارا كتبا أى كبارا من كتب العلم قال ميمون بن مهران الحمار لا يدرى أسفر على ظهره أم زبل فهكذا اليهود وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مضمر ومثل القوم هو المخصوص بالذم أو مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بعده على حذف المضاف أى مثل الذين كذبوا ويجوز أن يكون الموصول صفة للقوم فيكون فى محل جر والمخصوص بالذم محذوف والتقدير بئس

(١) لطيفة ذكرها المؤلف فى كتابه اتحاف النبلاء المتقين بالفارسية وأنا أترجمها بالعربية ههنا مناسبة للمقام وتنشيطا للاعلام وهى هذه حكى الدمامينى عن استاذه ابن عرفة انه كان يدرس بالاسكندرية فورد عبارة يعود فيها الضمير الى المضاف اليه فقال طالب من طلبة العلم الحاضرين فى الدرس ان النحاة يمنعون اعادة الضمير الى المضاف اليه فكيف تصح هذه العبارة فقال ابن عرفة فى الساعة قال تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وفيه من اللطافة ما لا يخفى اه سند ذو الفقار أحمد

وقال حسن صحيح غريب وقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذا اخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال وما أمرنا الا واحدة أي انما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج الى تأكيد بثانية فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين وما أحسن ما قال بعض الشعراء اذا ما اراد الله امرا فانما * يقول له كن قولة فيكون وقوله تعالى ولقد أهلكنا أشياعكم يعني امثالكم وسلفكم من الامم السالفة المكذبين بالرسل فهل من مدكر أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل وقوله تعالى وكل شئ فعلوه في الزبر أي مكتوب عليهم في الكتب التي بايدي الملائكة عليهم السلام وكل صغير وكبير أي من اعمالهم مستطر أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقد قال الامام احمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن ماهك سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير حدثني عوف بن الحرث وهو ابن اخي عائشة لامها عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن ماهك المدني وثقه احمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم وقد رواه الحافظ بن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر ابن هشام فقال لي ويحك يا سعيد ابن مسلم لقد حدثني سليمان بن المغيرة انه عمل ذنبا فاستصغره فأتاه آت في منامه فقال له يا سليمان

لا تحقرن من الذنوب صغيرا
ان الصغير غدا يعود كبيرا
ان الصغير ولو تقادم عهده
عند الاله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن
صعب القياد وشمرن تشميرا
ان المحب اذا أحب الهه
طار الفؤاد وألهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الاله فتتئد
فكفى بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر أي بعكس ما الاشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد وقوله تعالى في مقعد صدق أي في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده واحسانه عند مليك مقتدر أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا انفرد باخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة باسناده مثله آخر تفسير سورة اقتربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الرحمن وهي مكية)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن او أسن فقال كل القرآن قد قرأت قال اني لاقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال أهذا كهذ الشعر لا أبا لك قد علمت قرائن النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود الرحمن وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد الرحمن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا

مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بالآيات محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني الكافرين على العموم فيدخل فيهم اليهود دخولا أوليا والمراد بهم الذين سبق في علمه انهم لا يؤمنون والا فقد هدى كثيرا من الكفار (قل يا أيها الذين هادوا) المراد بهم الذين تهودوا وتدينوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام وذلك ان اليهود ادعوا الفضيلة على الناس وقالوا انهم أولياء الله من دونهم كما في قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) والولي يؤثر الآخرة ومبدأها وطريقها الموت (فتمنوا الموت) لتصيروا الى ما تصيرون اليه من الكرامة في زعمكم قرأ الجمهور بضم الواو وقرئ بفتحها تخفيفا وحكى الكسائي ابدال الواو همزة (ان كنتم صادقين) في هذا الزعم فان من علم انه من أهل الجنة أحب الخلوص من هذه الدار ثم أخبر سبحانه بما سيكون منهم في المستقبل من انهم لا يفعلون ذلك ابدا بسبب ذنوبهم فقال (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) اي بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار والتحريف والتبديل قال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا

منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الامام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه عن هشام بن عمارة كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو ابن مالك البصرى قالا حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال مالى أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم قالوا وماذاك يا رسول الله قال ما أتيت على قول الله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالت الجن لا بشىء من نعم ربنا نكذب ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد *(بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل (٣٥١) ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان) يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه انه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان قال الحسن يعنى النطق وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعنى الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لان السياق فى تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وانما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها وقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان أى يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وعن عكرمة انه قال لو جعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطير فى عينى عبد ثم كشف حجابا واحدا من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع ان ينظر اليها ونور الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسى ونور الكرسى جزء من سبعين جزأ من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزأ من نور الستر فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور فى عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عيانا رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى والنجم والشجر يسجدان قال ابن جرير اختلف المفسرون فى معنى قوله والنجم بعد اجماعهم على ان الشجر ما قام على ساق، فروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال النجم ما انبسط على وجه الارض يعنى من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدى وسفيان الثورى وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد النجم الذى فى السماء وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الاظهر والله أعلم لقوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس الآية وقوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعنى العدل كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا

تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد فى ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه فى ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو أن لن تقتضى النفى على التأبيد الى مذهب الجماعة وهو أنها لا تقتضيه قلت ليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن فى نفى المستقبل لا ينفى اختصاص لن بمعنى آخر (والله عليم بالظالمين) يعنى على العموم وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولا أوليا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم ان الفرار من الموت لا ينجيهم وانه نازل بهم فقال (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) لا محالة ونازل بكم بلا شك والفاء فى فانه داخلة لتضمن الاسم معنى الشرط قال الزجاج لا يقال ان زيد افمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما فى معنى الذى من الشرط والجزاء اى ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة فى الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه وقيل انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وقيل ان الكلام قد تم عند قوله تفرون منه ثم ابتدأ فقال فانه ملاقيكم ولما كان المقام فى البرزخ أمرا مهولا لا بد منه نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخى فقال (ثم تردون الى عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية وذلك يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الاعمال القبيحة ويجازيكم عليها وفيه وعيد وتهديد (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) اى وقع النداء لها والمراد به الأذان اذا جلس الخطيب على المنبر يوم الجمعة لانه لم يكن على عهد رسول الله صلى

بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وهكذا قال ههنا الا تطغوا فى الميزان أى خلق السموات والارض بالحق والعدل لتكون الاشياء كلها بالحق والعدل ولهذا قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان أى لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم وقوله تعالى والارض وضعها للانام أى كما رفع السماء وضع الارض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الانام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم فى سائر أقطارها وأرجائها قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الأنام الخلق فيها فاكهة أى مختلفة الالوان والطعوم والروائح والنخل ذات الاكمام أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبا ويابسا والاكمام قال ابن جريج عن ابن عباس هى أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذى يطلع فيه العنقود ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه وقال ابن أبى حاتم ذكر عن عمرو بن على الصيرفى حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحرث الطائفى عن الشعبى قال كتب قيصر الى عمر بن الخطاب أخبرك ان رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة بشئ من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق مثل اللؤلؤ (٣٥٢) ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الاخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الاحمر ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان تكن رسلى صدقتنى فلا أرى هذه الشجرة الا من شجر الجنة فكتب اليه عمر بن الخطاب من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى الها من دون الله فان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين وقيل الاكمام رفاتها وهو الليف الذى على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة والحب ذو العصف ... ابن عباس ... اليوم ذو العصف يعنى التبن وقال العوفى عن ابن عباس العصف ورق الزرع الاخضر الذى قطع رؤسه فهو يسمى العصف اذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك عصفه تبنه وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعنى الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ومعنى هذا والله أعلم ان الحب كالقمح والشعير ونحوهما له فى حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعنى اذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل فى قصيدته المشهورة

وقولا له من ينبت الحب فى الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا ويخرج منه حبه فى رؤسه * ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان أى فبأى الآلاء يا معشر الثقلين من الانس والجن تكذبان قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أى النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون انكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا فأيها يا رب أى لا نكذب بشئ منها قال الامام

الله عليه وسلم نداء سواء ثم كان ابو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التى تسمى الزوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه احد فى ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى (من يوم الجمعة) بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشرى وقال ابو البقاء ان من بمعنى فى كما فى قوله أرونى ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض وجمع الكواشى بينهما قرأ الجمهور الجمعة بضم الميم وقرئ باسكانها تخفيفا وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء يقال الجمعة بسكون الميم وبفتحها وبضمها وهى صفة لليوم اى يوم يجمع الناس وقال الفراء ايضا وأبو عبيد التخفيف أخف وأقيس نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة عقيل وقيل انما سميت جمعة لان الله سبحانه جمع فيها خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شئ فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة وعن ابى هريرة قال قلت يا رسول الله لاى شئ سمى يوم الجمعة قال لأن فيه جمعت طينة أبيكم آدم وفيه الصعقة والبعثة وفى آخره ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها بدعوة استجاب له اخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرى ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله اعلم قالها ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة هو

أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون فبأي آلاء ربكما تكذبان (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان) يذكر تعالى خلقه الانسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن

وصف لكم ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به وقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان تقدم تفسيره رب المشرقين ورب المغربين يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء وقال في الآية الاخرى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وذلك في اختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه الى الناس وقال في الآية الاخرى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والانس قال فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مرج البحرين يلتقيان قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله

اليوم الذي جمع الله فيه اباكم آدم افلا احدثكم عن يوم الجمعة الحديث رواه احمد والنسائي وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن مردويه وفي الباب أحاديث مصرحة بانه خلق فيه آدم وورد في فضل يوم الجمعة أحاديث كثيرة وكذلك في فضل صلاة الجمعة وعظيم أجرها وفي الساعة التي فيها وانه يستجاب الدعاء فيها وقد أوضح شيخنا الشوكاني في شرحه المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار بني سالم بن عوف وذلك انه لما قدم المدينة نزل بقباء وأقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في تلك الدار والجمعة فريضة من فرائض الله بهذا النص من كتاب الله وبما صح من السنة المطهرة وهي الكثير الطيب وقد واظب عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوقت الذي شرعها الله تعالى فيه الى ان قبضه وحكى ابن المنذر الاجماع على انها فرض عين وزاد ابن العربي ومن نازع في فرضية الجمعة فقد أخطأ ولم يصب وهي كسائر الصلوات لا تخالفها الا في مشروعية الخطبتين قبلها ومن تأمل فيما وقع في هذه العبادة الفاضلة من الاقوال الساقطة والمذاهب الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب ولا يوجد في

يلتقيان قال ابن زيد أي منعهما ان يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما المراد بقوله البحرين المالح والحلو فالحلو هذه الانهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وقد اختار ابن جرير ههنا ان المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض وهو يروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى قال ابن جرير لان اللؤلؤ يتولد من ماء السماء واصداف بحر الارض وهذا وان كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب اليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال بينهما برزخ لا يبغيان أي وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الارض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والارض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من مجموعهما فاذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم والرسل انما كانوا في الانس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق واللؤلؤ معروف وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروي عن علي وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم عن

الربيع بن أنس وحكاه عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس وروى مثله عن على ومجاهد أيضا ومرة الهمدانى وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون قال السدى عن أبى مالك عن مسروق عن عبد الله قال المرجان الخرز الاحمر قال السدى وهو البسد بالفارسية وأما قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فاللحم من كل من الاجاج والعذب والحلية انما هى من المالح دون العذب قال ابن عباس ماسقطت قطرة من السماء فى البحر فوقعت فى صدفة الاصار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فاذا لم تقع فى صدفة نبتت بها عنبرة وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا امطرت السماء فتحت الاصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها يعنى من قطر فهو اللؤلؤ اسناده صحيح ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على اهل الارض امتن بها عليهم فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى وله الجوار المنشآت يعنى السفن التى تجرى فى البحر قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهى منشآت ومالم يرفع قلعه فليس بمنشآت وقال قتادة المنشآت يعنى المخلوقات وقال غيره المنشآت بكسر الشين يعنى البادئات كالاعلام أى كالجبال فى كبرها ومافيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم مما فيه صلاح للناس فى جلب مايحتاجون اليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال فبأى آلاء ربكما تكذبان وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن عميرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه على شاطئ الفرات اذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عزوجل وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام والذى أنشأها تجرى فى بحوره ماقتلت عثمان ولا مالئت على قتله (كل من عليها فان ويبقى ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان فبأى آلاء ربكما تكذبان) يخبر تعالى ان جميع أهل الارض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السموات الامن شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لايموت بل هو الحى الذى لايموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ ان ذلك كله فان وفى الدعاء المأثور ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لااله الا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا الى أحد من خلقك وقال الشعبى اذا قرأت كل من عليها فان فلا تسكت حتى تقرأ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وهذه الآية كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقد نعت تعالى وجهه الكريم فى هذه الآية الكريمة بانه ذو الجلال والاكرام أى هو أهل ان يجل فلا يعصى وان يطاع فلا يخالف كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وكقوله اخبارا عن المتصدقين انما نطعمكم لوجه الله قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذو العظمة والكبرياء ولما أخبر تعالى عن تساوى أهل الارض كلهم فى الوفاة وانهم سيصيرون الى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه

كتاب الله ولا فى سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الامور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والامام الاعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة أو فرضا من فرائضها أو ركنا من اركانها فيا لله العجب ما يفعل الرأى باهله ومن يخرج من رؤسهم هذه الخزعبلات الشبيهة بالقصص والاحاديث الملفقة وهى عن الشريعة المطهرة بمعزل وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف هذا أحسن المعرفة ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به فى وجهه وتفصيل ذلك فى النيل والسيل للشوكانى هذا وقد قال الشيخ الرحمانى فى حاشيته على التحرير ان أفضل الليالى ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم يوم الجمعة والليل أفضل من النهار (فاسعوا الى ذكر الله) قال عطاء يعنى الذهاب والمشى الى الصلاة وقال الفراء المضى والسعى والذهاب فى معنى واحد ويدل على ذلك قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما فامضوا الى ذكر الله كما سيجىء وقيل المراد القصد قال الحسن والله ماهو سعى على الاقدام ولكنه قصد بالقلوب والنيات وقيل المراد به السعى على الاقدام وذلك فضيلة وليس بشرط والاول أولى وقيل هو العمل قال ابن عباس يعنى ليس المراد به السرعة فى المشى كقوله من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله ان ليس للانسان الا ماسعى وقول الداعى واليك

نسعى

العدل قال فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وهذا اخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه في جميع الآنات فانهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وانه كل يوم هو في شان قال الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير كل يوم هو في شان قال من شانه ان يجيب داعيا او يعطي سائلا أو يفك عانيا أو يشفي سقيما وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا او يكشف كربا او يجيب مضطرا او يغفر ذنبا وقال قتادة لا تستغني عنه أهل السموات والارض يحيي حيا و يميت ميتا و يربي صغيرا و يفك أسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحمصي حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن حبلة هو الفزاري قال ان ربكم كل يوم هو في شان فيعتق رقابا و يعطي رغابا و يقحم عقابا وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثني ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو بن بكر السكسكي حدثنا الحرث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الازدي عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية كل يوم هو في شان فقلنا يارسول الله وماذاك الشان قال ان يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة بن حلبس يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كل يوم هو في شان قال من شانه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام بن عمار به ثم ساقه من حديث أبي الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح قال و ردفيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره قال والصحيح الاول يعني اسناده الاول قلت وقد روي موقوفا كما قد علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء فالله أعلم وقال البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا و يكشف كربا ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة و يحيي و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء (سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ وكذا قال الضحاك هذا وعيد وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لخلقه وقال ابن جريج سنفرغ لكم أي سنقضي لكم وقال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب

نسعى ونحفد قال القرطبي وهذا قول الجمهور أي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه اليه وعن خرشة بن الحر قال رأى معي عمر ابن الخطاب لوحا مكتوبا فيه فاسعوا الى ذكر الله فقال من أملى عليك هذا قلت أبي بن كعب قال ان أبيا اقرأنا للمنسوخ اقرأها فامضوا الى ذكر الله رواه ابن المنذر وابن الانباري وابن أبي شيبة وأبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وروى هؤلاء غير أبي عبيد عن ابن عمر قال لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما نقرأ هذه الآية التي هي في سورة الجمعة الا فامضوا الى ذكر الله وأخرجه عنه أيضا الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم وأخرجوا كلهم أيضا عن ابن مسعود انه كان يقرأ فامضوا الى ذكر الله قال ولو كان فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وعن أبي انه قرأ كذلك والمراد من ذكر الله هنا صلاة الجمعة وقيل موعظة الامام والاول أولى وقال الجمهور الخطبة وبه استدل أبو حنيفة على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا أخرجه البخاري ومسلم وهذا الحديث يعم كل صلاة و يدخل فيه صلاة الجمعة فهو كالتفسير للآية (وذروا البيع) أي اتركوا المعاملة به و يلحق به سائر المعاملات أو اتركوا عقده بتمامه فالخطاب لكل

يقال لأتفرغن لك وما به شغل يقول لآخذنك على غرتك وقوله تعالى أيها الثقلان الثقلان الانس والجن كما جاء في الصحيح يسمعه كل شيء الا الثقلين وفي رواية الا الجن والانس وفي حديث الصور الثقلان الانس والجن فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم قال تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان أي لاتستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا في مقام الحشر الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب الا بسلطان أي الا بأمر الله يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وقال تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ولهذا قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان وقال الضحاك شواظ من نار سيل من نار وقوله تعالى ونحاس قال

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونحاس دخان النار وروى مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان وقال ابن جرير والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراء مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جعدة

يضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا هكذا قال وقد روى الطبراني من طريق جويبر عن الضحاك ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذي لادخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فأنشده بيت أمية بن أبي الصلت في حسان

من البائع والمشتري قال الحسن اذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع عن محمد بن كعب ان رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانا يختلفان في تجارتهما الى الشام فربما قدما يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فيدعونه ويقومون فنزلت الآية وذروا البيع فحرم عليهم ما كان قبل ذلك أخرجه عبد بن حميد والمراد بالآية ترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لاشيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير (ذلكم) أي السعي الى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من البيع والتكسب في ذلك الوقت لما في الامتثال من الاجر والجزاء وفي عدمه من عدم ذلك اذا لم يكن موجبا للعقوبة وتمسك بهذا الشافعية في ان البيع وقت اذان الخطبة الى انقضاء الصلاة صحيح مع الحرمة قال في الكشاف عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب الفساد لان البيع لم يحرم لعينه بل لما فيه من التشاغل عن الصلاة فهو كالصلاة في الارض المغصوبة وقال مالك ماوقع في الوقت المذكور يفسخ وكذا سائر العقود (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم من أهل العلم فانه لايخفى عليكم ان ذلكم خير لكم من مصالح أنفسكم (فاذا قضيت الصلاة) أي اذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها (فانتشروا في الارض) للتجارة فيما تحتاجون اليه

ألا من مبلغ حسان عني * مغلغلة تدب الى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا * لدى القينات فسلا في الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا * وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس قال هو الدخان الذي لا لهب له قال فهل تعرفه العرب قال نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول

يضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رؤسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس والمعنى على كل قول لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان) يقول تعالى فاذا انشقت السماء يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآية مع ماشاكلها من الآيات الواردة

فى معناها كقوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية وقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وقوله تعالى فكانت وردة كالدهان أى تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك وتتلون كما تتلون الاصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة الامر وهول يوم القيامة العظيم وقد قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبى الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلى حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم قال الجوهرى الطش المطر الضعيف وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله وردة كالدهان قال هو الاديم الاحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فكانت وردة كالدهان كالفرس الورد وقال العوفى عن ابن عباس تغير لونها وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوى وغيره ان الفرس الورد تكون فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد غبر لونها وقال الحسن البصرى تكون الوانا وقال السدى تكون كلون البغلة الوردة وتكون كالمهل كدردى الزيت وقال مجاهد كالدهان كالوان الدهان وقال عطاء الخراسانى كلون دهن الورد فى الصفرة وقال قتادة هى اليوم (٣٥٧) خضراء ويومئذ لونها الى الحمرة يوم ذى الوان وقال أبو الجوزاء فى صفاء الدهن وقال ابن جرير تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وهذه كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فهذا فى حال وثم فى حال يسئل الخلائق عن جميع اعمالهم قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ولهذا قال قتادة فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا فهذا قول ثان وقال مجاهد فى هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم وهذا قول ثالث وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم الى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون اليها ويلقون فيها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقتادة يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون قلت وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء وقوله تعالى فيؤخذ بالنواصى والاقدام أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه فى النار كذلك وقال الاعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره وقال السدى يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا

اليه من أمر معاشكم والامر للاباحة (وابتغوا) أى اطلبوا (من فضل الله) أى من رزقه الذى يتفضل به على عباده بما يحصل لهم من الارباح فى المعاملات والمكاسب وقيل المراد به ابتغاء ما عند الله من الاجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل وقيل هو طلب العلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله أخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال لم يؤمروا بشئ من طلب الدنيا انما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله) ذكرا (كثيرا) بالشكر له على ما هداكم اليه من الخير الاخروى والدنيوى وكذا اذكروه بما يقربكم اليه من الاذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقتصروا ذكره على حالة الصلاة (لعلكم تفلحون) أى لكى تفوزوا بخيرى الدارين وتظفروا بهما (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) سبب نزول هذه الآية انه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة فاقبلت عير الشام وضرب لقدومها الطبل والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا (١) عشر رجلا فى المسجد كما سيجئ قال قتادة بلغنا انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم

(١) قال القرطبى وفى رواية ان الذين بقوا معه أربعون رجلا وفى أخرى انهم ثمانية وفى أخرى انهم احد عشر وفى أخرى انهم ثلاثة عشر وفى أخرى انهم أربعة عشر فهذا منشأ الخلاف بين الائمة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة اه سيدذو الفقار أحمد

معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام انه سمع أبا سلام يعنى جده أخبرنى عبد الرحمن حدثنى رجل من كندة قال أتيت عائشة
فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يأتى عليه ساعة لا يملك فيها لاحد شفاعة قالت نعم
لقد سألته عن هذا وأنا وهو فى شعار واحد قال نعم حين يوضع الصراط لا أملك لاحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بى ويوم تبيض
وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بى أو قال يوحى وعند الجسر حين يستحد ويستحر فقالت وما يستحد وما يستحر قال يستحد
حتى يكون مثل شفرة السيف ويستحر حتى يكون مثل الجمرة فاما المؤمن فيجيزه لا يضره وأما المنافق فيتعلق حتى اذا بلغ أوسطه
خر من قدميه فيهوى بيديه الى قدميه قالت فهل رأيت من يسعى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهوى
بيده ورأسه الى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف فى ناصيته وقدميه فتقذفه فى جهنم فيهوى فيها مقدار خمسين عاما قلت ما ثقل
الرجل قالت ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام هذا حديث غريب وفيه
ألفاظ منكر رفعها وفى الاسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم وقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون أى هذه النار التى
كنتم تكذبون بوجودها ها هى حاضرة (٣٥٨) تشاهدونها عيانا يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا وقوله تعالى
يطوفون بينها وبين حميم آن أى
تارة يعذبون فى الجحيم وتارة يسقون
من الحميم وهو الشراب الذى هو
كالنحاس المذاب يقطع الامعاء
والاحشاء وهذه كقوله تعالى اذ
الاغلال فى أعناقهم والسلاسل
يسحبون فى الحميم ثم فى النار
يسجرون وقوله تعالى آن أى حار
قد بلغ الغاية فى الحرارة لا يستطاع
من شدة ذلك قال ابن عباس فى
قوله يطوفون بينها وبين حميم آن
أى قد انتهى غليه واشتد حره وكذا
قال مجاهد وسعيد بن جبير
والضحاك والحسن والثورى
والسدى وقال قتادة قد آن طبخه
منذ خلق الله السموات والارض
وقال محمد بن كعب القرظى يؤخذ العبد فيحرك بناصيته فى ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم
والعينان فى الرأس وهى كالتى يقول الله تعالى فى الحميم ثم فى النار يسجرون والحميم الآن يعنى الحار وعن القرظى رواية أخرى حميم
آن أى حاضر وهو قول ابن زيد أيضا والحاضر لا ينافى ما روى عن القرظى أولا انه الحار كقوله تعالى تسقى من عين آنية أى حاضرة
شديدة الحر لا تستطاع وكقوله غير ناظرين اناه يعنى استواءه ونضجه فقوله حميم آن أى حميم حار جدا ولما كان معاقبة العصاة
المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان انذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك
والمعاصى وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته فبأى آلاء ربكما تكذبان (ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان
ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء
ربكما تكذبان) قال ابن شوذب وعطاء الخراسانى نزلت هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فى أبى بكر الصديق وقال ابن أبى حاتم
حدثنا أبى حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان نزلت

العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة وقيل ضرب به أهل المدينة على
العادة فى انهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق أو ضرب به أهل القادم بها أقوال ثلاثة
حكاها الخطيب ومعنى انفضوا تفرقوا خارجين اليها وقال المبرد مالوا اليها والضمير للتجارة
وخصت بارجاع الضمير اليها دون اللهو لانها كانت أهم عندهم وقيل التقدير واذا رأوا تجارة
انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة (١) الاول عليه وقيل انه اقتصر على
ضمير التجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما مع الحاجة اليها فكيف بالانفضاض
الى اللهو وقيل غير ذلك (وتركوك) فى الخطبة (قائما) على المنبر أخرج البخارى ومسلم
وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال بينما النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة
قائما اذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق
منهم الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وأبو بكر وعمر فانزل الله واذا رأوا تجارة الى آخر السورة
وعن ابن عباس فى الآية قال جاءت عير عبد الرحمن بن عوف تحمل الطعام فخرجوا
من الجمعة بعضهم يريد ان يشترى وبعضهم يريد ان ينظر الى دحية بن خليفة الكلبى وتركوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما على المنبر وبقى فى المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو خرج كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا أخرجه
عبد بن حميد وفى الباب روايات متضمنة لهذا المعنى عن جماعة من الصحابة وغيرهم والذى
سوغ

(١) كما فى قول الشاعر نحن بما عندنا وأنت بما ۔ عندك راض والرأى مختلف اهـ سيدو الفقار أحمد

في الذى قال أحرقونى بالنار لعلى أضل الله قال تاب يوما وليلة بعد ان تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة والصحيح ان هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى ولمن خاف مقام ربه بين يدى الله عز وجل يوم القيامة ونهى النفس عن الهوى ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا وعلم ان الآخرة خير وأبقى فادى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخارى رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبى الاسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم عز وجل الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وأخرجه بقية الجماعة الا أبا داود من حديث عبد العزيز به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وفى قوله ومن دونهما جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرنى أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوما هذه الآية ولمن خاف مقام (٣٥٩) ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم أنف أبى الدرداء ورواه النسائى من حديث محمد بن حرملة به ورواه النسائى أيضا عن مؤمل بن هشام عن اسمعيل عن الجريرى عن موسى عن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبى الدرداء به وقد روى موقوفا على أبى الدرداء وروى عنه انه قال ان من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق وهذه الآية عامة فى الانس والجن فهى من أدل دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا آمنوا واتقوا ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم نعت هاتين الجنتين فقال ذواتا أفنان أى أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة فبأى آلاء ربكما تكذبان هكذا قال عطاء الخراسانى وجماعة ان الافنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن على حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان سمعت عكرمة يقول ذواتا أفنان يقول ظل الاغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر

ماهاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنن الغصون حماما تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا مخلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوى عن مجاهد وعكرمة والكلبى انه الغصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد السلام بن حرب حدثنا عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد بن جبير والحسن والسدى وخصيف والنضر بن عدى وابن سنان مثل ذلك ومعنى هذا القول ان فيهما فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة وقال الربيع بن أنس ذواتا أفنان واسعتا الفناء وكل هذه الاقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم وقال قتادة ذواتا أفنان يعنى بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء

سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب انهم ظنوا ان الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان صلى الله عليه وآله وسلم أول الاسلام يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة وعن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما أخرجه الشيخان وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما واتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة ثم أمره الله سبحانه ان يخبرهم بان العمل للآخرة خير من العمل للدنيا فقال قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل (ما عند الله) من الجزاء العظيم على الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الجنة (خير من اللهو ومن التجارة) الذين ذهبتم اليهما وتركتم البقاء فى المسجد وسماع خطبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لاجلها وانما كان خيرا لانه محقق مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفع التجارة واللهو اذ نفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان الاعدام تقدم على الملكات (والله خير الرازقين) فمنه اطلبوا الرزق واليه توسلوا بعمل الطاعة فان ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه وتعددهم انما هو على سبيل المجاز من حيث انه يقال كل انسان يرزق عائلته أى من رزق الله تعالى والا فالرازق بالحقيقة هو الله وحده

بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة أو قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وفي قوله ومن دونهما جنتان قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين فيهما عينان تجريان أي تسرحان لسقي تلك الاشجار والاغصان لتثمر من جميع الالوان فبأي آلاء ربكما تكذبان قال الحسن البصري احداهما يقال لها تسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ولهذا قال بعد هذا فيهما من كل فاكهة زوجان أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فبأي آلاء ربكما تكذبان قال ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء يعني ان بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا في التفاضل (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان فبأي آلاء

ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان) يقول تعالى متكئين يعني أهل الجنة والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربيع على فرش بطائنها من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قاله عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجوني هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالادنى على الاعلى قال أبو اسحق عن هبيرة بن مريم عن عبد الله بن مسعود قال هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر وقال مالك بن دينار بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال سفيان الثوري ذلك أو شريك بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال القاسم بن محمد بطائنها من استبرق وظواهرها من الرحمة وقال ابن شوذب عن أبي عبد الله الشامي ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحاسن ولا يعلم ما تحت المحاسن الا الله تعالى ذكر ذلك كله الامام ابن أبي حاتم وجنا الجنتين دان أي ثمرهما قريب اليهم متى شاؤا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى قطوفها دانية وقال ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي لا تمتنع من تناولها بل تنحط اليه من اغصانها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك فيهن أي في الفرش قاصرات الطرف أي غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيأ في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما أرى في الجنة شيأ أحسن منك ولا في الجنة شيأ أحب الي منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان أي بل هن ابكار عرب اتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الانس والجن وهذه أيضا من الادلة على دخول مؤمني الجن الجنة قال أرطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة قال نعم وينكحون للجن جنيات وللانس انسيات وذلك قوله لم يطمثهن

(سورة المنافقون هي احدى عشرة آية بلا خلاف وهي مدنية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة فيحرض بها على المؤمنين وفي الثانية بسورة المنافقين فيقرع بها المنافقين أخرجه سعيد بن منصور والطبراني في الاوسط قال السيوطي بسند حسن وأخرج البزار والطبراني عن أبي عنبة الخولاني مرفوعا نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون) أي اذا وصلوا اليك وحضروا مجلسك قال ابن عباس انما سماهم الله منافقين لانهم كتموا الشرك وأظهروا الايمان والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه (قالوا) هذا جواب الشرط وقيل محذوف وقالوا حال أي جاؤك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد جدا كما لا يخفى (نشهد انك لرسول الله) أكدوا شهادتهم بان واللام للاشعار بانها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم ومعنى نشهد نحلف فهو يجري مجرى القسم ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وانما عبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحالف والشاهد اثبات لامر معين ويحتمل ان يكون

أنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم قال ينعتهن للخطاب كأنهن الياقوت والمرجان قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم في صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الاودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك قول الله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وهكذا رواه الترمذي من حديث عبيدة بن حميد وأبي الاحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقوفا ثم قال وهو أصح وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وقد روى مسلم حديث اسمعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال اما تفاخروا واما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما في الجنة أعزب وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ورواه البخاري من حديث أبي اسحق عن حميد عن أنس بنحوه وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان أي ما لمن أحسن العمل في الدنيا الا الاحسان اليه في الدار الآخرة كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال البغوي حدثنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن منجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا اسحق بن ابراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة ولما كان في الذي ذكر نعمة عظيمة لا تقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله فبأي آلاء ربكما تكذبان ومما يتعلق بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ما رواه الترمذي والبغوي من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي عقيل الثقفي عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي عن بكير بن فيروز عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث أبي النضر وروى البغوي من حديث علي بن حجر عن اسمعيل بن جعفر عن محمد بن

ذلك محمولا على ظاهره نفيا للنفاق عن أنفسهم وهو الاشبه ومثل نشهد نعلم فانه أيضا يجري مجرى القسم كما في قول الشاعر

ولقد علمت لتأتين منيتي * ان المنايا لا تطيش سهامها

(والله يعلم انك لرسوله) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو ما أظهروه من الشهادة وان كانت بواطنهم على خلاف ذلك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) أي في شهادتهم التي زعموا أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد لا في منطوق كلامهم وهو الشهادة بالرسالة فانه حق يعني انهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم من التأكيد الدال على ان شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص اعتقاد وطمأنينة قلب وموافقة باطن لظاهر أو انهم كاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) أي جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم به انهم لمنكم وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والاسر قال النسفي وفيه دليل على ان أشهد يمين قال ابن عباس اجتنوا بأيمانهم من القتل والحرب والجملة مستأنفة لبيان كذبهم وحلفهم عليه قرأ الجمهور أيمانهم بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وقد تقدم تفسير هذا في سورة المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوءا ومن كلام الفصحاء جبة البرد جنة البرد (فصدوا عن سبيل

أبى حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنا وان سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يارسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنا وان سرق يارسول الله فقال وان رغم أنف أبى الدرداء (ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما فى المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى ومن دونهما جنتان وقد تقدم فى الحديث جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالاوليان للمقربين والاخريان لاصحاب اليمين وقال أبو موسى جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين وقال ابن (٢٦٢) عباس ومن دونهما جنتان من دونهما فى الدرج وقال ابن زيد من دونهما فى الفضل والدليل على أشرف الاولين على الاخريين وجوه أحدها انه نعت الاوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال ومن دونهما جنتان وهذا ظاهر فى شرف التقدم وعلوه على الثانى وقال هناك ذواتا أفنان وهى الاغصان أو الفنون فى الملاذ وقال ههنا مدهامتان أى سوداوان من شدة الرى من الماء قال ابن عباس فى قوله مدهامتان قد اسودتا من الخضرة من شدة الرى من الماء وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضراوان وروى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبى أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد فى احدى الروايات وعطاء وعطية العوفى والحسن البصرى ويحيى بن رافع وسفيان الثورى نحو ذلك وقال محمد بن كعب مدهامتان ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضراوان من الرى ناعمتان ولا شك فى نضارة الاغصان على الاشجار المشتبكة بعضها فى بعض وقال هناك فيهما عينان تجريان وقال ههنا نضاختان قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى فياضتان والجرى أقوى من النضخ وقال الضحاك نضاختان أى ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك فيهما من كل فاكهة زوجان وقال ههنا فيهما فاكهة ونخل ورمان ولا شك ان الاولى أعم وأكثر فى الافراد والتنويع على فاكهة وهى نكرة فى سياق الاثبات لا تعم ولهذا فسر قوله ونخل ورمان من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخارى وغيره وانما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أفى الجنة فاكهة قال نعم فيها فاكهة ونخل ورمان قالوا أفيأكلون كما يأكلون فى الدنيا قال نعم وأضعاف

الله) أى منعوا الناس عن الايمان والجهاد واعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح فى النبوة هذا معنى الصد الذى بمعنى الصرف ويجوز أن يكون بمعنى الصدود أى أعرضوا عن الدخول فى سبيل الله واقامة أحكامه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وساء هذه هى الجارية مجرى بئس فى افادة الذم ومع ذلك ففيها معنى التعجيب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) أى ما تقدم ذكره من الكذب والصد وقبح الاعمال (بانهم) أى بسبب انهم (آمنوا) باللسان فى الظاهر نفاقا (ثم كفروا) بالقلب فى الباطن فثم للترتيب الاخبارى لا الايجادى أو أظهروا الايمان للمؤمنين وأظهروا الكفر للكافرين وهذا صريح فى كفر المنافقين وقيل نزلت الآية فى قوم آمنوا ثم ارتدوا والاول أولى كما يفيده السياق (فطبع على قلوبهم) أى ختم عليها بسبب كفرهم قرأ الجمهور طبع مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود الى الله سبحانه ويدل عليه قراءة الاعمش فطبع الله على قلوبهم (فهم لا يفقهون) ما فيه صلاحهم ورشادهم وهو حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) أى هيآتهم ومناظرهم يعنى ان لهم أجساما يعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق قال ابن عباس كان ابن أبى جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وكان قوم من المنافقين

بطونهم من أذى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكرنافها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم وحدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هرون عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب ثم قال فيهن خيرات حسان قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور وروي مرفوعا عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة ان شاء الله تعالى ان الحور العين يغنين نحن الخيرات الحسان خلقن لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم فيهن خيّرات بالتشديد حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم قال حور مقصورات في الخيام وهناك قال فيهن قاصرات الطرف ولا شك ان التي قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وان كان الجميع مخدرات قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة (٣٦٣) خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون وقوله تعالى في الخيام قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله ابن قيس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون ورواه أيضا من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلا وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرني خليد العصري عن أبي الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در وحدثنا أبي حدثنا عيسى بن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام قال في خيام اللؤلؤ وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحرث به وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قد تقدم مثله سواء الا انه زاد في وصف الأوائل بقوله كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هي المحابس وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي وقال عاصم الجحدري متكئين على رفارف خضر يعني الوسائد وهو

المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكان يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم (وان يقولوا) أي يتكلموا في مجلسك (تسمع لقولهم) أي تسمع وتصغي وتميل فلذلك عدي باللام والمعنى تحسب ان قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم قال الكلبي المراد عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لكل من يصلح له ويدل عليه قراءة يسمع على البناء للمفعول وجملة (كأنهم خشب مسندة) خبر مبتدأ مضمر أي هم كأنهم أو مستأنفة لتقرير ما تقدم من ان أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر قاله الزمخشري أو في محل نصب على الحال وصاحب الحال الضمير في قولهم قاله أبو البقاء شبهوا في جلوسهم في مجالس النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة الى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه قال الزجاج وصفهم بتمام الصور ثم أعلم انهم في ترك الفهم والاستبصار وعظم الأجسام بمنزلة الخشب قرأ الجمهور خشب بضمتين وقرئ باسكان الشين لأن واحدتها خشبة كبدنة وبدن وهما سبعيتان وقرئ بفتحتين ومعنى مسندة انها أسندت الى غيرها من قولهم أسندت كذا الى كذا والتشديد للتكثير قال ابن عباس في الآية كأنهم نخل قيام وقيل انهم أشباح بلا

قول الحسن البصري في رواية عنه وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى متكئين على رفرف خضر قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى وعبقري حسان قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي العبقري الزرابي وقال سعيد بن جبير هي عتاق الزرابي يعني جيادها وقال مجاهد العبقري الديباج وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى وعبقري حسان فقال هي بسط اهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها وعن الحسن رواية انها المرافق وقال زيد بن أسلم العبقري أحمر وأصفر وأخضر وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال البسط أسفل من ذلك وقال ابن حزرة يعقوب بن مجاهد العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد وقال أبو العالية العبقري الطنافس المخملة الى الرقة ماهي وقال القيسي كل ثوب موشى عند العرب عبقري وقال أبو عبيدة هو منسوب الى ارض يعمل بها الوشي وقال الخليل بن أحمد كل شئ نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الاولتين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هنالك متكئين على فرش بطائنها من استبرق فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الاولى والاحرى وتمام الخاتمة انه قال بعد الصفات المتقدمة هل جزاء الاحسان الا الاحسان فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الاسلام ثم الايمان ثم الاحسان فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الاولتين على هاتين الاخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الاولتين ثم قال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام أي هو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى وقال ابن عباس ذي الجلال والاكرام ذي العظمة والكبرياء وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هانئ عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلوا الله يغفر لكم وفي الحديث الآخر ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وذي السلطان وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربي حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألظوا بياذا الجلال والاكرام وكذا رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن مؤمل بن اسمعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وانما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسي عن ربيعة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألظوا بذي الجلال والاكرام ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الجوهري ألظ فلان بفلان اذا لزمه وقول ابن مسعود ألظوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا يقال الالظاظ هو الالحاح قلت وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة واللزوم والالحاح وفي صحيح مسلم والسنن الاربعة من حديث عبد الله بن الحرث عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة الا بقدر ما يقول اللهم أنت

أرواح وأجسام بلا أحلام وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى أنزل الله تصديقي في اذا جاءك المنافقون فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وهو قوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ وأخرجه عنه باطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي ثم عابهم الله سبحانه بالجبن فقال (يحسبون كل صيحة) يسمعونها واقعة (عليهم) نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم وفي المفعول الثاني للحسبان وجهان أولهما انه عليهم ويكون جملة (هم العدو) مستأنفة لبيان انهم الكاملون في العداوة لكونهم يظهرون غير ما يبطنون والوجه الثاني أن المفعول الثاني للحسبان هو قوله هم العدو ويكون قوله عليهم متعلقا بصيحة وانما جاء بضمير الجماعة باعتبار الخبر وكان حقه ان يقال هو العدو والوجه الاول أولى قال مقاتل والسدي أي اذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوا انهم المرادون

السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام آخر تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الواقعة وهي مكية) قال أبو اسحق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت رواه الترمذي وقال حسن غريب قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن مسعود وبسنده الى عمرو بن الربيع بن طارق المصري حدثنا السري بن يحيى الشيباني عن أبي شجاع عن أبي ظبية قال مرض عبدالله مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ماتشتكي قال ذنوبي قال فماتشتهي قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بعطاء قال لاحاجة لي فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتي الفقر اني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبدالله بن وهب عن السري وقال عبدالله بن وهب أخبرني السري بن يحيى ان شجاعا حدثه عن أبي ظبية عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقه أبدا فكان أبو ظبية لايدعها وكذا (٣٦٥) رواه أبو يعلى عن اسحق بن ابراهيم عن محمد بن منيب عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود به ثم رواه عن اسحق ابن أبي اسرائيل عن محمد بن المنيب العدني عن السري بن يحيى عن أبي ظبية عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا لم يذكر في سنده شجاعا قال وقد أمرت بناتي ان يقرأنها كل ليلة وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن أبي اليمان عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله قال عثمان بن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا اسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا اسرائيل عن سماك بن حرب انه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور *(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم)* الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى فيومئذ وقعت الواقعة وقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أي ليس لوقوعها اذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لامرد له من الله وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع وقال تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ومعنى كاذبة كما قال محمد بن كعب لابد ان تكون وقال قتادة ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة

المرادون لما في قلوبهم من الرعب وقيل كان المنافقون على وجل من ان ينزل فيهم مايهتك استارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يأخذ حذره منهم فقال (فاحذرهم) ان يتمكنوا من فرصة منك أو يطلعوا على شيء من اسرارك لانهم عيون لاعدائك من الكفار قال ابو السعود الفاء لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء وعلى هذا جعل قوله هم العدو مفعولا ثانيا مما لايساعده النظم الكريم أصلا ثم دعا عليهم بقوله (قاتلهم الله) أي لعنهم الله وقد تقول العرب هذه الكلمة على طريق التعجب كقولهم قاتله الله من شاعر أو ما أشعره وليس بمراد هنا بل المراد ذمهم وتوبيخهم وهو طلب من الله سبحانه طلبه من ذاته عز وجل ان يلعنهم ويخزيهم أو هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا ذلك وقيل معناه أهلكهم وهذا ماجرى عليه أبو عيسى ومعنى (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه الى الكفر بعد قيام البرهان على حقية الايمان قال قتادة يعدلون عن الحق وقال الحسن معناه يصرفون عن الرشد (واذا قيل لهم تعالوا) أي اذا قال لهم القائل من المؤمنين قد نزل فيكم مانزل من القرآن فتوبوا الى الله ورسوله وتعالوا (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي حركوها استهزاء بذلك قال مقاتل عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار وقيل اعراضا عنه واستكبارا قرأ الجمهور لووا بالتشديد وقرئ بالتخفيف واختار الاولى أبو عبيد وهما سبعيتان (ورأيتهم يصدون) أي يعرضون

قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية وقوله تعالى خافضة رافعة أي تخفض أقواما الى أسفل سافلين الى الجحيم وان كانوا في الدنيا أعزاء وترفع آخرين الى أعلى عليين الى النعيم المقيم وان كانوا في الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي عن أبيه عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس خافضة رافعة تخفض أناسا وترفع آخرين وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب خافضة رافعة قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين وقال السدي خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين وقال العوفي عن ابن عباس خافضة رافعة أسمعت القريب والبعيد وقال عكرمة خفضت فأسمعت الادنى ورفعت فأسمعت الاقصى وكذا قال الضحاك وقتادة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا أي حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى اذا رجت الارض رجا أي زلزلت زلزالا وقال الربيع بن أنس ترتج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى اذا (٣٦٦) زلزلت الارض زلزالها وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى وبست الجبال بسا أي فتتت فتا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى كثيبا مهيلا وقوله تعالى فكانت هباء منبثا قال أبو اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء وقال عن ابن عباس في قوله فكانت هباء منبثا الهباء الذي يطير من النار اذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا وقال عكرمة المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة هباء منبثا كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أي   بان قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش وقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي ينقسم الناس يوم القيامة الى ثلاثة أصناف قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايمن ويؤتون كتبهم بايمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار عياذا بالله من صنيعهم وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين هم سادتهم فيهم الرسل والانبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهكذا قسمهم الى هذه الانواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وكنتم أزواجا ثلاثة قال هي التي في سورة الملائكة ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

عن قول من قال لهم تعالوا الخ أو يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجملة (وهم مستكبرون) في محل نصب على الحال من فاعل الحال الاولى وهي يصدون لان الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى رأيتهم صادين مستكبرين عن الاعتذار والاستغفار ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب صلاحهم وان يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك بعض أقاربهم قال تعالى منبها على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لاصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر وهذا تيئيس له من ايمانهم (لن يغفر الله لهم) أي ما داموا على النفاق (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي الله ويدخل فيهم المنافقون دخولا أوليا ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال (هم الذين يقولون) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم هداية الله لهم والمعنى يقولون لاصحابهم من الانصار المخلصين في الايمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (لا تنفقوا على من عند رسول الله) الظاهر انه حكاية ما قالوه بعينه لانهم منافقون مقرون برسالته ظاهرا ولا حاجة الى أنهم قالوه تهكما أو لغلبته عليه حتى صار كالعلم كما قيل ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله اجلالا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (حتى ينفضوا) أي لاجل أن يتفرقوا عنه

ومنهم سابق بالخيرات وقال ابن جريج عن ابن عباس فى هذه الازواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة وقال يزيد الرقاشى سألت ابن عباس عن قوله وكنتم أزواجا ثلاثة قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد وكنتم أزواجا ثلاثة يعنى فرقا ثلاثة وقال ميمون بن مهران أفواجا ثلاثة وقال عبيد الله العتكى عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب وكنتم أزواجا ثلاثة اثنان فى الجنة وواحد فى النار وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضرباء قال كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بان الله يقول وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوى حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه للجنة ولا أبالى وهذه للنار ولا أبالى وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة قالوا (٣٦٧) الله ورسوله أعلم قال الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب وأبو حزرة يعقوب بن مجاهد والسابقون السابقون هم الانبياء عليهم السلام وقال السدى أهل عليين وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس والسابقون السابقون قال يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل يس سبق الى عيسى وعلى بن أبى طالب سبق الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبى حاتم عن محمد بن هرون النلاس عن عبد الله بن اسمعيل المدائنى البزار عن سفيان ابن الضحاك المدائنى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح به وقال ابن أبى حاتم وذكر عن محمد بن أبى حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين والسابقون السابقون الذين صلوا القبلتين ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة والسابقون السابقون اى من كل أمة وقال الاوزاعى عن عثمان بن ابى سودة أنه قرأ هذه الآية والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم قال أولهم رواحا الى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله وهذه الاقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون الى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض فمن سابق فى هذه الدنيا وسبق الى الخير كان فى الآخرة من السابقين الى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ولهذا قال تعالى أولئك المقربون فى جنات النعيم وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا يحيى بن زكريا القزازى الرازى حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال قالت الملائكة يارب جعلت لبنى آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون

السابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم وقد روى هذا الاثر الامام عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه الرد على

بان يذهب كل واحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك يعنون بذلك فقراء المهاجرين قرأ الجمهور ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم يقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عسيف لعمر بن الخطاب وقرأ زيد بن أرقم وابن مسعود حتى ينفضوا من حوله ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال (ولله خزائن السموات والارض) أى انه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين وغيرهم لان خزائن الرزق له فيعطى من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء لا بايديهم وهذا ردوا بطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله والجملة حالية أى قالوا ماذكروا والحال ان الرزق بيده تعالى لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا مما فى يده ولا مما فى يد غيره (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك ولا يعلمون ان خزائن الارزاق بيد الله عزوجل وانه الباسط القابض المعطى المانع ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن أبى رأس المنافقين وعنى بالاعز نفسه ومن معه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه والمراد بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة وانما أسند القول الى المنافقين مع كون القائل فردا من أفرادهم وهو ابن أبى لكونه رئيسهم وصاحب أمرهم وهم راضون بما يقوله السامعون له مطيعون أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن

المهيمنة ولقطته فقال الله عز وجل لمن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين انهم ثلة أي جماعة من الاولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الاولين والآخرين فقيل المراد بالاولين الامم الماضية وبالآخرين هذه الامة هذا رواية عن مجاهد والحسن البصري رواه عنهما ابن أبي حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ولم يحك غيره ولا عزاه الى أحد ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الامام ابو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن تكونوا (٣٦٨) ربع أهل الجنة ثلث اهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني ورواه الامام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بياع الملاعب عن أبيه عن أبي هريرة فذكره وقد روي من حديث جابر نحو هذا ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت اذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلة من الاولين وقليل من الآخرين قال عمر يارسول الله ثلة من الاولين وقليل منا قال فامسك آخر السورة سنة ثم نزل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ألا وان من آدم الي ثلة وأمتي ثلة وان نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الابل ممن شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم اسنادا ومتنا ولكن في اسناده نظر وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة ولله الحمد والمنة وهذا الذي اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لان هذه الامة هي خير الامم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها اللهم الا ان يقابل مجموع الامم بهذه الامة والظاهر ان المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الامم والله اعلم فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح وهو ان يكون المراد بقوله تعالى ثلة من الاولين اي من صدر هذه الامة وقليل من الآخرين أي من هذه الامة قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن بكر المزني سمعت الحسن أتى على هذه الآية والسابقون السابقون أولئك

جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة قال سفيان يرون انها غزوة بني المصطلق فكسع (١) رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال المهاجري يا للمهاجرين وقال الانصاري يا للانصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما بال دعوة الجاهلية قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلا من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوها فانها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال أوقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام عمر فقال يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه زاد الترمذي فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله العزيز ففعل وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل في السادسة ثم رد الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان القوة والغلبة لله وحده ولمن افاضها عليه من رسله وصالحي عباده وعزة الله قهره وغلبته لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم عن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي ان رجلا قال له ان الناس يزعمون

ان

(٢) لكسع ان تضرب دبر الانسان بيدك أو بصدر قدمك يقال اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف مثل يكسؤهم اي يطردهم اه صحاح اه مصححه

المقربون فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين ثم قال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا السري ابن يحيى قال قرأ الحسن والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين قال ثلة ممن مضى من هذه الامة وحدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين انه قال في هذه الآية ثلة من الاولين وقليل من الآخرين قال كانوا يقولون أو يرجون ان يكونوا كلهم من هذه الامة فهذا قول الحسن وابن سيرين ان الجميع من هذه الامة ولاشك ان أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل ان تعم الآية جميع الامم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث بتمامه فاما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لايدري أوله خير أم آخره فهذا الحديث بعد الحكم بصحة اسناده محمول على ان الدين كما هو محتاج الى اول الامة في ابلاغه الى من بعدهم كذلك هو محتاج الى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها واظهارها والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج الى المطر الاول والى المطر الثاني ولكن العمدة الكبرى على الاول واحتياج الزرع اليه آكد فانه لولاه مانبت في الارض ولا تعلق اساسه فيها ولهذا قال عليه السلام لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة وفي لفظ حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك والغرض ان هذه الامة أشرف من سائر الامم والمقربون فيها أكثر من غيرها واعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أخبر ان في هذه الامة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ مع كل ألف سبعون ألفا وفي آخر مع كل واحد سبعون ألفا وقد قال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن مرثد الطبراني حدثنا محمد هو ابن اسمعيل بن عياش حدثني ابي حدثني ضمضم يعني ابن زرعة عن شريح هو ابن عبيد عن ابي مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما جاء مع الانبياء عليهم السلام وحسن ان يذكر ههنا عند قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال اخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي حدثني ابو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحراني حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن سلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة ابن ربعي عن ابي زمل الجهني رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده استغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعين بسبعمائة لاخير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا ثم يقول هل رأى أحد منكم شيأ قال أبو زمل فقلت أنا يارسول الله فقال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص

ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين (ولكن المنافقين لايعلمون) بعاقبة النفع فيفعلونه وعاقبة الضر فيجتنبونه بل هم كالانعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لان الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفي معرفتها غموض يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفي الفقه عنهم والثاني متصل بقوله ولله العزة الخ وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم فالمعنى لايعلمون ان الله معز اوليائه ومذل اعدائه قال الكرخي والحاصل انه لما أثبت المنافقون لفريقهم اخراج المؤمنين من المدينة أثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون وفي شرح جمع الجوامع ومن قوادح العلة القول بالموجب بفتح الجيم وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع بان يظهر المعترض عدم استلزام الدليل لمحل النزاع وشاهده ولله العزة ولرسوله في جواب ليخرجن الاعز منها الاذل ولما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع الى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم) أي لاتشغلكم (أموالكم) بالتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج والاهتمام بها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم حذرهم عن

رؤياك فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فبينا هم كذلك اذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر ماؤه فيه أنواع الكلأ قال وكأنى بالرعلة الاولى حين أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأنى انظر اليهم منطلقين ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم اضعافا فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كأنى انظر اليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتى المرج فاذا انا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل آدم شثل اقنى اذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل تار ربعة كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء اذا هو تكلم أصغيتم اكراما له واذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف واذا أنت يارسول الله كأنك تبعثها قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سرى عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذلك ما حملتكم (٣٧٠) عليه من الهدى وأنتم عليه وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها مضيت أنا واصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم اكثر منا اضعافا فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك ثم جاء عظم الناس فمالوا في المرج يمينا وشمالا فانا لله وانا اليه راجعون وأما انت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وانا في اعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام اذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله اياه والذي رأيت عن يساري التار الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء فذلك عيسى بن مريم نكرمه لاكرام الله اياه وأما الشيخ الذي رأيت اشبه الناس بي خلقا ووجها فذلك أبونا ابراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به وأما الناقة التي رأيت ورأيتني ابعثها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي قال فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا الا ان يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى على سرر موضونة قال ابن عباس أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقتادة والضحاك وغيره وقال السدي مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لانه مظفور وكذلك السرر في الجنة مظفورة بالذهب واللآلئ وقوله تعالى متكئين عليها متقابلين أي وجوه بعضهم الى بعض ليس أحد وراء احد يطوف عليهم ولدان مخلدون أي مخلدون على صفة واحدة لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون بأكواب واباريق وكأس من معين أما الاكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان والاباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى لا يصدعون

التشبه بالمنافقين في الاغترار عن اخلاق الذين الهتهم أموالهم وأولادهم (عن ذكر الله) والمراد بالذكر فرائض الاسلام قاله الحسن وقال الضحاك الصلوات الخمس وقيل قراءة القرآن وقيل الحج والزكاة وقيل ادامة الذكر وقيل هو خطاب للمنافقين ووصفهم بالايمان لكونهم آمنوا ظاهرا والاول أولى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال هم عباد من أمتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلوات الخمس المفروضة أخرجه ابن مردويه (ومن يفعل ذلك) أي يلتهي بالدنيا عن الدين ويشتغل بها عما ذكر (فأولئك هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وهو وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم أخرجه الترمذي (وأنفقوا مما رزقناكم) الظاهر ان المراد الانفاق في الخير على عمومه وقيل المراد الزكاة المفروضة ومن للتبعيض اى انفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير وفي التبعيض باسناد الرزق منه تعالى الى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) بان تنزل عليه مقدماته واسبابه وأماراته ويشاهد حضور علاماته ودلائله ويتعذر عليه الانفاق وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام (فيقول رب لولا أخرتني) أي يقول عند نزول ما نزل به مناديا لربه هلا أمهلتني

عنها ولا ينزفون أى لا تصدع رؤسهم ولا تنزف عقولهم بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقئ والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدى لا يصدعون عنها يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا فى قوله ولا ينزفون أى لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أى ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذى رواه أبو يعلى الموصلى رحمه الله فى مسنده حدثنا العباس بن الوليد النرسى حدثنا العلاء بن المفضل بن عبد الملك بن أبى سوية حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال بعثنى مرة فى صدقات أموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت المدينة فاذا هو جالس بين المهاجرين والانصار وقدمت عليه بابل كأنها عروق الارطى قال من الرجل قلت عكراش بن ذؤيب قال ارفع فى النسب فانتسبت له الى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه ابل قومى هذه صدقات قومى ثم أمر بها أن توسم بميسم ابل الصدقة وتضم اليها ثم أخذ بيدى فانطلقنا الى منزل أم سلمة فقال هل من طعام فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى اليسرى على يده اليمنى فقال يا عكراش كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق وقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد ثم أتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن ابى الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديثه وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا اثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رايت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فادخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك فجئ بهم عليهم ثياب طلس تشخب اوداجهم فقيل اذهبوا بهم الى نهر البيدح او البيذخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسره ما شاؤا فما يقلبونها من وجه الا اكلوا من الفاكهة ما ارادوا واكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال ما كان من امر كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة فقال قصى رؤياك فقصتها وجعلت تقول فجئ بفلان وفلان كما قال هذا لفظ أبى يعلى قال الحافظ ايضا وهذا على شرط مسلم وقال الحافظ ابو القاسم الطبرانى حدثنا معاذ بن

أمهلتنى وأخرت موتى فلولا بمعنى هلا اى معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو فى تأويل المضارع كما هنا اذ لا معنى لطلب التأخير فى الزمن الماضى أو لا زائدة ولو للتمنى وقضية كلام الكشاف ان لولا بمعنى هل الاستفهامية والاول أولى (الى أجل) أى زمن واحد (قريب) قصير قليل بقدر ما استدرك فيه ما فاتنى (فاصدق) أى فأتصدق بمالى أو بالزكاة قرأ الجمهور بادغام التاء فى الصاد وانتصابه على انه جواب التمنى وقيل ان لا فى لولا زائدة والاصل لو أخرتنى وقرئ فأتصدق بدون ادغام على الاصل (وأكن) قرأ الجمهور بالجزم على محل فاصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن قال الزجاج معناه هلا أخرتنى وجزم أكن على موضع فاصدق لانه على معنى ان أخرتنى أصدق وأكن وكذا قال أبو على الفارسى وابن عطية وغيرهم وقال سيبويه حاكيا عن الخليل انه جزم على توهم الشرط الذى يدل عليه التمنى وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير

بدالى انى لست مدرك ما مضى * ولا سابق شيأ اذا كان جائيا

فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذى هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه وقرئ وأكون بالنصب عطفا على فاصدق ووجهها واضح ولكن قال أبو عبيد رأيت فى مصحف عثمان وأكن بغير واو وقرئ بالرفع على الاستئناف أى وانا أكون (من الصالحين) أى من المؤمنين قال ابن عباس أحج وقال الضحاك لا ينزل الموت باحد لم يحج ولم يؤد زكاة

المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى وقوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وقال الامام احمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة فقال أبو بكر يارسول الله ان هذه لطير ناعمة فقال آكلها أنعم منها قالها ثلاثا واني لارجو ان تكون ممن يأكل منها انفرد به احمد من هذا الوجه وروى الحافظ ابو عبد الله المقرى في كتابه صفة الجنة من حديث اسمعيل بن علي الحفظي عن أحمد بن علي الخيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر هل بلغك ماطوبى قال الله ورسوله أعلم قال طوبى شجرة في الجنة مايعلم طولها الا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت فقال أبو بكر يارسول الله ان هناك لطيرا ناعما قال أنعم منه من يأكله وأنت منهم ان شاء الله تعالى وقال قتادة في قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وذكر لنا ان أبا بكر قال يارسول الله اني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون قال من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وانها لامثال البخت واني لاحتسب على الله ان تأكل منها يا أبا بكر وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال نهر اعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر فقال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه عن أنس وقال حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله ابن الوليد الرصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعني لونا أبيض من اللبن وألين من الزبد واعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير هذا حديث غريب جدا والرصافي وشيخه ضعيفان ثم قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد بن ابي هلال عن ابي حازم عن عطاء عن كعب قال ان طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من انهار الجنة فيصطف له فاذا اشتهى منها شيأ أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء صحيح الى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقوله تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون قرأ بعضهم بالرفع تقديره ولهم فيها حور عين وقراءة الجر تحتمل معنيين أحدهما ان يكون الاعراب على الاتباع بما قبله كقوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كما قال تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم

الا سأل الرجعة وقرأ هذه الآية وقال ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له مال يبلغه حج بيت الله أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكافر فقال سأتلو عليكم بذلك قرآنا يا أيها الذين آمنوا الى آخر السورة أخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحسن بن أبي الحسن في كتاب منهاج الدين الى قوله الموت مرفوعا ثم أجاب الله عن هذا المتمني فقال (ولن يؤخر الله نفسا) أية نفس كانت عن الموت (اذا جاء أجلها) أي آخر عمرها المكتوب في اللوح المحفوظ ومن جملة النفوس التي شملها النفي نفس هذا القائل فلا يؤخر أيضا (والله خبير بما تعملون) قرئ بالتاء والياء ولكل وجه يعني انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما يسأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر وهو الاولى واعلم انه قد وقع الخلاف بين اهل العلم وطالت ذيوله وتشعبت ابحاثه في التعارض بين ماورد من ان القضاء الازلي من الله عز وجل لا يتغير ولا يتبدل وهو المعبر عنه بام الكتاب وبقوله تعالى لا معقب لحكمه وقوله ما يبدل القول لدي وبين ماورد من الارشاد الى الادعية وطلب الخير من الله عز وجل وسؤاله ان يدفع الشر ويرفع الضر وسائر المطالب التي يطلبها العباد من ربهم سبحانه كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر أخرجه الترمذي
من

وكما قال تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق والاحتمال الثاني ان يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضا بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم وقوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات كأنهن بيض مكنون وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضا ولهذا قال جزاء بما كانوا يعملون أي هذا الذي اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما أي لا يسمعون في الجنة كلاما لاغيا أي عبثا خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال لا تسمع فيها لاغية أي كلمة لاغية ولا تأثيما أي ولا كلاما فيه قبح الا قيلا سلاما سلاما أي الا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى تحيتهم فيها سلام وكلامهم أيضا سالم من اللغو والاثم (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الابرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلة دون المقربين فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين الى أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم ثم فسر ذلك فقال تعالى في سدر مخضود قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الاحوص وقسامة بن زهير والسفر بن نسير والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حزرة وغيرهم هو الذي لا شوك فيه وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كنا نحدث انه الموقر الذي لا شوك فيه والظاهر ان المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله لينفعنا بالاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله تعالى يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر طريق آخر قال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة حدثني ثور ابن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرا أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر وقوله وطلح منضود الطلح شجر عظام تكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحده طلحة وهو شجر كثير الشوك وأنشد ابن جرير لبعض الحداة

من حديث سلمان وحسنه وأبو حبان وصححه والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والضياء في المختارة ومثله حديث ثوبان مرفوعا بلفظ لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة أخرجه الحاكم في المستدرك والبزار والطبراني في الاوسط والخطيب قال الحاكم صحيح الاسناد من حديث عائشة مرفوعا وقال في مجمع الزوائد رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في الاوسط ورجال أحمد وأبي يعلى واحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة وقد ضعف هذا الحديث بزكريا بن منصور كما ذكره الشوكاني في شرحه للعدة ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا وأخرجه أيضا الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح ثم رواه من حديث أنس مرفوعا ان ربكم رحيم حيي كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا وأخرجه الطبراني وأبو يعلى ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تعجزوا في الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد أخرجه ابن حبان من حديث أنس والحاكم في

بشرها دليلها وقالا * غداترين الطلح والجبالا قال مجاهد منضود أى متراكم الثمر يذكر بذلك قريشا لانهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر وقال السدى منضود مصفوف قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل قال الجوهرى الطلح لغة فى الطلع قلت وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا يقول هذا الحرف فى طلح منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر فكانه وصفه بانه مخضود وهو الذى لا شوك له وان طلعه منضود وهو كثرة ثمره والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن ادريس عن جعفر بن اياس عن ابى نضرة عن أبى سعيد وطلح منضود قال الموز قال وروى عن ابن عباس وأبى هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبى حزرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون الموز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول وقوله تعالى وظل ممدود قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود ورواه مسلم من حديث الاعرج به وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وكذا رواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابى هريرة وكذا رواه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن ابى هريرة والليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن ابيه عن أبى هريرة وعوف عن ابن سيرين عن ابى هريرة به وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت ابا الضحاك يحدث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين او مائة سنة هى شجرة الخلد وقال ابن ابى حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود اسناد جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن عبدة وعبد الرحيم والمحاربى كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذى من حديث عبد الرحيم بن سليمان به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا اسمعيل بن ابى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم عن ابى هريرة قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى أنزل التوراة على موسى والفرآن على محمد لو ان رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى وظل ممدود قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها وكذا رواه البخارى عن روح بن عبد

المستدرك وقال صحيح الاسناد والضياء فى المختارة وقد رده الشوكانى فى شرحه للعدة على من ضعفه ومن ذلك ما اخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وأقره الذهبى وأخرجه أيضا من حديث سلمان وقال صحيح الاسناد ومن ذلك ما أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث أبى هريرة وقال صحيح الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وأخرجه ابو يعلى من حديث على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم ارزاقكم تدعون الله فى ليلكم ونهاركم فان الدعاء سلاح المؤمن واخرج احمد فى المسند من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مسلم ينصب وجهه لله فى مسئلة الا اعطاه اياها اما ان يعجلها له واما ان يدخرها له قال المنذرى فى الترغيب والترهيب لا باس باسناده وأخرجه البخارى فى الادب المفرد والحاكم وشهد لمعناه ما اخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى قال المنذرى باسانيد جيدة من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخرها له فى الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها واخرج ابن ابى شيبة فى مصنفه وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المؤمن عن يزيد ابن زريع وهكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمر بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل ابن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة اسانيده وثقة رجاله وقد قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما قال أبو صالح اتكذب أبا هريرة قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك انت فشق ذلك على القراء قلت فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن ابيه عن جده عن أبي حازم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا ساقها من ذهب ثم قال حسن غريب وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا ابو عامر العقدي عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج اليها أهل الجنة اهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا هذا أثر غريب واسناده جيد قوي حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان حدثنا سفيان حدثنا أبو اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى وظل ممدود قال سبعون الف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن سفيان مثله ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى وظل ممدود قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة ألف سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم وقال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى وظل ممدود لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله وندخلهم ظلا ظليلا وقوله أكلها دائم وظلها وقوله في ظلال وعيون الى غير ذلك من الآيات وقوله تعالى وماء مسكوب قال الثوري يجري في غير أخدود وقد تقدم الكلام على تفسير قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الالوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها أي يشبه الشكل ولكن الطعم

وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة واخرج الترمذي والحاكم في المستدرك من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وفي لفظ من لم يدع الله يغضب عليه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والحاكم في المستدرك وصححه ومن ذلك استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء كما في صحيح مسلم وغيره ومن ذلك ما ثبت في قنوت الوتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فيه وقني شر ما قضيت وهو حديث صحيح وان لم يخرجه الشيخان وفيهما الاستعاذة من سوء القضاء المشتمل على الشر والسوء ومن ذلك الاحاديث الواردة في صلة الرحم وانها تزيد في العمر وهي أحاديث صحيحة ومن ذلك الاحاديث الواردة في اجابة دعاء المظلوم على ظالمه والاحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما والاحاديث الواردة في دعوة الامام العادل والاحاديث الواردة في اجابة دعوة من دعا ربه باسمه الاعظم وغير ذلك كثير وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر فليت شعري كيف ذهب جماعة من أهل العلم الى مخالفة ذلك كله وقالوا ان أحكام الله وقضاءه في سابق علمه لا تتغير أصلا فان استدلوا بمثل قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما ورد في اللوح المحفوظ وما كتب فيه وانه قد جف القضاء ونحو

غير الطعم وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال فانخسفت الشمس فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فذكر الصلاة وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيأ في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لا كلتم منه ما بقيت الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال بينا نحن في صلاة الظهر اذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا معه ثم تناول شيأ ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له ابى بن كعب يارسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيأ ما كنت تصنعه قال انه عرضت على الجنة ومافيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والارض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابي فيها فاكهة قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى فذكر شيأ لا أدرى ماهو قال أي شجر ارضنا تشبه قال ليست تشبه شيأ من شجر أرضك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت الشام قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها قال ماعظم العنقود قال مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر قال ماعظم أصلها قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما احاطت باصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما قال فيها عنب قال نعم قال فما عظم الحبة قال هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما قال نعم قال فسلخ اهابه فاعطاه أمك فقال اتخذى لنا منه دلوا قال نعم قال الاعرابي فان تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي قال نعم وعامة عشيرتك وقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أي لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شئ وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث اذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى وقوله تعالى وفرش مرفوعة أي عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل المعاني معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض هكذا قال انه لا يعرف هذا الا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث فذكره وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب بمثله ورواه الامام أحمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره وقال ابن أبي حاتم أيضا

ذلك فاى فائدة في مثل قوله عز وجل ادعوني أستجب لكم فان هذا أمر منه عز وجل لعباده بدعائه وأى فائدة في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يخبر عباده انه قريب مجيب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه وأى فائدة في قوله عز وجل مخبرا لعباده بانه يمحو مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وعلمنا سبحانه كيف ندعو في نحو قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الى آخر الآية وحكى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح ان الله عز وجل قال عند هذه الدعوات قد فعلت وكذلك سائر ماقصه الله علينا في كتابه من اجابته لدعوة انبيائه كما في قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وفي مثل ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وما شابه ذلك من الآيات وماشوهد من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من اجابة دعواته في مواطن يتعسر احصاؤها وماشوهد من صالحي هذه الامة في كل قرن من القرون من اجابة دعواتهم في الحال ومن جهل هذا او بعضه نظر في مثل حلية الاولياء ومثل رسالة القشيري ومثل صفوة الصفوة لابن الجوزي وغير ذلك مما يكثر تعداده بل ينظر في الدعوات المجابة من الصحابة رضي الله عنهم وكما وقع من جماعة كثيرة من السلف رحمهم الله تعالى انهم كانوا يقولون في ادعيتهم اللهم ان كنت قد كتبتني في ديوان الاشقياء فانقلني الى ديوان السعداء بعبارات مختلفة هذه احداها وبالجملة فالكتاب العزيز والسنة المتواترة ترد عليهم ردا اوضح

حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن وفرش مرفوعة قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة وقوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين جرى الضمير الى غير مذكور لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب يعني الشمس على المشهور من قولي المفسرين قال الاخفش في قوله تعالى انا أنشأناهن أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فقوله تعالى انا أنشأناهن أي أعدناهن في النشأة الاخرى بعدما كن عجائز رمصا صرن أبكارا عربا أي بعد الثيوبة عدن أبكارا عربا متحببات الى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي (٣٧٧) حدثنا آدم يعني ابن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة ابن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء يعني الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب ابن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يارسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل

الدمياطي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله تعالى حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت أخبرني عن قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن صفاء الدر الذي في الاصداف الذي لم تمسه الايدي قلت أخبرني عن قوله فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه قلت أخبرني عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقئ قلت يارسول الله أخبرني عن قوله عربا أترابا قال هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد قلت يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت يارسول الله وبم ذاك قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الالوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا قلت يا رسول الله المرأة منا

من شمس النهار وطائفة قالت ان الاقضية نوعان مطلقة ومقيدة فالمطلقة ما لم تكن مشروطة بشروط واقعة والا فلا وهذا القول وان كان مردودا مثل الاول الا انه أقل مفسدة منه وان كان رأيا بحتا ليس عليه دليل وبالجملة فالبحث يطول فلنقتصر على هذا المقدار والحمد لله أولا وآخرا واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لان السورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن اشارة لظهور التغابن بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم ذكره الكرخي وليس هذا من تفسير الكتاب في شيء بل من لطائف الكلام وتفنن المرام

(سورة التغابن هي ثماني عشرة آية بالاتفاق وهي مدنية في قول الاكثر)

وبه قال الضحاك هي مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس أيضا قال نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى آخر السورة وعن عطاء بن يسار نحوه أخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن عمر وقال ما من مولود يولد الا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من أول سورة التغابن وأخرجه ابن حبان في الضعفاء والطبراني وابن مردويه وابن عساكر مرفوعا

تزويج زوجين والثلاثة والاربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول يارب ان هذا كان أحسن خلقا معي فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الاولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس واستبرق وانه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم الى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها الا انه لا مني ولا منية فبينما هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل الا ان لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة (٣٧٨) كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شئ أحسن منك وما في الجنة شئ أحب الى منك وقال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال له أنطأ في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدمشقي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطيق ذلك قال يعطى قوة مائة ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله هل نصل الى نسائنا في الجنة قال ان الرجل ليصل في اليوم الى مائة عذراء قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم وقوله عربا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحببات الى أزواجهن ألم تر الى الناقة الضبعة هي كذلك وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لازواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس عن مجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقال ثور بن زيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله عربا قال هي الملقة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة وهي الغنجة وقال الاجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة وقال صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة في قوله عربا قال الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة وقال تميم بن حذلم هي حسن التبعل وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن العرب حسنات الكلام وقال

عنه قال ابن كثير وهو غريب جدا بل منكر

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سمواته وأرضه عن كل نقص وعيب وكررت ما هنا وفي قوله وما تعلنون تأكيدا وتعميما وللاختلاف لان تسبيح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة وأسرارا لمخالفة لعلانيتها ولم تكرر في قوله يعلم ما في السموات والارض لعدم اختلاف علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها وعلمه بما كان كعلمه بما يكون (له الملك وله الحمد) أي يختصان به ليس لغيره منهما شئ وما كان لعبيده منهما فهو من فيضه وراجع اليه وتقديم الظرف يفيد الاختصاص به تعالى من حيث الحقيقة لانه مبدئ كل شئ ومبدعه فكان الملك له حقيقة دون غيره ولان أصول النعم وفروعها منه تعالى فالحمد له بالحقيقة وحمد غيره انما يقع من حيث ظاهر الحال وجريان النعم على يديه والملك هو الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شئ على حسب ما أراد في الازل قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها يقال ملك بين الملك بالضم ومالك بين الملك بالكسر (وهو على كل شئ قدير) لا يعجزه شئ (هو الذي خلقكم) أي قدر خلقكم في الازل وكذا قوله (فمنكم

ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقوله أترابا قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد الأتراب المستويات وفي رواية عنه الأمثال وقال عطية الأقران وقال السدي أترابا أي في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد عربا أترابا قال المستويات الأسنان يأتلفن جميعا ويلعبن جميعا وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له ثم قال هذا حديث غريب وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا إسمعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان بن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن نحن

خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام قلت إسمعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله ابن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحور العين يغنين في الجنة نحن الجوار الحسان خلقنا لأزواج كرام وقوله تعالى لأصحاب اليمين أي خلقن لأصحاب اليمين أو ادخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير وروي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول يا أبا سليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة قلت ويحتمل أن يكون قوله لأصحاب اليمين متعلقا بما قبله وهو قوله أترابا لأصحاب اليمين أي في أسنانهم كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي

(فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي مقضي بكفره وإيمانه أزلا وقيل إنه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفكم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر الخ واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ذكره الخطيب قال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر وكافر في العلانية كعمار ابن ياسر ونحوه ممن أكره على الكفر وقال عطاء فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب قال الزجاج إن الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خالق الإيمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه لأن وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية قال القرطبي وهذا أحسن الأقوال وهو الذي عليه جمهور الأمة وقدم الكافر على المؤمن لأنه الأغلب عند نزول القرآن وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين (والله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم بأعمالكم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بنى ثلاث وثلاثين سنة ثم قال حسن غريب وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحرث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار ورواه الترمذى عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث به وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد ابن الجراح العسقلانى حدثنا الاوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الاوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث أهل الجنة الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة (٣٨٠) فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين أى جماعة من الاولين وجماعة من الآخرين وقال ابن أبى حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن عبد الله ابن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرينا ذات ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غدونا عليه فقال عرضت على الانبياء وأتباعها بأممها فيمر على النبى [بياض في الأصل] والنبى فى العصابة والنبى فى الثلاثة والنبى وليس معه أحد وتلا قتادة هذه الآية أليس منكم رجل رشيد قال حتى مر على موسى ابن عمران كبكبة من بنى اسرائيل قال قلت ربى من هذا قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بنى اسرائيل قال قلت رب فأين أمتى [بياض في الأصل] وابن قال انظر عن يمينك فى الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال قال أرضيت قال قلت قد رضيت رب قال انظر الى الافق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال أرضيت قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بنى أسد قال سعد وكان بدريا قال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال فقال اللهم اجعله منهم قال أنشأ رجل آخر قال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان استطعتم فدا لكم أبى وأمى ان تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا والا فكونوا من أصحاب الضراب والا فكونوا من أصحاب الافق فانى قد رأيت أناسا كثيرا قد تأشبوا أحوالهم ثم قال انى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال انى لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرنا قال انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعون ألفا فقلنا هم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا قال [بياض في الأصل] فقال بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به

عليه وآله وسلم العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا والعبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا أخرجه ابن مردويه ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير أتبعه بخلق العالم الكبير فقال (خلق السموات والارض) خلقا متلبسا (بالحق) أى بالحكمة البالغة وقيل خلق ذلك خلقا يقينيا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام أى خلق ذلك لاظهار الحق وهو ان يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثم رجع سبحانه الى خلق العالم الصغير فقال (وصوركم فأحسن صوركم) قيل المراد آدم خلقه بيده كرامة له كذا قال مقاتل وقيل المراد جميع الخلائق وهو الظاهر أى انه سبحانه خلقهم فى أكمل صورة وأحسن تقويم وأجمل شكل وابهاه لا يتمنى الانسان أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور قال بعض الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان والتصوير التخطيط والتشكيل قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرئ بكسرها (واليه المصير) فى الدار الآخرة لا الى غيره عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مكث المنى فى الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به الى الرب فيقول يا رب أذكر أم أنثى فيقضى الله ما هو قاض فيقول أشقى أم سعيد فيكتب ما هو لاق وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات الى قوله واليه المصير أخرجه عبد بن حميد

نحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال ثم فسر ذلك فقال في سموم وهو الهواء الحار وحميم وهو الماء الحار وظل من يحموم قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين ولهذا قال ههنا وظل من يحموم وهو (٣٨١) الدخان الاسود لا بارد ولا كريم أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة ولا كريم أي ولا كريم المنظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب وليس بكريم وقال ابن جرير العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل وكانوا يصرون على الحنث العظيم أي يقيمون ولا ينوون توبة على الحنث العظيم وهو الكفر بالله وجعل الاوثان والانداد أربابا من دون الله قال ابن عباس الحنث العظيم الشرك وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الشعبي هو اليمين الغموس وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون يعني انهم يقولون مثل ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم أي أخبرهم يا محمد ان الاولين والآخرين من بني آدم سيجمعون الى عرصات القيامة لا يغادر منهم احد كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ولهذا قال ههنا لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون وذلك انهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملئوا منها بطونهم فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وهي الابل العطاش واحدها أهيم والانثى هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة الهيم الابل العطاش الظماء وعن عكرمة انه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم ابدا وعن خالد بن

وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (يعلم ما في السموات والارض) لا تخفى عليه من ذلك خافية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تخفونه وما تظهرونه والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لمزيد التأكيد في الوعد والوعيد (والله عليم بذات الصدور) جملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم وهي تذييلية وقال الخطيب كل واحدة من هذه الثلاث أخص مما قبلها وجمع بينها اشارة الى ان علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه شيء من الاشياء (ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبلكم وهم كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود والخطاب لكفار العرب وقوله (فذاقوا وبال أمرهم) معطوف على كفروا عطف المسبب على السبب وعبر عن العقوبة بالوبال اشارة الى انها كالشيء الثقيل المحسوس وذلك لان الوبال في الاصل الثقل والشدة ومنه الوبيل للطعام الذي يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر والمراد بأمرهم هنا ما وقع منهم من الكفر والمعاصي وبالوبال ما أصيبوا به من عذاب الدنيا (ولهم عذاب أليم) في الآخرة وهو عذاب النار (ذلك) أي ما ذكر من العذاب في الدارين وهو مبتدأ وخبره (بأنه) أي بسبب انها (كانت تأتيهم رسلهم) أي الرسل المرسلة اليهم (بالبينات) أي بالحجج الباهرة والمعجزات الظاهرة (فقالوا أبشر يهدوننا) أي قال كل

معدان انه كان يكره ان يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير ان يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى هذا نزلهم يوم الدين أي هذا الذي وصفناه هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى في حق المؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا أي ضيافة وكرامة (نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) يقول تعالى مقررا للمعاد ورادا على المكذبين به من اهل الزيغ والالحاد من الذين قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد فقال تعالى نحن خلقناكم أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيأ مذكورا أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى ولهذا قال فلولا تصدقون أي فهلا تصدقون بالبعث ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون أي أنتم تقرونه في الارحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ثم قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت أي صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والارض وما نحن بمسبوقين أي وما نحن بعاجزين على أن نبدل (٣٨٢) أمثالكم أي نغير خلقكم يوم القيامة وننشئكم فيما لا تعلمون أي من الصفات والاحوال ثم قال تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أي قد علمتم ان الله انشأكم بعد أن لم تكونوا شيأ مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهلا تتذكرون وتعرفون ان الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الاخرى وهي الاعادة بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى (افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرأيتم النار التي تورون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) يقول تعالى أفرأيتم ما تحرثون وهو شق الارض واثارتها والبذر فيها أأنتم

قوم منهم لرسولهم هذا القول منكرين أن يكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه ومن غباوتهم انهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وسلموا واعتقدوا أن الاله يكون حجرا وأراد بالبشر الجنس ولهذا قال يهدوننا وقد أجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام كما أجمل الخطاب والامر في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (فكفروا) بالرسل وبما جاؤا به وقيل كفروا بسبب هذا القول الذي قالوه للرسل فالفاء للسببية لا للتعقيب (وتولوا) أي أعرضوا عنهم ولم يتدبروا فيما جاؤا به (واستغنى الله) أي (١) أظهر غناه عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك وقال مقاتل استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان واوضحه من المعجزات وقيل استغنى بسلطانه عن طاعة عباده وقال الزمخشري أي ظهر غناه فالسين ليست للطلب (والله غني حميد) أي غير محتاج الى العالم ولا الى عبادتهم له محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال (زعم الذين كفروا) الزعم هو القول بالظن وادعاء العلم ويطلق على الكذب قال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وهو يتعدى الى مفعولين وقوله (أن لن يبعثوا) ساد مسدهما والمعنى زعم كفار العرب وهم (٢) أهل مكة كما قاله أبو حيان ان الشأن لن يبعثوا أبدا عن ابن مسعود انه قيل له ما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في زعموا قال سمعته يقول بئس

(١) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان مقتضى عطف هذا على ما قبله أن يكون غناه تعالى متأخرا ومسببا عن مجيء الرسل اليهم مع ان غناه ثابت في ازلي فاجاب المؤلف العلام ودام مجده عن هذا بان يسلك التأويل في المعطوف وقال واستغنى الله أي أظهر له غناه الخ اه سيدوا مقار أحمد

(٢) قال البيضاوي وهو يلائم الخطاب في قل بلى الخ ولا يناسب حمله على الذين كفروا من قبل كما قاله بعض محشي البيضاوي ولانه لا يلائم الخطاب اه

تزرعونه اى تنبتونه فى الارض أم نحن الزارعون اى بل نحن الذى نقره قراره وننبته فى الارض قال ابن جرير وقد حدثنى احمد بن الوليد القرشى حدثنا مسلم بن ابى مسلم الجرمى حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت قال ابو هريرة الم تسمع الى قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمى به وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا موسى ابن اسمعيل حدثنا حماد عن عطاء عن ابى عبد الرحمن لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا وروى عن حجر المدرى انه كان اذا قرأ أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون وامثالها يقول بل انت يارب وقوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما اى نحن انبتناه بلطفنا ورحمتنا وابقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما اى لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده فظلتم تفكهون ثم فسر ذلك بقوله انا لمغرمون بل نحن محرومون اى لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون فى المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة انا لمغرمون اى لملقون وقال مجاهد وعكرمة انا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة يقولون بل نحن محرومون وقال مجاهد أيضا انا لمغرمون ملقون للشر اى بل نحن محارفون قاله قتادة اى لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أى مجدودون يعنى لا حظ لنا قال ابن عباس ومجاهد فظلتم تفكهون تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلتم تفكهون تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع الى الاول وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة فظلتم تفكهون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدى فظلتم تفكهون تندمون ومعناه اما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائى تفكه من الاضداد تقول العرب تفكهت بمعنى تنعمت وتفكهت بمعنى حزنت ثم قال تعالى أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن يعنى السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد أم نحن المنزلون يقول بل نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا اى زعاقا مرا لا يصلح لشراب ولا زرع فلولا تشكرون أى فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى انزاله المطر عليكم عذبا زلالا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبى جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا شرب الماء قال الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا ثم قال أفرأيتم النار التى تورون أى تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون أى بل نحن الذى جعلناها مودعة فى موضعها وللعرب شجرتان احداهما المرخ والاخرى العفار اذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك احدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة قال مجاهد وقتادة

بئس مطية الرجل أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما وعنه انه كره زعموا ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرد عليهم ويبطل زعمهم فقال (قل (١) بلى) هى لايجاب النفى فالمعنى بلى تبعثون ثم اقسم على ذلك بقوله (وربى) وجواب القسم (لتبعثن) أى لتخرجن من قبوركم أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتخبرن بذلك اقامة للحجة عليكم ثم تجزون به (وذلك) البعث والجزاء (على الله يسير) اذ الاعادة أيسر من الابتداء (فآمنوا بالله ورسوله) الفاء هى الفصيحة الدالة على شرط مقدر اى اذا كان الامر هكذا فصدقوا يا كفار مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل وباليوم الآخر على ما هو المناسب لقوله زعم الذين كفروا اكتفاء بقوله (والنور الذى أنزلنا) فانه مشتمل على البعث والحساب وهو القرآن لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شئ من أقوالكم وأفعالكم فهو مجازيكم على ذلك (يوم يجمعكم) العامل فى الظرف لتنبؤن قاله النحاس وقال غيره هو خبير وقيل محذوف هو اذكر وقال ابو البقاء هو مادل عليه الكلام أى تتفاوتون يوم يجمعكم قرأ الجمهور بفتح الياء وضم العين

(١) من المعلوم ان بلى تنقض النفى وتثبت المنفى فالمعنى كما قاله المؤلف والتحرير قوله لتبعثن هو المقسم عليه وأتى به موصلا لتوكيده بالقسم ولعطفه ما بعده عليه اه سيدنو المقارأ

اى تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياقوم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية قال انها قد ضربت بالبحر ضربتين اومرتين حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنو منها وهذا الذى ارسله قتادة قد رواه الامام أحمد فى مسنده فقال حدثنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لاحد وقال الامام مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم فقالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ رواه البخارى من حديث مالك ومسلم من حديث ابى الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابى هريرة به وفى لفظ والذى نفسى بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال ابو القاسم الطبرانى حدثنا احمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه ابى سهيل عن أبيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهى (٣٨٤) اشد سوادا من ناركم هذه سبعين ضعفا قال الضياء المقدسى وقد رواه ابو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندى على شرط الصحيح وقوله تعالى ومتاعا للمقوين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربى يعنى بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم اقوت الدار اذا رحل اهلها وقال غيره القى والقوا القفر الخالى البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المقوى ههنا الجائع وقال ليث بن ابى سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه الا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفى عن مجاهد وقال ابن ابى نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعنى المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير اعم من غيره فان الحاضر والبادى من غنى وفقير الجميع محتاجون اليها للطبخ والاصطلاء والاضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى ان أودعها فى الاحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه فاذا احتاج الى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا افرد المسافرون وان كان ذلك عاما فى حق الناس كلهم وقد استدل له بما رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث ابى خراش حبان بن زيد الشرعبى الشامى عن رجل من المهاجرين من قرن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلمون شركاء فى ثلاثة النار والكلا والماء وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يمنعن الماء والكلا والنار وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن فى اسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اى الذى بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا اجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم وزجرا لهم فى المعاد فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون

وروى اسكانها ولا وجه لذلك الا التخفيف وان لم يكن هذا موضعه كما قرئ فى وما يشعركم بسكون الراء وقرئ نجمعكم بالنون ومعنى (ليوم الجمع) ليوم القيامة فانه يجمع فيه أهل المحشر للجزاء ويجمع فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبى وأمته وبين كل ظالم ومظلومه وبين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء وأهل الارض (ذلك) يعنى ان يوم القيامة هو (يوم التغابن) وذلك انه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضا فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل ويغبن فيه أهل الايمان أهل الكفر وأهل الطاعة أهل المعصية ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار فتركوا منازلهم التى كانوا يستنزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالردىء والنعيم بالعذاب وأهل الجنة على العكس من ذلك يقال غبنت فلانا اذا بايعته أو شاركته فكان النقص عليه والغلبة والغبن فوت الحظ كما قال المفسرون فالمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما هو بطريق الاستعارة وان التفاعل ليس من اثنين وكذا المغابنة على سبيل التجريد قال ابن عباس يوم التغابن من أسماء يوم القيامة وعنه قال غبن أهل الجنة أهل النار (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) أى من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيآته (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) قرأ الجمهور يكفر ويدخله

عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) قال جويبر عن الضحاك ان الله تعالى لا يقسم بشئ من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذى عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته ثم قال بعض المفسرين لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه انه لقرآن كريم وقال آخرون ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها فى أول القسم اذا كان مقسما به على منفى كقول عائشة رضى الله عنها لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط وهكذا ههنا تقدير الكلام لا اقسم بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم فى القرآن انه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد فقيل أقسم واختلفوا فى معنى قوله بمواقع النجوم فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا فى السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين (٣٨٥) فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله فلا أقسم بمواقع النجوم نجوم القرآن وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدى وأبو حزرة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم فى السماء يقال مطالعها ومشارقها وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها وعن الحسن أيضا ان المراد بذلك انتثارها يوم القيامة وقال الضحاك فلا أقسم بمواقع النجوم يعنى بذلك الانواء التى كان أهل الجاهلية اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم أى وان هذا القسم الذى أقسمت به لقسم

عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه انه لقرآن كريم أى ان هذا القرآن الذى نزل على محمد لكتاب عظيم فى كتاب مكنون أى معظم فى كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثنى موسى بن اسمعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذى فى السماء وقال العوفى عن ابن عباس لا يمسه الا المطهرون يعنى الملائكة وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة لا يمسه الا المطهرون قال لا يمسه عند الله الا المطهرون فأما فى الدنيا فانه يمسه المجوسى النجس والمنافق الرجس قال وهى فى قراءة ابن مسعود ما يمسه الا المطهرون وقال أبو العالية لا يمسه الا المطهرون ليس أنتم انتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى انه لا يمسه الا المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الاقوال التى قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقال آخرون لا يمسه الا المطهرون أى من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد

ويدخله بالتحتية وقرئ بالنون وفيه التفات من الغيبة الى التكلم (خالدين فيها أبدا) حال مقدرة فيه مراعاة معنى من (ذلك) أى ما ذكر من التكفير والادخال (الفوز العظيم) اى الظفر الذى لا يساويه ظفر والعظيم أعلى حالا من الكبير الذى ذكر فى سورة البروج لان ما فيها قد رتب على ادخال الجنات فقط وما هنا قد رتب على الامرين المذكورين فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) المراد بالآيات اما التنزيلية أو ما هو أعم منها ذكر سبحانه حال السعداء وحال الاشقياء هنا لبيان ما تقدم من التغابن وانه يكون بسبب التكفير وادخال الجنة للطائفة الاولى وبسبب ادخال الطائفة الثانية النار وخلودهم فيها (ما أصاب) كل أحد (من مصيبة) من المصائب (الا باذن الله) أى بقضائه وقدره قال الفراء أى بأمر الله وقيل بعلم الله وقيل وسبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى الدنيا قال ابن مسعود فى الآية هى المصيبات تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى (ومن يؤمن بالله) أى من يصدق ويعلم انه لا يصيبه الا ما قدره الله عليه (يهد قلبه) للصبر والرضا بالقضاء قال مقاتل بن حيان يهد قلبه عند المصيبة فيعلم انها من الله فيسلم لقضائه ويسترجع عند حلولها وقال

بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو مخافة ان يناله العدو واحتجوا في ذلك بما رواه الامام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يمس القرآن الا طاهر وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا ينبغي الاخذ به وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي اسناد كل منهما نظر والله أعلم وقوله تعالى تنزيل من رب العالمين أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون انه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع وقوله تعالى أفبهذا الحديث انتم مدهنون قال العوفي عن ابن عباس أي مكذبون غير مصدقين وكذا قال الضحاك وابو حزرة والسدي وقال مجاهد مدهنون اي تريدون ان تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال بعضهم يعني وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم انكم تكذبون بدل الشكر وقد روى عن علي وابن عباس

انهما قرآها وتجعلون شكركم انكم تكذبون كما سيأتي وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدي ان من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر فلان وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخول بن ابراهيم النهدي وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب عن يحيى بن أبي بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الاعلى ولم يرفعه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما مطر قوم قط الا اصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس وتجعلون شكركم انكم تكذبون وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث ان أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني

سعيد بن جبير يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون وقال الكلبي هو اذا ابتلى صبر واذا أنعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقال ابن عباس في الآية يعني يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قرأ الجمهور يهد بفتح الياء وكسر الدال أي يهده الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول ونهد بالنون ويهدأ بهمزة ساكنة ورفع قلبه أي يطمئن ويسكن (والله بكل شيء عليم) أي بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي هونوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله في جميع الاوقات والعمل بكتابه العزيز وسنة رسوله المطهرة (فان توليتم) أي أعرضتم عن الطاعة (فانما على رسولنا البلاغ المبين) وليس عليه غير ذلك وقد فعل وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا بأس أو فلا ضرر على الرسول وهذه الجملة تعليل للجواب المحذوف ثم أرشد الى التوحيد والتوكل فقال (الله لا اله الا هو) أي هو المستحق للعبودية دون غيره فوحدوه ولا تشركوا به (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليفوضوا امورهم اليه ويعتمدوا عليه لا على غيره حث للرسول على التوكل على الله والتقوي به حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) يدخل فيها الذكر والانثى (وأولادكم عدوا لكم) يعني انهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير وعن طاعة الله أو يخاصمونكم في أمر الدين والدنيا

يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد هو ابن ابراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت الى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون انها تعترض في الافق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لا ان ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده وقد تقدم شيء من هذه الاحاديث عند قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن اسمعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال كذبت بل هو رزق الله ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مطر قوم من ليلة الا أصبح قوم بها كافرين ثم قال وتجعلون (٣٨٧) رزقكم انكم تكذبون يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدح وقال مجاهد وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لانفسهم لم يرزقوا من كتاب الله الا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله انكم تكذبون به ولهذا قال قبله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) يقول تعالى فلولا اذا بلغت أي الروح الحلقوم أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ولهذا قال ههنا وأنتم حينئذ تنظرون أي الى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ونحن أقرب اليه منكم أي بملائكتنا ولكن لا تبصرون أي ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الاخرى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مكانها الاول ومقرها من الجسد ان كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني محاسبين وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حزرة مثله وقال سعيد بن جبير والحسن البصري فلولا ان كنتم غير مدينين غير مصدقين انكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد غير مدينين غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذبين مقهورين (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب

والدنيا ويدخل في ذلك سبب النزول دخولا أوليا (فاحذروهم) ان تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فان سبب نزول الآية الاطاعة في ذلك والضمير يعود الى العدو وانما جاز جمع الضمير لان العدو يطلق على الواحد والاثنين والجماعة أو الى الازواج والاولاد ولكن لا على العموم بل الى المتصفين بالعداوة منهم قال مجاهد والله ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اتخذوا لهم الحرام فأعطوهم اياه ثم أرشدهم الى التجاوز فقال (وان تعفوا) عن ذنوبهم التي ارتكبوها بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) اخفائها وتمهيد معذرتهم فيها وتستروها (فان الله غفور رحيم) بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعوهم الى ان يأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم أخبر سبحانه بأن الاموال والاولاد فتنة فقال (انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة ومحنة يحملونكم على كسب الحرام وتناوله ومنع حق الله والوقوع في العظائم وغصب مال الغير وأكل الباطل ونحو ذلك فلا تطيعوهم في معصية الله ولم يذكر من هنا كما

اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) هذه الاحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم اما ان يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين واما ان يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بامر الله ولهذا قال تعالى فأما ان كان أي المحتضر من المقربين وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات فروح وريحان وجنة نعيم أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء ان ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فروح يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد ان الروح الاستراحة وقال أبو حزرة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح وعن مجاهد فروح وريحان جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحمة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الاقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن وجنة النعيم وقال أبو العالية لا يفارق (٣٨٨) أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة ابراهيم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ولو كتبت ههنا لكان حسنا وأجلها حديث تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لملك الموت انطلق الى فلان فأتني به فانه قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ائتني به فلأريحه قال فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم اكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية قال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فروح وريحان برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هرون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرأوا فروح وريحان بفتح الراء وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل انه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل ويشهد له بالصحة ايضا ما رواه الامام احمد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي عن الامام مالك بن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم

ذكر في ان من أزواجكم لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وقدم الاموال على الاولاد لأن فتنة المال أكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من تكون صلاحا وعونا على الآخرة وعن ابي بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما واحدا من ذا الشق وواحدا من ذا الشق ثم صعد المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم اصبر أن قطعت كلامي ونزلت اليهما اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وابن مردويه وابن ابي شيبة (والله عنده اجر عظيم) اى الجنة وهي لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده ثم أمرهم سبحانه بالتقوى والطاعة فقال (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ما اطقتم وبلغ اليه جهدكم وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد الى ان هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه اتقوا الله حق تقاته لان معناه ان يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فخفف الله عنهم وانزل هذه الآية وقال ابن عباس هي محكمة ولا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهدوا فيه حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم وقد اوضحنا الكلام على هذا في قوله

فاتقوا

يبعثه وهذا اسناد عظيم ومتن قويم وفى الصحيح ان ارواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش الحديث وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان اول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبى ليلى رأيت شيخا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعته يقول حدثنى فلان بن فلان سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قال فأكب القوم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا انا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه اذا احضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقائه أحب وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره هكذا رواه الامام أحمد وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها شاهد لمعناه وقوله تعالى وأما ان كان من أصحاب اليمين أى وأما ان كان المحتضر من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين أى تبشرهم الملائكة بذلك تقول لاحدهم سلام لك أى لا بأس عليك انت الى سلامة أنت من أصحاب اليمين وقال قتادة وابن زيد سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره انه من أصحاب اليمين وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقال البخارى فسلام لك اى مسلم لك انك من أصحاب اليمين والغيت ان وهو معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل اذا كان قد قال انى مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك فسقيا من الرجال ان رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال اليه والله أعلم وقوله تعالى وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم أى وأما ان كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى فنزل أى فضيافة من حميم وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود وتصلية جحيم أى وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته ثم قال تعالى ان هذا لهو حق اليقين أى ان هذا الخبر لهو حق اليقين الذى لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه فسبح باسم ربك العظيم قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقى حدثنى عمى اياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به وقال روح بن عبادة حدثنا حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة هكذا رواه الترمذى من حديث روح ورواه هو والنسائى أيضا من حديث حماد بن سلمة عن أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من حديث أبى الزبير وقال البخارى فى آخر كتابه

فاتقوا الله حق تقاته (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لانه لا فائدة فى مجرد السماع (وأطيعوا) الاوامر قال مقاتل اسمعوا اى اصغوا الى ما ينزل عليكم واطيعوا الرسوله فيما يأمركم وينهاكم (وأنفقوا) من اموالكم التى رزقكم الله اياها فى وجوه الخير والطاعة ولا تبخلوا بها وقوله (خيرا لأنفسكم) منتصب بفعل مضمر دل عليه اتقوا كأنه قال ائتوا فى الانفاق خيرا لانفسكم أو قدموا خيرا لها كذا قال سيبويه وقال الكسائى والفراء هو نعت لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا وقال أبو عبيد هو خبر لكان المقدرة أى يكن الانفاق خيرا لكم وقال أهل الكوفة نصبه على الحال وقيل هو مفعول به لا نفقوا أى فانفقوا مالا خيرا والظاهر فى الآية الانفاق مطلقا من غير تقييد بالزكاة الواجبة وقيل المراد زكاة الفريضة وقيل النافلة وقيل النفقة فى الجهاد (ومن يوق شح نفسه) فيفعل فى ماله جميع ما أمر به من الانفاق موقنا به مطمئنا اليه ولم يمنعه ذلك منه (فأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلوب وقد تقدم تفسير هذه الآية مرارا (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) فتصرفون أموالكم فى وجوه الخير باخلاص نية وطيب نفس وسماه قرضا من حيث التزام الله الجزاء عليه وفى ذكر القرض أيضا تلطف فى الاستدعاء وترغيب فى الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع ان العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه قال القشيرى ويتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء فى بذل أموالهم

حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ورواه بقية الجماعة الا أبا داود من حديث محمد بن فضيل باسناده مثله آخر تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحديد وهى مدنية) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية ابن الوليد حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبى بلال عن عرباض بن سارية انه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن بقية به وقال الترمذى حسن غريب ورواه النسائى عن ابن أبى السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره مرسلا لم يذكر عبد الله بن أبى بلال ولا العرباض بن سارية والآية المشار اليها فى الحديث هى والله أعلم قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما سيأتى بيانه قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم) يخبر تعالى انه يسبح له ما فى السموات والارض أى من الحيوانات والنبات كما قال فى الآية الاخرى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وهو العزيز أى الذى قد خضع له كل شئ الحكيم فى خلقه وأمره وشرعه له ملك السموات والارض يحيى ويميت أى هو المالك المتصرف فى خلقه فيحيى ويميت ويعطى من يشاء ما يشاء وهو على كل شئ قدير أى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهذه الآية هى المشار اليها فى حديث عرباض بن سارية انها أفضل من ألف آية وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة يعنى ابن عمار حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شئ أجده فى صدرى قال ما هو قلت والله لا أتكلم به قال فقال لى أشئ من شك قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لى اذا وجدت فى نفسك شيأ فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وقد اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا وقال البخارى قال يحيى الظاهر على كل شئ علما والباطن على كل شئ علما وقال شيخنا الحافظ المزى يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معانى القرآن وقد ورد فى ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى لا اله الا أنت أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك

وعلى الفقراء فى عدم الخلاء أو فاتهم عن مراد الحق ومراقبته على مراد أنفسهم فالغنى يقال له آثر حكمى على مرادك فى مالك وغيره والفقير يقال له آثر حكمى فى نفسك وقلبك ووقتك ذكره الخطيب (يضاعفه لكم) فيجعل الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقد تقدم تفسير هذه الآية فى البقرة والحديد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله استقرضت عبدى فأبى أن يقرضنى وشتمنى عبدى وهو لا يدرى يقول وادهراه وادهراه وأنا الدهر ثم تلا أبو هريرة هذه الآية أخرجه ابن جرير والحاكم وصححه (ويغفر لكم) أى يضم الى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم (والله شكور حليم) يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب وما حضر لا تخفى عليه منه خافية وقيل ما استتر من سرائر القلوب وما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز الحكيم) اى الغالب القاهر باظهار السيوب (١) ذو الحكمة الباهرة فى الاخبار عن الغيوب وفى صنعه وقال ابن الانبارى الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء

(سورة الطلاق احدى أو ثنتا أو ثلاث عشرة آية)

وهى مدنية قال القرطبى فى قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بالمدينة

(١) [illegible]

شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن ليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا ان ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السري بن اسمعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فاذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس مايدرى مايقول فاذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم اله كل شيء ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول (٣٩١) الذي ليس قبلك شيء وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر السري بن اسمعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جدا والله أعلم وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسيره هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال [illegible] هذه روايا الارض تسوقه الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال [illegible] سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم [illegible] هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك [illegible] كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا [illegible] السماء مثل بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم [illegible] تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما [illegible] خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا [illegible] والباطن وهو بكل شيء عليم ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا [illegible] قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا [illegible] وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه [illegible]

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الجمع تعظيما له أو خطاب له ولأمته والتقدير يا أيها النبي وأمته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه أو خطاب لأمته فقط بعد ندائه عليه الصلاة والسلام وهو من تلوين الخطاب خاطب به أمته بعد أن خاطبه أو أنه على اضمار قول أي يا أيها النبي قل لأمتك أو خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترؤسه بكلام حسن قاله الزمخشري قال السمين وهذا هو معنى القول الثالث الذي تقدم وقال المحلي المراد أمته بقرينة ما بعده قال الحفناوي فكأنه قيل يا أيها الأمة اذا طلقتم الخ وهذا الاسلوب سلكه الكازروني وفي نسخة من تفسير المحلي المراد وأمته بزيادة لواو يعني ان في الكلام اكتفاء على حد قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فعلى هذا النبي لا تجوز فيه بل هو منادى مع أمته وهذا الوجه قربه السمين كما تقدم والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه واما احتيج لذا التجوز ليصح قوله (فطلقوهن لعدتهن) لان الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء أما غير المدخول بهن ولا عدة

الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده و بعد ما بين الارضين مسيرة سبعمائة عام وقال لو دليتم بحبل الى الارض السفلى الارض السابعة لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ورواه ابن أبى حاتم والبزار من حديث أبى جعفر الرازى عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبى حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وانما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وقال البزار لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم الا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة هو الاول والآخر والظاهر والباطن ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى أصحابه اذ مر عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا وذكر الحديث مثل سياق الترمذى سواء الا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث ابى ذر الغفارى رضى الله عنه وأرضاه رواه البزار فى مسنده والبيهقى فى كتاب الاسماء والصفات (٣٩٢) ولكن فى اسناده نظر وفى متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى ومن الارض مثلهن حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والارض فقال بعضهم لبعض من أين جئت قال احدهم أرسلنى ربى عز وجل من السماء السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلنى ربى عز وجل من الارض السابعة وتركته ثم قال الآخر أرسلنى ربى من المشرق وتركته ثم قال الآخر أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثم وهذا غريب جدا وقد يكون الحديث الاول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض ...

بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) يخبر تعالى عن خلقه السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها فى سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى يعلم ما يلج فى الارض أى يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر وما يخرج منها من نبات وزرع وثمر كما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقوله تعالى وما ينزل من السماء أى من الامطار والثلوج والبرد والاقدار والاحكام مع الملائكة الكرام وقد تقدم فى سورة البقرة انه ما ينزل من قطرة من السماء الا ومعها ملك يقررها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى وما يعرج فيها أى من الملائكة والاعمال كما جاء فى الصحيح يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل وقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما

عليهن بالكلية وأما ذوات الاشهر فسيأتين فى قوله واللائى يئسن الخ ومعنى لعدتهن مستقبلات لعدتهن أو فى قبل عدتهن أو لقبل عدتهن اولزمان عدتهن وهو الظهر وقال الجرجانى اللام بمعنى فى اى فى عدتهن وقال ابو حيان اى لاستقبال عدتهن على حذف مضاف واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا والمراد أن يطلقوهن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يتركن حتى تنقضى عدتهن فاذا طلقتموهن هكذا فقد طلقتموهن لعدتهن وسيأتى بيان هذا من السنة عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فى قبل عدتهن رواه عبد الرزاق فى المصنف وابن المنذر والحاكم وابن مردويه وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن وعن مجاهد أنه قرأ كذلك وعن ابن عباس مثله وقال فى الآية أى طاهرا من غير جماع وعن ابن مسعود من أراد أن يطلق للسنة كما امره الله فليطلقها طاهرا فى غير جماع وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفصة فأتت أهلها فأنزل الله هذه الآية فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من أزواجك فى الجنة أخرجه ابن أبى حاتم واخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلا وعن ابن عمر انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتغيظ ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وقرأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وروى عن ابن عباس انها نزلت فى قصة طلاق عبد يزيد وقد اخرجها ابن ابى حاتم اثراطويلا قال

تعملون بصير أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وقال تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فلا اله غيره ولا رب سواه وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وروى الحافظ أبو بكر الاسماعيلى من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثنى أبى عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عائذ قال قال عمر جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال زودنى حكمة أعيش بها فقال استحى الله كما تستحى رجلا من صالحى عشيرتك لا يفارقك هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علويه العامرى مرفوعا ثلاث من فعلهن فقد طعم الايمان ان عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا الشرطة اللئيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه وقال رجل يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه

فقال يعلم ان الله معه حيث كان وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت غريب وكان الامام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وقوله تعالى له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور أى هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى وان لنا للآخرة والاولى وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وقال تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير فجميع ما فى السموات والارض ملك له وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ولهذا قال والى الله ترجع الامور أى اليه المرجع يوم القيامة فيحكم فى خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل ان يك عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها الى عشر أمثالها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وكما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى هو المتصرف فى الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه وهو عليم بذات الصدور أى يعلم السرائر وان دقت وان خفيت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر

الذهبى اسناده واه والخبر خطأ فان عبد يزيد لم يدرك الاسلام وفى الباب أحاديث (وأحصوا العدة) أى احفظوها واحفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة وهى ثلاثة قروء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن والخطاب للازواج لغفلة النساء وقيل للزوجات وقيل للمسلمين على العموم والاول أولى لان الضمائر كلها لهم ولكن الزوجات داخلات فى هذا الخطاب بالالحاق بالازواج لان الزوج يحصى ليراجع وينفق أو يقطع ويسكن أو يخرج ويلحق نسبه أو يقطع وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة وقيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء (لا تخرجوهن من بيوتهن) أى التى كن فيها عند الطلاق مادمن فى العدة وأضاف البيوت اليهن وهى لازواجهن لتأكيد النهى وبيان كمال استحقاقهن للسكنى فى مدة العدة ومثله قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن وقوله وقرن فى بيوتكن ثم نهى الازواج عن اخراجهن عن البيوت التى وقع الطلاق وهن فيها نهى الزوجات عن الخروج أيضا فقال (ولا يخرجن) من تلك البيوت مادمن فى العدة الا لامر ضرورى كما سيأتى بيان ذلك قال أبو السعود ولو باذن من الازواج فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقال الخطيب لان فى العدة

كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) أمر تبارك وتعالى بالايمان به وبرسوله على الوجه الاكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان فى أيدى من قبلكم ثم صار اليكم فارشد تعالى الى استعمال ما استخلفهم فيه من المال فى طاعته وان لم يفعلوا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه وقوله تعالى مما جعلكم مستخلفين فيه اشارة الى انه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك ان يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصى الله فيه فتكون قد سعيت فى معاونته على الاثم والعدوان قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٩٤) وهو يقول ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وقوله تعالى فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ترغيب فى الايمان والانفاق فى الطاعة ثم قال تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم أى وأى شئ يمنعكم من الايمان والرسول بين أظهركم يدعوكم الى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقد روينا فى الحديث من طرق فى أوائل شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه أى المؤمنين أعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالانبياء قال وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ولكن أعجب المؤمنين ايمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفا من هذه فى أول سورة البقرة عند قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب وقوله تعالى وقد أخذ ميثاقكم كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا يعنى بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم ابن جرير ان المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم وقوله تعالى هو الذى ينزل على عبده آيات بينات أى حججا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ليخرجكم من الظلمات الى النور أى من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة الى نور الهدى واليقين والايمان وان الله بكم لرؤف رحيم اى فى انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالايمان والانفاق ثم حثهم على الايمان وبين انه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الانفاق فقال وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض أى أنفقوا ولا تخشوا فقرا واقلالا فان الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والارض وبيده مقاليدهما

حقا الله تعالى فلا يسقط بتراضيهما وقيل المراد لا يخرجن من أنفسهن الا اذا أذن لهن الازواج فلا بأس والاول أولى وهذا كله عند عدم العذر أما اذا كان لعذر كشراء من ليس لها على المفارق نفقة فيجوز لها الخروج نهارا قاله الخطيب واذا خرجت من غير عذر فانها تعصى ولا تنقضى عدتها قاله القرطبى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) بفتح الياء وكسرها سبعيتان وهذا الاستثناء هو من الجملة الاولى قال الواحدى أكثر المفسرين على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا وبه قال ابن عباس وذلك ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال الشافعى وغيره هى البذاء فى اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها فى ذلك البيت وعن ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو المرأة على أهل الرجل فاذا بذت عليهم بلسانها فقد حل لهم اخراجها لسوء خلقها ويؤيد هذا ما قال عكرمة ان فى مصحف أبى الا ان يفحشن عليكم وقيل الاستثناء من الجملة الثانية للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة قال الشوكانى رحمه الله هو بعيد قال ابن عمر خروجها قبل انقضاء العدة من بيتها هى الفاحشة المبينة وقيل الفاحشة النشوز (وتلك) أى ما ذكر من الاحكام وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) يعنى ان هذه الاحكام التى بينها لعباده هى حدوده التى حدها لهم لا يحل لهم ان يتجاوزوها الى غيرها (ومن يتعد حدود الله) أى يتجاوزها

وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش اقلالا وعلم ان الله سيخلفه عليه وقوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أى لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك ان قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ الا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الاسلام ظهورا عظيما ودخل الناس فى دين الله أفواجا ولهذا قال تعالى أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والجمهور على ان المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبى وغيره ان المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا ان ذلك ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم ومعلوم ان اسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه (٣٩٥) وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فلم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى اذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم فقلنا من هم يا رسول الله أقريش قال لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا أهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد ذكر الخوارج تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا من هم يا رسول الله قريش قال لا هم أرق أفئدة وألين قلوبا وأشار بيده الى اليمن فقال هم أهل اليمن ألا ان الايمان يمان والحكمة يمانية فقلنا يا رسول الله هم خير منا قال والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال ألا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوى

يتجاوزها الى غيرها أو يخل بشىء منها (فقد ظلم نفسه) بايرادها موارد الهلاك وأوقعها فى مواقع الضرر بعقوبة الله على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه وقال البيضاوى أى بان عرضها للعقاب وقال أبو السعود تفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احترازا الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى والخطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لا للنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر نفسه فانك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمرا يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة واستئناف نكاح قال القرطبى قال جميع المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة والمعنى التحريض على طلاق الواحدة أو الثنتين والنهى عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا أضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة فى الارتجاع فلا يجد الى المراجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك أى بعد طلقة أو طلقتين أمرا بالمراجعة قال

منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل انه أنزل قبل الفتح اخبارا عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل وآخرون يقاتلون في سبيل الله الآية فهي اشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وان كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وهكذا الحديث الذي في الصحيح المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وانما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الاول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الاول عليه ولهذا قال تعالى والله بما تعملون خبير فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك الا لعلمه بقصد الاول واخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والقلة والضيق (٣٩٦) وفي الحديث سبق درهم مائة ألف ولا شك عند أهل الايمان ان الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الاوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الانبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لاحد عنده نعمة يجزيه بها وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق أحمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن اسحق بن أيوب أخبرنا محمد ابن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني حدثنا أبو اسحق الفزاري حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم ابن علي عن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله عنه اسخط على ربي عز وجل اني عن ربي راض هذا الحديث ضعيف الاسناد من هذا الوجه والله اعلم وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال والصحيح انه اعم من ذلك فكل من انفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له كما قال في الآية الاخرى اضعافا كثيرة وله اجر كريم اى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله ابن الحرث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له قال ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله وان الله ليريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فاني قد

الواحدي الامر الذي يحدث ان يوقع في قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلقتين قال الزجاج واذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا قالت فاطمة بنت قيس في الآية هي الرجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من أبغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق انتهى أقول اما حديث ابن عمر فقد رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب موصولا وصححه الحاكم وغيره ورواه أبو داود أيضا والبيهقي مرسلا عن محارب ابن دثار وليس فيه ابن عمر ورجح أبو حاتم والدارقطني والبيهقي ارساله وقال الخطابي انه المشهور ورواه الدارقطني عن معاذ بلفظ ما خلق الله شيأ أبغض اليه من الطلاق قال الحافظ ابن حجر واسناده ضعيف ومنقطع انتهى وأما حديث علي فرواه ابن عدي في كتابه الكامل في معرفة الضعفاء عنه رضي الله عنه باسناد ضعيف بل قيل موضوع ورواه الخطيب

أقرضت ربي حائطي وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقرضته ربي عز وجل وفي رواية انها قالت له ربح بيعك يا ابا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كم من عذق رداح في الجنة لابي الدحداح وفي لفظ رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لابي الدحداح في الجنة (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين انهم يوم القيامة يسعى نورهم بين ايديهم في عرصات القيامة بحسب اعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم قال على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة (٣٩٧) ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وادناهم نورا من نوره في ابهامه يتقد مرة ويطفئ مرة رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه وقال سفين الثوري عن حصين عن مجاهد عن جنادة ابن ابي أمية قال انكم مكتوبون عند الله باسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فاذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ يسعى نورهم بين ايديهم وقال الضحاك ليس احد الا يعطى نورا يوم القيامة فاذا انتهوا الى الصراط طفئ نور المنافقين فلما راى ذلك المؤمنون اشفقوا ان يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا وقال الحسن يسعى نورهم بين ايديهم يعني على الصراط وقد قال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا ابو عبيد الله بن اخي بن وهب اخبرنا عمي عن يزيد بن ابي حبيب عن سعد بن مسعود انه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث انه سمع ابا الدرداء وابا ذر يخبران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فاعرف امتي من بين الامم فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف امتك من بين الامم ما بين نوح الى امتك فقال اعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لاحد من الامم غيرهم واعرفهم يؤتون كتبهم بايمانهم واعرفهم بسيماهم في وجوههم واعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم وقوله وبايمانهم قال الضحاك اى وبأيمانهم كتبهم كما قال فمن اوتي كتابه بيمينه وقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار اى يقال لهم بشراكم اليوم جنات اى لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها اى ماكثين فيها ابدا ذلك هو الفوز العظيم وقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وهذا اخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الاهوال المزعجة والزلازل العظيمة والامور الفظيعة وانه لا ينجو يومئذ الا من آمن بالله

الخطيب عن علي أيضا مرفوعا وفي اسناده عمر ابن جميع يروي الموضوعات عن الاثبات وأما حديث أبي موسى فقد رواه الطبراني عنه رضي الله عنه مرفوعا وكذا الدارقطني في الافراد ورواه الطبراني في الكبير أيضا عن عبادة بلفظ ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات وفي سنده راو لم يسم وبقية رجال اسناده ثقات وأما حديث أنس فرواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه وسنده ضعيف جدا وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي (فاذا بلغن أجلهن) أي قاربن انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها (فامسكوهن بمعروف) اى راجعوهن بحسن معاشرة وانفاق مناسب ورغبة فيهن من غير قصد الى مضارة لهن بطلاق آخر لاجل ايجاب عدة أخرى وغير ذلك (أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن نفوسهن مع ايفائهن بما هو لهن عليكم من الحقوق وترك المضارة لهن بالفعل والقول فقد ضمنت الآية بافصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات (واشهدوا ذوي عدل منكم) أي صاحبي عدالة فان العدل ضد الجور وهو يرجع الى معنى العدالة وهذه شهادة على الرجعة وقيل على الطلاق وقيل عليهما قطعا للتنازع وحسما لمادة الخصومة والامر للندب لئلا يقع بينهما التجاحد كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وقيل انه للوجوب واليه

ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان ابن عمرو حدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو امامة الباهلي فلما صلى على الجنازة واخذوا في دفنها قال أبو امامة ايها الناس انكم قد اصبحتم وامسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون ان تظعنوا منه الى منزل آخر وهو هذا يشير الى القبر بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق الا ما وسع الله ثم تنتقلون منه الى مواطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ثم تنتقلون منه الى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيأ وهو المثل الذي ضرب به الله تعالى في كتابه فقال أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الاعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال يخادعون الله وهو

خادعهم فيرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية الا انه يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا أبو حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي امامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور الى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علويه العطار حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا وقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى وبينهما حجاب وهكذا روى عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح باطنه فيه الرحمة أي الجنة وما فيها وظاهره من قبله العذاب أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما قال ابن جرير وقد قيل ان ذلك السور سور بيت

ذهب الشافعي قال الاشهاد واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة واليه ذهب أحمد بن حنبل وفي قول للشافعي ان الرجعة لا تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وروي نحو هذا عن أبي حنيفة وأحمد وعن ابن سيرين ان رجلا سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يشهد قال بئسما صنع طلق في بدعة وارتجع في غير سنة فليشهد على طلاقه وعلى مراجعته ويستغفر الله (وأقيموا الشهادة لله) هذا أمر للشهود بأن يأتوا بما شهدوا به تقربا الى الله وانما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لانه ربما يؤدي الى ان يترك الشاهد مهمانه ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق وقيل الامر للازواج بان يقيموا الشهادة أي الشهود عند الرجعة فيكون قوله واشهدوا ذوي عدل منكم أمرا بنفس الاشهاد وقوله وأقيموا الشهادة أمرا بان تكون خالصة لله لا للمشهود عليه وله ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) أي ما تقدم من الامر بالاشهاد واقامة الشهادة لله أو ما ذكر من أول السورة الى هنا (يوعظ به) أي يلين ويرق به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) خص المؤمن لانه المنتفع بذلك دون غيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ما وقع فيه من الشدائد والمحن والجملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما

المقدس عند وادي جهنم ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول ان السور الذي ذكره الله في القرآن فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الاحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك وهذا محمول منهم على انهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لأن الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فان الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل السافلين وقول كعب الاحبار ان الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من اسرائيلياته وترهاته وانما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ينادونهم ألم نكن معكم أي ينادي المنافقون المؤمنين اما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات ونؤدي (٣٩٩) معكم سائر الواجبات قالوا بلى أي فاجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت الى وقت وقال قتادة تربصتم بالحق وأهله وارتبتم أي بالبعث بعد الموت وغرتكم الاماني أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرتكم الدنيا حتى جاء أمر الله أي ما زلتم في هذا حتى جاء الموت وغركم بالله الغرور أي الشيطان قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا بابدان لا نية لها ولا قلوب معها وانما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراؤون الناس ولا تذكرون الله الا قليلا قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ويطفأ النور من المنافقين اذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فهذا انما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ ثم قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين كما قال ههنا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الارض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى مأواكم النار أي هي مصيركم واليها منقلبكم وقوله تعالى هي مولاكم أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات

مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص قال ابن مسعود مخرجه ان يعلم انه من قبل الله وان الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه وقال ابن عباس ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وعن جابر قال نزلت هذه الآية في رجل من أشجع كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله فقال اتق الله واصبر فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم كان العدو اصابوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال كلها فنزلت ومن يتق الله الآية أخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي وعن ابن عباس قال جاء عوف بن مالك الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ان ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني قال آمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت المرأة نعم ما أمرك فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه فنزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه وفي الباب روايات تشهد لهذا وعن عائشة في الآية قالت يكفيه هم الدنيا وغمها وعن أبي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية فجعل يرددها حتى نعست ثم قال يا أبا ذر لو ان الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم وفي الباب أحاديث وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا

لعلكم تعقلون) يقول تعالى اما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس انه قال ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الآية رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين المروزى عن ابن المبارك به ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال يعنى الليثى عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الا أربع سنين كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية عن هرون بن سعيد الايلى عن ابن وهب به وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبى حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره فقال سفيان الثورى عن المسعودى عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فانزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقال قتادة ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ذكر لنا ان شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول ما يرفع من الناس الخشوع وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم نهى الله تعالى المؤمنين ان يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الامد بدلوا كتاب الله الذى حصل بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والاقوال المؤتفكة وقلدوا الرجال فى دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد وكثير منهم فاسقون أى فى الاعمال فقلوبهم فاسدة واعمالهم باطلة كما قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به أى فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الاعمال التى أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين ان يتشبهوا بهم فى شئ من الامور الاصلية والفرعية وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر عن الربيع بن أبى عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أعجب الى منه الا شيأ من كتاب الله أو شيأ قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند انفسهم استهوته قلوبهم واستحلته السنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا تعالوا ندعوا بنى اسرائيل الى كتابنا هذا فمن تابعنا عليه

من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه قال أبو العالية مخرجا من كل شئ ضاق على الناس قال الشعبى والضحاك هذا فى الطلاق خاصة أى من طلق كما أمره الله يكن له مخرجا فى الرجعة فى العدة وانه يكون كاحد الخطاب بعد العدة (ويرزقه) فرجا وخلفا (من حيث لا يحتسب) قال ابن مسعود أى من حيث لا يدرى يعنى من وجه لا يخطر بباله ولا يكون فى حسابه وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله فى اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب أى يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله فى اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل غير ذلك وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص ويدخل فى ذلك ما فيه السياق دخولا اوليا فان قيل نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليه فى الرزق اجيب بانه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على ان المتقى يوسع له فى الرزق بل دلت على انه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد فى الاتقياء افاده الكرخى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه قال ابن مسعود فى الآية ليس المتوكل الذى يقول تقضى حاجتى وليس كل من يتوكل على الله كفاه ما اهمه ودفع عنه ما يكره وقضى حاجته ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا (ان الله بالغ امره) فلا بد من كونه ينفذه سواء

تركناه ومن كفر بما في كتابنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد الى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انكم قد أفشيتم القتل في بني اسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه ان تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وان أبى فاقتلوه فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما في كتابنا هذا قال وما فيه اعرضوه علي فعرضوه عليه الى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا قال نعم آمنت بما في هذا وأشار الى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن قال ابن مسعود أوشك بكم ان بقيتم أو بقي من بقي منكم ان تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم ان يعلم الله من قلبه أنه لها كاره وروى أبو جعفر الطبري حدثنا ابو حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن ابراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب الى ابن مسعود فقال يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بني اسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا قال آمنت به ويومئ الى القرن بين ثندوتيه ومالي لا أومن بهذا الكتاب فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن وقوله تعالى اعلموا ان الله يحيي (٤٠١) الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون فيه اشارة الى ان الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الارض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج اليها النور بعد ان كانت مقفلة لا يصل اليها الواصل فسبحان الهادي لمن يشاء

 بعد الضلال والمضل لمن أراد بعد الكمال الذي هو لما يشاء فعال وهو الحكيم العدل في جميع الفعال اللطيف الخبير الكبير المتعال (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات باموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة وأقرضوا الله قرضا حسنا أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال يضاعف لهم أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك الى سبعمائة ضعف وفوق ذلك ولهم أجر كريم أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب حسن وقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون هذا تمام جملة وصف المؤمنين بالله ورسله بانهم صديقون قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وقال أبو الضحى أولئك هم الصديقون ثم استأنف الكلام فقال والشهداء عند ربهم وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم قال هم ثلاثة أصناف يعني المصدقين والصديقين والشهداء كما قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على انهما صنفان ولا شك ان الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الامام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن

حصل توكل اولا قال ابن مسعود قاضي أمره على من توكل وعلى من لم يتوكل ولكن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا قرأ الجمهور بتنوين بالغ ونصب أمره وقرئ بالاضافة وهي سبعية وقرئ بتنوين بالغ ورفع أمره لانه فاعل بالغ أو على ان أمره مبتدأ مؤخر وبالغ خبر مقدم قال الفراء في توجيه هذه القراءة أي أمره بالغ وقرئ بالغا بالنصب على الحال ويكون خبر ان قوله قد جعل الله لكل الخ والمعنى على الاولى والثانية ان الله سبحانه بالغ ما يريده من الامر لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب وعلى الثالثة ان الله نافذ أمره لا يرده شيء (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي تقديرا وتوقيتا أو مقدارا لا يتعداه وان اجتهد جميع الخلائق في أن يتعداه فقد جعل سبحانه للشدة أجلا تنتهي اليه وللرخاء أجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل

عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث مالك به وقال آخرون (١) بل المراد من قوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بانهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا اسمعيل بن يحيي حدثنا ابن عجلان عن زيد ابن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنو أمتي شهداء قال ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم هذا حديث غريب وقال أبو اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم قال يجيئون يوم القيامة معا كالاصبعين وقوله تعالى والشهداء عند ربهم أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون فقالوا نحب أن تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا اول مرة فقال انى قد قضيت انهم اليها لا يرجعون وقوله تعالى لهم أجرهم ونورهم أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الاعمال كما قال الامام أحمد حدثنا يحيي بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن (٤٠٢) عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس اليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنسوة عمر والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيأ لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة وقال هذا اسناد مصري صالح ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لما ذكر السعداء وما لهم عطف بذكر الاشقياء وبين حالهم (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يقول تعالى موهنا امر الحياة الدنيا ومحقرا لها انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد أي انما حاصل امرها عند اهلها هذا كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال كمثل غيث وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقوله تعالى أعجب الكفار نباته أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس اليها ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون

شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل قال السدي هو قدر الحيض والعدة وقال ابن مسعود يعني آجلا ومنتهى ينتهي اليه وعن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) وهن الكبار اللائي قد انقطع حيضهن وأيسن منه عن أبي بن كعب ان ناسا من أهل المدينة لما نزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللائي قد انقطع حيضهن وذوات الحمل فانزل الله هذه الآية (ان ارتبتم) أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن وما قدرها وقيل معناه ان تيقنتم ورجح

ابن

(١) قوله بل المراد الخ كذا في النسخ وليس في العبارة تصريح بخبر المراد وهو ظاهر فتأمل اه

حطاما اى يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعدما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أى يصير يبسا متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء والانسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الاعطاف بهى المنظر ثم انه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشئ اليسير كما قال تعالى الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لامحالة وان الآخرة كائنة لامحالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة الا اما هذا واما هذا اما عذاب شديد واما مغفرة من الله ورضوان وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور أى هى متاع فان غار لمن ركن اليه فانه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد انه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة قال ابن جرير حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا المحاربى حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها اقرؤا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك انفرد باخراجه البخارى فى الرقاق من حديث الثورى عن الاعمش به ففى هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الانسان واذا كان الامر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة الى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التى تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض والمراد جنس السماء والارض كما قال تعالى فى الآية الاخرى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين وقال ههنا أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أى هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم واحسانه اليهم كما قدمنا فى الصحيح ان فقراء المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال وماذاك قالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال أفلا أدلكم على شئ اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ماصنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل ان يبرأ البرية فقال ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم أى فى الآفاق وفى نفوسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها أى من قبل ان نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم من قبل ان نبرأه عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والاحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك فى هذا كل مصيبة بين السماء والارض ففى كتاب الله من قبل ان يبرأ النسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة فى الارض قال هى

ابن جرير انه بمعنى الشك وهو الظاهر قال الكرخى صفة كاشفة لان عدتهن ذلك سواء وجد شك أم لا قال الزجاج ان ارتبتم فى حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض مثلها وقال مجاهد ان ارتبتم يعنى لم تعلموا عدة الآيسة والتى لم تحض (فعدتهن ثلاثة أشهر) وقيل المعنى ان ارتبتم فى الدم الذى يظهر منها اهل هو حيض أم لا بل استحاضة فالعدة هذه وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة أو بخمس وخمسين فعدتهن هذه وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى وأصحاب الرأى وقال عمر انها تتربص تسعة أشهر وقال الحسن سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) لصغرهن وعدم بلوغهن سن المحيض أو لانهن لا حيض لهن أصلا

السنون يعني الجدب ولا في أنفسكم يقول الاوجاع والامراض قال وبلغنا انه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قال أخبرنا ابو هانئ الخولاني انه سمع ابا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد ثلاثتهم عن أبي هانئ به وزاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي ان علمه تعالى الاشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم اي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لانه لو قدر شئ لكان ولا تفرحوا بما أتاكم أي جاءكم ويقرأ آتاكم اي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وانما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي مختال في نفسه متكبر فخور اي على غيره وقال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا ثم (٤٠٤) قال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ومن يتول اي عن امر الله وطاعته فان الله هو الغني الحميد كما قال موسى عليه السلام ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) يقول تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات [illegible] وانزلنا معهم الكتاب وهو النقل الصدق والميزان وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي [illegible] العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وقال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ولهذا قال في هذه الآية ليقوم الناس بالقسط أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا به فان الذي جاؤا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا يقول المؤمنون اذا تبوؤا غرف الجنات والمنازل العاليات [illegible] المصفوفات الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وبينات ودلالات [illegible] على من خالف شرع الله الهجرة وامرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده وقد روى الامام احمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امرى ومن تشبه بقوم فهو منهم ولهذا قال تعالى فيه بأس شديد يعني السلاح كالسيوف والحراب

وان كن بالغات قاله الخطيب أي فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا وحذف هذا لدلالة ما قبله عليه والاولى ان يقدر مفردا أي فكذلك أو مثلهن ولو قيل انه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات وأخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا وأكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وما عطف عليه وهذا ظاهر قول الشيخ أبي حيان (وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن) أي انتهاء عدتهن وضع الحمل وظاهر الآية أن عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وعمومها قد يقتضي تخصيص لآية يتربصن بانفسهن أي ما لم يكن حوامل وانما لم يعكس لان المحافظة على عموم هذه الآية أولى من المحافظة على عموم تلك لان أزواجا في آية البقرة عمومه بدلي لا يصلح لجميع الافراد في حال واحد لانه جمع منكر في سياق الاثبات وأما أولات الاحمال فعمومه شمولي [illegible]

والسنان والنصال والدروع ونحوها ومنافع للناس اى فى معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والازميل والمجرفة والآلات التى يستعان بها فى الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك قال علباء بن احمد عن عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعنى المطرقة رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب اى من نيته فى حمل السلاح نصرة الله ورسوله ان الله قوى عزيز اى هو قوى عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه الى الناس وانما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) يخبر تعالى انه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا الا من ذريته وكذلك ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا اوحى الى بشر من بعده الا وهو من سلالته كما قال تعالى فى الآية الاخرى وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب حتى كان آخر أنبياء بنى اسرائيل عيسى بن مريم الذى بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وهو الكتاب الذى أوحاه الله اليه وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه وهم الحواريون رأفة أى رقة وهى الخشية ورحمة بالخلق وقوله ورهبانية ابتدعوها أى ابتدعتها أمة النصارى ما كتبناها عليهم أى ما شرعناها لهم وانما هم التزموها (٤٠٥) من تلقاء أنفسهم وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله فيه قولان أحدهما انهم قصدوا بذلك رضوان الله قاله سعيد بن جبير وقتادة والآخر ما كتبناها عليهم ذلك انما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله وقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها اى فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين أحدهما فى الابتداع فى دين الله ما لم يأمر به الله والثانى فى عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا انه قربة يقربهم الى الله عز وجل وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا اسحق بن أبى حمزة أبو يعقوب الرازى حدثنا السرى بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال هل علمت ان بنى اسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها الا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الصعق ابن حزن حدثنا عقيل الجعدى عن أبى اسحق الهمدانى عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم وذكر نحو ما تقدم وفيه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم هم الذين آمنوا بى وصدقونى وكثير منهم فاسقون وهم الذين كذبونى وخالفونى ولا يقدح فى هذه المتابعة بحال داود بن المحبر فانه أحد الوضاعين للحديث لكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له أخبرنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن

الموصول من صيغ العموم وأيضا الحكم هنا معلل بوصف الحلية بخلاف ما هنالك وأيضا هذه الآية متأخرة فى النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك فيما والعمل بعمومها رفع لما فى الخاص من الحكم فهو نسخ والتخصيص أولى منه وقد تقدم الكلام على هذا فى سورة البقرة مستوفى وحققنا البحث فى هذه الآية وفى الآية الاخرى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا عن أبى بن كعب فى الآية قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أهى المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها قال هى المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وأبو يعلى وغيرهما وروى بوجه آخر مرفوعا عنه وعن ابن مسعود انه بلغه ان عليا قال تعتد آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان الآية التى فى سورة النساء القصرى نزلت

سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيأ أشد من شتم يشتموناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون هذه الآيات مع ما يعيبوننا به من أعمالنا فى قراءتهم فادعهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بايمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون (٤٠٦) بكم ان لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم هذا السياق فيه غرابة وسيأتى تفسير هاتين الآيتين الاخيرتين على غير هذا والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء ان سهل بن أبى امامة حدثه انه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلى صلاة خفيفة (١) رقمة كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شئ تنفلته قال انها المكتوبة وانها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت الا شيأ سهوت عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعا فاذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار قال ما أعرفنى بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغى والحسد ان الحسد يطفئ نور الحسنات والبغى يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وقال الامام أحمد حدثنا يعمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبى اياس عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله عز وجل ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن اسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وقال الامام أحمد حدثنا حسين هو ابن محمد حدثنا عياش يعنى ابن اسمعيل عن الحجاج بن مروان الكلاعى وعقيل بن مدرك السلمى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رجلا جاءه فقال أوصنى فقال سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شئ وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك فى السماء وذكرك فى الارض تفرد به أحمد والله تعالى أعلم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم

(١) قوله رقمة كذا فى النسخ وحرر اه مصححه

بعد سورة البقرة وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن بكذا وكذا أشهرا وكل مطلقة أو متوفى عنها زوجها فأجلها ان تضع حملها وروى عنه نحو هذا من طرق وبعضها فى صحيح البخارى وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أم سلمة ان سبيعة الاسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى الباب أحاديث (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى من يتقه فى امتثال أوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره فى الدنيا والآخرة وقال الضحاك من يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا فى توفيقه للطاعة (ذلك) أى ما ذكر من الاحكام وتفاصيل العدة (أمر الله) أى حكمه الذى حكم به بين عباده وشرعه الذى شرعه لهم ومعنى (أنزله اليكم) أنزله فى كتابه على رسوله وبينه لكم وفصل أحكامه

كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس انه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وانهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبيه أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق مولاه فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران اخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير وقال سعيد بن جبير لما افتخر أهل الكتاب بانهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الامة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين أي ضعفين من رحمته وزادهم ويجعل لكم نوراً تمشون به يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه وهذه الآية كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على انه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل يؤتكم كفلين من رحمته قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير ومما يؤيد هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (٤٠٧) صلى الله عليه وسلم مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر الى صلاة العصر على قيراط قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فانتم الذين عملتم فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيأ قالوا لا قال فانما هو فضلي أوتيه من أشاء قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد باخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوا العصر قالوا اما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوما ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا اعطاء ما منع الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال ابن جرير لئلا يعلم أهل الكتاب أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود انه قرأها لكي يعلم وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير قال ابن جرير لان العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله ما منعك ألا تسجد وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون (آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة)

وأوضح حلاله وحرامه (ومن يتق الله) بترك ما لا يرضاه (يكفر عنه سيآته) التي اقترفها لان التقوى من أسباب المغفرة للذنوب (ويعظم له أجرا) أي يعطيه من الاجر في الآخرة أجرا عظيما وهو الجنة (أسكنوهن من حيث سكنتم) هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان ما يجب للنساء المطلقات وغيرها من المفارقات من السكنى ومن للتبعيض أي بعض مكان سكناكم قاله الزمخشري وقال الكسائي والرازي من زائدة وقال الحوفي وأبو البقاء انها لابتداء الغاية (من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم وقال ابن عباس من سعيكم والوجد بالحركات الثلاث والمشهور باتفاق القراء بالضم بمعنى المقدرة قال الفراء يقول على من يجد فان كان موسعا وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك قال

(تفسير سورة المجادلة وهي مدنية) (بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الاعمش به وفي رواية لابن أبي حاتم عن الاعمش عن تميم بن سلمة عن عبدة عن عائشة انها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شئ اني أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يارسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قال وزوجها أوس بن الصامت وقال ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرأ به لمم فكان اذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته واذا ذهب لم يقل شيأ فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي الى الله فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه ان رجلا كان به لمم فذكر مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا امير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها الا ان تحضر صلاة فأصليها ثم ارجع اليها حتى تقضي حاجتها هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي أنزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) قال الامام أحمد حدثنا سعد بن ابراهيم ويعقوب قالا حدثنا أبي حدثنا محمد بن اسحق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشئ فغضب فقال أنت علي كظهر امي قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت والذي نفس خويلة بيده لا تخلص الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت ثم خرجت الى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت اشكو اليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

قتادة ان لم تجد الا ناحية بيتك فأسكنها فيه وقد اختلف أهل العلم في المطلقة ثلاثا هل لها سكنى ونفقة أم لا فذهب مالك والشافعي الى ان لها سكنى ولا نفقة لها وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى أن لها النفقة والسكنى وذهب أحمد واسحق وأبو ثور الى انه لا نفقة لها ولا سكنى وهذا هو الحق وقد قرره الشوكاني في شرحه للمنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وأوضحناه في الروضة الندية شرح الدرر البهية (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) نهى سبحانه عن مضارتهن بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة وقال مجاهد في المسكن وبه قال ابن عباس وقال مقاتل في النفقة وقال أبو الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها (وان كن) أي المطلقات الرجعيات أو البائنات دون الحوامل المتوفى عنهن (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي الى غاية هي وضعهن للحمل ولا

يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه قالت فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سرّي عنه فقال لي يا خويلة قد انزل الله فيك وفي صاحبك قرآن ثم قرأ عليّ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الى قوله تعالى وللكافرين عذاب أليم قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قالت فقلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قالت فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سنعينه بفرق من تمر قالت فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت ورواه ابو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن اسحق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال فيها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الاقوال فالامر فيها قريب والله اعلم هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة فاما حديث سلمة بن صخر فليس فيه انه كان سبب النزول ولكن امر بما انزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام او الاطعام كما قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا محمد بن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان اصيب في ليلتي شيأ فأتتابع في ذلك الى ان يدركني النهار وأنا لا اقدر ان انزع فبينما هي تخدمني من الليل اذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما اصبحت غدوت على (٤٠٩) قومي فاخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بأمري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب انت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبري فقال لي انت بذاك فقلت انا بذاك فقال انت بذاك فقلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت نعم ها أنا ذا فامض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال اعتق رقبة قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فتصدق قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا ما لنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك قال فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها الي فدفعوها الي وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق ان هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت ان يكون ذلك طلاقا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوسا ظاهر مني وانا ان افترقنا هلكنا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الى قوله تعالى وللكافرين عذاب أليم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتقدر على رقبة تعتقها قال لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والاكثرون الى ما قلناه والله أعلم فقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم أصل

ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن أبي ليلى وسفيان وأصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر ابن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه لا ينفق عليها الا من نصيبها وهذا هو الحق للادلة الواردة في ذلك من السنة المطهرة قال ابن عباس في الآية فهذه في المرأة يطلقها زوجها وهي حامل فامره الله ان يسكنها وينفق عليها حتى تضع وان أرضعت حتى تفطم فان أبان طلاقها وليس لها حمل فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة لها (فان أرضعن لكم) أولادكم بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) أي أجور ارضاعهن والمعنى ان المطلقات اذا أرضعن أولاد الازواج المطلقين لهن منهن فلهن أجورهن على

الظهار مشتق من الظهر وذلك ان الجاهلية كانوا اذا تظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت على كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الاعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الامة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا قال لامرأته في الجاهلية أنت على كظهر أمي حرمت عليه فكان أول من ظاهر في الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط في يديه وقال ما أراك الا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك قال فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال يا خويلة ما أمرنا في أمرك بشيء فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يا خويلة أبشري قالت خيرا قال فقرأ عليها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما الى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا قالت وأي رقبة لنا والله ما نجد رقبة غيري قال فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قالت والله لولا انه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا قالت من أين ما هي الا أكلة الى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال ليطعم ستين مسكينا وليراجعك وهذا اسناد جيد قوي وسياق غريب وقد روي عن أبي العالية نحو هذا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الانصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق وكان طلاق أهل الجاهلية اذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت علي كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما في شيء فقال أنت علي كظهر امي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يا رسول الله ان زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق واني نازعته في شيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال ما أعلمك الا قد حرمت عليه فقالت أشكو الى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يا رسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وان لي منه عيلا أو عيلين واني نازعته في شيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع الى رأسه وقال ما أعلمك الا قد حرمت عليه فقالت أشكو الى الله ما نزل بي وأبا صبيتي قال ورأت عائشة وجه النبي صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها وراءك وراءك فنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غشيانه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحي قال يا عائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبي فأتيني بزوجك فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم أستعيذ بالله السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى قوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها قال لا قال أفتستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد ان يعشو بصري قال أفتستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا الا ان تعينني قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أطعم ستين مسكينا قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الاعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق وقال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة رواه ابن أبي حاتم بنحوه وقد استدل الامام مالك على ان الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له واستدل الجمهور عليه بقوله من نسائهم على ان الامة لا ظهار

ذلك (وأتمروا بينكم بمعروف) هو خطاب للازواج والزوجات يعني تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل قال الكسائي ائتمروا وتشاوروا واحد وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وأصل معناه ليأمر بعضكم بعضا بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم قال مقاتل المعنى ليتراض الاب والام على أجر مسمى قيل والمعروف الجميل من الزوج أن يوفر لها الاجر والمعروف الجميل منها ان لا تطلب ما يتعاسره الزوج من الاجر (وان تعاسرتم) في حق الولد وأجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطي الام الاجر وأبت الام ان ترضعه الا بما تريد من الاجر (فسترضع له أخرى) أي يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده ولا يجب عليه ان يسلم ما تطلبه الزوجة ولا يجوز له ان يكرهها على الارضاع بما يريد من الاجر وقال الضحاك ان أبت الام ان ترضع استأجر لولده

منهاولاتدخل فی هذا الخطاب وقوله تعالى ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم اى لاتصير المراة بقول الرجل انت على كامى او مثل امى او كظهر امى وما اشبه ذلك لاتصير امه بذلك انما امه التى ولدته ولهذا قال تعالى وان هم ليقولون منكرا من القول وزورا اى كلاما فاحشا باطلا وان الله لعفو غفور اى عما كان منكم فى حال الجاهلية وهكذا ايضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد اليه المتكلم كما رواه أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لامرأته يا أختى فقال اختك هى فهذا انكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لانه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لانه لافرق على الصحيح بين الام و بين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اختلف السلف والائمة فى المراد بقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فقال بعض الناس العود هو ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل * وهو اختيار ابن جرير وقول داود وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الاشج والفراء وفرقة من أهل الكلام وقال الشافعى هو ان يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه ان يطلق فيه فلا يطلق وقال أحمد بن حنبل هو ان يعود الى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة وقد حكى عن مالك انه العزم على الجماع أو الامساك وعنه انه الجماع وقال أبو حنيفة هو ان يعود الى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه الا الكفارة واليه ذهب الصحابة والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء عن سعيد بن جبير ثم يعودون لما قالوا يعنى يريدون ان يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم وقال الحسن البصرى يعنى الغشيان فى الفرج وكان لا يرى (٤١١) بأسا ان يغشى فيما دون الفرج قبل ان يكفر وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من قبل ان يتماسا والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له ان يقبلها ولا يمسها حتى يكفر وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله انى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل ان أكفر فقال ما حملك على ذلك يرحمك الله قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلا قال النسائى وهو أولى بالصواب وقوله تعالى فتحرير رقبة أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالايمان وفى كفارة القتل مقيدة بالايمان فحمل الشافعى رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد فى ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة الجارية السوداء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة وقد رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن اسمعيل بن مسلم عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى ظاهرت من امرأتى ثم وقعت عليها قبل ان أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا قال اعجبتنى قال امسك حتى تكفر ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس باحسن من هذا واسمعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه انه لم يأمره الا بكفارة واحدة وقوله تعالى ذلكم توعظون به أى تزجرون به والله بما تعملون خبير أى خبير بما يصلحكم عليم باحوالكم وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا قد تقدمت الاحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله أى شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى وتلك حدود الله أى محارمه فلا تنتهكوها وقوله تعالى وللكافرين عذاب أليم أى الذين لم يؤمنوا ولا التزموا

لولده أخرى فان لم تقبل أجبرت امه على الرضاع بالاجر وهو خبر بمعنى الامر والظاهر انه على بابه وفيه معاتبة للام على المعاسرة لان المبذول من جهتها اللبن وهو غير متمول ولا يضن به لاسيما على الولد بخلاف ما يبذل من الاب فانه مال يضن به عادة (لينفق ذو سعة من سعته) فيه الامر لاهل السعة بان يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم (ومن قدر عليه رزقه) أى كان رزقه بمقدار القوت أو مضيق ليس بموسع (فلينفق مما آتاه الله) أى مما أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك وفى الخطيب يقدر القاضى النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعى محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتى فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره ولا

بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة (إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) يخبر تعالى عمن شاق الله ورسوله وعاندوا شرعه كبتوا كما كبت الذين من قبلهم أي أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر وللكافرين عذاب مهين أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه ثم قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينبئهم بما عملوا أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر أحصاه الله ونسوه أي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا والله على كل شيء شهيد أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة أي من سر ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وقال تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ثم قال تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه قال اليهود وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا النجوى ألم تنهوا عن النجوى قلنا تبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه قلنا بلى

اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارث فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولأن الاعتبار بحالها يؤدي إلى الخصومة لأن الزوج يدعي أنها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم أنها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة انتهى والتقدير المذكور مسلم في نفقة الزوجة ونفقة المطلقة إذا كانت رجعية مطلقا أو بائنا حاملا بخلاف المرضعة قاله سليمان الجمل عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول انظر ماذا يصنع بها إذا أخذها فما لبث أن لبس ألين الثياب وأكل أطيب الطعام فجاء الرسول فأخبره فقال رحمه الله تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن

قدر

يارسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم والعدوان وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن نمير عن الاعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة وعليكم السام قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما سمعت أقول وعليكم فأنزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وفي رواية في الصحيح انها قالت لهم عليكم السام والذام واللعنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع اصحابه اذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا سلم يا رسول الله قال بل قال سام عليكم أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوه فردوه عليه فقال نبي الله أقلت سام عليكم قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه وقوله تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام

وايهام السلام وانما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لان الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبيا حقا لاوشك ان يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى حسبهم جهنم أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة يصلونها وبئس المصير وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الآية واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير اسناد حسن ولم يخرجوه وقال العوفي عن ابن عباس واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله قال كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك قال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم قال الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين ان لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد احصاها عليكم وسيجزيكم بها قال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد ابن عمر اذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة ثم قال تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي انما

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أي ما أعطاها من الرزق فلا يكلف الفقير بان ينفق ما ليس في وسعه بل عليه ما يقدر عليه وتبلغ اليه طاقته مما أعطاه الله من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة سعة وغنى وهذا وعد لذي العسر باليسر وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الآية فتح عليهم جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائم غير انه في الصحابة أتم لان ايمانهم أقوى من غيرهم ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الاحكام حذر من مخالفتها وذكر عتو قوم خالفوا أوامره فحل بهم عذابه فقال (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) يعني وكم من أهل قرية عصوا أمر الله ورسله وأعرضوا عن امرهما على

النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوأ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا يعني انما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ليحزن الذين آمنوا أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيأ الا باذن الله ومن أحس من ذلك شيأ فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شيء باذن الله وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا حدثنا الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه أخرجاه من حديث الاعمش وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه انفرد باخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم ان يحسن بعضهم الى بعض في المجالس يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس وقرئ في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وذلك ان الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وفي الحديث الآخر ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى فافسحوا يفسح الله لكم قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك انهم كانوا (٤١٤) اذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على القوم وعد الله بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والانصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون ان صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء ان قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله رجلا يفسح لأخيه فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا على شرط السنن ولم يخرجوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب بن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم ورواه أيضا عن سريج بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به

تضمين عتت معنى أعرضت أو أخرجت وقد قدمنا الكلام في كأين في آل عمران وغيرها (فحاسبناها حسابا شديدا) أي شددنا على أهلها في الحساب بما عملوا بالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو معنى قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أي عذبنا أهلها عذابا عظيما منكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي عذبنا أهلها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وحاسبناهم في الآخرة حسابا شديدا قال ابن عباس يقول لم ترحم والنكر المنكر وقرئ نكرا بسكون الكاف وضمها وهما سبعيتان (فذاقت وبال أمرها) أي عاقبة كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي هلاكا في الدنيا وعذابا في الآخرة وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من

نطه لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم تفرد به أحمد وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام
ارد اذا جاء على أقوال فنهم من رخص فى ذلك محتجا بحديث قوموا الى سيدكم ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث من
ب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم فى محل ولايته
ل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبى صلى الله عليه وسلم حاكما فى بنى قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين قوموا الى
كم وما ذاك الا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم فاما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم وقد جاء فى السنن انه لم يكن شخص أحب اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك وفى الحديث المروى فى السنن ان رسول
صلى الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضى
عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضى الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره وبين يديه غالبا عثمان وعلى لانهما
ممن يكتب الوحى وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الاعمش عن عمارة بن عمير عن أبى معمر عن ابن مسعود ان رسول
صلى الله عليه وسلم كان يقول ليلينى منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وما ذاك الا ليعقلوا
ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر اما لتقصير أولئك فى حق
البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الافاضل الى الامام وقال الامام أحمد
ثنا وكيع عن الاعمش عن عمارة بن عمير الليثى عن أبى معمر عن أبى مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح منا كبنا فى الصلاة
ويقول استووا ولا تختلفوا
فتختلف قلوبكم ليلينى منكم أولو
الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم قال أبو مسعود
فانتم اليوم أشد اختلافا وكذا
رواه مسلم وأهل السنن الا الترمذى
من طرق عن الاعمش به واذا كان
هذا أمره لهم فى الصلاة ان يليه
العقلاء ثم العلماء فبطريق الاولى ان
ذلك فى غير الصلاة وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر ان رسول
لى الله عليه وسلم قال أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بايدى اخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان
يصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله ولهذا كان أبى بن كعب سيد القراء اذا انتهى الى الصف الاول انتزع منه رجلا
من افناد الناس ويدخل هو فى الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث ليلينى منكم أولو الاحلام والنهى وأما عبد الله بن عمر فكان
س فى المكان الذى يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذى أوردناه وله تقرير على هذا [illegible]
ذج المتعلق بهذه الآية والا فبسطه يحتاج الى غير هذا الموضع وفى الحديث الصحيح بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
ذ ثلاثة نفر فاما أحدهم فوجد فرجة فى الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخبر الثلاثة أما الاول فآوى الى الله فآواه الله وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث
ن فأعرض الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا اسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه
د الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين الا باذنهما ورواه أبو داود والترمذى
ث اسامة بن زيد الليثى به وحسنه الترمذى وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى وغيرهما انهم قالوا فى قوله تعالى اذا
لم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يعنى فى مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله واذا قيل انشزوا فانشزوا أى انهضوا للقتال وقال
اذا قيل انشزوا فانشزوا أى اذا دعيتم الى خير فاجيبوا وقال مقاتل اذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها وقال عبد الرحمن

الله وعيده ملق فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا)
الآخرة وهو عذاب النار والتكرير للتأكيد (فاتقوا الله يا أولى الالباب) أى يا أصحاب
ول الراجحة وقوله (الذين آمنوا) فى محل نصب بتقدير أعنى بيانا للمنادى أو عطف
له أو نعت (قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) فيه أوجه أحدها واليه ذهب الزجاج
فارسى انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل بحرف مصدرى وفعل كانه قيل ان ذكر
لا الثانى انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه الثالث انه بدل منه على حذف
اف من الاول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعت لذلك
وف الخامس انه بدل منه على حذف مضاف من الثانى أى ذكرا ذا رسول السادس

ابن زيد بن أسلم كانوا اذا كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته فارادوا الانصراف أحب كل منهم ان يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه عليه السلام وقد تكون له الحاجة فامروا انهم اذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير أى لا تعتقدوا انه اذا فسح أحد منكم لاخيه اذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج ان يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فان من تواضع لامر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير أى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن واثلة ان نافع بن عبد الحرث لقى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى قال استخلفت عليهم ابن ابزى قال رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى فقال يا امير المؤمنين انه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص فقال عمر رضى الله عنه أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال ان الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم واهله وما ورد فى ذلك من الاحاديث مستقصاة فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا

وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين اذا أراد أحدهم ان يناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لان يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى ذلك خير لكم واطهر ثم قال تعالى فان لم تجدوا أى الا من عجز عن ذلك لفقره فان الله غفور رحيم فما أمر بها الا من قدر عليها ثم قال تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات أى أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن ابى طالب رضى الله عنه قال ابن ابى نجيح عن مجاهد قال فنهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن ابى طالب قدم دينارا صدقة تصدق به ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم انزلت الرخصة وقال ليث بن ابى سليم عن مجاهد قال على رضى الله عنه آية فى كتاب الله عز وجل لم يعمل بها احد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة الآية وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن ابى الجعد عن على بن علقمة الانمارى عن على رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قال لا يطيقونه قال نصف دينار قال لا يطيقون قال ما ترى قال شعيرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لزهيد قال على فبى خفف الله عن هذه الامة وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الاشجعى عن سفيان الثورى

أن يكون رسولا نعتا لذكرا على حذف مضاف أى ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت لذكرا السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تأويل أو بيانا عند من يرى جريانه فى النكرات كالفارسى الا ان هذا يبعده قوله الآتى يتلو عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز الثامن أن يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر أى أرسل رسولا قال الزجاج ان الذكر دليل على اضمار ارسل التاسع أن يكون منصوبا على الاغراء أى اتبعوا والزموا رسولا ذكره السمين وقيل ان الذكر هنا بمعنى الشرف كقوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا واختلف الناس فى رسولا هل هو النبى صلى الله عليه وسلم أو القرآن نفسه أو جبريل فذهب الاكثر ومنهم ابن عباس الى ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى هو

عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الانصاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ثم قال هذا حديث حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه ابو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الى فان الله غفور رحيم كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله فقدموا بين يدي نجواكم صدقة وذلك ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فانزل الله بعد هذا أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى فقدموا بين يدي نجواكم صدقة نسختها الآية التي بعدها أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الى آخرها وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل اذا كانت له الحاجة الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فلا يستطيع ان يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فانزل الله الرخصة بعد ذلك فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقال معمر عن قتادة اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم (٤١٧) صدقة انها منسوخة ما كانت الا ساعة من نهار وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت الا ساعة (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله

فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) يقول تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الامر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وقال ههنا ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى ما هم منكم ولا منهم أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بانهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ولا سيما في مثل حالهم اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا جاؤا الرسول حلفوا له بالله انهم مؤمنون وهم في ذلك يعلمون انهم يكذبون فيما حلفوا به لانهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وان كان في نفس الامر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك ثم قال تعالى أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الاليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله أي أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس فلهم عذاب مهين أي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم

هو جبريل وبه قال الزمخشري والمراد بالذكر القرآن ويختلف المعنى باختلاف وجوه الاعراب السابقة كما لا يخفى ثم نعت سبحانه الرسول المذكور بقوله (يتلو عليكم آيات الله مبينات) أي حال كونها واضحات ظاهرات قرأ الجمهور على صيغة اسم المفعول اي بينها الله واوضحها وقرئ على صيغة اسم الفاعل أي الآيات تبين للناس ما يحتاجون اليه من الاحكام ورجح الاول أبو حاتم وأبو عبيد لقوله قد بينا لكم الآيات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بعد مجيء الذكر والرسول (من الظلمات الى النور) اللام (١) متعلقة بيتلو اي ليخرج الرسول الذي يتلو الآيات اياهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية أو من الجهل الى العلم أو من الكفر الى الايمان أو متعلقة بأنزل فيكون المخرج هو الله سبحانه (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أي يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه مع

(١) والمناسب لقول المؤلف بعد مجيء الذكر والرسول هو الوجه الثاني تأمل اه ذو الفقار أحمد

في الايمان الكاذبة الخائنة ثم قال تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أى لن يدفع ذلك عنهم بأسا اذا جاءهم أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا أى يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم احدا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ أى يحلفون لله عز وجل انهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس فى الدنيا لان من عاش على شئ مات عليه وبعث عليه ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الاحكام الظاهرة ولهذا قال ويحسبون انهم على شئ أى حلفهم ذلك لربهم عز وجل ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم الا انهم هم الكاذبون فاكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك ابن حرب حدثنى سعيد بن جبير ان ابن عباس حدثه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال انه سيأتيكم انسان ينظر بعينى شيطان فاذا أتاكم فلا تكلموه فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال علام تشتمنى انت وفلان وفلان نفر دعاهم باسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا اليه قال فانزل الله عز وجل فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون وهكذا رواه الامام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثورى عن سماك بنحوه اسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا (٤١٨) على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى انساهم ان يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب ابن حبيش عن معدان ابن أبى طلحة اليعمرى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلاثة فى قرية ولا بد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية قال زائدة قال السائب يعنى الصلاة فى الجماعة ثم قال تعالى أولئك حزب الشيطان يعنى الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ثم قال تعالى الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعنى الذين هم فى حد والشرع فى حد أى مجانبون للحق مشاقون له هم فى ناحية والهدى فى ناحية أولئك فى الاذلين أى فى الاشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الاذلين فى الدنيا والآخرة كتب الله لاغلبن أنا ورسلى أى قد حكم وكتب فى كتابه الاول وقدره الذى لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة وان العاقبة للمتقين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال ههنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز أى كتب القوى العزيز انه الغالب لاعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم ان العاقبة والنصرة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أى لا يوادون المحادين ولو كانوا من الاقربين كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين

[illegible]

قوله (خالدين فيها أبدا) باعتبار معنى من ووحده فى ندخله باعتبار لفظها (قد أحسن الله له (١) رزقا) أى وسع له رزقه فى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة وقال القشيرى الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب احسنها أن يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها اذ كره الخطيب (الله الذى خلق) أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع (سبع سموات) يعنى بعضها فوق بعض

(١) فيه رجوع لمراعاة لفظ من ففى هذه العبارة مراعاة اللفظ أولا ثم المعنى ثانيا ثم اللفظ ثالثا اه سيد ذو الفقار احمد

أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه الآية وقال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في قوله تعالى ولو كانوا آباءهم نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر أو أبناءهم في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن أو إخوانهم في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير أو عشيرتهم في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم قلت ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها وقوله تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي كتب في قلوبهم الإيمان جعل في قلوبهم الإيمان (٤١٩) وقال ابن عباس وأيدهم بروح منه أي قواهم وقوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه كل هذا تقدم تفسيره غير مرة وفي قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم وقوله تعالى أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى ألا إن حزب الله هم المفلحون تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه يقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الذيال بن عباد قال كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إلي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله قال سفيان يرون أنها أنزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكري آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحشر وكان ابن عباس يقول سورة بني النضير وهي مدنية) قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال أنزلت في بني النضير ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة بني النضير

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل

قال النسفي أجمع المفسرون على أن السموات سبع وقال الخطيب لا خلاف فيه لحديث الإسراء وغيره (ومن الأرض مثلهن) في العدد يعني سبعا قرأ الجمهور مثلهن بالنصب على أنه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري أو على تقدير فعل أي وخلق من الأرض مثلهن وقرئ بالرفع على الابتداء والجار والمجرور قبله خبره قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية واختلف الناس في المثلية وكيفية طبقات الأرض على قولين أحدهما وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك إنها طبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه في البخاري والترمذي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد

الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) يخبر تعالى ان جميع ما فى السموات وما فى الارض من شئ يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلى له ويوحده كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله تعالى وهو العزيز اى منيع الجناب الحكيم فى قدره وشرعه وقوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعنى يهود بنى النضير قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فاحل الله بهم بأسه الذى لا مرد له وانزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فاجلاهم النبى صلى الله عليه وسلم واخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم انها مانعتهم من بأس الله فما اغنى عنهم من الله شيأ وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم وسيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا الى اذرعات من اعالى الشام وهى ارض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا الى خيبر وكان قد انزلهم منها على ان لهم ما حملت ابلهم فكانوا يخربون ما فى بيوتهم من المنقولات التى يمكن ان تحمل معهم ولهذا قال تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار اى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من العذاب الاليم قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان كفار قريش كتبوا الى ابن أبى ومن كان معه يعبد الاوثان من الاوس والخزرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر انكم آويتم سبع صاحبنا وانا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن اليكم باجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبى نساءكم فلما بلغ ذلك عبد الله ابن أبى ومن كان معه من عبدة الاوثان أجمعوا القتال النبى صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم باكثر مما تريدون ان تكيدوا به انفسكم يريدون ان تقاتلوا ابناءكم واخوانكم فلما سمعوا ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر الى اليهود انكم أهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شئ وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبى صلى الله عليه وسلم أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقى بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ١ فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم انكم والله لا تأمنون عندى الا بعهد تعاهدونى عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا الغد على بنى قريظة بالكتائب وترك بنى النضير ودعاهم الى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا الى بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الابل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله اياها وخصه بها فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يقول

قال سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول من أخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين الى آخر كلامه وفى الحديث لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين راها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن الحديث وقد مضى فى سورة البقرة قول الماوردى وعلى انها سبع أرضين تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا ولا تلزم فى غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثانى انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وعن ابن عباس انها

١ هكذا بياض فى بعض النسخ اهـ

بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وكانا ذوى حاجة ولم يقسم من الانصار غيرهما وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أيدى بنى فاطمة ولنذكر ملخص غزوة بنى النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازى والسير انه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمرى فلما كان فى اثناء الطريق راجعا الى المدينة قتل رجلين من بنى عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قتلت رجلين لأودينهما وكان بين بنى النضير وبنى عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير ليستعينهم فى دية ذينك الرجلين وكانت منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها قال محمد بن اسحق بن يسار فى كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر الذين قتل عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثنى يزيد بن رومان وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال انا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة (٤٢١) كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بنى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان يامين بن عمير بن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض آل يامين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون قال ابن اسحق ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق بنحو ما تقدم فقوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم

سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء حكاه الكلبى عن أبى صالح عنه فعلى هذا ان كان لقوم منهم وصول الى أرض أخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم واحتمل ان لا تلزمهم لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بها مأمورا ذكره الخطيب فى تفسيره وقال بعض العلماء السماء فى اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية أرض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى السماء الثالثة أرض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه أرض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع أرضين انتهى وعن ابن عباس انه قال له رجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الى آخر السورة فقال ابن عباس

لاول الحشر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال من شك في ان أرض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو اسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال هذا أول الحشر وأنا على الاثر ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به وقوله تعالى ما ظننتم أن يخرجوا أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الاخرى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه وقوله يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين قد تقدم تفسير ابن اسحق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الابل وكذا قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود اذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار وقوله ولولا (٤٢٢) أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي لولا ان كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم فكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لان الله قد كتب عليهم انه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا من الجلاء وان لهم ما أقلت الابل من الاموال والامتعة الا الحلقة وهي السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء انه كتب عليهم في آي من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم سبح لله ما في السموات وما في الارض الى قوله وليخزي الفاسقين وقال عكرمة الجلاء القتل وفي رواية عنه الفناء وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد الى البلد وقال الضحاك أجلاهم الى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرا وسقاء فهذا الجلاء وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وان يسيرهم الى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء والجلاء اخراجهم من أرضهم الى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني النضير وأمره ان يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وقوله تعالى ولهم في الآخرة عذاب النار أي حتم لازم لا بد لهم منه وقوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي انما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لانهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين

ما يؤمنك ان أخبرك بها فتكفر أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير وعنه في قوله وفي الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الضحى قال البيهقي هذا اسناد صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابي الضحى عليه متابعا وعنه قال في كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق أخرجه ابن جرير الطبري من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى قال الحافظ في الفتح هكذا أخرجه مختصرا واسناده صحيح وقال ابن كثير هذا وامثاله اذا لم يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذلك قال السيوطي ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رأيت البيهقي قال اسناده صحيح لكن شاذ

فى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وقوله تعالى ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين اللين نوع من التمر وهو جيد قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرنى من التمر وقال كثيرون من المفسرين اللينة ألوان التمر سوى العجوة قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم اهانة لهم وارهابا وارعابا لقلوبهم فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان انهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الاشجار فأنزل الله هذه الآية الكريمة أى ماقطعتم من لينة وماتركتم من الاشجار فالجميع باذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية للعدو وخزى لهم وارغام لانوفهم وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا انما هى مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وانما قطعه وتركه باذنه وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائى أخبرنا الحسن بن محمد عن عثمان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين قال ليستنزلوهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك فى صدورهم فقال المسلمون قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فأنزل الله ماقطعتم من لينة وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر (٤٢٣) وعن أبى الزبير عن جابر قال رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا اثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عز وجل ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى ابن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بنى النضير وحرق وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخارى من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود بالمدينة ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله عز وجل فيه ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

فاجابه ابو سفيان بن الحرث يقول

أدام الله ذلك من صنيع * وحرق فى نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه * وتعلم أى أرضينا تضير

هكذا رواه البخارى ولم يذكره ابن اسحق وقال محمد بن اسحق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل بن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب * عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما * وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا * وآيات مبينة تنير

شاذ بمرة انتهى ولا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يصح الاسناد ويكون فى المتن علة وشذوذ تقدح فى صحته قاله القسطلانى وقال فى البداية هذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس أخذه من الاسرائيليات ونحوه قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ومثله فى تفسير روح البيان وزاد نقلا عن السيوطى انه قال يمكن أن يؤول على ان المراد بهم الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه انتهى ونحوه فى ارشاد السارى والحاصل ان الاثر المذكور وان صح فهو موقوف شاذ والشاذ لايحتج به كما قال الطيبى فى الخلاصة وغيره فى غيرها ولفظها والموقوف هو مطلق ماروى عن الصحابى من قول أو فعل متصلا كان أو منقطعا وهو ليس بحجة على الصحيح وقال النووى فى شرح مسلم الموقوف ليس بحجة على المختار عند الغزالى وهو الصحيح انتهى قال

فقالوا ما أتيت بأمر صدق * وأنت بمنكر منا جدير فقال بلى لقد أديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور فلما أشربوا غدرا وكفرا * وجدّ بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق * وكان الله يحكم لا يجور فأيده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير على الكفين ثم وقد علته * بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد اذ دس ليلا * الى كعب أخا كعب يسير فماكره فأنزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء * أبادهم بما اجترموا المبير غداة أتاهم في الزحف رهوا * رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * على الاعداء وهو لهم وزير فقال السلم ويحكم فصدوا * وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير وأجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

قال وكان مما قيل من الاشعار في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف قال ابن هشام الاشجعي

أهلي فداء لامرئ غير هالك * أجلى اليهود بالحسي المزنم يقيلون في جمر العضاه وبدلوا * أهيضب عودا بالودي المكمم
فان يك ظني صادقا بمحمد * يروا خيله بين الصلا ويرمرم يؤم بها عمرو بن بهثة انهم * عدو وما حي صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى * يهزون أطراف الوشيج المقوم وكل رقيق الشفرتين مهند * تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشا رسالة * فهل بعدهم (٤٢٤) في المجد من متكرم بأن أخاكم فاعلمن محمدا * تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تحسم أموركم
وتسموا من الدنيا الى كل معظم
نبي تلافته من الله رحمة
ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة
لكم يا قريش والقليب الملمم
غداة أتى في الخزرجية عامدا
اليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكي عدوه
رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما أنار الحق لم يتلعثم أرى أمره يزداد في كل موطن * علوا لأمر حمه الله محكم

ورسوله وقد أورد ابن اسحق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة قال ابن اسحق كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وما حكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الاعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم من بني النضير فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يعني الابل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شئ ثم قال تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الى آخرها والتي بعدها فهذه

الخفاجي الذي نعتقد ان الارض سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى وهذا أعدل الاقوال وأحوطها وقال النيسابوري ذكر الثعالبي في تفسيره فصلا في خلق السموات والارض وأشكالهم وأسمائهم اضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات انتهى وما جاء عن كعب ووهب وأمثالهما في هذا الباب فكله لا يعتد به لانهم أخذوه من الاسرائيليات وعن جابر بن عبد الله في حديث طويل يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الارض قال خلق قال فما تحت الارض قال الماء قال فما تحت الماء قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهواء قال فما تحت الهواء ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال انقطع علم الخلائق أيها السائل فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون من هذا قالوا الله

مصارف أموال الفيء ووجوهه قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا وقد أخرجه الجماعة في كتبهم الا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولا وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر ابن عمر الزهراني حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا الى رماله فقال حين دخلت عليه يا مال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي قال نعم فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليا فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارحمهما قال مالك بن اوس خيل الي انهما قدما أولئك النفر لذلك فقال عمر رضي الله عنه اتئد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالوا نعم ثم اقبل على علي والعباس فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فقالا نعم فقال ان الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها احدا من الناس فقال تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير فكان الله تعالى افاء على رسوله بني النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا احرزها

دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقي اسوة المال ثم اقبل على أولئك الرهط فقال انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ذلك قالوا نعم ثم أقبل على علي والعباس فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمان ذلك قالا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت انت وهذا الى أبي بكر تطلب انت ميراثك من ابن اخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من ابيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر فلما توفي قلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي ابي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها فجئت انت وهذا وانتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت ان شئتما فانا ادفعها اليكما على ان عليكما عهد الله ان تلياها بالذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يليها فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لاقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فرداها الي أخرجوه من حديث الزهري به وقال الامام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك قال وان أهلي أمروني ان آتي النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيها فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا اله الا هو لا يعطيكهن وقد اعطانيهن او كما قالت فقال نبي الله لك كذا وكذا

ورسوله أعلم قال هذا جبريل الحديث مختصرا أخرجه الحافظ بن كثير بسنده وأخرجه ابن مردويه أيضا عنه بطوله وهذا الحديث يرد ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كان قد صح قوله وبسط الكلام على هذه الآية بفائدة يعتد بها ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعا والارضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيهما فانه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به أحد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في أمثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الارضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح

قال وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا قال وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا قال حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة أمثاله او قال قريبا من عشرة امثاله اوكما قال رواه البخارى ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة فى هذه هى المصارف المذكورة فى خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها فى سورة الانفال بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد وقوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم اى جعلنا هذه المصارف لمال الفئ كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الاغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيأ الى الفقراء وقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اى مهما امركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه انما يأمر بخير وانما ينهى عن شر قال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة الى ابن مسعود فقالت بلغنى انك تنهى عن الواشمة والواصلة أشئ وجدته فى كتاب الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى شئ وجدته فى كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتى المصحف فما وجدت الذى تقول قال فما وجدت فيه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت فلعله فى بعض أهلك قال فادخلى فانظرى فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود (٤٢٦) قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بنى أسد فى البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغنى انك قلت كيت وكيت قال مالى لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى كتاب الله تعالى فقالت انى لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه قالت انى لاظن اهلك يفعلونه قال اذهبى فانظرى فذهبت فلم تر من حاجتها شيأ فجاءت فقالت ما رأيت شيأ قال لو كان كذا لم تجامعنا اخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى وقد ثبت فى الصحيحين أيضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وقال النسائى اخبرنا احمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حبان عن سعيد بن جبير عن عمر وابن عباس انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله شديد العقاب أى اتقوه فى امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفئ انهم الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى مادحا للانصار

والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم الحديث بطوله وتفصيله قال الذهبى متعقبا الحاكم هو حديث منكر قال بعض أهل العلم لا ينبغى لاحد ان يغتر بتصحيح الحاكم للاحاديث حتى ينظر فى تعقبات الذهبى له أو كما قال وعن ابن عباس قال سيد السموات السماء التى فيها العرش وسيد الارضين الارض التى نحن فيها (يتنزل الامر بينهن) مستأنفة أو صفة لما قبلها قرأ الجمهور يتنزل من التنزل ورفع الامر على الفاعلية وقرئ ينزل من الانزال ونصب الامر على المفعولية والفاعل الله سبحانه والامر الوحى وقيل القضاء والقدر والضمير عائد على السموات والارضين عند الجمهور أو على السموات والارض عند من يقول انها أرض واحدة قاله السمين قال المحلى فى تفسيره ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة انتهى قال على القارى لم نجد هذا القول لغيره من المفسرين

وبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وايثارهم مع الحاجة فقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم رواه البخارى ههنا أيضا قوله تعالى يحبون من هاجر اليهم أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم باموالهم قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال قال المهاجرون يارسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنا حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم لم اره فى الكتب من هذا الوجه وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم الانصار ان يقطع لهم البحرين قالوا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقونى فانه سيصيبكم أثرة تفرد به البخارى من هذا الوجه وقال البخارى حدثنا الحكم بن نافع اخبرنا شعيب حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا واطعنا تفرد به دون مسلم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة قال الحسن البصرى ولا يجدون فى صدورهم حاجة يعنى الحسد مما أوتوا قال قتادة يعنى فيما أعطى اخوانهم وكذا قال ابن زيد ومما (٤٢٧) يستدل به على هذا المعنى مارواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حالة الاولى فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال انى لاحيت أبى فاقسمت انى لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث انه بات معه تلك الثلاث الليالى فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير انى لم أسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث الليالى وكدت ان احتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت انت الثلاث المرات فأردت ان آوى اليك لانظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماهو الا مارأيت فلما وليت دعانى فقال ماهو الا مارأيت غير انى لم أجد فى نفسى لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى التى لا تطاق ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا اسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهرى عن رجل عن انس فالله اعلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا يعنى مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم فى اموال بنى النضير بعض من تكلم فى الانصار فعاتبهم الله فى ذلك فقال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم فقالوا أموالنا بينهم قطايع فقال

المفسرين اذ غاية من فسر الامر بالوحى قال فى تفسير قوله بينهن أى بين هذه الارض العليا التى هى أولاها وبين السماء السابعة التى هى أعلاها انتهى قال سليمان الجمل وهذا التوقف من القارى مبنى على ان المراد بالوحى وحى التكليف بالاحكام وليس بلازم لامكان حمله على وحى التصرف فى الكائنات وعبارة الخطيب والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التى هى أقصاها وبين السماء السابعة التى هى أعلاها فيجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن انتهى وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين أرض وأمر وقال قتادة فى كل أرض

رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك قالوا وما ذاك يا رسول الله قال هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر فقالوا نعم يا رسول الله وقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يعني حاجة اى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤن بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة جهد المقل وهذا المقام اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه وقوله وآتى المال على حبه فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة واصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه الى صاحبه وهو جريح مثقل احوج ما يكون الى الماء فرده الآخر الى الثالث فما وصل الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل ابن غزوان حدثنا أبو حازم الاشجعي عن ابي هريرة قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فذهب الى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيأ فقالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت

ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله عزوجل أو ضحك من فلان وفلانة وانزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به بنحوه وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بأبي طلحة رضي الله عنه

من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيآتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت أمر الله وللريح والسحاب ونحوهما (لتعلموا) اللام متعلقة بيخلق أو بيتنزل أو بمقدر أي فعل ذلك لتعلموا (أن الله على كل شيء) من عمر هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدير) اى بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاده من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في

وقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به وقال الاعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحرث عن زهير بن الاقمر عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الاعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال قال جاء رجل الى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن اني أخاف ان أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا أكاد ان أخرج من يدي شيأ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن انما الشح الذي ذكر الله في القرآن ان تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الاسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا

يقول اللهم قني شح نفسي لا أزيد على ذلك فقلت له فقال اني اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل واذا الرجل عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه رواه ابن جرير وقال ابن جرير حدثني محمد بن اسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا اسمعيل
ابن عياش حدثنا مجمع بن جارية الانصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح
من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة وقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم
المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة الداعون لهم في
السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة والذين جاؤا من بعدهم يقولون أي قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا أي بغضا وحسدا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه
الله من هذه الآية الكريمة ان الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة انها قالت أمروا ان
يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الآية وقال اسمعيل بن
علية عن عبد الملك بن عمير عن
مسروق عن عائشة قالت أمرتم
بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم
صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب
هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها
رواه البغوي وقال أبو داود حدثنا
مسدد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم
حدثنا أيوب عن الزهري قال قال
عمر رضي الله عنه وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال الزهري قال عمر رضي الله عنه هذه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم والذين جاؤا من
بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين الا له فيها حق قال أيوب أو قال حظ الا بعض من تملكون من
أرقائكم كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد
عن مالك بن اوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب انما الصدقات للفقراء والمساكين حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم
قرأ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله من اهل
القرى فلله وللرسول ولذي القربى حتى بلغ للفقراء والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم والذين جاؤا من بعدهم ثم قال استوعبت
هذه المسلمين عامة وليس أحد الا له فيها حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه (ألم تر
الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم
لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم
لا ينصرون لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدار
بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب

في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قاله الخطيب
وفي حاشية سليمان الجمل هذا كله بالنظر للامكان العقلي وهذا لا يخالف ما نقل عن الغزالي
من قوله ليس في الامكان أبدع مما كان لان معناه انه قد تعلق علم الله في الازل بانه لا يخلق
عالما غير هذا العالم وان كان خلقه جائزا ممكنا فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لانه
لو وقع لخالف مقتضى العلم الازلي فيلزم انقلاب العلم جهلا فصار ايجاد عالم آخر محالا
عرضيا وان كان ممكنا ذاتيا فهذا معنى قول الشيخ ليس في الامكان ابدع مما كان اى
لا يمكن ان يخلق الله عالما غير هذا العالم ونفي الامكان هو الاستحالة فكأنه قال هو محال ان
يخلق عالما غير هذا العالم وقد عرفت ان هذه الاستحالة عرضية لا ذاتية وبهذا تعرف
سقوط ما نقل عن البقاعي هنا تأمل انتهى أقول وهذا كله ليس بالنظر للامكان العقلي

أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبى وأضرابه حين بعثوا الى يهود بنى النضير يعدونهم النصر من انفسهم فقال تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون فيما وعدوهم به اما لانهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم ان لا يفوا لهم به واما لانهم لا يقع منهم الذى قالوه ولهذا قال تعالى ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اى لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم اى قاتلوا معهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وهذه بشارة مستقلة بنفسها ثم قال تعالى لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله اى يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ولهذا قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون ثم قال تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدار يعنى انهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الاسلام بالمبارزة والمقابلة بل اما فى حصون أو من وراء جدار محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة ثم قال تعالى بأسهم بينهم شديد أى عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض ولهذا قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اى تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال ابراهيم النخعى يعنى أهل الكتاب والمنافقين ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم قال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم قال مجاهد والسدى ومقاتل بن حيان يعنى كمثل ما اصاب كفار (٤٣٠) قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن اسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بنى قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا وقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك يعنى مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين وعدهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم فى هذا كمثل الشيطان اذ سول للانسان والعياذ بالله الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال انى أخاف الله رب العالمين وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بنى اسرائيل هى كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبى اسحق سمعت عبد الله بن نهيك قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول ان راهبا تعبد ستين سنة وان الشيطان أراده فأعياه فعمد الى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤا بها اليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها اذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك أعييتنى أنا صنعت هذا بك فأطعنى أنجك مما صنعت بك فاسجد لى سجدة فسجد له فلما سجد له قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين وقال ابن جرير حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى حدثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوى بالليل الى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان اخوتها فى المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر باختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فى مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها

فقط كما قال سليمان الجمل بل الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدلان على عموم قدرته وكمال قوته على ايجاد كل شىء فيدخل فيه ايجاد مثل هذا العالم دخولا أوليا وان لم يوجد على مقتضى العلم الازلى وقول الغزالى عبارة ساقطة ونفس فلسفية لا يليق التفوه بمثلها وان كان معناه صحيحا بالتأويل البعيد الفاسد والتوجيه البارد الكاسد ونظم الكتاب العزيز العالى يغنى عن مثل عبارة كلام الغزالى (وان الله قد أحاط بكل شىء علما) فلا يخرج عن علمه شىء منها كائنا ما كان وانتصاب علما على المصدرية لان احاط بمعنى علم أو هو صفة لمصدر محذوف أى احاط احاطة علما ويجوز ان يكون تمييزا محولا عن الفاعل من غير انفظ الاول

(سورة التحريم وقال القرطبى وتسمى سورة النبى صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة آية)

فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا فوالله ماهذا الالشئ قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال انى أنا الذى أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك واشتهر ذلك عند كثير من الناس ان هذا العابد هو برصيصا فالله اعلم وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت ان حملها منه ورفعت أمره الى ولى الامر فامر به فانزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم قالوا يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ثم قال يا غلام من أبوك قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا نعيد صومعتك من ذهب قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها أى فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما الى نار جهنم خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين أى جزاء كل ظالم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن ابى جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فامر بلالا فاذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر ولتنظر نفس ماقدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من أوزارهم شئ انفرد باخراجه مسلم من حديث شعبة باسناده مثله فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أمر بتقواه وهو يشمل فعل مابه أمر وترك مأعنه زجر وقوله تعالى ولتنظر نفس ماقدمت لغد أى حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لانفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم واتقوا الله تأكيد ثان ان الله خبير بما تعملون أى اعلموا انه عالم بجميع اعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذى ينفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك الخاسرون وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أما تعلمون انكم تغدون وتروحون لاجل معلوم فمن استطاع أن ينقص الاجل وهو فى عمل الله عز وجل فليفعل ولن تنالوا ذلك الا بالله عز وجل ان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم

وهى مدنية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) المراد بالتحريم هنا الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كونه حراما بعدما أحله الله له فان هذا الاعتقاد لا يصدر منه صلى الله عليه وآله وسلم لانه كفر قاله الخطيب (تبتغى مرضات أزواجك) استئناف أو تفسير لقوله تحرم أو حال والمرضاة اسم مصدر وهو الرضا وأصله مرضوة وهو مضاف الى المفعول أى ان ترضى أزواجك أو الى الفاعل أى ان يرضين هن والمعنى لا ينبغى منك ان تشتغل بما يرضى الخلق

فنها كم الله عز وجل أن تكونوا امثالهم ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أين من تعرفون من اخوانكم قدموا على ماقدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الاولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط قد صاروا تحت الصخر والآبار هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واتضوا ببسنائه وبيانه ان الله تعالى اثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم هذا اسناد جيد ورجاله ثقات وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفى ولا اثبات غير ان أبا داود السجستانى قد حكم بان شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم وقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار واصحاب الجنة أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقال تعالى ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ماتتذكرون وقال تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار فى آيات أخر دالات على ان الله تعالى يكرم الابرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا اصحاب الجنة هم الفائزون أى الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن (٤٣٢) الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) يقول تعالى معظما لامر القرآن ومبينا علو قدره وانه ينبغى ان تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أى فاذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر مافيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا الى آخرها يقول لو انى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته اياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس اذا نزل عليهم القرآن ان يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وكذا قال قتادة وابن جرير وقد ثبت فى الحديث المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف الى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ماوضع وجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع الى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كانين الصبى الذى يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد ايراده فانتم أحق ان تشتاقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة اذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم وقد قال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى الآية وقد تقدم ان معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ثم قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم أخبر تعالى انه الذى لا اله الا هو فلا رب غيره ولا اله

بل اللائق ان أزواجك وسائر الخلق تسعى فى رضاك وتتفرغ أنت لما يوحى اليك من ربك قال الخطيب وفيه تنبيه على ان ماصدر منه لم يكن على ماينبغى وقيل كان ذلك ذنبا من الصغائر فلذا عاتبه الله عليه وقيل انها معاتبة على ترك الاولى وقال النسفى كان هذا زلة منه (والله غفور رحيم) اى بليغ المغفرة ورحمة لما فرط منك من تحريم ماأحل الله لك واختلف فى سبب نزول هذه الآية على اقوال الاول قول اكثر المفسرين قال الواحدى قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت حفصة فزارت أباها فلما رجعت أبصرت مارية القبطية فى بيتها مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فلما رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها لا تخبرى عائشة ولك على أن لا أقربها أبدا فاخبرت حفصة عائشة وكانتا متصافيتين فغضبت

الموجود سواه وكل مايعبد من دونه فباطل وانه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات وقوله تعالى هو الرحمن الرحيم قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن اعادته ههنا والمراد انه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثم قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك أي المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى القدوس قال وهب بن منبه اى الطاهر وقال مجاهد وقتادة أي المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وافعاله وقوله تعالى المؤمن قال الضحاك عن ابن عباس اى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله انه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في ايمانهم به وقوله تعالى المهيمن قال ابن عباس وغير واحد اى الشاهد على خلقه باعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله والله على كل شيء شهيد وقوله ثم الله شهيد على ما يفعلون وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية وقوله تعالى العزيز اى الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الاشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى الجبار المتكبر أي الذي لا تليق الجبرية الا له ولا التكبر الا لعظمته كما تقدم في الصحيح العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته وقال قتادة الجبار الذي جبر خلقه على مايشاء وقال ابن جرير الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم وقال قتادة المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى سبحان الله عما يشركون وقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وابراز ما قدره وقرره الى الوجود وليس كل من قدر شيأ ورتبه يقدر على تنفيذه وايجاده سوى الله عز وجل قال الشاعر يمدح آخر

ولانت تفري ماخلقت
وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

 أي انت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفري التنفيذ ومنه يقال قدر الجلاد ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده وقوله تعالى الخالق البارئ المصور أي الذي اذا أراد شيأ قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى في أي صورة ماشاء ركبك ولهذا قال المصور اى الذي ينفذ ما يريد ايجاده على الصفة التي يريدها وقوله تعالى له الاسماء الحسنى قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف وذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن ابي هريرة ايضا وزاد بعد قوله وهو وتر يحب الوتر واللفظ للترمذي هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور

فغضبت عائشة ولم تزل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى حلف ان لا يقرب مارية فانزل الله هذه السورة وبه قال المحلي وقال القرطبي أكثر المفسرين على ان الآية نزلت في حفصة وذكر القصة وقال أبو السعود والنسفي روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصافيتين انتهى عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فانزل الله هذه الآية أخرجه النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه وعن ابن عباس قال قلت لعمر ابن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن

الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقدقدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه والفاظه بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى يسبح له مافى السموات والارض كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وهو العزيز أى فلا يرام جنابه الحكيم فى شرعه وقدره وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد يعنى ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن ابى أحمد الزبيرى به وقال غريب لانعرفه الامن هذا الوجه آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية)

*(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبى (٤٣٤) بلتعة وذلك ان حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة اولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فامر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال اللهم عم عليهم خبرنا فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش الى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فاطلع الله تعالى على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه فبعث فى اثر المرأة فاخذ الكتاب منها وهذا بين فى هذا الحديث المتفق على صحته قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو أخبرنى حسن بن محمد بن على أخبرنى عبد الله بن ابى رافع وقال مرة ان عبيد الله بن ابى رافع أخبره انه سمع عليا رضى الله عنه يقول بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجى الكتاب قالت ما معى كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فاخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ماهذا قال لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وهكذا أخرجه الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن سفيان بن عيينة به وزاد البخارى فى كتاب المغازى فانزل الله السورة يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقال فى كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء قال لاأدرى الآية

مارية القبطية ام ابراهيم أصابها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت حفصة فى يومها فوجدت حفصة فقالت يارسول الله لقد جئت الى بشئ ماجئته الى احد من أزواجك فى يومى وفى دورى على فراشى قال ألاترضين ان احرمها فلا اقربها أبدا قالت بلى فحرمها وقال لاتذكرى ذلك لاحد فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فانزل الله يا أيها النبى لم تحرم الآيات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب مارية اخرجه البزار والطبرانى قال السيوطى بسند صحيح وأخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه باطول من هذا وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عنه باخصر منه وأخرجه ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه عنه مختصرا بلفظ قال حرم سريته وجعل ذلك سبب النزول فى جميع ماروى من هذه الطرق وعن ابن عمر قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحفصة لاتحدثى

فى الحديث أو قال عمرو قال البخارى قال على يعنى ابن المدينى قيل لسفيان فى هذا نزلت لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء فقال سفيان هذا فى حديث الناس حفظته من عمرو ما تركت منه حرفا وما أدرى أحدا حفظه غيرى وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين فادركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا الكتاب فقالت ما معى كتاب فانخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت قال حاطب والله مابى الا ان اكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم اردت ان تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن اهلى ومالى وليس احد من اصحابك الا له هنالك من عشيرته من يدفع الله به عن اهله وماله فقال صدق ولا تقولوا له الا خيرا فقال عمر انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه فقال أليس انه من اهل بدر فقال لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة او قد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم هذا لفظ البخارى فى المغازى فى غزوة بدر وقد روى من وجه آخر عن على قال ابن ابى حاتم حدثنا على بن الحسن الهسنجانى حدثنا عبيد ابن يعيش حدثنا اسحق بن سليمان الرازى عن أبى سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى اسحق البحترى الطائى عن الحرث عن على قال لما اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتى مكة أسر الى اناس من اصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن ابى بلتعة وأفشى فى الناس انه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن ابى بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا مرثد وليس منا رجل الا وعنده فرس فقال ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لها هاتى الكتاب فقالت ما معى كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده فى متاعها فقال أبو مرثد لعله ان لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنعرينك فقالت أما تتقون الله ألستم مسلمين فقلنا لتخرجنه أو لنعرينك قال عمرو بن مرة فاخرجته من حجزتها وقال حبيب ابن أبى ثابت أخرجته من قبلها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة فقام عمر فقال يا رسول الله خان الله ورسوله فائذن لى فلاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد شهد بدرا قالوا بلى قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل الله اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم انى بما تعملون بصير ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فقال يا حاطب ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله انى كنت امرأ ملصقا فى قريش وكان لى بها مال وأهل ولم يكن من اصحابك أحد الا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يا رسول الله انى لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب الا خيرا قال حبيب بن أبى ثابت فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان باسناده مثله وقد ذكر ذلك اصحاب المغازى والسير فقال محمد بن اسحق بن يسار فى السيرة حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله صلى الله عليه

لا تحدثى أحدا وان ام ابراهيم على حرام قالت أتحرم ما أحل الله لك قال فوالله لا أقربها فلم يقربها حتى اخبرت عائشة فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم أخرجه الهيثم ابن كليب فى مسنده والضياء المقدسى فى المختارة من طريق نافع وعن أبى هريرة ان سبب النزول تحريم مارية كما سلف اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه وسنده ضعيف الثانى قيل السبب انه كان صلى الله عليه وآله وسلم يشرب عسلا وهو الذى رواه الشيخان والتى شرب عندها هى زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة ان يقولا له اذا دخل عليهما انا نجد منك ريح مغافير فحرم العسل فنزلت هذه الآية أخرج البخارى وغيره عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها لبنا أو عسلا فتواصيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وآله

وسلم السير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر في السير اليهم ثم اعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر انها من مزينة وزعم غيره انها سارة مولاة لبني عبد المطلب وجعل لها جعلا على ان تبلغه لقريش فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال ادركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا الى قريش يحذرهم ما قد جمعنا لهم من أمرهم فخرجا حتى ادركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها علي بن أبي طالب اني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا حاطب ما حملك على هذا فقال يا رسول الله أما والله اني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل في حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الى آخر القصة وروى معمر عن الزهري عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان ان هذه الآيات نزلت في حاطب بن ابي بلتعة انه بعث سارة مولاة بني هاشم وانه اعطاها عشرة دراهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث في اثرها عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم وعن السدي قريبا منه وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد ان هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى ان يتخذوا اولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وقال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر انه انما فعل ذلك مصانعة لقريش لاجل ما كان له عندهم من الاموال والاولاد ويذكرها هنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الاجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربعي بن حراش سمعت حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم امثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال ان قوما كانوا اهل ضعف ومسكنة فقاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا الى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم الى يوم يلقونه وقوله تعالى يخرجون الرسول واياكم هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لانهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد

وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود فنزلت يا أيها النبي الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقيل هي سودة كما روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عائشة فقالت اني اجد منك ريحا فدخل على حفصة فقالت اني اجد منك ريحا فقال أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه أبدا فانزل الله هذه الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح وقيل هي ام سلمة كما روي عن عبد الله بن رافع قال سألت أم سلمة عن هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم قالت كانت عندي عكة من عسل أبيض فكان النبي صلى الله عليه

واخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم أى لم يكن لكم عندهم ذنب الا ايمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وكقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله وقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى أى ان كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم اى تفعلون ذلك وانا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أى لو قدروا عليكم لما أبقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال وودوا لو تكفرون أى ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء وهذا تهييج على عداوتهم أيضا وقوله تعالى لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير أى قراباتكم لا تنفعكم عند الله اذا أراد الله بكم سوأ ونفعهم لا يصل اليكم اذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا الى نبى من الانبياء قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس ان رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان أبى وأباك فى النار ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه أى واتباعه الذين آمنوا معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم أى تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أى بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن ابدا نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده أى الى ان توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الاوثان والانداد وقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك أى لكم فى ابراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا فى استغفار ابراهيم لابيه فانه انما كان عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وذلك ان بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون ان ابراهيم كان يستغفر لابيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم

عليه وآله وسلم يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة نحلها تجرس (١) عرفطا فنزلت هذه الآية أخرجه ابن سعد وذكره الخطيب والخازن وقيل هى حفصة فواطأت عائشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت الآية قاله البيضاوى الثالث قيل السبب المرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فالأولان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين قصة مارية وقصة العسل وان القرآن نزل فيهما جميعا وفى كل واحد منهما انه أسر الحديث الى بعض أزواجه وأما الثالث فقال شيخنا الشوكانى انه ليس فى ذلك الا ما روى ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية للمرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال السيوطى وسنده ضعيف ويرده هذا أيضا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يقبل

(١) الجرس الصوت الخفى ويقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت مناقيرها على شئ تأكله وفى الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعى كنت فى مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الى فقال خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا عن ابن السكيت وجرست النحل العرفط تجرس اذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس كذا فى الصحاح اه

سيد ذو الفقار أحمد

والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم الى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ أى ليس لكم فى ذلك أسوة أى فى الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد ثم قال تعالى مخبرا عن قول ابراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرؤا منهم فلجؤا الى الله وتضرعوا اليه فقالوا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير أى توكلنا عليك فى جميع الامور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها اليك واليك المصير أى المعاد فى الدار الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا قال مجاهد معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا وكذا قال الضحاك وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون انهم انما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا وقوله تعالى واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك انك أنت العزيز أى الذى لا يضام من لاذ بجنابك الحكيم فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لان هذه الاسوة المثبتة ههنا هى الاولى بعينها وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تهييج الى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد وقوله تعالى ومن يتول أى عما أمر الله به فان الله هو الغنى الحميد كقوله تعالى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى قد كمل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغى الا له ليس له كفء وليس كمثله شئ سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد (٤٣٨) الى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا اله غيره ولا رب سواه

(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة أى محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة والله قدير أى على ما يشاء من الجمع بين الاشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الانصار واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها الآية وكذا قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وقال الله تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وفى الحديث أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال الشاعر

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى والله غفور رحيم أى يغفر للكافرين كفرهم اذا تابوا منه وأنابوا الى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب اليه من أى ذنب كان وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية نزلت فى أبى سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه وفى هذا الذى قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبى سفيان قبل الفتح وأبو سفيان انما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف وأحسن من هذا ما رواه ابن أبى حاتم حيث قال قرأ على محمد بن عزيز حدثنى سلامة حدثنى عقيل حدثنى ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر

تلك الواهبة نفسها فكيف يصح ان يقال انه نزل فى شأنها فان من رد ما وهب له لم يصح أن يقال انه حرم على نفسه وأيضا لا ينطبق على هذا السبب قوله واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا الى آخر ما حكاه الله وأما ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما ان ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره انهما عائشة وحفصة ثم ذكر قصة الايلاء كما فى الحديث الطويل فليس فى هذا نفى كون السبب هو ما قدمنا من قصة العسل والسرية لانه انما أخبره بالمتظاهرتين وذكر فيه ان أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم يراجعنه وتهجره احداهن من اليوم الى الليل وان ذلك سبب الاعتزال لا سبب نزول يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا

ابن حرب على بعض الثمر فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن انزل الله فيه عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة الآية وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تأمرني أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم وقد تقدم الكلام عليه قال وعندي أحسن العرب وأجمله ام حبيبة بنت ابي سفيان ازوجكها الحديث وقد تقدم الكلام عليه وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أي لا ينهاكم عن الاحسان الى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ان تبروهم أي تحسنوا اليهم وتقسطوا اليهم أي تعدلوا ان الله يحب المقسطين قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها قال نعم صلي أمك أخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء ان تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وان تدخلها بيتها وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به (٤٣٩) وفي رواية لاحمد وابن جرير قتيلة بنت العزى ابن أسعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو قتادة العدوي عن ابن اخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء انهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فقلنا يا رسول الله ان أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها قال نعم فصلاها ثم قال وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة الا من هذا الوجه قلت وهو منكر بهذا السياق لان أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الاحاديث المتقدمة والله أعلم وقوله تعالى ان الله يحب المقسطين تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا وقوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم أي انما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على اخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال تعالى ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) تقدم في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

تظاهرتا فأخبره بأنهما حفصة وعائشة وبين له ان السبب قصة مارية هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية ودفع الاختلاف في شأنه فاشدد عليه يديك لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي شرع لكم تحليل أيمانكم وبين لكم الخروج والخلاص منها بالكفارة وقال النسفي أو شرع لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا انتهى وتحلة أصلها تحللة فأدغمت وهي من مصادر التفعيل كالتوصية والتسمية فكأن اليمين عقد والكفارة حل لانها تحل للحالف ما حرمه على نفسه قال مقاتل المعنى قد بين الله كفارة أيمانكم في سورة المائدة أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يكفر يمينه ويراجع وليدته فأعتق رقبة

وبين كفار قريش فكان فيه على ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وفي رواية على انه لا يأتيك منا أحد وان كان
على دينك الا رددته الينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية
تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر
عباده المؤمنين اذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم عن محمد بن يحيى
الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حسين بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي أحمد قال هاجرت
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة فخرج اخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه
فيها ان يردها اليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهن ان يردوهن الى المشركين وأنزل الله آية الامتحان
قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر
الاسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض
زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت الاحبا لله ولرسوله ثم رواه من
وجه آخر عن الأغر بن الصباح به وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه ان الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم له عمر بن الخطاب وقال العوفي عن ابن (٤٤٠) عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله ورسوله وقال مجاهد فامتحنوهن فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن الى أزواجهن وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك الا حب الله ورسوله وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله فامتحنوهن وقال قتادة كانت محنتهن ان يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما
أخرجكن الا حب الاسلام وأهله وحرص عليه فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهن وقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار فيه دلالة على ان الايمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن هذه الآية هي التي
حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع
زوج ابنة النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الاسارى يوم بدر بعثت امرأته
زينب في فدائه بقلادة لها كانت لامها خديجة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين ان رأيتم
ان تطلقوا لها أسيرها فافعلوا ففعلوا فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده
وبعثها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين الى
ان أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الاول ولم يحدث لها صداقا كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب
حدثنا أبي حدثنا ابن اسحق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب على
أبي العاص وكانت هجرتها قبل اسلامه بست سنين على النكاح الاول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذي وابن
ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لان اسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس
باسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هرون

وعن الحسن انه لم يكفر لانه صلى الله عليه وآله وسلم مغفور له ذكره المحلي والنسفي قال
الزجاج وليس لاحد أن يحرم ما أحل الله وهذا هو الحق ان تحريم ما أحل الله لا ينعقد
ولا يلزم صاحبه فالتحليل والتحريم هو الى الله سبحانه لا الى غيره ومعاتبته لنبيه صلى الله
عليه وآله وسلم في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك والبحث طويل والمذاهب فيه كثيرة
والمقالات فيه طويلة وقد حققه الشوكاني في مؤلفاته بما يشفي وذكر رضي الله عنه في
شرحه للمنتقى خمسة عشر قولا واختلف العلماء هل مجرد التحريم يمين توجب الكفارة
أم لا وفي ذلك خلاف وليس في الآية ما يدل على انه يمين لان الله سبحانه عاتبه على تحريم
ما أحله له ثم قال قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقد ورد في القصة التي ذهب أكثر
المفسرين الى انها هي سبب نزول الآية انه حرم أولا ثم حلف ثانيا كما قدمنا عن ابن عباس
قال

يذكر عن ابن اسحق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الامام أحمد وغير واحد والله أعلم واجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بان ذلك كان قضية عين يحتمل انه لم تنقض عدتها منه لان الذي عليه الاكثرون انها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه وقال آخرون بل اذا انقضت العدة هي بالخيار ان شاءت اقامت على النكاح واستمرت وان شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى وآتوهم ما أنفقوا يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الاصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد وقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن يعني اذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك وقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن وفي الصحيح عن الزهري عن عروة عن المسور بن مروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية وقال ابن ثور عن معمر عن الزهري (٤٤١) انزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باسفل الحديبية حين صالحهم على انه من اتاه منهم رده اليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية وامره ان يرد الصداق الى ازواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك اذا جاءتهم امرأة من المسلمين ان يردوا الصداق الى ازواجهن وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهكذا قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وقال وانما حكم

(٥٦ - فتح البيان تاسع) الله بينهم بذلك لاجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن اسحق عن الزهري طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص وقوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا أي وطالبوا بما انفقتم على ازواجكم اللاتي يذهبن الى الكفار ان ذهبن وليطالبوا بما انفقوا على ازواجهم اللاتي هاجرن الى المسلمين وقوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم أي في الصلح واستثناء النساء منه والامر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه والله عليم حكيم أي عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك ثم قال تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما أنفقوا قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد اذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا الى زوجها شيأ فاذا جاءت منهم امرأة لا يدفع الى زوجها شيء حتى يدفع الى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب اخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فادوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي انفقوا على نسائهم وأبى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من اداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فلو انها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من ازواج المؤمنين الى المشركين رد المؤمنون الى زوجها النفقة التي انفق عليها من العقب الذي بايديهم الذي امروا ان يردوه على المشركين من نفقاتهم التي انفقوا

قال في الحرام يكفر وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وعنه انه جاءه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا لم تحرم ما احل الله لك قال عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة وعن عائشة قالت لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فاحل يمينه وانفق عليه أخرجه الحرث بن اسامة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم والمتولي لاموركم وقيل مولاكم أولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم ذكره النسفي (وهو العليم) بما فيه صلاحكم وفلاحكم (الحكيم) في اقواله وفعاله (واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا) قال أكثر المفسرين ومنهم النسفي والمحلي والخازن هي حفصة كما سبق والحديث هو تحريم مارية أو العسل أو تحريم التي وهبت

على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرن ثم ردوا الى المشركين فضلى مثل مهرهم ان كان بقى لهم والعقب ما كان بقى من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية يعنى ان لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة وهكذا قال مجاهد فعاقبتم أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا يعنى مهر مثلها وهكذا قال مسروق وابراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهرى أيضا وهذا لا ينافى الاول لانه ان أمكن الاول فهو الاولى والا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من ايدى الكفار وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) قال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى عروة ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ما يبايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك هذا لفظ البخارى وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن اميمة بنت رقيقة قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا ما فى القرآن ان لا نشرك بالله شيأ الآية وقال فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا قال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة هذا اسناد صحيح وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائى أيضا من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذى حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن اسحق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد ولم يصافح منا امرأة وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر الرازى عن محمد بن المنكدر حدثتنى اميمة بنت رقيقة وكانت اخت خديجة خالة فاطمة من فيها الى فى فذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحق حدثنى سليط بن ايوب بن الحكم بن سليم عن امه سلمى بنت قيس وكانت احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلت معه القبلتين وكانت احدى نساء بنى عدى بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم نبايعه فى نسوة من الانصار فلما شرط علينا ان لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف قال ولا تغششن ازواجكن قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعى فسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غش ازواجنا قال فسألته فقال تأخذ ماله فتحابى به غيره وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم بن محمد بن حاطب حدثنى أبى عن أمه عائشة بنت قدامة يعنى ابن مظعون قالت أنا مع أمى رايطة ابنة سفيان الخزاعية والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وارجلكن ولا تعصينى فى معروف قلنا نعم فيما استطعتن فكن يقلن وأقول معهن وأمى تقول لى أى بنية نعم فكنت أقول كما يقلن وقال البخارى حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا ايوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ولا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت اسعدتنى فلانة أريد ان أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت

نفسها له والعامل فى الظرف فعل مقدر أى واذكر اذ أسر وقال الكلبى اسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتى على امتى من بعدى وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن عائشة فى الآية قالت اسر اليها ان ابا بكر خليفتى من بعدى واخرج ابن عدى وابو نعيم فى الصحابة والعشارى فى فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن على وابن عباس قالا والله ان امارة أبى بكر وعمر لفى الكتاب واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا قال لحفصة ابوك وابو عائشة واليا الناس بعدى فاياك ان تخبرى احدا بهذا قال الشوكانى رحمه الله وهذا ليس فيه انه سبب نزول قوله يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك بل فيه ان الحديث الذى اسره النبى هو هذا فعلى فرض ان له اسنادا يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة وهى مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة اليه (فلما نبأت به) أى أخبرت

ورجعت فبايعها ورواه مسلم وفي رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان وللبخاري عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة ان لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هرون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج ان الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ أنتن على ذلك فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري حسن من هي قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال أبايعك على ان لا تشركي بالله شيأ ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الاولى وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي ادريس الخولاني عن عبادة بن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم قرأ الآية التي أخذت على النساء اذا جاءك المؤمنات فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه أخرجاه في الصحيحين وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله المزني عن أبي عبد الله عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفرض الحرب على ان لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال فان وفيتم فلكم الجنة رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال قل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ وكانت هند ابنة عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت اني ان أتكلم يعرفني وان عرفني قتلني وانما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيأ لم تقبله من الرجال فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر قل لهن ولا يسرقن قالت هند والله اني لاصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهن لي أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال أنت هند فقالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يزنين فقالت يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة قال لا والله ما تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن قال ولا يعصينك في معروف قال منعهن ان ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون

أخبرت به غيرها ظنا منها ان لا حرج في ذلك فهو باجتهاد منها وهي مأجورة فيه وذلك لان الاجتهاد جائز في عصره صلى الله عليه وآله وسلم على الصحيح كما في جمع الجوامع واصل نبأ وأنبأ وخبر وأخبر وحدث أن تتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاث في هذه الآية فقوله فلما نبأت به تعدى لاثنين حذف أولهما والثاني مجرور بالباء وقوله فلما نبأها به ذكرهما وقوله من أنبأك هذا ذكرهما وحذف الجار (وأظهره الله عليه) اي أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الاخبار لغيرها على لسان جبريل (عرف بعضه) أي بعض ما أخبرت به وهو تحريم مارية أو العسل قرأ الجمهور عرف مشددا من التعريف ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها وقرئ بالتخفيف اي

بالويل والثبور هذا اثر غريب وفى بعضه نكارة والله اعلم فان اباسفيان وامرأته لما اسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل اظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الامر من جانبه عليه السلام لهما وقال مقاتل بن حيان انزلت هذه الآية يوم الفتح بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفا وعمر بايع النساء يحلفها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد فلما قال ولا تقتلن اولادكن قالت هند ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا نصر بن على حدثنى غبطة بنت سليمان حدثتنى عمتى عن جدتى عن عائشة قالت جاءت هند بنت عتبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر الى يدها فقال اذهبى فغيرى يدك فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال أبايعك على ان لا تشركى بالله شيأ فبايعته وفى يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول فى هذين السوارين فقال جمرتان من جمر جهنم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن أولادكن فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا باولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا اقررن رجعن فقوله تعالى يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اى من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن اى اموال الناس الاجانب فاما اذا كان الزوج معسرا فى نفقتها فلها ان تأكل من ماله بالمعروف ماجرت به عادة امثالها وان كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة انها قالت يارسول الله ان اباسفيان رجل شحيح لا يعطينى (٤٤٤) من النفقة مايكفينى ويكفى بنى فهل على جناح ان اخذت من ماله بغير علمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى ولا يزنين كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الاليم فى نار الجحيم وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ عليها ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن أخبرنى ولا يزنين الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فاعجبه مارأى منها فقالت عائشة اقرى ايتها المرأة فوالله مابايعنا الا على هذا قالت فنعم اذ فبايعها بالآية وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن اولادكن فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصين باولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا اقررن رجعن وقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان اهل الجاهلية يقتلون اولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحمل اما لغرض فاسد أو ما أشبهه وقوله تعالى ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن قال ابن عباس لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم وكذا قال مقاتل ويؤيد هذا الحديث الذى رواه أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو يعنى ابن الحرث عن ابن الهاد عن عبد الله بن يونس عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة ايما امرأة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شئ ولن يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين وقوله تعالى ولا يعصينك فى معروف يعنى فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب ابن جرير حدثنا أبى قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى ولا يعصينك فى معروف قال انما هو شرط شرطه

عرف بعض الذى فعلته حفصة واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى لقوله (وأعرض عن بعض) ولو كان مخففا لقال فى ضده وانكر بعضا والمعنى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به تكرما منه وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام وقيل أعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة ان ينتشر فى الناس وقيل الذى اعرض عنه هو حديث مارية وقيل هو ان أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده وللمفسرين ههنا خلط وخبط وكل جماعة منهم ذهبوا الى تفسير التعريف والاعراض بما يطابق بعض ماورد فى سبب النزول وقد أوضحنا ذلك من قبل (فلما نبأها به) أى اخبرها بما أفشت من الحديث (قالت من أنبأك هذا) أى من أخبرك به (قال نبأنى العليم الخبير) أى

الله النساء وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه الا فى المعروف والمعروف طاعة وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه فى المعروف وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبى الجعد وأبو صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح وقد تقدم حديث أم عطية فى ذلك أيضا وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم اخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال الا رجلا منكم محرما فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ان لنا أضيافا وانا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أولئك عنيت ليس أولئك عنيت وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبى زائدة حدثنى مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يحدثن الرجال الا أن يكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذى بين فخذيه وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الانصارية قالت كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعناه ان لا ننوح فقالت امرأة من بنى فلان ان بنى فلان أسعدونى فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك وقد روى البخارى هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الانصارية رضى الله عنها وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا فقال حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثنى مصعب بن نوح الانصارى قال أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لابايعه فأخذ علينا فيما أخذ ان لا ننحن (٤٤٥) فقالت عجوز يارسول الله ان ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد اسعدهم قال فانطلقى فكافئيهم فانطلقت فكافأتهم ثم انها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذى قال الله عز وجل ولا يعصينك فى معروف وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا العقبى حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبى أسيد البراد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نعصيه فى معروف ان لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعو ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا اسحق بن عثمان بن يعقوب حدثنى اسمعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نساء الانصار فى بيت ثم أرسل الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن قالت فقلنا مرحبا برسول الله و برسول رسول الله فقال تبايعن على ان لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين قالت فقلنا نعم قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد قالت فأمرنا بالعيدين ان نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ونهانا عن اتباع الجنائز قال اسمعيل فسألت جدتى عن قوله تعالى ولا يعصينك فى معروف قالت النياحة وفى الصحيحين من طريق الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفى الصحيحين أيضا عن أبى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبى كثير ان زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا موسى الاشعرى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الاحساب والطعن فى الانسان والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ورواه مسلم

أخبرنى الذى لا يخفى عليه خافية (ان تتوبا) الخطاب لعائشة وحفصة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف أى ان تتوبا (الى الله) فهو الواجب ودل على المحذوف قوله (فقد صغت قلوبكما) أى زاغت وأثمت ومالت عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ووجد منكما ما يوجب التوبة وهو انهما أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو افشاء الحديث وقيل المعنى فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال قلوبكما ولم يقل قلبا كما لان العرب تستكره الجمع بين تثنيتين فى لفظ واحد ومجموع المضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد من أجل تمام العلقة والنسبة بينهما (وان تظاهرا عليه) قرأ الجمهور بحذف

في صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى ولا يعصينك في معروف قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب (ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل وقوله تعالى كما يئس الكفار من أصحاب القبور فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الاحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لانهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه قال العوفي عن ابن عباس ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم الى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله عز وجل وقال الحسن البصري كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال الكفار الاحياء قد يئسوا من الاموات وقال قتادة كما يئس الكفار ان يرجع اليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال (٤٤٦) الضحاك رواهن ابن جرير والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال كما يئس هذا الكافر اذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة

احدى التاءين وقرئ على الاصل وقرئ تظهرا بتشديد الظاء والهاء بدون ألف وهي سبعية والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون والمعنى وان تعاضدا وتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره وقيل كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النفقة (فان الله هو) ضمير فصل (مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا ولا معينا فان الله يتولى نصره بذاته (و) كذلك (جبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) أي من صلح من عباده المؤمنين وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ قال بريدة أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعن ابن مسعود مثله وعن أبي امامة مرفوعا مثله أخرجه الحاكم وعن علي بسند ضعيف قال هو على

(تفسير سورة الصف وهي مدنية) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الاعمال أحب الى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا رواه الامام أحمد وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروتي قراءة قال أخبرني أبي سمعت الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني عبد الله بن سلام ان أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا الى رسول الله نسأله عن أحب الاعمال الى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحد منا وهبنا ان نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة سبح لله الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الاوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الاوزاعي كلها وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال

يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الاوزاعى قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير ثم قال الترمذى وقد خولف محمد ابن كثير فى اسناد هذا الحديث عن الاوزاعى فروى ابن المبارك عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن ابى ميمونة عن عطاء ابن يسار عن عبد الله بن سلام اوعن ابى سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الامام احمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذى وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الاوزاعى نحو رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الاوزاعى كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرنى بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحجار قراءة عليه وأنا اسمع اخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمر بن اللتى أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزى قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودى أخبرنا أبو محمد عبد بن أحمد بن حمويه السرخسى أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندى أخبرنا الامام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعى فذكر باسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها الى شيخنا أبى العباس الحجار ولم يقرأها لانه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها اياه ولكن أخبرنى الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبى أخبرنا القاضى تقى الدين بن سليمان بن الشيخ أبى عمر وأخبرنا أبو المنجا بن اللتى فذكره باسناده وتسلسل لى من طريقه وقرأها على بكمالها ولله الحمد والمنة (بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قد تقدم الكلام على قوله (٤٤٧) تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم غير مرة بما أغنى عن اعادته وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون انكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفى به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف الى انه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه غرم للموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان وفى الحديث الآخر فى الصحيح أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الانكار عليهم بقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقد روى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبى فذهبت لاخرج لالعب فقالت امى يا عبد الله تعال أعطك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما انك لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة وذهب الامام مالك رحمه الله الى انه اذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك على كل يوم كذا فتزوج وجب عليه ان يعطيه مادام كذلك لانه تعلق به حق آدمى وهو مبنى على المضايقة وذهب الجمهور الى انه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على انها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وقال تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون

على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وصالح المؤمنين على بن أبى طالب أخرجه ابن مردويه (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) أى بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) أى اعوان يظاهرونه قال أبو على الفارسى قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسأل حميم حميما قال الواحدى وهذا من الواحد الذى يؤدى عن معنى الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا وقد تقرر فى علم النحو ان مثل جريح وصبور وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع وانما عدل عن عطف المفرد الى عطف الجملة ليؤذن بالفرق فان نصرة الله هى النصرة فى الحقيقة وانه تعالى انما ضم اليها المظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة لتتميم تطييبا القلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول واظهارا للآيات البينات كما فى يوم بدر وحنين قال تعالى

مالا تفعلون قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله عز وجل دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فأخبر الله نبيه ان احب الاعمال ايمان به لا شك فيه وجهاد اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم امره فقال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وهذا اختيار ابن جرير وقال مقاتل بن حيان قال المؤمنون لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الاعمال اليه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وقال أحبكم الى من قاتل في سبيلي ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك بن زيد بن أسلم لم تقولون مالا تفعلون قال الجهاد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لم تقولون مالا تفعلون الى قوله كأنهم بنيان مرصوص فما بين ذلك في نفر من الانصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا ابرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيدا وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا فروة بن ابي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن ابي هند عن ابي حرب بن ابي الاسود الدئلي عن ابيه قال بعث أبو موسى الى قراء أهل البصرة فدخل عليه (٤٤٨) منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء اهل البصرة وخيارهم وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فهذا اخبار من الله تعالى بمحبته عباده

وماجعله الله الابشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الامن عند الله (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) بالتخفيف والتشديد سبعيتان أي يعطيه بدلكن (أزواجا خيرا) أي أفضل (منكن) وقد علم الله سبحانه انه لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على انه ان وقع منه الطلاق أبدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم والممتنع بمقتضى الآية اعطاه وتطليق الكل فلا ينافي انه طلق واحدة وانها لم تبدل لان التبديل اعطاه والكل واعطاه مرتب على تطليق الكل وفي الخطيب قيل كل عسى في القرآن واجب الوقوع الاهذه الآية وقيل هي من الواجب أيضا ولكن الله علقه بشرطه وهو التطليق للكل ولم يطلقهن وفي الكرخي قال ابن عرفة عسى هنا للتخويف لا للوجوب ثم نعت سبحانه الازواج بقوله (مسلمات)

المؤمنين اذا اصطفوا مواجهين لاعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الاديان قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا هشيم قال مجالد أخبرنا عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يضحك الله اليهم الرجل يقوم من الليل والقوم اذا صفوا للصلاة والقوم اذا صفوا للقتال ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الاسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت اشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت اشتهي لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغني عنك انك تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم ان الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا اخالني أكذب على خليلي صلى الله عليه وسلم قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقي العدو فقتل وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وذكر الحديث هكذا أورده هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه في موضع آخر ولله الحمد وعن كعب الاحبار انه قال يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته

بطانة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفي كل منزلة لهم دوى كدوى النحل في جو السماء بالسحر يرضون أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة ثم قرأ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم ولو على ظهر دابة رواه ابن أبي حاتم وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو الا أن يصافهم وهذا تعليم من الله للمؤمنين قال وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص أي ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه الى بعض وقال ابن عباس كأنهم بنيان مرصوص مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض وقال قتادة كأنهم بنيان مرصوص ألم تر الى أصحاب البنيان كيف لا يحب ان يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب ان يختلف امره وان الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بامر الله فانه عصمة لمن أخذ به أورد ذلك كله ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي عن أبي بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الارض لقول الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وكان أبو بحرية يقول اذا رأيتموني التفت في الصف فجؤا في لحيي (واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات (٤٤٩) قالوا هذا سحر مبين) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام انه قال لقومه لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم أي لم توصلون الاذى الي وانتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة وفي هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال رحمة الله على موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا

(مسلمات) أي قائمات بفرائض الاسلام امانعت أوحال أو منصوب على الاختصاص وقال سعيد بن جبير مسلمات أي مخلصات مقرات وقيل معناه مسلمات لامر الله ورسوله (مؤمنات) أي مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره (قانتات) مطيعات لله والقنوت الطاعة وقيل مصليات بالليل وقيل داعيات وقيل طائعات (تائبات) يعني كثيرات التوبة من الذنوب تاركات لها راجعات الى الله والى امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الهفوات والزلات (عابدات) لله متذللات له قال الحسن وسعيد بن جبير كثيرات العبادة (سائحات) أي صائمات قاله ابن عباس وقال زيد بن أسلم والحسن مهاجرات وليس في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سياحة الا الهجرة قال ابن

من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا اليه أذى كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ولهذا قال تعالى في هذه الآية والله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي احمد فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني اسرائيل وقد أقام في ملا بني اسرائيل مبشرا بمحمد وهو احمد خاتم الانبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة وما أحسن ما اورد البخاري الحديث الذي قال فيه حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه اسماء منها ما حفظنا فقال انا محمد وانا أحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة والتوبة والملحمة ورواه مسلم من حديث الاعمش عن عمرو بن مرة به وقد قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول

النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الآية وقال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه واخذ عليه ان يأخذ على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليتبعنه وينصرنه وقال محمد بن اسحق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وهذا اسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم باول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك امهات النبيين يرين وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه يخرج منها نور اضاءت له قصور الشام وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا اخا زهير بن معاوية عن أبي اسحق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فاين هم قالا هم في أرضك فابعث اليهم فبعث اليهم فقال جعفر انا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك قال انا لا نسجد الا لله عز وجل قال وماذاك قال ان الله بعث الينا رسوله فأمرنا ان لا نسجد لاحد الا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو بن العاص فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال ما تقولون في عيسى بن مريم وامه قالوا نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها الى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد قال فرفع عودا من الارض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد انه رسول الله وانه الذي نجد في الانجيل وانه الذي بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد ان الانبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على امها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته اذا بعث وكان ما اشتهر الامر في أهل الارض على لسان ابراهيم الخليل والد الانبياء بعده حين دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا منهم وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الارض قال دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه وقوله تعالى فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قال ابن جريج وابن جرير فلما جاءهم أحمد اي المبشر به في الاعصار المتقادمة المنوه بذكره في القرون السالفة لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون هذا سحر مبين (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم

قتيبة والفراء وغيرهما وسمي الصيام سياحة لان السائح لا زاد معه وقيل المعنى ذاهبات في طاعة الله من ساح الماء اذا ذهب واصل السياحة الجولان في الارض وقيل يسحن معه حيث ساح وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة (ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا وبعضهن كذا ووسط بينهما العاطف لتنافيهما دون سائر الصفات والثيبات جمع ثيب لا ينقاس لانه اسم جنس مؤنث ووزنها فيعل من ثاب يثوب أي رجع وهي المرأة التي قد تزوجت ثم ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات زوج وقيل لانها ثابت الى بيت أبويها وهذا أصح لانه ليس كل ثيب تعود الى زوجها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك لانها على اول حالها التي خلقت عليها عن بريدة في الآية قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ان يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون وبالبكر
مريم

الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) يقول تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له اندادا وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين ثم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أى يحاولون ان يردوا الحق بالباطل ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد ان يطفئ شعاع الشمس بفيه وكما ان هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركين وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة براءة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) تقدم فى حديث عبد الله بن سلام ان الصحابة رضى الله عنهم أرادوا ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الاعمال الى الله عز وجل ليفعلوه فانزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اى من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى (٤٥١) لها وحدها ثم قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم اى ان فعلتم ما امرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وادخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ثم قال تعالى وأخرى تحبونها اى وازيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى نصر من الله وفتح قريب أى اذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز وقوله تعالى وفتح قريب اى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن اطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى وبشر المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين ان يكونوا انصار الله فى جميع أحوالهم باقوالهم وافعالهم وأنفسهم وأموالهم وان يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال من انصارى الى الله أى من معينى فى الدعوة الى الله عز وجل قال الحواريون وهم اتباع عيسى عليه السلام نحن انصار الله أى نحن انصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة الى الناس فى بلاد الشام فى الاسرائيليين واليونانيين وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أيام الحج من رجل يؤوينى حتى أبلغ رسالة ربى فان قريشا قد منعونى ان أبلغ رسالة ربى حتى قيض الله عز وجل له الاوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه ان يمنعوه من الاسود والاحمر ان هو هاجر اليهم فلما هاجر اليهم بمن معه من اصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وارضاهم وقوله تعالى فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة اى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه الى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى اسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت

مريم بنت عمران ولا يقال اى تمدح فى كونهن ثيبات لان الثيب قد تمدح من جهة انها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة انها اطهر واطيب وأكثر مداعبة وملاعبة غالبا (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم) بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه أى اجعلوا لها وقاية بالتأسى به صلى الله عليه وآله وسلم فى ترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) من النساء والولدان وكل من يدخل فى هذا الاسم بامرهم بطاعة الله ونهيهم عن معاصيه وبان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم نصحا وتأديبا (نارا وقودها الناس والحجارة) أى نارا عظيمة تتوقد بالناس الكفار والحجارة كالاصنام منها كما يتوقد غيرها بالحطب وقيل الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا وقد تقدم بيان هذا فى سورة

فما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وامه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم انه ابن الله وقائل انه ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن قائل انه الله وكل هذه الاقوال مفصلة فى سورة النساء وقوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أى نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى فأصبحوا ظاهرين أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أراد الله عز وجل ان يرفع عيسى الى السماء خرج الى أصحابه وهم فى البيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد ان آمن بى قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال نعم انت ذاك قال فالقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة فى البيت الى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد ان آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام (٤٥٢) طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة يعنى الطائفة التى كفرت من بنى اسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين باظهار محمد صلى الله عليه وسلم دينهم على دين الكفار هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبى كريب عن محمد بن العلاء عن أبى معاوية بمثله سواء فأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الاحاديث الصحاح والله أعلم آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة الجمعة وهى مدنية)* عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين رواه مسلم فى صحيحه

البقرة قال مقاتل بن سليمان قوا انفسكم واهليكم بالادب الصالح النار فى الآخرة وقال قتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم قال ابن جرير فعلينا ان نعلم اولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب ومن هذا قوله وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله وانذر عشيرتك الاقربين وعن على بن أبى طالب فى الآية قال علموا انفسكم وأهليكم الخير وادبوهم وعن ابن عباس قال اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله وأمروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وعنه قال أدبوا اهليكم (عليها ملائكة) أى على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ) على أهل النار (شداد) عليهم لا يرحمونهم اذا استرحموهم لان الله سبحانه وتعالى خلقهم من غضبه وحبب اليهم تعذيب خلقه وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل الغلاظ ضخام الاجسام

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يخبر تعالى انه يسبح له ما فى السموات وما فى الارض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ثم قال تعالى الملك القدوس أى هو مالك السموات والارض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال العزيز الحكيم تقدم تفسيرهما غير مرة وقوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الاميون هم العرب كما قال تعالى وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد وتخصيص الاميين بالذكر لا ينفى من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله وانه لذكر لك ولقومك وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وهذا وامثاله لا ينافى قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقوله لانذركم به ومن بلغ وقوله تعالى اخبارا عن القرآن ومن يكفر به من الاحزاب

قال النار موعده الى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الانعام بالآيات والاحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة وهذه الآية هى مصداق اجابة الله لخليله ابراهيم حين دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة اليه وقد مقت الله أهل الارض عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب أى نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك اهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها واولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم الى ما يقربهم الى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقربهم الى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الاصول والفروع وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله واعطاه مالم يعط أحدا من الاولين ولا يعطيه أحدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم قال الامام أبو عبد الله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن

بلال عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يارسول الله فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ابى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلى عن سالم ابى الغيث عن أبى هريرة ففى هذا الحديث دليل على ان هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس لانه فسر قوله تعالى وآخرين منهم بفارس ولهذا كتب كتبه الى فارس والروم وغيرهم من الامم يدعوهم الى الله عز وجل والى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال هم الاعاجم وكل من صدق النبى صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا ابراهيم بن العلاء الزبيدى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن ابى حازم عن سهل بن سعد الساعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى اصلاب اصلاب اصلاب رجال من اصحابى رجالا ونساء من امتى يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم يعنى بقية من بقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم اى ذو العزة والحكمة فى شرعه وقدره وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعنى ما اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به امته من بعثته صلى الله عليه وسلم اليهم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا آيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يقول تعالى ذاما لليهود الذين اعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم فى ذلك كمثل الحمار يحمل اسفارا أى كمثل الحمار اذا حمل كتبا لا يدرى ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدرى

الاجسام والشداد الاقوياء وقيل المراد غلاظ القلوب شداد الابدان من غلظ القلب أى قسوته لا من غلظ الجسم ولا من غلظ القول عن أبى عمران الجونى قال بلغنا ان خزنة النار تسعة عشر ما بين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف ليس فى قلوبهم رحمة انما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحنا من لدن قرنه الى قدمه أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (لا يعصون الله ما أمرهم) أى لا يخالفونه فى أمره وما موصولة والعائد محذوف أى لا يعصون الله الذى أمرهم به أو مصدرية أى لا يعصون الله أمره على ان يكون ما امرهم بدل اشتمال من الاسم الشريف أو على تقدير نزع الخافض أى لا يعصون الله فى أمره (ويفعلون ما يؤمرون) به أى يؤدونه فى وقته من غير تراخ لا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه وليست الجملتان فى معنى واحد ادمعنى الاولى انهم

ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لان الحمار لافهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون وقال تعالى ههنا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا والذي يقول له انصت ليس له جمعة ثم قال تعالى قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ان كنتم تزعمون انكم على هدى وان محمدا واصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ان كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم أي بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور والله عليم بالظالمين وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون وقد أسلفنا الكلام هنالك وبينا ان المراد ان يدعو على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة على الكاذبين ومباهلة المشركين في سورة مريم قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا وقد قال الامام

احمد حدثنا اسمعيل بن يزيد الرقي حدثنا ابو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لعنه الله ان رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى اطأ على عنقه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فعل لاخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لايجدون أهلا ولا مالا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم وقوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون كقوله تعالى في سورة النساء ايما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الارض يا ثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) انما سميت الجمعة جمعة لانها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فانه اليوم السادس من الستة

يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل الثانية تأكيد للاولى وبه قال المحلي لان مفادها هو مفادها وقيل الاولى فيما مضى والثانية فيما يستقبل وصرح بهذا البيضاوي والآية تخويف (١) للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم (يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) يقال لهم هذا القول عند ادخالهم النار تأييسا لهم وقطعا لاطماعهم لانه يوم الجزاء وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار (انما تجزون ما كنتم تعملون) من الاعمال في الدنيا ومثل هذا قوله فاليوم لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) قرأ الجمهور بفتح النون على الوصف للتوبة اى توبة بالغة في النصح وقرئ بضمها اى توبة نصح لانفسكم ويجوز ان يكون جمع ناصح
وان

(١) جواب عن سؤال حاصله انه تعالى خاطب المشركين في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الخ فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبة المؤمنين بذلك وحاصل الجواب ان الآية أمر بالتوقي عن الارتداد المؤدي للنار المعدة للكافرين وانها أيضا خطاب للمنافقين وهم من جملة الكافرين اهـ سيدنو القفار أحمد

التى خلق الله فيها السموات والارض وفيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه كما ثبتت بذلك الاحاديث الصحاح وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبى معشر عن ابراهيم عن علقمة عن قرثع الضبى حدثنا سلمان قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يا سلمان ما يوم الجمعة قلت الله و رسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواك أو أبويكم وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة وثبت ان الامم قبلنا أمروا به فضلوا عنه واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق واختار النصارى يوم الاحد الذى ابتدئ فيه الخلق واختار الله لهذه الامة يوم الجمعة الذى أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم ان هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم اليها وليس المراد

بالسعى ههنا المشى السريع وانما هو الاهتمام بها كقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها فامضوا الى ذكر الله فأما المشى السريع الى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة و عليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا الى الصلاة قال فلا تفعلوا اذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا أخرجاه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة بمثله قال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة فى قوله فاسعوا الى ذكر الله يعنى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله تعالى فلما بلغ معه السعى أى المشى معه وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك ويستحب لمن جاء الى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه اليها لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ولهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لله على كل محتلم ان يغتسل فى كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده رواه مسلم وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رجل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة رواه أحمد والنسائى وابن حبان وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعى

وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة ونصوحا وقال المبرد اراد توبة ذات نصح اى تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب عنه وصفت بذلك على الاسناد المجازى وهو فى الاصل وصف للتائبين أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالعزم على الترك للذنب وترك المعاودة له قال قتادة التوبة النصوح الصادقة وقيل الخالصة وقال الحسن التوبة النصوح ان يبغض الذنب الذى احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقال الكلبى التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان على ان لا يعود وقال سعيد بن جبير هى التوبة المقبولة وعن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب سئل عن التوبة النصوح قال ان يتوب الرجل من العمل السئ ثم لا يعود اليه أبدا وروى عن معاذ مرفوعا هى أن لا يحتاج بعدها الى توبة أخرى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة أجر صيامها وقيامها وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الاربعة وحسنه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر أخرجاه ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب اهله ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ان بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته رواه ابن ماجه وقوله تعالى اذا نودي للصلاة المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الاول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

من

فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال حدثنا آدم هو ابن أبي اياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا ابراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول ان النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع اذا نودي به وأمر عثمان رضي الله عنه ان ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس وانما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الاحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الاعذار كما هو مقرر في كتب الفروع وقوله تعالى وذروا البيع أي اسعوا الى ذكر الله واتركوا البيع اذا نودي للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح اذا تعاطاه متعاط أم لا على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم وقوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون أي ترككم البيع واقبالكم الى ذكر الله والى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة أي فرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الارض والابتغاء من

وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود اليه أبدا أخرجه أحمد وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والصحيح الموقوف كما أخرجه مرفوعا عليه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي وابن المنذر وعن ابن مسعود قال التوبة النصوح تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم قرأ هذه الآية أخرجه الحاكم وصححه وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلف في معناها وذكروا في تفسيرها ثلاثة وعشرين قولا متقاربة المعنى لا يسعها هذا الموضع ولكن الامر فيها أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وهي واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب

فضل الله كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم وروى أيضا عن بعض السلف انه قال من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم واعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ولهذا جاء في الحديث من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة الى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما أي على المنبر تخطب هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة وزعم مقاتل بن حيان ان التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر الا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الامام أحمد حدثنا ابن ادريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير الى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا ونزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وقال في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي قوله تعالى وتركوك قائما دليل على ان الامام يخطب الجمعة قائما وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس لكن ههنا شيء ينبغي ان يعلم وهو ان هذه القصة قد قيل انها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى اذا كان يوم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحية بن خليفة قد قدم بتجارة يعني فانفضوا ولم يبق معه الا نفر يسير وقوله تعالى قل ما عند الله أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة المنافقين وهي مدنية) (بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون

من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد أخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة أخرجه البخاري واخرجا عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة الحديث وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله يقبل توبة

كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين انهم انما يتفوهون بالاسلام اذا جاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فأما في باطن الامر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله أي اذا حضروا عندك واجهوك بذلك وأظهروا لك ذلك وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه رسول الله فقال والله يعلم انك لرسوله ثم قال تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي فيما أخبروا به وان كان مطابقا للخارج لانهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم وقوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقد انهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم انهم كانوا في الباطن لا يألون الاسلام وأهله خبالا فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ولهذا قال تعالى فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون وكان الضحاك ابن مزاحم يقرؤها اتخذوا ايمانهم جنة أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل والجمهور يقرؤها أيمانهم جمع يمين وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون أي انما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الايمان الى الكفر واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون أي فلا يصل الى قلوبهم هدى ولا يخلص اليها خير فلا تعي ولا تهتدي وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة اذا سمعهم السامع يصغي الى قولهم لبلاغتهم وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم انه نازل بهم كما قال تعالى أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا قال تعالى هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن الهدى الى الضلالة وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن اسحق بن أبي بكير بن أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد الا هجرا ولا يأتون الصلاة الا دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار وقال يزيد بن مرة سخب بالنهار (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله انهم اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وايراد الاحاديث المروية هنالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان لووا رؤسهم قال ابن أبي عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا وقد ذكر غير واحد من السلف

العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وحسنه (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم) بسبب تلك التوبة (جنات تجري من تحتها الانهار) معطوف على يكفر منصوب بناصبه وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالجزم عطفا على محل عسى كأنه قال توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم وعسى وان كان أصلها للاطماع فهي من الله واجبة تفضلا وتكرما لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وليس واجبا عقليا (يوم) أي يدخلكم يوم (لا يخزي الله النبي) أو منصوب باذكر (والذين آمنوا معه) أي صاحبوه في وصف الايمان معطوف على النبي وقيل الموصول مبتدأ وخبره قوله (نورهم يسعى بين أيديهم و) يسعى (بايمانهم) والاول اولى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله

من

ان هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول كما سنورده قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وقد قال محمد ابن اسحق فى السيرة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجرا آن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا ويلك مالك قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى لكأنما قلت بجرا الآن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أبتغى ان يستغفر لى وقال قتادة والسدى أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وذلك ان غلاما من قرابته انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الانصار على ذلك الغلام فلاموه وعزروه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلوى رأسه أى لست فاعلا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن (٤٥٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه ان عبد الله بن أبى ابن سلول قال ليخرجن الاعز منها الاذل فارتحل قبل ان ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبى ائت النبى صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن جبير وقوله ان ذلك كان فى غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وانما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة فى المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق قال يونس بن بكير عن ابن اسحق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة فى قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى وكان أجيرا لعمر ابن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الانصار وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الانصار عند عبد الله بن أبى فلما سمعها قال قد ثاورونا فى بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غليم وهو عنده عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس يا عمر ان محمدا يقتل أصحابه لا ولكن نادِ يا عمر فى الرحيل فلما بلغ عبد الله بن أبى ان ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فاعتذر اليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى ان يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا فى ساعة كان لا يروح

من أهل الكفر والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم وقد تقدم فى سورة الحديد ان النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط والمراد بأيمانهم جهاتهم كلها والتقييد بالأمام والأيمان لا ينفى ان لهم نورا على شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم امامن السابقين فيمشون فيما هو أمامهم واما من أهل اليمين فيمشون فيما هو عن أيمانهم عن ابن عباس فى الآية قال ليس احد من الموحدين لا يعطى نورا يوم القيامة فاما المنافق فيطفى نوره والمؤمن مشفق مما رأى من اطفاء نور المنافق قال ابن مسعود يمرون على الصراط على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره فى ابهامه ذكره السيوطى فى البدور السافرة (يقولون) خبر ثان أو حال (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) هذا دعاء المؤمنين حين اطفاء

فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضى الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبى زعم انه اذا قدم المدينة انه يخرج الاعز منها الاذل قال فانت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى ان قد سلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس ان وجدوا مس الارض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن اسحق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال الانصارى يا للانصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة وقال عبد الله بن أبى ابن سلول وقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال جابر وكان الانصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ورواه الامام أحمد عن حسين بن محمد المروزى عن سفيان بن عيينة ورواه البخارى عن الحميدى ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره عن سفيان به نحوه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظى عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبى انه لم يكن شئ من ذلك قال فلامنى قومى وقالوا ما أردت الى هذا قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد أنزل عذرك وصدقك قال فنزلت هذه الآية هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا حتى بلغ لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ورواه البخارى عند هذه الآية عن آدم بن أبى اياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبى زائدة عن الاعمش عن عمرو عن ابن أبى ليلى عن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذى والنسائى عندهما أيضا من حديث شعبة به طريق أخرى عن زيد قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبى بكير قالا حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمى فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى يقول لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل الى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط وجلست فى البيت فقال عمى ما أردت الى ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك قال حتى أنزل الله اذا جاءك المنافقون قال فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثم قال ان الله قد صدقك ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسين ابن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحق انه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبى لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبد الله بن أبى فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد

الله والمنافقين كما تقدم بيانه وتفصيله (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف والرمح (والمنافقين) بالحجة والوعظ البليغ وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى سورة براءة (واغلظ عليهم) بالانتهار والزجر والمقت والبغض أى شدد عليهم فى الدعوة والخطاب والقتال والمحاجة باللسان واستعمل الخشونة فى أمرهم بالشرائع ولا تعاملهم باللين وقال الحسن أى جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود (ومأواهم جهنم) أى مصير الكفار والمنافقين اليها (وبئس المصير) أى المرجع الذى يرجعون اليه (ضرب الله مثلا للذين كفروا) قد تقدم غير مرة ان المثل قد يراد به ايراد حالة غريبة تعرف بها حالة أخرى مماثلة لها فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار فى انهم يعاقبون

يارسول الله فوقع فى نفسى مما قالوا حتى أنزل الله تصديقى اذا جاءك المنافقون قال ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ وقد رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث زهير ورواه البخارى أيضا والترمذى من حديث اسرائيل كلاهما عن أبى اسحق عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى الكوفى عن زيد به طريق أخرى عن زيد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدى عن أبى سعد الازدى حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا اليه فسبق اعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجئ أصحابه قال فأتى رجل من الانصار اعرابيا فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى ان يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الاعرابى خشبته فضرب بها رأس الانصارى فشجه فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبى ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعنى الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لاصحابه اذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام فليأ كل هو ومن معه ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسمعت عبد الله بن أبى فأخبرت عمى فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى قال فجاء الى عمى فقال ما أردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمسلمون قال فوقع على من الهم مالم يقع على أحد قط قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد خفقت برأسى من الهم اذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذنى وضحك فى وجهى فما كان يسرنى ان لى بها الخلد فى الدنيا ثم ان أبا بكر لحقنى وقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال شيأ الا انه عرك اذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لابى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين انفرد باخراجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وهكذا رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله حتى بلغ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا حتى بلغ ليخرجن الاعز منها الاذل وقد روى عبد الله ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة بن الزبير فى المغازى وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبى ابن سلول انما هو أوس بن أقرم من بنى الحرث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلى حدثنى سلام حدثنى عقيل أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الانصارى أخبراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهى التى هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التى كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان فى غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الانصار فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى فقال البهزى يامعشر الانصار فنصره رجال من الانصار وقال المهاجرى يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الانصار شئ من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض الى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبى عدو الله لئن رجعنا

يعاقبون لكفرهم وانه لا يغنى أحد عن أحد (امرأت نوح) واسمها واهلة وقيل والهة (وامرأت لوط) واسمها واعلة وقيل والعة وهذا هو المفعول الاول ومثلا المفعول الثانى حسبما قدمنا تحقيقه واما أخر ليتصل به ماهو تفسير له وايضاح لمعناه وترسم امرأت فى هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة ويوقف عليهن بالهاء والتاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام أى كانتا فى عصمة نكاحهما وهذه جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يؤت بضميرهما فيقال تحتهما لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة وفى ذلك مبالغة فى المعنى المقصود وهو ان الانسان لا ينفعه عادة الاصلاح نفسه لا صلاح غيره وان كان ذلك الغير فى أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى (فخانتاهما) أى فوقعت منهما الخيانة لهما قال ابن عباس ما بغت

الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر أو قاتله أنت ان أمرتك بقتله قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لاضربن عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس فاقبل أسيد بن حضير وهو أحد الانصار ثم أحد بني عبد الاشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاتله أنت ان أمرتك بقتله قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لاضربن بالسيف تحت قرط اذنيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آذنوا بالرحيل فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها فصبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ارسل الى عمر فدعاه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عمرا كنت قاتله لو أمرتك بقتله قال عمر نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو قتلته يومئذ لارغمت انوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس انى قد وقعت على أصحابي فاقتلهم صبرا وانزل الله عز وجل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة الآية وهذا سياق غريب فيه أشياء نفيسة لا توجد الا فيه وقال محمد بن اسحق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان عبد الله (٤٦٢) بن عبد الله بن ابي يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني اني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان الناس لما أحسن قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابوه عبد الله ابن أبي قال له ابنه وراءك فقال مالك ويلك فقال والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه العزيز وأنت الذليل فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انما يسير ساقة فشكا اليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اذ أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هرون المدني قال قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لابيه والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل قال وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد ان تقتل أبي فو الذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت ان آتيك برأسه لاتيتك فاني أكره ان أرى قاتل أبي (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقنا كم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن ان تشغلهم الاموال والاولاد عن ذلك ومخبرا لهم بانه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون انفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق في طاعته فقال وانفقوا مما رزقنا كم من قبل ان

امرأة نبي قط ورواه ابن عساكر مرفوعا عنه قال ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس انه مجنون واما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما وقال عكرمة والضحاك بالكفر وقد وقعت الادلة الاجماعية على انها ما زنت امرأة نبي قط وقيل كانت خيانتهما النفاق وقيل خانتاهما بالنميمة (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أى فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيأ من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله ونبوتهما شيأ من الدفع وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل) أى ويقال لهما في الآخرة أو عند موتهما (ادخلا النار مع الداخلين) لهما من أهل الكفر والمعاصي وقال يحيى بن سلام ضرب الله مثلا للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين تظاهرتا عليه وما

يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيأ يسيرا ليستعتب ويستدرك مافاته وهيهات كان ما كان وأتى ماهو آت وكل بحسب تفريطه أما الكفار فكما قال تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وقال تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد الى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى والله خبير بما تعملون وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبى عن الضحاك ابن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول ربى لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مائتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والبعير ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو ابن جناب الكلبى عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (٤٦٢) بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح وضعف أبو جناب الكلبى قلت ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة ابن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة فى العمر فقال ان الله لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة التغابن وهى مدنية)

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هرون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر

(بسم الله الرحمن الرحيم) يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) هذه السورة هى آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى له الملك وله الحمد أى هو المتصرف فى جميع الكائنات المحمود على جميع مايخلقه ويقدره وقوله تعالى وهو على كل شئ قدير أى مهما اراد كان بلا ممانع ولا مدافع ومالم يشأ لم يكن وقوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن أى هو الخالق لكم على هذه الصفة واراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى والله بما تعملون بصير ثم قال تعالى خلق السموات والارض بالحق أى بالعدل والحكمة وصوركم فأحسن صوركم أى أحسن أشكالكم

أحسن ما قال فان ذكر امرأتى النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشد أتم ارشاد ويلوح أبلغ تلويح الى ان المراد تخويفهما مع سائر امهات المؤمنين وبيان انهما وان كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فان ذلك لا يغنى عنهما من الله شيأ وقد عصمهما الله سبحانه عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم قيل انها اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون وانها من العمالقة وكانت ذات فراسة صادقة آمنت بموسى عليه السلام فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة والكلام فى هذا كالكلام فى المثل الذى قبله أى جعل الله حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم فى الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر فى الشدة وان وصلة

كقوله تعالى يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك وكقوله تعالى الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات الآية وقوله تعالى واليه المصير أى المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والارضية والنفسية فقال تعالى يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد) يقول تعالى مخبرا عن الامم الماضين وماحل بهم من العذاب والنكال فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل اى خبرهم وما كان من أمرهم فذاقوا وبال أمرهم أى وخيم تكذيبهم وردىء افعالهم وهو ماحل بهم فى الدنيا من العقوبة والخزى ولهم عذاب اليم أى فى الدار الآخرة مضاف الى هذا الدنيوى ثم علل ذلك فقال ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أى بالحجج والدلائل والبراهين فقالوا ابشر يهدوننا أى استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر وان يكون هداهم على يدى بشر مثلهم فكفروا وتولوا أى كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل واستغنى الله أى عنهم والله غنى حميد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٤٦٠) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) يقول تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملحدين انهم يزعمون انهم لا يبعثون قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم أى لتخبرن بجميع اعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها وذلك على الله يسير أى بعثكم ومجازاتكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقسم بربه عزوجل على وقوع المعاد ووجوده فالاولى فى سورة يونس ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية فى سورة سبا وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم الآية والثالثة هى هذه زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ثم قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا يعنى القرآن والله بما تعملون خبير أى فلا تخفى عليه من اعمالكم خافية وقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيامة سمى بذلك لانه يجمع فيه الاولون والآخرون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله تعالى ذلك يوم التغابن قال ابن عباس هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك ان أهل الجنة يغبنون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد وقال مقاتل بن حيان لاغبن أعظم من ان يدخل هؤلاء الى الجنة ويذهب بأولئك الى النار قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول تعالى مخبرا بما أخبر به فى سورة الحديد ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها وهكذا قال ههنا ما أصاب من مصيبة الا باذن الله قال ابن عباس بامر الله يعنى عن

الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون وقد كانت تحت اكفر الكافرين وصارت باايمانها بالله فى جنات النعيم وفيه دليل على ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان (اذ) ظرف لمثلا أو لضرب (قالت رب ابن لى عندك) حال من ضمير المتكلم أو من (بيتا) لتقدمه عليه وقوله (فى الجنة) بدل أو عطف بيان لقوله عندك أو متعلق بقوله ابن وقدم عندك هنا للاشارة الى قولهم الجار قبل الدار ومعناه مبتاقر يا من رحمتك أو فى اعلى درجات المقربين منك او فى مكان لا يتصرف فيه الا باذنك وهو الجنة (ونجنى من فرعون وعمله) أى من ذاته الخبيثة وشركه ومايصدر عنه من اعمال الشر وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه وعن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة وعن أبى هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها

قدره ومشيئته ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال الاعمش عن أبي ظبيان قال كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية ومن يؤمن بالله يهد قلبه فسئل عن ذلك فقال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول انا لله وانا اليه راجعون وفي الحديث المتفق عليه عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد الا للمؤمن وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح انه سمع جنادة بن أبي أمية يقول سمعت عبادة بن الصامت يقول ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي العمل افضل قال ايمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله قال أريد أهون من هذا يا رسول الله قال لا تتهم الله في شيء قضى لك به لم يخرجوه وقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه زجر ثم قال تعالى فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين أي ان نكلتم عن العمل فانما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم ثم قال تعالى مخبرا (٤٦٥) انه الاحد الصمد الذي لا اله غيره فقال تعالى الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فالاول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أي وحدوا الالهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا (يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) يقول تعالى مخبرا عن الازواج والاولاد ان منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى انه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ولهذا قال تعالى ههنا فاحذروهم قال ابن زيد يعني على دينكم وقال مجاهد ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه الا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا الفريابي حدثنا اسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث اسرائيل به وروي من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء وقوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم يقول تعالى انما الاموال والاولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وقوله تعالى والله عنده

وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الى قوله (ونجني من القوم الظالمين) ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته وقبض الله روحها قال الكلبي هم أهل مصر وقال مقاتل هم القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وديدن المؤمنين يوم الدين (و) ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران) أي حالها وصفتها فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين وتبيل التقدير اذ كر مريم والمقصود من ذكرها ان الله سبحانه جمع لها بين كرامتي الدنيا والآخرة واصطفاها على نساء العالمين مع كونها بين قوم كافرين (التي أحصنت) حفظت

أى يوم القيامة أجر عظيم كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب والتى بعدها وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به وقال الترمذى حسن غريب انما نعرفه من حديثه وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبى حدثنا الاشعث بن قيس قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة فقال لى هل لك من ولد قلت غلام ولد لى فى مخرجى اليك من ابنة جمد ولوددت ان بمكانه سبع القوم فقال لا تقولن ذلك فان فيهم قرة عين وأجرا اذا قبضوا ثم قال ولئن قلت ذلك انهم لمجبنة محزنة انهم لمجبنة محزنة تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبى عن عيسى عن ابن ابى ليلى عن عطية عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ثمرة القلوب وانهم مجبنة مبخلة محزنة ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد وقال الطبرانى حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس عدوك الذى ان قتلته كان نورا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذى لعله عدوك ولدك الذى خرج من صلبك ثم اعدى عدوك مالك الذى ملكت يمينك وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم أى جهدكم وطاقتكم كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم ان هذه الآية ناسخة للتى فى آل عمران وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنى يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى ابن لهيعة حدثنى عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الآية الاولى وروى عن أبى العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى واسمعوا وأطيعوا أى كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله لا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدى الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى وأنفقوا خيرا لانفسكم أى وابذلوا مما رزقكم الله على الاقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا الى خلق الله كما أحسن الله اليكم يكن خيرا لكم فى الدنيا والآخرة وان لا تفعلوا يكن شرا لكم فى الدنيا والآخرة وقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون تقدم تفسيره فى سورة الحشر وذكر الاحاديث الواردة فى معنى هذه الآية بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم أى مهما أنفقتم من شئ فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شئ فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت فى الصحيحين ان الله تعالى يقول من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم فى سورة البقرة فيضاعفه له أضعافا كثيرة ويغفر لكم أى ويكفر عنكم السيآت ولهذا قال تعالى والله شكور أى يجزى على القليل بالكثير

(فرجها) عن الفواحش وعن الرجال فلم يصل اليها رجل لا بنكاح ولا بزنا والمحصنة العفيفة وقد تقدم تفسير هذا فى سورة النساء قال المفسرون المراد بالفرج هنا الجيب لقوله (فنفخنا فيه من روحنا) المخلوق قبلنا وذلك ان جبريل نفخ فى جيب درعها أى طوق قميصها فحملت بعيسى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع فى ساعة واحدة والاسناد فى نفخنا مجازى أى فأسند الى الله من حيث انه الخالق والموجد وقيل المراد بالروح روح عيسى التى صار بها حيا فوصلت الى فرجها بواسطة نفخ جبريل واضافة الروح الى الله اضافة مخلوق لخالقه للتشريف (وصدقت بكلمات ربها) يعنى بشرائعه التى شرعها الله لعباده وقيل المراد بالكلمات عيسى وقيل صحفه التى أنزلها على ادريس وغيره قرأ الجمهور وصدقت بالتشديد وقرئ بالتخفيف وقرؤا بكلمات بالجمع وقرئ بكلمة بالافراد

حليم أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيآت عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم تقدم تفسيره غير مرة * آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة

بالافراد (وكتبه) قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمراد على الاول الجنس فيكون في معنى الجمع وهي الكتب المنزلة على الانبياء كابراهيم وموسى وابنها عيسى (وكانت من القانتين) قال قتادة من القوم المطيعين لربهم وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء ويجوز ان يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم وكانوا مطيعين أهل بيت صلاح وطاعة ولما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه وفيه اشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم ومن للتبعيض ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن قالت رب ابن لي عندك الآية أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر اوله سورة الملك)

(قال مصححه ولما وصلت درة هذا التفسير اليتيمة عالية المقدار غالية القيمة الى يد الاديب الفقيه واللبيب النبيه خائض بحار العلوم سحاب الفنون المركوم السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الامام المدرس بالمسجد الحرام خصه الله بمزيد الانعام انطلق يقرظ حسنها البديع وينوه بعظمة مكانها الرفيع فقال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يامن فتح ينابيع البيان بالاسرار القرآنية وفجر عيون التبيان بالأذكار الصمدانية وأظهر بدائع المعارف والحقائق وأشهر صنائع العوارف والدقائق وأضاء أنوار بدور العلوم وأشرق شموس الفهوم على كل صديق اختاره من عباده ونسب الحسن على التحقيق من عباده حتى أتاح له نشر ما انطوى من الفضل بين أعيان الأنام وأزاح عنه حجاب الجهل وأحيا به ما اندرس من مآثر الافاضل الأعلام لعليائك الحمد الذي يوافي نعمك ويكافىء مزيدك ولكبريائك الشكر الذي يليق بوافر امتنانك ويقضي بان أستزيدك وأبتهل اليك في أوقات الاستجابة وأتضرع اليك في اماكن الاجابة ان توالي صلات الصلوات وموصولات التسليمات على سيد العجم والعرب صاحب السيف والقلم واشرف من قرأ وكتب المستفيد من مدرسة وعلمك مالم تكن تعلم المنزل عليه في الذكر الحكيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وعلى آله وأصحابه واتباعه وأحزابه وعلى من انتمى اليهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين (أما بعد) فان العبد المأسوف الملتجئ الى حرم ربه الرؤف مغيث الملهوف المعروف بالمعروف لما نظر في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن) تأليف نخبة الافاضل خلاصة الأماثل

علامة العلماء والبحر الذي * لا ينتهي ولكل لج ساحل

العالم العلامة الكامل الفهامة أفضل المتبحرين اكمل المحررين صاحب المناصب العلية والمراتب السنية والمناقب المشهورة والفضائل المأثورة والاخلاق الزكية والسيرة المرضية الذي قرن بين الكمالات النفسية والرياضات الأنسية وجمع مع التوغل في نظم المصالح الدنيوية مراعاة الدقائق الدينية باسمه السامي ولقبه النامي تتباهى الاحساب وبذاته الملكية استغنى المادح عن الاطراء والاطناب

له مناقب تسري ماسرى قمر * وسيرة سارفيها أعدل السير

علم وحلم وعدل شامل ورتق * وعفة ونوال غير منحصر

خلائق في العلا لما سمت وغت * فاحت ولاحت لنا كالزهر والزهر

كامل الأصل داني الفضل وافره * بسيط نخل العطايا ...

مجدا في المعالي طال مطلبه * ملكتها عنوة بالحد ...

وان تفسر تحقق كل مشتبه * وسيف ذهنك شفاف على الطبرى
وليس يرفع رأسا سيبويه اذا * نصبت للنحو طرفا غير منكسر
ومن قديم زمان للحديث لقد * رقيت فى الحفظ والعليا الى الزهر

أعنى النواب عالى الجناب المفخم المهاب أبا الطيب (السيد محمد صديق بن حسن بن على القنوجى) اسبغ الله تعالى سجال محاسنه على العالمين وأدام افضال ميامنه على المسترشدين وهذا دعاء بالاجابة قرين فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين

حاز الكمال صبيا منذ مولده * وقام بالفضل طفلا قبل ينفصل
يمد نحو العلا والمكرمات يدا * خطوطها للمنايا والمنى سبل
يدا لى كل مصر من أناملها * ترى الايادى وفيها ينزل الامل
كأن خاتمه يوم النوال بها * قوس السحاب الغوادى حين ينهمل
نفس من القدس فى ذات مجردة * بالعرف جاز عليها يصدق الرجل

وحين سرح الطرف فى التأليف المذكور وتأمل فيما حوامن الجواهر التى تفوق جواهر النحور ودرر البحور وجده تفسيرا لم يسمح الدهر له بمثيل ولم يقدر مدع ان يأتى له بقبيل لو اطلع عليه ابو حيان لشهد بأنه الذى ظهر أوان فضله وحان ولو تأمل الزمخشرى فيما احتوى عليه لانعزل عن اعتزاله ورجع اليه ولو شاهده الغزالى لقال نعم هذا الغزل ولا يبالى ولو طالعه المفتى أبو السعود لقال يا لهذا الطالع المسعود ولو قرأ البغوى فرائده لشهد له بفائدة أى فائدة حتى انه لو فرض وقدر

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولو تخيلنا أمرا اوسعا

لئن قاسه بالآدرى مقاس * منعنا وقلنا الاسلم قطعا

اذ عباراته فى غاية الفصاحة وألفاظه فى نهاية الرشاقة والملاحة احتوت على افادة المعانى المتوافرة وانطوت على مبانى التفاسير المتكاثرة منها تم للت على وجنات الطباع السليمة لمعات الدقائق وتلألأت على صفحات الاذهان المستقيمة أنوار الحقائق * محصل ما انحصر لسان التحقيق وملخص ما حرره بنان التدقيق فالله ينفع به أهل الاسلام ويرقى مؤلفه مقصد الخواص والعلم بجاه د [illegible] من هو
للرسل [illegible] سلم
آمين

(فهرسة الجزء العاشر من فتح البيان)

(فهرسة الجزء العاشر من تفسير الحافظ ابن كثير)

(الجزء العاشر)

من التفسير المسمى فتح البيان

في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق

الهمام المؤيد من مولاه القدير البارى أبى الطيب صديق

ابن حسن القنوجى البخارى ملك مدينة بهوپال

حالا بالاقطار الهندية لازالت

كواكب فضله فى

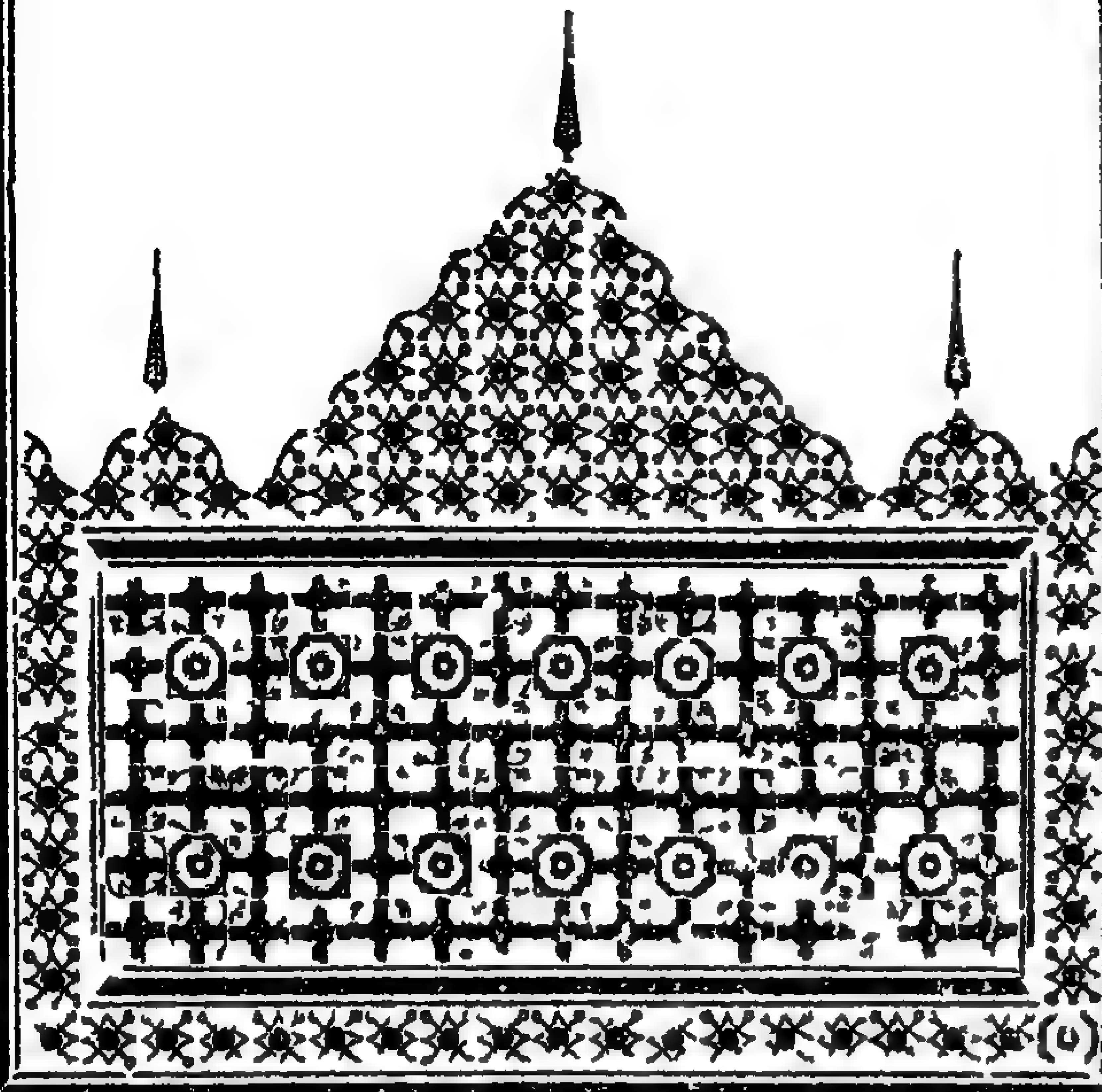
الآفاق زاهرة

مضيه

آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة سبعمائة وعشرة المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون

ـة وهي مدنية)*
ـحمن الرحيم)*
اذا طلقتم النساء
ـدتهن وأحصوا العدة
الله ربكم لاتخرجوهن من
ـن ولا يخرجن الا أن يأتين
ـحشة مبينة وتلك حدود الله
ـن يتعد حدود الله فقد ظلم
ـفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد
أمرا) خوطب النبي صلى الله
وسلم أولا تشريفا وتكريما
ـب الامة تبعا فقال تعالى
أيها النبي اذا طلقتم النساء
ـطلقوهن لعدتهن وقال ابن
ابي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد
الهباري ثنا أسباط بن محمد عن
ـعيد عن قتادة عن أنس قال طلق
ـول الله صلى الله عليه وسلم حفصة
ـت أهلها فانزل الله تعالى يا أيها
ـي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
ـدتهن فقيل له راجعها فانها
ـوامة قوامة وهي من أزواجك
ـائك في الجنة ورواه ابن جرير
ابن بشار عن عبد الاعلى عن
ـيد عن قتادة فذكره مرسلا
ورد من غير وجه أن رسول الله
ـي الله عليه وسلم طلق حفصة ثم
ـ ... وقال البخاري ثنا يحيى



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الملك)

وتسمى سورة تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة وهي ثلاثون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ماهي الا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والترمذي وقال هذا حديث حسن وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الآية أخرجه الطبراني

خديج وأبى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلت على سورة تبارك وهى ثلاثون آية جملة واحدة وهى المانعة فى القبور أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه قال لرجل الا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه الله من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها فى قلب كل انسان من أمتى أخرجه عبد بن حميد فى مسنده والطبرانى والحاكم وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) تبارك تفاعل من البركة والبركة النماء والزيادة وقيل تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وقيل دام فهو الدائم الذى لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه وقال الحسن تبارك تقدس وصيغة تفاعل للمبالغة واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمة وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الاولى والملك هو ملك السموات والارض الدنيا والآخرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من شاء وقيل الملك ملك النبوة وقيل الملك الامر والنهى والسلطان أى التمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيفما أراد قال الرازى الملك تمام القدرة واستحكامها والاول أولى لان الحمل على العموم أكثر مدحا وأبلغ ثناء ولا وجه للتخصيص (وهو على كل شئ قدير) أى بليغ القدرة لا يعجزه شئ من الاشياء يتصرف فى ملكه كيف يريد من انعام وانتقام ورفع ووضع واعطاء ومنع قال أبو السعود الجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وفى الكرخى لما اقترن الشئ بقوله قدير علم ان المراد منه المعدوم الذى يدخل تحت القدرة دون غيره (الذى خلق الموت والحياة) الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته له والحياة تعلق الروح بالبدن واتصاله به وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وقيل الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل المراد الموت فى الدنيا والحياة فى الآخرة وفيه بعد وقدم الموت على الحياة لان أصل الاشياء عدم الحياة والحياة عارضة لها وقيل لان الموت أقرب الى القهر وقال مقاتل خلق الموت يعنى النطفة والمضغة والعلقة والحياة يعنى خلقه انسانا وخلق فيه الروح وقيل

...ثم تحيض ثم تطهر ثم ان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر بها الله عز وجل هكذا رواه ههنا وقد رواه فى مواضع من كتابه ومسلم ولفظه فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء ورواه أصحاب الكتب والمسانيد ...رق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الاحكام وأمس لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم فى صحيحه من طريق ابن ...ج أخبرنى أبو الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى فى الرجل طلق امرأته حائضا ...طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو يمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن وقال الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله فى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال الطهر من غير جماع وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى وطلقوهن لعدتهن قال لا يطلقها وهى حائض ولا فى طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة فطلقوهن لعدتهن العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هى أم لا ومن ههنا أخذ الفقهاء احكام الطلاق وقسموه الى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها ... أن يطلقها فى حال الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا وطلاق ثالث لا سنة فيه ... وهو طلاق ... سنة وغير المدخول بها وتحرير الكلام فى ذلك وما يتعلق به مستقصى فى كتب الفروع والله سبحانه ... أعلم وقوله تعالى وأحصوا العدة أى احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الاز... أى فى ذلك وقوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ... العدة لها حق السكنى على الزوج ما دا... ولا يجوز لها أيضا الخروج لانها ... الزوج أيضا وقوله تعالى الا أن يأتين بفا...

مبينة أى لا يخرجن من بيوتهن الا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله
مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح
والضحاك وزيد بن اسلم وعطاء الخراساني والسدى وسعيد بن أبى هلال وغيرهم وتشمل ما اذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل
وآذتهم فى الكلام والفعال كما قاله أبى بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى وتلك حدود الله أى شرائعه ومحارمه
ومن يتعد حدود الله أى يخرج عنها ويتجاوزها الى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه أى بفعل ذلك وقوله تعالى لا تدرى
لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا أى
انما أبقينا المطلقة فى منزل الزوج
فى مدة العدة لعل الزوج يندم على
طلاقها ويخلق الله تعالى فى قلبه
رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل
قال الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله
عن فاطمة بنت قيس فى قوله تعالى
لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك
أمرا قالت هى الرجعة وكذا قال
الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك
ومقاتل بن حيان والثورى ومن
ههنا ذهب من ذهب من السلف
ومن تابعهم كالامام أحمد بن حنبل
رحمهم الله تعالى الى انه لا تجب
السكنى للمبتوتة أى المقطوعة
وكذا المتوفى عنها زوجها واعتمدوا
أيضا على حديث فاطمة بنت قيس
الفهرية حين طلقها زوجها أبو
عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات
وكان غائبا عنها باليمن فارسل اليها
بذلك فارسل اليها وكيله بشعير
يعنى نفقة فتسخطته فقال والله
ليس لك علينا نفقة فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس
عليه نفقة ولمسلم ولا سكنى
ها أن تعتد فى بيت أم شريك
تلك امرأة يغشاها أصحابى اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك الحديث وقد رواه حمد
حمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال ثنا يحيي بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس ...
ها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية قالت ... ا لى ...
فقلت ان لى نفقة وسكنى حتى يحل الاجل قال لا قالت فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
... السكنى والنفقة فقال ما لك ولا نفقة

خلق الموت على صورة كبش لا يمر على شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر بشئ الا حيى قاله مقاتل والكلبي وقد ورد فى التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وغير ذلك من الآيات وقال النسفى الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه أى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) أى ليعاملكم معاملة من يختبركم والا فعلمه محيط بكل شئ قال الشهاب الاختبار يقتضى عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالفتح فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية أو تبعية على تشبيه حالهم فى تكليفه تعالى لهم بتكاليفه وخلق الموت والحياة لهم واثابته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجربه لينظر طاعته وعصيانه فيكرمه أو يهينه (أيكم أحسن عملا) فيجازيكم على ذلك وقيل المعنى ليبلوكم ربكم أيكم أكثر ذكرا للموت وأحسن استعدادا وأشد منه خوفا وقيل أيكم أحسن عقلا وأسرع الى طاعة الله وأورع عن محارم الله وقيل أخلص عملا وأصوبه والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أزهد فى الدنيا وأترك لها والعموم أولى قال الزجاج اللام متعلقة بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفراء ان قوله ليبلوكم لم يقع على أى لان فيما بين البلوى وأى اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر أيكم أطوع ومثله قوله سلهم أيهم بذلك زعيم أى سلهم ثم انظر أيهم فايكم فى الآية مبتدأ وخبره أحسن لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يغالب ولا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب وأناب والستور الذى لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى) نعت لما قبله أو بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدا محذوف أو نصب على المدح (خلق سبع سموات) قيل الاولى من كذا والثانية من كذا الى السابعة ولم أقف على دليله من الكتاب العزيز والسنة المطهرة (طباقا) أى مطبقا بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وهو جمع طبق نحو جبل وجبال أو جمع طبقة نحو رحبة ورحاب أو مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى هذا الوصف بالمصدر للمبالغة أو على

الله صلى الله عليه وسلم انظري يابنت آل قيس انما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فاذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك وذكر تمام الحديث وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا اسحق بن ابراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي انه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت ان أبا عمرو بن حفص أرسل الي وهو منطلق في جيش الى اليمن بطلاقي (٥) فسألت أولياءه النفقة علي والسكنى فقالوا ما أرسل الينا في ذلك شيأ ولا أوصانا به فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أبا عمرو بن حفص أرسل الي بطلاقي فطلبت السكنى والنفقة علي فقال أولياؤه لم يرسل الينا في ذلك بشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان لزوجها عليها رجعة فاذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الاحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي هو شيخ روى عنه (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله [illegible] أمره قد جعل الله لكل شيء [illegible] يقول تعالى فاذا بلغن أجلهن أي شارفن العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ اما ان يعزم الزوج على امساكها وهو رجعتها الى عصمة نكاحها والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف أي محسنا اليها في صحبتها واما ان يعزم على مفارقتها بمعروف أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن وقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم أي على الرجعة اذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين انه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها
[illegible]

حذف مضاف أي ذات طباق أو طوبقت طباقا قال البقاعي طباق بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة ثانية لسبع سموات أو مستأنفة لتقرير ما قبلها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له ومن مزيدة لتأكيد النفي واضافة خلق الرحمن من اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف تقديره لهن أو لغيرهن قرأ الجمهور من تفاوت وقرئ تفوت مشددا بدون ألف وهما لغتان كالتعاهد والتعهد والتحامل والتحمل والمعنى من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف بل هي مستقيمة دالة على خالقها وان اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية وقال ابن عباس من تشقق وقيل من اضطراب وقيل من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا (فارجع البصر) أي اردد طرفك حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة أخبر أولا بانه لا تفاوت في خلقه ثم أمر ثانيا بترديد البصر في ذلك لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة (هل ترى من فطور) قال مجاهد والضحاك الفطور الصدوع والشقوق جمع فطر وهو الشق وقال قتادة هل ترى من خلل وقال السدي من خروق وأصله من التفطر والانفطار وهو التشقق والانشقاق وعن ابن عباس قال الفطور الوهي وعنه قال من تشقق وخلل (ثم ارجع البصر كرتين) أي رجعتين مرة بعد مرة وانتصابه على المصدر والمراد بالتثنية التكثير كما في لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد انما يريدون التكثير أي رجعة بعد رجعة وان كثرت واجابة لك بعد أخرى والا تناقض العرض ووجه الامر بتكرير النظر على هذه انه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الاولى ولا في الثانية ولهذا قال أولا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم قال ثانيا ثم ارجع البصر كرتين فيكون ذلك أبلغ في اقامة الحجة وأقطع للمعذرة وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي يرجع اليك البصر خاشعا متباعدا عن ان يرى شيأ من ذلك وقيل معنى خاسئا مبعدا مطرودا عن ان يبصر ما التمسه من العيب يقال خسأت الكلب أي أبعدته وطردته وقال ابن عباس خاسئا صاغرا ذليلا قرأ الجمهور ينقلب بالجزم جوابا للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (وهو حسير) أي كليل لا يرى شيأ قال ابن عباس أي منقطع وعنه قال عي مرتجع قال الزجاج

لا يجوز فى نكاح ولا طلاق ولا رجاع الا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل الا أن يكون من عذر وقوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أى هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد واقامة الشهادة انما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وانه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله فى الدار الآخرة ومن ههنا ذهب الشافعى فى أحد قوليه الى وجوب الاشهاد فى الرجعة كما يجب عنده فى ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول ان الرجعة لا تصح الا بالقول ليقع الاشهاد عليها وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من جهة لا تخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد انا كهمس ابن الحسن ثنا أبو السليل عن أبى ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب حتى فرغ من الآية ثم قال يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم قال فجعل يتلوها ويرددها على حتى نعست ثم قال يا أبا ذر كيف تصنع اذا أخرجت من المدينة قلت الى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال كيف تصنع اذا أخرجت من مكة قال قلت الى السعة والدعة الى الشام والارض المقدسة قال وكيف تصنع اذا أخرجت من الشام قلت اذا والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى قال أو خير من ذلك قلت أو خير من ذلك قال تسمع وتطيع وان كان عبدا حبشيا وقال ابن أبى حاتم ثنا أحمد بن منصور ارى ثنا يعلى بن عبيد ثنا زكريا امر عن شتير بن شكل قال دالله بن مسعود يقول (٦)

أى وقد أعيا من قبل أن يرى فى السماء خللا وهو فعيل بمعنى فاعل من الحسور وهو الاعياء يقال حسر بصره يحسر حسورا أى كل وانقطع ١ وبلغ الغاية فى الاعياء ولما فرغ سبحانه من تفاصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح شرع فى ذكر دلائل أخرى على تمام قدرته بعد تلك الدلائل فقال (ولقد زينا السماء الدنيا) ٢ أى القربى الى الارض من بقية السموات وهى التى يراها الناس (بمصابيح) أى بنجوم فصارت بهذه الزينة فى أحسن خلق وأكمل صورة وأبهج شكل والمجىء بالقسم لابراز كمال العناية والمصابيح جمع مصباح وسميت الكواكب مصابيح لانها تضىء كاضاءة السراج ففى الكلام استعارة تصريحية لان حقيقة المصباح كما فى المختار السراج وبعض الكواكب وان كان فى غير سماء الدنيا من السموات التى فوقها فهى تتراءى كأنها كلها فى السماء الدنيا لان اجرام السموات لا تمنع من رؤية ما فوقها مما له اضاءة لكونها اجراما صقيلة شفافة (وجعلناها رجوما للشياطين) هذه فائدة أخرى غير الفائدة الاولى وهى كونها زينة للسماء الدنيا والمعنى انها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع والرجوم جمع رجم بالفتح وهو فى الاصل مصدر أطلق على المرجوم به كما فى قولهم الدرهم ضرب الامير أى مضروبه أو المعنى ذات رجم وجمع المصدر باعتبار أنواعه وقيل ان الضمير فى جعلناها الى المصابيح على حذف مضاف أى جعلنا شهبها وهى نارها المقتبسة منها لا هى نفسها لقوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ووجه هذا ان المصابيح التى زين الله بها السماء الدنيا لا تزول عن مكانها ولا يرجم بها بل ينفصل شهاب عن الكوكب فيقتل الجنى أو يخبله كذا قال أبو على الفارسى جوابا لمن سأله كيف تكون المصابيح زينة وهى رجوم قال القشيرى وأمثل من قوله هذا ان نقول هى زينة قبل ان ترجم بها الشياطين قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر فمن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم وتعدى وظلم وقيل معنى الآية وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون قال أبو السعود ولا يساعده المقام (وأعتدنا لهم) أى للشياطين فى الآخرة بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب (عذاب السعير) هو النار الموقدة وأشد الحريق يقال سعرت النار فهى مسعورة (وللذين كفروا بربهم) من كفار بنى آدم أو من كفار الفريقين (عذاب جهنم

١ الشاعر نظرت اليها بالمحصب من منى * فعاد الى الطرف وهو حسير اه منه

٢ فى حاشية الكشاف ان قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح يكذب المنجمين والزاعمين علم الفلك فى قوله ... ض
...ات كقولهم ان زحل فى السابعة والمشترى فى السادسه والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة ... ذ فى
...د فى الثانية والقمر فى الدنيا وهذا من واضحات علمهم بزعمهم فغيره أكذب منه وكان البيضاوى يتعاضى ...رفة
الايشاف ... كون بعض النجوم مركوزا فى سموات فوق هذه وتقدم له فى البقرة انه اذا ضم العـ...
الاة لا لة ثمانية انتهى وتمام البحث حققناه فى هداية ... ا الـ ...

ان أجمع آية فى القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... يجعل له من ... جا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وفى المد
مهدى بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم ... وهى ... ن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد ا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أ... كثر ... جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
لا يحتسب وقال على بن أبى طلحة عن ابن ... يتق الله يجعل له مخرجا يقول ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة
حيث لا يحتسب وقال الربيع بن خثيم مخرجا أى من كل شئ ضاق على (٧) الناس وقال عكرمة من طلق

يجعل له مخرجا وكذا
عباس والضحاك و
ومسروق ومن يتق
مخرجا يعلم ان ا
وان شاء منع م
أى من حيث ا
ومن يتق الله
من شبهات ال...
الموت ويرزقه ...
من حيث لا ...
السدى و...
ويراجع
من أصحـ...
عليه و...
الاشجع...
أسروا ...
رسول ا...
فيشـ...
التـ...
الله
يا ا...
لل...

جهنم وبئس المصير) أى ما يصيرون اليه وهو جهنم (اذا ألقوا) أى طرحوا (فيها) كما يطرح الحطب فى النار (سمعوا لها شهيقا) أى صوتا منكرا كصوت الحمير عند أول نهيقها وهو أقبح الاصوات ... وتشهيقة البغل للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف وقوله لها فى محل ... الحال اى كائنا لها لانه فى الاصل صفة فلما تقدمت صارت حالا وقال عطاء الشهيق من الكفار عند القائهم فى النار (وهى تفور) أى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أى تميز يعنى تتقطع (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة استعارة لشدة غليانها بهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار وقال ابن عباس تميز أى تتفرق ويفارق بعضها بعضا وقرأ الجمهور تميز بتاء واحدة مخففة والبزى بتاءين على الاصل وبتشديدها بادغام احداهما فى الاخرى وقرئ تمايز وتمايز وتميز من ماز يميز (كلما ألقى فيها فوج) مستأنفة لبيان حال أهلها والفوج الجماعة من الناس أى كلما ألقى فى جهنم جماعة من الكفار (سألهم) أى الفوج والجمع باعتبار معناه (خزنتها) من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم) فى الدنيا (نذير) ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه (قالوا بلى) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قالوا بعد هذا السؤال فقال قالوا بلى (قد جاءنا) أى جاء كلا منا (نذير) فانذرنا وخوفنا وأخبرنا بهذا اليوم أو هذا من كلام الفوج وكل فوج له نذير فلا يحتاج الى التأويل وهذا اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وجمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المفاد به تأكيدا اذ لو اقتصروا على بلى لفهم المعنى ولكنهم صرحوا بالمفاد بلى تحسرا وزيادة تندم فى تفريطهم وليعطفوا عليه قولهم (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه علينا من الآيات افراطا فى التكذيب (ما نزل الله) على أحد (من شئ) من الاشياء فضلا عن ... الآيات على ألسنتكم من الوعد والوعيد وغيرهما (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى فى ... ب عن الحق وبعد عن الصواب وخطأ عظيم لا يقادر قدره وهذا يحتمل أن يكون من ... الكفار للنذر وأن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال ... أو سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة وهذا يسمى

... ويرزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن جرير وروى أيضا من طريق
... عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبى الجعد عن ثوبان
... ه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر ورواه ال...
... شجعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ا...
... قول لا حول ولا قوة الا بالله

...ناقة لهم فركبها وأقبل فإذا بسرح القوم الذين ... عزوجل الآن بكم ... ها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه عوف ورب الكعبة فقالت أمه واسوأتاه وعوف كيف يقدم ... لمة الشهادة فابتدرا ... القد فاستبقا الباب والخادم فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله ... أحد قوله ... عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ... لا تصنع ... حيث وما كنت صانعا بمالك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (٨) رواه ابن أبي حاتم وفيما أمر ... حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي ابن الحسن بن سفيان ثنا ابراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا الليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس انه حدثه انه ... ب خلف رسول الله صلى الله ... وسلم يوما فقال له رسول الله ... الله عليه وسلم يا غلام اني ... ات احفظ الله يحفظك ... تجده تجاهك وإذا سألت ... استعنت فاستعن ... جتمعوا على ... الا بشيء قد ... جتمعوا على ... الا بشيء ... الأقلام ... لترمذي ... وابن ... قال

المشاكلة في علم البيان وأن يكون من كلام الرقيب ... وقد حكوه الخزنة والاحتمال الأول هو الذي استظهره جمهور المفسرين ثم ... مقالة أخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال (وقالوا لو كنا نسمع) ما خاطبنا به الرسل ... شيئا من ذلك (ما كنا في أصحاب السعير) أي في عداد أهل النار ... السعير وهم الشياطين كما سلف قال الزجاج لو كنا نسمع سماع من يعي أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملتزمتان فلما اعترفوا هذا الاعتراف قال الله سبحانه (فاعترفوا بذنبهم) أي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الأنبياء (فسحقا لأصحاب السعير) أي فبعدا لهم من الله ورحمته قال ابن عباس سحقا بعدا وقال سعيد بن جبير وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق قرأ الجمهور سحقا بإسكان الحاء وقرئ بضمها وهما لغتان مثل السحت والرعب وسحقا منصوب على المفعول به أي ألزمهم الله سحقا وقال الزجاج وأبو علي الفارسي منصوب على المصدر أي أسحقهم الله سحقا وقال أبو علي الفارسي كان القياس إسحاقا فجاء المصدر على الحذف واللام في لأصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ولما فرغ سبحانه من ذكر أحوال أهل النار شرع في ذكر أحوال أهل الجنة فقال (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أو من المفعول أي غائبين عنه أو غائبا عنهم والمعنى انهم يخشون عذابه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه ويجوز أن يكون المعنى يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن أعين الناس وذلك في خلواتهم فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى أو المراد بالغيب كون العذاب غائبا عنهم لأنهم في الدنيا وهو إنما يكون يوم القيامة والباء على هذا سببية قال ابن عباس في الآية هم أبو بكر وعمر وعلي وأبو عبيدة بن الجراح أخرجه ابن مردويه (لهم مغفرة) عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره وهو الجنة ومثل هذه الآية قوله من خشي الرحمن بالغيب وظاهر الآية العموم ثم عاد سبحانه الى خطاب الكفار فقال (وأسروا قولكم أو اجهروا به) مستأنفة مسوقة لبيان تساوي الإسرار والجهر بالنسبة الى علم الله سبحانه والمعنى ان أخفيتم كلامكم أو جهرتم به في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان

... سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود ... شمول
... لم من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا ان لا تسهل حاجته ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله
... د الرزاق عن سفيان عن بشر عن سيار أبي حمزة ثم قال وهو الصواب وس...
... أمره أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاء قد
... ئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعـ...

الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله انزله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون
ويعظم له أجرا) يقول تعالى مبينا العدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها انها ... حملهن ورواه ابن جرير من طريق
في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كه الاعلى عن خالد بن الحرث عن ابن
[illegible]
[illegible] (٦) [illegible] وأولات الاحمال أجلهن

أن يرو[illegible] حملهن الا بعد آية المتوفى
[illegible]بير وهو قال واذا وضعت المتوفى
[illegible]طهر في المعنى فقد حلت يريد بآية
عن أبي كريب وممن يتوفون منكم
ثنا ابن ادريس [illegible]بصن بأنفسهن
عمرو بن سالم قال قال ابا[illegible] وقد رواه
يا رسول الله ان عددا من عد[illegible]
لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار
وأولات الاحمال قال فانزل الله عز
وجل واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات
الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن
ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا
السياق فقال ثنا أبي ثنا يحيى بن
المغيرة انا جرير عن مطرف عن
عمرو بن سالم عن أبي بن كعب قال
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ناسا من أهل المدينة لما أنزلت
هذه الآية التي في البقرة في عدة
النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء
عدد لم يذكرن في القرآن الصغار
والكبار اللائي قد انقطع منهن
الحيض وذوات الحمل قال فانزلت
التي في النساء القصرى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن
أن يضعن حملهن يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول جمهور العلماء
من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية وقد روى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم
انهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها انها تعتد بأبعد الاجلين من الوضع والاشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخاري
ثنا سعد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال جاء رجل الى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال افتني في امرأة

شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به
مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل
وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر
اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه
تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله (انه عليم بذات الصدور)
تعليل للاستواء المذكور وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة مالا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها
أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب
التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها (ألا
يعلم) الاستفهام للانكار والمقصود نفي عدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر والمعنى ألا
يعلم السر ومضمرات القلوب (من خلق) ذلك وأوجده فالموصول عبارة عن الخالق
ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق وفي يعلم ضمير يعود الى الله أي ألا يعلم الله المخلوق الذي
هو من جملة خلقه فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه اثبات
خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر
ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا النفي خلق الافعال
(وهو اللطيف الخبير) أي الذي لطف علمه بما في القلوب الخبير بما تسره وتضمره من
الامور لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم امتن سبحانه على عباده فقال (هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا) أي سهلة لينة مذللة تستقرون عليها منقادة لما تريدون منها من مشي عليها
وزرع وحبوب وغرس وغير ذلك ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون والمشي
عليها والذلول في الاصل هو المنقاد الذي يذل لك ولا يستصعب عليك والمصدر الذل وتقديم
لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر
فان ما حقه التقدم اذا أخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع
المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن (فامشوا
في مناكبها) استدلالا واسترزاقا والفاء لترتيب الامر بالمشي على الجعل المذكور والامر

ثناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين ...

أبوه عوف ورب الكعبة فقالت أمه واس عس آخر الاجلين قلت أنا وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن قال أبو هريرة أنا مع

الفناء ابلا فقص على أبيه أمره وأمر من غلامه كريبا الى أم سلمة يسألها فقالت قتل زوج سبيعة الاسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته

عليه وسلم فاخبره بخبر عوف وخبر الا بول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا

يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيـ كتاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الامام أحمد ثنا حماد بن أسامة انا هشام عن أبيه عن

ابن الحسن بن سفيان ثنا ابراهيم ة توفي عنها (١٠) زوجها وهي حامل فلم تمكث الا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها

الاشعث ثنا الفضيل بن ع الله ح فاذن لها

عن هشام بن الحسن عن ورواه البخاري

حصين قال قال رسوا بوداود والنسائي

الله عليه وسلم من ا طرق عنها كما قال

كفاه الله كل مؤنة و ج حدثني أبو الطاهر

لا يحتسب و ب حدثني يونس بن يزيد

عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباه كتب الى عمر بن عبد الله بن الارقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحرث الاسلمية يسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استفتته فكتب عمر ابن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها مالي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح انك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدا لي هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الاول عند هذه الآية وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الاجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحرث عن عبد الله بن عتبة قال فضمز لي بعض أصحابي قال محمد ففطنت له فقلت اني لجرىء ان أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته

للاباحة قال مجاهد والكلبي ومقاتل مناكبها طرقها واطرافها ونواحيها وجوانبها وقال قتادة وشهر بن حوشب مناكبها جبالها وقيل فجاجها وبه قال ابن عباس وقال أيضا اطرافها وأصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل ومنه الريح النكباء لانها تأتي من جانب دون جانب (وكلوا من رزقه) أي مما رزقكم وخلقه لكم والتمسوا من نعم الله تعالى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المؤمن المحترف أخرجه الطبراني وابن عدي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي (واليه) لا الى غيره (النشور) من قبوركم للجزاء فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم فبالغوا في شكر نعمه وآلائه وفي هذا وعيد شديد ثم خوف سبحانه الكفار فقال (أأمنتم من في السماء) قال الواحدي قال المفسرون يعني عقوبة من في السماء وقيل من في السماء عرشه وقدرته وسلطانه أي محل سلطانه ومحل قدرته وهو العالم العلوي وخص بالذكر وان كان كل موجود محلا للتصرف فيه ومقدورا له تعالى لان العالم العلوي أعجب وأغرب فالتخويف به أشد من التخويف بغيره وقيل الملائكة وقيل المراد جبريل وقيل هو الله سبحانه وهو الحق لان ظاهر النظم القرآني يقتضي ان الباري تعالى فوق السماء وفي بمعنى على والمعنى من ثبت واستقر في السماء أي على العالي وهو العرش قرأ الجمهور أأمنتم بهمزتين وقرئ بالتخفيف وبقلب الاولى واوا وقوله (أن يخسف بكم الارض) بدل اشتمال من الموصول أي أأمنتم خسفه أو على حذف من أي من ان يخسف والمعنى يقلبها متلبسة بكم كما فعل بقارون بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها (فاذا هي تمور) أي تضطرب وتتحرك بكم على خلاف ما كانت عليه من السكون والاطمئنان وقيل تهوي بهم وقيل تجيء وتذهب والاول أولى قال الرازي ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فتنقلب فوقهم وتخسفهم الى أسفل سافلين ثم كرر سبحانه التهديد لهم بوجه آخر فقال (أم أمنتم) اضراب عن التهديد بما ذكروا انتقال الى التهديد بوجه آخر أي بل أأمنتم (من في السماء) وهو الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على علوه ومباينته عن خلقه باستوائه على عرشه (أن يرسل عليكم حاصبا) أي حجارة من السماء كما أرسلها على قرية قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل سحاب فيها حجارة وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها والكلام فيه كالكلام في أن يخسف بكم الارض

فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت من عبد الله فيها شيأ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة واسمعيل بن علية عن أيوب به مختصرا ورواه النسائى فى التفسير عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد بن الحرث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره وقال ابن جرير حدثنى زكريا بن يحيي بن أبان المصرى ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا محمد بن جعفر حدثنى ابن شبرمة الكوفى عن ابراهيم عن علقمة بن قيس ان عبد الله بن مسعود قال من شاء (١١) لاعنته ما نزلت وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن الا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال واذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية المتوفى عنها والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقد رواه النسائى من حديث سعيد بن أبى مريم به ثم قال ابن جرير ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا اسمعيل ابن أبى خالد عن الشعبى قال ذكر عند ابن مسعود آخر الاجلين فقال من شاء قاسمته بالله ان هذه الآية التى فى النساء القصرى نزلت بعد الاربعة الاشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها وقال ابن ابى حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطى ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضى الله عنه يقول آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان التى فى النساء القصرى نزلت بعد البقرة وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى معاوية عن الاعمش وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى محمد بن أبى بكر المقدمى أنا عبد الوهاب الثقفى حدثنى المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

الارض فهو اما بدل اشتمال أو بتقدير من (فستعلمون) عند معاينة العذاب ١ (كيف نذير) أى انذارى بالعذاب أى انه حق قاله المحلى وقيل النذير هنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله عطاء والضحاك والمعنى ستعلمون رسولى وصدقه والاول أولى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة وأصحاب الرس وقوم فرعون والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بما أصبتهم به من العذاب الفظيع وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) الهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر أى أغفلوا ولم ينظروا ولم يروا وأجمع القراء على قراءته بياء الغيبة لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما فى النحل ففيه الغيبة والخطاب (الى الطير) جمع طائر ويقع على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتأنيثها أكثر من تذكيرها ولا يقال للواحد طير بل طائر وقلما يقال للانثى طائرة (فوقهم) فى الهواء (صافات) حال أى صافة لاجنحتها فى الهواء والجو وتبسطها عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن الى جنوبهن اذا ضربن بها حينا فحينا للاستظهار والاستعانة على التحرك والطيران قال النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها قابض كأنه يقبضها وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات كما قال صافات لان القبض يتجدد تارة فتارة وأما البسط فهو الاصل كذا قيل وقيل المعنى قبضهن لاجنحتهن عند الوقوف من الطيران لا قبضها فى حال الطيران (ما يمسكهن الا الرحمن) حالية أو مستأنفة لبيان كمال قدرة الله سبحانه والثانى أظهر والمعنى انه ما يمسكهن فى الهواء عن الوقوع عند الطيران الا الرحمن القادر على كل شئ والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك (انه بكل شئ بصير) لا يخفى عليه شئ كائنا ما كان يعلم كيف يخلق الغرائب وكيف يدبر العجائب فبصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والالتفات عن الغيبة الى الخطاب للتشديد فى ذلك التبكيت والمعنى أنه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله والجند الحزب والمنعة قرأ الجمهور أمن بتشديد الميم على

---

١ قال الحفناوى ظاهر السياق ان المراد العذاب الموعود به وهو خسف الارض وكذا فى قوله الآتى فكيف كان نكير فمقتضى ان كفار مكة قد خسف بهم ورموا بالاحجار مع انهم لم يقع لهم ذلك فان قيل المراد بقوله فستعلمون الخ التخويف بعذاب الآخرة قلنا يصير فى الكلام نوع تفكيك خصوصا وقد قال أبو السعود أى بانذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ انتهى وهذا يقتضى ان الكلام فى العذاب المخوف به وقد علمت ما فيه ولم نر من الشراح من نبه على هذا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها فقال هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها هذا حديث غريب جدا بل منكر لان في اسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمناني ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب انه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أمشتركة أم مبهمة قال رسول الله صلى (١٢) الله عليه وسلم أية آية قال أجلهن أن يضعن حملهن المتوفى عنها والمطلقة قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن بن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن اسمعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق انه حدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن قال أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيا وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى ذلك أمر الله أنزله اليكم أي حكمه وشرعه أنزله اليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) يقول تعالى آمرا عباده اذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال أسكنوهن من حيث سكنتم أي عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة ان لم تجد الا جنب بيتك فأسكنها فيه وقوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال يطلقها فاذا بقي

ادغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى بل ولا سبيل الى تقدير الهمزة بعدها كما هو الغالب في تقدير أم المنقطعة ببل والهمزة لان ما بعدها ههنا من الاستفهامية فاغنت عن ذلك التقدير ومن الاستفهامية مبتدأ واسم الاشارة خبره والموصول مع صلته صفة اسم الاشارة وينصركم صفة لجند ومن دون الرحمن في محل نصب على الحال من فاعل ينصركم والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوزا نصر الرحمن (ان الكافرون الا في غرور) معترضة مقررة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال والالتفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والمعنى ما الكافرون الا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به (أمن) تكتب أم موصولة في من وكذا يقال فيما تقدم (هذا الذي يرزقكم) الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله أي من الذي يدر عليكم الرزق من المطر وغيره (ان أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر بل لو كان الرزق موجودا كثيرا سهل التناول فوضع الآكل لقمة في فيه فامسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات والارض عن ان يسوغوا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان أمسك رزقه فمن يرزقكم غيره وقوله (بل لجوا في عتو ونفور) ينبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا لذلك ولم يذعنوا للحق بل تمادوا في عناد واستكبار عن الحق ونفور عنه ولم يعتبروا ولا تفكروا قال الرازي واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه والعتو العناد والطغيان والنفور الشرود وقال ابن عباس في عتو ونفور أي في ضلال (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى) مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب والمنكب الساقط على وجهه يقال كببته فاكب وانكب وقيل هو الذي يكب رأسه فلا ينظر يمينا ولا شمالا ولا اماما فهو لا يأمن العثور والانكباب على وجهه وقيل أراد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا يزال

مشيه

سر يوما براجعها وقوله تعالى وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن ان كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل ان الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وانما نص على الانفاق على الحامل وان كانت رجعية لان الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج الى النص على وجوب الانفاق الى الوضع لئلا يتوهم انها تجب النفقة بمقدار مدة العدة ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل ام للحمل وحده على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع (١٣) عليها مسائل مذكورة في علم الفروع وقوله تعالى فان أرضعن لكم أي اذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ ان ترضع الولد ولها ان تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالبا الا به فان أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وقوله تعالى وائتمروا بينكم بمعروف أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وقوله تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى أي وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل الى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الام بما استؤجرت به الاجنبية فهي أحق به وقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها اذا هو أخذها فما لبث أن لبس اللين من الثياب وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا هاشم بن يزيد الطبراني ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي

مشيه ينكسه على وجهه والمكب اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكبه يقال كبه الله على وجهه في النار فأكب أي سقط وهذا على خلاف القاعدة من ان الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا قد دخلت على المتعدي فصيرته لازما قال قتادة هو الكافر يكب على معاصي الله سبحانه في الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه والهمزة للاستفهام الانكاري والمعنى هل هذا الذي يمشي على وجهه أهدى الى المقصد الذي يريده (أمن يمشي سويا) قائما معتدلا ناظرا الى ما بين يديه سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) أي على طريق مستو لا اعوجاج به ولا انحراف فيه قال ابن عباس مكبا في الضلالة وسويا مهتديا قيل يعني بالمكب أبا جهل وبالسوي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بمن يمشي مكبا من يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة وهو كقول قتادة الذي ذكرناه ومثله قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم وخبر من محذوف لدلالة خبر من الاولى وهو أهدى عليه وقيل لا حاجة الى ذلك لان من الثانية معطوف على من الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد قائم أم عمرو ووحد الخبر لان أم لاحد الشيئين (قل) لهم يا أشرف الخلق مذكرا لهم بما دفع عنهم المولى من المفاسد وجمع لهم من المصالح ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من الاحوال الا عليه (هو الذي أنشأكم) انشاء بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا به آيات الله وتتمسكوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها (والابصار) لتبصروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله عز وجل ووجه افراد السمع مع جمع الابصار انه مصدر يطلق على الكثير والقليل وقد قدمنا بيان هذا في مواضع مع زيادة البيان (والافئدة) لتفكروا بها في مخلوقات الله وآياته التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة وخصها بالذكر لانها آلات العلم وذكر الله سبحانه ههنا انه قد جعل لهم ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات ايضاحا للحجة وقطعا للمعذرة وذما لهم على عدم شكر نعم الله ولهذا قال (قليلا ما تشكرون) أي باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد التقليل أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا فالقلة على ظاهرها وقيل أراد بالقلة الشكر عدم وجوده منهم ان كان الخطاب للكفرة قال مقاتل يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه عن ابن عباس قال قال

مالك الأشعري واسمه الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته هذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وعد منه تعالى ووعده حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى فإن مع العسر يسرا وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم (١٤) ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم أبشر أتانا رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغي إن كان عندك شيء قالت نعم هنية ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه الطول قال ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به فإني قد بلغت وجهدت فقالت نعم الآن ننضج التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحييها يطحنان فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد صلى الله عليه وسلم لو أخذت ما في رحييها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة وقال في موضع آخر ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته أحزنها ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدي شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرأ هذه الآية هو الذي أنشأكم إلى قوله تشكرون أخرجه الخطيب في تاريخه وابن النجار وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرأ هاتين الآيتين سبع مرات هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع إلى قوله يفقهون وهو الذي أنشأكم إلى تشكرون فإنه يبرأ بإذن الله أخرجه الدارقطني في الأفراد

(قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخبرهم أن الله هو الذي خلقهم في الأرض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهرها وبثهم وأنشأهم بعدما كانوا كالذر وإن حشرهم إليه للجزاء لا إلى غيره اشتراكا واستقلالا فابنوا أموركم على ذلك ثم ذكر سبحانه أنهم يستعجلون العذاب فقال (ويقولون) من فرط عتوهم استهزاء وسخرية وتكذيبا (متى هذا الوعد) الذي تذكرون من الحشر والقيامة والنار والعذاب (إن كنتم صادقين) في ذلك والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين لأنهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف والتقدير إن كنتم صادقين فأخبرونا به أو فبينوا وقته لنا ثم لما قالوا هذا القول أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب عليهم فقال (قل إنما العلم) أي إن وقت قيام الساعة علمه (عند الله) لا يعلمه غيره ومثله قوله إنما علمها عند ربي ثم أخبرهم أنه مبعوث للإنذار لا للإخبار بالغيب فقال (وإنما أنا نذير مبين) أي أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه بإقامة الأدلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه ثم ذكر سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال (فلما رأوه زلفة) الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ وزلفة مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو حال من المفعول أو ذا زلفة وقرب أو رأوه في مكان ذا زلفة قال مجاهد أي قريبا وقال الحسن عيانا وأكثر المفسرين على أن المراد عذاب الآخرة يوم القيامة وقال مجاهد المراد عذاب بدر وقيل رأوا ما وعدوا به من الحشر قريبا منهم كما يدل عليه قوله وإليه تحشرون وقيل لما رأوا أعمالهم السيئة قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعلتها الكآبة والقترة وغشيتها الذلة والسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا قبح والأصل ساء وجوههم العذاب ورؤيته أي

آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالامم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى وكاين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله أى تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا أى منكرا فظيعا فذاقت وبال أمرها أى غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا أى (١٥) فى الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب فى الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء فاتقوا الله يا أولى الالباب أى الافهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الالباب الذين آمنوا أى صدقوا بالله ورسله قد أنزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات قال بعضهم رسولا منصوب على انه بدل اشتمال وملابسة لان الرسول هو الذى بلغ الذكر وقال ابن جرير الصواب ان الرسول ترجمة عن الذكر يعنى تفسيرا له ولهذا قال تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات أى فى حال كونها بينة واضحة جلية ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور كقوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقال تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والعلم وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم الله الذى خلق سبع سموات كقوله تعالى [illegible]

حزنها وساءت هنا ليست هى المرادفة لبئس والمقام للضمير وأتى بالمظهر توصلا لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به قال الزجاج المعنى تبين فيها السوء أى ساءهم ذلك العذاب فظهر عليهم بسببه فى وجوههم ما يدل على كفرهم كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قرأ الجمهور سيئت بكسر السين بدون اشمام وقرئ بالاشمام (وقيل) لهم توبيخا وتقريعا (هذا) المشاهد الحاضر من العذاب هو العذاب (الذى كنتم به تدعون) فى الدنيا أى تطلبونه وتستعجلون به استهزاء على ان معنى تدعون الدعاء قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعاء أى تتمنون وتسألون وبهذا قال الاكثر من المفسرين وقال الزجاج تدعون الاباطيل والاحاديث وقيل معنى تدعون تكذبون هذا على قراءة الجمهور تدعون بالتشديد فهو اما من الدعاء كما قال الاكثر أو من الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه والمعنى انهم كانوا يدعون انه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار وقرئ تدعون مخففا ومعناها ظاهر وهى مؤيدة للقول بانها من الدعاء قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية قال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما تقول قدر واقتدر وغدى واغتدى الا أن افتعل معناه مضى شيأ بعد شئ وفعل يقع على القليل والكثير (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) بموت أو قتل كقوله وان امرؤ هلك أو بالعذاب (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير ذلك الى أجل أو لم يعذبنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى فمن يمنعهم ويؤمنهم من العذاب والمعنى انه لا ينجيهم من ذلك أحد سواء أهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونه أو أمهلهم وقيل المعنى انا مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وبيان انه السبب فى عدم نجاتهم وتعليل نفى الاجارة به وأرأيتم بمعنى اخبرونى كما ذكره بعض المفسرين وانها اذا كانت كذلك تنصب مفعولين الاول مفرد والثانى جملة استفهامية ولا شئ منهما هنا فكأن الجملة الشرطية سدت مسد المفعولين وقوله فمن يجير الخ جواب الشرط وفى تسببه على الشرط بعد ويمكن أن يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لانكم لا مجير لكم من عذاب الله (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها (آمنا به) وحده لا نشرك به شيأ لما علمنا أن كل ما سواه [illegible]

عن نوح أنه قال لقومه ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وقوله تعالى ومن الارض مثلهن أى سبعا أيضا كما ثبت فى الصحيحين من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وفى صحيح البخارى خسف به الى سبع أرضين وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه فى أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الارض ولله الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند وقد تقدم فى سورة الحديد عند قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن (١٦) ذكر الارضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا فى الحديث الآخر ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمى الاشعرى عن جعفر ابن أبى المغيرة الخزاعى عن سعيد ابن جبير قال قال رجل لابن عباس الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك ان أخبرتك بها فتكفر وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى هذه الآية الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال عمرو قال فى كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق وقال ابن المثنى فى حديثه فى كل سماء ابراهيم وروى البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات هذا الاثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعى أنا على بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس انه قال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى ثم رواه البيهقى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى قول الله عز وجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال فى كل أرض

(وعليه) لا على غيره (توكلنا) أى فوضنا الامور اليه عز وجل لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وفى هذا تهديد شديد مع اخراج الكلام مخرج الانصاف قرأ الجمهور فستعلمون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر ثم احتج سبحانه عليهم ببعض نعمه وخوفهم سلب تلك النعمة عنهم فقال (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم) الذى تعدونه فى أيديكم كما نبهت عليه الاضافة (غورا) أى غائرا فى الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها أو صار ذاهبا فى الارض الى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء يقال غار الماء غورا أى نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل وقد تقدم مثل هذا فى سورة الكهف وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون قال ابن عباس غورا داخلا فى الارض وعنه يرجع فى الارض (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء وقيل هو من معن الماء اذا كثر وقال قتادة والضحاك أى جار وقد تقدم معنى المعين فى سورة المؤمن وقرأ ابن عباس بماء عذب وعنه قال بماء معين أى الجارى وعنه قال معين ظاهر وعنه قال عذب والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر قال المحلى ويستحب أن يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد فى الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته

(سورة نون)

وتسمى سورة القلم ثنتان وخمسون آية وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة ان من أولها الى قوله على الخرطوم مكى ومن بعد ذلك الى قوله أكبر لو كانوا يعلمون مدنى ومن بعد ذلك الى قوله فهم يكتبون مكى ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين مدنى وباقيها مكى كذا قال الماوردى وعن ابن عباس قال كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم نون ثم المزمل ثم المدثر وعنه نزلت نون بمكة وعن عائشة مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) قرئ بادغام النون الثانية من هجائها فى الواو وقرئ بالاظهار وبالفتح على اضمار فعل وبكسرها

نحو ابراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابى الضحى عليه متابعا والله أعلم قال الامام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشي فى كتابه التفكر والاعتبار حدثنى اسحق بن حاتم المدائنى ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبى دهرس قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرض بيضاء نورها بياضها أو قال بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا (١٧) الله طرفة عين قط قالوا فاين الشيطان عنهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لم يخلق قالوا أمن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبى دهرس ذكره ابن أبى حاتم فى كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبى العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفى وابن المبارك سمعت أبى يقول ذلك آخر تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة التحريم وهى مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى (٣ - فتح البيان عاشر) ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) اختلف فى سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت فى شأن مارية لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها فنزل قوله تعالى يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك الآية قال أبو عبد الرحمن النسائى أخبرنا ابراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك الى آخر الآية وقال ابن جرير حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى

وبكسرها على اضمار القسم أو لاجل التقاء الساكنين وبضمها على البناء عن ابن عباس انه قال نون الدواة أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النون السمكة التى عليها قرار الارضين وقال مجاهد والسدى ومقاتل هو الحوت الذى يحمل الارض وبه قال مرة الهمدانى وعطاء الخراسانى والكلبى وقيل ان نون آخر حرف من حروف الرحمن وقال ابن زيد هو قسم أقسم الله به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقال عطاء وأبو العالية هى النون من نصر وناصر وقال محمد ابن كعب أقسم الله بنصره المؤمنين وقيل اسم للسورة وقيل اسم للقرآن وقيل هو حرف من حروف الهجاء كالفواتح الواقعة فى أوائل السور المفتتحة بذلك وقد اختاره المحلى حيث قال أحد حروف الهجاء وأراد بذلك الرد على من قال انه مقتطع من اسمه تعالى الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور وقال النسفى الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم انتهى وقد عرفناك ماهو الحق فى مثل هذه الفواتح فى أول سورة البقرة (والقلم) الواو واو القسم أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به فى الارض والسماء وقال جماعة من المفسرين ومنهم المحلى المراد به القلم الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ أقسم الله به تعظيما له قال قتادة القلم نعمة من الله على عباده وعن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن الى الابد أخرجه الترمذى وصححه وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأخرج ابن جرير من حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعا نحوه وعن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأخرج الحكيم الترمذى عن أبى هريرة مرفوعا نحوه وعن ابن عباس ان أول شئ خلقه الله القلم فقال الله له اكتب فقال يارب ما أكتب فقال اكتب القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الارض عليه والارض على ظهر النون فتضطرب النون فمادت الارض

ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم ابراهيم في بيت بعض نسائه فقالت أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها عليه حراما فقالت أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال زيد بن أسلم فقوله أنت علي حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال قال لها أنت علي حرام والله لا أطؤك وقال سفيان الثوري وابن عيينة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن (١٨) مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روي عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبي الله لقد جئت الي شيأ ما جئت الى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال ألا ترضين ان أحرمها فلا أقربها قالت بلى فحرمها وقال لها لا تذكري ذلك لاحد فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك الآيات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن جليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع في عن ابن عمر عن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تخبري أحدا وان أم ابراهيم علي حرام فقالت أتحرم ما أحل الله لك قال فوالله لا أقربها قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وهذا اسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب الي يحيي يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير ان ابن عباس كان

فأنبتت الجبال فان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة ثم قرأ نون والقلم وما يسطرون أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وأبو الشيخ وغيرهم (وما يسطرون) ما موصولة والضمير عائد الى أصحاب القلم المدلول عليهم بذكره لان ذكر آلة الكتابة تدل على الكاتب والمعنى والذي يكتبون كل ما يكتب أو الحفظة الكاتبون على بني آدم قال ابن عباس يسطرون يكتبون ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وسطرهم وقيل الضمير راجع الى القلم خاصة من باب اسناد الفعل الى الآلة واجرائها مجرى العقلاء وعن ابن عباس أيضا قال وما يسطرون ما يعلمون (ما أنت بنعمت ربك بمجنون) جواب القسم وما نافية أي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال أنت بحمد الله عاقل قيل الباء متعلقة بمضمر هو حال كأنه قيل أنت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة وقيل الباء للقسم أي ما أنت ونعمة ربك بمجنون وقيل النعمة هنا الرحمة والآية رد على الكفار حيث قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك لأجرا) أي ثوابا على ما تحملت من أثقال النبوة وقاسيت من أنواع الشدائد (غير ممنون) أي غير مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك أجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس وقيل غير منقوص (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو الاسلام والدين حكاه الواحدي عن الاكثرين قال الحفناوي أقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة أو بمسطورهم فالمقسم به شيآن على ثلاثة أشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على دين الاسلام وقيل هو القرآن روي هذا عن الحسن والعوفي وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه مما نهى الله قال الزجاج المعنى انك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم وقيل المعنى انك على طبع كريم قال الماوردي وهذا هو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ الانسان نفسه به من الادب عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين اخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن انك لعلى خلق عظيم أخرجه مسلم وابن المنذر والحاكم وغيرهم وعنها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك فلذلك أنزل الله وانك لعلى خلق عظيم أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم

يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم جاريته فقال الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فكفر يمينه فصير الحرام يمينا ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا (١٩) سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك وأغلظ الكفارات عتق رقبة تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيأ من المباحات وهو مذهب الامام أحمد وطائفة وذهب الشافعي الى انه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية اذا حرم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فاما ان نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الامة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم ابن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول غريب والصحيح ان ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير اني أجد منك ريح مغافير قال لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا تبتغي مرضات أزواجك هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ وقال في كتاب

في الدلائل والواحدي وعن أبي الدرداء قال سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه أخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه وابن المنذر وعن أبي عبد الله الجدلي قال قلت لعائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وصححه وابن مردويه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره وهو في كتب الشمائل والسير مستوفى (فستبصر ويبصرون) أي ستبصر يا محمد ويبصر الكفار اذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة قال ابن عباس أي ستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وقيل في الدنيا بظهور عاقبة أمرك بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وهذا وعده ووعيدلهم (بأيكم المفتون) قال الخطيب ترسم بأييكم ههنا بياءين انتهى والباء زائدة للتأكيد أي أيكم المفتون بالجنون كذا قال الأخفش وأبو عبيدة وغيرهما الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدا الا في بحسبك فقط وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بأيكم الفتون أو الفتنة وقال الفراء ومجاهد ان الباء بمعنى في فهي ظرفية أي في أيكم المفتون أي في الفريق الذي أنت فيه أم في الفريق الآخر ويؤيد هذا قراءة ابن أبي عبلة في أيكم وقيل في الكلام حذف مضاف أي بأيكم فتن المفتون فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه روى هذا عن الأخفش أيضا وتكون الباء سببية وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا أحميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه والمعنى بأيكم الشيطان قال ابن عباس كانوا يقولون انه شيطان وانه مجنون وعنه قال المفتون المجنون وقال قتادة ومقاتل هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر والمعنى سترى ويرى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب ببدر بأيكم المفتون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل للجملة التي قبلها فانها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد والمعنى هو أعلم بمن ضل عن سبيله الموصل الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الموصل الى تلك السعادة الآجلة والعاجلة فهو مجاز كل عامل بعمله ان خيرا فخير

الايمان والنذور ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء انه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى (٢٠) بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقال ابراهيم بن موسى عن هشام ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة أغفر الرمث اذا ظهر فيه واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعي الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه تنضح المغفور وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الايمان والنذور ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المغراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة يحطرها فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة انه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي له أنت يا صفية ذاك قالت تقول سودة فوالله ما هو الا أن قام على الباب فاردت ان أناديه بما أمرتني فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دار الى قلت

وان شرا فشر (ولا تطع المكذبين) الفاء لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وآله وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج للتصميم على مباينتهم نهاه سبحانه عن ممايلة المشركين وهم رؤساء كفار مكة لانهم كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه الله عن طاعتهم أو هو تعريض لغيره عن ان يطيع الكفار أو المراد بالطاعة مجرد المداراة باظهار خلاف ما في الضمير فنهاه الله عن ذلك كما يدل عليه قوله (ودوا لو تدهن فيدهنون) فان الادهان هو الملاينة والمسامحة والمداراة قال الفراء المعنى لو تلين فيلينوا لك وكذا قال الكلبي وقال الضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادوا على الكفر وقال الربيع بن أنس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك وقال مجاهد لو تركن اليهم وتترك ما أنت عليه من الحق فيمايلونك قال ابن قتيبة كانوا أرادوه على ان يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا الله مدة وقال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقوله فيدهنون عطف على تدهن داخل في حيز لو أو هو خبر مبتدا محذوف أي فهم يدهنون قال سيبويه وزعم قالون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا بغير نون والنصب على جواب التمني المفهوم من ودوا والظاهر من اللغة في معنى الادهان هو ما ذكرناه أولا (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتميز وقال مجاهد هو الكذاب وقال قتادة المكثار في الشر وكذا قال الحسن وقيل هو الفاجر العاجز وقيل هو الحقير عند الله وقيل هو الذليل وقيل هو الوضيع وأخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدي قال قال مروان لما بايع الناس ليزيد سنة أبي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر انها ليست بسنة أبي بكر وعمر لكنها سنة هرقل فقال مروان هذا الذي أنزل فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية قال فسمعت ذلك عائشة فقالت انها لم تنزل في عبد الرحمن ولكن نزل في أبيك ولا تطع كل حلاف مهين (هماز) هو المغتاب للناس قال زيد هو الذي يهمز باخيه وقيل الهماز العياب وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم كذا قال أبو العالية والحسن وعطاء بن أبي رباح وقال مقاتل عكس هذا وقيل الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهمز كاللمز وزنا ومعنى وبابه ضرب وهمزات الشيطان خطراته التي

نحو ذلك فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت له يارسول الله الا أسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتى هذا لفظ البخارى وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن على بن مسهر به وعن أبى كريب وهرون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبى أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح يعنى الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شئ فلما قال بل شربت عسلا قلن جرست نحله العرفط أى رعت نحله شجر العرفط الذى صمغه المغافير (٢١) فلهذا ظهر ريحه فى العسل الذى شربته قال الجوهرى جرست النحل العرفط تجرس اذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر

تظل على الثمراء منها جوارس

وقال الجرس والجرس الصوت الخفى ويقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت مناقيرها على شئ تأكله وفى الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعى كنت فى مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الى فقال خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه ان حفصة هى الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفى طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هى التى سقته العسل وان عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد فى ذلك الا ان كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم ومما يدل على ان عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن ابن عباس قال لم أزل حريصا على ان أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهرى كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هى حفصة وعائشة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما

يخطرها بقلب الانسان (مشاء بنميم) هو الذى يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم اذا سعى بالفساد بين الناس وقيل النميم جمع نميمة أى نقال الحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم (مناع للخير) أى بخيل بالمال لا ينفقه فى وجهه وقيل هو الذى يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى متجاوز الحد فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) قال الواحدى المفسرون يقولون هو الشديد الخلق الفاحش الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الزجاج هو الغليظ الجافى فى الطبع من عتله اذا قاده بعنف وغلظة وقال الليث هو الاكول المنوع وقيل قاسى القلب وقيل الذى يعتل الناس أى يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل هو الفاحش اللئيم (بعد ذلك زنيم) أى هو بعد ما عد من معايبه ومثالبه الثمانية دعى ملصق مستلحق بالقوم وليس هو منهم مأخوذ من الزنمة المتدلية فى حلق الشاة أو الماعز وقال سعيد بن جبير الزنيم المعروف بالشر وقيل هو رجل من قريش كان له زنمة كزنمة الشاة وقيل هو الظلوم وقال ابن عباس له زنمة كزنمة الشاة والعتل هو الدعى والزنيم هو المريب الذى يعرف بالشر وعنه قال الزنيم الدعى وعنه الزنيم الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وعنه قال هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء وقال أيضا الزنيم الظلوم وهذه البعدية فى الرتبة لا فى الخارج قال الشهاب فبعد هنا كثم للتراخى فى الرتبة قال أبو السعود وفيه دلالة على ان دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه وقد قيل ان هذه الآيات نزلت فى الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق فى بنى زهرة وقيل فى الوليد بن المغيرة وبه قال الجمهور وقيل فى أبى جهل بن هشام وقيل فى الاسود بن يغوث قاله ابن عباس (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى ولا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين قاله الفراء والزجاج وقيل متعلق بما دل عليه جملة اذا تتلى من معنى الجحود والتكذيب لا بقال الذى هو جواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على استداد تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك قرئ أن كان بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع حيث جعل

تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي قال فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان أراجعك فوالله ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل قال فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قلت وتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسوله (٢٢) فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني من مالي ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم أي أجمل وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة قال وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك قال وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج الي فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قال الامام أحمد وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا

مجازاة النعم التي خوله الله من المال والبنين أن كفر بها وبرسوله وقرئ بهمزتين محققتين وقرأ نافع في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر أي ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال) هي (أساطير) أي أكذوبة (الاولين) والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي (سنسمه على الخرطوم) أي سنكويه بالكي على أنفه مهانة له وعلامة يعير بها ما عاش قال أبو عبيدة وأبو زيد والمبرد الخرطوم الانف وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وفي التعبير عن الانف بالخرطوم استهجان واستهزاء باللعين لان الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير وفي القاموس الخرطوم كزنبور الانف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ وفي السمين هو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لانه أظهر ما فيه وأعلاه والاول أولى وقد جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره وقال مقاتل سنسمه بالسواد على الانف وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار وقال الزجاج سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وقال قتادة سنلحق به شيأ لا يفارقه واختار هذا ابن قتيبة قال والعرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارا لا يفارقه فالمعنى أن الله ألحق به عارا لا يفارقه كالوسم على الخرطوم وقيل معنى سنسمه سنحطمه بالسيف وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر وقد يسمى الخمر بالخرطوم ومنه قول الشاعر

تظل يومك في لهو وفي طرب * وأنت بالليل شراب الخراطيم

(انا بلوناهم) يعني كفار مكة فان الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف والرمم والابتلاء الاختبار والمعنى أعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم ابتلاء (كما بلونا أصحاب الجنة) المعروف خبرهم عندهم وذلك انها كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدي حق الله منها فمات وصارت الى أولاده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها قال الواحدي هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من أبيهم ضيعة فيها جنات وزرع ونخيل وكان أبوهم يجعل مما فيها من كل شئ حظا للمساكين عند الحصاد والصرام فقالت بنوه المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا وعزموا

المدينة وجدناقوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قدخاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن احدا كن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قدهلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قددخلت على حفصة فقلت لايغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت (٢٣) رأسي في البيت فوالله مارأيت في البيت شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله يارسول الله ان يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يارسول الله وكان أقسم أن لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مكثت سنة أريد ان أسأل عمر ابن الخطاب عن آية فما استطيع ان أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان قال الله تعالى وان تظاهرا عليه قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره وقال مسلم أيضا حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يؤمر بالحجاب فقلت لاعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه اياهما الى ان قال فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فناديت فقلت يارباح استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم الى أن

وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ماقص الله في كتابه وقال الحسن كانوا كفارا قال النسفي والجمهور على الاول وقال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان حرق جنتهم وقيل هي جنة كانت بصروان وصروان بالصاد المهملة على فراسخ من صنعاء وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بزمن يسير قاله الزرقاني في شرح المواهب وذكره القرطبي أيضا ومثله في حواشي البيضاوي وقال ابن عباس هم ناس من أهل الحبشة كان لابيهم جنة وكان يطعم منها المساكين فمات أبوهم فقال بنوه ان كان أبونا لاحمق كان يطعم المساكين (اذ أقسموا) أي حلف معظمهم والا فالاوسط قال لهم لاتفعلوا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم قال البقاعي وكأنه تعالى طواه لانه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيأ (ليصرمنها مصبحين) أي ليقطعنها داخلين في وقت الصباح قبل انتشار الفقراء والصرام القطع للثمر والزرع يقال صرم العذق عن النخلة وأصرم النخل أي حان وقت صرامه والانصرام الانقطاع والتصارم التقاطع والتصرم التقطع واذ تعليلية أو ظرفية بنوع تسمح لان الاقسام كان قبل ابتلائهم وليصرمنها جواب القسم (ولا يستثنون) يعني ولا يقولون ان شاء الله وسمي استثناء وهو الشرط لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا ان يشاء الله واحد قاله الزمخشري وهذه الجملة مستأنفة لبيان ماوقع منهم أو حال وقيل المعنى ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم اليهم قاله عكرمة وقيل المعنى لايثنون عزمهم عن الحرمان (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فنزل على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه أي هلاك أو بلاء في حال نومهم والطائف غلب في الشر قال الفراء هو الامر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لايختص بليل ولا نهار وقرئ طيف والطائف قيل هو نار احرقتها حتى صارت سوداء كذا قال مقاتل وقيل الطائف جبريل اقتلعها وقال ابن عباس طائف أي أمر من الله وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعصية فان العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف عليها الآية قد حرموا خير جنتهم بذنبهم رفي هذه

قال فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخيير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقلت أطلقتهن قال لا فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر (٢٤) منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت ذلك الامر وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان وقال بشر بن أبي سليم عن مجاهد وصالح المؤمنين قال علي بن أبي طالب وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد ابن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه الى علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وصالح المؤمنين قال هو علي بن أبي طالب اسناده ضعيف وهو منكر جدا وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية وقد تقدم انه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الانصاري ثنا حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن أقول (على
لتكففن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن فامسكت فانزل الله عز وجل عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني ثنا اسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن

الآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم اما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به قاله القرطبي (فأصبحت كالصريم) فعيل بمعنى مفعول أي صارت كالشيء الذي صرمت ثماره أي قطعت وقال الفراء كالصريم كالليل المظلم والمعنى انها احترقت فصارت كالليل الاسود قال والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقال الاخفش أي كالصبح الصريم من الليل يعني انها يبست وابيضت بلا شجر وقال المبرد الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن هذا وذاك عن هذا وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف وقال المورج الصريم الرملة لانها لا ينبت عليها شيء ينتفع به وقال الحسن صرم منها الخير أي قطع (فتنادوا مصبحين) أي نادى بعضهم بعضا داخلين في الصباح معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض لبيان ما نزل بتلك الجنة قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض (أن اغدوا) ان هي المفسرة لان في التنادي معنى القول أو هي المصدرية أي بان اغدوا والمراد اخرجوا غدوة (على حرثكم) وأقبلوا عليه باكرين والغدو يتعدى بالى وعلى فلا حاجة الى تضمينه معنى الاقبال كما قيل والمراد بالحرث الثمار والزرع والعنب (ان كنتم صارمين) أي قاصدين للصرم وجواب الشرط محذوف أي ان كنتم مريدين صرامه فاغدوا وقيل معنى صارمين ماضين في العزم من قولك سيف صارم (فانطلقوا) أي ذهبوا الى جنتهم (وهم يتخافتون) أي يسرون الكلام بينهم لئلا يعلم أحد بهم يقال خفت يخفت اذا سكن ولم ينبس قال ابن عباس الخفت الاسرار والكلام الخفي وقيل المعنى يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم فيقصدوهم كما كانوا يقصدون أباهم وقت الحصاد والاول أولى لقوله (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) فان أن هي المفسرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى القول والمعنى يسر بعضهم الى بعض هذا القول وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين فيطلب منكم ان تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم واوقع النهي على دخول المساكين لانه أبلغ لان دخولهم أعم من أن يكون بادخالهم أو بدونه (وغدوا) أي ساروا اليها غدوة

ابن عباس في قوله واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا قال دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة ان أباك يلي الامر من بعد أبي بكر اذا أنا مت فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فقالت عائشة لا أنظر اليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم اسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ظاهر وقوله تعالى سائحات أى صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد ابن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع ابن أنس والسدي وغيرهم وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله السائحون في سورة براءة ولفظه سياحة هذه الامة الصيام وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن سائحات أى مهاجرات وتلا عبد الرحمن السائحون أى المهاجرون والقول الاول أولى والله أعلم وقوله تعالى ثيبات وأبكارا أى منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى الى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال ثيبات وأبكارا وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله ابن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه ثيبات وابكارا قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون وبالابكار مريم ابنة عمران وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت خديجة فقال ان الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال يا خديجة اذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن مني السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني

(٤ - فتح البيان عاشر)

(على حرد) الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد قال قتادة ومقاتل والكلبي والحسن ومجاهد الحرد هنا بمعنى القصد لان القاصد الى الشئ حارد يقال حرد يحرد اذا قصد تقول حردت حردك أى قصدت قصدك وبابه ضرب وقال أبو نصر صاحب الاصمعي هو مخفف فعلى هذا بابه فهم وقال ابن السكيت وقد يحرك فعلى هذا بابه طرب فهو حارد وحردان انتهى وقال أبو عبيدة والمبرد والقتيبي على حرد على منع من قولهم حردت الابل حردا اذا قلت ألبانها والحرود من النوق هي القليلة اللبن وقال السدي وسفيان والشعبي على حرد على غضب وعن قتادة ومجاهد أيضا على حرد على حسد وقال الحسن أيضا على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حردا وحرودا اذا تنحى عن قومه ونزل منفردا عنهم ولم يخالطهم وبه قال الاصمعي وغيره وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكرت وقال الازهري حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم قرأ الجمهور حرد بسكون الراء وقرئ بفتحها قال الفراء ومعنى (قادرين) قد قدروا أمرهم وبنوا عليه في ظنهم وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى الفقراء ففي نفس الامر لم يمنعوهم منه وقال قتادة قادرين على جنتهم عند أنفسهم وقال الشعبي يعني قادرين على المساكين وقال ابن عباس ذوو قدرة أو من التقدير وهو التضييق أى مضيقين على المساكين (فلما رأوها) أى جنتهم وشاهدوا ما قد حل بها من الآفة التي أذهبت ما فيها (قالوا انا لضالون) أى قال بعضهم لبعض بديهة وصولهم قبل التأمل قد ضللنا طريق جنتنا وليست هذه قال ابن عباس أى أضللنا مكان جنتنا وقيل معنى قولهم انا لضالون انهم ضلوا عن الصواب وبما وقع منهم ثم لما تأملوا وعلموا انها جنتهم وان الله سبحانه قد عاقبهم باذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا مضربين اضرابا ابطاليا لكونهم ضالين (بل نحن محرومون) أى حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها فأضربوا عن قولهم الاول الى هذا القول قيل ان الحق الذي منعه أصحاب الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول أظهر والله أعلم (قال أوسطهم) أى أمثلهم وأعقلهم وخيرهم رأيا وعقلا ونفسا وقال ابن عباس أعدلهم وقيل أفضلهم وأنكر عليهم بقوله (ألم أقل لكم) ما فعلتموه لا ينبغي وان الله له المرصاد من حدود غير ما في نفسه (لولا تسبحون) أى هلا تستثنون وسمي الاستثناء تسبيحا لانه تعظيم لله

مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ضعيف أيضا وقال أبو يعلى ثنا ابراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمت ان الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقلت هنيألك يارسول الله وهذا أيضا ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبي داود (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا (٢٦) اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا يقول أدبوهم وعلموهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوا أنفسكم وأهليكم نارا يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وقال مجاهد قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بامر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم ان يعلم أهله من قرابته وامائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة ربنا

واقراربه وهذا يدل على ان أوسطهم كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال مجاهد وأبو صالح وغيرهما كان استثناؤهم تسبيحا قال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عزوجل فجعل التسبيح في موضع ان شاء الله لانه ينزه عن ان يجرى في ملكه مالا يريده وقيل المعنى هلا تستغفرون الله من فعلكم وتتوبون اليه من هذه النية التي عزمتم عليها وكان أوسطهم قد قال لهم ذلك وقيل المعنى هلا تتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتكم والاول اولى فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الحالة (قالوا سبحان ربنا) أى تنزيها له عن ان يكون ظالما فيما صنع بجنتنا ثم أكدوا قباحة فعلهم هضما لانفسهم وتحقيقا لتوبتهم بقولهم (انا كنا ظالمين) أى ان ذلك بسبب ذنبنا الذى فعلناه قيل معنى تسبيحهم الاستغفار أى نستغفر ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا في منعهم للمساكين وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأى ويقول ذاك لهذا أنت خوفتنا الفقر ويقول الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل حيث (قالوا ياويلنا) هذا وقت حضورك الينا ومنادمتك لنا فانه لانديم لنا الآن غيرك (انا كنا طاغين) أى عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء قال ابن كيسان أى طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها أبونا من قبل ثم رجعوا الى الله وسألوه أن يعوضهم بخير منها فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) قيل انهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها بان أمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر (١) من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها بمكانها قرأ الجمهور يبدلنا بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقراءتان سبعيتان والتبديل تغيير ذات الشئ أو تغيير صفته والابدال رفع الشئ جملة ووضع آخر مكانه كما مضى في سورة سبا (انا الى ربنا راغبون) أى طالبون منه الخير راجون لعفوه راجعون اليه وعدى بالى وهو انما يتعدى بعن أو بفي لتضمينه معنى الرجوع عن ابن مسعود بلغني انهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل القائم الاسود قال الحسن قول أهل الجنة انا الى

(١) زغر بالزاي والغين المعجمة بلدة بالشام لانهار اسب بها وبها عين ءو رسانها علامة خروج الدجال اه

والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق وقوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقودها أى حطبها الذى يلقى فيها جثث بنى آدم والحجارة قيل المراد بها الاصنام التى تعبد لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدى هى حجارة من كبريت زاد مجاهد أنتن من الجيفة وروى ذلك ابن أبى حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبى ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقرى ثنا عبد العزيز يعنى ابن أبى رواد قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وعنده بعض أصحابه (٢٧) وفيهم شيخ فقال الشيخ يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هو حى فناداه قال يا شيخ قل لا اله الا الله فقالها فبشره بالجنة قال فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا قال نعم يقول الله تعالى ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد أى طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله شدادا أى تركيبهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا سلمة بن شبيب ثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبى عن عكرمة انه قال اذا وصل أول أهل النار الى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ولو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل ان يبلغ منكبه الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهوون من باب الى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الاول حتى ينتهوا الى آخرها وقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أى مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه وهؤلاء هم الزبانية عياذا بالله منهم وقوله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون أى يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فانه لا يقبل منكم وانما تجزون اليوم بأعمالكم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا أى

ربنا راغبون لا أدرى أكان ايمانا منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد كلفتنى تعبا والمعظم يقولون انهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى (كذلك العذاب) أى مثل ذلك العذاب الذى بلوناهم به وبلونا أهل مكة عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أى أشد وأعظم من عذاب الدنيا (لو كانوا) أى المشركون (يعلمون) انه كذلك ولكنهم لا يعلمون ولما فرغ سبحانه من ذكر حال الكفار وتشبيه ابتلائهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين وما أعده لهم من الخير فقال (ان للمتقين) ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصى (عند ربهم) عز وجل فى الدار الآخرة (جنات النعيم) الخالص الذى لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال كما يشوب جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذى قالوه وقد وبخوا وقرعوا باستفهامات سبعة أولها هذا والسابع أم لهم شركاء والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وكأن العبارة مقلوبة والاصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لانهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل لانه كان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم فى الدنيا وقلة حظوظ المسلمين فيها فلما سمعوا بذكر الآخرة وما يعطى الله المسلمين فيها قالوا ان صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا فقال الله مكذبا لهم رادا عليهم أفنجعل الآية والمعنى أفنجعل المجرمين مستوين للمسلمين فى العطاء لا كما ذكر فى آية أخرى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة قاله على القارى وبعد ذلك ليس فى الآية الا نفى المساواة والكفار ادعوا الافضلية أو المساواة الآن يقال اذا انتفت المساواة انتفت الافضلية بالاولى ثم قال سبحانه على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كان أمر الجزاء مفوض اليكم تحكمون فيه بما شئتم (أم لكم كتاب فيه تدرسون) أى تقرؤن فيه فتجدون المطيع كالعاصى ومثل هذا قوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ثم قال سبحانه (ان) قرأ الجمهور بالكسر على انها معمولة لتدرسون أى تدرسون فى الكتاب ان (لكم فيه لما تخيرون) فلما دخلت اللام كسرت الهمزة أو على الحكاية للمدروس وقيل قد تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ أى ان لكم

توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيآت وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناآت قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الاحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال ان يتوب الرجل من (٢٨) العمل السيء ثم لا يعود اليه أبدا وقال الاعمش عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله توبة نصوحا قال يتوب ثم لا يعود وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود فيه تفرد به أحمد من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ولهذا قال العلماء التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على ان لا يفعل في المستقبل ثم ان كان الحق لآدمي رده اليه بطريقه قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن معقل قال دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة قال نعم وقال مرة نعم سمعته يقول الندم توبة ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو خباب عن عبد الله بن محمد العبدي عن أبي سنان البصري عن أبي قلابة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الامة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا قال زر فقلت لابي بن كعب فما التوبة النصوح

ذلك وقرئ بفتح ان على ان العامل فيه تدرسون مع زيادة لام التأكيد ومعنى تخيرون تختارون وتشتهون ثم زاد سبحانه في التوبيخ فقال (أم لكم أيمان علينا بالغة) أي عهود مؤكدة بالايمان وثقة متناهية اذ العهد كلام مؤكد بالقسم فاطلق الجزء وأريد الكل والمعنى أم لكم أيمان على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ثابتة لكم (الى يوم القيامة) لا يخرج عن عهدتها حتى يحكمكم يومئذ قرأ الجمهور بالغة بالرفع على النعت لايمان وقرئ بنصبها على الحال من أيمان لانها قد تخصصت بالعمل أو بالوصف أو من الضمير في لكم أو في علينا وجواب القسم قوله (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم لان معنى أم لكم ايمان أم أقسمنا لكم وقيل قد تم الكلام عند قوله الى يوم القيامة ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ أي ليس الامر كذلك (سلهم) موبخا لهم ومقرعا (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن الصواب (زعيم) أي كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول (أم لهم شركاء) غيرهم يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه ويذهبون مذهبهم فيه وقيل معناه شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه وقيل المراد بهم الاصنام والاول أولى وأظهر وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فيما يقولون اذ لا أقل من التقليد وهو أمر تعجيز وجواب الشرط محذوف قال القاضي وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به لدعواهم من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له (يوم) ظرف لقوله فليأتوا أي فليأتوا بها يوم (يكشف عن ساق) ويجوز أن يكون ظرفا لفعل مقدر أي اذكر يوم يكشف قال الواحدي قال المفسرون في قوله عن ساق عن شدة من الامر وصعوبة الخطب قال ابن قتيبة أصل هذا ان الرجل اذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدة قال وتأويل الآية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى أن يكشف عن ساق قال أبو عبيدة اذا اشتد الحرب والامر قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة وهكذا قال غيره من أهل اللغة وقد استعملت ذلك العرب في اشعارها وكثر في كلامهم حتى صار كالمثل للامر العظيم

فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود اليه أبدا وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي ثنا عباد بن عمر ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح ان تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه اذا ذكرته فأما اذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك الى الممات كما تقدم في الحديث وفي الاثر ثم لا يعود فيه أبدا أو يكفي العزم على أن (٢٩) لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارا في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام التوبة تجب ما قبلها وللاول ان يحتج بما ثبت في الصحيح أيضا من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الاسلام أخذ بالاول والآخر فاذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الاولى والله أعلم وقوله تعالى عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وعسى من الله موجبة يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أي ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم كما تقدم في سورة الحديد يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فسمعته يقول اللهم لا تخزني يوم القيامة وقال محمد بن نصر المروزي ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير انه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الامم فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الامم قال غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الامم كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم

العظيم الشديد فهذا التركيب من قبيل الكناية أو الاستعارة التمثيلية قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب وقيل ساق الشئ أصله وقوامه كساق الشجرة وساق الانسان أي يوم يكشف عن ساق الامر فتظهر حقائقه وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل هو عبارة عن القرب وقيل يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره وقال النسفي له كشف غمه ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان تعرف لانها ساق معهودة عنده انتهى وسيأتي ما هو الحق قرأ الجمهور يكشف بالتحتية مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود وابن عباس وغيرهما بالفوقية مبنيا للفاعل أي الشدة أو الساعة وقرئ بالفوقية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وقرئ بالفوقية المضمومة وكسر الشين من أكشف الامر أي دخل في الكشف عن أبي هريرة في الآية قال يكشف الله عز وجل عن ساقه وعن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه تبارك وتعالى وعن ابن عباس قال يكشف عن أمر عظيم وقال قال ابن مسعود يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا وعن ابن عباس انه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

* وقامت الحرب بنا على ساق *

قال ابن عباس هذا يوم كرب شديد وروى عنه نحو هذا من طرق أخرى وعنه هو أشد ساعة يوم القيامة وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث ثابت من طرق في الصحيحين وغيرهما وله ألفاظ في بعضها طول وهو حديث مشهور معروف وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وضعفه واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وذلك نسترم تحسيمه ولا تشبيها فليس كمثله شئ

بايمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم أي في الدنيا ومأواهم جهنم وبئس المصير أي في الآخرة ثم قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا (٣٠) أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ان ذلك لا يجزي عنهم شيأ ولا ينفع عند الله ان لم يكن الايمان حاصلا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين أي نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط فخانتاهما أي في الايمان لم يوافقاهما على الايمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيأ ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى فلم يغنيا عنهما من الله شيأ أي لكفرهما وقيل أي للمرأتين ادخلا النار مع الداخلين وليس المراد بقوله فخانتاهما في فاحشة بل في الدين فان نساء الانبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الانبياء كما قدمنا في سورة النور قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان ابن قتة سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية فخانتاهما قال ما زنتا أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فاذا آمن مع نوح أحد أخبرت اليه الجبابرة من قوم نوح به وأما امرأة لوط فكانت اذا أضاف لوط أحدا أخبرت به اهل المدينة ممن يعمل السوء وقال الضحاك عن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط انما كانت خيانتهما في الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس من أكل مع مغفور له غفر له وهذا الحديث لا أصل له وانما يروى هذا عن بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يارسول الله أنت قلت من أكل مع

دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كمخاطر

وهكذا تهيب القول فيه شيوخ الاسلام فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه والتأويل هو مذهب معظم المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوي في أنوار التنزيل قال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة وقد وضح علي وضوحا بينا ان استطالتهم هذه ليست بشيء وانهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى (ويدعون الى السجود) قال الواحدي قال المفسرون يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا (فلا يستطيعون) لان أصلابهم تيبس فلا تلين للسجود وقال الربيع ابن انس يكشف عن الغطاء فيقع من كان آمن بالله في الدنيا فيسجدون له ويدعى الآخرون الى السجود فلا يستطيعون لانهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا والدعاء الى السجود يكون امتحانا لايمانهم لا تكليفا بالسجود اذ تلك الدار ليست دار تكليف (خاشعة أبصارهم) حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع الى الابصار وهو الخضوع والذلة لظهور أثره فيها (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) شديدة وحسرة وندامة وصغار (وقد كانوا) في الدنيا (يدعون الى السجود) دعوة تكليف (وهم سالمون) أي معافون عن العلل متمكنون من الفعل فلا يجيبون قال ابراهيم التيمي يدعون بالأذان والاقامة فيأبون وقال سعيد ابن جبير يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقال ابن عباس هم الكفار يدعون في الدنيا وهم آمنون فاليوم يدعون وهم خائفون وعنه قال الرجل يسمع الاذان فلا يجيب الصلاة أخرجه البيهقي في الشعب (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أي خل بيني وبينه وكل أمره الي فانا أكفيكه قال الزجاج معناه لا تشغل به قلبك كله الي فأنا أكفيك أمره والفاء لترتيب ما بعدها من الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية والمراد بالحديث القرآن قاله السدي وقيل يوم القيامة (سنستدرجهم) مستأنف لبيان كيفية التعذيب لهم المستفاد من قوله فذرني الخ والضمير عائد الى من باعتبار معناها والمعنى سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم

مغفورله غفرله قال لا ولكني الآن أقول (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين انهم لا تضرهم مخالطة الكافرين اذا كانوا محتاجين اليهم كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الارض وأكفرهم فوالله ماضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت (٣١) ربها ليعلموا ان الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا الا بذنبه وقال ابن جرير ثنا اسمعيل بن حفص الايلى ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس فاذا انصرف عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربى عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمى به ثم قال ابن جرير حدثنى يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى ثنا القاسم بن أبى بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال لها غلب موسى وهرون فتقول آمنت برب موسى وهرون فارسل اليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وان رجعت عن قولها فهى امرأتى فلما أتوها رفعت بصرها الى السماء فأبصرت بيتها فى السماء فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح وقوله رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قال العلماء اختارت الجار قبل الدار وقد ورد شئ من ذلك فى حديث مرفوع ونجنى من فرعون وعمله أى خلصنى منه فانى أبرأ اليك من عمله ونجنى من القوم الظالمين وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم رضى الله عنها وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كان ايمان امرأة فرعون من قبل ايمان امرأة خازن فرعون وذلك انها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبى قالت ربى ورب أبيك ورب كل شئ الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فارسل اليها فرعون فقال تعبدين ربا غيرى قالت نعم ربى وربك ورب كل شئ الله واياه أعبد فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد رجليها ويديها وأرسل عليها الحيات وكانت

اليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه (من حيث لا يعلمون) ان ذلك استدراج لانهم يظنونه انعاما ولا يفكرون فى عاقبته وما سيلقون فى نهايته قال سفيان الثورى نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال الى حال ويقال استدرج فلان فلانا أى استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه يعنى أدناه الى التدريج فتدرج هو ومعنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه كائدا وماكرا ومستدرجا ثم ذكر سبحانه انه يمهل الظالمين فقال (وأملى لهم) أى أمهلهم ليزدادوا اثما وقد مضى تفسير هذا فى سورة الاعراف والطور وأصل الملاوة المدة من الدهر يقال أملى الله له أى أطال له المدة والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها (ان كيدى متين) أى قوى شديد فلا يفوتنى شئ وسمى سبحانه احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد باعتبار عاقبته ووصفه بالمتانة لقوة أثره فى التسبب للهلاك (أم تسألهم أجرا) أعاد سبحانه الكلام الى ما تقدم من قوله أم لهم شركاء أى أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله (فهم من مغرم) المغرم الغرامة أى فهم من غرامة ذلك الاجر (مثقلون) أى يثقل عليهم حمله لشحهم ببذل المال فأعرضوا عن اجابتك لهذا السبب والاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم والمعنى انك لم تسألهم ذلك ولم تطلبه منهم (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور أو كل ما غاب عنهم (فهم) من ذلك الغيب (يكتبون) ما يريدون من الحجج التى يزعمون انها تدل على قولهم ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك ويحكمون لانفسهم بما يريدون ويستغنون بذلك عن الاجابة لك والامتثال لما تقوله (فاصبر لحكم ربك) أى لقضائه الذى قد قضاه فى سابق علمه وقيل الحكم هنا هو امهالهم وتأخير نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لانهم ان أمهلوا لم يهملوا وقيل هو ما حكم به عليه من تبليغ الرسالة قيل وهذا منسوخ باية السيف (ولا تكن كصاحب الحوت) يعنى يونس عليه السلام أى لا تكن مثله فى الغضب والضجر والعجلة حتى لا تبتلى ببليته (اذ نادى) أى لا يكن حالك كحاله أو قصتك كقصته فى وقت ندائه ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهى وانما ينصب على أحوالها وصفاتها (وهو مكظوم) جملة

كذلك فاتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتهية فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها انى ذابح ابنك فى فيك ان لم تفعلى فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها فى فيها وان روح ابنها بشرها فقال لها ابشرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها فى فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الاكبر ثم الاصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء (٣٢) عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت ايمانا ويقينا وتصديقا فأطلع الله فرعون على ايمانها فقال للملا ما تعلمون من آسية بنت مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم انها تعبد غيرى فقالوا له اقتلها فأوتدلها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فوافق ذلك ان حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهى تضحك فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها وقوله تعالى ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها أى حفظته وصانته والاحصان هو العفاف والحرية فنفخنا فيه من روحنا أى بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه اليها فتمثل لها فى صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه فى جيب درعها فنزلت النفخة فولجت فى فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه أى بقدره وشرعه وكانت من القانتين قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الارض موضعه أربعة خطوط وقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو ابن مرة عن مرة الهمدانى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكرنا

غيظا وكربا وقيل غما قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم فى القلب والكرب فى الانفاس قال قتادة ان الله يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر وان لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد تقدم بيان قصته فى سورة الانبياء ويونس والصافات وكان النداء منه بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل ان المكظوم المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقيل هو المحبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه قاله ابن بحر والاول أولى والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء لانه أمر مستحسن (لولا أن تداركه) أى صاحب الحوت (نعمة من ربه) وهى توفيقه للتوبة فتاب الله عليه قال الضحاك ان النعمة هنا النبوة وقال سعيد بن جبير عبادته التى سلفت وقال ابن زيد هى نداؤه بقوله لا اله الا أنت وقيل اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل الرحمة قرأ الجمهور تداركه على صيغة الماضى وقرئ بتشديد الدال وهو مضارع أدغمت التاء فى الدال والاصل تتداركه بتاءين وهذه على حكاية الحال الماضية وقرئ تداركته بتاء التأنيث وهو خلاف المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تأنيث النعمة غير حقيقى وتداركته على لفظها (لنبذ بالعراء) أى لألقى من بطن الحوت على وجه الارض الخالية من النبات والاشجار والجبال (وهو مذموم) أى يذم ويلام بالذنب الذى أذنبه ويطرد من الرحمة وقيل مذموم مبعد من كل خير وقيل مذنب وقيل معاتب قال الرازى مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومية لم تحصل أو المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين أو هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى (فاجتباه ربه) أى استخلصه واصطفاه لدعائه وعذره واختاره لنبوته وهذا مبنى على انه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبئ بعدها وهو أحد قولين للمفسرين والثانى انه كان نبيا ومعنى اجتباه انه رد عليه الوحى بعد أن كان قد انقطع عنه (فجعله من الصالحين) أى من الكاملين فى الصلاح وعصمه من الذنب وقيل رد اليه النبوة وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره كما تقدم (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك) أى ينفذونك قاله ابن عباس وان هى المخففة من الثقيلة قرأ الجمهور بضم الياء من أزلقه أى أزل رجله يقال أزلقه عن موضعه اذا نحاه وقرأ نافع وأهل المدينة بفتحها من زلق عن

طرق هذه الاحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله ثيبات وأبكارا آخر تفسير سورة التحريم ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة الملك وهي مكية) * قال الامام أحمد حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك ورواه أهل السنن الاربعة من حديث شعبة به (٣٣) وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرى الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حربويه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شئ من كتاب الله الا تبارك فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك واني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقي الى الرب تبارك وتعالى فاشفعي له فتنطلق الى الرب تبارك وتعالى فتقول يارب ان فلانا عمد الى أي قصد من بين كتابك فتعلمني وتلاني أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذاك به فامحني من كتابك فيقول ألا أراك غضبت فتقول وحق لي ان أغضب

فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه قال فتجيء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه بشئ قال فتجيء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فربما وعاني ومرحبا بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه قال فلما حدث بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية قلت وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الامام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله

موضعه اذا نحى وهما سبعيتان قال الهروي أي يغتالونك بعيونهم فيزلقونك عن مكانك الذي أقامك الله فيه عداوة لك وقرأ ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ليزهقونك أي يهلكونك وقال الكلبي يزلقونك أي يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وكذا قال السدي وسعيد بن جبير وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك (بأبصارهم) أي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك والباء اما للتعدية كالداخلة على الآلة أي جعلوا أبصارهم كالآلة المزلقة لك كما تقول عملت بالقدوم واما للسببية أي بسبب عيونهم قال الزجاج في الآية مذهب أهل اللغة والتأويل انهم من شدة ابغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر الى نظرا يكاد يصرعني ونظرا يكاد يأكلني قال ابن قتيبة ليس يريد الله انهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما أراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك كما قال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس * نظرا يزيل مواطئ الاقدام

وقيل أرادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش الجبرية اصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت هذه الآية وذكر الماوردي أن العين كانت في بني أسد من العرب وفيه دليل على أن العين حق وقد رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ والحديث متفق عليه وأخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء وقالوا انه حق وانه ليدخل الرجل القبر والجمل القدر وأنكره طوائف من المبتدعة ولا اعتداد بهم بعد ما ورد في كلام النبوة وصح قال الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم القرآن لكراهتهم لذلك أشد كراهة ولما ظرفية منصوبة بيزلقونك وقيل هي حرف وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك (ويقولون) حسدا وتنفيرا عنه (انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فرد الله عليهم بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا والجملة مستأنفة أو في محل نصب على الحال من فاعل يقولون أي والحال أنه تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه أو شرف لهم كما قال سبحانه وانه لذكر لك ولقومك

مختصرا وروى البيهقي في كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الاحكام الكبرى ولله الحمد والمنة وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الذي بيده الملك وقال الترمذي حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك المنكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤) خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي هريرة ثم روى الترمذي أيضا من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الاصبهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من أمتي يعني تبارك الذي بيده الملك هذا حديث غريب وابراهيم ضعيف وقد تقدم مثله في سورة يس وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد في مسنده بابسط من هذا فقال حدثنا ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل الا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك سفيان وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجي بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير)

وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مذكر للعالمين أو شرف لهم

(سورة الحاقة هي احدى أو اثنتان وخمسون آية وهي مكية)

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها أخرجه الطبراني

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) هي القيامة لان الامر يحق فيها وهي تحق في نفسها من غير شك قاله الطبري كأنه جعلها من باب ليله قائم ونهاره صائم فالاسناد مجازي قال الازهري يقال حاققته فحققته أحقه غالبته فغلبته أغالبه فالقيامة حاقة لانها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل وتخصم كل مخاصم وقال في الصحاح حاقه أي خاصمه في صغار الاشياء ويقال ماله فيها حق ولا حقاق ولا خصومة والتحاق التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى قال الواحدي هي القيامة في قول كل المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود قال الكسائي والمؤرج الحاقة يوم الحق وقيل سميت بذلك لان كل انسان فيها حقيق بأن يجزى بعمله وقيل سميت بذلك لانها أحقت لقوم النار وأحقت لقوم الجنة وقال ابن عباس الحاقة من أسماء يوم القيامة وهي مبتدأ وخبرها قوله (ما الحاقة) على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان وخبره الحاقة والجملة خبر للمبتدا الاول والمعنى أي شئ هي في حالها أو صفاتها لا تحيط بها العبارة وما يسئل بها عن الصفة والحال والمقام للضمير أي ماهي فوضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وزيادة تفظيعه وقيل هذه الجملة وان كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها كما تقول زيد ما زيد وقد قدمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة ثم زاد سبحانه في تفظيع شأنها وتفخيم أمرها وتهويل حالها فقال (وما أدراك ما الحاقة) أي أي شئ أعلمك ماهي أي كأنك لست تعلمها اذ لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الاهوال فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لا تبلغها دراية أحدهم ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك كأنه ليس عالما بها رأسا قال يحيى بن سلام بلغني ان كل شئ في القرآن وما أدراك فقد أدراه اياه وعلمه صلى الله عليه وسلم وكل شئ قال فيه وما يدريك فانه ما أخبره به وقال

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى وهو على كل شيء قدير ثم قال تعالى الذي خلق الموت والحياة واستدل بهذه الآية من قال ان الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية انه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم فسمى الحال الاول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان (٣٥) حدثنا الوليد حدثنا خليد عن قتادة في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء ورواه معمر عن قتادة قوله وقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى وهو العزيز الغفور أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب اليه وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره وان كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا أي طبقة بعد طبقة وهل هي متواصلات بمعنى انهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الاسراء وغيره وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أي انظر الى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أي شقوق وقال السدي هل ترى من فطور أي من خروق وقال ابن عباس في رواية من فطور أي من وهاء وقال قتادة هل ترى من فطور أي هل ترى خللا يا ابن آدم وقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين قال قتادة مرتين ينقلب اليك البصر خاسئا قال ابن عباس ذليلا وقال مجاهد وقتادة صاغرا وهو حسير قال ابن عباس يعني وهو كليل وقال مجاهد وقتادة والسدي الحسير المنقطع من الاعياء ومعنى الآية انك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب أي لرجع اليك البصر

سفيان بن عيينة كل ما في القرآن قال فيه وما أدراك فانه صلى الله عليه وسلم أخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به ذكره الخطيب وما مبتدأ وخبره ادراك وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب باسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني وبدون الهمزة يتعدى الى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا وان كان بمعنى العلم تعدى الى مفعولين والجملة معطوفة على جملة ما الحاقة (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالقيامة وسميت بذلك لانها تقرع قلوب الناس بشدة أهوالها وتورثهم خوفا وفزعا كتأثير القرع المحسوس فان القرع في اللغة نوع من الضرب وهو امساس جسم لجسم بعنف وفي المصباح وقرعت الباب من باب نفع طرقته وتقرت عليه وقال المبرد عني بالقارعة القرآن الذي نزل في الدنيا على أنبيائهم وكانوا يخوفونهم بذلك فيكذبونهم وقيل القارعة مأخوذة من القرعة لانها ترفع أقواما وتحط آخرين والاول أولى ويكون وضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها والجملة مستأنفة لبيان بعض أحوال الحاقة (فأما ثمود) هم قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وقال ابن اسحق هو وادي القرى والمقصود من ذكر هذه القصص زجر هذه الامة عن الاقتداء بهؤلاء الامم في المعاصي لئلا يحل بها ما حل بهم (فأهلكوا بالطاغية) هي الصيحة التي جاوزت الحد وهي صيحة جبريل وقيل الرجفة أي الزلزلة وقيل هي الفرقة التي عقرت الناقة فأهلك قوم ثمود بسببهم وقال ابن زيد الطاغية عاقر الناقة أي أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما أهلكوا جميعا لانهم علموا بفعله ورضوا به وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم وكفرهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد) هم قوم هود وقد تقدم بيان هذا وذكر منازلهم وأين كانت في غير موضع وهي الاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن وقدم ذكر ثمود لان بلادهم أقرب الى قريش وواعظ القريب أكبر ولان اهلاكهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور (فأهلكوا بريح) أي بالدبور (صرصر) هي الشديدة البرد مأخوذ من الصر وهو البرد وقيل الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم (عاتية) عن الطاعة فكأنها عتت على خزانها فلم تطعهم

خاسئا اى عن ان يرى عيبا أو خللا وهو حسير اى كليل وقد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا ولما نفى عنها فى خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وهى الكواكب التى وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين عاد الضمير فى قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لانه لا يرمى بالكواكب التى فى السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير اى جعلنا للشياطين هذا الخزى فى الدنيا واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرى (٣٦) كما قال تعالى فى أول الصافات انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب قال قتادة انما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه واخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به رواه ابن جرير وابن أبى حاتم (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) يقول تعالى واعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير أى بئس المآل والمنقلب اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا قال ابن جرير يعنى الصياح وهى تفور قال الثورى تغلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير وقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير يذكر تعالى عدله فى خلقه وانه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها أو عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بل أهلكتهم قال ابن عباس ما أرسل الله شيئا من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فأما يوم نوح فان الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء واما يوم عاد فان الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية وعنه قال عاتية غالبة وعن على بن أبى طالب نحوه وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن ابن عمر مرفوعا قال ما أمر الخزان على عاد الا مثل موضع الخاتم من الريح فعتت على الخزان فخرجت من نواحى الابواب فذلك قوله بريح صرصر عاتية قال عتوها عتت على الخزان أخرجه ابن أبى حاتم (سخرها عليهم سبع ليال) أى سلطها كذا قال مقاتل وقيل أرسلها وقال الزجاج أقامها عليهم كما شاء والتسخير استعمال الشىء بالاقتدار وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره ومشيئته لا باتصال الكواكب ذكره الخازن والجملة مستأنفة لبيان كيفية اهلاكهم ويجوز أن تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصيصها بالصفة أو من الضمير فى عاتية (وثمانية أيام حسوما) معطوف على سبع ليال وانتصاب حسوما على الحال أى ذات حسوم أو على المصدر لفعل مقدر اى تحسمهم حسوما أو على انه مفعول له أو على انه نعت لسبع ليال الخ ويتضح ذلك بقول الزمخشرى الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعل مضمر أى تحسمهم حسوما أى تستأصلهم استئصالا أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال قال الشهاب حسوما أى متتابعات فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم الذى هو تتابع الكى لمطلق التتابع أو استعارة بتشبيه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكى القاطع للداء انتهى والحسوم التتابع فاذا تتابع الشىء لم ينقطع أوله عن آخره قيل له الحسوم قال الزجاج الذى توجبه اللغة فى معنى قوله حسوما أى تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم قال النضر بن شميل

وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير أى لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا الى اتباعهم قال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى الطائى قال اخبرنى من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم وفى حديث آخر لا يدخل أحد النار (٣٧) الا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه اذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد الا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أى يكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت فى الصحيحين سبعة يظلهم الله تعالى فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا طالوت بن عباد حدثنا حماد حدثنا الحرث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال قالوا يا رسول الله انا نكون عندك على حال فاذا فارقناك كنا على غيره قال كيف أنتم وربكم قالوا الله ربنا فى السر والعلانية قال ليس ذلكم النفاق لم يروه عن ثابت الا الحرث بن عبيد فيما نعلمه ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور أى بما يخطر فى القلوب ألا يعلم من خلق أى ألا يعلم الخالق وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه والاول أولى لقوله وهو اللطيف الخبير ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيره لهم الارض وتذليله اياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وانبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزرع والثمار فقال تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها أى

شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم وقال الفراء الحسوم الاتباع من حسم الداء وهو الكى لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه وقال المبرد هو من قولك حسمت الشىء اذا قطعته وفصلته عن غيره وبه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابى وقيل الحسم الاستئصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وقال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم أحد وروى عنه انه قال حسمت الايام والليالى حتى استوفتها لانها بدأت بطلوع الشمس من أول يوم وانقطعت بغروب الشمس من آخر يوم وقال الليث الحسوم هى الشوم أى تحسم الخير عن أهلها كقوله فى أيام نحسات وقال ابن مسعود حسوما متتابعات وقال ابن عباس تباعا وفى لفظ متتابعات واختلف فى أولها فقيل غداة الاحد وقيل غداة الجمعة وقيل غداة الاربعاء قال وهب وهذه الايام هى التى تسميها العرب أيام العجوز كان فيها برد شديد وريح شديدة وكان أولها يوم الاربعاء وآخرها يوم الاربعاء وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى) الخطاب لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالكلام على سبيل الفرض والتقدير أى انه لو كان حاضرا حينئذ لرأى (القوم) والضمير فى (فيها) يعود الى الليالى والايام وقيل الى مهاب الريح أو الى البيوت والاول أولى وأظهر و (صرعى) جمع صريع يعنى موتى وهو حال وقوله (كأنهم أعجاز نخل خاوية) حال من القوم أو مستأنف أى أصول نخل بلا رؤس ساقطة أو بالية وقيل خالية لا جوف فيها وقال ابن عباس أعجاز نخل هى أصولها والنخل يذكر ويؤنث ومثله كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد تقدم تفسيره وهو اخبار عن عظم أجسامهم قال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان أبدانهم خلت من أرواحهم مثل النخل الخاوية أو ان الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من أدبارهم (فهل ترى لهم من باقية) أى من فرقة باقية أو نفس باقية أو من بقية على ان باقية مصدر كالعاقبة والعافية ومن زائدة فى المفعول قال ابن جريج أقاموا سبع ليال وثمانية أيام احياء فى عذاب الريح فلما أمسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم فى البحر (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الباء أى ومن تقدمه من القرون الماضية والامم الخالية وقرئ بكسر القاف وفتح الباء أى ومن هو فى جهته من اتباعه واختار أبو حاتم وأبو عبيد الثانية لقراءة ابن مسعود وأبى ومن معه ولقراءة أبى

فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيأ الا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى وكلوا من رزقه فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول انه سمع أبا تميم الجيشاني يقول انه سمع عمر بن الخطاب يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث (٣٨) ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عزوجل وهو المسخر المسير المسبب واليه النشور أي المرجع يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الازدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب انه قرأ هذه الآية فامشوا في مناكبها فقال لام ولد له ان علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير) وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه انه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا وقال ههنا أأمنتم من في السماء المشبات
أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أي تذهب وتجيء وتضطرب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا وهكذا توعدهم ههنا بقوله فستعلمون كيف نذير أي كيف يكون انذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به ثم قال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم أي من الامم السالفة والقرون الخالية فكيف كان نكير أي فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم أي عظيما شديدا أليما ثم قال تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا ما يمسكهن أي في الجو

موسى ومن تلقاه (والمؤتفكات) قرأ الجمهور بالجمع وقرئ بالافراد واللام للجنس فهي في معنى الجمع وهي قرى قوم لوط وكانت خمسة صبعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قاله القرطبي وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا والمعنى وجاءت المؤتفكات أي المنقلبات من ائتفك أي انقلب أي التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها الى أقرب السماء ثم قلبها أي أهلها (بالخاطئة) أي بالفعلة الخاطئة أو الخطاء على أنها مصدر أو ذات الخطا والمراد انها جاءت بالشرك والمعاصي قال مجاهد بالخطايا وقال الجرجاني بالخطا العظيم (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها المرسل اليها قال الكلبي هو موسى وقيل لوط لانه أقرب قيل ورسول هنا بمعنى رسالة (فأخذهم) الله سبحانه (أخذة رابية) أي نامية زائدة على أخذات الامم كما قاله الزجاج وقال مجاهد شديدة والمعنى انها بالغة في الشدة الى الغاية يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وتضاعف ومنه الربا اذا أخذ وزاد في الذهب أو الفضة أكثر مما أعطى (انا لما طغى الماء) أي تجاوز حده في الارتفاع والعلو وزاد على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح لما أصر قومه على الكفر وكذبوه وقيل طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قاله علي قال قتادة زاد على كل شئ خمسة عشر ذراعا قال ابن عباس طغى على خزانه فنزل ولم ينزل من السماء ماء الا بمكيال أو ميزان الا زمن نوح فانه طغى فنزل بغير كيل ولا وزن (حملناكم في الجارية) أي في أصلاب آبائكم أو حملناهم وحملناكم في أصلابهم تغليبا للمخاطبين على الغائبين والجارية سفينة نوح وسميت جارية لانها تجري في الماء وهو أول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعها فاتخذها على هيئة صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقاربا لما يجري في الهواء ومحل في الجارية النصب على الحال أي رفعناكم فوق الماء حال كونكم في السفينة ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال (لنجعلها) أي هذه الامور المذكورة (لكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تذكرة) أي عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله سبحانه وبديع صنعه أو لنجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة أو هذه السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة قال ابن جريج كانت ألواحها على الجودي والمعنى أبقيت لكم تلك

الا الرحمن أى بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه انه بكل شئ بصير أى بما يصلح كل شئ من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٣٩) قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم انه لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن أى ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى ان الكافرون الا فى غرور ثم قال تعالى أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه أى من هذا الذى اذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أى لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر الا الله عز وجل وحده لا شريك له أى وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى بل لجوا أى استمروا فى طغيانهم وافكهم وضلالهم فى عتو ونفور أى فى معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ثم قال تعالى أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه أى يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه أى لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا أهدى أمن يمشى سويا أى منتصب القامة على صراط مستقيم أى على طريق واضح بين وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم فى الدنيا وكذلك يكونون فى الآخرة فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم مفض به الى الجنة الفيحاء وأما الكافر فانه يحشر يمشى على وجهه الى نار جهنم احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم الآيات أزواجهم أشباههم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا اسمعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وهذا الحديث

الخشبات حتى تذكر (وتعيها أذن واعية) أى تحفظها بعد سماعها أذن حافظة لما سمعت قال الزجاج يقال أوعيت كذا أى حفظته فى نفسى أعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى وأوعيت المتاع فى الوعاء ويقال لكل ما وعيته فى غير نفسك أوعيته بالالف ولما حفظته فى نفسك وعيته بغير ألف قال قتادة فى تفسير هذه الآية أذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء المعنى لتحفظها كل أذن عظة لمن يأتى بعد وتعيها بكسر العين باتفاق القراء السبعة وقرئ باسكانها تشبيها لهذه الكلمة برحم وشهد وان لم تكن من ذلك وجعل الأذن حافظة ومستمعة ومتذكرة ومتفكرة وعاملة تجوز لان الفاعل لذلك صاحبها ولا ينسب اليها غير السمع وانما أتى به مشاكلة لقوله واعية عن على فى الآية قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك يا على فقال على ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فنسيته أخرجه سعيد بن منصور وأبو نعيم وغيرهما قال ابن كثير وهو حديث مرسل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ان الله أمرنى أن أدنيك ولا أقصيك وان أعلمك وان تعى وحق لك أن تعى فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية فأنت أذن واعية لعلى أخرجه ابن جرير وغيره قال ابن كثير ولا يصح وعن ابن عمر قال أذن عقلت عن الله ولما ذكر الله سبحانه القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع فى تفاصيل أحوالها وبدأ بذكر مقدماتها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) قال عطاء يريد النفخة الاولى وبه قال القاضى كالكشاف أى التى عندها خراب العالم وقال الكلبى ومقاتل يريد النفخة الاخيرة ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التأنيث مجازى وحسنه الفصل قرأ الجمهور بالرفع فيهما على ان نفخة مرتفعة على النيابة وواحدة تأكيد لها وقرئ بنصبهما على أن النائب هو الجار والمجرور وقال الزجاج قوله فى الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله (وحملت الارض والجبال) أى رفعت من أماكنها وقلعت عن مقارها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة والريح العاصفة أو الملائكة وهذا الرفع بعد خروج الناس من قبورهم قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بتشديد الميم للتكثير أو للتعدية (فدكتا دكة واحدة) أى فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها أو ضربتا ضربة واحدة بعضها ببعض حتى صارتا كثيبا مهيلا وهباء منبثا فلم يتميز شئ من أجزائهما عن الآخر وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من

مخرج في الصحيحين من طريق (١) وقوله تعالى قل هو الذي أنشأكم أى ابتدأ خلقكم بعد ان لم تكونوا شيأ مذكورا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة أى العقول والادراك قليلا ما تشكرون أى قلما تستعملون هذه القوى التى أنعم الله بها عليكم فى طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره قل هو الذى ذرأكم فى الارض أى بثكم ونشركم فى أقطار الارض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم فى لغاتكم وألوانكم حلاكم وأشكالكم وصوركم واليه تحشرون أى تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى (٤٠) مخبرا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين أى متى يقع هذا الذى تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق قل انما العلم عند الله أى لا يعلم وقت ذلك على التعيين الا الله عز وجل لكنه أمرنى أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه وانما أنا نذير مبين أى وانما على البلاغ وقد أديته اليكم قال الله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اى لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الامر كان قريبا لان كل ما هو آت آت وان طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلموا ما لهم هناك من الشر اى فأحاط بهم ذلك وجاءهم من امر الله ما لم يكن لهم فى بال ولا حساب وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ هذا الذى كنتم به تدعون اى تستعجلون (قل أرأيتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه أرأيتم ان أهلكنى الله العرش ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أى خلصوا أنفسكم فانه لا منقذ لكم من الله الا بالتوبة والانابة والرجوع الى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الاليم الواقع بكم ثم قال تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا أى آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا فى جميع أمورنا كما قال تعالى

قولهم اندك سنام البعير اذا تفرش على ظهره وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان وهذه الدكة كالزلزلة قال أبى بن كعب فى الآية تصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين وذلك قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة قال الفراء ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ومثله قوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت (١) القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أى انشقت جنسها وانصدعت وتفطرت بنزول لما فيها من الملائكة فهى فى ذلك اليوم ضعيفة مسترخية ساقطة القوة من هول ذلك اليوم بعد ما كانت محكمة قال الزجاج يقال لكل ما ضعف جدا قد وهى فهو واه وقال الفراء وهيها انشقاقها وقال ابن عباس واهية متخرقة أى متساقطة خفيفة لا تماسك كالعهن المنقوش (والملك على ارجائها) اى جنس الملك واقفون على أطرافها وجوانبها التى لم تسقط وهؤلاء من جملة المستثنى بقوله الا من شاء الله وقال القاضى لعل هلاك الملائكة اثر ذلك وقيل يحيون بالنفخة الثانية ويقفون على ارجائها الباقية وهى جمع رجى مقصور وتثنيته رجوان مثل قفى وقفوان والمعنى انهم لما تشققت السماء وهى مساكنهم لجؤا الى أطرافها قال الضحاك اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض ويحيطون بها ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا أى ينزلون الى الارض وقيل اذا صارت السماء قطعا يقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى أنفسها وقال ابن عباس على حافاتها على ما لم يهى منها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق رؤسهم (يومئذ) أى يوم القيامة (ثمانية) أى ثمانية أملاك وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل قاله ابن عباس وقيل ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة قاله الكلبى وغيره وقال ابن عباس أيضا ثمانية أملاك على صورة الاوعال رؤسهم عند العرش فى السماء السابعة وأقدامهم فى الارض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه خمسمائة عام واليوم تحمله اربعة وعن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وأرض خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام وما بين الكرسى والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على

(١) أشار المؤلف دام مجده بهذا الى أن قوله وقعت الواقعة كقولك قام القائم فى عدم الافادة فلا بد من تأويل حتى يفيد وتأويله أن الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة ولم يلاحظ فيها معنى الاشتقاق كسيد ذو الفقار أجد (١) بياض بأصله

فاعبدوه وتوكل عليه ولهذا قال تعالى اظهار الرحمة في خلقه فستعلمون من هو في ضلال مبين أي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا اى ذاهبا في الارض الى أسفل فلا ينال بالفؤس الحداد ولا السواعد الشداد والغاير عكس النابع ولهذا قال تعالى فمن يأتيكم بماء معين أى نابع سائح جار على وجه الارض اى لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه واجراها في سائر أقطار الارض بحسب ما يحتاج العباد اليه من القلة والكثرة فلله الحمد والمنة آخر تفسير سورة الملك ولله الحمد

(تفسير سورة ن وهي مكية) (٤١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وان قوله ن كقوله ص ق ونحو ذلك من الحروف المقطعة في اوائل السور وتحرير القول في ذلك بما اغنى عن اعادته ههنا وقيل المراد بقوله ن حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى قيام الساعة ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسط الارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض وكذا رواه

ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الاعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الاعمش به وزاد شعبة في روايته ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون وقد رواه شريك عن الاعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ورواه معمر عن الاعمش ان ابن عباس قال فذكره ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال ان أول شئ خلق ربي عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الارض عليه وقد روى الطبراني ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب

العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة (يومئذ تعرضون) أى تعرض العباد على الله لحسابهم ومثله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم وأخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعود نحوه وجملة (لا تخفى منكم خافية) في محل نصب على الحال من ضمير تعرضون أى تعرضون حال كونكم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم وسرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا خافية كائنة ما كانت والتقدير أى نفس خافية أو فعلة خافية قرئ بالتاء والياء وهما سبعيتان ولما ذكر سبحانه العرض ذكر تفصيل ما يكون فيه فقال (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أى أعطى كتابه الذي كتبه الحفظة عليه من أعماله (فيقول) خطابا لجماعته لما سر به أو لاهله واقربائه (هاؤم اقرؤا كتابيه) قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول ها يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجمع هاؤم يا رجال قيل والاصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف قال ابن زيد ومعنى هاؤم تعالوا وقال مقاتل هلم وقيل خذوا والذي صرح به النحاة أنها بمعنى خذ تقول ها بمعنى خذ وهاؤما بمعنى خذا وهاؤم بمعنى خذوا فهي اسم فعل وقد يكون فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها وفيها ثلاث لغات كما هو معروف في علم الاعراب والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه هي هاء السكت وقرأ الجمهور في هذه باثبات الهاء وقفا ووصلا مطابقة لرسم المصحف ولولا ذلك لحذفت في الوصل كما هو شأن هاء السكت واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط يعني خط المصحف وقرأ جماعة بحذفها وصلا واثباتها وقفا في جميع هذه الالفاظ واختار أبو حاتم هذه اتباعا للغة وقرئ بحذفها وصلا ووقفا تنازع في كتابيه هاؤم واقرؤا فأعمل الاول عند الكوفيين والثاني عند البصريين وحذف في الآخر أى هاؤموه اقرؤا كتابيه أو هاؤم اقرؤه كتابيه (اني ظننت اني ملاق حسابيه) أى علمت وأيقنت في

زيد بن المهدي المروزي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما خلق الله القلم والحوت قال ما أكتب قال كل شئ كائن الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون فالنون الحوت والقلم القلم (حديث آخر) في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول شئ خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب (٤٢) قال اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو اثر أو أجل فكتب ذلك الى يوم القيامة فذلك قوله ن والقلم وما يسطرون ثم ختم على القلم فلم يتكلم الى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت وقال ابن أبي نجيح ان ابراهيم ابن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت الذي تحت الارض السابعة وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين ان على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والارض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الارضون السبع وما فيهن وما بينهن والله أعلم ومن العجيب ان بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا حميد عن أنس ان عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال اني سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبي قال ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه والولد ينزع الى أمه قال أخبرني بهن جبريل آنفا قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واول طعام يأكله اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم ايضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي عن ثوبان ان حبرا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسائل فكان منها ان قال فما تحفتهم يعني اهل الجنة حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا وقيل المراد بقوله ن

الدنيا اني أحاسب في الآخرة وقيل المعنى اني ظننت أن يؤاخذني الله بسيئاتي فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني قال الضحاك كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك قال مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك قال الحسن في هذه الآية ان المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل للآخرة وان الكافر أساء الظن بربه فأساء العمل قيل والتعبير بالظن هنا للاشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا قال ابن عباس ظننت أي أيقنت قال النسفي وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العبادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (فهو في عيشة راضية) أي مرضية لا مكروه فيها أو ذات رضا يرضى بها صاحبها لا يضجر منها ولا يملها ولا يسأمها قال أبو عبيدة والفراء راضية أي مرضية كقوله ماء دافق أي مدفوق فقد أسند الى العيشة ما هو لصاحبها فكان ذلك من المجاز في الاسناد والعرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية والمعتبر في كمال اللذة الرضا وقيل المعنى أنه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها (في جنة عالية) أي مرتفعة المكان لانها في السماء السابعة أو مرتفعة المنازل والمباني أو عظيمة في النفوس وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) القطوف جمع قطف بكسر القاف ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح مصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف والمعنى أن ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم أو قاعد أو مضطجع أو متكئ عن البراء بن عازب دانية قريبة يتناول الرجل من فواكهها وهو قائم (كلوا واشربوا) أي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة وجمع الضمير مراعاة للمعنى وهذا أمر امتنان لا أمر تكليف (هنيئا) أي أكلا طيبا لذيذا وشربا هنيئا شهيا مريا لا تكدير فيه ولا تنغيص (بما أسلفتم في الايام الخالية) أي بسبب ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الدنيا وقال مجاهد هي أيام الصيام (وأما من أوتي كتابه بشماله) قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره (فيقول) حزنا وكربا لما رأى فيه من سيئاته وسوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء (يا ليتني لم أوت) أي لم أعط (كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أي لم أدر أي شئ حسابي

لوح من نور قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة وهذا مرسل غريب وقال ابن جريج اخبرت ان ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله ن دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الاعلى حدثنا ابو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله ن قالا هي الدواة وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جدا فقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا (٤٣) أبو عبد الله مولى بني امية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله النون وهي الدواة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخي عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت الثمالي عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول به أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم الزم كل شئ من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فني الرزق وانقطع الاثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيأ فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل وقوله تعالى والقلم الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به كقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال وما يسطرون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أي وما يعملون وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من اعمال العباد وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدرة حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارضين بخمسين ألف عام وأوردوا في ذلك الاحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن

حسابي لان كله عليه والاستفهام للتعظيم والتهويل أي بل استمريت جاهلا كذلك كما كنت في الدنيا (ياليتها) أي ليت الموتة التي متها (كانت القاضية) ولم أحي بعدها ومعنى القاضية القاطعة للحياة والمعنى انه تمنى دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير اليه من العذاب فالضمير في ليتها يعود الى الموتة التي قد كان ماتها وان لم تكن مذكورة لانها لظهورها كانت كالمذكورة قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شئ عنده أكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت وقيل الضمير يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت (ما أغنى عني ماليه) أي لم يدفع عني من عذاب الله شيأ على أن ما نافية أو استفهامية والمعنى أي شئ أغنى عني مالي الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله وصنيع الخطيب يقتضي أن ماليه كلمة واحدة بمعنى المال وفي أبي السعود ما كان لي من اليسار (هلك عني سلطانيه) أي هلكت وضلت وغابت عني حجتي كذا قال مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطاني الذي في الدنيا وهو الملك لم أجد له الآن نفعا وبقيت حقيرا ذليلا وقيل تسلطي على جوارحي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وحينئذ يقول الله عز وجل (خذوه فغلوه) أي اجمعوا يده الى عنقه بالاغلال والخطاب لخزنة جهنم أي زبانيتها وسيأتي في سورة المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا حكى الثلاثة الرازي (ثم الجحيم صلوه) أي ادخلوه الجحيم والمعنى لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة والترتيب بثم في الزمان فان ادخاله النار بعد غله وكذلك ادخاله في السلسلة كما يأتي بعد ادخاله النار والتراخي المفاد بثم للتفاوت في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها أشد في العذاب وأعلى مما قبله وفي الخطيب صلوه أي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لانه كان يتعاظم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران (ثم في سلسلة) عظيمة جدا والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة (ذرعها) أي طولها (سبعون ذراعا) قال الحسن الله أعلم بأي ذراع هو وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وكان نوف في رحبة الكوفة قال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب

سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى الابد وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر (٤٤) عن يحيي بن حسان عن أبي رباح عن ابراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة اسمه حنيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا على بن الحسن ابن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح بن زيد عن عمرو بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول شئ خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شئ غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى وما يسطرون أي يكتبون كما تقدم وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه الى الجنون وان لك لاجرا غير ممنون أي بل ان لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغك رسالة ربك الى الخلق وصبرك على أذاهم ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ فلهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع عنهم وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع الى ما قلناه وقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال العوفي عن ابن عباس وانك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد وقال عطية لعلى أدب عظيم وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يقول سعيد كما هو في القرآن وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله وانك لعلى خلق عظيم ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست

الرصاص وقال ابن جريج لا يعرف قدرها الا الله وهذا العدد حقيقة أو مبالغة ومعنى (فاسلكوه) فاجعلوه فيها بحيث يكون كأنه السلك أي الحبل الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بأن تلف عليه يقال سلكته الطريق اذا أدخلته فيه ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل أي الداخلة عليه بالظرف المتقدم وهو في سلسلة وتقديمها كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة لا للدلالة على تراخي المدة قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه قال الكلبي تسلك تسلك الخيط في اللؤلؤ وقال سويد بن أبي نجيح بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة قال ابن عباس السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود ثم يشوى وجملة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل لما قبلها على طريق الاستئناف وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يحث ولا يحرض نفسه على اطعامه من ماله أو لا يحث الغير على اطعامه ووضع الطعام موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والاضافة للمفعول ويجوز أن يكون في الكلام حذف المضاف أي على بذل طعام المسكين والاضافة له لكونه مستحقه وآخذه فهي لادنى ملابسة فالحض البعث والحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب له في النحو لانه يطلب به وقوع الفعل وايجاده وفيه اشارة الى أنه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون على المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم وفي جعل هذا قرينا لترك الايمان بالله من الترغيب في التصدق على المساكين وسد فاقتهم وحث النفس والناس على ذلك ما يدل أبلغ دلالة ويفيد أكمل فائدة على أن منعهم من أعظم الجرائم وأشد المآثم وعن أبي الدرداء قال ان لله سلسلة لم تزل تغلي منها مراجل النار منذ خلق الله جهنم الى يوم تلقى في أعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بايماننا بالله العظيم فحضي على طعام المسكين يا أم الدرداء أخرجه أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وقال الحسن أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وكان بعضهم يأمر أهله بتكثير المرقة لاجل المساكين

تقرأ القرآن قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة ابن أبى أوفى عن سعيد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أتقرأ القرآن فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الامام مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتى فى سورة المزمل ان شاء الله تعالى وبه الثقة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا يونس عن الحسن قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن (٤٥) وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بنى سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن وانك لعلى خلق عظيم قال قلت حدثينى عن ذاك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتى اذهبى فان جاءت هى بالطعام فوضعته قبل فاطرحى الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتصوا أو اقتصى شك أسود ظرفا مكان ظرفك قالت فما قال شيأ وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبى اياس حدثنا أبى حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعيد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقلت لها أخبرينى بخلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ وانك لعلى خلق عظيم وقد روى أبو داود والنسائى من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية عن جبير ابن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى ورواه النسائى فى التفسير عن اسحق بن منصور عن عبد الرحمن ابن مهدى عن معاوية بن صالح به ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلى فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة

المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام وقيل لعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر أن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا) أى يوم القيامة فى الآخرة (حميم) أى قريب ينفعه أو يشفع له ويحرق له قلبه لانه يوم يفر فيه القريب من قريبه ويهرب عنده الحبيب من حبيبه (ولا طعام الا من غسلين) أى وليس له طعام يأكله الا من صديد أهل النار وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد وغسلين فعلين من الغسل أو الغسالة فنونه وياؤه زائدتان قال أهل اللغة هو ما يجرى من الجراح اذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس هو شجر يأكله أهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى وعن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء والصديد الذى يسيل من لحومهم وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا أخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس أيضا قال الغسلين اسم طعام من أطعمة أهل النار وقال سبحانه فى موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع فيجوز أن يكون الضريع هو الغسلين وقيل فى الكلام تقديم وتأخير والمعنى فليس له اليوم ههنا حميم الا من غسلين على ان الحميم هو الماء الحار ولا طعام أى ليس لهم طعام يأكلونه قاله أبو البقاء ولا ملجئ لهذا التقديم والتأخير والتوفيق بين ما هنا وبين قوله فى محل آخر الا من ضريع وفى موضع آخر ان شجرت الزقوم طعام الاثيم وفى موضع آخر ما يأكلون فى بطونهم الا النار انه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يأكله الا الخاطئون) المراد بهم أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب قال الكلبى المراد أهل الشرك قرأ الجمهور الخاطئون مهموزا وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ من باب علم اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد وقرئ الخاطيون بالياء المضمومة بدل الهمزة وقرئ بالطاء المضمومة بدون همزة (فلا أقسم بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها قال قتادة أقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر فيدخل فى هذا جميع المخلوقات والاقسام بغير الله انما نهى عنه فى حقنا وأما هو تعالى فيقسم بما

والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البخاري حدثنا اسحق بن منصور حدثنا ابراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها (٤٦) وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير والاحاديث في هذا كثيرة ولابي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيأ قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين شيئين قط الا كان أحبهما اليه أيسرهما حتى لا يكون اثما فاذا كان اثما كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق تفرد به وقوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم وهذه كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وكقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيكم المفتون أي المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أي أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه وانما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في قوله فستبصر ويبصرون وتقدير فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم

شاء على ما شاء وهذا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما تقولون ولا زائدة والتقدير فأقسم بما تشاهدونه وما لا تشاهدونه وقيل ان لا ليست بزائدة بل هي أصلية لنفي القسم أي لا احتاج الى قسم لوضوح الحق في ذلك والاول أولى وقال البيضاوي فلا أقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف قال الكرخي واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر فيرده تعيين المقسم به بقوله بما تبصرون الخ اه (انه لقول رسول كريم) أي ان القرآن لتلاوة رسول كريم على الله فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوي الاخلاق على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو انه لقول يبلغه رسول كريم قال الحسن والكلبي ومقاتل يريد به جبريل دليله قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين وعلى كل حال فالقرآن ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا من قول جبريل عليه السلام بل هو من قول الله عز وجل فلا بد من تقدير التلاوة أو التبليغ وفي لفظ الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون لانه ليس من أصناف الشعر ولا مشابها له والشاعر هو الذي يأتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن (قليلا ما تؤمنون) أي ايمانا قليلا تؤمنون وتصديقا يسيرا تصدقون وقال البغوي أراد بالقليل نفي ايمانهم وتذكرهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (ولا بقول كاهن) كما تزعمون فان الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا (قليلا ما تذكرون) قرئ بالتاء وقرئ بالياء التفاتا عن الخطاب الى الغيبة أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون وما زائدة في الموضعين وذكر الايمان مع نفي الشعر والتذكر مع نفي الكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتذكر معاني القرآن المنافية لطريقة الكهانة ومعاني أقوالهم قال أبو جهل ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شاعر وقال الوليد بن المغيرة ساحر وقال عقبة كاهن فنزلت هذه الآية كذا قال مقاتل (تنزيل من رب العالمين) أي هو تنزيل منه على لسانه (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) قرأ الجمهور تقول مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مع رفع بعض وقرئ ولو يقول على صيغة المضارع والتقول تكلف القول وسمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف وكل كاذب يتكلف

الحزب الضال عن الحق (فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم) يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد ودوا لو تدهن تركن الى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته انما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها (٤٧) على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها قال ابن عباس المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب وقال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف وقوله تعالى هماز قال ابن عباس وقتادة يعني الاغتياب مشاء بنميم يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما أحدهما فكان لا يستتر من البول واما الآخر فكان يمشي بالنميمة الحديث وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات رواه الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن ابراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن ابراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات يعني نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الاحول عن الاعمش حدثني ابراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحرث قال مر رجل على حذيفة فقيل ان هذا يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال أحمد حدثنا هاشم حدثنا مهدي عن واصل الاحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام

يتكلف ما يكذب به والاقاويل جمع أقوال جمع قول فهو نظير أبابيت جمع أبيات جمع بيت وسميت الاقوال المنقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أقوولة من القول والمعنى ولو تقول ذلك الرسول وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو جبريل عليه السلام على ما تقدم وجاء به من جهة نفسه وادعى علينا شيئا لم نقله (لأخذنا منه باليمين) أي بيده اليمين قال ابن جرير ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة باليمين أي بالقوة والقدرة وبه قال ابن عباس وقال ابن قتيبة انما أقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شيء في ميامنه وقيل المعنى لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام وقيل المعنى لاذللناه وأهناه (ثم لقطعنا منه الوتين) هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب وهو مناطه اذا قطع مات صاحبه قال الواحدي والمفسرون يقولون انه نياط القلب وقال ابن عباس عرق القلب وعنه قال نياط القلب وعن مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب لميتا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه ويدفعنا منه فكيف يتكلف الكذب على الله لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ولا تقدرون على الدفع عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وانه لتذكرة للمتقين) أي ان القرآن لتذكرة لاهل التقوى لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد والظاهر أن هذا وما بعده معطوف على جواب القسم السابق فهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) أي ان بعضكم يكذب بالقرآن فنحن نجازيهم على ذلك بما يليق به اظهار العدل وفي هذا وعيد شديد (وانه) أي القرآن (لحسرة) وندامة (على الكافرين) يوم القيامة عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله (وانه) أي القرآن (لحق اليقين) أي عينه ومحضه لكونه من عند الله فلا يحوم حوله ريب ولا يتطرق اليه شك وهو من اضافة الصفة للموصوف أي

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال الذين اذا رأوا ذكر الله عز وجل ثم قال الا أخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذكر الله (٤٨) وشرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت

وقوله تعالى مناع للخير معتد أثيم أي يمنع ما عليه وماله من الخير معتد في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع أثيم أي يتناول المحرمات وقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع وقال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره الا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وقال وكيع كل جواظ جعظري مستكبر أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة الا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظري الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف وبهذا الاسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي السماء من عبد أصح الله

لليقين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقيل هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزهه عما لا يليق به وقيل فصل لربك والاول أولى وقيل هو قوله سبحان الله

(سورة سأل ويقال سورة المعارج هي أربع وأربعون آية وهي مكية)

قال القرطبي بالاتفاق عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) قرأ الجمهور سأل بالهمز من السؤال وهي اللغة الفاشية وهو اما مضمن معنى الدعاء فلذلك عدي بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع على نفسه (بعذاب واقع) ويجوز أن يكون على أصله والباء بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا وقرئ بغير همز وهو اما من باب التخفيف بقلب الهمزة ألفا فيكون معناهما معنى قراءة من همز أو يكون من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سائل كما قال زيد بن ثابت ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل أي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه وقيل ان سال بمعنى التمس والمعنى التمس ملتمس عذابا (للكافرين) فتكون الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن والوجه الاول هو الظاهر قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان قال أبو على الفارسي واذا كان من السؤال فأصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على أحدهما ويتعدى اليه بحرف الجر فيكون التقدير سأل سائل الله أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسلمين بعذاب أو عن عذاب وهذا السائل هو النضر ابن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم وهو ممن قتل يوم بدر صبرا وعن ابن عباس مثله وقال الربيع هو أبو جهل وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وقيل انها نزلت في جماعة من كفار قريش والاول أولى وقرئ وسال سال مثل مال مال على ان الاصل سائل فحذفت العين تخفيفا كما قيل شاك في شائك السلاح وقيل السائل هو نوح عليه السلام سأل العذاب للكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بالعقاب عليهم والمراد بالعذاب الواقع اما في الدنيا كيوم بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار وقوله للكافرين صفة أخرى لعذاب أي كائن لهم أو متعلق بواقع واللام للعلة أو بسأل على تضمينه معنى دعا أو في محل رفع

على

على تقدير هو للكافرين أو اللام بمعنى على ويؤيده قراءة أبي على الكافرين قال الفراء التقدير بعذاب للكافرين واقع بهم فالواقع من نعت العذاب وجملة (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه أو مستأنفة والمعنى انه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به أحد وقوله (من الله) متعلق بواقع أي واقع من جهته سبحانه ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل لا حرف فصح ان يعمل ما قبلها فيما بعدها أو متعلق بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) أي ذي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة وقال ابن عباس ذي العلو والفواضل وقال الكلبي هي السموات وسماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق وقيل المعارج العظمة وقيل هي الغرف وقيل الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب اجتماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب وقرأ ابن مسعود ذي المعاريج يقال معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام (تعرج الملائكة والروح اليه) أي تصعد في تلك المعارج التي جعلها الله لهم قرأ الجمهور تعرج بالفوقية وقرئ بالتحتية والروح جبريل أفرد بالذكر بعد الملائكة لشرفه ويؤيد هذا قوله نزل به الروح الامين وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل وقال أبو صالح انه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس وليسوا من الناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت حين يقبض والاول أولى ومعنى اليه الى المكان الذي ينتهون اليه وقيل الى عرشه وقيل الى مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي أي الى حيث أمرني ربي (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال ابن اسحق والكلبي ووهب بن منبه أي تعرج الملائكة الى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة وبه قال مجاهد وقال عكرمة وروى عن مجاهد ان مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي ولا يعلم ذلك الا الله والكلام على مدة عمر الدنيا ماضيها وباقيها مبسوط في كتابنا القطة العجلان مما تمس اليه حاجة الانسان وقال قتادة والكلبي ومحمد بن كعب ان المراد يوم القيامة يعني ان مقدار الامر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون ألف سنة وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة وقيل ان مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار ثم يستقر بعد ذلك

جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم ان العتل هو المصحح الخلق الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس عتل بعد ذلك زنيم قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها وانما الزنيم (٤٩) في لغة العرب هو الدعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الائمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم بعض كفار قريش

وأنت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر

زنيم ليس يعرف من أبوه
بغي الام ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا اسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس في قوله زنيم قال الدعي الفاحش اللئيم ثم قال ابن عباس

زنيم تداعاه الرجال زيادة
كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وقال العوفي عن ابن عباس الزنيم الدعي ويقال الزنيم رجل كانت به زنمة يعرف بها ويقال هو الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الاسود بن عبد يغوث الزهري وليس به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس انه زعم أن الزنيم الملحق النسب وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب انه سمعه يقول في هذه الآية عتل بعد ذلك زنيم قال سعيد هو الملصق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر بن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا قال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها والزنيم الملصق رواه

ابن جرير وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس انه قال فى الزنيم قال نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم قال وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها قال وقال آخرون كان دعيا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن ادريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذى تكون له زنمة مثل زنمة الشاة وقال الضحاك كانت له زنمة فى أصل اذنه ويقال هو اللئيم الملصق فى النسب وقال أبو اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذى يعرف بالشر وقال مجاهد الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة وقال أبو رزين الزنيم (٥٠) علامة الكفر وقال عكرمة الزنيم الذى يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها والاقوال فى هذا كثيرة وترجع الى ماقلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذى يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا وله زنا فانه فى الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء فى الحديث لايدخل الجنة ولد زنا وفى الحديث الآخر ولد الزنا شر الثلاثة اذا عمل بعمل أبويه وقوله تعالى ان كان ذامال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين يقول تعالى هذا مقابلة ماأنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل واعرض عنها وزعم انها كذب مأخوذ من أساطير الاولين كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ماسقر لاتبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وقال تعالى ههنا سنسمه على الخرطوم قال ابن جرير سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لاتخفى السمة على الخراطيم وهكذا قال قتادة سنسمه على الخرطوم شين لايفارقه آخر ما عليه وفى رواية عنه سيما على انفه وكذا قال السدى وقال العوفى عن ابن عباس سنسمه على الخرطوم يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف فى القتال وقال آخرون سنسمه سمة أهل النار يعنى نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم حكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير ومال الى أنه لامانع من اجتماع الجميع

أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقيل ان مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون ألف سنة وعلى المؤمنين مقدار مابين الظهر والعصر وقيل ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها أو لطول يوم القيامة باعتبار مافيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بابهام القطاة والطويل بظل الرمح وحينئذ لاتنافى بين هذه الآية وبين آية السجدة فى يوم كان مقداره ألف سنة لانه أيضا مسوق على سبيل التشديد على الكافرين وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وقال ابن عباس فى الآية منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقدار خمسين ألف سنة وقوله فى يوم كان مقداره ألف سنة قال يعنى بذلك ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة لان مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعنه قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعنه فى قوله فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال هذا فى الدنيا تعرج الملائكة فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وفى قوله مقداره خمسين ألف سنة فهذا يوم القيامة جعله الله سبحانه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وعنه قال لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم يعنى يوم القيامة وعن أبى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال والذى نفسى بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث وفى اسناده دراج عن أبى الهيثم وهما ضعيفان وعن أبى هريرة مرفوعا قال ماقدر طول يوم القيامة على المؤمنين الا كقدر مابين الظهر الى العصر أخرجه ابن أبى حاتم والحاكم والبيهقى فى البعث ولو كان المراد حقيقة العدد لم يعقل ان الزمان الواحد يكون مقداره خمسين ألف سنة ويكون مقداره ألف سنة ويكون مقداره قدر صلاة ركعتين وقيل العدد

على

عليه فى الدنيا والآخرة وهو متجه وقد قال ابن أبى حاتم فى سورة عم يتساءلون حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى خالد
ابن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط وان العبد يكتب كافرا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه
راض ومن مات همازا لمازا ملقبا للناس كان علامته يوم القيامة ان يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين (انا بلوناهم
كما بلونا أصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون (٥١) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون
فأصبحت كالصريم فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم
ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم
يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين وغدوا على حرد
قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون
بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم
أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم
على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا
انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون
كذلك العذاب ولعذاب الآخرة
أكبر لو كانوا يعلمون) هذا مثل
ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما
أهدى اليهم من الرحمة العظيمة
وأعطاهم من النعمة الجسيمة
وهو بعثة محمد صلى الله عليه
وسلم اليهم فقابلوه بالتكذيب
والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى
انا بلوناهم أى اختبرناهم كما بلونا
أصحاب الجنة وهى البستان
المشتمل على أنواع الثمار والفواكه
اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين أى
حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشئ ولا يستثنون أى فيما
حلفوا به ولهذا حنثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون أى أصابتها آفة سماوية فأصبحت
كالصريم قال ابن عباس أى كالليل الاسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع اذا حصد أى هشيما يبسا وقال ابن أبى
حاتم ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصى ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلا رسول الله

على حقيقته فان يوم القيامة خمسون موطنا كل موطن ألف سنة والله أعلم بمراده بذلك
وقد قيل فى الجمع ان من أسفل العالم الى العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا الى
الارض ألف سنة لان غلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين أسفل السماء الى قرار الارض
خمسمائة عام كما تقدم فالمعنى ان الملائكة اذا عرجت من أسفل العالم الى العرش كان
مسافة ذلك خمسين ألف سنة وان عرجوا من هذه الارض التى نحن فيها الى باطن هذه
السماء التى هى سماء الدنيا كان مسافة ذلك ألف سنة وقد تقدم ما يؤيد هذا عن ابن
عباس وقد قدمنا الجمع بين هذه الآية وآية السجدة فى سورة السجدة فتذكر ثم أمر الله
سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم لك
وكفرهم بما جئت به (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى الى غير الله وهذا معنى الصبر
الجميل وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى بأنه مصاب قال ابن زيد
وغيره هى منسوخة بآية السيف قال ابن عباس فى الآية لا تشكوا الى أحد غيرى
(انهم يرونه) أى يرون العذاب الواقع بهم و يعتقدونه أو يرون يوم القيامة أو يرون يوما
كان مقداره خمسين ألف سنة (بعيدا) أى غير كائن لانهم لا يؤمنون به فمعنى بعيدا أى
مستبعدا محالا وليس المراد انهم يرونه بعيدا غير قريب قال الاعمش يرون البعث بعيدا
لانهم لا يؤمنون به كأنهم يستبعدونه على جهة الاستحالة كما تقول لمن تناظره هذا
بعيد أى لا يكون (ونراه قريبا) أى نعلمه كائنا قريبا لان ما هو آت قريب وقيل
المعنى ونراه هينا فى قدرتنا غير متعسر ولا متعذر والجملة تعليل للامر بالصبر ثم أخبر سبحانه
متى يقع بهم العذاب فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أى يقع بهم العذاب يوم كذا
والمهل ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة وقال مجاهد هو القيح من الصديد والدم
وقال عكرمة وغيره هو دردى الزيت وبه قال ابن عباس وقد تقدم تفسيره فى سورة
الكهف والدخان (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف
عهن الا اذا كان مصبوغا قال الحسن تكون الجبال كالصوف الاحمر وهو أضعف
الصوف وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به فى تكونها ألوانا كما فى قوله جدد
بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الهواء أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح وهذه الاقوال فى معنى العهن فى اللغة وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا

صلى الله عليه وسلم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم قد صرموا خير جنتهم بذنبهم فتنادوا مصبحين أى لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا الى الجذاذ أى القطع ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين أى تريدون الصرام قال مجاهد كان حرثهم عنبا فانطلقوا وهم يتخافتون أى يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أى يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا (٥٢) يدخلها عليكم قال الله تعالى وغدوا على حرد أى قوة وشدة وقال مجاهد وغدوا على حرد أى جد وقال عكرمة على غيظ وقال الشعبي على حرد على المساكين وقال السدى على حرد أى كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدى فى قوله هذا قادرين أى عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا انا لضالون أى فلما وصلوا اليها وأشرفوا عليها وهى الحالة التى قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار الى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشئ منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا انا لضالون أى قد سلكنا اليها غير الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هى فقالوا بل نحن محرومون أى بل هى هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب قال أوسطهم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد ابن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أى أعدلهم وخيرهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قال مجاهد والسدى وابن جريج لولا تسبحون أى لولا تستثنون قال السدى وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان وسميت تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل ان شاء الله وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض الا الاعتراف بالخطيئة والذنب قالوا ياويلنا انا كنا طاغين أى اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى

منفوشا ثم هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبه عن شأنه فى ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الاهوال التى اذهلت القريب عن قريبه والخليل عن خليله كما قال سبحانه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقيل المعنى لا يسأل حميم عن حميم لشغله عنه فحذف الحرف ووصل الفعل قرأ العامة يسأل مبنيا للفاعل والمفعول الثانى محذوف أى لا يسأله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يسأل شيأ من حمل أوزاره وقرئ على البناء للمفعول والمعنى لا يسئل حميم احضار حميمه وقيل هذه القراءة على اسقاط حرف الجر اى لا يسئل حميم عن حميم بل كل انسان يسئل عن نفسه وعن عمله وقيل لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه وجملة (يبصرونهم) مستأنفة أو صفة لقوله حميما أى يبصر كل حميم حميمه لا يخفى منهم أحد عن أحد وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد منهم بنفسه وقال ابن زيد يبصر الله الكفار فى النار الذين أضلوهم فى الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون وقيل ان قوله يبصرونهم يرجع الى الملائكة اى يعرفون أحوال الناس لا يخفون عليهم وانما جمع الضميرين فى يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان فى سياق النفى قاله السمين والزمخشرى قال الطيبى وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين فى سياق النفى يعمان كما التزم فى قوله والله لا أشرب ماء من اداوة انه يعم فى المياه والاداوى خلافا لبعضهم فى الاداوة قال ابن عباس يبصرونهم يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض قرأ الجمهور يبصرونهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف (يود المجرم) أى الكافر أو كل مذنب بذنب يستحق به النار (لو) بمعنى أن (يفتدى من عذاب يومئذ) أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ قرأ الجمهور باضافة العذاب وكسر الميم من يومئذ وقرئ بالتنوين وقطع الاضافة وبفتح الميم (ببنيه وصاحبته) زوجته (وأخيه) فان هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب والجملة مستأنفة لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ بحد يود الافتداء من العذاب بمن ذكر وقيل حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (وفصيلته التى تؤويه) أى عشيرته الاقربين الذين يضمونه فى النسب أو عند الشدائد ويأوى اليهم قال أبو عبيد الفصيلة دون القبيلة وقال ثعلب هم آباؤهم الادنون قال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد

أصابنا ما أصابنا عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قيل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج اليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق اذ كان يصرف من هذه شيأ (٥٣) للفقراء ولو انا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شئ قال الله تعالى كذلك العذاب أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء كلا ورب الارض والسماء ولهذا قال ما لكم كيف تحكمون أي كيف تظنون ذلك ثم قال تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا

وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها لها بالبعض منه وقال مالك ان الفصيلة هي التي تربيه (ومن) أي ويود المجرم لو افتدى بمن (في الارض جميعا) من الثقلين وغيرهما من الخلائق وقوله (ثم ينجيه) معطوف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم ينجيه الافتداء وكأن العطف بثم لدلالتها على استبعاد النجاة وقيل ثم ينجيه جواب يود والاول أولى (كلا) ردع للمجرم عن تلك الودادة وبيان امتناع ما وده من الافتداء وكلا يأتي بمعنى حقا وبمعنى لا النافية مع تضمنها المعنى الزجر والردع وهي هنا تحتمل الامرين (انها لظى) الضمير عائد الى النار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو ضمير مبهم يفسره ما بعده ويترجم عنه الخبر قاله الزمخشري ولظى علم لجهنم واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب ولذلك منع من الصرف للعلمية والتأنيث وقيل أصله لظظ بمعنى دوام العذاب فقلبت احدى الظاءين ألفا وقيل لظى هي الدركة الثانية من طباق جهنم (نزاعة للشوى) قرأ الجمهور نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان أو خبر مبتدأ محذوف أو تكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان أو على ان نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علما أو يكون الضمير في انها للقصة ويكون لظى مبتدأ ونزاعة خبره والجملة خبر ان وقرئ بالنصب على الحال وقال أبو علي الفارسي حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال وقيل العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي أو النصب على الاختصاص والشوى الاطراف أو جمع شواة كنوى ونواة وهي جلدة الرأس وقال الحسن وثابت البناني للشوى أي لمكارم الوجه وحسنه وكذا قال أبو العالية وقتادة وقال قتادة تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيأ وقال الكسائي هي المفاصل وقال أبو صالح هي أطراف اليدين والرجلين وقال ابن عباس تنزع أم الرأس وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل وقيل هو جلد الانسان (تدعو) لظى (من أدبر) عن الحق في الدنيا (وتولى) أي أعرض عنه قيل انها تقول الي يا مشرك الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب وقيل معنى تدعو تهلك تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وقيل ليس هو الدعاء باللسان ولكن دعاؤها اياهم تمكنها من عذابهم وقيل المراد ان خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين فاسناد الدعاء الى النار من باب اسناد ما هو للحال الى المحل وقيل هو تمثيل وتخييل ولا دعاء في الحقيقة والمعنى أن مصيرهم اليها والاول أولى لقوله وتقول هل من مزيد

كما تدعونه ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون أى أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ان لكم لما تحكمون أى انه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون سلهم أيهم بذلك زعيم أى قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل أم لهم شركاء أى من الاصنام والانداد فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود (٥٤) فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون) لما ذكر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يعنى يوم القيامة وما يكون فيه من الاهوال والزلازل والبلاء والامتحان والامور العظام وقد قال البخارى ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس يوم يكشف عن ساق قال هو يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة بن ابراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير يوم يكشف عن ساق قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق * وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم يكشف عن ساق قال شدة الامر وقال ابن عباس هى أشد ساعة تكون فى يوم القيامة وقال ابن جرير عن مجاهد يوم يكشف عن ساق

ولا موجب للصرف عن الظاهر والله على كل شئ قدير (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه وفى هذا ذم لمن جمع المال فأوعاه وكثره ولم ينفقه فى سبيل الخير أو لم يؤد زكاته (ان الانسان) أى الجنس عبر به لماله من الانس لنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولدينه (خلق هلوعا) قال فى الصحاح الهلع فى اللغة أشد الحرص واسوأ الجزع وأفحشه يقال هلع بالكسر فهو هلع وهلوع وقال عكرمة هو الضجور وقال ابن عباس هو الشره قال الواحدى والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعنى قوله (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) وبه قال ابن عباس أى اذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو كثير الجزع واذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والامساك وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى اذا أصابه شر اظهر شدة الجزع واذا مسه الخير بخل به ومنعه الناس والعرب تقول ناقة هلوع وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفته وقال أبو عبيدة الهلوع هو الذى اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وانتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على انها أحوال مقدرة لانه ليس متصفا بالصفات المذكورة وقت خلقه ولا وقت ولادته أو محققة لكونها طبائع جبل الانسان عليها والظرفان معمولان لجزوعا ومنوعا وقوله (الا المصلين) من قبيل استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع أى المؤمنين المقيمين للصلاة لان الصلاة الشرعية تستلزم الايمان يعنى انهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع وانهم على صفات محمودة وخلال مرضية لان ايمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير ثم بينهم سبحانه فقال (الذين هم على صلاتهم دائمون) أى مواظبون أى لا يشغلهم عنها شاغل ولا يصرفهم عنها صارف ولا يتركونها اداء ولا قضاء أى يفعلونها ولو قضاء وليس المراد بالدوام انهم يصلون أبدا قال الزجاج هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة وقال الحسن وابن جريج هو التطوع منها قال النخعى المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة وقال ابن مسعود الذين يصلونها لوقتها وعن عمران بن حصين قال الذى لا يلتفت فى صلاته وعن عقبة بن عامر قال هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا والمراد بالآية جميع

المؤمنين

قال شدة الامر وجده وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق هو الامر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق يقول حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٥٥) يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجدا ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم وقوله تعالى خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا الى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة اذا تجلى الرب عزوجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ثم قال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث يعني القرآن وهذا تهديد شديد أي دعني واياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الامر اهانة كما قال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ولهذا قال ههنا وأملي لهم ان كيدي متين أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى ان كيدي متين أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى أم تسألهم

المؤمنين وقيل الصحابة خاصة ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بأنه من المصلين (والذين في أموالهم حق معلوم) قال قتادة ومحمد بن سيرين المراد الزكاة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكاة وقيل صلة الرحم وحمل الكل والظاهر أنه الزكاة المفروضة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قرينا للصلاة (للسائل) أي الذي يسأل الناس (والمحروم) أي الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقد تقدم تفسير السائل والمحروم في سورة الذاريات وفي سورة المؤمنين مستوفى (والذين يصدقون بيوم الدين) أي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه وقيل يصدقونه بأعمالهم فيتعبون أنفسهم في الطاعات لان التصديق به يستلزم الاستعداد له بالاعمال الصالحة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون وجلون مع مالهم من أعمال الطاعة استحقارا لاعمالهم واعترافا بما يجب لله سبحانه عليهم وجملة (ان عذاب ربهم غير مأمون) مقررة لمضمون ما قبلها مبينة ان ذلك مما لا ينبغي أن يأمنه أحد لجواز ان يحل به وان بلغ في الطاعة ما بلغ وان حق كل أحد أن يخافه ويكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء ولشبههن في جريان التصرف عليهن عبر عنهن بما التي لغير العاقل (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) اى طلب منكحا (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) أي المتجاوزون عن الحلال الى الحرام والمتعدون ما حد لهم وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والزنا والاستمناء بالكف وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمنين مستوفى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي لا يخلون بشيء من الامانات التي يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيأ من العهود التي يعقدونها على أنفسهم قرأ الجمهور لاماناتهم بالجمع وقرئ بالافراد وهما سبعيتان والمراد الجنس وهي تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهود ما أتى بها الرسول (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أي يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الاداء ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريب أو بعيد أو رفيع أو وضيع بلا ترجيح للقوي على الضعيف ولا يكتمونها ولا يغيرونها اظهارا

أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون تقدم تفسيرهما في سورة الطور والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم الى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين) يقول تعالى فاصبر يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم (٥٦) فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة

ولا تكن كصاحب الحوت يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقال ههنا اذ نادى وهو مكظوم قال ابن عباس ومجاهد والسدي وهو مغموم وقال عطاء الخراساني وأبو مالك مكروب وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين خرجت الكلمة تحف حول العرش فقالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى أما تعرفون هذا قالوا لا قال هذا يونس قالوا يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم قالوا أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه منهم من البلاء فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ليزلقونك لينفذونك بأبصارهم أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك

للصلاة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين وقد تقدم القول على الشهادة في سورة البقرة قرأ الجمهور بشهادتهم بالافراد وقرئ بالجمع قال الواحدي والافراد أولى لانه مصدر ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال الفراء ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى وأقيموا الشهادة لله وقيل أراد بالشهادة الشهادة بكلمة التوحيد والاول أولى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي على أذكارها واركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج المراد التطوع وكرر ذكر الصلاة للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها ولاختلاف ما وصفهم به اولا وما وصفهم به ثانيا فان معنى الدوام هو ان لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل كما سلف ومعنى المحافظة ان يراعي الامور التي لا تكون صلاة بدونها وقيل المراد يحافظون عليها بعد فعلها من ان يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها وكرر الموصولات للدلالة على ان كل وصف من تلك الاوصاف لجلالته يستحق ان يستقل بموصوف منفرد وقال الكرخي وفي هذه الصلاة مبالغات لا تخفى وهي تقديم الضمير وبناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددي (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات مستقرون (في جنات مكرمون) بانواع الكرامات وهما خبران (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أي أي شيء ثبت لهم حوليك مسرعين قال الاخفش مهطعين مسرعين وقيل المعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حوليك ولا يعملون بما تأمرهم وقيل ما بالهم مسرعين الى التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع اليك فيكذبونك ويستهزؤن بك وقال الكلبي ان معنى مهطعين ناظرين اليك وقال قتادة عامدين وقيل مسرعين اليك مادي أعناقهم مديمي النظر اليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله جماعات متفرقة وعزين جمع عزة وهي العصبة من الناس وقيل أصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الفرقة الاخرى قال في الصحاح العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الياء والجمع عزى وعزون قال ابن عباس عزين العصب من الناس معرضين يستهزؤن به وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونحن حلق متفرقون فقال مالي أراكم عزين (أيطمع كل امرئ

لبغضهم اياك لولا وقاية الله لك وحمايته اياك منهم وفي هذه الآية دليل على أن العين اصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عزوجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال أبو عبد الله بن ماجه (٥٧) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو حمة هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد ابن منصور عن هشيم عن حصين ابن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي وروى هذا الحديث الامام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا حديث أبي ذر جندب بن جنادة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة ابن البريد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دبي عن أبي حرب عن محجن عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العين لتولع الرجل باذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه اسناده غريب ولم يخرجوه حديث حابس التميمي قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حية بن حابس التميمي ان أباه أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن ابي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب قال وروى شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسن بن محمد عن شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن حية حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله

منهم أن يدخل جنة نعيم) كالمؤمنين المسلمين قال المفسرون كان المشركون يقولون لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلن قبلهم فنزلت الآية قرأ الجمهور يدخل مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال (كلا انا خلقناهم مما يعلمون) أي من القذر الذي يعلمون به يعني من النطفة المذرة وأبهم اشعارا بأنه منصب يستحي من ذكره فلا ينبغي لهم هذا التكبر وهذا استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا محالا عندهم بعد ردعهم عنه وقيل المعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو امتثال الامر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل وتعريضهم للثواب والعقاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أخرج أحمد وابن ماجه وابن سعد وابن أبي عاصم والباوردي وابن قانع والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء عن بشر ابن جحاش قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما للذين كفروا الى قوله مما يعلمون ثم بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفه ووضع عليها أصبعه وقال يقول الله ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة قال ابن العربي في الفتوحات خلق الله تعالى الناس على أربعة أقسام قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا أقسم) لا زائدة كما تقدم قريبا والمعنى فأقسم (برب المشارق والمغارب) قرأ الجمهور بالجمع يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه وقال ابن عباس للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه وكل يوم مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالامس وغير مغربها بالامس وقيل مشرق كل نجم ومغربه وقرئ بالافراد وقوله (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) جواب القسم والمعنى انا لقادرون على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء أو نبدلهم تحويل الوصف فيكونوا أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عند ذلك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه ما ذكر من هذه الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم

عليه وسلم قال لا بأس فى الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل حديث ابن عباس رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن
الوليد عن سفيان عن دويد حدثنى اسمعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين
حق العين حق تستنزل الحالق غريب طريق أخرى قال مسلم فى صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخبرنا مسلم بن
ابراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر
سبقت العين واذا استغسلتم فاغسلوا انفرد به (٥٨) دون البخارى وقال عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن منصور عن المنهال بن
عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعوذ الحسن والحسين يقول أعيذ كما
بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ويقول
هكذا كان ابراهيم يعوذ اسحق
واسمعيل عليهما السلام أخرجه
البخارى وأهل السنن من حديث
المنهال به حديث أبى أمامة أسعد
ابن سهل بن حنيف رضى الله عنه
قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار
حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى
أمامة بن سهل بن حنيف قال عامر
ابن ربيعة لسهل بن حنيف وهو
يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد
مخبأة فالبث ان لبط به فأتى به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل
له أدرك سهلا صريعا قال من
تتهمون به قالوا عامر بن ربيعة
قال علام يقتل أحدكم أخاه اذا
رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه
فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأمر
عامر أن يتوضأ فيغسل وجهه
ويديه الى المرفقين وركبتيه
وداخلة ازاره وأمره أن يصب عليه
قال سفيان قال معمر عن الزهرى
وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه وقد رواه النسائى من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما ايضا
عن الزهرى به ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ومن حديث ابن
أبى ذئب عن الزهرى عن أبى أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبى امامة بن سهل عن
أبيه به حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريرى
عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزل المعوذتان أخذهما
وترك ما سوى ذلك ورواه الترمذى والنسائى من حديث سعيد بن أبى اياس أبى مسعود الجريرى به وقال الترمذى حسن

بالاحسان مع السعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن فى
الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فى مرضاته الانفس والاموال ومن جملة المقسم
عليه قوله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين ان أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شئ
ولا يعجزنا أمر ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم
بخلق آخر (فذرهم) أى دعهم واتركهم (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم
واشتغل بما أمرت به ولا يعظمن عليك ما هم فيه فليس عليك الا البلاغ وهذا تهديد لهم
وتسلية له صلى الله عليه وسلم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) هو يوم كشف الغطاء
الذى أوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره ومحل
استقراره وقيل هو يوم القيامة وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعى وابن
عادل قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا وفيه اشارة الى أن التفاعل ليس على بابه (يوم
يخرجون من الاجداث سراعا) يوم بدل من يومهم بدل بعض من كل على ما يقتضيه
تفسير يومهم بما ذكر قرأ الجمهور يخرجون على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول
والاجداث جمع جدث وهو القبر والسراع جمع سريع وانتصابه على الحال من ضمير
يخرجون (كأنهم الى نصب يوفضون) قرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وهو
اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع الشخص نحوه وقال أبو عمرو هو شبكة الصائد
يسرع اليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته وقرئ بضمهما وفيه ثلاثة أوجه
أحدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وثانيها انه جمع نصاب ككتب فى
كتاب وثالثها انه جمع نصب كرهن فى رهن وسقف فى سقف وجمع الجمع أنصاب وقرئ
بفتحتين فعل بمعنى مفعول أى منصوب كالقبض وقرئ بضم فسكون وهى تخفيف من
الثانية وقال النحاس نصب ونصب بمعنى واحد قيل معنى الى نصب الى غاية وهى التى
تنصب اليها بصرك وقال الكلبى الى شئ منصوب كعلم أو راية أى كأنهم الى علم يدعون
اليه أو راية تنصب لهم يوفضون قال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى
نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أولهم على آخرهم قيل معنى يوفضون
يسرعون اسراع من ضل عن الطريق الى اعلامها والايفاض الاسراع يقال أوفض

حديث آخر عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز بن صهيب حدثنى أبو نضرة عن أبى سعيد ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس وعين والله يشفيك بسم الله أرقيك ورواه عن عفان حدثنا عبد الوارث مثله ورواه مسلم وأهل السنن الا أبا داود من حديث عبد الوارث به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبى نضرة عن أبى سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال بسم الله أرقيك من كل (٥٩) شئ يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضا عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن داود عن أبى نضرة عن أبى سعيد به قال أبو زرعة الرازى روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبى نضرة وعن عبد العزيز عن أنس فى معناه وكلاهما صحيح حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق أخرجاه من حديث عبد الرزاق وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا اسمعيل بن علية عن الجريرى عن مضارب بن حزم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق تفرد به ورواه أحمد عن اسمعيل بن علية عن سعيد الجريرى به وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعنى ابن يزيد عن مكحول عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطيرة فى ثلاث فى المسكن والفرس والمرأة قال قلت اذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أصدق الطيرة الفأل والعين حق حديث أسماء بنت عميس قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقى قال قالت أسماء يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القدر لسبقته العين وكذا رواه الترمذى

ايفاضا أى اسرع اسراعا فى القاموس وفض يفض وفضا بالسكون وبالتحريك عدا واسرع كأوفض واستوفض والاوفاض الفرق من الناس والاخلاط والجماعة من قبائل شتى كأصحاب الصفة قال ابن عباس فى الآية الى علم يستبقون وقيل يسعون وقيل ينطلقون والمعانى متقاربة وانتصاب (خاشعة) على الحال من ضمير يوفضون وهو الاقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد والخشوع الذلة والخضوع و(أبصارهم) مرتفعة به والمعنى لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب (ترهقهم ذلة) أى تغشاهم ذلة شديدة ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لان من تعزز فيها عن الحق ذل فى الآخرة ومن ذل للحق فى الدنيا عز فى الآخرة قال قتادة هى سواد الوجوه ومنه غلام مراهق اذا غشيه الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا غشيه ومثل هذا قوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والجملة مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون أو يخرجون (ذلك) الذى تقدم ذكره (اليوم الذى كانوا يوعدون) أى يوعدونه فى الدنيا على ألسنة الرسل قد حاق وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم الله به وان كان مستقبلا فهو فى حكم الذى قد وقع لتحقق وقوعه قال الخطيب وهذا هو العذاب الذى سألوا عنه أول السورة فقد رجع آخرها على أولها

(سورة نوح هى تسع أو ثمان(١) وعشرون آية وهى مكية عن الزبير قال نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أرسلنا نوحا الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض من الآدميين أهل عصره ولذلك لما كفروا أغرق الله أهل الارض جميعا وقد تقدم أن نوحا أول رسول أرسله الله بالنهى عن عبادة غير الله لان عبادة غيره انما حدثت فى زمن نوح والا فمن المعلوم ان قبله رسلا آدم وشيث وادريس وهو نوح بن لامك بن متوشلح بن اخنوخ بن قينان بن شيث بن آدم وكان أطول الانبياء عمرا بل أطول الناس وهو أول من شرعت له الشرائع وأول رسول أنذر من الشرك وقد تقدم مدة لبثه فى قومه وبيان جميع عمره وبيان السن التى أرسل هو فيها فى سورة العنكبوت قيل النوح معناه بالسريانية الساكن (أن أنذر قومك) أى بأن انذر على أنها مصدرية أو هى المفسرة لان فى الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بدون ان أى فقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) أى شديد الالم وهو عذاب النار على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة وقال الكلبى هو ما نزل بهم من الطوفان (قال

(١) ثمان بكسر النون ان أعل اعلال قاض فيكون منقوصا واعرابه على الياء المحذوفة وبرفع النون ان حذفت الياء اعتباطا وتخفيفا لا لعلة تصريفية فيكون كيد ودم اه مصححه أبو الفقار أحمد سلمه ربه

وابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذى أيضا والنسائى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذى حسن صحيح حديث عائشة رضى الله عنها قال ابن ماجه حدثنا على بن أبى الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها ان تسترقى من العين ورواه البخارى عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر (٦٠) كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هاشم المخزومى حدثنا وهيب عن أبى واقد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله فان النفس حق تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان يؤمر العاين فيتوضأ ويغسل منه المعين قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين ابن محمد عن سنان أن ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا (١) الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل حديث سهل بن حنيف قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة أحد بنى عدى ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله هل لك فى سهل والله ما يرفع رأسه ولا يفيق قال هل تتهمون فيه من أحد قالوا نظر اليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه هلا اذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال له اغتسل فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره فى قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس حديث عامر بن ربيعة قال الامام أحمد فى مسند عامر حدثنا وكيع حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان

(يا قوم) أضافهم الى نفسه اظهار للشفقة والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا على تقدير سؤال (انى لكم نذير) من عقاب الله ومخوف لكم (مبين) أى بين الانذار أو مبين لما فيه نجاتكم بلغة تعرفونها أو أمرى بين فى نفسه بحيث صار فى شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه منادبذلك للقريب والبعيد والفطن والغبى (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ان هى التفسيرية لنذير أو هى المصدرية كأختها السابقة أى بان اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره واجتنبوا ما يوقعكم فى عذابه وأطيعونى فيما آمركم به فانى رسول اليكم من عند الله وانما أضاف الاطاعة الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة (يغفر لكم من ذنوبكم) هذا جواب الاوامر الثلاثة ومن للتبعيض أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول واجابة دعوته وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد فانها لا تغفر بالاسلام وهذا كلام ظاهرى اذ الحق انها تغفر من حيث المؤاخذة الاخروية بمعنى انهم لا يعاقبون عليها فى الآخرة وان كانت من حيث المؤاخذة عليها فى الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر اذا أسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذى ظلم به فى الكفر تأمل وقيل هى لبيان الجنس وقيل زائدة قاله السدى فان الاسلام يغفر ما قبله وهذا على رأى الاخفش الذى لا يشترط فى زيادتها تقدم نفى ولا تنكير المجرور بها والاولى هو الوجه الاول وقيل يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها (ويؤخركم الى أجل مسمى) أى يؤخر موتكم الى الامد الاقصى المعلوم المعين الذى قدره الله لكم لا يزيد ولا ينقص بشرط الايمان والطاعة فوق ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان وقيل التأخير بمعنى البركة فى أعمارهم ان آمنوا وعدم البركة فيها ان لم يؤمنوا قال مقاتل يؤخركم الى منتهى آجالكم وقال الزجاج أى يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب فالمؤخر انما هو العذاب فلا يخالف هذا قوله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لان المنفى تأخيره فيه هو الاجل نفسه فلا تخالف بين هذين المحلين وقال الفراء المعنى لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا (ان أجل الله) أى ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب (اذا جاء) وأنتم باقون على الكفر (لا يؤخر) بل يقع لا محالة فبادروا الى الايمان والطاعة وقيل المعنى ان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يمكنكم الايمان وقيل المعنى اذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب واضافة الاجل

(١) بياض بأصله

الحر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر الى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها قال فقام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك فان العين حق حديث جابر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الانصاري ويقال له ابن الضجيع (٦١) ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالانفس قال البزار يعني العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد قلت بل قد روي من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن ابي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وان أكثر هلاك أمتي في العين ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية ابن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر وهذا اسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه حديث عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق تفرد به أحمد حديث عن علي روى الحافظ بن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتما فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك قال الحسن والحسين أصابتهما عين قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال وما هن يا جبريل قال قل اللهم ذا السلطان العظيم ذا المن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس

الاجل اليه سبحانه لانه هو الذي أثبته وقد يضاف الى القوم كقوله اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون) شيأ من العلم لسارعتم الى ما أمرتكم به ولعلمتم ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر هذا وقد سئل الشوكاني رحمه الله تعالى عما ورد في الآيات الكريمات الدالة على أن العمر لا يزيد ولا ينقص والاحاديث الدالة على أن صلة الرحم تزيد في العمر فأجاب بما لفظه قد طال الكلام في هذا البحث وقد وقفت قبل الآن بنحو ثمان سنين على مؤلف بسيط لبعض الحنابلة في خصوص هذه المسئلة وقد غاب عني اسم الكتاب واسم صاحبه والاحاديث القاضية بأن صلة الرحم تزيد في العمر أحاديث صحيحة كثيرة منها ما أخرجه البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في أثره فليصل رحمه وعند الترمذي تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاثر والاثر الاجل والانساء تأخيره وأخرج أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان ورمز السيوطي في الجامع لصحته من حديث عائشة مرفوعا صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الاعمار وأخرج القضاعي من حديث ابن مسعود مرفوعا صلة الرحم تزيد في العمر وصدقة السر تطفئ غضب الرب وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث عمرو بن سهيل مرفوعا صلة الرحم مثراة في المال محبة في الاهل منسأة في الاجل اذا تقرر هذا فالعمر محدود ومعلوم لا يتقدم ولا يتأخر الا اذا وصل الرجل رحمه مد الله في عمره وزاده وهكذا حكم سائر الامور التي وردت الادلة بأنها تزيد في العمر أو تنقص منه لانها خاصة والخاص مقدم على العام والمقام يحتمل البسط وفي هذا كفاية والله أعلم (قال رب) أي قال نوح مناجيا لربه وحاكيا له ما جرى بينه وبين قومه وهو أعلم به منه (اني دعوت قومي) الى ما أمرتني بأن أدعوهم اليه من الايمان (ليلا ونهارا) أي دعاء دائما دائبا بلا فتور في الليل والنهار من غير تقصير (فلم يزدهم دعائي) شيأ من أحوالهم التي كانوا عليها (الا فرارا) اعراضا عما دعوتهم اليه وبعدا عنه قال مقاتل يعني تباعدا من الايمان كأنهم حمر مستنفرة واسناد الزيادة الى الدعاء لكونه سببها كما في قوله زادتهم ايمانا قرأ الجمهور دعائي بفتح الياء وقرئ باسكانها والاستثناء مفرغ (واني كلما دعوتهم) الى سبب المغفرة وهو الايمان بك والطاعة لك (لتغفر لهم) أي

الجن وأعين الانس فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه وقوله تعالى ويقولون انه لمجنون أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون انه لمجنون أي بمجيئه بالقرآن قال الله تعالى وماهو الاذكر للعالمين آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحاقة وهي مكية) (٦٢) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) الحاقة من أسماء يوم القيامة لان فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله تعالى أمرها فقال وما أدراك ما الحاقة ثم ذكر تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد انها الطغيان وقرأ ابن زيد كذبت ثمود بطغواها وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعني عقر الناقة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري عاتية أي شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك صرصر باردة عاتية عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي الخزنة فخرجت بغير حساب سخرها عليهم أي سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع مشائيم عليهم لقوله تعالى في أيام نحسات قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الاربعاء ويقال انها

لاجل مغفرتك لهم أو اللام للتعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب والاصل دعوتهم للتوبة التي هي سبب في الغفران فأطلق الغفران وأريد به التوبة (جعلوا أصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعوا صوتي وقال ابن عباس لئلا يسمعوا ما يقول (واستغشوا ثيابهم) أي غطوا بها وجوههم لئلا يروني وقيل جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعوا كلامي فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سد الآذان وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم وقال ابن عباس ليتنكروا فلا يعرفهم وعنه قال غطوا وجوههم لئلا يروا نوحا ولا يسمعوا كلامه وقد أفادت هذه الآية بالتصريح انهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار كما قال تعالى (وأصروا) أي استمروا على الكفر ولم يقلعوا عنه ولا تابوا عنه (واستكبروا) عن قبول الحق وعن امتثال ما أمرهم به (استكبارا) شديدا وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم قال ابن عباس تركوا التوبة (ثم اني دعوتهم جهارا) أي مظهرا لهم الدعوة مجاهرا لهم بها وانتصاب جهارا على المصدرية لان الدعاء يكون جهارا ويكون غير جهار فالجهار نوع من الدعاء كقولهم قعد القرفصاء ويجوز أن يكون نعت مصدر محذوف أي دعاء جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا أو ذا جهار او جعل نفس المصدر مبالغة ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من السر والجمع بين الامرين أغلظ من أحدهما قرأ الجمهور اني بسكون الياء وقرئ بفتحها (ثم اني أعلنت لهم) أي دعوتهم معلنا لهم بالدعاء (وأسررت لهم) الدعوة (اسرارا) كثيرا قيل المعنى أنه يدعو الرجل بعد الرجل يكلمه سرا فيما بينه وبينه والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم ينجع ذلك فيهم وهكذا يفعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد قال مجاهد معنى أعلنت صحت وقيل معنى أسررت أتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها (فقلت استغفروا ربكم) أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة أعيانها وآثارها باخلاص النية (انه كان غفارا) أي كثير المغفرة للمذنبين وقيل المعنى توبوا عن الكفر انه كان غفارا للتائبين (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي يرسل ماء السماء عليكم ففيه اضمار (١) وقيل المراد بالسماء المطر والمدرار الدرور وهو التحلب بالمطر

(١) كما في قول الشاعر اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

التي تسميها الناس الاعجاز وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقيل لانها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح في اليوم الثامن حكاه البغوي والله أعلم قال ابن عباس خاوية خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الارض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته كأنها قائمة النخلة اذا خوت بلا أغصان وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى (٦٣) بن الضريس العبدي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها الا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والارض فلما رأى أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة وقال الثوري عن ليث عن مجاهد الريح لها جناحان وذنب فهل ترى لهم من باقية أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب اليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف أي ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط وقرأ آخرون بفتحها أي ومن قبله من الامم المشبهين له وقوله تعالى والمؤتفكات وهم الامم المكذبون بالرسل بالخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله قال الربيع بالخاطئة أي بالمعصية وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى فعصوا رسول ربهم وهذا جنس أي كل كذب رسول الله اليهم كما قال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق وعيد ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما جاء الى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية أي عظيمة شديدة أليمة قال مجاهد رابية شديدة وقال السدي مهلكة ثم قال تعالى انا لما طغا الماء أي زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود وقال ابن عباس وغيره طغا الماء كثر وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه وعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الارض

بالمطر وانتصابه اما على الحال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث بل يستوي فيه المذكر والمؤنث تقول امرأة مئناث ومذكار أو على انه نعت لمصدر محذوف أي ارسالا مدرارا وقد تقدم الكلام عليه في سورة الانعام وجزم يرسل لكونه جواب الامر وفي هذه الآية دليل على ان الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الارزاق ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولهذا قال (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) أي بساتين الدنيا ليكون مما وعدوا به عاجلا (ويجعل لكم أنهارا) جارية قال عطاء المعنى يكثر أموالكم وأولادكم وكانوا يحبونهما فحركوا بهذا على الايمان وأعلمهم نوح عليه السلام ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا وأعاد فعل الجعل ولم يقل وأنهارا لتغايرهما فان الاول مما لفعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية ولله دره ما أفقهه قال القشيري من وقعت له حاجة الى الله لم يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار قال الشهاب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الالسنة والقلوب (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أي أي عذر لكم في ترك الرجاء والرجاء هنا الخوف أي ما لكم لا تخافون الله والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تخافون حق عظمته فتوحدونه وتطيعونه وقيل المعنى ما لكم لا تؤملون من الله توقيرا لكم بأن تؤمنوا به فتصيروا موقرين عنده وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوي أولا وقال أبو السعود انكارا لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد انتهى وهذا حث على رجاء الوقار لله والمراد الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من الكناية التلويحية لان من أراد رجاء تعظيم الله وتوقيره اياه آمن به وعبده وعمل صالحا ومن عمل الصالحات رجا ثواب الله وتعظيمه اياه في دار الثواب فان الحث على تحصيل الرجاء مسبوق بالحث على تحصيل الايمان فهو من باب مقدمة الواجب قال الكرخي أي انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم استخفافه كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا وقال

بالطوفان الامن كان مع نوح فى السفينة فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء الا بكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان وطغا الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى انا لما طغى الماء أى زاد على الحد باذن الله حملناكم فى الجارية ولم ينزل شئ من الريح الا بكيل على يد ملك الا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى بريح صرصر عاتية أى عتت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على (٦٤) الناس انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وهى السفينة الجارية على وجه الماء لنجعلها لكم تذكرة عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقيت لكم من جنسها ماتركبون على تيار الماء فى البحار كما قال وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وقال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون قال قتادة أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة والاول أظهر ولهذا قال تعالى وتعيها أذن واعية أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية قال ابن عباس حافظة سامعة وقال قتادة أذن واعية عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله وقال الضحاك وتعيها أذن واعية سمعتها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل رجيح وهذا عام فى كل من فهم ووعى وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد ابن صبيح الدمشقى حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولا يقول لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيها أذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى أن يجعلها أذن على قال مكحول فكان على يقول ماسمعت من رسول الله صلى كل الله عليه وسلم شيأ فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن سهل عن الوليد بن مسلم عن على بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل وقد قال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو أحمد يعنى والد أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن هشيم سمعت بريدة الاسلمى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى انى أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وان أعلمك وان تعى وحق لك ان تعى قال فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم

سعيد بن جبير وأبو العالية وعطاء بن أبى رباح مالكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون منه عقابا وقال مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم أرج لم أبل وقال قتادة مالكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان مالكم لا ترجون فى عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد مالكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن مالكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقال ابن عباس لا تعلمون لله عظمة وعنه قال لا تخافون لله عظمة ولا تخشون له عقابا ولا ترجون له ثوابا وعن على بن أبى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ناسا يغتسلون عراة ليس عليهم أزر فوقف فنادى باعلى صوته مالكم لا ترجون لله وقارا أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (وقد خلقكم أطوارا) أى والحال انه سبحانه قد خلقكم على أطوار مختلفة وأحوال منافية لما أنتم عليه بالكلية خلقكم تارة عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر والطور فى اللغة المرة وقال ابن الانبارى الطور الحال والهيئة وجمعه أطوار وقيل أطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل الاطوار اختلافهم فى الافعال والاقوال والاخلاق والمعنى كيف تقصرون فى توقير من خلقكم على هذه الاطوار البديعة تارات وكرات فهذا مما لا يكاد يصدر عن العاقل ثم لما نبههم سبحانه وتعالى أولا على النظر فى أنفسهم لانها أقرب نبههم ثانيا على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع الحكيم فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) الخطاب لمن يصلح له والمراد الاستدلال بخلق السموات على كمال قدرته وبديع صنعه وأنه الحقيق بالعبادة والطباق المتطابقة بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب من غير مماسة قال الحسن خلق الله سبع سموات على سبع أرضين بين كل سماء وسماء وأرض وأرض خلق وأمر وقد تقدم تحقيق هذا فى قوله ومن الارض مثلهن وانتصاب طباقا على المصدرية تقول طابقه طباقا ومطابقة أو حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات وأقام طباقا مقامه وأجاز الفراء فى غير القرآن جر طباق على النعت (وجعل القمر فيهن نورا) أى منورا لوجه الارض وجعل القمر فى السموات مع كونه فى سماء الدنيا لانه اذا كان فى احداهن فهو فيهن كذا قال ابن كيسان وأبو السعود قال الاخفش كما تقول أتانى بنو تميم والمراد بعضهم أو لان

رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الاعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لان أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج الى تكرار (٦٥) ولا تأكيد وقال الربيع هي النفخة الاخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ههنا وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة أي فدت مد الاديم العكاظي وتبدلت الارض غير الارض فيومئذ وقعت الواقعة قال سماك عن شيخ من بني أسد عن علي قال تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم أي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وقال ابن جريج هي كقوله وفتحت السماء فكانت أبوابا وقال ابن عباس متخرقة والعرش بحذائها والملك على أرجائها الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم يهِ منها وكذا قال سعيد بن جبير والاوزاعي وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبوابها وقال الربيع بن أنس في قوله والملك على ارجائها يقول على ما استدق من السماء ينظرون الى أهل الارض وقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الارض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب وفي حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش انهم ثمانية أوعال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن حباب حدثني أبو السمح البصري حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينه مسيرة مائة عام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب الى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي

كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنه سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في كل واحدة منها كأنه في الكل وقال قطرب فيهن بمعنى معهن أي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض قال ابن عباس وجهه في السماء الى العرش وقفاه الى الارض وعنه قال خلق فيهن حين خلقهن ضياء لاهل الارض وليس من ضوئه في السماء شيء (وجعل الشمس) فيهن (سراجا) أي كالمصباح لاهل الارض ليتوصلوا بذلك الى التصرف فيما يحتاجون اليه من المعاش عن ابن عمرو قال الشمس والقمر وجوههما قبل السماء وأقفيتهما قبل الارض وأنا أقرأ بذلك عليكم آية من كتاب الله يعني هذه الآية وعن ابن عمر قال في الآية تضيء لاهل السموات كما تضيء لاهل الارض وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الاحبار وكان بينهما بعض العتب فتعاتبا فذهب ذلك فقال ابن عمرو لكعب سلني عما شئت فلا تسألني عن شيء الا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن فقال له أرأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السموات السبع كما هو في الارض قال نعم ألم تر الى قول الله يعني هذه الآية قال النسفي وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة وضوءها أقوى من نور القمر وقال الخطيب وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة (والله أنبتكم من الارض نباتا) يعني آدم خلقه الله من أديم الارض والمعنى أنشأكم منها انشاء فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا اما مصدر لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ويجوز أن يكون مصدر النبت مقدرا أي أنبتكم فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الخليل والزجاج هو مصدر محمول على المعنى لان معنى أنبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل المعنى والله أنبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا منصوب به قال ابن بحر أنبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يعيدكم) في الارض بعد الموت مقبورين (فيها ويخرجكم) منها بالبعث يوم القيامة (اخراجا) حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أي فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم ولم يجعلها مسنمة (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أي طرقا واسعة وقال ابن عباس طرقا مختلفة والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع كذا قال الفراء وغيره وقيل هو المسلك بين الجبلين وقد مر

أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام وهذا اسناد جيد رجاله كلهم ثقات
وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة
عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى
من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام هذا لفظ أبي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى
ابن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن (٦٦) جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال
ثمانية صفوف من الملائكة قال وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك وكذا روى السدي (١) عن مالك عن ابن عباس ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الانس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شئ من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى لا تخفى منكم خافية وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا اسحق بن اسمعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الاكبر وقوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن
علي بن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث لانهم
عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه ابن ماجه
عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن أبي هريرة به وقد روى
ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الاصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال يعرض الناس يوم
القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه

(١) بياض بالاصل

تحقيق هذا في سورة الانبياء وفي سورة الحج مستوفى وفي الانبياء تقديم الفجاج فقال فجاجا سبلا لتناسب الفواصل هنا (قال نوح) بعدما يئس من ايمانهم (رب انهم عصوني) أي كلهم استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي شكاهم الى الله عز وجل وأخبره بأنهم عصوه ولم يتبعوه وهو أعلم بذلك (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أي اتبع الاصاغر رؤساءهم وأهل الثروة منهم الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا وطغيانا وكفرا في الدنيا وعقوبة في الآخرة واستمروا على اتباعهم لانهم أحدثوا الاتباع قرئ ولده بفتح الواو واللام وبضم الواو وسكون اللام وهما سبعيتان وبفتح الاول وسكون الثاني وهي لغة في الولد ويجوز أن يكون جمعا وقد تقدم تحقيقه (ومكروا) أي الرؤساء (مكرا كبارا) قرأ الجمهور بالتشديد أي كبيرا عظيما جدا يقال كبير وكبار وكبار مثل عجيب وعجاب وعجاب وجميل وجمال وجمال قال المبرد كبارا بالتشديد للمبالغة ومثل كبار قراء لكثير القراءة وقرئ بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة أيضا دون الاول وقرئ بكسر الكاف وتخفيف الباء قال أبو بكر هو جمع كبير كأنه جعل مكرا مكان ذنوب أو أفاعيل فلذلك وصفه بالجمع وقال عيسى بن عمر هي لغة يمانية قيل جمع الضمير حملا على معنى من بعد حمله على لفظها في قوله من لم يزده ماله وولده قاله السمين واختلف في مكرهم هذا ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وأذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل هو تعييرهم على الناس بما أوتوا من المال والولد حتى قال الضعفة لولا انهم على الحق لما أوتوا هذا النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن آلهتكم وقيل مكرهم كفرهم وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادة آلهتكم وهي الاصنام والصور التي كانت لهم ثم عبدتها العرب من بعدهم وبهذا قال الجمهور (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أي لا تتركوا عبادة هذه الاوثان قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت هذه الصور بهذه الاسماء

وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا مثله (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وانه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه هاؤم اقرؤا كتابيه أي خذوا اقرؤا كتابيه لانه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لانه ممن بدل الله سيآته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى هاؤم اقرؤا كتابيه أي ها اقرؤا كتابيه وأم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى هاكم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن (٦٧) مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا عاصم الاحول عن أبي عثمان قال المؤمن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيآته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيآته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه وحدثنا أبي حدثنا ابراهيم الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله ابن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال ان الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيآته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب فيقول له اني لم أفضحك به واني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه حين نجا من فضيحته يوم القيامة وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى انه قد هلك قال الله تعالى اني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه أي قد كنت موقنا في الدنيا ان هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقو ربهم قال الله تعالى فهو في عيشة راضية أي مرضية في جنة عالية أي رفيعة قصورها حسان حورها نعيمة دورها دائم حبورها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا اسمعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة قال نعم انه ليهبط

لانهم صوروها على صور أولئك القوم وقال عروة بن الزبير وغيره ان هذه كانت أسماء أولاد آدم وكان ود أكبرهم وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية قال الماوردي فأما ود فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم

حياك ود فانا لا يحل لنا * لهو النساء وان الدين قد عزبا

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وأما يعوق فكان لهمدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء وقال الثعلبي كان لكهلان بن سبا ثم توارثوه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل قال ابن عباس هذه الاصنام كانت تعبد في زمن نوح قال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر الطائر قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم صور اناس صالحين لان تصويرهم اياهم يمكن أن يكون منتزعا من معانيهم فكان ود كاملا في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر ومثله في القرطبي أخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى

أهل الدرجة العليا الى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون الى الاعلين تقصر بهم أعمالهم وقد ثبت فى الصحيح ان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقوله تعالى قطوفها دانية قال البراء بن عازب أى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد قال الطبرانى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا (٦٨) كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعد عن سليمان التيمى عن أبي عثمان النهدى عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية أى يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وانعاما واحسانا والا فقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون) وهذا اخبار عن حال الاشقياء اذا أعطى أحدهم كتابه فى العرصات وهى بشماله فحينئذ يندم غاية الندم فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية قال الضحاك يعنى موتة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدى وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ فى الدنيا أكره اليه منه ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه أى لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه بل خلص الامر الى وحدى فلا معين لى ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه أى يأمر الزبانية ان تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الاغلال فى عنقه ثم توردة الى جهنم

قومهم أن انصبوا الى مجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت وفى الصحيحين من حديث عائشة ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كان اذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة قرأ الجمهور ودا بفتح الواو وقرئ بضمها قال الليث ود بضم الواو صنم لقريش وبفتحها صنم كان لقوم نوح وبه سمى عمرو بن ود قال فى الصحاح والود بالفتح الوتد فى لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها فى الدال وقرأ الجمهور يغوث ويعوق بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة والعلمية وقرئ يغوثا ويعوقا بالنصب مصروفين لامرين أحدهما أنه صرفهما للتناسب اذ قبلهما اسمان منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسل والثانى انه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهى لغة حكاها الكسائى ذكره السمين وقال ابن عطية وذلك وهم ووجه تخصيص هذه الاصنام بالذكر مع دخولها تحت الآلهة انها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها ولم يذكر النفى مع يعوق ونسر لكثرة التكرار وعدم اللبس (وقد أضلوا كثيرا) أى وقال نوح قد أضل كبراؤهم ورؤساؤهم كثيرا من الناس وقيل الضمير راجع الى الاصنام أى ضل بسببها كثير من الناس كقول ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأجرى عليهم صيغة من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها انها تعقل (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) معطوف على رب انهم عصونى ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وقال أبو حيان انه معطوف على قد أضلوا ومعنى الا ضلالا الا عذابا كذا قال ابن بحر واستدل على ذلك بقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال والولد وقيل الضياع وقيل ضلالا فى مكرهم وهذا دعاء عليهم من نوح بعد ان أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (مما) ما مزيدة للتأكيد والمعنى من (خطيئاتهم) قرأ الجمهور على جمع السلامة وهى سبعية وقرئ خطاياهم على جمع التكسير وخطيئتهم على الافراد والمعنى من أجلها أو بسببها (أغرقوا) بالطوفان قرأ الجمهور من أغرق وقرئ غرقوا بالتشديد (فادخلوا) عقب الاغراق (نارا)

فتصليه اياها أي تغمره فيها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال اذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك ان الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفا في النار وروى ابن أبي الدنيا في الاهوال أنه يبتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء الادقه فيقول مالي ولك فيقول ان الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك وقال الفضيل هو ابن عياض اذا قال الرب عزوجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ثم الجحيم صلوه أي اغمروه فيها وقوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه قال كعب الاحبار كل حلقة منها قدر (٦٩) حديد الدنيا وقال العوفي عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس فاسلكوه تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك من دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها أو أصلها وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وقوله تعالى انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم فان لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيأ وللعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله باقام الصلاة وايتاء الزكاة وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم وقوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ولا طعام له ههنا الا من غسلين قال قتادة هو شر طعام أهل النار وقال الربيع والضحاك هو شجرة في جهنم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدري ما الغسلين

وهي نار الآخرة وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو أتى أمر الله وقيل عذاب القبر وعلى هذا هو على بابه كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعني لما أيس نوح عليه السلام من ايمانهم واقلاعهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك قال قتادة دعا عليهم بعد ان أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فأجاب الله دعوته وأغرقهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع بن أنس وابن زيد وعطية انما قال هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام النساء وأصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة وقيل بأربعين قال قتادة لم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وأبو العالية لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذابا من الله وعدلا فيهم ولكن أهلك ذريتهم وأطفالهم بغير عذاب ثم أهلكهم بالعذاب ومعنى ديارا من يسكن الديار ويدور في الارض وأصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء وأدغمت احداهما في الاخرى مثل القيام أصله قيوام وقال القتيبي أصله من الدار أي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار ودور أي أحد كقيام وقيوم وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام وقيل الديار صاحب الدار والمعنى لا تدع أحدا منهم الا أهلكته وقيل هو مأخوذ من الدوران وهو التحرك قال سليمان الجمل انظر ما الحكمة في تأخيره عن قوله مما خطيئاتهم أغرقوا مع ان مقتضى الظاهر تقديمه عليه لكونه سببا لاغراقهم تأمل ثم رأيت أبا السعود قال هذا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطاياهم التي عددها نوح واشارة الى أن استحقاقهم للاهلاك لاجلها اه كلام الجمل (انك ان تذرهم) أي ان تركتهم على الارض (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا الا فاجرا) بترك طاعتك (كفارا) لنعمتك أي كثير الكفران لها والمعنى الا من سيفجر ويكفر ففي الكلام مجاز الاول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعده بزمان طويل وقال عليه السلام هذا القول لعلمه بالتجربة من أحوالهم ان أولادهم يكونون مثلهم ثم لما دعا على الكافرين أتبعه بالدعاء لنفسه ولوالديه وللمؤمنين فقال (رب اغفر لي ولوالدي) قرأ

ولكني أطعمه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم وقال على بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) يقول تعالى مقسما لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم ان القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة واداء الامانة فقال (٧٠) تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا اضافه فى سورة التكوير الى الرسول الملكى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وهذا جبريل عليه السلام ثم قال تعالى وما صاحبكم بمجنون يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولقد رآه بالافق المبين يعنى أن محمدا رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها وما هو على الغيب بضنين أى بمتهم وما هو بقول شيطان رجيم وهكذا قال ههنا وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فاضافه تارة الى قول الرسول الملكى وتارة الى الرسول البشرى لان كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى تنزيل من رب العالمين قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن قال فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين الى آخر السورة قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع فهذا من جملة الاسباب التى جعلها الله تعالى مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية اسلامه فى سيرته المفردة ولله الحمد والمنة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه

العامة بكسر اللام وفتح الدال على انه تثنية والد يريد أبويه وكانا مؤمنين وأبوه لامك أولمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس وأمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش وقيل أراد آدم وحواء والاول أولى وقال سعيد بن جبير أراد بوالديه أباه وجده وقرئ ولولدى بكسر الدال على الافراد وعلى التثنية يعنى ابنيه ساما وحاما وقرئ ولوالدى بكسر الدال يعنى أباه فيجوز أن يكون أراد أباه الاقرب الذى ولده وخصه بالذكر لانه أشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده (ولمن دخل بيتى) قال الضحاك والكلبى يعنى مسجده وقيل منزله الذى هو ساكن فيه وقيل سفينته وقيل لمن دخل فى دينه وانتصاب (مؤمنا) على الحال أى لمن دخل بيتى متصفا بصفة الايمان فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذى قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ثم عمم الدعوة فقال (وللمؤمنين والمؤمنات) أى واغفر لكل متصف بالايمان من الذكور والاناث ثم عاد الى الدعاء على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين الا تبارا) مفعول ثان والاستثناء مفرغ أى لا تزد المتصفين بالظلم الاهلاكا وخسرانا ودمارا فاهلكوا وغرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم وفى الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقد يشمل دعاؤه هذا كل ظالم الى يوم القيامة كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة

(سورة الجن ثمان وعشرون آية وهى مكية قال القرطبى فى قول الجميع)

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وتسمى سورة قل أوحى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) يا محمد للناس (أوحى الى) ليعرفوا بذلك وانك مبعوث الى الجن كالانس ولتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا قرأ الجمهور أوحى رباعيا وقرئ وحى ثلاثيا وهما لغتان والمعنى أخبرت بالوحى من الله (انه استمع نفر من الجن) واختلف هل رآهم النبى صلى الله عليه وسلم أم لم يرهم فظاهر القرآن انه لم يرهم لان المعنى قل يا محمد لامتك أوحى الى على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن ومثله قوله واذ صرفنا اليك نفرا

حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم)

يقول تعالى ولو تقول علينا أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيأ من عنده فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ولهذا قال تعالى لأخذنا منه باليمين قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لانها أشد في البطش وقيل لأخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحاكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد (٧١) وقال محمد بن كعب هو القلب ومراقه وما يليه وقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه اذا أردنا به شيأ من ذلك والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ثم قال تعالى وانه لتذكرة للمتقين يعني القرآن كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ثم قال تعالى وانا لنعلم أن منكم مكذبين أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ثم قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين قال ابن جرير وان التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك وانه لحسرة على الكافرين يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أي وان القرآن والايمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولهذا قال ههنا وانه لحق اليقين أي الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد والمنة

﴿تفسير سورة سأل سائل وهي مكية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) سأل سائل بعذاب واقع فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى و[illegible] يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده [illegible] واقع [illegible] [illegible] [illegible] تعالى [illegible]

من الجن يستمعون القرآن ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم وروى ابن مسعود انه رآهم ورجحه العلماء والحق صحتهما وان الاول وقع أولا ثم نزلت السورة ثم أمر بالخروج اليهم قال عكرمة والسورة التي كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي اقرأ باسم ربك الذي خلق وقد تقدم في سورة الاحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا والنفر اسم للجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوي كانوا تسعة وقيل سبعة وقد اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجودهم لكن اختلفوا في ماهيتهم وقد نطق الكتاب العزيز والسنة المطهرة بوجودهم فلا اعتداد بمنكرهم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال الضحاك والجن ولد الجان وليسوا بشياطين وقال الحسن انهم ولد ابليس وقيل هم اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لابدانها وقد اختلف أهل العلم في دخول مؤمني الجن الجنة كما تدخل عصاتهم النار لقوله في سورة تبارك وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقول الجن فيما سيأتي في هذه السورة وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وغير ذلك من الآيات فقال الحسن يدخلون الجنة وقال مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار والاول أولى لقوله في سورة الرحمن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي سورة الرحمن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها وقد قدمنا أن الحق انه لم يرسل الله اليهم رسلا منهم بل الرسل جميعا من الانس وان أشعر قوله ألم يأتكم رسل منكم بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة في الكتاب العزيز دالة على ان الله سبحانه لم يرسل الرسل الا من بني آدم وهذه الابحاث الكلام فيها يطول والمراد الاشارة باخصر عبارة قال ابن مسعود في الآية كانوا من جن نصيبين وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين

حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع قال النضر بن الحرث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس سأل سائل بعذاب واقع قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى سأل سائل دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب (٧٢) وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الاول لدلالة السياق عليه وقوله تعالى واقع للكافرين أي مرصد معد للكافرين وقال ابن عباس واقع جاء ليس له دافع أي لا دافع له اذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى من الله ذي المعارج قال الثوري عن الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ذي المعارج قال ذو الدرجات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد ذي المعارج معارج السماء وقال قتادة ذي الفواضل والنعم وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا أناسا قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فانها اذا قبضت يصعد بها الى السماء كما دل عليه حديث البراء كما في الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن زادان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه فلا يزال يصعد بها من سماء الى سماء حتى ينتهى وهي بها الى السماء السابعة والله أعلم بصحته فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه وهذا اسناد رجاله على شرط الجماعة وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيه أربعة أقوال * أحدها أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم الى أسفل السافلين وهو قرار الارض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الارض

خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الامر الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن وانما أوحي اليه قول الجن (فقالوا) لقومهم لما رجعوا اليهم (انا سمعنا قرآنا) أي كلاما مقروأ (عجبا) في فصاحته وبلاغته وغزارة معانيه وغير ذلك وقيل عجبا في مواعظه وقيل في بركته وعجبا مصدر وصف به للمبالغة أو على حذف المضاف أي ذا عجب أو المصدر بمعنى اسم الفاعل أي معجبا (يهدي الى الرشد) أي الى مراشد الامور وهي الحق والصواب والايمان وقيل الى معرفة الله والتوحيد والجملة صفة أخرى للقرآن (فآمنا به) أي صدقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحدا) من خلقه ولا نتخذ معه الها آخر لانه المتفرد بالربوبية وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه وأدركوا بعقولهم انه كلام الله وآمنوا به ولم ينتفع كفار الانس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرارا متعددة وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون (وأنه تعالى جد ربنا) قرئ بفتح أن وكذا فيما بعدها وذلك أحد عشر موضعا الى قوله وأنه لما قام عبد الله وقرئ بالكسر في هذه المواضع كلها الا في قوله وان المساجد لله فانهم اتفقوا على الفتح أما من قرأ بالفتح في هذه المواضع فعلى العطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا الخ وأما من قرأ بالكسر في هذه المواضع فعلى العطف على انا سمعنا أي فقالوا انا سمعنا قرآنا وقالوا انه تعالى جد ربنا الخ واختار أبو حاتم وأبو عبيدة قراءة الكسر لانه كله من كلام الجن ومما هو محكي عنهم بقوله فقالوا انا سمعنا وقرئ بالفتح في ثلاثة مواضع

وهي وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وانه كان رجال من الانس لانه من الوحي وكسر ما بقي لانه من كلام الجن وقرأ الجمهور وأنه لما قام عبد الله بالفتح لانه معطوف على قوله أنه استمع وقرئ بالكسر في هذا الموضع عطفا على فآمنا به وبذلك التقدير السابق واتفقوا على الفتح في أنه استمع كما اتفقوا على الفتح في أن المساجد وفي وأن لو استقاموا واتفقوا على الكسر في فقالوا انا سمعنا وقال انما أدعو ربي وقل ان أدري وقل اني لا أملك لكم والجد عند أهل اللغة العظمة والجلال يقال جد في عيني أي عظم فالمعنى ارتفع عظمة ربنا وجلاله و به قال عكرمة ومجاهد وقال الحسن المراد تعالى غناؤه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود أي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد والخليل انه لا ينفع ذا الغنى منك الغنى أي وانما ينفعه الطاعة وقال القرطبي والضحاك جده آلاؤه ونعمه على خلقه وقال ابن عباس آلاؤه وعظمته وأمره وقدرته وقال أبو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي أمره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا أي تعالى ربنا وقيل جده قدرته وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع بن أنس ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة والجد أيضا أبو الاب قرأ الجمهور جد بفتح الجيم وقرئ بكسرها وهو ضد الهزل وقرئ جدى ربنا أي جدواه ومنفعته وقرئ بتنوين جد ورفع ربنا على انه بدل من جد (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذا بيان لتعالي جده سبحانه قال الزجاج تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وكأن الجن نبهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون الى الله الصاحبة والولد ونزهوا الله سبحانه عنهما (وأنه كان يقول سفيهنا) أي جاهلنا (على الله شططا) أي غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد والضمير في انه للحديث أو الامر وسفيهنا يجوز أن يكون اسم كان ويقول الخبر ويجوز أن يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير يرجع الى الحديث أو الامر ويجوز أن تكون كان زائدة ومرادهم بسفيههم عصاتهم ومشركوهم وقال مجاهد وابن جريج وقتادة أرادوا به ابليس عن أبي موسى الاشعري مرفوعا قال ابليس أخرجه ابن مردويه والديلمي قال السيوطي بسند واه والشطط الغلو في الكفر وقال أبو مالك الجور وقال الكلبي الكذب وأصله البعد عن القصد ومجاوزة الحد (وانا ظننا أن

السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر الى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحق بن ابراهيم أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق السموات مقداره خمسين ألف سنة و يوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك تنزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معرف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام و بين السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة و بين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة القول الثاني أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم قال اليوم الدنيا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا من أولها الى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي الا الله عز وجل القول الثالث انه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني محمد بن كعب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة القول الرابع أن المراد بذلك يوم

القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال يوم القيامة واسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام (٧٤) أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن دراج به الا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه الي فردوه فقال نبئت انك ذو مال كثير فقال العامري اي والله ان لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الابل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة اياك واخفاف الابل واظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذاك يا أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت له ابل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسلها وان قال في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه باخفافها فاذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله واذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء اذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان

لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي انا حسبنا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكا وصاحبة وولدا فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق وانتصاب كذبا على انه مصدر مؤكد لتقول لان الكذب نوع من القول أو صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا وقرئ ان لن تقوّل من التقول فعلى هذا كذبا مفعول به (وانه كان رجال) في الجاهلية (من الانس يعوذون) أي يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم بمخوف قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان العرب اذا نزل الرجل بواد قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الآية قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن عكرمة بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي أنا جارك فنادى مناد يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الآية وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند (فزادوهم) أي زاد رجال الجن من يعوذ بهم من رجال الانس أو زاد المستعيذون من رجال الانس من استعاذوا بهم من رجال الجن (رهقا) لان المستعاذ بهم كانوا يقولون سدنا الجن والانس وبالاول قال مجاهد وقتادة وبالثاني قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله ترهقهم ذلة أي تغشاهم وقيل الرهق الخوف أي ان الجن زادت الانس بهذا التعوذ بهم خوفا منهم وقيل كان الرجل من الانس يقول أعوذ بفلان من سادات العرب من جن هذا الوادي ويؤيد هذا ما قيل من أن لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله برجال وصفا لمن يستعيذون به من رجال الانس أي يعوذون بهم من شر الجن وهذا فيه بعد واطلاق لفظ رجال على الجن على تسليم عدم صحته لغة لا مانع من اطلاقه عليهم هنا من باب المشاكلة قال ابن عباس كان القوم في الجاهلية اذا نزلوا بالوادي قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه فلا يكون شئ أشد ولعا منهم بهم فذلك قوله فزادوهم رهقا (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) أي

مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله واذا كانت له غنم لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها فانها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وأشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء اذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله فقال العامرى وما حق الابل يا أبا هريرة قال ان تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقى الابل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة كلاهما عن قتادة به طريق أخرى لهذا الحديث قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب كنز لا يؤدى حقه الا جعل صفائح يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وذكر بقية الحديث فى الغنم والابل كما تقدم وفيه الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الى آخره ورواه مسلم فى صحيحه بتمامه منفردا به دون البخارى من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه فى كتاب الزكاة من كتاب الاحكام والغرض من ايراده ههنا قوله حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فأيم (٣) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال انما سألتك لتحدثنى قال هما يومان ذكرهما الله الله أعلم بهما واكره ان أقول فى كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا أى اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ولهذا قال انهم يرونه بعيدا أى وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ونراه قريبا أى المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وان كان له أمد لا يعلمه الا الله عز وجل لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة (يوم تكون السماء كالمهل وتكون

وان الجن ظنوا كما ظننتم أيها الناس أنه لا بعث بعد الموت فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به وقيل المعنى وان الانس ظنوا كما ظننتم أيها الجن على انه كلام بعض الجن لبعض والمعنى أنهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم لا تؤمنون به وهذان القولان من كلام الله تعالى معترضان فى خلال كلام الجن المحكى عنهم عند بعض المفسرين وعند بعضهم هما من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض فى الكلام تأمل (وانا لمسنا السماء) هذا من قول الجن أيضا أى طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) أى جمعا أقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع والحرس جمع حارس وهو الرقيب والمصدر الحراسة وقيل اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب كما تقدم بيانه فى تفسير قوله وجعلناها رجوما للشياطين (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أى وانا كنا معشر الجن قبل هذا نقعد من السماء مواضع نقعد فى مثلها لاستماع الاخبار من السماء وللسمع متعلق بنقعد أى لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أى مقاعد كائنة للسمع والمقاعد جمع مقعد اسم مكان وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها الى الكهنة فحرسها الله سبحانه ببعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة عن ابن عباس قال كانت الشياطين لهم مقاعد فى السماء يسمعون فيها الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ما هذا الا من أمر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين بمكة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض أخرجه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أى أرصد له ليرمى به ولاجله لمنعه من الاستماع وقوله الآن هو ظرف للحال واستعير هنا للاستقبال لانهم لا يريدون به وقت قولهم فقط وانتصاب رصدا على انه صفة لشهابا أو مفعول له وهو مفرد ويجوز أن يكون اسم جمع كالحرس وقد اختلف أهل العلم هل كانت الشياطين ترمى بالشهب وتقذف قبل المبعث أم لا فقال قوم لم يكن ذلك

(٣) قوله قال فأيم فقال ما الى آخر الاثر هكذا فى النسخ التى بأيدينا وحرر ه

الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين يوم تكون السماء كالمهل قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وغير واحد أى كدردى الزيت وتكون الجبال كالعهن أى كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدى وهذه الآية كقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم أى (٧٦) لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه فى أسوإ الاحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفى عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق وكقوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى وكقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وكقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقوله تعالى يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا أى لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الارض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الارض ذهبا أو من ولده الذى كان فى الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة اذا رأى الاهوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدى فصيلته قبيلته وعشيرته وقال عكرمة فخذه الذى هو منهم وقال أشهب عن مالك فصيلته أمه وقوله تعالى انها لظى يصف النار وشدة حرها نزاعة للشوى قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس وقال العوفى عن ابن عباس نزاعة للشوى الجلود والهام وقال مجاهد مادون العظم من اللحم وقال سعيد بن جبير العصب وقال أبو صالح نزاعة للشوى يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا نزاعة للشوى لحم الساقين وقال الحسن البصرى وثابت البنانى نزاعة للشوى أى مكارم وجهه وقال الحسن أيضا تحرق كل شئ فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة نزاعة للشوى أى نزاعة لهامته

وحكى الواحدى عن معمر قال قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله فى شدة الحراسة بعد مبعثه وكانوا يسترقون السمع فى بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين فى الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رميت بالشهب قال الزمخشرى والصحيح انه كان قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وقد تقدم البحث عن هذا (وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض) بسبب هذه الحراسة للسماء وارتفاع الشر على الاشتغال أو على الابتداء وخبره ما بعده والاول أولى لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام وأطال السمين فى بيان ذلك (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندرى أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الارض عذابا أو يرسل اليهم رسولا والجملة سادة مسد مفعولى ندرى والاولى ان هذا من قول الجن فيما بينهم وليس من قول ابليس كما قال ابن زيد (وانا منا الصالحون) أى قال بعض لبعض لما دعوا أصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وانا كنا قبل استماع القرآن منا الموصوفون بالصلاح (ومنا دون ذلك) أى قوم دون الموصوفين بالصلاح وقيل أراد بأهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين والاول أولى وقال ابن عباس يقول منا المسلم ومنا المشرك (كنا طرائق قددا) أى جماعات متفرقة وفرقا شتى وأصنافا مختلفة وذوى مذاهب متفاوتة والقدة القطعة من الشئ وصار القوم قددا اذا تفرقت أحوالهم واستعمال القدد فى الفرق مجاز والمعنى كنا ذوى طرائق قددا أو كانت طرائقنا طرقا قددا أو كنا مثل طرائق قددا أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة وقال السدى والضحاك أديانا مختلفة وقال قتادة أهواء متباينة وقال ابن عباس أهواء شتى وقال سعيد بن المسيب كانوا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وكذا قال مجاهد قال الحسن الجن أمثالكم قدرية

ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً وقال ابن زيد الشوى الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وقوله تعالى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه وجمع فأوعى أي جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن اخراج الزكاة وقد ورد في الحديث ولا توعي فيوعي الله عليك وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى وقال الحسن البصري يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا وقال قتادة في قوله وجمع فأوعى قال كان جموعا منوعا الحديث (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون) يقول تعالى مخبرا عن الانسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ان الانسان خلق هلوعا ثم فسره بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا أي اذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير واذا مسه الخير منوعا أي اذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع ورواه أبو داود عن عبد الله ابن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقري به وليس لعبد العزيز عنده سواه ثم قال تعالى الا المصلين أي الانسان من حيث هو متصف

قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وكذا قال السدي (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال في آيات الله (أن لن نعجز الله في الارض) أينما كنا فيها ولن نفوته بهرب ولا غيره ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) يعنون القرآن (آمنا به) وصدقنا انه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الانس (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أي لا يخاف نقصا في عمله وثوابه ولا ظلما ومكروها يغشاه والبخس النقصان والرهق العدوان والطغيان والمعنى لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزاد في سيئاته وقد تقدم تحقيق الرهق قريبا قرأ الجمهور بخسا بسكون الخاء وقرئ بفتحها وقرئ فلا يخف جزما على جواب الشرط ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء والتقدير فهو لا يخاف والأمر ظاهر وفي الآية دليل على أن العمل ليس من الايمان قاله النسفي (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أي الجائرون الكافرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل قال ابن عباس القاسطون العادلون عن الحق وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ذكره الخطيب (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه باجتهاد ومنه التحري في الشيء قال الراغب حرى الشيء يحريه أي قصد حراه أي جانبه وتحراه كذلك وقال الفراء أموا الهدى قال النسفي تحرت طلب الأحرى أي الأولى وفيه دليل على أن الجن يثاب بالجنة (وأما القاسطون فكانوا) في علم الله (لجهنم حطبا) أي وقودا للنار توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وفيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار وهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا لحما ودما هكذا قيل وأيضا النار قويها قد يأكل كل ضعيف منها فيكون الضعيف حطبا له تدبر (وأن لو استقاموا على الطريقة) قرأ الجمهور بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها تشبيها بواو الضمير والذي

بصفات الذم الا من عصمه الله ووفقه وهداه الى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وابراهيم النخعي وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فان الذى لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لانه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته وقيل المراد (٧٨) بذلك الذين اذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وفي لفظ ما داوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا داوم عليه وفي لفظ أثبته وقال قتادة في قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن وقوله تعالى والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات وقوله تعالى والذين يصدقون بيوم الدين أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ولهذا قال تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون أي خائفون وجلون ان عذاب ربهم غير مأمون أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره الا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم أي من الاماء فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة قد أفلح المؤمنون بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي اذا ائتمنوا لم يخونوا واذا عاهدوا لم يغدروا وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفي رواية اذا حدث كذب

من قول الجن بل هو معطوف على انه استمع نفر من الجن والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما على الطريقة وهي طريقة الاسلام وقد قدمنا ان القراء اتفقوا على فتح ان ههنا قال ابن الانباري والفتح ههنا على اضمار يمين تأويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله لو قمت قمت قال أو على أوحى الى انه استمع وان لو استقاموا أو على آمنا به أي آمنا به وبأن لو استقاموا وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس لو أقاموا على ما أمروا به (لاسقيناهم ماء غدقا) وليس المراد خصوص السقيا بل المراد لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وقال ابن عباس معينا وقال مقاتل ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقال ابن قتيبة المعنى لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر وهذا كقوله ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا الآية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين الآية وقيل المعنى وان لو استقام أبوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم واختار هذا الزجاج والماء الغدق هو الكثير في لغة العرب قرأ العامة غدقا بفتحتين وقرئ بفتح الغين وكسر الدال وهما لغتان في الماء الغزير ومنه الغيداق للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق أي هطل دمعها وفي المصباح غدقت العين غدقا من باب تعب كثر ماؤها فهي غدقة وأغدقت اغداقا كذلك (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم علم ظهور للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شيء وقال الكلبي المعنى وان لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا أرزاقهم مكرا بهم واستدراجا حتى يفتنوا بها فنعذبهم في الدنيا والآخرة وبه قال الربيع بن أنس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والثمالي ويمان بن رباب وابن كيسان وأبو مجلز واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقوله ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية والاول أولى وقال عمر في الآية حيثما كان الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وقال ابن عباس لنبتليهم به (ومن يعرض

وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وقوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون أي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ثم قال تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة قد أفلح المؤمنون سواء ولهذا قال هناك أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال ههنا أولئك في جنات مكرمون أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين (٧٩) وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا وشيعا شيعا كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة الآية وهذه مثلها فإنه قال تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أي مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصري مهطعين أي منطلقين عن اليمين وعن الشمال عزين واحدها عزة أي متفرقين وهو حال من مهطعين أي في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس فمال الذين كفروا قبلك مهطعين قال قبلك ينظرون عن اليمين وعن الشمال عزين قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله عن اليمين وعن الشمال عزين أي متفرقين يأخذون يمينا وشمالا يقولون ما قال هذا الرجل وقال قتادة مهطعين عامدين عن اليمين وعن الشمال عزين أي فرقا حول النبي صلى الله عليه وسلم

عن ذكر ربه) أي ومن يعرض عن القرآن أو عن العبادة أو عن الموعظة أو عن التوحيد أو عن جميع ذلك (يسلكه) أي يدخله (عذابا صعدا) أي شاقا صعبا وقرأ الجمهور نسلكه بالنون مفتوحة من سلكه وقرئ بالياء التحتية واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله عن ذكر ربه ولم يقل عن ذكرنا وقرئ بضم النون وكسر اللام من أسلكه والصعد في اللغة المشقة تقول تصعدني الأمر إذا شق عليك وهو مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب مبالغة لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغمره ويغلبه فلا يطيقه قال أبو عبيد الصعد مصدر أي عذابا ذا صعد وقال عكرمة الصعد هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم كما في قوله سأرهقه صعودا والصعود العقبة الكؤد وقال ابن عباس عذابا صعدا شقة من العذاب يصعد فيها وعنه قال جبلا في جهنم وعنه قال لا راحة فيه (وأن المساجد لله) أي وأوحى إلي أن المساجد مختصة بالله وقال الخليل التقدير ولأن المساجد والمساجد المواضع التي بنيت للصلاة فيها جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون فنزلت وقال الحسن أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والجبهة والأنف وهو على هذا جمع مسجد بالفتح يقول هذه أعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله وكذا قال عطاء وقيل المساجد هي الصلاة لأن السجود من جملة أركانها قاله الحسن قال ابن عباس لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا مسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقيل المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله إضافة تشريف وتكريم وقد تنسب إلى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ذكره القرطبي (فلا تدعوا) أي فلا تعبدوا (مع الله أحدا) من خلقه كائنا من كان هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال مجاهد كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر

لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الاعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق فقال مالي أراكم عزين رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الاعمش به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال مالي أراكم عزين وهذا اسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وقوله تعالى أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم لا بل مأواهم جهنم ثم قال تعالى مقررا الوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة الى الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون أي من المني الضعيف كما قال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر ثم قال تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب أي الذي خلق السموات والارض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب من مغاربها وتقدير الكلام ليس الامر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على ان المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي فاذا يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من اقامة القيامة وهو خلق السموات والارض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال تعالى أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تعالى في الآية الاخرى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو

الله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا (وانه) أي وأوحي الي ان الشأن (لما قام عبد الله) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل نبي الله أو رسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله المستفادة من قوله يدعوه ليست بمستبعدة ثم كان وقوع هذا الامر ببطن نخل على ما قاله المحلي وقال الحفناوي سياق هذه الآية انما يظهر في المرة الثانية من مرتي الجن وهي التي كانت بحجون مكة وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اثني عشر ألفا أو أكثر وأما المرة الاولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت ببطن نخل فكانوا فيها تسعة أو سبعة ولا يظهر في حقهم ان يقال (كادوا يكونون عليه لبدا) كما لا يخفى فليتأمل اهـ ومعنى الآية انه لما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ويتلوا القرآن كاد الجن ان يكونوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه قال الزجاج ومعنى لبدا يركب بعضهم بعضا ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش قرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء وقرئ بضم اللام وفتح الباء وبضم الباء واللام وبضم اللام وتشديد الباء مفتوحة فعلى القراءة الاولى المعنى ما ذكرناه وعلى الثانية المعنى كثيرا كما في قوله أهلكت مالا لبدا وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الجن والانس على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار هذا ابن جرير قال مجاهد لبدا أي جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء أي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شيء ألصقته الصاقا شديدا فقد لبدته ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد لبدة وجمعها لبد ويقال للجراد الكثير لبد ويطلق اللبد بضم اللام وفتح الباء على الشيء الدائم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لطول بقائه عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة الى نواحي مكة فخط لي خطا وقال لا تحدثن شيأ حتى آتيك ثم قال لا يهولنك شيء تراه فتقدم شيأ ثم جلس

الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال ههنا فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك وما نحن بمسبوقين أي بعاجزين كما قال تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه وقال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون واختار ابن جرير على أن نبدل خيرا منكم أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم والمعنى الاول أظهر (٨١) لدلالة الآيات الاخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال تعالى فذرهم اى يا محمد يخوضوا ويلعبوا اى دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون أي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم الى نصب يوفضون قال ابن عباس ومجاهد والضحاك الى علم يسعون وقال ابو العالية ويحيى بن أبي كثير الى غاية يسعون اليها وقد قرأ الجمهور الى نصب بفتح النون واسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم اى كأنهم في اسراعهم الى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون الى النصب اذا عاينوه يبتدرون أيهم يستلمه أول وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن انس وابي صالح وعاصم بن ابي بهدلة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى خاشعة ابصارهم اى خاضعة ترهقهم ذلة اى في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة وذلك اليوم الذي كانوا يوعدون آخر تفسير سورة سأل سائل ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه أرسله الى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى ان أنذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم انى لكم

فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وعن ابن عباس في الآية قال لما سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه في الآية قال لما أتى الجن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية أصحابه فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه عبد بن حميد والحاكم والترمذي وصححاه وغيرهم وعنه قال لبدا أي أعوانا (قل) يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجيبا للكفار (انما أدعو ربي) وحده وأعبده (ولا أشرك به) في العبادة (أحدا) من خلقه قرأ الجمهور قال وقرئ قل على الامر وهي سبعية ففي الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك (قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر أن أدفع عنكم غيا(١) ولا أسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول أولى لوقوع النكرتين في سياق النفي فهما يعمان كل ضر وكل رشد في الدنيا والدين (قل اني لن يجيرني من الله أحد) أي لا يدفع عني أحد عذابه ان أنزله بي كقول صالح فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ ومعدلا وحرزا ألجأ اليه وأحترز به والملتحد معناه في اللغة الممال أي موضعا أميل اليه في القاموس ألحد اليه مال كالتحد والملتحد الملتجأ وفي المصباح الملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ اه قال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقارب والاستثناء في قوله (الا بلاغا) هو من قوله لا أملك أي لا أملك ضرا ولا رشدا الا التبليغ (من الله) فان فيه أعظم الرشد أو من ملتحدا أي لن أجد من دونه ملجأ الا التبليغ وقال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذابه وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا أملكهما قال الفراء لكن أبلغكم ما أرسلت به فهو على هذا منقطع وقال الزجاج هو

(١) استعمال الضر في الغي من استعمال المسبب في السبب فهو مجاز مرسل اه منه

نذير مبين أي بين النذارة ظاهر الامر واضحه ان اعبدوا الله واتقوه أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه وأطيعون فيما آمركم به
وأنهاكم عنه يغفر لكم من ذنوبكم أي اذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم ومن ههنا قيل انها زائدة
ولكن القول بزيادتها في الاثبات قليل ومنه قول بعض العرب قد كان من مطر وقيل انها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم
واختاره ابن جرير وقيل انها للتبعيض أي يغفر لكم الذنوب العظام الذي وعدكم على ارتكابكم اياها الانتقام ويؤخركم الى أجل
مسمى أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب (٨٢) الذي ان لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول

ان الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها
في العمر حقيقة كما ورد به الحديث
صلة الرحم تزيد في العمر وقوله تعالى
ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون أي بادروا بالطاعة قبل
حلول النقمة فانه اذا أمر تعالى
بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه
العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز
الذي دانت لعزته جميع المخلوقات
(قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا استكبارا ثم
اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت
لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
بأموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون
لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم
تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله أنبتكم من
الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى الى ربه لا
عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة الا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم الى
الرشد والسبيل الأقوم فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالا لامرك وابتغاء لطاعتك
فلم يزدهم دعائي الا فرارا أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في
آذانهم واستغشوا ثيابهم أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش وقال الذين كفروا لا تسمعوا

منصوب على البدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه ملتحدا الا ان أبلغ ما يأتي من الله
(ورسالاته) معطوف على بلاغا أي الا بلاغا من الله والا رسالاته التي أرسلني بها اليكم
أو الا ان أبلغ عن الله وأعمل برسالاته فآخذ نفسي بما آمر به غيري وقيل معطوف على
الاسم الشريف أي الا بلاغا عن الله وعن رسالاته كذا قال أبو حيان ورجحه واستظهره
الكرخي (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد ولم يؤمن لان السياق فيه (فان
له نار جهنم) قرأ الجمهور بكسر ان على انها جملة مستأنفة مستقلة وقرئ بفتحها لان
ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وان مع ما في حيزها خبر لمبتدأ مضمر والتقدير فجزاؤه
أو فحكمه ان له نار جهنم (خالدين فيها) أي يدخلون في النار أو في جهنم مقدرا خلودهم
والجمع باعتبار معنى من كما ان التوحيد في قوله فان له باعتبار لفظها (أبدا) تأكيد لمعنى
الخلود أي خالدين فيها بلا نهاية (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب في الدنيا أو في
الآخرة والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من الاصرار على الكفر وعداوة النبي صلى الله
عليه وآله وسلم والمؤمنين الى أن يروا الذي يوعدون به من العذاب وحتى ابتدائية فيها
معنى الغاية لمقدر قبلها يدل عليه الحال وهي قوله خالدين فان الخلود في النار يستلزم
استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاعه بالايمان اذ لو آمنوا لم يخلدوا في النار ولو جعلت
لمجرد الابتداء من غير ملاحظة معنى الغاية كما أشار اليه القرطبي لكان أسهل وأوضح
فتكون جملة مستقلة بالاستفادة (فسيعلمون) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (من
أضعف ناصرا) من موصولة أي هو أضعف جندا ينتصر به أو استفهامية والاول
أولى (وأقل عددا) أي أعوانا أهم أم المؤمنون قال الخطيب أي أنا وان كنت في هذا
الوقت وحيدا مستضعفا وأقل عددا أو هم وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عددا الا الله
تعالى فيالله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من
جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم
لا كلام لهم الا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم والظاهر ان اذا شرطية وان قوله
فسيعلمون جوابها لكن يشكل عليه الاستقبال المفاد بالسين وذلك لان وقت رؤية
العذاب يحصل علم الضعيف من القوي والسين تقتضي انه يتأخر عنه فليتأمل هذا
المحل فانه لم ينبه عليه أحد من المفسرين ولا يتخلص منه الا بجعل السين لمجرد التأكيد

لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون واستغشوا ثيابهم قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم وقال سعيد بن جبير والسدي غطوا رؤسهم لئلا يسمعوا ما يقول وأصروا أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع واستكبروا استكبارا أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ثم إني دعوتهم جهارا أي جهرة بين الناس ثم إني أعلنت لهم أي كلاما ظاهرا بصوت عال وأسررت لهم إسرارا أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب (٨٣) إليه تاب عليه ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ولهذا قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا أي متواصلة الامطار ولهذا استحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لاجل هذه الآية وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ثم قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا وقوله تعالى ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا أي اذا تبتم الى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم الى دعوتهم بالترهيب فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا أي عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمته أي لا تخافون من بأسه ونقمته وقد خلقكم أطوارا قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد. وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه

له للاستقبال وله نظائر كثيرة قاله الحفناوي (قل إن) أي ما (أدري أقريب) حصول (ما توعدون) من العذاب أو يوم القيامة أي فيكون واقعا الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قريب (أم يجعل له ربي أمدا) أي غاية ومدة فلا يتوقع دون ذلك الامد أمره الله سبحانه أن يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا الذي توعدنا به ولا يقال انه صلى الله عليه وآله وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدري أقريب الخ لان المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه الا الله وهو على كل حال متوقع لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته وليس اليه صلى الله عليه وآله وسلم قال عطاء يريد أنه لا يعرف يوم القيامة الا الله سبحانه وحده والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه الا الله (عالم الغيب) قرأ الجمهور بالرفع على انه بدل من ربي أو بيان له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من عدم الدراية وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدي علم الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب والفاء في قوله (فلا يظهر على غيبه أحدا) لترتيب عدم الاظهار على تفرده سبحانه بعلم الغيب أي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد أحدا منهم ثم استثنى فقال (الا من ارتضى من رسول) أي الا من اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته قال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه وقال سعيد بن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل وفيه بعد وقيل المراد أنه يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة وأحكام التكاليف وجزاء الاعمال وما يبينه من أحوال الآخرة لا ما لا يتعلق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه قال الواحدي وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن قال في الكشاف وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات

وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي والفلك التاسع وهو الاطلس والاثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الافلاك وذلك ان حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب الى المشرق وسائر الافلاك عكسه من المشرق الى المغرب ومعها تدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معا كسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب الى المشرق وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وان كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وانما المقصود أن الله سبحانه وتعالى خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والاعوام كما قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وقوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا هذا اسم مصدر والاتيان به هنا أحسن ثم يعيدكم فيها أي اذا متم ويخرجكم اخراجا أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة والله جعل لكم الارض بساطا أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات لتسلكوا منها سبلا فجاجا أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وارجائها وأقطارها وكل هذا مما نبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهادا وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لانه لا نظير له ولا عديل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير (قال نوح رب انهم عصوني

وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال الكهانة والسحر والتنجيم لان أصحابها أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط قال الرازي وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم في غيبه فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله أقريب ما توعدون الآية فان قيل فما معنى الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة أو هو استثناء منقطع أي من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس المراد أنه لا يطلع أحدا على شيء من المغيبات الا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات وأيضا أطبق أهل الملل على ان معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة ويكون صادقا فيها وأيضا فقد نقل السلطان سنجر بن ملكشاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسألها عن أمور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال وأخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ أبو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وأيضا فانا نشاهد ذلك في أصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك في السحرة أيضا وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه قال محمد بن علي الشوكاني أما قوله اذ لا صيغة عموم في غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الاصول وغيرهم وأما قوله أو هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني وأما قوله ان شقا وسطيحا الخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه الى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح وفي قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة وانه كان طريقا

لبعض

واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه أنهى اليه وهو العليم الذى لا يعزب عنه شئ انه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى انهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهى فى نفس الامر استدراج وانظار لا اكرام ولهذا قال واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا قرئ وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب (٨٥) وقوله تعالى ومكروا مكرا كبارا قال مجاهد

لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بادلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة على هذه الآية وأما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة ولو سلم وقوع شئ مما حكاه عنها من الاخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث ان فى هذه الامة محدثين وان منهم عمر فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضا وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله فى آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ماهذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك وكم لها لديك من اشباه وأمثال بعض بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك يا عجبا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن الى القرآن وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا

واذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها

مهب رياح سده بجناح * وقابل بالمصباح ضوء صباح

فان قلت اذا قد تقرر بهذا الدليل القرآنى ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض أمته قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما صح أنه قام مقاما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيأ مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا اليه وثبت فى الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر فقال ان بينك وبينها بابا فقال عمر هل يفتح أو يكسر فقال بل يكسر فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتله كما فى الحديث الصحيح المعروف انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة

كبارا أى عظيما وقال ابن زيد كبارا أى كبيرا والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد والمعنى فى قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا أى باتباعهم فى تسويلهم لهم انهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ولهذا قال ههنا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا ابراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن اسحاق نحو هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصناما تعبد فى زمان نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ويعوق ونسرا قال كانوا قوما صالحين من بنى آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم

يسقون المطر فعبدوهم وروى الحافظ بن عساكر فى ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحق بن بشر قال وأخبرنى بقية
ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس انه قال ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عمر وهو
منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذى كان سماه عبد الحرث وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد
سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الدورى حدثنى أبو اسمعيل المؤدب عن
عبد الله بن مسلم هو ابن هرمز عن أبى حزوة (٨٦) عن عروة بن الزبير قال اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث
ويعوق وسواع ونسر قال وكان
ود أكبرهم وأبرهم به وقال ابن أبى
حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا
الحسن بن موسى حدثنا يعقوب
عن أبى المطهر قال ذكروا عند أبى
جعفر وهو قائم يصلى يزيد بن المهلب
قال فلما انفتل من صلاته قال
ذكرتم يزيد بن المهلب اما انه قتل فى
أول أرض عبد بها غير الله قال ثم
ذكروا رجلا مسلما وكان محببا فى
قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره
فى أرض بابل وجزعوا عليه فلما
رأى ابليس جزعهم عليه تشبه فى
صورة انسان ثم قال انى أرى جزعكم
على هذا الرجل فهل لكم أن أصور
لكم مثله فيكون فى ناديكم
فتذكرونه قالوا نعم فصور لهم مثله
قال ووضعوه فى ناديهم وجعلوا
يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره
قال هل لكم أن أجعل فى منزل كل
رجل منكم تمثالا مثله فيكون له فى
بيته فتذكرونه قالوا نعم قال فمثل
لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا
فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك
أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون
به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم
اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله أولادا أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله ود الصنم الذى
سموه ود وقوله تعالى وقد أضلوا كثيرا يعنى الاصنام التى اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمر عبادتها فى القرون الى زماننا هذا فى
العرب والعجم وسائر صنوف بنى آدم وقد قال الخليل عليه السلام فى دعائه واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا
من الناس وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه فى
قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقد استجاب الله لكل من النبيين فى قومه

وكذلك ما ثبت من اخباره لابى ذر بما يحدث له مما حدث له واخباره لعلى بن أبى طالب
بخبر ذى الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل واذا تقرر هذا
فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الامة بشئ من اخبار الغيب التى أظهرها الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم وأظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم لبعض أمته وأظهرها هذا
البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من
الفيض الربانى بواسطة الجناب النبوى اه كلامه رحمة الله تعالى عليه قال ابن
عباس فى الآية أعلم الله الرسول من الغيب الوحى وأظهره عليه مما أوحى اليه من غيبه
وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره أخرجه ابن المنذر وابن مردويه ثم ذكر سبحانه انه يحفظ
ذلك الغيب الذى يطلع عليه الرسول فقال (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)
والجملة تقرير للاظهار المستفاد من الاستثناء والمعنى انه يجعل سبحانه بين يدى الرسول
ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب
أو يجعل بين يدى الوحى وخلفه حرسا من الملائكة يحوطونه من أن يسترقه الشياطين
فتلقيه الى الكهنة والمراد من جميع الجوانب قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه
ملائكة يحفظونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان فى صورة الملك
قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك قال ابن زيد رصدا أى
حفظة يحفظون النبى صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين قال
قتادة وسعيد بن المسيب هم أربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل قال فى
الصحاح الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر
والراصد للشئ الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد
موضع الرصد قال ابن عباس فى قوله رصدا هى معقبات من الملائكة يحفظون رسول
الله من الشياطين حتى يبين الذى أرسل اليهم به وذلك حين يقول أهل الشرك قد أبلغوا
رسالات ربهم وعنه قال ما أنزل الله على نبيه آية من القرآن الا ومعها أربعة من الملائكة
يحفظونها حتى يؤدوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ الآية (ليعلم ان قد
أبلغوا رسالات ربهم) اللام متعلقة بيسلك والمراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل
وأن هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والخبر الجملة والرسالات عبارة عن
الغيب

واتبعوا أمته بتكذيبهم لما جاءهم به (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا) يقول تعالى مما خطاياتهم وقرئ خطاياهم أغرقوا أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم واصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا فأدخلوا نارا أي نقلوا من تيار البحار الى حرارة النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله (٨٧) كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أي لا تترك على وجه الارض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك ديارا واحدا وقال السدي الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الارض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه وقوله تعالى انك ان تذرهم يضلوا عبادك أي انك ان أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أي فاجرا في الاعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا قال الضحاك يعني مسجدي ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع

الغيب الذي أريد اظهاره لمن ارتضاه الله من رسول وضمير أبلغوا يعود الى الرصد وقال قتادة ومقاتل ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام أي أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ وقيل ليعلم محمد أن جبريل ومن معه قد أبلغوا اليه رسالات ربه قاله سعيد بن جبير وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم من غير تخليط وقال ابن قتيبة ليعلم الجن ان الرسل قد أبلغوا ما أنزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم قرأ الجمهور ليعلم بفتح التحتية على البناء للفاعل أي ليعلم الناس ان الرسل قد أبلغوا وقال الزجاج ليعلم الله ان رسله قد أبلغوا رسالاته أي ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا وقرئ بضم الياء على البناء للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر اللام

(وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرصد من الملائكة أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته والجملة في محل نصب على الحال من فاعل يسلك باضمار قد أي والحال انه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال قال سعيد بن جبير ليعلم ان ربهم قد أحاط بما لديهم فبلغوا رسالاته

(وأحصى كل شئ عددا) معطوف على أحاط وعددا يجوز أن يكون منتصبا على التمييز محولا من المفعول به أي وأحصى عدد كل شئ كما في قوله وفجرنا الارض عيونا ويجوز أن يكون منصوبا على المصدرية أو في موضع الحال أي معدودا والمعنى ان علمه سبحانه بالاشياء ليس على وجه الاجمال بل على وجه التفصيل أي أحصى كل فرد من مخلوقاته التي كانت والتي ستكون على حدة ولم يخف عليه منها شئ على حدة

*(سورة المزمل هي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية وهي مكية)

قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها وقال الثعلبي الا قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وأخرج النحاس عن ابن عباس انه قال نزلت بمكة الا آيتين ان ربك يعلم الخ وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت يا أيها المزمل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وعن جابر نحوه

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي" ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي إنما نعرفه من هذا الوجه وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشروعة وقوله تعالى ولا تزد الظالمين إلا تبارا قال السدي إلا هلاكا وقال مجاهد إلا خسارا أي في الدنيا والآخرة * آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد والمنة (٨٨) وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الجن وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد أي إلى السداد والنجاح فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وهذا المقام شبيه بقوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادتها ههنا وقوله تعالى وأنه تعالى جد ربنا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى جد ربنا أي فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه المزمل
وروي عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة جلاله وعظمته وأمره وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير تعالى جد ربنا أي تعالى ربنا فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال الجد أب ولو علمت الجن أن في الإنس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا أي تعالى

اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما تصدون الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل وقال البزار بعد إخراجه من طريق معلى بن عبد الرحمن إن معلى قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه إذا تفرد بالأحاديث لا يتابع عليها وعن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر فحزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل أخرجه أبو داود والبيهقي في السنن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي والتزمل التلفف في الثوب وفي المصباح زملته بثوبه تزميلا فتزمل مثل لففته فتلفف وزملت الشيء حملته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء للمبالغة لأنه يحمل متاع المسافر قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ أبي المتزمل على الأصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اختلف في معناه فقال جماعة إنه كان يتزمل صلى الله عليه وآله وسلم بثيابه في أول ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى أنس به وقيل المعنى يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ يا أيها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم المشددة اسم مفعول وعنه أيضا يا أيها الذي زمل هذا الأمر أي حمله ثم فتر وقيل المعنى يا أيها المزمل بالقرآن وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه ونحوه عن قتادة وقيل بلغه من المشركين سوء قول فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال زملوني دثروني وكان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الخطاب في أول نزول الوحي ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وقال ابن عباس زملت هذا الأمر فقم به وعنه قال يتزمل بالثياب قال السهيلي ليس المزمل من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه صلى الله عليه وسلم وإنما

عن اتخاذ الصاحبة والاولاد أى قالت الجن تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى سفيهنا يعنون ابليس شططا قال السدى عن أبي مالك شططا أى جورا وقال ابن زيد أى ظلما كبيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم ان لله صاحبة أو ولدا ولهذا قالوا وانه كان يقول سفيهنا أى قبل اسلامه على الله شططا أى باطلا وزورا ولهذا قالوا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا أى ماحسبنا أن الانس والجن تمالؤن على الكذب على الله (٨٩) تعالى فى نسبة الصاحبة والولد اليه فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أى كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لانهم كانوا يعوذون بنا أى اذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشئ يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أى خوفا وارهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة فزادوهم رهقا أى اثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة وقال الثورى عن منصور عن ابراهيم فزادوهم رهقا أى ازدادت الجن عليهم جراءة وقال السدى كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الارض فينزلها فيقول أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى قال قتادة فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الاذى عند ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى حدثنا الزبير بن حرب عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم أو أشد فكان الانس اذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الانس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عز وجل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أى اثما وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم رهقا أى خوفا وقال العوفى عن ابن عباس فزادوهم رهقا أى اثما وكذا قال قتادة وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا وقال ابن أبي حاتم

المزمل اسم مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أبا تراب اشعارا له بأنه غير عاتب عليه وملاطف له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب (قم الليل) أى قم للصلاة فى الليل الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر وقيل ان معنى قم صل عبر به عنه واستعير له واختلف هل كان هذا القيام الذى أمر به فرضا عليه أو نفلا فقيل الامر للوجوب وكان واجبا عليه وعلى أمته بل وعلى سائر الانبياء قبله وأول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء والانذار قيام الليل قال القرطبى والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الانبياء أو عليه وعلى أمته ثلاثة أقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب له والثانى قول ابن عباس والثالث قول عائشة وابن عباس أيضا كذا فى الخطيب والخازن وغيرهما والعامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وأبو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال أبو الفتح والغرض الهرب من التقاء الساكنين فبأى حركة حرك الاول حصل الغرض قلت الا أن الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين وأما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة انبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها

حدثنا أبي حدثنا فروة بن المغراء الكندي حدثنا القاسم بن مالك يعني المدني عن عبد الرحمن بن اسحق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي نحوه وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الانسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم وقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا قاله الكلبي وابن جرير (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الامر ويختلط ولا يدري من الصادق فكان هذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز ولهذا قال الجن وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا أي ما ندري هذا الامر الذي قد حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر الى غير فاعل والخير أضافوه الى الله عز وجل وقد ورد في الصحيح والشر ليس اليك وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث

(٩٠)

في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة وصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه وقد روى هذا الحديث عنها من طرق وعن ابن عباس قال لما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة أخرجه البيهقي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه فاستراح الناس وأخرج أبو داود في ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نسختها الآية التي فيها علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله (الا قليلا) استثناء من الليل أي صل الليل كله الا يسيرا منه والقليل من الشيء هو ما دون النصف وقيل ما دون السدس وقيل ما دون العشر وقال مقاتل والكلبي المراد بالقليل هنا الثلث وقد أغنانا عن هذا الاختلاف قوله (نصفه) قال الزجاج هو بدل من الليل والاستثناء هو من النصف (أو انقص منه قليلا) الضمير في منه وعليه عائد الى النصف والمعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا الى الثلث (أو زد عليه) قليلا الى الثلثين فكأنه قال قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه والتخيير بين قيام النصف وقيام الثلث الذي هو مفاد قوله أو انقص منه قليلا وقيام الثلثين الذي هو مفاد أو زد عليه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا فيكون المعنى قم الليل الا نصفه أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه وقال المحلي بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل انتهى قال الحفناوي قوله وقلته الخ جواب عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر فكيف يوصف بالقلة ومحصل الجواب انه يوصف بها بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر منه قال الاخفش نصفه أي أو نصفه كما يقال أعطه درهما درهمين ثلاثة تريد أو درهمين أو ثلاثة قال الواحدي قال المفسرون أو انقص من النصف قليلا الى الثلث أو زد على النصف الى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل وخيره في هذه الساعات للقيام فكان النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل لا يدري كم صلى أو كم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورحمهم ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقنا وقيل الضميران في منه وعليه راجعان للاقل من النصف كأنه قال قم أقل

العباس بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى هذا فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال ليس كذلك ولكن الله اذا قضى الامر فى السماء وذكر تمام الحديث وقد أوردناه فى سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذى حملهم على تطلب السبب فى ذلك فأخذوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه فى الصلاة فعرفوا ان هذا هو الذى حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد فى طغيانه من بقى كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك عند قوله فى سورة الاحقاف واذ صرفنا (٩١) اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية ولا شك انه لما حدث هذا الامر وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها هال ذلك الانس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا ان ذلك لخراب العالم كما قال السدى لم تكن السماء تحرس الا ان يكون فى الارض نبى أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالى ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويحكم يامعشر اهل الطائف امسكوا عن اموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة فى امكنتها فلم يهلك اهل السماء انما هذا من اجل ابن ابى كبشة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وان نظرتم فلم تروها فقد هلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم وفزعت الشياطين فى تلك الليلة فأتوا ابليس فحدثوه بالذى كان من امرهم فقال ائتونى من كل ارض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبى الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم اسلموا فأنزل الله تعالى امرهم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى اول البعث من كتاب السيرة المطول والله أعلم ولله الحمد والمنة (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا

من نصفه أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا وهو بعيد جدا والظاهر أن نصفه بدل من قليلا والضميران راجعان الى النصف المبدل من قليلا واختلف فى الناسخ لهذا الامر فقيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه الى آخر السورة كما تقدم وقيل هو قوله علم ان لن تحصوه الخ وقيل هو قوله علم أن سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعى وابن كيسان وقيل هو قوله فاقرؤا ما تيسر منه وليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة وقيل ستة عشر شهرا وهذا على القول بأن السورة كلها مكية وأما على القول بأن قوله ان ربك يعلم مدنى فبين الناسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت ان نزول المنسوخ كان فى أول الوحى بمكة ونزول الناسخ كان بالمدينة وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقى التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل نسخ أولها بآخرها ثم نسخ آخرها بايجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة (ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أى مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يتمكن السامع من عدها وقال الضحاك انبذه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويفى حقها من الاشباع وأصل الترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه تبيينا وتأكيد الفعل بالمصدر يدل على المبالغة وايجاب الامر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة وأنه لا بد منه للقارى عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم أخرجه البخارى وعن أم سلمة وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائى وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان

المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءغدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) يقول تعالى مخبرا عن الجن انهم قالوا مخبرين عن انفسهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك اى غير ذلك كنا طرائق قددا اى طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كنا طرائق قددا أى منا المؤمن ومنا الكافر وقال احمد بن سلمان النجار فى أماليه حدثنا اسلم بن سهل بحشل حدثنا على بن الحذاء بن سليمان وهو ابو الشعثاء (٩٢) الحضرمى شيخ مسلم حدثنا ابو معاوية قال سمعت الاعمش يقول تروح الينا جنى فقلت له ما أحب الطعام اليكم فقال الارز قال فأتيناهم به فجعلت ارى اللقم ترفع ولا ارى احدا فقلت فيكم من هذه الاهواء التى فينا قال نعم فقلت فما الرافضة فيكم قال شرنا عرضت هذا الاسناد على شيخنا الحافظ ابى الحجاج المزنى فقال هذا اسناد صحيح الى الاعمش وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن احمد الدمشقى قال سمعت بعض الجن وانا فى منزل لى بالليل ينشد

قلوب براها الحب حتى تعلقت
مذاهبها فى كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها
معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا اى نعلم ان قدرة الله حاكمة علينا وانا لا نعجزه فى الارض ولو امعنا فى الهرب فانه علينا قادر لا يعجزه احد منا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة وقولهم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف ان ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيآته كما قال تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اى منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا أى طلبوا لانفسهم النجاة واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اى وقودا تسعر بهم وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءغدقا لنفتنهم فيه اختلف المفسرون فى معنى هذا على قولين أحدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا اليها واستمروا عليها لأسقيناهم ماءغدقا أى كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل

يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية أبى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية وعن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته أخرجه الشيخان وعن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرأوا وكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود وزاد غيره فى رواية لا يجاوز تراقيهم وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وفى الباب أحاديث والمقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد اخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من أهل مصر وغيره فى مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الاكالون والحمقاء الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة وليس هذا بأول قارورة كسرت فى الاسلام وقوله (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) اعتراض بين الامر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الآتى ان ناشئة الليل والقصد بهذا الاعتراض تسهيل ما كلفه من القيام كأنه يقول ان قيام الليل وان كان عليك فيه مشقة لكنه أسهل من غيره من التكاليف فانا سنلقى الخ وقال السمين هذه الجملة مستأنفة وقال الزمخشرى هذه الآية اعتراض ويعنى بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة والمعنى سنوحى وسننزل اليك القرآن وهو قول ثقيل وكلام عظيم ذو خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شىء له خطر ومقدار فهو ثقيل قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال أبو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين والكفار بما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وهتك اسرارهم وبطلان أديانهم وسب آلهتهم وقال السدى ثقيل بمعنى كريم من قولهم فلان ثقل على أى كرم على قال الفراء ثقيلا أى رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيل

وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وكقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وعلى هذا يكون معنى قوله لنفتنهم فيه أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد الى الغواية ذكر من قال بهذا القول قال العوفى عن ابن عباس وان لو استقاموا على الطريقة يعنى بالاستقامة الطاعة وقال مجاهد وان لو استقاموا على الطريقة قال الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظى وقال قتادة وان لو استقاموا على الطريقة (٩٣) يقول لو آمنوا كلهم لاوسعنا عليهم من الدنيا وقال مجاهد وان لو استقاموا على الطريقة أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله لنفتنهم فيه أى لنبتليهم به وقال مقاتل نزلت فى كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين والقول الثانى وان لو استقاموا على الطريقة الضلالة لاسقيناهم ماء غدقا أى لاوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وكقوله أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد فانه قال فى قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس وزيد ابن أسلم والكلبى وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه وقوله ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد عذابا صعدا أى مشقة لاراحة معها وعن ابن عباس جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير بئر فيها وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله

ثقيل أى ثابت كثبوت الثقيل فى محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه أبدا وقيل وصفه بكونه ثقيلا حقيقة لما ثبت ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه أخرجه أحمد وعبد بن حميد والحاكم وصححه عن عائشة وقيل ثقيلا بمعنى ان العقل الواحد لا يفى بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا فى بحار معقولاته والفقهاء بحثوا عن أحكامه وكذا أهل اللغة والنحو والمعانى والبيان ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذى يعجز الخلق عن حمله والاولى ان جميع هذه المعانى فيه وقال القشيرى القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد فى الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان اه (ان ناشئة الليل) أى ساعاته وأوقاته لانها تنشأ أولا فأولا يقال نشأ الشئ ينشأ اذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شئ فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ ومنه نشأت السحاب اذا بدأت فناشئة فاعلة من نشأت تنشئ فهى ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كل ما نشأ منه أى حدث فهو ناشئة قال الواحدى قال المفسرون الليل كله ناشئة والمراد ان ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف وقيل ان ناشئة الليل هى النفس التى تنشأ من مضجعها للعبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض وقيل انما يقال لقيام الليل ناشئة اذا كان بعد نوم فلو لم يتقدمه نوم لم يكن ناشئة وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات قال ابن الاعرابى اذا نمت من أول الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة ومنه ناشئة الليل قيل وناشئة الليل هى ما بين المغرب والعشاء لان معنى نشأ ابتدأ وكان زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عكرمة وعطاء هى بدء الليل وقال مجاهد وغيره هى فى الليل كله لانه ينشأ بعد النهار واختار هذا مالك وقال ابن كيسان هى القيام من آخر الليل قال فى الصحاح ناشئة الليل أول ساعاته وقال الحسن هى ما بعد العشاء الآخرة الى الصبح وقال ابن عباس هى قيام الليل بلسان الحبشة اذا قام الرجل قالوا نشأ قال الشيخ فعلى هذا هى جمع ناشئ أى قائم قلت يعنى انها صفة لشئ يفهم منه الجمع أى طائفة أو فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة وأخرج البيهقى عن ابن عباس قال

تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده وقال ابن أبي حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا اسمعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سماه عن السدى عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الارض مسجد الا المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقال الاعمش قالت الجن يارسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله تعالى (٩٤) وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا يقول صلوا لا تخالطوا الناس وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن محمود عن سعيد بن جبير وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال قالت الجن لنبي الله صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن نائون أي باعدون عنك أو كيف نشهد الصلاة ونحن نائون عنك فنزلت وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت في المساجد كلها وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار بيده الى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين وقوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل فراع يقرئه قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن يستمعون القرآن هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا ابن هشام عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الجن لقومهم لما قام

انه قال فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا وقال

هي أوله وعنه قال الليل كله ناشئة وعن ابن مسعود قال ناشئة الليل بالحبشية قيام الليل وعن أنس بن مالك قال هي ما بين المغرب والعشاء (هي أشد وطأ) قرأ الجمهور بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختارها أبو حاتم وقرئ بكسر الواو وفتح الطاء ممدودة واختار هذه الفراء وأبو عبيدة فالمعنى على الاولى ان الصلاة في ناشئة الليل أثقل على المصلي من صلاة النهار لان الليل للنوم قال ابن قتيبة المعنى انها أثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب اشتدت على القوم وطأة السلطان اذا ثقل عليهم ما يلزمهم منه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر والمعنى على القراءة الثانية انها أشد مواطأة أي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن من قولهم واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته عليه قال مجاهد وابن أبي مليكة أي أشد موافقة بين القلب والسمع والبصر واللسان لانقطاع الاصوات والحركات فيها ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا وقال الاخفش أشد قياما وقال الفراء أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي أشد نشاطا (وأقوم قيلا) أي أبين قولا وأسد مقالا وأثبت قراءة وأصح قولا من النهار لحضور القلب فيها وهدو الاصوات وسكونها وأشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه قال قتادة ومجاهد أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لانه زمان التفهم قال أبو على الفارسي أقوم قيلا أي أشد استقامة بفراغ البال بالليل قال الكلبي أي ابين قولا بالقرآن وقال عكرمة أي أتم نشاطا واخلاصا وأكثر بركة وقال ابن زيد اجدر ان يتفقه في القرآن وقيل أعجل اجابة للدعاء (ان لك في النهار سبحا طويلا) قرأ الجمهور بالحاء المهملة أي تصرفا في حوائجك وأشغالك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح أي شديد الجري وقد استعير من السباحة في الماء للتصرف في الحوائج وقيل السبح الفراغ أي ان لك فراغا بالنهار للحاجات فصل بالليل وقال ابن عباس السبح الفراغ للحاجة والنوم قال ابن قتيبة أي تصرفا واقبالا وادبارا في حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وراحتك وقال الخليل سبحا أي نوما والسبح التمدد وقال الزجاج المعنى ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار

الحسن لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله ويدعو الناس الى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناواه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعده قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته انما أدعو ربي أي

(٩٥)

انما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ولا أشرك به أحدا وقوله تعالى قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أي انما أنا بشر مثلكم يوحى الى وعبد من عباد الله ليس الى من الامر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله الى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أي لو عصيته فانه لا يقدر أحد على انقاذي من عذابه ولن أجد من دونه ملتحدا قال مجاهد وقتادة والسدي لا ملجأ وقال قتادة أيضا قل ان لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لا ولي ولا موئل وقوله تعالى الا بلاغا من الله ورسالاته قال بعضهم هو مستثنى من قوله قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا الا البلاغ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله لن يجيرني من الله أحد أي لا يجيرني منه ويخلصني الا ابلاغي الرسالة التي أوجب اداءها علي كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا أي حتى اذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل وقوله تعالى قل ان أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه

فراغ للاستدراك وقرئ سبخا بالخاء المعجمة قيل ومعنى هذه القراءة الخفة والسعة والاستراحة قال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها وسبخ الحر فتر وخف ومنه قول الشاعر

فسبخ عليك الهم واعلم بأنه * اذا قدر الرحمن شيأ فكائن

أي خفف عنك الهم والتسبيخ من القطن ما ينسبخ بعد الندف وقال ثعلب السبخ بالخاء المعجمة التردد والاضطراب والسبخ السكون وقال أبو عمرو السبخ النوم والفراغ (واذكر اسم ربك) أي ادعه بأسمائه الحسنى وقيل اقرأ باسم ربك في ابتداء صلاتك وقيل اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتبعد عن معصيته وقيل المعنى دم على ذكر ربك وتلاوة القرآن ودراسة العلم ليلا ونهارا واستكثر من ذلك على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن قاله القاضي كالكشاف وقال الكلبي المعنى صل لربك وقال المحلي أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك انتهى تبع فيه سهلا وزاد عليه سهل توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه ذكره الكرخي ومعنى في ابتداء قراءتك سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها وهذا اذا قرأ من أول سورة واما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان كان في غير الصلاة يسن له أن يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السور بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة تأمل (وتبتل اليه تبتيلا) اى انقطع اليه انقطاعا بالاشتغال بعبادته والتبتل الانقطاع يقال بتلت الشيء أي قطعته وميزته عن غيره وصدقة بتلة أي منقطعة من مال صاحبها ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس ووضع تبتيلا مكان تبتلا رعاية الفواصل قال الواحدي والتبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل المعنى أخلص اليه اخلاصا وقيل توكل عليه توكلا (رب المشرق والمغرب) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك أو البدل منه أو البيان له وقرأ الباقون رفعه على انه مبتدأ وخبره (لا اله الا هو) أو على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو رب الخ وقرأ زيد بن علي بنصبه على المدح وقرأ الجمهور المشرق والمغرب مفردين وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم المشارق والمغارب على الجمع وقد قدمنا تفسير المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) أي اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذه قائما بامورك

رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس انه لا علم له بوقت الساعة ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا أى مدة طويلة وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الارض كذب لا أصل له ولم نره فى شىء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله ان قال يا محمد (٩٦) فأخبرنى عن الساعة فقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولما ناداه ذلك الاعرابى بصوت جهورى فقال يا محمد متى الساعة قال ويحك انها كائنة فما أعددت لها قال اما انى لم أعدلها كثير صلاة ولا صيام ولكنى أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن جبير حدثنى أبو بكر بن أبى مريم عن عطاء بن أبى رباح عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا بنى آدم ان كنتم تعلمون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وقد قال أبو داود فى آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج ابن ابراهيم حدثنا ابن وهب حدثنى معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تعجز الله هذه الامة من نصف يوم انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنى صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انى لارجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة عام انفرد به أبو داود وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول هذه كقوله تعالى ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة وانه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه الا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول الملكى والبشرى ثم قال تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه

وعول عليه فى جميعها وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر وفائدة الفاء ان لا تلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار قال البقاعى وليس ذلك بأن يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال فى طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا فى السبب منتظرا للمسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا فى المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب (واصبر على ما يقولون) فى من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر والاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) أى لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم وتجانبهم وتداريهم وكل أمرهم الى الله فالله يكفيكهم وقيل الهجر الجميل الذى لا جزع فيه وهذا كان قبل الامر بالقتال (وذرنى والمكذبين) أى دعنى واياهم ولا تهتم بهم فانى أكفيك أمرهم وأنتقم لك منهم قيل نزلت فى المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم وقال يحيى ابن سلام هم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير أخبرت انهم اثنا عشر (أولى النعمة) أى أرباب الغنى والسعة والترفه واللذة فى الدنيا والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم قليلا) أى تمهيلا قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أو زمانا قليلا على انه صفة لزمان محذوف والمعنى أمهلهم الى انقضاء آجالهم وقيل الى نزول عقوبة الدنيا بهم كيوم بدر قالت عائشة لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل الى يوم القيامة والاول أولى لقوله (ان لدينا أنكالا) وما بعده فانه وعيد لهم بعذاب الآخرة والانكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما قال ابن مسعود أنكالا قيودا وقال الكلبى الانكال الاغلال من حديد والاول أعرف فى اللغة وقال مقاتل هى أنواع العذاب الشديد وقال أبو عمران الجونى هى قيود لا تحل (وجحيما) أى نارا مؤججة محرقة (وطعاما ذا غصة) أى لا يسوغ فى الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قال ابن عباس هو شجرة الزقوم وبه قال مجاهد وقال الزجاج هو الضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع وقال هو شوك العوسج قال عكرمة هو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والغصة الشجى فى الحلق وهو ما ينشب فيه من عظم أو غيره وجمعها غصص (وعذابا أليما) أى ونوعا آخر من

العذاب

على ماعمه من وحى الله ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا وقد اختلف المفسرون فى الضمير الذى فى قوله ليعلم الى من يعود فقيل انه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا ورواه ابن أبى حاتم من حديث يعقوب القمى به (٩٧) وهكذا رواه الضحاك والسدى ويزيد بن أبى حبيب وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم قال ليعلم نبى الله ان الرسل قد بلغت عن الله وان الملائكة حفظتها ودفعتها عن الله وكذا رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير وقيل غير ذلك كما رواه العوفى عن ابن عباس فى قوله الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال هى معقبات من الملائكة يحفظون النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك ان قد أبلغوا رسالات ربهم وكذا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفى هذا نظر وقال البغوى قرأ يعقوب ليعلم بالضم أى ليعلم الناس ان الرسل قد بلغوا ويحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزى فى زاد المسير ويكون المعنى فى ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من اداء رسالاته ويحفظ ما ينزله اليهم من الوحى ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين الى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها قطعا لا محالة ولهذا قال بعد هذا وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة

* (تفسير سورة المزمل عليه السلام وهى مكية) * قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطى حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش

العذاب غير ماذكر وجعيا يخلص وجعه الى القلب (يوم ترجف الارض والجبال) انتصاب الظرف اما بذرنى أو بالاستقرار المتعلق بلدينا أو هو صفة لعذاب فيتعلق بمحذوف أى عذابا واقعا يوم ترجف أو متعلق بأليم قرأ الجمهور ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مأخوذ من أرجفها والمعنى تتحرك وتتزلزل وتضطرب بمن عليها وهو يوم القيامة والرجفة الزلزلة والرعدة الشديدة (وكانت الجبال) أى وتكون الجبال التى هى مراسى الارض وأوتادها (كثيبا مهيلا) وانما عبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول والمهيل الذى يمر تحت الارجل قال الواحدى أى رملا سائلا يقال لكل شئ أرسلته ارسالا من تراب أو طعام أهلته هيلا قال الضحاك والكلبى المهيل الذى اذا وطئته بالقدم زل من تحتها واذا أخذت أسفله انهال وقال ابن عباس المهيل الذى اذا أخذت منه شيأ تبعك آخره وعنه قال المهيل الرمل السائل (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) الخطاب لاهل مكة أو لكفار قريش أو لجميع الكفار ففيه التفات من الغيبة فى قوله واصبر على ما يقولون وقوله والمكذبين والرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى (فعصى فرعون الرسول) الذى أرسلناه اليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به والنكرة اذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الاول وانما خص موسى وفرعون بالذكر لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود والمعنى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه (فأخذناه أخذا وبيلا) أى شديدا ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقال الاخفش شديدا وبه قال ابن عباس والمعنى متقارب ومنه طعام وبيل اذا كان لا يستمرأ (فكيف تتقون) أى فكيف تقون أنفسكم وتجدون الوقاية التى تقى أنفسكم والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا أتيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة (ان كفرتم) أى اذا بقيتم على كفركم فى الدنيا (يوما) أى عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) لشدة هوله أى يصير الولدان شيوخا شمطا والشيب جمع أشيب وهذا يجوز أن يكون حقيقة وانهم يصيرون كذلك أو تمثيلا لان من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت اعضاؤه وصار كالشيخ فى الضعف وسقوط القوة

فى دار الندوة فقالوا اسموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فتزمل فى ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر ثم قال البزار معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (٩٨) ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يترك التزمل وهو التغطى فى الليل و ينهض الى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا قال ابن عباس والضحاك والسدى يا أيها المزمل يعنى يا أيها النائم وقال قتادة المزمل فى ثيابه وقال ابراهيم النخعى نزلت وهو متزمل بقطيفة وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يا أيها المزمل قال يا محمد زملت القرآن وقوله تعالى نصفه بدل من الليل أو انقص منه قليلا أو زد عليه أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك فى ذلك وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن و يمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين رواه أحمد وأبو داود

قال الشاعر

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

قال فى المصباح والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن رأسه و برأسه بالتشديد وأشابه بالالف وأشاب به فشاب فى المطاوع انتهى وفى القاموس الشيب الشعر و بياضه كالمشيب وهو أشيب ولا فعلاء له أى لا يقال امرأة شيباء كما فى المصباح وقوم شيب وشيب بضمتين وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون منه الشيخوخة والشيب والاول أولى وفى هذا توبيخ لهم شديد وتقريع عظيم قال الحسن أى كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرأ ابن مسعود وعطية و يوما مفعول به لتتقون قال ابن الانبارى ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح والولدان الصبيان وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين و ينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين فقال حين أبصر ذلك فى وجوههم ان بنى آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم انه لا يموت رجل منهم حتى يرثه لصلبه ألف رجل ففيهم وفى أشباههم جنة لكم أخرجه الطبرانى وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه باخصر منه ثم زاد سبحانه فى وصف ذلك اليوم بالشدة فقال (السماء منفطر به) أى منشقة به لشدته وعظيم هوله فما ظنك بغيرها من الخلائق والجملة صفة أخرى ليوم والباء سببية وجوز الزمخشرى أن تكون للاستعانة فانه قال والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبى انها بمعنى فى أى منفطر فيه وهو ظاهر وقيل بمعنى اللام أى منفطر له وانما قال منفطر ولم يقل منفطرة لتنزيل السماء منزلة شئ لكونها قد تغيرت ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقال أبو عمرو بن العلاء لم يقل منفطرة لان مجازها السقف فيكون هذا كما فى قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكر وتؤنث وقال أبو على الفارسى هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر وأعجاز نخل منقعر وقال أيضا أى السماء ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع أى ذات ارضاع على طريق النسب وانفطارها لنزول الملائكة كما قال اذا السماء انفطرت وقوله والسموات يتفطرن من فوقهن

والترمذي وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الاحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث زينوا القرآن بأصواتكم وليس منا من لم يتغن بالقرآن ولقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني أبا موسى فقال أبو موسى لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك (٩٩) تحبيرا وعن ابن مسعود أنه قال لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة رواه البغوي وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال الحسن وقتادة أي العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت أن نفسي تقبض تفرد به أحمد وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان كان ليوحى الى

فوقهن وقيل منفطر به أي بالله والمراد بأمره والاول أولى وقال ابن عباس منفطر به ممتلئة بلسان الحبشة وعنه قال منفطر مثقلة موقرة وعنه قال يعني تشقق السماء (كان وعده مفعولا) أي كان وعد الله بما وعد به من البعث والحساب وغير ذلك كائنا لا محالة والمصدر مضاف الى فاعله أو وكان وعد اليوم مفعولا فالمصدر مضاف الى مفعوله ومعنى مفعولا أنه مقضي نافذ لا يرد على حد من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله قال مقاتل كان وعده ان يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أي ما تقدم من الآيات (تذكرة) أي موعظة وقيل الاشارة الى جميع آيات القرآن لا الى ما في هذه السورة فقط (فمن شاء) النجاة (اتخذ) بالطاعة التي أهم أنواعها التوحيد (الى ربه سبيلا) أي طريقا توصله الى الجنة وقال القرطبي أي من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا أي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لانه أظهر له الحجج والدلائل (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى) أي أقل استعير له الادنى لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثي الليل ونصفه) معطوف على أدنى وقوله (وثلثه) معطوف على نصفه والمعنى ان الله يعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم يقوم أقل من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه وبالنصب قرأ ابن كثير والكوفيون وقرأ الجمهور ونصفه وثلثه بالجر عطفا على ثلثي الليل والمعنى ان الله يعلم ان رسوله يقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وأقل من ثلثه واختار قراءة الجمهور أبو عبيد وأبو حاتم لقوله الآتي علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقال الفراء النصب أشبه بالصواب لانه قال أقل من ثلثي الليل ثم فسر نفس القلة (وطائفة من الذين معك) معطوف على الضمير في تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل أي وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي يعلم مقاديرهما على حقائقها ويختص بذلك دون غيره وأنتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة قال عطاء يريد لا يفوته علم ما يفعلون أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم قدر الذي يقومونه من الليل والذي ينامون منه (علم ان لن تحصوه) أي لن تطيقوا علم مقاديرهما على الحقيقة وفي ان ضمير شأن محذوف أي انه وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل قال القرطبي والاول أصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل الجران هو باطن العنق واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا قال أبو اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس نشأ قام بالحبشية (١٠٠) وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة وكذا قال مجاهد وغير واحد يقال نشأ اذا قام من الليل وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض ان ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات والمقصود أن قيام الليل هى أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى هى أشد وطأ وأقوم قيلا أى أجمع للخاطر فى اداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت انتشار الناس ولغط الاصوات وأوقات المعاش وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا فقال له رجل انما نقرؤها وأقوم قيلا فقال له ان أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد ولهذا قال تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى مسلم الفراغ والنوم وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع ابن أنس وسفيان الثورى فراغا طويلا وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا وقال السدى سبحا طويلا تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا قال لحوائجك فافرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم ان الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ قم الليل الا قليلا الى آخر الآية ثم قرأ ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه حتى بلغ فاقرؤا ما تيسر منه وقال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهذا الذى قاله كما قاله والدليل عليه ما رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد بن

الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطئ فانتفخت أقدامهم وانتقعت ألوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال علم أن لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالعفو ورخص لكم فى ترك القيام وقيل أسقط عنكم فرض القيام اذ عجزتم وأصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع بكم من التثقيل الى التخفيف ومن العسر الى اليسر قال المحلى رجع بكم الى التخفيف قال المناوى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنب والمراد بالتخفيف الذى رجع بهم اليه ما كان قبل وجوب القيام لكن الرجوع فى الجملة لانه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شئ منه وفى هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) بيان المبدل الذى وقع النسخ اليه أى فنسخ التقدير بالاجزاء الثلاثة الى جزء مطلق من الليل وسيأتى ان هذا الجزء نسخ أيضا بوجوب الصلوات الخمس والمعنى فاقرؤا فى الصلاة بالليل ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير ان ترقبوا وقتا قاله القرطبى ورجحه قال الحسن هو ما يقرأ فى صلاة المغرب والعشاء وقال السدى ما تيسر منه هو مائة آية وقال الحسن أيضا من قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ فى ليلة مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون آية وعن ابن عباس مرفوعا قال مائة آية أخرجه الطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه وعن قيس بن أبى حازم قال صليت خلف ابن عباس فقرأ فى أول ركعة بالحمد لله رب العالمين وأول آية من البقرة ثم ركع فلما انصرفنا أقبل علينا فقال ان الله يقول فاقرؤا ما تيسر منه أخرجه الدارقطنى والبيهقى فى سننه وحسناه قال ابن كثير هذا حديث غريب جدا لم أره الا فى معجم الطبرانى وعن أبى سعيد عند أحمد والبيهقى فى سننه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر وقد قدمنا فى أول هذه السورة ما روى ان هذه الآيات المذكورة هنا هى الناسخة لوجوب قيام الليل وقيل المعنى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل والصلاة تسمى قرآنا كقوله وقرآن الفجر قيل ان هذه الآية نسخت قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه فيحتمل أن يكون ما تضمنه هذه الآية فرضا ثابتا ويحتمل أن يكون منسوخا لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن

أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل الى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أليس لكم في اسوة حسنة فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع الينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الارض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال ائت عائشة فسلها ثم ارجع الي فأخبرني بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها اني نهيتها (١٠١) أن تقول في هاتين الشيعتين شيأ فأبت فيهما الا مضيا فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا معك قال سعيد بن هشام قالت من هشام قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامر اقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعدما يسلم فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يا بني وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان اذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا

أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال الشافعي الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس وقد ذهب قوم الى أن قيام الليل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق أمته وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقي أصل الوجوب وقيل انه نسخ في حق الامة وبقي فرضا في حقه صلى الله عليه وسلم والاولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق أمته وليس في قوله فاقرؤا ما تيسر منه ما يدل على بقاء شيء من الوجوب لانه ان كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت في المغرب والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة وان كان المراد به الصلاة من الليل فقد وجدت صلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوع وأيضا الاحاديث الصحيحة المصرحة بقول السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل علي غيرها يعني الصلوات الخمس فقال لا الا ان تطوع تدل على عدم وجوب غيرها فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته على الامة كما ارتفع وجوب ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الواحدي قال المفسرون في قوله فاقرؤا ما تيسر منه كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس عن المؤمنين وثبت على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك قوله وأقيموا الصلاة قلت فيه نظر لان وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل شرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا ومعارضا لحكم المنسوخ كوجوب العدة بحول مع وجوبها بأربعة أشهر فليتأمل فالصواب أن يكون نسخ عن ذلك كالحديث الذي قدمناه ثم ذكر سبحانه عذرهم فقال (علم ان سيكون منكم مرضى) فلا يطيقون قيام الليل ويشق عليهم ذلك وقال الخفاجي هذا استئناف مبين لحكمة أخرى فالحكمة الاولى هي قوله علم ان لن تحصوه والثانية هي قوله علم ان سيكون الخ (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) أي يسافرون فيها للتجارة والارباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون اليه في معاشهم فلا يطيقون قيام الليل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين فلا يطيقون قيام الليل قال النسفي سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله

غير رمضان فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتمامه وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج (١٠٢) كالمغضب وكان بهم رحيما فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال أيها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه ونزل القرآن يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم الى الفريضة وترك قيام الليل ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الزبيدي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وانما هي مكية وقوله في هذا السياق ان بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد انه كان بينهما سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر *(في العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام

من الشهداء ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ثم لما ذكر سبحانه هنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام رفعه عن جميع الامة لاجل هذه الاعذار التي تنوب بعضهم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال (فاقرؤا ما تيسر منه) وقد تقدم تفسيره قريبا والتكرير للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها (وآتوا الزكاة) يعني الواجبة في الاموال وقال الحرث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل أفعال الخير (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي انفقوا ما سوى المفروض في سبيل الخير من أموالكم انفاقا حسنا عن طيب قلب وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا تكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه وقد مضى تفسيره في سورة الحديد قال زيد بن أسلم القرض الحسن الانفاق على الاهل وقيل الانفاق من الحلال بالاخلاص والصرف الى المستحق وقيل النفقة في الجهاد وقيل هو اخراج الزكاة المفترضة على وجه حسن فيكون تفسيرا لقوله وآتوا الزكاة والاول أولى لقوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) قال ظاهره العموم أي أي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر (هو خيرا وأعظم أجرا) أي أجزل ثوابا مما تؤخرونه الى عند الموت أو توصون به ليخرج بعد موتكم وانتصاب خيرا على انه ثاني مفعولي تجدوه وضمير هو ضمير فصل وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر هو والجملة في محل نصب على انها ثاني مفعولي تجدوه قال أبو زيد وهي لغة تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل وقرأ الجمهور أيضا أعظم بالنصب عطفا على خيرا وقرئ بالرفع مثل خيرا وانتصاب أجرا على التمييز (واستغفروا الله) أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم في مجامع أحوالكم فانكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها (ان الله غفور رحيم) أي كثير المغفرة لمن استغفره كثير الرحمة لمن استرحمه ويستر على أهل الذنب والتقصير ويخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير

(سورة المدثر هي خمس أو ست وخمسون آية وهي مكية)

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ يا أيها المزمل قلت بلى قالت فانها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل وقال معمر عن قتادة قم الليل الا قليلا قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل (١٠٣) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك الى قوله تعالى وأقيموا الصلاة فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله الى قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق وقوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا أي أكثر من ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج اليه من أمور دنياك كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي وتبتل اليه تبتيلا أي أخلص له العبادة وقال الحسن اجتهد وأبتل اليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروي نهى عن التبتل يعني الانقطاع الى العبادة وترك التزوج وقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا اله الا هو وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى في الآية الاخرى فاعبده وتوكل عليه وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الامر بافراد العبادة

(في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الواحدي قال المفسرون لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي أتاه جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سرير بين السماء والارض كالنور المتلالي ففزع ووقع مغشيا عليه فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه وقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال (يا أيها المدثر) أي يا أيها الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما وقد قرأ الجمهور بالادغام وقرأ أبي على الاصل والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب أعلامه وقال عكرمة المعنى يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا اذ ذاك أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان أبا سلمة بن عبد الرحمن قال ان أول ما نزل من القرآن يا أيها المدثر فقال له يحيى بن أبي كثير يقولون ان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت دثروني دثروني فدثروني فنزلت يا أيها المدثر الى قوله والرجز فاهجر وعن ابن عباس قال دثر هذا الامر فقم به وعنه قال المدثر النائم وسيأتي في سورة اقرأ ما يدل على انها أول سورة أنزلت والجمع ممكن قال الخطيب اختلف في أول ما نزل من القرآن اختلافا طويلا وتحقيق المعتمد منه وطريق الجمع بين الاحاديث المتناقضة فيه ان أول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر الى فاهجر وفي صدر حاشية سليمان الجمل استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولا نقلا عن الخازن فراجعه ان شئت (قم فأنذر) أي انهض خوف أهل مكة

والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وان يهجرهم هجرا جميلا (١٠٤) وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهددا الكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء وذرني والمكذبين أولي النعمة أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الاموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ومهلهم قليلا أي رويدا كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولهذا قال ههنا ان لدينا أنكالا وهي القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد ابن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد وجحيما وهي السعير المضطرمة وطعاما ذا غصة قال ابن عباس ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال أي تزلزل وكانت الجبال كثيبا مهيلا أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء ثم انها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء الا ذهب حتى تصير الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أي واديا ولا أمتا أي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم أي بأعمالكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى المقصود فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري أخذا وبيلا أي شديدا أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتم رسولكم لان رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد وقوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير

وحذرهم العذاب ان لم يسلموا أو قم من مضجعك واترك الدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له وهو الانذار أو قم قيام عزم وتصميم وقيل الانذار هنا هو اعلامهم بنبوته وقيل اعلامهم بالتوحيد وقال الفراء المعنى قم فصل وأمر بالصلاة (وربك فكبر) أي واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة عقدا وقولا وانه أكبر من ان يكون له شريك كما يعتقده الكفار وأعظم من ان تكون له صاحبة أو ولد قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس والتنزيه بخلع الاضداد والانداد والاصنام ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه قال الزجاج ان الفاء في فكبر دخلت على معنى الجزاء كما دخلت في قوله فانذر وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب أي زيدا اضرب فالفاء زائدة وعبارة الكرخي دخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وأيا ما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) المراد بها الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوي أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات وازالة ما وقع فيها منها وقال مجاهد وابن زيد وأبو رزين أي عملك فأصلح وقال قتادة نفسك فطهرها من الذنب والثياب عبارة عن النفس وقال سعيد بن جبير قلبك فطهر وقال الحسن والقرطبي أخلاقك فطهر لان خلق الانسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الزجاج المعنى وثيابك فقصر لان تقصير الثوب أبعد من النجاسات اذا انجر على الارض وبه قال طاوس وذلك لان العرب كانت عادتهم تطويل الثياب وجر الذيول ولا يؤمن معه اصابة النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقال أبي ابن كعب معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وقال ابن عباس أي لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل وعنه قال فطهر من الاثم قال وهي في كلام العرب نقي الثياب وعنه قال من الغدر لا تكن غدارا وفي لفظ لا تلبسها على غدرة والاول أولى لانه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجازا عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدل على انه المراد عند الاطلاق وليس في مثل هذا الاصل أعني الحمل على الحقيقة عند الاطلاق خلاف وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلاة قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي

عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم بالله ولم تصدقوا به ويحتمل أن يكون لكفرتم فعلى الاول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم ان كفرتم وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى ان كفرتم يوم القيامة وجحدتموه وكلاهما معنى حسن ولكن الاول أولى والله أعلم ومعنى قوله يوما يجعل الولدان شيبا أى من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال الطبرانى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد (١٠٥) بن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان ابن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوما يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك فى وجوههم ان بنى آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم وانه لايموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل فيهم وفى أشباههم جنة لكم هذا حديث غريب وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الاحاديث وقوله تعالى السماء منفطر به قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لانه لم يجر له ذكرههنا وقوله تعالى كان وعده مفعولا أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لامحالة وكائنا لامحيد عنه ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ان هذه أى السورة تذكرة أى يتذكر بها أولوا الالباب ولهذا قال تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما قال فى السورة الاخرى وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ثم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه

المقصود من الآية الاعلام بأن الصلاة لاتجوز الافى ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان المشركون لايصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله أن يصون ثيابه عنها وثالثها روى انهم ألقوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قذرا فقيل له وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات (والرجز فاهجر) الرجز معناه فى اللغة العذاب وفيه لغتان كسر الراء وضمها وهما قراءتان سبعيتان والزاى منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاى ومعناهما واحد وانما سمى الشرك وعبادة الاوثان رجزا لانها سبب الرجز وقال مجاهد وعكرمة الرجز الاوثان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وبه قال ابن زيد وقال ابراهيم النخعى الرجز المأثم والهجر الترك وقال قتادة الرجز اساف ونائلة وهما صنمان كانا عند البيت وقال أبو العالية والربيع والكسائى الرجز بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدى الرجز بضم الراء الوعيد والاول أولى وقال ابن عباس الرجز الاصنام (ولا تمنن تستكثر) قرئ لاتمن بالادغام وقرأ الجمهور بفك الادغام وتستكثر بالرفع على انه حال أى ولا تمنن حال كونك مستكثرا وقيل على حذف ان والاصل ولا تمنن أن تستكثر فلما حذفت رفع قال الكسائى فاذا حذف ان رفع الفعل وقرئ تستكثر بالنصب على تقدير ان وبقاء عملها ويؤيدها قراءة ابن مسعود ان تستكثر بزيادة أن وقرئ بالجزم على انه بدل من تمنن كما فى قوله يلق أثاما يضاعف له العذاب أو الجزم لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد اعترض على قراءة الجزم لان قوله تستكثر لايصح أن يكون بدلا من تمنن لان المن غير الاستكثار ولا يصح أن يكون جوابا للنهى والمن الانعام وبابه رد واختلف السلف فى معنى الآية فقيل المعنى لاتمنن بشئ مستكثرا أى طالبا للكثرة كارها أن ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وقيل المعنى لاتمنن على ربك بما تحمله من أعباء الرسالة والنبوة كالذى يستكثر ما يتحمله بسبب الغير وقيل لاتعط عطية تلتمس فيها أكثر منها قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس لاتعط تلتمس بها أفضل منها وعنه قال لاتعط الرجل عطاء رجاء أن يعطيك أكثر منه قال الضحاك هذا حرمه الله على رسوله لانه مأمور بأشرف الآداب وأجل الاخلاق وأباحه لامته وقال مجاهد لاتضعف أن تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا وقال الربيع بن أنس

وثلثه وطائفة من الذين معك أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لانه يشق عليكم ولهذا قال والله يقدر الليل والنهار أى تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا علم ان لن تحصوه أى الفرض الذى أوجبه عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال فى سورة سبحان ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها وقد استدل أصحاب الامام أبى حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (١٠٦) فاقرؤا ما تيسر من القرآن على انه لا تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسىء صلاته الذى فى الصحيحين ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة الا أن تقرأ بفاتحة الكتاب وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداج فهى خداج غير تمام وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن وقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله أى علم أن سيكون من هذه الامة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الارض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لانه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى فاقرؤا ما تيسر منه أى قوموا بما تيسر عليكم منه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به انما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح وانه لذو علم لما علمناه وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى انه يرى انه كان حقا واجبا على حملة القرآن ان يقوموا ولو بشىء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه فقيل معناه نام عن المكتوبة وقيل عن قيام الليل وفى السنن أوتروا يا أهل

لا يعظم عملك فى عينك أن تستكثر من الخير وقال ابن كيسان لا تستكثر عملا فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى عبادته وقيل لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجرا تستكثره وقال محمد بن كعب لا تعط مالك مصانعة وقال زيد بن أسلم اذا أعطيت عطية فأعطها لربك (ولربك فاصبر) على طاعته وفرائضه والمعنى لاجل ربك وثوابه وقال مقاتل ومجاهد اصبر على الاذى والتكذيب وقال ابن زيد حملت أمرا عظيما محاربتك العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل اصبر تحت موارد القضاء لله وقيل فاصبر على البلوى وقيل على الاوامر والنواهى (فاذا نقر فى الناقور) فاعول من النقر كأنه من شأنه أن ينقر فيه للتصويت والنقر فى كلام العرب الصوت ويقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه والمراد هنا النفخ فى الصور والمراد النفخة الثانية وقيل الاولى وقد تقدم الكلام على هذا فى سورة الانعام وسورة النحل والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم قال ابن عباس الناقور الصور أى القرن الذى هو مستطيل وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع الارواح فى تلك الثقب فيخرج من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى كما مر غير مرة والعامل فى اذا ما دل عليه قوله الآتى فذلك يومئذ الخ فان معناه عسر الامر عليهم وقيل العامل فيه ما دل عليه قوله (فذلك) لانه اشارة الى النقر أى وقت النقر وهو النفخة يوم القيامة (يومئذ) بدل مما قبله وهو اسم الاشارة وبنى يوم لاضافته الى غير متمكن وهو اذ وتنوينها عوض عن الجملة أى يوم اذ نفخ فى الصور وخبر ذلك (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين غير يسير) تأكيد للعسر عليهم لان كونه غير يسير قد فهم من قوله يوم عسير وفيه ايذان بانه يسير على المؤمنين وقال الرازى يحتمل انه عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكافرين اشد انتهى وما قاله الرازى يفهمه التقييد بالجار والمجرور ان جعل متعلقا بيسير وان كان مضافا اليه لانه قد أجازه بعضهم كما ذكره السمين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى دعنى واتركنى وهى كلمة تهديد ووعيد والمعنى دعنى والذى خلقته حال كونه وحيدا فى بطن أمه لا مال له ولا ولد هذا على ان وحيدا منتصب على الحال من الموصول أو من الضمير العائد ويجوز أن يكون حالا من الياء فى ذرنى أى دعنى وحدى معه فانى أكفيك فى الانتقام

القرآن وفي الحديث الآخر من لم يوتر فليس منا وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من ايجاب قيام شهر رمضان فالله أعلم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدي حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاقرؤا ما تيسر منه قال مائة آية وهذا حديث غريب جدا لم أره الا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة وهذا يدل لمن قال بأن فرض (١٠٧) الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين الا بالمدينة والله أعلم وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف ان هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وقوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لانفسكم في الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الحرث بن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الاعمش به ثم قال تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة

* (تفسير سورة المدثر وهي مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر وخالفه الجمهور فذهبوا

والاول أولى قال المفسرون وهو الوليد بن المغيرة وبه قال ابن عباس قال مقاتل خل بيني وبينه فأنا أنفرد بهلكته وانما خص بالذكر لمزيد كفره وعظيم جحوده لنعم الله عليه وقيل أراد بالوحيد الذي لا يعرف أبوه وكان يقال في الوليد انه دعي وعن ابن عباس قال ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك أتيت محمدا للتعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه هذا الذي يقول شيأ من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وقد أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة مرسلا وكذا غير واحد (وجعلت له مالا ممدودا) أي كثيرا وعدّ بالزيادة والنماء شيأ بعد شيء قال الزجاج مال غير منقطع عنه وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال على اختلاف أنواعه كالزرع والضرع والتجارة قيل كان يحصل له من غلة أمواله ألف ألف دينار وقيل أربعة آلاف دينار وقيل ألف دينار قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال غلة شهر بشهر قيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وكان له عبيد وجوار كثيرة (وبنين شهودا) أي وجعلت له بنين حضورا بمكة معه لا يسافرون ولا يحتاجون الى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم قال الضحاك كانوا سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولدا وقال مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد وقيل عمارة وفيه نظر لان ابن حجر قال في الاصابة ان عمارة مات كافرا وقيل معنى شهودا انه اذا ذكر ذكروا معه وقيل كانوا يشهدون ما كان يشهده من المحافل والمجامع ويقومون بما كان يباشره (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش الرغيد وطول العمر والجاه العريض في قريش حتى كان يدعى ريحانة قريش وهو الكمال عند أهل الدنيا والتمهيد

الى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق كما سيأتى بيان ذلك هنالك ان شاء الله تعالى قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذى خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لى فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ ونظرت عن شمالى فلم أر شيأ ونظرت أمامى فلم أر (١٠٨) شيأ ونظرت خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا قال فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر هكذا ساقه من هذا الوجه وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال أخبرنى جابر ابن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه فبينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلى فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل يا أيها المدثر قم فأنذر الى فاهجر قال أبو سلمة والرجز الاوثان ثم حمى الوحى وتتابع هذا لفظ البخارى وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا لقوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء وهو جبريل حين أتاه بقوله اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم انه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا وجه الجمع ان أول شئ نزل بعد فترة الوحى هذه السورة كما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرنى جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم فتر الوحى عنى فترة فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى قاعد على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه فرقا حتى هويت الى الارض فجئت أهلى فقلت لهم زملونى زملونى فزملونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم حمى الوحى وتتابع أخرجاه من حديث الزهرى به وقال الطبرانى حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلى حدثنا المعافى بن عمران عن ابراهيم بن

١١ حم

عند العرب التوطئة ومنه مهد الصبى وأصله التسوية والتهيئة ويتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا وقال مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش (ثم يطمع أن أزيد) أى يطمع بعد هذا كله فى الزيادة لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه بالنعم واشراكه بالله قال الحسن ثم يطمع ان أدخله الجنة وكان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى فردعه الله سبحانه وزجره فقال كلا أى لست أزيده بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية ما زال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا ثم علل ذلك على وجه الاستئناف التحقيقى بقوله (انه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا لها كافرا بما أنزلناه منها على رسولنا فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفرانها مع شيوعها مما يوجب الحرمان بالكلية وانما أوتى ما أوتى استدراجا يقال عند يعند بالكسر اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند الذى يجوز عن الطريق ويعدل عن القصد قال أبو صالح عنيدا معناه مباعدا وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال ابن عباس جحودا (سأرهقه صعودا) أى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيها وهو مثل لما يلقاه من العذاب الصعب الذى لا يطاق وقيل المعنى انه يكلف أن يصعد جبلا من نار والارهاق فى كلام العرب أن يحمل الانسان الشئ الثقيل قال أبو سعيد الخدرى فى قوله صعودا هو جبل فى النار يكلفون ان يصعدوا فيه فكلما وضعوا ايديهم عليه ذابت فاذا رفعوها عادت كما كانت وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل فى النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى وهو كذلك فيه أبدا أخرجه أحمد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير وفيه غرابة ونكارة انتهى وقد أخرجه جماعة من قول أبى سعيد وقال ابن عباس صعود صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وعنه قال جبل فى النار وجملة (انه فكر) تعليل لما تقدم من الوعيد أى انه فكر فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن (وقدر) أى هيأ الكلام فى نفسه والعرب تقول هيأت الشئ اذا قدرته وقدرت الشئ اذا هيأته وذلك انه لما سمع القرآن لم يزل يتفكر ماذا يقول فيه وقدر فى نفسه ما يقول فذمه الله وقال (فقتل) أى لعن وعذب (كيف قدر) أى على أى حال قدر ما

يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر وقوله تعالى قم فأنذر أى شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الارسال كما حصل (١٠٩) بالاول النبوة وربك فكبر أى عظم وقوله تعالى وثيابك فطهر قال الاجلح الكندى عن عكرمة عن ابن عباس انه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية وثيابك فطهر قال لا تلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى

انى بحمد الله لا ثوب فاجر
لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وثيابك فطهر قال فى كلام العرب نقى الثياب وفى رواية بهذا الاسناد فطهر من الذنوب وكذا قال ابراهيم والشعبى وعطاء وقال الثورى عن رجل عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية وثيابك فطهر قال من الاثم وكذا قال ابراهيم النخعى وقال مجاهد وثيابك فطهر قال نفسك ليس ثيابه وفى رواية عنه وثيابك فطهر عملك فأصلح وكذا قال أبو رزين وقال فى رواية أخرى وثيابك فطهر أى لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا وقال قتادة وثيابك فطهر أى طهرها من المعاصى وكانت العرب تسمى الرجل اذا نكث ولم يف بعهد الله انه لمدنس الثياب واذا وفى وأصلح انه لمطهر الثياب وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية وقال الشاعر

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفى عن ابن عباس وثيابك فطهر يعنى لا تكن ثيابك التى تلبس من ملبس غير طائل ويقال لا تلبس ثيابك على معصية وقال محمد بن سيرين وثيابك فطهر أى اغسلها بالماء وقال ابن زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس

الكلام كما يقال فى الكلام لأضربنه كيف صنع أى على أى حال كانت منه وقيل المعنى قهر وغلب كيف قدر وقال الزهرى عذب وهو من باب الدعاء عليه والتكرير فى قوله (ثم قتل كيف قدر) للمبالغة والتأكيد وقيل فقتل فى الدنيا ثم قتل فيما بعد الموت فى البرزخ والقيامة وثم يشعر بان الدعاء الثانى أبلغ من الاول فهى للتفاوت فى الرتبة وقيل بل للتراخى فى الزمان أيضا (ثم نظر) بأى شئ يدفع القرآن ويقدح فيه فالنظر بمعنى التأمل وعلى هذا فتكرر هذه الجملة مع قوله انه فكر وقدر أو فكر فى القرآن وتدبر ماهو (ثم عبس) أى قطب وجهه لما لم يجد مطعنا يطعن به فى القرآن والعبس مصدر عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب وقيل عبس فى وجوه المؤمنين وقيل عبس فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم (وبسر) أى كلح وجهه وتغير وقيل ان ظهور العبس فى الوجه يكون بعد المحاورة وظهور البسور فى الوجه قبلها والعرب تقول وجه باسر اذا تغير واسود وقال الراغب البسر استعمال الشئ قبل أوانه نحو بسر الرجل حاجته أى طلبها فى غير أوانها قال ومنه قوله عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر أى وقف لا يتقدم ولا يتأخر وقد أبسرنا أى صرنا الى البسور (ثم أدبر واستكبر) أى أعرض عن الحق وذهب الى أهله وتعظم عن أن يؤمن (فقال) عقب ما جره اليه طبعه الخبيث من الكفر المأثم به (ان هذا الا سحر يؤثر) أى يأثره عن غيره ويرويه عن السحرة كمسيلمة وأهل بابل والسحر اظهار الباطل فى صورة الحق أو الخديعة على ما تقدم بيانه فى سورة البقرة يقال أثرت الحديث تأثره اذا ذكرته عن غيرك أى أمور تخييلية لا حقائق لها وهى لدقتها بحيث تخفى أسبابها شؤون تمويهية (ان هذا الا قول البشر) يعنى انه كلام الانس وليس بكلام الله وهو تأكيد لما قبله وقد تقدم أن الوليد بن المغيرة انما قال هذا القول ارضاء لقومه بعد اعترافه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة الى آخر كلامه ولما قال هذا القول الذى حكاه الله عنه قال الله عز وجل (سأصليه سقر) أى سأدخله النار وسقر من أسماء النار ومن دركات جهنم ولم تنصرف للتعريف والتأنيث قال السمين هذا بدل من قوله سأرهقه صعودا قاله الزمخشرى فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد صخرة فى جهنم كما جاء فى بعض التفاسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة ثم بالغ فى وصف النار وشدة أمرها فقال

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجرى فأجملى
وان قد تك ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى

وقال سعيد بن جبير وثيابك فطهر وقلبك ونيتك فطهر وقال محمد بن كعب القرظى والحسن البصرى وخلقك فحسن وقوله تعالى والرجز فاهجر قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الاصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهرى وابن زيد أنها الاوثان وقال ابراهيم والضحاك والرجز فاهجر أى اترك المعصية وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشىء من ذلك كقوله (١١٠) تعالى يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وقوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الاحوص وابراهيم النخعى والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم وروى عن ابن مسعود انه قرأ ولا تمنن أن تستكثر وقال الحسن البصرى لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع ابن أنس واختاره ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد فى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن فى كلام العرب تضعف وقال ابن زيد لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال والاظهر القول الاول والله أعلم وقوله تعالى ولربك فاصبر أى اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد وقال ابراهيم النخعى اصبر عطيتك لله عز وجل وقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال ابن عباس ومجاهد والشعبى وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد الناقور الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف بن طريف عن عطية العوفى عن ابن عباس فاذا نقر فى الناقور فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وهكذا رواه الامام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به

(وما أدراك ما سقر) اى وما أعلمك اى شىء هى والعرب تقول وما أدراك ما كذا اذا أرادوا المبالغة فى أمره وتعظيم شأنه وتهويل خطبه وما الاولى مبتدا وجملة ما سقر خبر المبتدا ثم فسر حالها فقال (لا تبقى ولا تذر) والجملة مستأنفة لبيان حال سقر والكشف عن وصفها وقيل هى فى محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم لان قوله وما أدراك ما سقر يدل على التعظيم فكأنه قال استعظموا سقر فى هذه الحال والاول أولى ومفعول الفعلين محذوف قال السدى لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقال عطاء لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا وقيل هما لفظان بمعنى واحد كررا للتأكيد كقولك صد عنى وأعرض عنى وقال ابن عباس لا تبقى منهم شيأ واذا بدلوا خلقا آخر لم تذر أن تعاودهم سبيل العذاب الاول (لواحة للبشر) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل على انه نعت لسقر والاول أولى وقرئ بالنصب على الحال أو الاختصاص للتهويل يقال لاح يلوح أى ظهر والمعنى أنها تظهر للبشر قال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقيل معنى لواحة للبشر مغيرة لهم ومسودة قال مجاهد والعرب تقول لاحه الحر والبرد والحزن والسقم اذا غيره وهذا أرجح من الاول واليه ذهب جمهور المفسرين وقال الاخفش المعنى أنها معطشة للبشر قال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير اسود من الليل وعنه قال لواحة محرقة والمراد بالبشر اما جلدة الانسان الظاهرة كما قاله الاكثر أو المراد به أهل النار من الانس كما قال الاخفش (عليها تسعة عشر) قال المفسرون يقول سبحانه على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها وقيل تسعة عشر صنفا من أصناف الملائكة وقيل تسعة عشر صفا من صفوفهم وقيل تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والاول أولى قال الثعلبى ولا ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض أرواح الخلائق كان أحرى أن يكونوا تسعة عشر على عذاب بعض الخلق قرأ الجمهور عشر بفتح الشين وقرئ باسكانها عن البراء ان رهطا من اليهود سألوا بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله اعلم فجاء جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر رواه فى البعث وابن ابى حاتم وابن مردويه قال الكرخى وخص هذا العدد بالذكر لكونه لعدد أسباب فساد النفس الانسانية وهى القوى الانسانية والطبيعية اا

ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به وقوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير أي غير سهل عليهم كما قال تعالى يقول الكافرون هذا يوم عسر وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير شهق شهقة ثم خر ميتا رحمه الله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر (١١١) ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر) يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا أي خرج من بطن أمه وحيدا لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى مالا ممدودا أي واسعا كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له بنين شهودا قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو قيامهم عنده ومهدت له تمهيدا أي مكنته من صنوف المال

ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا أي معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى سأرهقه
أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة

الانسانية ثنتا عشرة الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر انتهى قلت وهذا ليس بتفسير للآية بل الحكمة المودعة في هذا العدد مفوضة الى علم الله تعالى قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها ولما نزلت هذه قال أبو جهل أما لمحمد من الاعوان الا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فقال أبو الاشد وهو رجل من بني جمح يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين أيديكم فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر ونمضي ندخل الجنة فأنزل الله سبحانه (وما جعلنا أصحاب النار) يعني ما جعلنا المدبرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها (الا ملائكة) فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم قال ابن عباس لما سمع أبو جهل عليها تسعة عشر قال لقريش ثكلتكم أمهاتكم اسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطش برجل من خزنة جهنم أخرجه ابن جرير وابن مردويه قيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة والرأفة وقيل لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له وأشدهم بأسا وأقواهم بطشا (وما جعلنا عدتهم الا فتنة) أي سبب ضلالة (للذين كفروا) أي للذين استقلوا عددهم والمعنى ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن الا ضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل المعنى الا عذابا كما في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون قال ابن عباس في الآية قال أبو الاشد خلوا بيني وبين خزنة جهنم أنا أكفيكم مؤنتهم قال وحدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم فقال كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل أحدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم أخرجه ابن مردويه (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قاله الضحاك وقتادة وغيرهم والمعنى ان الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلان البصري قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم سأرهقه صعودا قال هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد سأرهقه صعودا (١١٢) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير وقوله تعالى انه فكر وقدر أي انما أرهقناه صعودا أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الايمان لانه فكر وقدر أي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال وقدر أي تروى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر دعاء عليه ثم نظر أي أعاد النظرة والتروي ثم عبس أي قبض بين عينيه وقطب وبسر أي كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير الشاعر

وقد رابني منها صدود رأيته
واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقوله ثم أدبر واستكبر أي صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن فقال ان هذا الا سحر يؤثر أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره عمن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال ان هذا الا قول البشر أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وان قوله لمن الطه
كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر الى قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون انك انما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتي فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله الا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ذرني ومن خلقت وحيدا الى

لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل أراد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ايمانا) أي ليزدادوا يقينا الى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم وجملة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) مقررة لما تقدم من الاستيقان وازدياد الايمان والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين أو في ان عدة خزنة جهنم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين (وليقول الذين في قلوبهم مرض) المراد بأهل المرض المنافقون والسورة وان كانت مكية ولم يكن اذ ذاك نفاق فهو اخبار بما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الآية الخلاف والمراد بقوله (والكافرون) كفار مكة من العرب وغيرهم (ماذا) مجموع الكلمتين اسم استفهام فذا ملغاة أي أي شئ (أراد الله بهذا) العدد المستغرب استغراب المثل (مثلا) تسيره الركبان سيرها بالامثال قال الليث المثل الحديث ومنه قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي حديثها والخبر عنها (كذلك) أي مثل ذلك الاضلال المتقدم ذكره وهو قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا (يضل الله من يشاء) من عباده (ويهدي من يشاء) منهم والمعنى مثل ذلك الاضلال للكافرين والهداية للمؤمنين يضل الله من يشاء الاضلال ويهدي من يشاء هدايته وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل على خلق الافعال وقيل المعنى كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء (وما يعلم جنود ربك) أي ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم (الا هو) وحده لا يقدر على علم ذلك أحد قال عطاء يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم الا الله وحده والمعنى ان خزنة النار وان كانوا تسعة عشر فلهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه الا الله سبحانه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال فصعدت أنا وجبريل الى السماء الدنيا فاذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وتلا هذه الآية أي

قوله لا تبقى ولا تذر وقال قتادة زعموا انه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك انه سحر فأنزل الله فقتل كيف قدر الآية ثم عبس و بسر قبض ما بين عينيه وكلح وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبادة بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال أى عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال لم قال يعطونكه فانك أتيت محمدا تتعرض لما قبله قال قد علمت قريش انى أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يعلم قومك انك منكر لما قال وانك كاره له قال فاذا أقول فيه فوالله ما منكم رجل أعلم بالاشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيأ من هذا والله ان لقوله الذى يقوله لحلاوة وانه ليحطم ما تحته وأنه ليعلو وما يعلى قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال ان هذا الا سحر يؤثره عن غيره فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا حتى بلغ تسعة عشر وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد نحوا من هذا وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال

الله تعالى سأصليه سقر أى سأغمره فيها من جميع جهاته ثم قال تعالى وما أدراك ما سقر وهذا تهويل لامرها وتفخيم ثم فسر ذلك بقوله تعالى لا تبقى ولا تذر أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم فى ذلك لا يموتون ولا يحيون قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما وقوله تعالى لواحة للبشر قال مجاهد للجلد وقال ابن رزين تلفح الجلد لفحة فتدعه اسود من الليل وقال زيد بن أسلم تلوح أجسادهم عليها وقال قتادة لواحة للبشر حراقة للجلد وقال ابن عباس تحرق بشرة الانسان وقوله تعالى عليها تسعة عشر أى من مقدمى الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة

الطبرانى فى الاوسط وأبو الشيخ وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أصبع الا عليه ملك ساجد أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه قال الترمذى حسن غريب ويروى عن أبى ذر موقوفا ثم رجع سبحانه الى ذكر سقر فقال (وماهى الا ذكرى للبشر) أى وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها الا تذكرة وموعظة للعالم يتذكرون بها ويعلمون كمال قدرته تعالى وانه لا يحتاج الى أعوان وانصار وقيل ما هى أى الدلائل والحجج والقرآن الا تذكرة للبشر وقال الزجاج نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة وهو بعيد وقيل الضمير فى وماهى يرجع الى الجنود ثم ردع سبحانه المكذبين وزجرهم فقال (كلا والقمر) قال الفراء كلا صلة للقسم والتقدير أى والقمر وقيل المعنى حقا والقمر قال الكرخى كلا استفتاح بمعنى ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبيه على تحقق ما بعدها وقال النضر بن شميل حرف جواب بمعنى اى ونعم وهو مذهب البصريين وجعلها الزمخشرى فى الآية للانكار أو الردع قال الكافيجى ولا منافاة بينه وبين كلام البصريين فان مدار كلامهم على ما يتبادر من ظاهر القول ومدار كلامه على أساس البلاغة والاعجاز وهو أحسن وقال ابن جرير الطبرى المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أى ليس الامر كما يقول ثم أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده وهذا هو الظاهر من معنى الآية (والليل اذ أدبر) أى ولى قرأ الجمهور اذا بزيادة الالف ودبر بزنة ضرب على انه ظرف لما يستقبل من الزمان وقرئ اذ أدبر بزنة أكرم ظرف لما مضى من الزمان ودبر وأدبر لغتان كما يقال قبل الزمان وقبل الزمان ويقال دبر الليل وأدبر الليل اذا تولى ذاهبا عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن قوله اذا دبر فسكت عنى حتى اذا كان من آخر الليل وسمع الاذان نادانى يا مجاهد هذا حين دبر الليل وعن ابن عباس قال دبور ظلامه (والصبح اذا أسفر) أى اضاء وتبين وظهر (انها لاحدى الكبر) قرأ الجمهور لاحدى بالهمزة وقرئ لحدى بدونها وهذا جواب القسم والضمير راجع الى سقر أى ان سقر لاحدى الدواهى أو البلايا الكبر والكبر جمع كبرى وقال مقاتل ان الكبر اسم من اسماء النار وقيل انها أى تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر والاول أولى وقال الكلبى اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها (نذيرا للبشر) حال من ضمير فى انها قاله الزجاج وروى عنه وعن الكسائى وابى على

حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حريث بن عامر عن البراء في قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ان رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر فأخبر أصحابه وقال ادعهم أما اني سائلهم عن تربة الجنة ان أتوني أما انها كأنها دورمكة بيضاء فجاؤه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال اخبروني عن تربة الجنة فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة (١١٤) بيضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الخبز انما يكون من الدرمك هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبدة اخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال بأي شئ قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار قالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفغلب قوم يسئلون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم علي بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار قال هكذا وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه ان سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة فنظر بعضهم الى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال الخبز من الدرمك وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر عن سفيان به وقال هو والبزار لا نعرفه الا من حديث مجالد وقد رواه الامام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقص الدرمك فقط (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) يقول تعالى

الفارسي انه حال من قوله قم فأنذر أي قم يا محمد فأنذر حال كونك نذيرا للبشر وقال الفراء هو مصدر بمعنى الانذار منصوب بفعل مقدر وقيل انه منتصب على التمييز لاحدى لتضمنها معنى التعظيم كأنه قيل أعظم الكبر انذارا وقيل التقدير لاجل انذار البشر وقيل غير ذلك قرأ الجمهور بالنصب وقرئ بالرفع أي هي نذير أو هو نذير وقد اختلف في النذير فقال الحسن هي النار وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو رزين المعنى أنا نذير لكم منها وقيل القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد (لمن شاء منكم) بدل من قوله للبشر (أن يتقدم) يسبق الى الطاعة (أو يتأخر) يتخلف عنها والمعنى ان الانذار قد حصل لكل من آمن وكفر وقيل فاعل المشيئة هو الله سبحانه أي لمن شاء الله أن يتقدم منكم بالايمان أو يتأخر بالكفر والاول أولى وقال السدي لمن شاء أن يتقدم الى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر الى الجنة وقال ابن عباس من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مأخوذة بعملها مرتهنة به اما خلصها واما أوبقها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست صفة ولو كانت صفة لقيل رهين لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى كل نفس رهينة بكسبها غير مفكوكة كافرة كانت أو مؤمنة عاصية أو غير عاصية (الا أصحاب اليمين) فانهم لا يرتهنون بذنوبهم بل يفكون بما أحسنوا من أعمالهم والاستثناء متصل لان المستثنى هو المؤمنون الخالصون من الذنوب وقوله رهينة أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين واختلف في تعيينهم فقيل هم الملائكة وقيل المؤمنون وقيل أولاد المسلمين وأطفالهم وقيل الذين كانوا عن يمين آدم وقيل أصحاب الحق وقيل هم المعتمدون على الفضل دون العمل وقيل هم الذين اختارهم الله لخدمته وقال ابن عباس هم المسلمون وقال علي هم أطفال المسلمين قيل هو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به (في جنات) هو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف ... في جنات لا يكتنه وصفها والجملة استئناف جوابا عن سؤال نشأ مما قبله أو حال من ... اليمين أو من فاعل قوله (يتساءلون) ويجوز أن يكون ظرفا له ويتساءلون يجوز أن يكون على بابه أي يسأل بعضهم بعضا ويجوز أن يكون بمعنى يسألون أي يسألون غيرهم

وما جعلنا أصحاب النار أي خزانها الا ملائكة أي زبانية غلاظا شدادا وذلك رد على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة فقال أبو جهل يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم فقال الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون وقد قيل ان أبا الاشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين وانا أكفيكم منهم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال السهيلي (115) وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصارعته وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن قال وقد نسب ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب قلت ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم وقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا أي انما ذكرنا عدتهم انهم تسعة عشر اختبارا منا للناس ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أي يعلمون ان هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء قبله وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا أي الى ايمانهم بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض أي من المنافقين والكافرين ماذا أراد الله بهذا مثلا أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا قال الله تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الايمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أي ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم انما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في حديث الاسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة فاذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم وقال

وتداعيته فعلى الوجه الاول يكون (عن المجرمين) متعلقا بيتساءلون أي يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم وعلى الوجه الثاني تكون عن زائدة أي يسألون المجرمين ثم المراد بهم الكافرون وهذا التساؤل فيما بينهم قبل ان يروا المجرمين فلما يرونهم يسألونهم ويقولون في سؤالهم (ما سلككم في سقر) أي ما أدخلكم فيها تقول سلكت الخيط في كذا اذا أدخلته فيه قال الكلبي يسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه فيقول له يا فلان ما سلكك في النار وقيل ان الملائكة يسألون الملائكة عن أقربائهم فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم ما سلككم في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي ان أصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب وهذا سؤال توبيخ وتقريع ثم ذكر سبحانه ما أجاب به أهل النار فقال (قالوا لم نك من المصلين) أي من المؤمنين الذين يصلون لله في الدنيا ولم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) أي لم نتصدق على المساكين وقيل وهذان محمولان على الصلاة الواجبة والصدقة الواجبة لانه لا تعذيب على غير الواجب وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالشرعيات والفروع فقول صاحب الكشاف يحتمل ان يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلاة وترك الاطعام والخوض في الباطل مع الخائضين والتكذيب بيوم القيامة وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام تخيل منه كما قال صاحب الانتصاف ان تارك الصلاة يخلد في النار (وكنا نخوض مع الخائضين) أي نخالط أهل الباطل في باطلهم قال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقال السدي كنا نكذب مع المكذبين وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو قولهم كاذب ساحر مجنون شاعر وعبارة الخطيب أي نشرع في الباطل مع الخائضين فنقول في القرآن انه سحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع صريح عقل ولا نرجع الى صحيح نقل عن هذا الحبر الذين يبادرون بالجواب في كل ما يسئلون عنه من أنواع العلم من غير سبت (وكنا نكذب بيوم الدين) أي بيوم الجزاء والحساب آخره لتعظيمه وهذا تخصيص بعد تعميم لان الخوض في الباطل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة والعجب بقية في الكفار أي لم نكن من أهل الصلاة وكذلك الفسقة ولا تسمعهم هذه وانما يتأسفون على فوات ما ينفع ذكره ثمان الحمل (حتى أتانا اليقين) وهو

الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أصبع الا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى فقال أبو ذر والله لوددت انى شجرة تعضد ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا (١١٦) حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله ابن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك الا انا لم نشرك بك شيأ وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن [illegible] قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ماأسمع قالوا مانسمع من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع أطيط السماء وماتلام أن تئط مافيها موضع شبر الا وعليه ملك راكع أو ساجد وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله ابن مهران حدثنا أبو معاذ الفضل ابن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الاجدع عن عائشة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي السماء الدنيا موضع قدم الا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمود بن آدم عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود انه قال ان من السموات سماء مافيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأوا انا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ثم قال حدثنا أحمد بن بشار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن

الموت كما في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وبه قال ابن عباس وهذا غاية في الامور الاربعة (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى شفاعة الملائكة والنبيين كما تنفع الصالحين والمعنى لا شفاعة لهم قال الحفناوى فالنفى مسلط على المقيد وقيده وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث ان الغالب في النفى اذا دخل على مقيد بقيد أن يتسلط على القيد فقط وفيه دليل على ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفي الحديث ان من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآيات وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون (فما لهم عن التذكرة معرضين) التذكرة التذكير بمواعظ القرآن والفاء لترتيب انكار اعراضهم عن التذكرة على ماقبله من موجبات الاقبال عليها وانتصاب معرضين على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور أى أى شئ حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذى هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر فقال (كأنهم حمر مستنفرة) أى نافرة يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب والمراد الحمر الوحشية والجملة حال من الضمير في معرضين على التداخل قرئ في السبع بكسر الفاء بمعنى نافرة وقرئ بفتحها أى منفرة مذعورة واختار هذا أبو حاتم وأبو عبيد قال في الكشاف المستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه (فرت من قسورة) حال بتقدير قد أى قد فرت من رماة يرمونها والقسور الرامي وجمعه قسورة قاله سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن كيسان وقيل هو الاسد قاله عطاء والكلبي قال ابن عرفة هو من القسر وهو القهر لانه يقهر السباع وقيل القسورة أصوات الناس وقيل القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة جماعة الرماة ولا واحد له من لفظه وقال ابن الاعرابي القسورة أول الليل أى فرت من ظلمة الليل وبه قال عكرمة والاول أولى وكل شديد عند العرب فهو قسورة قال أبو موسى الاشعري القسورة الرماة رجال القسي وقال القسورة الرجال الرماة القنص وقيل هي حبال الصيادين وعن أبي حمزة عن ابن عباس القسورة الاسد فقال ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هم عصبة

زيد بن مسعود من بنى الحكم حدثنى سليمان بن عمرو بن الربيع من بنى سالم حدثنى عبد الرحمن بن العلاء من بنى ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه هل تسمعون ما أسمع قالوا وما تسمع يارسول الله قال أطت السماء وحق لها أن تئط انه ليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وهذا اسناد غريب جدا ثم قال حدثنا اسحق بن محمد بن اسمعيل العدوى حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة (١١٧) قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثى فقال قوموا فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتى رجل هو أقوى منى ذراعين وأشد منى بطشا فيصرعنى ثم يدس وجهى فى التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه فى التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزنى عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما رأيك يا أبا حفص فذكر له ما كان منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى عمر رحمه والله لوددت انك جئتنى برأس الخبيث فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبى جحش ان لله تعالى فى السماء الدنيا ملائكة خشوعا لا يرفعون رؤسهم حتى تقوم الساعة فاذا قامت رفعوا رؤسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك وان لله فى السماء الثانية ملائكة سجودا لا يرفعون رؤسهم حتى تقوم الساعة فاذا قامت الساعة رفعوا رؤسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك فقال له عمر وما يقولون يارسول الله فقال اما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت واما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت واما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت فقلها يا عمر فى صلاتك فقال عمر يارسول الله فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى فقال قل هذا مرة وهذا مرة وكان الذى أمره به أن يقوله أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة واسحق المروزى روى عنه البخارى وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا الا انه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك

ابن عباس قال هو ركز الناس يعنى أصواتهم شبههم فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد الخ فهو اضراب انتقالى عن محذوف هو جواب الاستفهام السابق كأنه قيل فلا جواب لهم عن هذا السؤال أى لا سبب لهم فى الاعراض بل يريد الخ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسول الله والصحف الكتب واحدتها صحيفة والمنشرة المنشورة المبسوطة المفتوحة أى غير مطوية أى طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها وهذا من زيادة تعنتهم ومثل هذه الآية قوله سبحانه حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قرأ الجمهور منشرة بالتشديد وقرأ سعيد بن جبير بالتخفيف وقرأ الجمهور أيضا بضم الحاء من صحف وقرأ سعيد باسكانها ثم ردعهم الله سبحانه عن هذه المقالة وزجرهم فقال (كلا بل لا يخافون الآخرة) يعنى عذابها لانهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات وهذا اضراب انتقالى لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر لهم فقال (كلا انه تذكرة) أو بمعنى ألا الاستفتاحية أو حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية والمعنى انه يتذكر به ويتعظ بمواعظه أو انكار لان يتذكروا بها قاله القاضى كالكشاف (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل واتعظ فان نفع ذلك عائد اليه ثم رد سبحانه المشيئة الى نفسه فقال (وما يذكرون الا أن يشاء الله) قرأ الجمهور يذكرون بالياء التحتية وقرأ نافع ويعقوب بالفوقية وهما سبعيتان واتفقوا على التخفيف والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال قال مقاتل الا أن يشاء الله لهم الهدى وقال فى الكشاف يعنى لا أن يقسرهم على الذكر قال الامام انه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى منه حال المشيئة المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشيئة يحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر وقال ... صريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالى ذكره الكرخى (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته (وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من ذنوبهم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية وقال

ابن قدامة أبو قتادة الجعفى تكلم فيه أيضا والعجب من الامام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ولا عرف بحاله ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن مهراد أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن ارطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه (١١٨) دمعة من عينه الا وقعت على ملك يصلى وان منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وان منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم منذ خلق الله السموات والارض ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا رفعوا رؤسهم نظروا الى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا اسناده لا بأس به وقوله تعالى وما هى الا ذكرى للبشر قال مجاهد وغير واحد وما هى أى النار التى وصفت الا ذكرى للبشر ثم قال تعالى كلا والقمر والليل اذ أدبر أى ولى والصبح اذا أسفر أى أشرق انها لاحدى الكبر أى العظائم يعنى النار قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أى لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) يقول تعالى مخبرا ان كل نفس بما كسبت رهينة أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره الا أصحاب اليمين فانهم فى جنات يتساءلون عن المجرمين أى يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين أى ما عبدنا ربنا ولا أحسنا الى خلقه من جنسنا وكنا نخوض مع الخائضين أى نتكلم فيما لا نعلم

ربكم انا أهل ان أتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا أهل أن اغفر له أخرجه أحمد والدارمى والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن عدى وصححه وابن مردويه وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا نحوه

(سورة القيامة هى تسع وثلاثون أو أربعون آية وهى مكية بلا خلاف)

(عن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله)

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) قال أبو عبيدة وجماعة من المفسرين ان لا زائدة والتقدير أقسم قال السمرقندى أجمع المفسرون ان معنى لا أقسم أقسم واختلفوا فى تفسير لا فقال بعضهم هى زائدة وزيادتها جارية فى كلام العرب كقوله ما منعك أن لا تسجد يعنى أن تسجد ولئلا يعلم أهل الكتاب واعترضوا هذا بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجيب بأن القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجىء ذكر الشىء فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله تعالى يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بأن القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا فى ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقال الزمخشرى ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم وفائدتها توكيد القسم وقال بعضهم هى رد لكلامهم حيث أنكروا البعث كأنه قال ليس الامر كما ذكرتم أقسم بيوم القيامة وهذا قول الفراء وكثير من النحويين كقول القائل لا والله فلا رد لكلام قد تقدمها وقيل هى للنفى لكن لا لنفى الاقسام بل لنفى ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا الا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وقيل انها لنفى الاقسام لوضوح الامر وقد تقدم الكلام على هذا فى تفسير قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ الحسن وابن كثير فى رواية عنه والزهرى وابن هرمز لأقسم بدون ألف على ان اللام لام الابتداء والقول الاول هو أرجح الاقوال وقد اعترض عليه الرازى بما لا يقدح فى صحته ولا يفت فى عضد رجحانه واقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه ولله أن

وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين يعني الموت كقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو يعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أي من كان متصفا بمثل هذه الصفات فانه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لان الشفاعة انما تنجع اذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها ثم قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم اليه وتذكرهم به معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة أي كأنهم في نفارهم عن الحق واعراضهم عنه حمر من حمر الوحش اذا فرت ممن يريد صيدها من أسد قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أو رام وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس الاسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى كلا بل لا يخافون الآخرة أي انما أفسدهم عدم ايمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها ثم قال تعالى كلا انه تذكرة أي حقا ان القرآن تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله كقوله وما تشاؤن الا أن

بما شاء من مخلوقاته قال سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله لا أقسم بيوم القيامة قال يقسم ربك بما شاء من خلقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ذهب قوم الى انه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكون الكلام في لا هنا كالكلام في الاولى وهذا قول الجمهور وقال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه أقسم بهما جميعا وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين وهو الصواب ومعنى النفس اللوامة النفس التي تلوم صاحبها على تقصيرها أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها في الدنيا أو في القيامة قال الحسن هي والله نفس المؤمن لا يرى المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكذا ما أردت بكذا والفاجر لا يعاتب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على مافات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم عملته وعلى الخير لم لم تستكثر منه قال ابن عباس التي تلوم على الخير والشر تقول لو فعلت كذا وكذا وعنه تندم على مافات وتلوم عليه قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوأ قالت ليتني لم أفعل وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس فيكون الاقسام بها حسنا سائغا وقيل اللوامة هي الملومة المذمومة قاله ابن عباس فهي صفة ذم وبهذا احتج من نفى أن يكون قسما اذ ليس للنفس العاصي خطر يقسم به وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الآخرة على مافرط في جنب الله والاول أولى وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وما أبعده وقال ابن عباس اللوامة اللوم قال القاضي ضمها يوم القيامة في القسم بهما لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس اه فهو من بديع القسم لتناسب الامرين المقسم بهما حيث أقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) المراد بالانسان الجنس وقيل الانسان الكافر والهمزة للانكار وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف والمعنى أيحسب الانسان ان الشأن أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الارض فنعيدها خلقا جديدا وذلك الحسبان باطل فانا نجمعها وما دل عليه هذا الكلام هو جواب القسم قال الزجاج أقسم لنجمعن العظام ... القسم وقال النحاس جوابه محذوف أي لتبعثن والمعنى ... الله سبحانه

يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب اليه وأناب قاله قتادة وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة وقال قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله فمن اتقى أن يجعل معي الها كان أهلا أن أغفر له ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن

هدبة بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة القيامة وهي مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ (١٢٠) الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه اذا كان منتفيا جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي والمقسم عليه ههنا هو اثبات المعاد والرد على مايزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الاجساد ولهذا قال تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا هكذا حكاه ابن أبي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والاعرج انهما قرآ لأقسم بيوم القيامة [...]ا وجه قول الحسن لانه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة والصحيح أنه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية ان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي ما أردت بأكلتي ما أردت بحديث نفسي وان الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال ليس أحد من أهل السموات حال والارضين الا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن اسرائيل عن سماك انه سأل عكرمة عن قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الخير والشر ثم رواه من وجه آخر عن سعيد انه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي

يبعث جميع أجزاء الانسان وانما خص العظام لانها قالب الخلق (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب اليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله قادرين وانتصابه على الحال أي بلى نجمعها قادرين فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفراء أي نقدر ونقوى قادرين على أكثر من ذلك وقال أيضا انه يصلح نصبه على التكرير أي بلى فليحسبنا قادرين وقيل التقدير بلى كنا قادرين وهذا ليس بواضح وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع بلى قادرون على تقدير مبتدا أي بلى نحن قادرون ومعنى تسوية البنان نقدر على أن نجمع بعضها الى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهي الاصابع على بقية الاعضاء وان الاقتدار على بعثها وارجاعها كما كانت أولى في القدرة من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظفار والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة وقال جمهور المفسرين ان معنى الآية أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار صفحة واحدة لا شقوق فيها فلا يقدر على أن ينتفع بها في الاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها وقيل المعنى بل نقدر على أن نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها والاول أولى قال ابن عباس لو شاء لجعله خفا أو حافرا وبنان جمع أو اسم جمع لبنانة قولان وفي المختار البنانة واحد البنان وهي أطراف الاصابع ويقال بنان مخضب لان كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء فانه يؤنث ويذكر (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب اما على انه استفهام مثله واضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان أن يقدم فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة قال ابن الانباري يريد أن يفجر ما امتد عمره وليس في نيته أن يرجع من ذنب يرتكبه قال مجاهد الحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف أتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت وهو على أشر أحواله قال الضحاك هو الامل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يمضي قدما وعنه قال هو الكافر الذي يكذب بالحساب

النفس اللؤم وقال على بن ابى نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومة وقال قتادة اللوامة الفاجرة وقال ابن جرير وكل هذه الاقوال متقاربة المعنى والاشبه بظاهر التنزيل أنها التى تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على مافات وقوله تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه أى يوم القيامة أيظن انا لانقدر على أعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة بلى قادرين على أن نسوى بنانه قال سعيد بن جبير والعوفى عن ابن عباس أن نجعله خفا أو حافرا وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه (١٢١) ابن جرير بأنه تعالى لوشاء لجعل ذلك فى الدنيا

والظاهر من الآية ان قوله تعالى قادرين حال من قوله تعالى نجمع أى أيظن الانسان انا لانجمع عظامه بلى سنجمعها قادرين على ان نسوى بنانه أى قدرتنا صالحة لجمعها ولوشئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهى أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج وقوله بل يريد الانسان ليفجر أمامه قال سعيد عن ابن عباس يعنى يمضى قدما وقال العوفى عن ابن عباس ليفجر أمامه يعنى الامل يقول الانسان اعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة [illegible] بالحق [illegible] أمامه [illegible] وقال الحسن [illegible] ابن آدم لا ينزع نفسه [illegible] الامن عصمه الله تعالى وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدى [illegible] عن ابن عباس هو [illegible]

لسان عاشر) [illegible] أى يقول متى يكون يوم القيامة [illegible] كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال تعالى ههنا فإذا برق البصر قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أى حار [illegible] من النزع هكذا وهكذا لا يستقر له بصر على شىء من شدة الرعب [illegible] لأن المقصود أن الابصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل [illegible]

قال يعنى الامل يقول أعمل ثم أتوب وعنه قال يقدم الذنب ويؤخر التوبة وعنه قال يقول سوف أتوب والفجور أصله الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق يقول أو فعل (يسأل أيان يوم القيامة) مستأنفة وقال أبو البقاء تفسير ليسأل معنى يفجر فتكون مفسرة مستأنفة أو بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل وايان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر والمعنى يسأل متى يقوم يوم القيامة سؤال استبعاد واستهزاء قال ابن عباس أى يقول متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) أى فزع وتحير من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قرأ الجمهور برق بكسر الراء قال أبو عمرو بن العلاء والزجاج وغيرهما المعنى تحير فلم يطرف وقال الخليل والفراء برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المبهوت قد برق فهو برق وقرئ بفتح الراء أى لمع بصره من شدة شخوصه للموت قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقيل برق يبرق شق عينيه وفتحهما وقال أبو عبيدة فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى قال ابن عباس يعنى الموت (وخسف القمر) قرأ الجمهور بفتح الخاء والسين مبنيا للفاعل وقرئ بضم الخاء وكسر السين مبنيا للمفعول والمعنى ذهب ضوءه وأظلم ولا يعود كما يعود اذا خسف فى الدنيا يقال خسف اذا ذهب جميع ضوئه وكسف اذا ذهب بعض ضوئه (وجمع الشمس والقمر) أى ذهب ضوءهما جميعا ولم يقل جمعت لان التأنيث [illegible] قال أبو عبيدة هو لتغليب المذكر على المؤنث وقال الكسائى حمل على معنى جمع النيران وقال الزجاج والفراء ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما فى ذهاب نورهما وقيل جمع بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين قال عطاء يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر (يقول الانسان) جواب اذا (يومئذ) أى يوم إذ يقع البصر الخ (أين المفر) أى [illegible] الفرار [illegible] الانسان الكافر [illegible] المفر [illegible] قال الفراء يجوز أن يكون [illegible] قال الماوردى يحتمل وجهين أحدهما [illegible] الله سبحانه [illegible] ابن الموص [illegible] مصدرا كما تقدم وقرئ [illegible]

وخسف القمر أي ذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر قال مجاهد كورا وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وروى عن ابن مسعود أنه قرأ وجمع بين الشمس والقمر وقوله تعالى يقول الانسان يومئذ أين المفر أي اذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير أي ليس لكم مكان (١٢٢) تتنكرون فيه وكذا قال ههنا لا وزر أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال الى ربك يومئذ المستقر أي المرجع والمصير ثم قال تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها وآخرها صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وهكذا قال ههنا بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره اي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بل الانسان على نفسه بصيرة يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه وقال قتادة شاهد على نفسه وفي رواية قال اذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه وكان يقال ان في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره وقال مجاهد ولو ألقى معاذيره وجادل عنها فهو بصير عليها وقال قتادة ولو ألقى معاذيره لو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه وقال السدي ولو ألقى معاذيره حجته وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره يقول لو ألقى بهتانه وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العذار والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون وقال العوفي عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره هي الاعتذار ألم تسمع انه قال لا ينفع الظالمين معذرتهم وقال وألقوا الى الله يومئذ السلم وما كانوا ... وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان

وقال الكسائي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وقرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء على أن المراد به الانسان الجيد الفرار (كلا) للردع عن طلب الفرار أو لنفي ما قبلها أو بمعنى حقا (لا وزر) أي لا سلاح ولا جبل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله وقال ابن جبير لا محيص ولا منعة والوزر في اللغة ما يلجأ اليه الانسان من حصن أو جبل وغيرهما قال السدي كانوا اذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال فقال لهم الله لا وزر يعصمكم مني يومئذ قال ابن مسعود لا وزر لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وفي لفظ لا حرز وفي لفظ لا جبل ولا حصن وخبر لا محذوف أي لا وزر له (الى ربك يومئذ المستقر) أي اليه المرجع والمنتهى والمصير لا الى غيره وقيل اليه الحكم بين العباد لا الى غيره وقيل المستقر الاستقرار حيث يقره الله من جنة أو نار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر وقال قتادة بما عمل من طاعة الله وما أخر من طاعته فلم يعمل بها وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله وما خلف للورثة وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال الضحاك بما قدم من فرض وأخر من فرض قال القشيري هذا الانباء يكون يوم القيامة عند وزن الاعمال ويجوز أن يكون عند الموت قال القرطبي والاول أظهر قال ابن مسعود بما قدم من عمل وأخر من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر وعن ابن عباس نحوه وعنه قال بما قدم من معصية وأخر من طاعة فينبأ بذلك (بل الانسان على نفسه بصيرة) قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك وقيل المعنى أن جوارحه تشهد عليه بما عمل كما في قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فيكون المعنى بل جوارح الانسان عليه شاهدة قال أبو عبيدة والقتيبي ان هذه الهاء في البصيرة هي التي يسميها أهل الاعراب هاء المبالغة كما في قولهم علامة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشر والتاء على هذا للتأنيث وقال الحسن أي بصير بعيوب نفسه وقال ابن عباس شهد على نفسه وحده وعنه قال سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه (ولو ألقى معاذيره) أي ولو اعتذر وتجرد من ثيابه وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذير على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر قال الفراء أي وان اعتذر فعليه من يكذب عذره وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار أي وان

علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى كيفية تلقيه الوحى من الملك فانه كان يبادر الى اخذه و يسابق الملك فى قراءته فأمره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحى ان يستمع له وتكفل له ان يجمعه فى صدره وان ييسره لادائه على الوجه الذى القاه اليه وان يبينه له و يفسره و يوضحه فالحالة الاولى جمعه فى صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وايضاح معناه ولهذا قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به اى بالقرآن كما قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل (١٢٣) ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ثم قال تعالى ان علينا جمعه اى فى صدرك وقرآنه اى ان تقرأه فاذا قرأناه اى اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى فاتبع قرآنه اى فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ثم ان علينا بيانه اى بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما اردنا وشرعنا وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن ابى عوانة عن موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لى ابن عباس انا احرك شفتى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه وقال لى سعيد وانا احرك شفتى كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أى فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل قرأه كما قرأه وقد رواه البخارى ومسلم من غير وجه عن موسى بن ابى عائشة به ولفظ البخارى فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا يحيى بن عبد الملك ... موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يلقى منه شدة وكان اذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه يتلقى اوله ويحرك به شفتيه خشية ان ينسى اوله قبل ان يفرغ من آخره فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به وهكذا قال الشعبى والحسن البصرى وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد ان هذه نزلت فى ذلك وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان لا يفتر من القرآن مخافة ان ينساه فقال الله تعالى

الستور وأغلق الابواب يريد أن يخفى نفسه فنفسه شاهدة عليه وكذا قال الضحاك والسدى والستر بلغة اليمن يقال له معذار كذا قال المبرد والاول أولى وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وأبو العالية ومقاتل ومثله قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقول الشاعر

فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وقال النسفى والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر قال الشيخ وليس هذا البناء من ابنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جموع التكسير وهو الصحيح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أى لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحى لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك ومثل هذا قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه الآية (ان علينا جمعه) فى صدرك حتى لا يذهب عليك منه شئ (وقرآنه) أى اثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى قال الفراء القراءة والقرآن مصدران (فاذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وبناه (فاتبع قرآنه) أى فاستمع قراءته وكررها حتى يرسخ فى ذهنك وقال ابن عباس يقول اعمل به وقال قتادة فاتبع قرآنه أى شرائعه وأحكامه (ثم ان علينا بيانه) أى تفسير ما فيه من الحلال والحرام وبيان ما أشكل من معانيه قال الزجاج المعنى ان علينا أن ننزله عليك قرآنا عربيا فيه بيان للناس وقيل المعنى ان علينا أن نبينه بلسانك وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه يقول ان علينا أن نجمعه فى صدرك ثم نقرأه فاذا قرأناه يقول اذا أنزلناه عليك فاتبع قرآنه فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه ان نبينه بلسانك وفى لفظ علينا أن نقرأه فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل أطرق وفى لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعده

لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه أن نجمعه لك وقرآنه أن نقرئك فلا تنسى وقال ابن عباس وعطية العوفي ثم ان علينا بيانه تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة أى انما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحى الحق والقرآن العظيم انهم انما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة ثم قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة الى ربها ناظرة أى تراه عيانا كما رواه البخارى (١٢٤) رحمه الله تعالى فى صحيحه انكم سترون ربكم عيانا وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الاحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبى سعيد وأبى هريرة وهما فى الصحيحين ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك وفى الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا وفى الصحيحين عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى الله عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وفى افراد مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم وهى الزيادة ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفى افراد مسلم عن جابر فى حديثه ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك يعنى فى عرصات القيامة ففى هذه الاحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل فى العرصات وفى روضات الجنات وقال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وخدمه وان

الله (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) كلا للردع عن العجلة والترغيب فى الاناءة وقيل هى ردع لمن لا يؤمن بالقرآن وبكونه بينا من الكفار قال عطاء اى لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه قرأ أهل المدينة والكوفيون تحبون وتذرون بالفوقية فى الفعلين جميعا وقرأ الباقون بالتحتية فيهما وهما سبعيتان فعلى الاولى يكون الخطاب لهم تقريعا وتوبيخا والمعنى تحبون الدنيا وتختارونها وتتركون الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها وعلى الثانية يكون الكلام عائدا الى الانسان لانه بمعنى الناس قال ابن مسعود عجلت لهم الدنيا خيرها وشرها وغيبت الآخرة أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة غضة حسنة يقال شجر ناضر وروض ناضر أى حسن ناعم ونضارة العيش حسنه وبهجته قال الواحدى قال المفسرون مضيئة مسفرة مشرقة وقال ابن عباس ناعمة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل بيض يعلوها نور والاول أولى ووجوه مبتدأ وناضرة صفة لوجوه ويومئذ ظرف لناضرة وناظرة خبر مبتدا وسوغ الابتداء بالنكرة هنا العطف عليها او كون الموضع موضع تفصيل ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله ناضرة مسوغا للابتداء بها ولكن مقام التفصيل بمجرده مسوغ للابتداء بالنكرة (الى ربها ناظرة) أى تنظر اليه عيانا بلا حجاب هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد به ما تواترت به الاحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام وقال مجاهد ان النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب وروى نحوه عن عكرمة وقيل لا يصح هذا الا عن مجاهد وحده قال الازهرى وقول مجاهد خطأ لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين فاذا أرادوا الانتظار قالوا نظرته فاذا أرادوا نظر العين قالوا نظرت اليه واشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة جدا ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى وجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسيأتى بعضها قال ابن عباس فى الآية تنظر الى الخالق

افضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر فذكره قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله وكذلك رواه الثورى عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمرو لم يرفعه ولولا خشية الاطالة لاوردنا الاحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ولكن ذكرنا ذلك مفرقا فى مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام ومن تأول ذلك بأن المراد بالى (١٢٥) مفرد الآلاء وهى النعم كما قال الثورى عن منصور عن مجاهد الى ربها ناظرة قال تنتظر الثواب من ربها رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب اليه وأين هو من قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رحمه الله تعالى ما حجب الفجار الا وقد علم ان الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهى قوله تعالى الى ربها ناظرة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسمعيل البخارى حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن وجوه يومئذ ناضرة قال حسنة الى ربها ناظرة قال تنظر الى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر الى الخالق وقوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة قال قتادة كالحة وقال السدى تغير ألوانها وقال ابن زيد باسرة أى عابسة تظن أى تستيقن أن يفعل بها فاقرة قال مجاهد داهية وقال قتادة شر وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار وهذا المقام كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وكقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية الى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية فى أشباه ذلك من الآيات والسياقات (كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من

قال تنظر الى وجه ربها وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآية ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة أخرجه ابن مردويه وعن أبى هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة نحوه وقد أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر والدارقطنى والحاكم وابن مردويه والبيهقى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأخرجه أحمد فى المسند من حديثه بلفظ وان أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين وأخرج النسائى والدارقطنى وصححه وأبو نعيم عن أبى هريرة قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا قال هل ترون الشمس فى يوم لا غيم فيه وترون القمر فى ليلة لا غيم فيها قلنا نعم قال فانكم سترون ربكم عز وجل حتى ان أحدكم ليحاضر ربه محاضرة فيقول عبدى هل تعرف ذنب كذا وكذا فيقول ألم تغفر لى فيقول بمغفرتى صرت الى هذا وقد تظافرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة ولاعتراضات المبتدعة من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها أجوبة معروفة فى كتب الكلام من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مستفاضة فى كتب أهل الحق وليس هذا موضع ذكرها وقد قدمنا ان أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها وهى تأتى فى مصنف مستقل ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشىء يتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله وقد أطال الحافظ الواحد المتكلم محمد بن أبى بكر القيم الجوزى رحمه الله تعالى فى اثبات رؤيته تعالى يوم القيامة فى حادى الارواح الى بلاد الافراح ومن حبب المصرى ادلة للرؤية فيما يتبرع به وكتابى المسماة بالبغية فى مسئلة الرؤية جمع فيها جميع ما استدل به المانعون

منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الاهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى كلا اذا بلغت التراقي ان جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا وان جعلناها بمعنى حقا فظاهر أي حقا اذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه (١٢٦) منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين وهكذا قال ههنا كلا اذا بلغت التراقي وتذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم وقيل من راق قال عكرمة عن ابن عباس أي من راق يرقي وكذا قال أبو قلابة وقيل من راق أي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا روح ابن المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس وقيل من راق قال قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فعلى هذا يكون من كلام الملائكة وبهذا الاسناد عن ابن عباس في قوله والتفت الساق بالساق قال التفت عليه الدنيا والآخرة وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحمه الله وقال عكرمة والتفت الساق بالساق الامر العظيم بالامر العظيم وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن البصري في قوله تعالى والتفت الساق بالساق هما ساقاك اذا التفتا وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليها جوالا وكذا قال السدي عن أبي مالك وفي رواية عن الحسن هو لفهما في الكفن وقال الضحاك والتفت الساق بالساق اجتمع عليه أمران الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى الى ربك يومئذ المساق أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع الى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدي الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد في حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى وهو القاهر

والمثبتون من الادلة العقلية والنقلية (ووجوه يومئذ باسرة) أى كالحة عابسة كئيبة قال في الصحاح بسر الرجل وجهه بسورا أي كلح قال السدي باسرة أي متغيرة وقيل مصفرة والمراد بالوجوه هنا وجوه الكفار (تظن) أي توقن (أن يفعل بها فاقرة) الفاقرة الداهية العظيمة يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره قال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن زيد دخول النار وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى والاول أولى وأصل الفاقرة الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى تخلص الى العظم كذا قال الاصمعي ومن هذا قولهم قد عمل به الفاقرة (كلا) ردع وزجر أي بعيد أن يؤمن الكافر يوم القيامة ثم استأنف فقال (اذا بلغت) النفس أو الروح اي نفس المحتضر مؤمنا كان أو كافرا وانما أضمرت وان لم يجر لها ذكر لان السياق يدل عليها (التراقي) جمع ترقوة وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت ومثله قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقيل معنى كلا حقا أي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقي والمقصود تذكيرهم بشدة الحال عند نزول الموت قال دريد بن الصمة

ورب كريهة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وقيل) هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت (من راق) اى قال من حضر صاحبها من يرقيه ويشتفي برقيته قال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وبه قال أبو قلابة ومنه قول الشاعر

هل للفتى من بنات الموت من واق * أم هل له من حمام الموت من راق

وقال أبو الجوزاء هو من رقي يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وقيل انه يقول ذلك ملك الموت وذلك ان نفس الكافر تكره الملائكة قربها وقال ابن عباس في قوله وقيل من راق قال تنزع نفسه حتى اذا كانت في تراقيه قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب وهذا الاستفهام يجوز أن يكون على بابه وان يكون استبعادا وانكارا وراق اسم فاعل اما من رقى يرقى بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وفي الحديث وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهي من اسمائها واما من رقي يرقى بالكسر

ق

فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين وقوله جل وعلا فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى هذا اخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أي جذلان أشرا بطرا كسلانا لا همة له ولا عمل كما قال الله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين وقال تعالى انه كان في أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور أي يرجع بلى (١٢٧) ان ربه كان به بصيرا وقال الضحاك عن ابن عباس ثم ذهب الى أهله يتمطى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وكقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وكقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه وكقوله جل جلاله اعملوا ما شئتم الى غير ذلك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن اسرائيل عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي جهل ثم نزل به القرآن وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس أولى لك فأولى قال قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزله الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام ابن خالد حدثنا شعيب بن اسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا واني لأعز من مشى بين جبليها وقوله تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى والظاهر أن الآية تعم الحالين أي

في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود يقال رقي بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي (وظن) أي أيقن الذي بلغت روحه التراقي وسمي اليقين ظنا لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها ولا ينقطع رجاؤه منها (أنه) أي ما نزل به (الفراق) من الدنيا ومن الاهل والمال والولد (والتفت الساق بالساق) أي التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به وقال جمهور المفسرين المعنى تتابعت عليه الشدائد وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقيل ماتت رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه وقد كان جوالا عليهما وقال الضحاك اجتمع عليه أمران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وبه قال ابن زيد والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد الكبار والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق وقيل الساق الاول تعذيب روحه عند خروج نفسه والساق الآخر شدة البعث وما بعده وقال ابن عباس التفت عليه الدنيا والآخرة وعنه قال يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فيلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رأيته اذا أشرف على الموت يضرب احدى رجليه على الاخرى قال النحاس القول الاول أحسنها (الى ربك يومئذ المساق) أي الى خالقك يوم القيامة المرجع والمآب جميع العباد الى الله يساقون اليه وقيل التنوين عوض عن جمل أربع أي يوم اذ بلغت الروح التراقي الخ (فلا صدق ولا صلى) أي لم يصدق الانسان المذكور في أول هذه السورة بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه أي الصلاة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع قال قتادة فلا صدق بالكتاب ولا صلى لله وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه وقيل صدق من التصدق أي فلا صدق بشئ يدخره عند الله تعالى قاله القرطبي قال الكسائي لا بمعنى لم وكذا قال الاخفش والعرب تقول لا ذهب أي لم يذهب وهذا مستفيض في كلام العرب ومنه

ان تغفر اللهم فاغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما

ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين ان المراد منه خصوص التكذيب فقال (ولكن كذب وتولى) أي كذب بالرسول وبما جاء به وتولى عن الطاعة والايمان ولم يستدرك على نفي الصلاة لانه لا يصدق

ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور الى الله في الدار الآخرة والمقصود هنا اثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الاصلاب في الارحام ثم كان علقة فخلق فسوى أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الاعضاء ذكرا أو أنثى باذن الله وتقديره ولهذا قال تعالى فجعل منه الزوجين (١٢٨) الذكر والانثى ثم قال تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للاعادة اما بطريق الاولى بالنسبة الى البداءة واما مساوية على القولين في قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه والاول اشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فاذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن ابي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرد به ابو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال ابو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني اسمعيل بن امية سمعت اعرابيا يقول سمعت اباهريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله ورواه احمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن ابي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن اسمعيل بن امية قال قلت له من [illegible] قال رجل [illegible]

الابصورة واحدة فلم يحتج للاستدراك عليه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر ويختال في مشيه افتخارا بذلك وقيل هو مأخوذ من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي مطاه وقيل أصله يتمطط وهو التمدد والتثاقل أي يتثاقل ويتكاسل عن الداعي الى الحق قال الامام هذا ذكر لما يتعلق بدنياه بعد ذكر ما يتعلق بدينه وثم للاستبعاد لان من صدر عنه مثل ذلك ينبغي ان يخاف من حلول غضب الله به فمشى خائفا منه متطامنا لا فرحا متبخترا ذكره الشهاب (أولى لك) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه واللام مزيدة والمعنى وليك ما تكرهه (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه ودلت الثانية على الدعاء عليه بان يكون أقرب اليه من غيره هذا ما سلكه الجلال المحلي في تقرير هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جدا (ثم أولى لك فأولى) الاولى تأكيد للاولى والثانية تأكيد للثانية وقيل أي وليك الويل وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم وهذا تهديد شديد ووعيد بعد وعيد والتكرير للتأكيد أي يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة قال الواحدي قال المفسرون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل فقال أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأي شيء تهددني لا تستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بي شيأ واني لاعز أهل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقيل معناه الويل لك وعلى هذا القول قيل هو من المقلوب كأنه قيل أويل لك ثم أخر الحرف المعتل قيل ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار وقيل المعنى ان الذم لك أولى لك من تركه وقيل المعنى أنت أولى وأحق وأجدر بهذا العذاب قاله محيي السنة وقال الاصمعي أولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك قال المبرد كأنه يقول قد وليت الهلاك وقد دانيته وأصله من الولي وهو القرب قال ثعلب لم يقل أحد في أولى أحسن وأصح مما قاله الاصمعي وعن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله أولى لك فأولى أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل من قبل نفسه أم أمره الله به قال بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله أخرجه النسائي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم (أيحسب الانسان أن يترك سدى) اي مهملا لا يؤمر

لا

حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك وبلى ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك فبلى آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الانسان وهي مكية)

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل (١٢٩) السجدة وهل أتى على الانسان وقال عبد الله ابن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل اسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج نفس صاحبكم أو قال أخيكم الشوق الى الجنة مرسل غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيأ يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم بين ذلك فقال جل جلاله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج أي اخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض وقال ابن عباس في قوله تعالى من نطفة أمشاج يعني ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور الى طور وحال الى حال ولون الى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الامشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة وقوله تعالى نبتليه أي نختبره كقوله جل جلاله ليبلوكم أيكم أحسن عملا فجعلناه سميعا بصيرا أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا انا هديناه السبيل أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكقوله جل وعلا وهديناه النجدين أي بيناله طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى انا هديناه السبيل يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح

ولا ينهى ولا يحاسب ولا يعاقب ولا يكلف في الدنيا ولا يبعث ولا يجازى وقال السدي معناه المهمل ومنه ابل سدى أي ترعى بلا راع وقيل المعنى أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبدا لا يبعث وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة (ألم يك نطفة من مني يمنى) مستأنفة أي ألم يك ذلك الانسان قطرة من مني تراق وتصب في الرحم وسمي المني منيا لاراقته والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا قطر قرأ الجمهور ألم يك بالتحتية على ارجاع الضمير الى الانسان وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات اليه توبيخا له وقرأ الجمهور تمنى أيضا بالفوقية على ان الضمير للنطفة وقرئ بالتحتية على ان الضمير للمني وروبت هذه القراءة عن أبي عمرو واختاره أبو حاتم وفائدته بعد قوله من مني الاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة (ثم كان علقة) أي كان بعد النطفة دما أحمر شديد الحمرة (فخلق) أي فقدر الله منها الانسان بأن جعلها مضغة مخلقة (فسوى) أي فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا (فجعل منه) أي حصل من الانسان وقيل من المني (الزوجين) أي الصنفين من نوع الانسان قال الكرخي أي لا بخصوص الفردين والا فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى وبالعكس ثم بين ذلك فقال (الذكر والانثى) أي الرجل والمرأة يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر أخرى (أليس ذلك) الفعال الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه (بقادر على أن يحيي الموتى) أي يعيد الاجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا فان الاعادة أهون من الابتداء وأيسر مؤنة منه قرأ الجمهور بقادر وقرأ زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا وقرأ الجمهور أيضا يحيي بنصبه بأن وقرئ بسكونها تخفيفا أو على اجراء الوصل مجرى الوقف كما مر في مواضع عن صالح أبي الخليل قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم وبلى أخرجه عبد بن حميد وابن الانباري وعن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحانك ربي وبلى أخرجه ابن مردويه وعن أبي امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند قراءته لهذه الآية بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه ابن النجار في تاريخه وعن أبي هريرة قال قال رسول

المشهور الأول وقوله تعالى اما شاكرا واما كفورا منصوب على الحال من الهاء في قوله انا هديناه السبيل تقديره فهو في ذلك اما شقي واما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة أعاذك الله من امارة السفهاء قال وما امارة السفهاء قال أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي (١٣٠) فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به يا كعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها ورواه عن غياث بن وهب عن عبد الله بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله فطرت الله التي فطر الناس عليها من رواية جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاما شاكرا واما كفورا وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله ابن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من خارج يخرج الا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع الى بيته وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع الى بيته (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) يخبر تعالى بما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والاغلال والسعير وهو اللهب والحريق يشد بها أرجلهم كما قال تعالى اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون لما ذكر ما أعده

الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وفي اسناده رجل مجهول وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأت لا أقسم بيوم القيامة فبلغت أليس ذلك بقادر الى آخر فقل بلى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه قال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره ذكره الخطيب قال الحصاوي قوله اماما كان أو غيره يقتضي ان هذه الكلمة وهي بلى لا تبطل الصلاة وهو كذلك لانها ذكر وتقديس وتنزيه لله تعالى

*(سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر وهي احدى وثلاثون آية)

قال الجمهور هي مدنية وقال مقاتل والكلبي هي مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال المحلي مكية او مدنية ولم يجزم بشئ قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل فيها مكي من قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن الى آخر السورة وما قبله مدني وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا آية وهي فاصبر لحكم ربك الى كفورا وأخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالالوان والصور والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به اني كائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال من قال لا اله الا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة ونزلت هذه السورة الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدليه في حفرته بيده وأخرج أحمد

لهؤلاء الاشقياء من السعير قال بعده ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف الى ذلك من اللذاذة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا أي هذا الذي مزج لهؤلاء الابرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب (١٣١) حكى هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير وقوله تعالى يفجرونها تفجيرا أي يتصرفون فيها حيث شاؤا وأين شاؤا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الانباع كما قال تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقال وفجرنا خلالهما نهرا وقال مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقتادة وقال الثوري يصرفونها حيث شاؤا وقوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر قال الامام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه رواه البخاري من حديث مالك ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس الا من رحم الله قال ابن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله شره ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض [illegible] وقال ابن جرير [illegible] ومنه قول الاعشى [illegible] فبانت وقد أثارت في الفؤاد [illegible] صدعا على نأيها مستطيرا يعني ممتدا فاشيا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدا الى الله عز وجل لدلالة السياق عليه والاظهر ان الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى وآتى المال على حبه وكقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى البيهقي من طريق الاعمش عن نافع قال مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعني

أحمد في الزهد عن محمد بن مطرف قال حدثني الثقة ان رجلا اسود كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسبيح والتهليل فقال له عمر بن الخطاب أكثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مه يا عمر وأنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حين من الدهر حتى اذا أتى على ذكر الجنة زفر الاسود زفرة خرجت نفسه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات شوقا الى الجنة وأخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مرفوعا مرسلا وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهم عن أبي ذر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حتى ختمها ثم قال اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) حكى الواحدي عن المفسرين وأهل المعاني ان هل هنا بمعنى قد وليس باستفهام لان الاستفهام محال على الله تعالى وقد قال بهذا سيبويه والكسائي والفراء وأبو عبيدة قال الفراء هل يكون جحدا ويكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل أعطيتك تقرره بانك أعطيته والجحد ان تقول هل يقدر أحد على مثل هذا وقيل هي وان كانت بمعنى قد ففيها معنى الاستفهام والاصل أهل أتى فالمعنى أقد أتى والاستفهام للتقرير والتقريب وبه قال مكي وهو تقرير لمن انكر البعث ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه قال السمين جعلها للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب أن يكون لان الاستفهام لا يرد من الله الا على هذا النحو وما أشبهه انتهى والاول أنسب (على الانسان) المراد بالانسان هنا آدم قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وغيرهم وقال ابن عباس كل انسان (حين من الدهر) أي طائفة محدودة من زمان الممتد الغير المحدود فانه عند الجمهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين قيل أربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف [illegible] طين أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة [illegible] مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل [illegible]

امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت صفية الى السائل فقالت والله ان عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفي الصحيح أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا اما المسكين (١٣٢) واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما واما الاسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك الاسير من أهل القبلة وقال ابن عباس كان أسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر ان يكرموا الاسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء في غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى ان جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال انما نطعمكم لوجه الله أي رجاء ثواب الله ورضاه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا ان تشكرونا عند الناس قال مجاهد وسعيد بن جبير اما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا أي انما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا باللطف في اليوم العبوس القمطرير قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وقال عكرمة وغيره عنه في قوله يوما عبوسا قمطريرا قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد عبوسا العابس الشفتين قمطريرا قال تقبض الوجه بالبسور وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد

(لم يكن شيأ مذكورا) في محل نصب على الحال من الانسان أو في محل رفع صفة لحين قال الفراء وقطرب وثعلب المعنى انه كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر في السماء ولا في الارض ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما المراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا وقال يحيى بن سلام لم يكن شيأ مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيأ مذكورا وقيل ليس المراد بالذكر هنا الاخبار فان اخبار الرب عن الكائنات قديم بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال القشيري ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله سبحانه قال الفراء كان شيأ ولم يكن مذكورا فجعل النفي متوجها الى القيد وقيل المعنى قد مضت ازمنة وما كان آدم شيأ ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير تقديره هل أتى حين من الدهر على الانسان لم يكن شيأ مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) فان المراد بالانسان هنا بنو آدم قال القرطبي من غير خلاف والنطفة الماء الذي يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة وجمعها نطف أي خلقناه من مادة هي شيء يسير جدا من الرجل والمرأة والنطفة ماء الرجل والمرأة وأيضا الماء الصافي قل أو كثر ولا فعل للنطفة أي لا يستعمل لها فعل من لفظها (أمشاج) صفة لنطفة وهي جمع مشج بفتحتين أو مشج كعدل واعدال أو مشيج كشريف وأشراف وهي الاخلاط ووقع الجمع صفة لمفرد لانه في معنى الجمع أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف بالجمع والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذا فهو ممشوج أي خلط هذا بهذا فهو مخلوط قال المبرد مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الفراء أمشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال مشج هذا اذا خلط وقيل الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة قال القرطبي وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة وذلك لان ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة حتى لو زنت المرأة مرأة واجتمع الماآن في رحم احدهما خلق الولد

يقال هو يوم قطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الايام وأطولها فى البلاء والشدة ومنه قول بعضهم بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا * عليكم اذا ما كان يوم قماطر قال الله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وهذا من باب التجانس البليغ فوقاهم الله شر ذلك اليوم أى آمنهم مما خافوا منه ولقاهم نضرة أى فى وجوههم وسرورا أى فى قلوبهم قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك ان القلب اذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك

(١٣٣)

فى حديثه الطويل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق أسارير وجهه الحديث وقوله تعالى وجزاهم بما صبروا أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام ابن سليمان الدارانى قال قرئ على أبى سليمان الدارانى سورة هل أتى على الانسان فلما بلغ القارئ الى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ثم أنشد يقول

كم قتيل لشهوة وأسير
أف من مشتهى خلاف الجميل
شهوات الانسان تورثه الذل
وتلقيه فى البلاء الطويل

(متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى متكئين فيها على الارائك وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الصافات وذكر الخلاف فى الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن فى الجلوس وان الارائك هى السرر تحت الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا أى ليس

الولد بلاء عظيم وقد وقع ذلك فى عصر السلطان غياث الدين فلم يدر السلطان فجمع الاطباء والعلماء فلم يدركوا شيأ من شأنه فأرسل الاستفتاء الى علماء ظفر اباد فقال محمد بن الحاج انه خلق من ماء امرأتين فتفحص السلطان فظهر أنه كذلك وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر قال ابن السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من أنواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقيل الامشاج لفظ مفرد كبرمة أعشار ويؤيده وقوعه نعتا للنطفة قال ابن مسعود أمشاجها عروقها وعن ابن عباس قال ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان وعنه قال نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وعنه قال الامشاج الذى يخرج على اثر البول كقطع الاوتار ومنه يكون الولد وجملة (نبتليه) فى محل نصب على الحال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه حين تأهله ويجوز أن يكون حالا من الانسان والمعنى نبتليه بالخير والشر والتكاليف قال الفراء معناه والله أعلم (فجعلناه سميعا بصيرا) نبتليه وهى مقدمة معناها التأخير لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وعلى هذا هذه حال مقدرة وقيل مقارنة وقال الكرخى لا حاجة الى دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه وقيل معنى الابتلاء نقله من حال الى حال على طريقة الاستعارة والاول أولى والمراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وخصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها قال الخطيب أى جعلناه عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه وقدم السمع لانه أنفع فى المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية وقيل المراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر فى هذا الامر أى علم والاول أولى ثم ذكر سبحانه انه أعطاه ما يصح معه الابتلاء فقال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) أى بيناه وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بأدلة السمع والعقل كما فى قوله وهديناه النجدين قال مجاهد أى بينا السبيل الى الشقاوة والى السعادة وقال الضحاك والسدى وأبو صالح السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله وانتصاب شاكرا وكفورا على الحال من مفعول هديناه أى مكناه من سلوك الطريق فى حالتيه جميعا وقيل على الحال من السبيل على المجاز

عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي لا يبغون عنها حولا ودانية عليهم ظلالها أي قريبة إليهم أغصانها وذللت قطوفها تذليلا أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى وجنى الجنتين دان وقال جل وعلا قطوفها دانية قال مجاهد وذللت قطوفها تذليلا إن قام ارتفعت معه وإن قعد تذللت حتى ينالها وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى تذليلا وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك وأصول شجرها (١٣٤) من ذهب وفضة وأفنانها من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه وقوله جلت عظمته ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم وهذه قوارير قوارير من فضة فالأول منصوب بخبر كان أي كانت قوارير والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا قوارير من فضة قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا قال ابن المبارك عن إسمعيل عن رجل عن ابن عباس ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى قدروها تقديرا أي على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقتادة وابن أبزى وعبد الله بن عبيد بن عمير والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة وقال العوفي عن ابن عباس قدروها تقديرا قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري وقوله تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا أي ويسقون يعني الأبرار أيضا في هذه الأكواب كأسا أي خمرا كان مزاجها زنجبيلا فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو

عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا وحكى مكي عن الكوفيين أن قوله إما هي إن الشرطية زيدت بعدها ما أي بيناه الطريق إن شكر وإن كفر واختاره هذا الفراء ولا يجيزه البصريون لأن إن الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل ولا يصح هنا إضمار الفعل لأنه كان يلزم رفع شاكرا وكفورا ويمكن أن نضمر فعل ينصب شاكرا وكفورا وتقديره إن خلقناه شاكرا فشكور وإن خلقناه كافرا فكفور وهذا على قراءة الجمهور إما بكسر الهمزة وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها وعلى الفتح هي إما العاطفة في لغة بعض العرب أو هي التفصيلية وجوابها مقدرة وقيل انتصب شاكرا أو كفورا بإضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا أو كان كفورا ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه عن الإنسان بخلاف الشكر قال كفورا بصيغة المبالغة كذا في النهر أو هو مراعاة لرؤس الآي ثم بين سبحانه ما أعد للكافرين فقال (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) قرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا بالتنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير ألف والباقون وقفوا بالألف ووجه من قرأ بالتنوين في سلاسل مع كونه صيغة منتهى الجموع أنه قصد بذلك التناسب لأن ما قبله وهو إما شاكرا وإما كفورا وما بعده وهو أغلالا وسعيرا منون أو على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف كما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين عن بعض العرب قال الأخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لأن الأصل في الأسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها قال الفراء هو على لغة من يجر الأسماء كلها إلا قولهم هو أظرف منك فإنهم لا يجرونه وقيل إن التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فإنها فيها بالألف وقيل إن هذا التنوين بدل من حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والسلاسل قد تقدم تفسيرها والخلاف فيها هل هي القيود أو ما يجعل في الأعناق كما في قول الشاعر ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل * والسلاسل جمع سلسلة أي يشدون ويسحبون بها في النار والأغلال جمع غل تغل به الأيدي إلى الأعناق وقد تقدم تفسير السعير وهي نار مهيجة يعذبون بها ولما أوجز في جزاء الكافرين ذكر ما أعده للشاكرين وأطنب تأكيدا للترغيب فقال (إن الأبرار يشربون من كأس) الأبرار أهل الطاعة والإخلاص

حار ليعتدل الامر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة واما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد وقد تقدم قوله جل وعلا عينا يشرب بها عباد الله وقال ههنا عينا فيها تسمى سلسبيلا أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها وقال قتادة عينا فيها تسمى سلسبيلا عين سلسلة مستنفذ ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم انما سميت بذلك لسلاستها فى الحلق واختار هو انها تعم ذلك كله وهو كما قال وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٣٥) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة مخلدون أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الاقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لان الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير وقوله تعالى اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا أى اذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن وقال قتادة عن أبى أيوب عن [illegible] ما من أهل الجنة من أحد الا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا واذا رأيت ثم رأيت [illegible] أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها وسعتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أدنى أهل الجنة [illegible] دخولا اليها ان له مثل الدنيا وعشر أمثالها وقد [illegible] الحديث [illegible] [illegible] [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه [illegible] هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون فى الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى [illegible] [illegible] [illegible] حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبة بن [illegible] عن [illegible] عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والالوان

والاخلاص والصدق جمع بر أو بار قال فى الصحاح جمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبره أى يطيعه وقال الحسن البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وقيل هم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المحقرات فظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة وقيل سماهم الابرار لانهم بروا الآباء والابناء والكاس فى اللغة هو الاناء الذى فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا بل هو اناء ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة بل يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصينى وغير ذلك وقد كانت كاسات العرب من أجناس مختلفة وقد يطلق الكأس على نفس الخمر كما فى قول الشاعر

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(كان مزاجها كافورا) أى ما يخالطها وتمزج به يقال مزجه يمزجه مزجا أى خلطه يخلطه خلطا ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الاخلاط والكافور قيل هو اسم عين فى الجنة يقال لها الكافور أى تمزج خمر الجنة بماء هذه العين وقال قتادة ومجاهد تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور فى ريحها لا فى طعمها وقيل انما أراد الكافور فى بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب كما فى قوله حتى اذا جعله نارا أى كنار وقال ابن كيسان طيبه المسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وانما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب والجملة فى محل جر صفة لكاس وقيل ان كان هنا زائدة أى من كاس مزاجها كافور وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف وال[illegible] وهذا من التعاقب بين الحرفين وقوله (عينا) بدل من كافورا لان ماءها فى بياض الكافور [illegible] [illegible] [illegible] محل من كاس على حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل [illegible] [illegible] على انها مفعول يشربون أى عينا من كاس وقيل هى منصوبة على الاختصاص قاله الاخفش وقيل باضمار فعل يفسره ما بعده أى يشربون عينا [illegible] [illegible] [illegible] والاول أولى (يشرب بها عباد الله) أى أولياؤه أو المؤمنون والجملة صفة لعينا وقيل الباء فى بها زائدة ويؤيده قراءة ابن أبى عبلة يشربها وقيل بمعنى من قاله [illegible] وقيل [illegible] يشرب معنى يلتذ وقيل هى متعلقة بيشرب والضمير يعود على [illegible] [illegible] [illegible]

والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به أني لكائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله و بحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله الا أن يتغمده الله برحمته ونزلت هذه السورة هل أتى (١٣٦) على الانسان حين من الدهر الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمرو لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده وقوله جل جلاله عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس وحلوا أساور من فضة وهذه صفة الابرار واما المقربون فكما قال تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده وسقاهم ربهم شرابا طهورا أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الاخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال اذا انتهى أهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من احداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء . كائنا وكان سعيكم مشكورا أي يقال لهم ذلك تكريما لهم واحسانا اليهم كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وكقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى وكان سعيكم مشكورا اي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم

حالية أي ممزوجة بها وقال الفراء يشرب بها و يشرب بها سواء في المعنى وكأن يشرب بها يروى بها و ينتفع (يفجرونها تفجيرا) أي يجرونها الى حيث يريدون و ينتفعون بها كما يشاؤن و يتبعهم ماؤها الى كل مكان يريدون وصوله اليه فهم يشقونها شقا كما يشق النهر و يفجر الى هنا وهنا قال مجاهد يقودونها حيث شاؤا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم أي فهي سهلة لا تمتنع عليهم والجملة صفة أخرى لعينا وجملة (يوفون بالنذر) مستأنفة مسوقة لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر وكذا ما عطف عليها ومعنى النذر في اللغة الايجاب والمعنى يوفون بما أوجبه الله عليهم من الطاعات قال قتادة ومجاهد يوفون بطاعة الله من الصلاة والحج ونحوهما وفيه مبالغة في وصفهم بالتوفيق على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجب الله عليه أوفى وقال عكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله سبحانه والنذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه فالمعنى يوفون بما أوجبوه على أنفسهم قال الفراء في الكلام اضمار أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وقال الكلبي يوفون بالنذر أي يتمون العهود لقوله تعالى وأوفوا بعهد الله وقوله أوفوا بالعقود أمروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على أنفسهم باعتقادهم الايمان والاولى حمل النذر هنا على ما أوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) المراد يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره غاية الانتشار يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر وهو أبلغ من طار قال الفراء المستطير المستطيل قال قتادة استطار شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض قال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه وفي الآية اشارة لحسن عقيدتهم واجتنابهم المعاصي (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أي يطعمون هؤلاء الثلاثة الاصناف الطعام مع حبه لديهم وقلته عندهم قال مجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له فقوله على حبه في محل نصب على الحال أي كائنين على حبه ومثله قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الاطعام لرغبتهم في الخير قال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وقيل الضمير يرجع الى الله أي يطعمون اطعام

واذاشئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدلهم عذابا أليما) يقول تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا فاصبر لحكم ربك أى كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ولا تطع منهم آثما أو كفورا أى لا تطع الكافرين والمنافقين ان أرادوا صدك عما أنزل اليك بل بلغ ما أنزل اليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس فالآثم هو الفاجر فى أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (١٣٧) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا أى أول النهار وآخره ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وكقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم فى حب الدنيا والاقبال عليها والانصباب اليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا أى واذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا أى واذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وكقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما

ذلك على الله بعزيز ثم قال تعالى ان هذه تذكرة يعنى هذه السورة تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا أى طريقا ومسلكا أى من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية ثم قال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله أى لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ولا يدخل فى الايمان ولا يجر لنفسه نفعا الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما أى عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى ان الله كان عليما حكيما ثم قال يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما أى يهدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له آخر تفسير سورة الانسان ولله الحمد والمنة

كائنا على حب الله ويؤيده هذا قوله الآتى انما نطعمكم لوجه الله والاول أمدح لان فيه الايثار على النفس والطعام محبوب للفقراء والاغنياء والمسكين ذو المسكنة وهو الفقير أو من هو أفقر من الفقير والمراد باليتيم يتامى المسلمين والاسير الذى يؤسر فيحبس قال قتادة ومجاهد الاسير المحبوس وقال عكرمة الاسير العبد وقال أبو حمزة الثمالى الاسير المرأة قال سعيد بن جبير نسخ هذا الاطعام آية الصدقات وآية السيف فى حق الاسير الكافر وقال غيره بل هى محكمة واطعام المسكين واليتيم على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى أن يتخير فيه الامام قال ابن عباس أسيرا هو المشرك وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لا أب له وأسيرا قال المملوك والمسجون أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن مردويه وقيل عامة فى كل من أطعم هؤلاء لله وآثر على نفسه وجملة (انما نطعمكم لوجه الله) فى محل نصب على الحال بتقدير القول أى يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال أو قائلين انما نطعمكم يعنى انهم لا يتوقعون المكافاة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك وهذا الوصف من باب التكميل فقد وصفهم أولا بالجود والبذل وكمله بان ذلك عن اخلاص لا رياء فيه قال الواحدى قال المفسرون لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم وعلم من ثنائه انهم فعلوا ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم المجازاة على هذا الاطعام ولا نريد منكم الشكر لنا بل هو خالص لوجه الله وهذه الجملة مقررة لما قبلها لان من أطعم لوجه الله لا يريد المكافاة ولا يطلب الشكر له ممن أطعمه (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوسا انه يوم تعبس وتكلح فيه الوجوه من هوله وشدته فالمعنى انه ذو عبوس قال الفراء وأبو عبيدة والمبرد يوم قمطرير وقماطر اذا كان صعبا شديدا قال الاخفش القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء قال الكسائى اقمطر اليوم وازمهر اذا كان شديدا صعبا وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات المتغير فى ذلك اليوم بما يراه من الشدائد قال أبو عبيدة يقال قمطرير أى منقبض ما بين العينين والحاجبين قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا

(تفسير سورة والمرسلات وهى مكية) قال البخارى ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الاعمش حدثنى ابراهيم عن الاسود عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات فانه ليتلوها وانى لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وأخرجه مسلم أيضا من طريق الاعمش وقال الامام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس (١٣٨) عن أمه انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالمرسلات عرفا وفى رواية مالك عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بنى أذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى المغرب أخرجاه فى الصحيحين من طريق مالك به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أونذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا زكريا بن سهل المروزى ثنا على بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة والمرسلات عرفا قال الملائكة وروى عن مسروق وأبى الضحى ومجاهد فى احدى الروايات والسدى والربيع ابن أنس مثل ذلك وروى عن أبى صالح انه قال هى الرسل وفى رواية عنه انها الملائكة وهكذا قال أبو صالح فى العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات انها الملائكة وقال الثورى عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح وكذا قال فى العاصفات عصفا والناشرات نشرا انها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح فى رواية عنه وتوقف ابن جرير فى والمرسلات عرفا هل هى الملائكة اذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هى الرياح اذا هبت شيأ فشيأ وقطع بان العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه وممن قال ذلك فى العاصفات عصفا أيضا على ابن أبى طالب والسدى وتوقف فى الناشرات نشرا هل هى الملائكة أو الريح كما تقدم وعن أبى صالح ان الناشرات نشرا هى المطر

رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها ماسبقها من القطر وجعل الميم مزيدة وقال ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عبوسا قمطريرا قال يقبض ما بين الابصار وقال ابن عباس القمطرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه واطعامهم لوجهه والفاء سببية (ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل العبوس فى الكفار نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب بدل الخوف قال الضحاك النضرة البياض والنقاء فى وجوههم وقال سعيد بن جبير الحسن والبهاء وقيل النضرة أثر النعمة وعن ابن عباس قال نضرة فى وجوههم وسرورا فى صدورهم (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم على التكاليف وقيل على الفقر وقيل على الجوع وقيل على الصوم والاولى حمل الآية على الصبر على كل شىء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه (جنة وحريرا) أى أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير وهو لباس أهل الجنة عوضا عن تركه فى الدنيا امتثالا لما ورد فى الشرع من تحريمه والمراد بالجنة هنا بستان المأكولات لا ما يقابل النار وهى دار الكرامة حتى يقال أى حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه فى جملة ما أعد فيها للمؤمنين وظاهر هذه الآيات العموم فى كل من خاف من يوم القيامة وأطعم لوجه الله وخاف من عذابه والسبب وان كان خاصا كما تقدم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل سبب النزول تحت عمومها دخولا أوليا وقوله (متكئين فيها على الارائك) منصوب على الحال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها صبر والان الصبر انما كان فى الدنيا قال الفراء وان شئت جعلت متكئين تابعا كأنه قال وجزاهم جنة متكئين فيها وقال الاخفش يجوز أن يكون منصوبا على المدح والضمير فى فيها يعود الى الجنة وجوز أبو البقاء والزمخشرى أن يكون متكئين صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هى له وقد منعه مكى لما ذكر من عدم بروز الضمير ولا يجوز كونه حالا من فاعل صبر والان الصبر كان فى الدنيا واتكاؤهم انما هو فى الآخرة والارائك جمع أريكة وهى السرر فى الحجال وهى بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقد تقدم تفسيرها فى سورة الكهف (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) الجملة فى محل نصب على الحال من مفعول جزاهم

والاظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهكذا العاصفات هي الرياح يقال عصفت الرياح اذا هبت بتصويت وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل وقوله تعالى فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا يعني الملائكة قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانها تنزل بامر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل والهدى والغي والحلال والحرام وتلقي الى الرسل وحيا فيه اعذار الى الخلق وانذار لهم (١٣٩) عقاب الله ان خالفوا أمره وقوله تعالى

انما توعدون لواقع هذا هو المقسم عليه بهذه الاقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الاجساد وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ان هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة ثم قال تعالى فاذا النجوم طمست أي ذهب ضوءها كقوله تعالى واذا النجوم انكدرت وكقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت واذا السماء فرجت أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها واذا الجبال نسفت أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الآية وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وقوله تعالى واذا الرسل أقتت قال العوفي عن ابن عباس جمعت وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقال مجاهد أقتت أجلت وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم أقتت أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ثم قال تعالى لأي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وهو يوم الفصل كما قال تعالى ليوم الفصل ثم قال تعالى معظما لشأنه وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد تقدم في الحديث ان ويل واد في جهنم ولا يصح (ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم

جزاهم فتكون من الحال المترادفة أو من الضمير في متكئين فتكون من الحال المتداخلة أو صفة أخرى لجنة قال ابن مسعود الزمهرير هو البرد الشديد والمعنى انهم لا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير ومنه قول الاعشى

منعمة طفلة كالمها * لم تر شمسا ولا زمهريرا

وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر قاله النسفي وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وأنشد لشاعرهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر أي ما طلع القمر وقد تقدم تفسير هذا في سورة مريم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الصيف ونفسا في الشتاء فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون في الصيف من الحر من سمومها (ودانية عليهم ظلالها) قرأ الجمهور دانية بالنصب عطفا على محل لا يرون أو على متكئين أو صفة لمحذوف أي وجنة دانية كأنه قال وجزاهم جنة دانية وقال الزجاج هو صفة لجنة المتقدم ذكرها وقال الفراء منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى ان ظلال الاشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان كان لا شمس هنالك قال مقاتل يعني شجرها قريب منهم وقرأ ابن مسعود ودانيا عليهم قال البراء بن عازب دانية قريبة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على دانية كأنه قال ومذللة ويجوز أن تكون الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم ويجوز أن تكون مستأنفة والقطوف الثمار جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمعنى انها سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيرا كثيرا بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع والمتكئ ولا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قال النحاس المذلل القريب التناول ومنه قولهم حائط ذليل أي قصير قال ابن قتيبة ذللت أدنيت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصير السمك وقيل ذللت أي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا عن البراء ابن عازب قال ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى أي حال شاؤا وفي لفظ قال ذللت فيتناولون منها كيف شاؤا أخرجه [illegible]

فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى ألم نهلك الاولين يعنى من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤهم به ثم نتبعهم الآخرين أى ممن أشبههم ولهذا قال تعالى كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قاله ابن جرير ثم قال تعالى ممتنا على خلقه ومحتجا على الاعادة بالبداءة ألم نخلقكم من ماء مهين أى ضعيف حقير بالنسبة الى قدرة البارى عزوجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر ابن جحاش ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من (١٤٠) مثل هذه فجعلناه فى قرار مكين يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء وقوله تعالى الى قدر معلوم يعنى الى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شئ وقال الشعبى بطنها لامواتكم وظهرها لاحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة وجعلنا فيها رواسى شامخات يعنى الجبال رسى بها الارض لئلا تميد وتضطرب وأسقيناكم ماء فراتا أى عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الارض ويل يومئذ للمكذبين أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار انهم يقال لهم يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب يعنى لهب النار اذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته ان له ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب أى ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقيهم حر اللهب وقوله تعالى انها ترمى بشرر كالقصر أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر كأنه جمالة صفر أى كالابل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره

ومسكنهم وصف شرابهم بقوله (ويطاف عليهم) وقال هنا يطاف وفيما بعد يطوف لان المقصود فى الاول ما يطاف به لا الطائفون بقرينة قوله (بآنية من فضة وأكواب) والمقصود فى الثانى الطائفون فذكر فى كل منهما ما يناسبه كما أشار اليه فى التقرير والمعنى يدور عليهم الخدم اذا أرادوا الشراب بآنية الفضة والآنية جمع اناء والاصل أأنية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفا وجوبا وهذا نظير كساء وأكسية وغطاء وأغطية ونظيره فى الصحيح اللام حمار وأحمرة قاله السمين وهو وعاء الماء والاكواب جمع كوب وهو الكوز العظيم والابريق الذى لا أذن له ولا عروة وهو من عطف الخاص على العام ولم تنف الآية آنية الذهب بل نبه سبحانه بذكر أحدهما على الآخر كقوله تقيكم الحر والمعنى قد يسقون فى أوانى الفضة وقد يسقون فى أوانى الذهب وقد مضى تفسيره فى سورة الزخرف (كانت قواريرا) تكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين وكذا كان مزاجها كافورا (قوارير من فضة) أى فى وصف القوارير فى الصفاء وفى بياض الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج ولونها لون الفضة قال ابن عباس آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير وعنه قال ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة الا الاسماء اذ الذى فى الجنة أشرف وأعلى قرأ نافع والكسائى وأبو بكر قواريرا بالتنوين فيهما مع الوصل وبالوقف عليهما بالالف وقد تقدم وجه هذه القراءة فى تفسير قوله سلاسلا من هذه السورة وبينا هنالك وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالالف ووجه هذه القراءة ظاهر لانهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع وقرأ هشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالالف وقرأ ابن كثير بتنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف دون الثانى وقرأ أبو عمرو وحفص وابن ذكوان بعدم التنوين فيهما والوقف على الاول بالالف دون الثانى وبسط السمين فى ذكر هذه الوجوه الخمسة فى القراءة والجملة فى محل جر صفة لاكواب وقوارير جمع قارورة وهى ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج قال أبو البقاء وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الاول رأس آية لشدة اتصال الصفة بالموصوف قال الواحدى قال المفسرون جعل الله قوارير أهل الجنة من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء

القوارير

ابن جرير وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير جمالة صفر يعني حبال السفن وعنه أعني ابن عباس جمالة صفر قطع النحاس وقال البخاري ثنا عمرو بن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما ترمي بشرر كالقصر قال كنا نعمد الى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كأنه جمالة صفر حبال السفن يجمع حتى تكون كأوساط الرجال ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى هذا يوم لا ينطقون أي لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا (١٤١) فهم لا ينطقون وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحالة تارة ليدل على شدة الاهوال والزلازل يومئذ ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين يعني انه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقوله تعالى فان كان لكم كيد فكيدون تهديد شديد ووعيد أكيد أي ان قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فانكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقد قال تعالى ولا تضرونه شيأ وفي الحديث يا عبادي انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني وقد قال ابن أبي حاتم ثنا علي بن المنذر الطريقي الاودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان بن أبي المخارق عن أبي عبد الله الجدلي قال أتيت بيت المقدس فاذا عبادة ابن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين بصعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ انه تخرج عنق من النار فتنطلق حتى اذا كانت بين ظهراني الناس نادت أيها الناس اني بعثت الى ثلاثة انا أعرف بهم من الاب بولده ومن الاخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا يخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله الها آخر وكل جبار عنيد وكل شيطان مريد فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب

القوارير قال الزجاج القوارير التي في الدنيا من الرمل فأعلم الله فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجها ما في داخلها قال ابن عباس لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة في صفاء القوارير وعنه قال ليس في الجنة شيء الا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه الا القوارير من فضة وجملة (قدروها تقديرا) صفة لقوارير قرأ الجمهور قدروها بفتح القاف على البناء للفاعل أي قدرها السقاة من الخدم الذين يطوفون عليهم على قدر ما يحتاج اليه الشاربون من أهل الجنة من دون زيادة ولا نقصان وذلك ألذ الشراب لكونه على مقدار الحاجة لا يفضل عنه ولا يعجز قال مجاهد وغيره أتوا بها على قدر ريهم أي شهوتهم بغير زيادة ولا نقصان اذ لا عطش في الجنة قال الكلبي وذلك ألذ وأشهى وقيل قدرها الملائكة وقيل قدرها أهل الجنة الشاربون على مقدار شهوتهم وحاجتهم فجاءت كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص وقرئ قُدروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول أي جعلت لهم على قدر ارادتهم قال أبو علي الفارسي هو من باب القلب قال لان حقيقة المعنى أن يقال قدرت عليهم لا قدروها لانه في معنى قدروا عليها وقال أبو حاتم التقدير قدرت الاواني على قدر ريهم ففعول ما لم يسم محذوف قال أبو حيان والاقرب في تخريج هذه الآية الشاذة أن يقال قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف فصار قدروها وقال المهدوي هذه القراءة يرجع معناها الى القراءة الاولى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر وقال ابن عباس قدرت للكف وقال أيضا أتوا بها على قدر الفم لا يفضلون شيأ ولا يشتهون بعدها شيأ وعنه قال قدرتها السقاة (ويسقون) أي يسقيهم من أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أي في الجنة أو الاكواب (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قد تقدم ان الكأس هو الاناء الذي فيه الخمر واذا كان خاليا عن الخمر فلا يقال له كأس والمعنى ان أهل الجنة يسقون في الجنة كأسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته وقال مجاهد وقتادة الزنجبيل اسم للعين التي يشرب بها المقربون وقال مقاتل هو زنجبيل لا يشبه زنجبيل الدنيا أي يلذع الحلق فتصعب اساغته قلت وكذلك سائر ما في الجنان من الاشجار والثمار والقصور والنساء الحور والمأكولات والمشروبات والملبوسات لا يشبه

بأربعين سنة (ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) يقول تعالى مخبرا عن عباده المتقين الذين عبدوه باداء الواجبات وترك المحرمات انهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الاسود المنتن وقوله وفواكه مما يشتهون أى ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا (١٤٢) وجدوا كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أى يقال لهم ذلك على سبيل الاحسان اليهم ثم قال تعالى مخبرا خبرا مستأنفا انا كذلك نجزى المحسنين أى هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى كلوا وتمتعوا قليلا أى مدة قليلة قريبة قصيرة انكم مجرمون أى ثم تساقون الى نار جهنم التى تقدم ذكرها ويل يومئذ للمكذبين كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون أى اذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار ان يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون أى اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به كقوله تعالى فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن اسمعيل بن أمية سمعت رجلا اعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه اذا قرأ والمرسلات عرفا فقرأ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وبما أنزل وقد تقدم هذا الحديث فى سورة القيامة آخر تفسير والمرسلات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة النبا وهى مكية) (بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) يقول

ما فى الدنيا الا فى مجرد الاسم لكن الله سبحانه يرغب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسن شئ وألذه وأطيبه مما يعرفونه فى الدنيا لاجل أن يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (عينا فيها تسمى سلسبيلا) انتصاب عينا على انها بدل من كأس ويجوز أن تكون منصوبة بفعل مقدر أى يسقون عينا ويجوز أن تكون منصوبة بنزع الخافض أى ومن عين والسلسبيل الشراب اللذيذ مأخوذ من السلاسة تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسبيل أى طيب لذيذ قال الزمخشرى وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل فى اللغة اسم لماء فى غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ فى حلوقهم ومنه قول حسان بن ثابت

يسقون من ورد البريص عليهم * كأسا يصفق بالرحيق السلسل

وقال ابن الاعرابى لم أسمع السلسبيل الا فى القرآن وقال مكى هو اسم عجمى نكرة فلذلك صرف ووزنه مثل دردبيس وقيل فعفليل لان الفاء مكررة وقيل سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا والاول أولى وقال الخازن معنى تسمى توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم انتهى قال مقاتل بن حيان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان قال البغوى وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع قال مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة ولما فرغ سبحانه من وصف شرابهم ووصف آنيتهم وصف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال (ويطوف عليهم) بالشراب (ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة أى غلمان هم فى سن هو دون البلوغ قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان وأرى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من أولاد الكفار ويكونون خدما لاهل الجنة كما كانوا فى الدنيا سبيا وخدما وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأنيسا لسرورهم وفى الخازن فى سورة الواقعة والصحيح الذى لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى قلت الله أعلم بهم ولا أقول فيهم بشئ عطما وتخمينا اذ لم يرد نص صريح صحيح فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط (مخلدون)

تعالى منكرا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة انكارا لوقوعها عم يتساءلون عن النبإ العظيم أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن والاظهر الاول لقوله الذي هم فيه مختلفون يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكري القيامة كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره (١٤٣) فقال ألم نجعل الارض مهادا أي ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة والجبال أوتادا أي جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها ثم قال تعالى وخلقناكم أزواجا يعني ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أي قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان وجعلنا الليل لباسا أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال والليل اذا يغشاها وقال الشاعر

فلما لبسن الليل أو حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا أي سكنا وقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا أي جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لاهل الارض كلهم وقوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال العوفي عن ابن عباس المعصرات الريح وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأنزلنا من المعصرات قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن انها الرياح ومعنى هذا القول انها تستدر

أي باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون وقيل المعنى لا يموتون وقيل التخليد التحلية أي محلون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أي اذا نظرت اليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم لؤلؤا مفرقا قال عطاء يريد في بياض اللون وحسنه واللؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما قال أهل المعاني انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة ولو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم وقيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين فانه شبههن باللؤلؤ المكنون لانهن لا يمتهن بالخدمة عن أبي عمرو قال ان أدنى اهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وتلا اذا رأيتهم حسبتهم الخ أخرجه ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد والبيهقي في البعث (واذا رأيت ثم) أي واذا رميت ببصرك هناك يعني في الجنة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يدخل الجنة وثم ظرف مكان مختص بالبعد والعامل فيها رأيت قال الفراء في الكلام ما مضمرة أي واذا رأيت ما ثم كقوله لقد تقطع بينكم أي ما بينكم قال الزجاج معترضا على الفراء انه لا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رأيت ببصرك ثم ويعني بثم الجنة وقيل ان رأيت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه أن بصرك أينما وقع في الجنة (رأيت نعيما) لا يوصف والنعيم سائر ما يتنعم به (وملكا كبيرا) لا يقادر قدره قال السدي الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وكذا قال مقاتل والكلبي وقيل واسع لا غاية له وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه كل يوم (عاليهم ثياب سندس) قرأ نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء وهي سبعية على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر أو على ان عاليهم مبتدأ وثياب مرتفع بالفاعلية وان لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الاخفش وقرأ الباقون بفتح الياء على انه ظرف [illegible] وقرأ الباقون بفتح الياء [illegible] على الظرفية كأنه قيل فوقهم ثياب [illegible] القراءات على ما بمعنى فوقهم وكذا قال ابن عطية قال أبو حيان عال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونه ظرفا الى أن يكون منقولا من كلام العرب وقد تقدمه الى هذا الزجاج وقال هذا مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفا

المطر من السحاب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من المعصرات أى من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثورى واختاره ابن جرير وقال الفراء هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال امرأة معصر اذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعنى السموات وهذا قول غريب والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله أى من بينه وقوله جل وعلا ماء ثجاجا قال مجاهد (١٤٤) وقتادة والربيع بن أنس ثجاجا منصبا وقال الثورى متتابعا وقال ابن زيد كثيرا وقال ابن جرير ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج وانما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الحج العج والثج يعنى صب دماء البدن هكذا قال قلت وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنعت لك الكرسف يعنى أن تحتشى بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك انما أثج ثجا وهذا فيه دلالة على استعمال الثج فى الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا أى لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك حبا يدخر للاناسى والانعام ونباتا أى خضرا يؤكل رطبا وجنات أى بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وان كان ذلك فى بقعة واحدة من الارض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة انه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين الا الله عز وجل كما قال تعالى وما نؤخره الا لأجل معدود يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا قال مجاهد زمرا زمرا قال ابن جرير

يجز اسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين أحدهما الهاء والميم فى قوله يطوف عليهم أى على الابرار ولدان عاليا الابرار ثياب سندس أى يطوف عليهم فى هذه الحال والثانى أن يكون حالا من الولدان أى اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فى حال علو الثياب أبدانهم قلت قد وردت ألفاظ من صيغ أسماء الفاعلين ظروفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها فكذلك هذا فلا وجه للانكار وقال أبو على الفارسى العامل فى الحال اما لقاهم نضرة واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز أن يكون ظرفا وقرئ عليهم وهى قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة واختار أبو عبيد الاولى لقراءة ابن مسعود عاليتهم وقرأ الجمهور ثياب سندس بالاضافة على معنى من وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة بفكها ورفع سندس و (خضر واستبرق) على ان السندس نعت للثياب لان السندس نوع منها وعلى ان خضر نعت لسندس لانه يكون أخضر وغير أخضر وعلى ان استبرق معطوف على سندس اى وثياب استبرق والجمهور من القراء اختلفوا فى خضر واستبرق مع اتفاقهم على جر سندس باضافة ثياب اليه فقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن بجر خضر نعتا للسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب أى عليهم ثياب سندس وعليهم استبرق وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نعتا للسندس واختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد لان الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهى مرفوعة والاستبرق من جنس السندس وقرأ نافع وحفص برفع خضر واستبرق لان خضرا نعت للثياب واستبرق عطف على الثياب وقرأ الاعمش وحمزة والكسائى بجر خضر واستبرق على ان خضرا نعت للسندس واستبرق معطوف على سندس واستشكل على هذه القراءة وكذا على قراءة جر الاول ورفع الثانى بوقوع خضر الذى هو جمع نعتا للسندس الذى هو مفرد والجواب ان السندس اسم جنس واحده سندسة ووصف اسم الجنس بالجمع شائع فصيح على حد وينشئ السحاب الثقال وقرؤا كلهم بصرف استبرق الا ابن محيصن فانه قرأ بعدم صرفه قال لانه أعجمى ولا وجه لهذا لانه نكرة الا أن يقول انه علم لهذا الجنس من الثياب والسندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم تفسيرهما فى سورة الكهف (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ماض لفظا مستقبل معنى وأبرزه بالماضى لتحققه ذكر سبحانه هنا انهم يحلون بأساور الفضة وفى سورة الفاطر يحلون

يعني تأتي كل امة مع رسولها كقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم وقال البخاري يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا اربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفتحت السماء فكانت أبوابا اى طرقا ومسالك لنزول الملائكة وسيرت الجبال فكانت سرابا كقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ههنا فكانت سرابا أي يخيل الى الناظر أنها شئ وليست بشئ وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا أي مرصدة معدة للطاغين وهم المردة العصاة المخالفون للرسل مآبا أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا يعني انه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر وقوله تعالى لابثين فيها احقابا أي ماكثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك وعن عبد الله بن عمرو الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواهما ابن أبي حاتم وقال بشير بن كعب ذكر لي ان الحقب الواحد ثلثمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن علي بن أبي

يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولا تعارض بين هذه الآيات لامكان الجمع بان تجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ لتجتمع لهم محاسن الجنة أو بان المراد لهم يلبسون سوارات الذهب تارة وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة وانه يلبس كل أحد منه ما تميل اليه نفسه من ذلك وحلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان وأسورة الذهب للنسوان وقيل هذا بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هذا نوع آخر من الشراب الذي يمن الله عليهم به يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقياه الى الله ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين قال الفراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفا بالنجاسة أي لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل وقيل لا يستحيل بولا وطهور صيغة مبالغة في الطهارة والنظافة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلتين قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد قال أبو قلابة وابراهيم النخعي يؤتون بالطعام فاذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك ثم يقال لهم بعد دخولهم في الجنة ومشاهدتهم نعيمها (ان هذا) الذي ذكر من أنواع النعم (كان) في علم الله (لكم جزاء) باعمالكم أي ثوابا لها أعده لكم الى هذا الوقت (وكان سعيكم مشكورا) أي كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أي فرقناه في الانزال ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين قيل المعنى نزلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدعيه المشركون والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرح صدره وان الذي أنزل عليه وحي ليس بكهانة ولا سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار انه كهانة أو سحر (فاصبر لحكم ربك) أي لقضائه ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك الى أجل اقتضته حكمته قيل هذا منسوخ بآية السيف (ولا تطع منهم

بكر والاسعدى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى لابثين فيها أحقابا قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان أبو مسلم بن العلاء قال سألت سليمان التيمى هل يخرج من النار أحد فقال حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصرى مشهور وقال السدى لابثين فيها احقابا سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال خالد بن معدان هذه الآية وقوله تعالى الا ما شاء ربك فى أهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى لابثين فيها احقابا متعلقا بقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح انها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى لابثين فيها أحقابا قال أما الاحقاب فليس لها عدة الا الخلود فى النار ولكن ذكروا ان الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى لابثين فيها احقابا وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده لا يعلم عدة هذه الاحقاب الا الله وذكر لنا ان الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا أى لا يجدون فى جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى الا حميما وغساقا قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس فاما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره وحموه والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم

آثما أو كفورا) أى لا تطع كل واحد من مرتكب لاثم وغال فى كفر فنهاه الله سبحانه عن ذلك قال الزجاج ان الالف هنا آكد من الواو وحدها لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص لانك أمرته ان لا يطيع الاثنين فاذا قال منهم آثما أو كفورا دل ذلك على ان كل واحد منهما أهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن أو ابن سيرين فقد قلت انهما أهل ان يتبعا وكل واحد منهما أهل ان يتبع وقال الفراء او هنا بمنزلة لا كأنه قال ولا كفورا وقيل المراد بقوله آثما عتبة بن ربيعة وبقوله أو كفورا الوليد بن المغيرة لانهما قالا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى دم على ذكره فى جميع الاوقات وقيل المعنى صل لربك أول النهار وآخره فأول النهار صلاة الصبح وآخره صلاة العصر قال البيضاوى دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما وفى الشهاب تناول الاصيل للعصر ظاهر وأما تناوله للظهر فباعتبار آخره اذ الزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (ومن الليل فاسجد له) أى صل المغرب والعشاء وقيل المراد الصلاة فى بعضه من غير تعيين ومن للتبعيض على كل تقدير والفاء دالة على معنى الشرطية والتقدير مهما يكن من شئ فصل من الليل وهو يفيد أيضا تأكيد الاعتناء التام (وسبحه ليلا طويلا) أى نزهه عما لا يليق به فيكون المراد الذكر بالتسبيح سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها وقيل المراد التطوع فى الليل قال ابن زيد وغيره ان هذه الآية منسوخة بالصلوات الخمس وقيل الامر للندب وقيل هو مخصوص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيه دليل على عدم ما قاله بعض أهل علم المعانى والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول أبى تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

ويمكن ان يفرق بين ما أنشدوه وبين الآية الكريمة بان التكرار فى البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الآية فانه لا تكرار فيها ذكره السمين (ان هؤلاء) يعنى كفار مكة ومن هو موافق لهم (يحبون) الدار (العاجلة) وهى دار الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أى يتركون ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وامامهم يوما شديدا عسيرا وهو يوم القيامة وسمى ثقيلا لما فيه من الشدائد والاهوال ووصفه بالثقل على

المجاز

ودموعهم وبحروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه وقد قدمنا الكلام على الغساق فى سورة ص بما اغنى عن اعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه قال ابن جرير وقيل المراد بقوله لا يذوقون فيها بردا يعنى النوم كما قال الكندى

بردت مراشفها على فصدنى * عنها وعن قبلاتها البرد

يعنى بالبرد النعاس والنوم هكذا ذكره ولم يعزه الى أحد وقد رواه ابن أبى حاتم من طريق السدى عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا وحكاه البغوى عن أبى عبيدة والكسائى أيضا وقوله تعالى جزاء وفاقا أى هذا الذى صاروا اليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التى كانوا يعملونها فى الدنيا قاله مجاهد وقتادة وغير واحد ثم قال تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا أى لم يكونوا يعتقدون ان ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون وكذبوا بآياتنا كذابا أى وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله كذابا أى تكذيبا وهو مصدر من غير الفعل قالوا وقد سمع اعرابى يستفتى الفراء على المروة الحلق أحب اليك أو القصار وأنشد بعضهم

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى
وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى وكل شئ أحصيناه كتابا أى وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا أى يقال لاهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم الا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج قال قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال فهم فى مزيد من العذاب ابدا وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصورى حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمى عن أشد آية فى كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فقال هلك القوم بمعاصيهم لله عز وجل جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية (ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب اترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا) يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى ان للمتقين مفازا قال ابن عباس والضحاك

المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعانى ومعنى كونهم يذرونه وراءهم انهم لا يستعدون له ولا يعبؤن به فهم كمن ينبذ الشئ وراء ظهره تهاونا به واستخفافا بشأنه وان كانوا فى الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم (نحن خلقناهم) أى ابتدأنا خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الى ان كمل خلقهم ولم يكن لغيرنا فى ذلك عمل ولا سعى لا اشتراكا ولا استقلالا (وشددنا أسرهم) الاسر شدة الخلق يقال شد الله أسر فلان اى قوى خلقه قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم شددنا خلقهم قال الحسن شددنا أوصالهم بعضا الى بعض بالعروق والعصب قال أبو عبيدة يقال فرس شديد الاسر أى الخلق وقال ابن زيد الاسر القوة واشتقاقه من الاسار وهو القد الذى تشد به الاقتاب قال ابن عباس أسرهم خلقهم وقال أبو هريرة هى المفاصل وقيل المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت فى القبر والاسر بالضم احتباس البول كالحصر فى الغائط (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى لو شئنا لاهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم وقيل المعنى مسخناهم الى أسمج صورة وأقبح خلقة (ان هذه تذكرة) يعنى ان هذه السورة تذكير وموعظة للخلق لان فى تصفحها تنبيهات للغافلين وفى تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى اليه سمعه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى طريقا يتوصل به اليه وذلك بالايمان والطاعة والمراد الى ثوابه أو الى جنته لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئة العبد (وما تشاؤن) ان تتخذوا الى الله سبيلا وفيه التفات عن الغيبة فى خلقناهم الى الخطاب وقرئ بالياء التحتية لمناسبة قوله خلقناهم وقوله (الا ان يشاء الله) منصوب على الظرفية وأصله الا وقت مشيئة الله فالامر اليه سبحانه ليس اليكم والخير والشر بيده لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع فمشيئة العبد مجردة لا تأتى بخير ولا تدفع شرا وان كان يثاب على المشيئة الصالحة ويؤجر على قصد الخير كما فى حديث انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال الزجاج أى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله والآية حجة على المعتزلة والقدرية (ان الله كان عليما) أى بليغ العلم بما يكون من الاحوال (حكيما) بليغ الحكمة فى أمره ونهيه مصيبا فى جميع الاقوال والاحوال (يدخل من يشاء فى رحمته) أى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله أو يدخل فى جنته من يشاء من

منتزها وقال مجاهد وقتادة فازوا فنجوا من النار والاظهر ههنا قول ابن عباس لانه قال بعده حدائق وأعنابا والحدائق البساتين من النخيل وغيرها وكواعب اترابا أى وحورا كواعب قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كواعب أى نواهد يعنون ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن ابكار عرب أتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة قال ابن ابى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثنى أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن بقم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم الدمشقى عن أبى امامة انه سمعه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه قال ان قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وان السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم حتى انها لتمطرهم الكواعب الاتراب وقوله تعالى وكأسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة متتابعة وقال عكرمة صافية وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد دهاقا الملء المترعة وقال مجاهد وسعيد بن جبير هى المتتابعة وقوله تعالى لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا كقوله لا لغو فيها ولا تأثيم أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا اثم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص وقوله جزاء من ربك عطاء حسابا أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه واحسانه ورحمته عطاء حسابا أى كافيا وافيا ساملا كثيرا تقول العرب أعطانى فأحسبنى أى كفانى ومنه حسبى الله أى الله كافى (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) يخبر تعالى عن عظمته وجلاله انه رب السموات والارض وما فيهما وما بينهما وانه الرحمن الذى شملت رحمته كل شئ وقوله تعالى لايملكون منه خطابا أى لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته الا باذنه كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكقوله تعالى يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا ما هو على أقوال أحدها رواه العوفى عن ابن عباس انهم ارواح بنى آدم الثانى هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة هذا

عباده لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة قال عطاء من صدقت نيته أدخله الله تعالى جنته (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) انتصاب الظالمين بفعل مقدر يدل عليه ما قبله أى يعذب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين أى المشركين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر والاختيار النصب وان جاز الرفع وبالنصب قرأ الجمهور وقرأ أبان بن عثمان بالرفع على الابتداء ووجهه انه لم يكن بعده فعل يقع عليه

(سورة المرسلات هى خمسون آية وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر)

قال قتادة الا آية منها وهى قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانها مدنية وروى هذا عن ابن عباس أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غار بمنى اذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فانه ليتلوها وانى لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وأخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بنى لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها فى المغرب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) قال جمهور المفسرين هى الرياح روى عن ابن مسعود قال انها الريح وقيل هى الملائكة وبه قال مقاتل وأبو صالح والكلبى وقال أبو هريرة هى الملائكة أرسلت بالعرف وعن ابن مسعود مثله وقيل هم الانبياء فعلى الاول أقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمر بها كما فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح وقوله ويرسل الرياح وغير ذلك وعلى الثانى أقسم سبحانه بالملائكة المرسلة لوحيه وأمره ونهيه وعلى الثالث أقسم برسله المرسلة الى عباده لتبليغ شرائعه وقيل المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نقمة ونعمة وانتصاب عرفا اما على انه مفعول لاجله أى المرسلات لاجل العرف وهو ضد النكر أو على انه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب سار الناس الى فلان عرفا واحدا اذا توجهوا اليه وهم على فلان كعرف الضبع اذا تألبوا عليه أو على انه

مما كان ابن عباس يكتمه الثالث انهم خلق من خلق الله على صور بنى آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والاعمش الرابع هو جبريل قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال مقاتل بن حيان الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز وجل وصاحب الوحى الخامس انه القرآن قاله ابن زيد كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الآية والسادس انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات قال على بن أبى طلحة

عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وقال ابن جرير حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا رواد بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجىء يوم القيامة صفا وحده وهذا قول غريب جدا وقد قال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله ابن عوس المصرى حدثنا وهب الله ابن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الاوزاعى حدثنى عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت وهذا حديث غريب جدا وفى رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الاقوال كلها والاشبه عندى والله أعلم انهم بنو آدم وقوله تعالى الا من أذن له الرحمن كقوله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه وكما ثبت فى الصحيح ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وقوله تعالى وقال صوابا أى حقا ومن الحق لا اله الا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة وقوله تعالى ذلك اليوم الحق أى الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا أى مرجعا وطريقا يهتدى اليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت آت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أى يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وكقوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا أى يود

مصدر كأنه قال والمرسلات أرسالا أى متتابعة أو على انه منصوب بنزع الخافض أى والمرسلات بالعرف قرأ الجمهور عرفا بسكون الراء وقرأ عيسى بن عمر بضمها (فالعاصفات عصفا) وهى الرياح الشديدة الهبوب قال القرطبى بغير اختلاف يقال عصف بالشىء اذا أباده وأهلكه وناقة عصوف أى تعصف براكبها فتمضى كأنها ريح فى السرعة ويقال عصفت الحرب بالقوم اذا ذهبت بهم وقيل هى الملائكة الموكلون بالريح يعصفون بها وقيل يعصفون بروح الكافر وقيل هى الآيات المهلكة كالزلازل ونحوها وقال ابن مسعود هى الريح وعن على قال هى الرياح وبه قال ابن عباس (والناشرات نشرا) يعنى الرياح تأتى بالمطر وهى تنشر السحاب نشرا قال ابن مسعود هى الريح أو الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها أو ينشرون أجنحتهم فى الجو عند النزول بالوحى أو هى الامطار لانها تنشر النبات وقال الضحاك يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بنى آدم وقال الربيع انه البعث للقيامة بنشر الارواح وجاء بالواو هنا لانه استئناف قسم آخر (فالفارقات فرقا) يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال مجاهد هى الريح تفرق بين السحاب فتبدده وروى عنه انها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل وقيل هى الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه وبه قال الحسن قال ابن عباس هى الملائكة فرقت بين الحق والباطل (فالملقيات ذكرا) هى الملائكة قال القرطبى باجماع أى تلقى الوحى الى الانبياء وقيل هو جبريل وسمى باسم الجمع تعظيما له وقيل هى الرسل يلقون الى أممهم ما أنزل الله اليهم قاله قطرب قال ابن عباس فالملقيات ذكرا قال بالتنزيل قرأ الجمهور ملقيات بسكون اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهى ايصال الكلام الى المخاطب أقسم سبحانه بصفات خمسة موصوفها محذوف فجعلها بعضهم الرياح فى الكل وبعضهم جعلها الملائكة فى الكل وبعضهم غاير فجعلها تارة الرياح وتارة الملائكة وجعل الجلال المحلى الصفات الثلاث الاول لموصوف واحد وهو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة ولم يسلك هذه الطريق غيره من المفسرين وعبارة النهر ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف فى تلك الموصوفات والذى يظهر أن المقسم به شيآن ولذلك

الكافر يومئذ انه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر الى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة وقيل انما ود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى انه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي كنت حيوانا فأرجع الى التراب وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما آخر تفسير سورة النبأ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة النازعات وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي والنازعات غرقا الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تؤخذ روحه بعسر فيغرق في نزعها ومنهم من تؤخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله والناشطات نشطا قاله ابن عباس وعن ابن عباس والنازعات هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد والنازعات غرقا الموت وقال الحسن وقتادة والنازعات غرقا والناشطات نشطا هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والناشطات هي القسي في القتال والصحيح الاول وعليه الاكثرون وأما قوله تعالى والسابحات سبحا فقال ابن مسعود هي الملائكة المص.ومة وروي عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك وعن مجاهد والسابحات سبحا الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح هي السفن وقوله تعالى فالسابقات سبقا روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة قال الحسن سبقت الى الايمان والتصديق به وعن مجاهد الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء هي الخيل في سبيل الله وقوله تعالى فالمدبرات أمرا قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي هي

جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير وأما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد واذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولا بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء والقسم الثاني فيه ترق الى أشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون قوله فالفارقات فالملقيات من صفاتهم والقاؤهم للذكر وهو ما أنزل الله تعالى صحيح اسناده اليهم وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الاوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين والراجح ان الاوصاف الثلاثة الاول للرياح والرابع والخامس للملائكة وهو الذي اختاره الزجاج والقاضي وغيرهما (عذرا أو نذرا) انتصابهما على البدل من ذكرا أو على المفعولية والعامل فيهما المصدر المنون كما في قوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما أو على المفعول لاجله أي للاعذار والانذار أو على الحال بالتأويل المعروف أي معذرين أو منذرين قرأ الجمهور باسكان الذال فيهما وقرئ بضمهما وبسكونها في عذرا وضمها في نذرا وقرأ الجمهور عذرا أو نذرا على العطف بأو وقرئ بالواو والمعنى ان الملائكة تلقي الوحي اعذارا من الله الى خلقه وانذارا من عذابه كذا قال الفراء وقيل عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين قال أبو علي الفارسي يجوز أن يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء أي يلقون الذكر في حال العذر والانذار قال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير وقيل الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف والاول أظهر ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (انما توعدون لواقع) أي ان الذي توعدونه من مجيء الساعة والبعث كائن لا محالة وما اسم الموصول والقاعدة انها اذا كانت كذلك ترسم مفصولة من ان ورسمت هنا موصولة بها اتباعا لرسم المصحف الامام ثم بين سبحانه متى يقع ذلك فقال (فاذا النجوم طمست) أي محي نورها وذهب ضوءها يقال طمس الشيء اذا درس وذهب أثره (واذا السماء فرجت) أي فتحت وشقت ومثله قوله وفتحت السماء فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها بسرعة يقال نسفت الشيء وأنسفته اذا أخذته بسرعة وقال الكلبي سويت بالارض والعرب تقول أنسفت الناقة الكلأ اذا رعته وقيل جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ومنه قوله وبست الجبال بسا والاول أولى قال المبرد نسفت قلعت من مواضعها (واذا الرسل أقتت) الهمزة بدل من الواو

الملائكة زاد الحسن تدبر الامر من السماء الى الارض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شئ من ذلك الا انه حكى فى المدبرات أمرا انها الملائكة ولا أثبت ولا نفى وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قال ابن عباس هما النفختان الاولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد وعن مجاهد أما الاولى وهى قوله جل وعلا يوم ترجف الراجفة فكقوله جلت عظمته يوم ترجف الارض والجبال والثانية وهى الرادفة فهى كقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع (١٥١) حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتى كلها عليك قال اذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبى حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة أبصارها خاشعة أى أبصار أصحابها وانما أضيف اليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الاهوال وقوله تعالى يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا أئذا كنا عظاما نخرة وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم اذا بلى ودخلت الريح فيه قالوا تلك اذا كرة خاسرة وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار وما أكثر أسماءها هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة وأما قولهم تلك اذا كرة خاسرة فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أى فانما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون

المضمومة وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة يجوز ابدالها بالهمزة وقد قرئ بالواو والوقت الاجل الذى يكون عنده الشئ المؤخر اليه والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كما فى قوله سبحانه يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا فى الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لها فى انزال العذاب بمن كذبها والاول أولى قال أبو على الفارسى أى جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل أقتت ارسلت لاوقات معلومة على ما علم الله به (لأى يوم أجلت) هذا الاستفهام للتعظيم والتعجيب أى لأى يوم عظيم تعجب العباد منه لشدته ومزيد أهواله ضرب لهم الاجل لجمعهم والجملة مقول قول مقدر هو جواب لاذا أو فى محل نصب على الحال من الضمير فى أقتت قال الزجاج المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم ثم بين هذا اليوم فقال (ليوم الفصل) قال قتادة يفصل فيه بين الناس بأعمالهم الى الجنة والنار ثم أتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل يعنى انه أمر بديع هائل لا يقادر قدره وما مبتدأ وأدراك خبره أو العكس كما اختاره سيبويه ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لهم فى ذلك اليوم الهائل قال الزمخشرى ويل أصله مصدر سادّ مسد فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم وويل مبتدأ وان كان نكرة لانه سوغ الابتداء به كونه دعاء انتهى ذكره الزمخشرى ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به والويل الهلاك أو هو اسم واد فى جهنم قال ابن مسعود يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات لانه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشئ عذابا سوى تكذيبه بشئ آخر ورب شئ كذب به هو أعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب وقال الكرخى التكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما اذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الامم الخالية فقال (ألم نهلك الاولين) أخبر سبحانه باهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كقوم نوح وعاد وثمود قال مقاتل يعنى بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم والاستفهام انكارى وهو داخل على نفى ونفى النفى اثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريرى والمراد به طلب الاقرار بما بعد النفى (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى كفار مكة ومن وافقهم

وهو أن يأمر تعالى اسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث فاذا الاولون والآخرون قيام بين يدى الرب عزوجل ينظرون كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقال تعالى وما أمرنا الا واحدة الا كلمح بالبصر وقال تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب قال مجاهد فانما هى زجرة واحدة صيحة واحدة وقال ابراهيم التيمى أشد ما يكون الرب عزوجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى فاذاهم بالساهرة قال ابن عباس الساهرة الارض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الارض وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا الى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال عثمان ابن أبى العالية الساهرة أرض بيت المقدس وقال وهب بن منبه الساهرة جبل الى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح انها الارض وجهها الاعلى وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب بن ثابت عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى فاذاهم بالساهرة قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقى وقال الربيع بن أنس فاذاهم بالساهرة يقول الله عزوجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ويقول تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وبرزت الارض التى عليها الجبال وهى لا تعد من هذه الارض وهى وقال أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم (هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) يخبر تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه ابتعثه الى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز

حين كذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قرأ الجمهور نتبعهم بالرفع على الاستئناف أى ثم نحن نتبعهم كذا قدره أبو البقاء وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الاولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد ويدل على الرفع قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم الآخرين بسين التنفيس وقرئ بالجزم عطفا على نهلك قال شهاب الدين على جعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله ألم نهلك والمراد بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم يريد من يهلكه فيما بعد والكاف فى موضع نصب على النعت لمصدر محذوف أى مثل ذلك الاهلاك نفعل بكل مشرك اما فى الدنيا أو فى الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل يوم ذلك الاهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله قيل والويل الاول لعذاب الآخرة وهذا العذاب الدنيا والتكرير للتوكيد شائع فى كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى ضعيف حقير قدر منتن ذليل وهو النطفة قال ابن عباس مهين ضعيف هذا نوع آخر من تخويف الكفار ونظيره قوله سبحانه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (فجعلناه فى قرار مكين) أى مكان حريز وهو الرحم يحفظ فيه المنى من الآفات المفسدة له كالهواء (الى قدر معلوم) أى الى مقدار قدره الله تعالى للولادة وهو مدة الحمل وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو مادونها وقيل الى أن يصور (فقدرنا) قرأ الجمهور بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون وقرئ بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله من نطفة خلقه فقدره قال الكسائى والفراء وهما لغتان بمعنى قدرت كذا وقدرته (فنعم القادرون) أى نعم المقدرون نحن قيل المعنى قدرناه قصيرا أو طويلا وقيل قدرنا أى ملكنا (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة وبنعمة الفطرة ثم بين لهم بديع صنعه وعظيم قدرته ليعتبروا فقال (ألم نجعل الارض كفاتا) معنى الكفت فى اللغة الضم والجمع يقال كفت الشئ اذا ضمه وجمعه ومن هذا يقال للجراب والقدر كفت والكفات بالكسر الموضع الذى يكفت فيه شئ أى يضم ذكره المختار والقاموس وقال المحلى مصدر كفت وفيه نظر لان كفت من باب ضرب فالحق انه اسم مكان وقيل جمع كافت كصيام وقيام وقيل مصدر كالكتاب والحساب وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع

مقتدر وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة ان في ذلك لعبرة لمن يخشى فقوله تعالى هل أتاك حديث موسى أي هل سمعت بخبره اذ ناداه ربه أي كلمه نداء بالواد المقدس أي المطهر طوى وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له اذهب الى فرعون انه طغى أي تجبر وتمرد وعتى فقل هل لك الى ان تزكى أي قل له هل لك ان تجيب الى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع وأهديك الى ربك أي أدلك على عبادة ربك فتخشى أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير فأراه الآية الكبرى يعني فاظهر له (١٥٣) موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله فكذب وعصى أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة وحاصله انه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بان ما جاء به انه حق لا يلزم منه انه مؤمن به لان المعرفة عمل القلب والايمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له وقوله تعالى ثم أدبر يسعى أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات فحشر فنادى أي في قومه فقال أنا ربكم الاعلى قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من اله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لامثاله من المتمردين في الدنيا ويوم القيامة بئس الرفد المرفود كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون هذا هو الصحيح في معنى الآية ان المراد بقوله نكال الآخرة [illegible] أي الدنيا والآخرة وقيل المراد بذلك كلمته الاولى والثانية وقيل [illegible] وعصيانه [illegible] وقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى أي لمن يتعظ وينزجر [illegible] والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم يقول تعالى محتجا على منكري البعث في اعادة الخلق بعد بدئه أأنتم أيها الناس أشد خلقا أم السماء يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

وقال الخليل التكفت تقليب الشيء ظهر البطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم أي ذهبوا والمعنى ألم نجعل الارض ضامة للاحياء على ظهرها والاموات في بطنها تضمهم وتجمعهم قال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وهو معنى قوله (أحياء وأمواتا) والتنكير فيهما للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون وقال أبو عبيدة كفاتا أوعية وقيل معنى جعلها كفاتا انه يدفن فيها ما يخرج من الانسان من الفضلات وقال ابن عباس كفاتا كنا وقال الاخفش وأبو عبيدة الاحياء والاموات وصفان للارض أي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت قال الفراء انتصاب أحياء وأمواتا لوقوع الكفات عليه أي ألم نجعل الارض كفات أحياء وأموات فاذا نون نصب ما بعده وقيل نصبا على الحال من الارض أي منها كذا ومنها كذا وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي جبالا مرتفعات طوالا والرواسي الثوابت والشامخات الطوال وكل عال فهو شامخ وقال ابن عباس جبالا مشرفات وقيل ثوابت عاليات (واسقيناكم ماء فراتا) أي عذبا قاله ابن عباس والفرات الماء العذب يشرب منه ويسقى به قال مقاتل وهذا كله اعجب من البعث روي ان في الارض من الجنة سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة (ويل يومئذ للمكذبين) بما أنعمنا عليهم من نعمنا التي هذه من جملتها (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا يقول لهم ذلك خزنة جهنم توبيخا وتقريعا أي سيروا اليه من العذاب وهو عذاب النار (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) أي الى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا قرأ الجمهور انطلقوا في الموضعين على صيغة الامر على التأكيد وقرئ بصيغة الماضي في الثاني أي لما أمروا بالانطلاق امتثلوا ذلك فانطلقوا وقيل المراد بالظل هنا هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم ثم تتشعب ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم ثم يصيرون الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما في قوله في سموم وحميم وظل من يحموم على ما تقدم وقيل ان شعب الثلاث هي الضريع والزقوم و[illegible] لانها أوصاف النار ثم وصف [illegible] [illegible]

وقوله تعالى بناها فسره بقوله رفع سمكها فسواها أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الارجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء وقوله تعالى وأغطش ليلها وأخرج ضحاها أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً قال ابن عباس أغطش ليلها أظلمه وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون وأخرج ضحاها أي أنار نهارها وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فسره بقوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها وقد تقدم في سورة حم السجدة ان الارض خلقت قبل خلق السماء ولكن انما دحيت بعد خلق السماء بمعنى انه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي انيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس دحاها ودحيها ان أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الانهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله والارض بعد ذلك دحاها وقد تقدم تقرير ذلك هنالك وقوله تعالى والجبال أرساها أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم الرؤف بخلقه الرحيم وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يارب فهل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار قالت يارب فهل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالت يارب فهل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال لما خلق الله الارض قمصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي نتنهم ويعملون علي بالخطايا فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون وكان أول قرار الارض كلحم الجزور اذا نحر يختلج لحمه غريب جدا وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم أي دحا الارض فأنبع عيونها وأظهر مكنونها وأجرى انهارها وأنبت

من حر ذلك اليوم وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغني) أي لا يرد عنهم شيأ (من اللهب) أي النار قال الكلبي لا يرد حر جهنم عنكم ثم وصف سبحانه النار فقال (انها ترمي بشرر كالقصر) العظيم أي كل شررة من شررها التي ترمي بها كالقصر من القصور في عظمها والشرر ما تطاير من النار متفرقا والقصر البناء العظيم وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة وهي الواحدة من جزل الحطب الغليظ قال سعيد بن جبير والضحاك وهي أصول الشجر العظام وقيل أعناقه قرأ الجمهور كالقصر باسكان الصاد وهو واحد القصور كما تقدم وقرئ بفتحها أي أعناق النخل والقصرة العنق جمعه قصر وقصرات وقال قتادة أعناق الابل وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد وهي جمع أيضا القصر مثل بدر وبدرة وقصع وقصعة وقرأ الجمهور بشرر بفتح الشين وقرأ ابن عباس وابن مقسم شرار بكسرها مع ألف بين الراءين وقرأ عيسى كذلك الا انه بفتح الشين وهي لغات قال ابن عباس قصر النخل يعني الاعناق وعنه قال كانت العرب في الجاهلية تقول اقصروا لنا الحطب فيقطع على قدر الذراع والذراعين وقال ابن مسعود انها ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون ثم شبه الشرر باعتبار لونه فقال (كأنه جمالة صفر) قرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة جمع جمل وقرأ الجمهور جمالات بكسر الجيم وهي جمع جمال وهي الابل أو جمع جمالة وقرئ بضم الجيم وهي حبال السفن قال ابن عباس جمالات صفر قطع النحاس عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس يسئل عن قوله بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقدر ثلاثة أذرع أو أقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر قال وسمعته يسئل عن عن قوله كأنه جمالات صفر قال حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كأوساط الرجال ولفظ البخاري كنا نعمد الى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كأنه جمالات صفر حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال وعنه قال هي الابل قال الواحدي الصفر معناها السود في قول المفسرين قال الفراء الصفر سود الابل لا يرى أسود من الابل الا وهو مشرب صفرة لذلك سمت العرب سود الابل صفرا قيل والشرر اذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شئ بالابل السود قيل وهذا القول محال في اللغة أن يكون شئ يشوبه شئ قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب

لمن

زروعها وأشجارها وعمارها وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الانعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار الى ان ينتهي الامد وينقضي الاجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) يقول تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لانها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى والساعة أدهى وأمر يوم يتذكر الانسان ما سعى أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وبرزت الجحيم لمن يرى أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا فأما من طغى أي تمرد وعتى وآثر الحياة الدنيا أي قدمها على أمر دينه وأخراه فان الجحيم هي المأوى أي فان مصيره الى الجحيم وان مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها فان الجنة هي المأوى أي منقلبه ومصيره ومرجعه الى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها أي ليس علمها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله) وقال ههنا الى ربك منتهاها ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها أي انما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها أي اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية

لمن قال بهذا وقد قال تعالى جمالات صفر وأجيب بان وجهه ان النار خلقت من النور فهي مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشى ذلك الموضع بتلك النار وبعث اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت سوادا وصارت أشد سوادا من كل شيء فيكون شررها أسود لانه من نار سوداء قلت هذا الجواب البارد لا يدفع ما قاله القائل لان كلامه باعتبار ما وقع في الكتاب العزيز هنا من وصفها بكونها صفرا فلو كان الامر كما ذكره المجيب من اسوداد النار واسوداد شررها لقال الله تعالى كأنها جمالات سود ولكن اذا كانت العرب تسمي الاسود أصفر لم يبق اشكال لان القرآن نزل بلغتهم وقد نقل الثقات عنهم ذلك ويدل عليه الحديث في صفة جهنم وفي آخره فهي سوداء مظلمة فكان ما في القرآن هنا واردا على هذا الاستعمال العربي (ويل يومئذ للمكذبين) لرسل الله وآياته (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون قرأ الجمهور برفع يوم على انه خبر لاسم الاشارة وقرأ زيد بن علي والاعرج والاعمش وغيرهم بالفتح على البناء لاضافته الى الفعل ومحله الرفع على الخبرية وقيل هو منصوب على الظرفية قال الواحدي قال المفسرون في يوم القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون وقد قدمنا الجمع بين هذا في غير موضع وقيل ان هذا اشارة الى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لان مواقف السؤال والحساب قد انقضت وقال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون والاشارة بهذا الى ما تقدم من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وعن عكرمة قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع لهم الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرؤا كتابيه فقال له ويحك هل سألت عن هذا أحدا قبلي قال لا قال أما انك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال بلى قال فان لكل مقدار يوم من هذه الايام لونا من الالوان (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قرأ الجمهور يؤذن بالياء التحتية مبنيا للمفعول وقرأ زيد بن علي لا يأذن على البناء للفاعل أي لا يأذن الله لهم أي لا يكون لهم اذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب قال الفراء الفاء في فيعتذرون نسق على يؤذن وأجيز ذلك لان أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب

أوضحاها أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس أو ضحاها ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة عبس وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) ذكر غير (١٥٦) واحد من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في اسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه اذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه أو يذكر فتنفعه الذكرى أي يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم أما من استغنى فأنت له تصدى أي أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي وما عليك الا يزكى أي ما أنت بمطالب به اذا لم يحصل له زكاة وأما من جاءك يسعى أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له فأنت عنه تلهى أي تتشاغل ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يخص بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة ما الدامغة قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى عبس وتولى جاء ابن أم مكتوم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثني أبي قال هذا

والكل صواب (ويل يومئذ للمكذبين) بما دعتهم اليه الرسل وأنذرتهم عاقبته (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) أي ويقال لهم هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالاولين كفار الامم الماضية (فان كان لكم كيد) أي ان قدرتم على حيلة في دفع العذاب عنكم الآن (فكيدون) أي فافعلوها وهذا تقريع لهم وتهكم وتوبيخ قال مقاتل يقول ان كان لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم وقيل المعنى فان قدرتم على حرب فحاربون وقيل ان هذا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون كقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث لانه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه في الدنيا ثم لما ذكر سبحانه في سورة الدهر أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب في أحوال المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة أحوال الكفار على سبيل الاطناب وأحوال المؤمنين على سبيل الايجاز فوقع بذلك التعادل بين السورتين فقال (ان المتقين في ظلال وعيون) أي في ظلال الاشجار وظلال القصور لا كالظل الذي للكفار من الدخان ومن النار كما تقدم قال الحلبي أي تكاثف أشجار وعبارة الكازروني أي تحت أشجار قرأ الجمهور في ظلال وقرئ في ظلل جمع ظلة قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة من أولها الى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم قال الرازي فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بأن يكون هذا الوعد حاصلا للمؤمنين بسبب ايمانهم لانه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره وجب أن يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب ايمانه حتى يصير ذلك سببا في الزجر عن الكفر فأما أن يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته فلا يليق بالنظر كذا قال والمراد بالعيون الانهار أي نابعة من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (وفواكه مما يشتهون) المراد بالفواكه ما يتفكه به مما تطلبه أنفسهم وتستدعيه شهواتهم فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك والقائل لهم الملائكة اكراما لهم أو يقال لهم من قبل الله فالجملة مقدرة بالقول والباء للسببية أي بسبب

ما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة (انا كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) فى أعمالهم وعقائدهم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث صاروا فى شقاء عظيم وصار المؤمنون فى نعيم مقيم (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا أو يقال لهم هذا فى الدنيا وانما قال (قليلا) لان متاع الدنيا وزمانه قليل لانه زائل مع قصر مدته فى مقابلة مدة الآخرة وذلك الى منتهى آجالهم قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعى لها من أفعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا و بغضها وجمعها وتركها (انكم مجرمون) أى المشركون بالله وهذا وان كان فى اللفظ أمرا فهو فى المعنى تهديد وزجر عظيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين من أى قائل كان (اركعوا لا يركعون) أى واذا أمروا بالصلاة لا يصلون قال مقاتل نزلت فى ثقيف امتنعوا من الصلاة بعد ان أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بها فقالوا لا نحنى فانها مسبة علينا فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل انما يقال لهم ذلك فى الآخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون من أجل انهم لم يكونوا يسجدون فى الدنيا لله سبحانه قاله ابن عباس وفى هذه الآية دليل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لدلالته على الخضوع والطاعة لانه خاص بصلاة المسلمين (ويل يومئذ للمكذبين) باوامر الله سبحانه ونواهيه (فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن (يؤمنون) أى يصدقون اذا لم يؤمنوا به مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية قرأ الجمهور يؤمنون بالتحتية على الغيبة وقرأ ابن عامر فى رواية عنه ويعقوب بالفوقية على الخطاب

*(سورة عم كذا فى الخازن والخطيب وتسمى سورة التساؤل وسورة [illegible] وهى أربعون آية وقيل احدى وأربعون آية وهى مكية عند الجميع)

ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدنى قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت عبس وتولى وقد روى الترمذى هذا الحديث عن سعيد ابن يحيى الاموى باسناده مثله ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة قلت كذلك هو فى الموطا ثم روى ابن جرير وابن أبى حاتم أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم ان يؤمنوا فاقبل اليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبى صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك هل تريد من شئ واذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة فى شئ وذلك لما أنزل الله تعالى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى فيه غرابة ونكارة وقد تكلم فى اسناده وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثنى يونس عن ابن شهاب قال قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم وهو الاعمى الذى أنزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الاعمى وكان يؤذن مع بلال قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون الى بزوغ الفجر أذن وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف انها نزلت فى

ابن أم مكتوم والمشهور ان اسمه عبد الله و يقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى كلا انها تذكرة أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس فى ابلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى كلا انها تذكرة يعنى القرآن فمن شاء ذكره أى فمن شاء ذكر الله تعالى فى جميع أموره ويحتمل عود الضمير الى الوحى لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أى هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن فى صحف مكرمة أى معظمة موقرة مرفوعة أى عالية القدر مطهرة أى من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى بأيدى (١٥٨) سفرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد هى الملائكة وقال وهب ابن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء وقال ابن جرير والصحيح ان السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر

وما أدع السفارة بين قومى
وما أمشى بغش ان مشيت

وقال البخارى سفرة الملائكة سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحى الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى كرام بررة أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وافعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد عن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأه وهو عليه شاق له أجران اخرجه الجماعة من طريق قتادة به

وقال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أصله عن ما فأدغمت النون فى الميم لان الميم تشاركها فى الغنة كذا قال الزجاج وحذفت الالف ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم وبم ونحو ذلك والمعنى عن أى شئ يسأل بعضهم بعضا قرأ الجمهور عم بحذف الالف لما ذكرنا وقرئ باثباتها ولكنه قليل لا يجوز الا للضرورة وقرئ بهاء السكت عوضا عن الالف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصة كما تقول أى شئ تريد اذا عظمت شأنه قال الشهاب وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته لان المطلوب به لا بد أن يكون مجهولا عند الطالب فلذا جعل مجازا عن الفخامة لانه ورد على طريق مخاطبات العرب فالاستفهام بالنسبة الى الناس وقال فى النهر هذا الاستفهام فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب قال الواحدى قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد وما الذى أتى به فانزل الله عم يتساءلون قال الفراء التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل أيضا فى ان يتحدثوا به وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الآية وهذا يدل على انه التحدث ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر فى قوله فبأى حديث بعده أى بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عماذا وبينه فقال (عن النبإ العظيم) أورده سبحانه أولا على طريقة الاستفهام مبهما لتتوجه اليه أذهانهم وتلتفت اليه أفهامهم ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبإ العظيم على منهاج قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وانما كان ذلك النبأ أى القرآن عظيما لانه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور قال الضحاك يعنى نبأ يوم القيامة وكذا قال قتادة وقد استدل على ان النبأ هو القرآن بقوله الذى هم فيه مختلفون فانهم اختلفوا فى القرآن فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم كهانة وبعضهم قال هو أساطير الاولين وأما البعث فقد اتفق الكفار اذ ذاك على انكاره ويمكن أن يقال انه قد وقع الاختلاف فى البعث فى الجملة فصدق به

(قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم قتل الانسان ما أكفره قال الضحاك عن ابن عباس قتل الانسان لعن الانسان وكذا قال ابو مالك وهذا لجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم قال ابن جريج ما أكفره أى ما أشد كفره وقال ابن جرير ويحتمل ان يكون المراد أى شئ جعله

كافرا اى ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبى وقال قتادة ما أكفره ما ألعنه ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشئ الحقير وانه قادر على اعادته كما بدأه فقال تعالى من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره اى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد ثم السبيل يسره قال العوفى عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه وكذا قال عكرمة والضحاك وابو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله وهكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الارجح والله أعلم (١٥٩) وقوله تعالى ثم أماته فأقبره أى انه بعد خلقه له اماته فاقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا ولى ذلك منه واقبره الله وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وأبتره الله وطردت عنى فلانا وأطرده الله أى جعله طريدا قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى صدرها
عاش ولم ينقل الى قابر

وقوله تعالى ثم اذا شاء أنشره أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحرث ان دراجا ابا السمح أخبره عن ابى الهيثم عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يأكل التراب كل شئ من الانسان الا عجب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تنشؤن وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من رواية الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الامر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله لما يقض ما أمره يقول لم يؤد ما فرض عليه ربه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل ثم روى هو وابن أبى حاتم من طريق ابن ابى نجيح عن مجاهد قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال لا يقضى احد أبدا كل ما افترض عليه وحكاه البغوى عن الحسن البصرى بنحو من هذا ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا والذى يقع لى فى معنى ذلك والله اعلم ان المعنى ثم اذا شاء أنشره اى بعثه كلا لما يقض ما امره اى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة

المؤمنون وكذب به الكافرون فقد وقع الخلاف فيه من هذه الحيثية وان لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار أنفسهم على التسليم والتنزل ومما يدل على انه القرآن قوله سبحانه قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ومما يدل على انه البعث انه أكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عقولهم السخيفة وأيضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم فى البعث فاثبتت النصارى المعاد الروحانى وأثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسمانى وفى التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة العبرانية بلفظ جنعيذ بالجيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مهملة مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم ذال معجمة بعدها ألف وفى الانجيل فى مواضع كثيرة التصريح بالمعاد وانه يكون فيه النعيم للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله عنه بقوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاكة فيه كما حكى الله عنهم بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وما حكاه الله عنهم بقوله وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة وقد قيل ان الضمير فى قوله يتساءلون يرجع الى المؤمنين والكفار لانهم جميعا كانوا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة فى دينه وأما الكافر فاستهزاء وسخرية قال الرازى ويحتمل انهم يسألون الرسول ويقولون ما هذا الذى تعدنا به من أمر الآخرة قال ابن عباس النبأ العظيم القرآن وهذا مروى عن جماعة من التابعين (الذى هم فيه مختلفون) الموصول صفة للنبا بعد وصفه بكونه عظيما فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه (كلا سيعلمون) ردع لهم وزجر وهذا يدل على ان المختلفين فيه هم الكفار وبه يندفع ما قيل ان الخلاف بينهم وبين المؤمنين فانه انما يتوجه الردع والوعيد الى الكفار فقط وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر فقال (ثم كلا سيعلمون) للمبالغة فى التأكيد والتشديد فى الوعيد قرأ الجمهور بالياء التحتية فى الفعلين على الغيبة وقرئ بالفوقية على الخطاب وقرأ الضحاك الاولى بالفوقية وقرأ الثانية بالتحتية قال الضحاك ايضا كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس وقيل هو وعيد بعد وعيد وقيل معنى كلا سيعلمون ...

ويفرغ القدر من بني آدم مما كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج الى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الارض وان الارض هي أم الخلق فاذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض الهامدة على احياء الاجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا أنا صببنا الماء صبا أي انزلناه من السماء على الارض ثم شققنا الارض شقا أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها ويتحلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الارض فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال الحسن البصري القضب العلف وزيتونا وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به ونخلا يؤكل بلحا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل وحدائق غلبا أي بساتين قال الحسن وقتادة غلب نخل غلاظ كرام وقال ابن عباس ومجاهد والحدائق كل ما التف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحدائق غلبا أي طوال وقال عكرمة غلبا أي غلاظ الاوساط وفي رواية غلاظ الرقاب ألم تر الى الرجل اذا كان غليظ الرقبة قيل والله انه لأغلب رواه ابن أبي حاتم تشبه وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأثار أغلب ضيغميا * فويل ابن المراغة ما استثارا

وقوله تعالى وفاكهة وأبا أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والاب ما أنبتت الارض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك الاب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد الاب للبهائم كالفاكهة لبني آدم وعن عطاء كل شئ نبت على وجه الارض فهو أب وقال الضحاك كل شئ أنبتته

التزع ما يحل بهم ثم كلا سيعلمون عند البعث لانه يكشف لهم الغطاء حينئذ وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقال ابن مالك تأكيد لفظي ولا يضر توسط حرف العطف قال السمين والنحويون يأبون هذا ولا يسمونه الا عطفا وان أفاد التأكيد قال زاده ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي كما هنا تشبيها لتباعد الرتبة بتباعد الزمان

ثم ذكر سبحانه بديع صنعه وعظيم قدرته على البعث وأشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ليعرفوا توحيده ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) اى قدرتنا على هذه الامور المذكورة اعظم من قدرتنا على الاعادة بالبعث فما وجه انكاركم لانه قد تقرر ان الاجسام متساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض وهذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وقيل الجعل بمعنى التصيير والمهاد الوطاء والفراش كما في قوله الذي جعل لكم الارض فراشا قرأ الجمهور بالجمع وقرئ مهدا والمعنى انها كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه وسمى الممهود بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والاوتاد جمع وتد اى جعلنا الجبال اوتادا للارض لتسكن ولا تتحرك كما ترسى الخيام بالاوتاد وفي هذا دليل على ان التساؤل الكائن بينهم هو عن امر البعث لا عن القرآن ولا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل لان هذا الدليل انما يصلح للاستدلال به على البعث (وخلقناكم أزواجا) معطوف على المضارع المنفي داخل في حكمه فهو في قوة أما خلقناكم والمراد بالازواج هنا الاصناف أي الذكور والاناث وقيل المراد بها الالوان وقيل يدخل في هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير (وجعلنا نومكم سباتا) قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه أي جعلنا نومكم راحة لكم قال ابن الانباري جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان أصل السبت القطع وقيل أصله التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته وأرسلته ورجل مسبوت الخلق أي ممدوده والرجل اذا أراد أن يستريح تمدد فسمى النوم سباتا وفي المختار السبات النوم وأصله الراحة وبابه نصر وفي المصباح السبات كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة يقال سبت يسبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول غشي عليه وأيضا مات ومن هنا قيل المعنى وجعلنا نومكم موتا والنوم أحد الموتتين فالمسبوت

الارض سوى الفاكهة فهو الاب وقال ابن ادريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس الاب نبت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن ادريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عد ابن عباس وقال الاب ما أنبتت الارض للانعام هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب ما أنبتت الارض مما يأكل الناس ويأكل الانعام وقال العوفي عن ابن عباس الاب الكلأ والمرعى وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد (١٦١) بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا أعلم وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه فأما ما رواه ابن جرير حيث قال حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبس وتولى فلما أتى على هذه الآية وفاكهة وأبا قال قد عرفنا ما الفاكهة فما الاب فقال لعمرك يا ابن الخطاب ان هذا لهو التكلف فهو اسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه والا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الارض لقوله فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا وقوله (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة (فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه

(٤١ - [illegible]) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) قال ابن عباس الصاخة من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده قال ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الاسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك فتقول نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها فاني أطلب اليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا

يشبه الميت ولكنه لم يفارقه الروح ومن هذا قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل (وجعلنا الليل لباسا) أي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس فشبه الليل باللباس لان في كل منهما سترا فهو استعارة وقال سعيد بن جبير والسدي أي سكنا لكم وقيل المراد ما يستره عند النوم من اللحاف ونحوه وهو بعيد لان الجعل وقع على الليل لا على ما يستتر به النائم عند نومه (وجعلنا النهار معاشا) أي وقت معاش والمعاش مصدر ميمي بمعنى المعيشة وقع هنا ظرفا وكل شئ يعاش به فهو معاش والمعنى ان الله جعل لهم النهار مضيئا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الزمان ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كل واحدة منها مسيرة خمسمائة عام كما ورد ذلك (وجعلنا سراجا) منيرا (وهاجا) وقادا يعني الشمس والوهاج المضئ المتلألئ من قولهم وهج الجوهر أي تلألأ ويقال وهج يوهج كوجل يوجل وكوعد يعد قال الزجاج الوهاج الوقاد وهو الذي وهج يقال وهجت النار تهج وهجا ووهجانا قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة وقال ابن عباس وهاجا مضيئا (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) المعصرات هي السحاب التي تتعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصرة التي قد دنا حيضها كذا قال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكلبي هي الرياح والرياح تسمى معصرات يقال أعصرت الريح تعصر اعصارا اذا أثارت العجاج قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وذلك ان الرياح تستدر المطر وقال الفراء المعصرات السحاب التي يتحلب منها المطر قال النحاس وهذه الاقوال صحاح يقال للريح التي تأتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ويجوز أن تكون هذه الاقوال قولا واحدا ويكون المعنى وأنزلنا من ذوات المعصرات قال في الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم أي مطروا قال المبرد يقال سحاب معصر أي ممسك للماء ويعتصر منه شئ بعد شئ وقال أبي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان المعصرات السموات وقال ابن عباس السحاب وقال ابن مسعود يبعث الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فتدر كما تدر اللقحة وقرأ ابن عباس وعكرمة وأنزلنا بالمعصرات بالرياح وقيل

أتخوف مثل الذي تخاف قال وان الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك فيثني بخير فيقول له يا بني اني احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى فيقول ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيأ يقول الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة انه اذا طلب الى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك اليوم الا نفسي حتى ان عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم الا نفسي لا أسأله مريم (١٦٢) التي ولدتني ولهذا قال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه قال قتادة الاحب فالاحب والاقرب فالاقرب من هول ذلك اليوم وقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي هو في شغل شاغل عن غيره قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال ابن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا قال فقالت زوجته يا رسول الله أويرى بعضنا عورة بعض قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال ما يشغله عن النظر وقد رواه النسائي منفردا به عن أبي داود وعن عارم عن ثابت بن يزيد وهو أبو زيد الاحول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وقد رواه الترمذي عن عبد الله ابن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن وهما صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه انفرد به النسائي من هذا الوجه ثم قال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله كيف يحشر [illegible] رسول الله [illegible]

المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث والثجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع يقال ثج الماء أي سال بكثرة وثجه أي أساله فيكون لازما ومتعديا وبابه رد ومطر ثجاج أي منصب جدا والثج أيضا سيلان دماء الهدي وفي الحديث أحب العمل الى الله العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدي وقال الزجاج الثجاج الصباب وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا وقال ابن عباس منصبا وقيل مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن مسعود الثجاج ينزل من السماء أمثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقا (لنخرج به حبا ونباتا) أي لنخرج بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما والنبات ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن وسائر النبات والكلأ (وجنات ألفافا) أي بساتين ملتف بعضها ببعض تتشعب أغصانها ولا واحد للالفاف كالأوزاع والاخياف وقيل واحدها لف بكسر اللام وضمها ذكره الكسائي وقال أبو عبيدة واحدها لفيف كشريف وأشراف وروي عن الكسائي انه جمع الجمع يقال جنة لفاء ونبت لف والجمع لف بالضم مثل حمر ثم يجمع هذا الجمع على ألفاف وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد وقال ابن عباس ألفافا ملتفة وقال يقول التف بعضها ببعض قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم ولما أثبت الله البعث بالادلة التسعة المتقدمة كأن سائلا سأل عن وقته ما هو فقال (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل وأكده بان لانه مما ارتابوا فيه (كان) في علمه وحكمه (ميقاتا) أي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والآخرين يصلون فيه الى ما وعدوا من البعث وقيل معنى ميعادا انه حد توقت به الدنيا وتنتهي عنده وقيل حد للخلائق ينتهون اليه أو منتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله وان كان الفصل متأخرا عن النفخ (في الصور) هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل والمراد هنا النفخة الثانية التي تكون للبعث (فتأتون) من قبوركم الى الموقف (أفواجا) أي زمرا زمرا وجماعات جماعات وهي جمع فوج والفاء في فتأتون فصيحة تدل على محذوف أي فتأتون الى موضع العرض عقب ذلك أفواجا أي أمما كل أمة امامهم (وفتحت السماء) معطوف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع أي فتحت لنزول الملائكة وقال على القاري عطف على فتأتون أو حال أي والحال انه قد فتحت وقرئ بالتخفيف والتشديد

الرجال قال حفاة عراة ثم انتظرت ساعة فقالت يا رسول الله كيف تحشر النساء قال كذلك حفاة عراة قالت واسوأتاه من يوم القيامة قال وعن أي ذلك تسألين انه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون قالت أية آية هي يا نبي الله قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله (١٦٣) صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقالت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائذ بن شريح في حديثه ضعف وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة أي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستنيرة ضاحكة مستبشرة أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أي يعلوها ويغشاها قترة أي سواد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا [illegible] عن محمد [illegible] عن جعفر بن محمد عن [illegible] قال قال رسول الله [illegible] ثم تلا [illegible]

على [illegible] وهم [illegible] [illegible] هم الكفرة الفجرة أي الكفرة قلوبهم [illegible] [illegible] آخر تفسير سورة عبس [illegible] والمنة

تفسير سورة التكوير وهي مكية قال [illegible] [illegible] عن [illegible] السماء [illegible] عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره [illegible] يوم القيامة [illegible] اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت [illegible] [illegible]

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت

وهما سبعيتان قال الشهاب المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الابواب وهو موافق لقوله اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت فان القرآن يفسر بعضه بعضا وعبر عن التشقيق بالفتح اشارة الى كمال قدرته حتى كان تشقيق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة (فكانت أبوابا) كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل معنى فتحت قطعت فصارت قطعا كالابواب وقيل أبوابها طرقها وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب لرزقه وباب لعمله فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وظاهر قوله فكانت أبوابا انها صارت كلها أبوابا وليس المراد ذلك بل المراد انها صارت ذات أبواب كثيرة (وسيرت الجبال) عن أماكنها في الهواء كالهباء الذي هو الغبار وقلعت عن مقارها وقيل معنى سيرت انها نسفت من أصولها ومثل هذا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (فكانت سرابا) أي هباء منبثا يظن الناظر انها سراب وتخيل الشمس انها ماء والمعنى ان الجبال صارت كلا شئ كما ان السراب يظن الناظر انه ماء وليس بماء ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وثاني أحوالها أن تصير كالعهن المنفوش كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وثالث أحوالها أن تصير كالهباء وهو قوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ورابع أحوالها أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وخامس أحوالها أن تصير سرابا أي لا شئ كما في هذه الآية ثم شرع سبحانه في تفصيل أحكام الفصل فقال (ان جهنم كانت مرصادا) قال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقال المبرد مرصادا يرصدون به أي هو معد لهم يرصد بها خزنتها الكفار قال الحسن ان على الباب رصدا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليهم فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا [illegible] في الصحاح الراصد للشئ الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترقب والمرصد موضع الرصد قال الاصمعي رصدته أرصده ترقبته [illegible] [illegible] [illegible] وقيل [illegible] موضع يرصد فيه خزنة النار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] متطاولة فيها تحيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اذا الشمس كورت يعني أظلمت وقال العوفي عنه ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعني رمي بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الارض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك (١٦٤) ان التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها الى بعض فمعنى قوله تعالى كورت جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودي حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبي ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله اذا الشمس كورت قال كورت في جهنم وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشي حدثنا أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر ثوران عقيران في النار هذا حديث ضعيف لان يزيد الرقاشي ضعيف والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر يكوران يوم القيامة انفرد به البخاري وهذا لفظه وانما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديرا ان يذكره هاهنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله وقد رواه البزار فجود ايراده فقال حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول

من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار ثم ذكر من هي مرصد له فقال (للطاغين مآبا) أي مرجعا يرجعون اليه والمآب المرجع يقال آب يؤب اذا رجع والطاغي من طغى بالكفر وللطاغين نعت لمرصادا متعلق بمحذوف ومآبا بدل من مرصادا ويجوز أن يكون للطاغين في محل نصب على الحال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة وانتصاب (لابثين فيها أحقابا) على الحال المقدرة من الضمير المستكن في الطاغين قرأ الجمهور لابثين بالالف وقرئ بدون ألف وانتصاب أحقابا على الظرفية أي ما كثير في النار مادامت الاحقاب وهي لا تنقطع وكلما مضى حقب جاء حقب وهي جمع حقب بضمتين وهو الدهر والاحقاب الدهور والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة وحكى الواحدي عن المفسرين انه بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما اليوم ألف سنة من أيام الدنيا وقال السدي الحقب سبعون سنة وقال بشير بن كعب ثلثمائة سنة وقال ابن عمر أربعون سنة وقيل ثلاثون ألف سنة قال الحسن الاحقاب لا يدري أحدكم هي ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة قال ابن عباس أحقابا سنين وعن سالم بن أبي الجعد قال سأل علي ابن أبي طالب هلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله قال نجده ثمانين سنة كل سنة منها اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن ابن مسعود في الآية قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن أبي هريرة رفعه قال الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون وعن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحقب ألف شهر والشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة مما تعدون قال ابن عمر فلا يتكلن أحد انه يخرج من النار أخرجه البزار وابن مردويه والبيهقي وعن ابن عمرو قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابن عباس مثله وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقب أربعون سنة أخرجه ابن مردويه وقيل الاحقاب وقت

حسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يروه عن عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى وإذا النجوم انكدرت أي انتثرت كما قال تعالى وإذا الكواكب انتثرت وأصل الانكدار الانصباب قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن الى الإنس والإنس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماجوا بعضهم في بعض وإذا (١٦٤) الوحوش حشرت قال اختلطت وإذا العشار عطلت قال أهملها أهلها وإذا البحار سجرت قال قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا الى البحر فإذا هو نار تأجج قال فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة الى الأرض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعز وإذا النجوم انكدرت أي تناثرت وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإذا النجوم انكدرت أي تغيرت وقال يزيد بن أبي مريم عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا النجوم انكدرت قال انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم وقوله وإذا الجبال سيرت أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا وقوله وإذا العشار عطلت قال عكرمة ومجاهد عشار الإبل قال مجاهد عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها وقال الربيع بن خثيم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لا راعي لها والمعنى في هذا كله متقارب والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها الى الشهر العاشر واحدها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها وقد قيل في العشار إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل إنها الأرض التي تعشر وقيل إنها الديار التي كانت تسكن

شربهم الحميم والغساق فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب وعن خالد بن معدان في الآية وفي قوله إلا ما شاء ربك إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة وقيل إن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذابا يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل والأول أولى وقيل الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار والأولى ما ذكرناه أولا من أن المقصود بالآية التأبيد لا التقييد وحكى الواحدي عن الحسن أنه قال والله ما هي إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الأبد (لا يذوقون فيها) حال من المستكن في لابثين أو صفة لأحقابا أو مستأنفة لبيان ما اشتملت عليه من أنهم لا يذوقون في جهنم أو في الأحقاب (بردا) ينفعهم من حرها (ولا شرابا) ينفعهم من عطشها (إلا حميما) هو الماء الحار (وغساقا) هو صديد أهل النار وقيل غوما يسيل من صديد أهل النار والاستثناء منقطع عند من جعل البرد النوم وبه قال الزمخشري ويجوز أن يكون متصلا من قوله ولا شرابا وبه قال أبو حيان وتضييع كلام الكواشي تجويز الأمرين وقيل إنه بدل من شرابا وهو الأحسن لأن الكلام غير موجب وقال مجاهد والسدي وأبو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوي البرد المذكور في هذه الآية هو النوم قال الزجاج أي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد يشمل هذه الأمور بإطلاق البرد على [illegible] وسمي بذلك لأنه يقطع سورة العطش ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه ولأنه يبرد صاحبه والعرب تقول منع البرد البرد يعني أذهب البرد النوم وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها وكذلك أهل النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقيل البرد برد الشراب والشراب الماء وحكى عن الزجاج البرد برد كل شيء له راحة وهذا ينفعهم فأما الزمهرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا أي روحا وراحة وقرأ الجمهور غساقا بالتخفيف وقرأ حمزة والكسائي بتشديد السين وهما سبعيتان وقد تقدم تفسيره وتفسير الحميم والخلاف فيهما في سورة ص عن ابن مسعود [illegible] لهم من العذاب لأن الله يقول لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما [illegible] قد انتهى حره وغساقا قد انتهى حره وإن الرجل إذا أدنى الإناء من فيه سقط فروة وجهه حتى يبقى عظاما تقعقع (جزاء وفاقا) أي موافقا لأعمالهم [illegible]

ثم بطلت المذاهب أهلها حكى هذه الاقوال كلها الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح انها الابل وعزاه الى أكثر الناس قلت بل لا يعرف عن السلف والائمة سواه والله أعلم وقوله تعالى وإذا الوحوش حشرت أي جمعت كما قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس يحشر كل شئ حتى الذباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خثيم وغير واحد وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية ان هذه الخلائق يقضي الله فيها ما يشاء وقال عكرمة حشرها (١٦٦) موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله واذا الوحوش حشرت قال حشر البهائم موتها وحشر كل شئ الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم واذا الوحوش حشرت قال أتى عليها أمر الله قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب انه قال واذا الوحوش حشرت اختلطت قال ابن جرير والاولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى والطير محشورة أي مجموعة وقوله تعالى واذا البحار سجرت قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر قال ما أراه الا صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى والبحر المسجور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط شيخ صالح يشبه مالك بن أنس عن معاوية بن سعيد قال ان هذا البحر بركة يعني بحر الروم وسط الارض والانهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود لا يركب البحر الا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر وقال مجاهد والحسن بن مسلم سجرت أوقدت وقال الحسن يبست وقال الضحاك وقتادة غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت وقال السدي فتحت وسيرت وقال الربيع بن خثيم سجرت فاضت وقوله تعالى واذا النفوس زوجت

الفاعل ويصح أن يكون على حذف مضاف أي ذا وفاق أو باق على مصدريته لقصد المبالغة قال الفراء والاخفش جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقال الزجاج جوزوا جزاء وافق أعمالهم قال الفراء الوفاق جمع الوفق والوفق والموافق واحد قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله بما يسوءهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي ثواب حساب قال الزجاج كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم والجملة مستأنفة وتعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور (وكذبوا بآياتنا كذابا) أي كذبوا بالآيات القرآنية أو كذبوا بما هو أعم منها تكذيبا شديدا وفعال من مصادر التفعيل قال الفراء هي لغة فصيحة يمنية تقول كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا قال في الصحاح هو أحد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق قرأ الجمهور كذابا بالتشديد وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالتخفيف قال أبو علي الفارسي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة وقرأ ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قال أبو حاتم ونصبه على الحال قال الزمخشري وقد يكون بمعنى على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقول رجل كذاب كقولك حسان وبخال قرأ الجمهور (وكل شئ) بالنصب على الاشتغال أي وأحصينا كل شئ (أحصيناه) وقرأ أبو السمال برفعه على الابتداء وما بعده خبره وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا وفي انتصاب قوله (كتابا) أوجه أحدها انه مصدر من معنى أحصينا أي احصاء فالتجوز في نفس المصدر والثاني انه مصدر لاحصينا لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل أي لالتقاء الاحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل والثالث أن يكون منصوبا على الحال أي مكتوبا في اللوح لتعرفه الملائكة وقيل أراد ما كتبته الحفظة على العباد من أعمالهم وقيل المراد به العلم لان ما كتب كان أبعد من النسيان والاول أولى لقوله وكل شئ أحصيناه في امام مبين (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) هذه الجملة مسببة عن كفرهم وتكذيبهم بالآيات والامر أمر اهانة وتحقير قال الرازي هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح أفعالهم ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نضجت جلودهم

أي جمع كل شكل الى نظيره كقوله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البزاز حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله عز وجل يقول وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق آخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ واذا النفوس زوجت فقال تزوجها (١٦٧) أن تؤلف كل شيعة الى شيعتها وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفي رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الانفس وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس ما تقولون في تفسير هذه الآية واذا النفوس زوجت فسكتوا قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد واذا النفوس زوجت قال الامثال من الناس جمع بينهم وكذا قال الربيع ابن خثيم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح قول آخر في قوله واذا النفوس زوجت قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ابن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلي من الانسان أو طير أو دابة ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبتوا ثم ترسل الارواح فتزوج الاجساد فذلك قول الله تعالى واذا النفوس زوجت وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضا في قوله تعالى واذا النفوس زوجت أي زوجت بالابدان وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين حكاه القرطبي في التذكرة وقوله تعالى واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت هكذا قراءة الجمهور سئلت والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب

بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت النار زادهم الله سعيرا قيل هذه أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها التأكيد بلن ومنها الالتفات ومنها الاعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب (ان للمتقين مفازا) هذا شروع في بيان حال المؤمنين وما أعد الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما أعد الله لهم من الشر والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالبغية والمطلوب والنجاة من النار ومنه قيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ويصلح أن يراد به الجنة على انه مصدر ميمي بمعنى المكان أو بمعنى الحدث ويحتمل أن يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم وفي المختار الفوز النجاة وهو الهلاك أيضا وعلى هذا فاطلاق المفازة على الفلاة الخالية من الماء حقيقي لانها مهلكة ومن معاني الفوز الهلاك كما رأيت وبابهما قال ثم فسر سبحانه هذا المفاز فقال (حدائق وأعنابا) وانتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا أو بدل كل من كل على طريق المبالغة بجعل نفس هذه الاشياء مفازا ويجوز أن يكون النصب باضمار أعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فمقدر مضاف أي فوز حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه فيه أنواع الشجر المثمر والاعناب جمع عنب أي كروم أعناب والتنكير يدل على تعظيم ذلك العنب قال المحلي وأعنابا عطف على مفازا أي ذكرت بعد الحدائق تنويها لعظم شأنها والافهي من جملة الحدائق قال القاري وهذا بعيد جدا والظاهر عطفه على حدائق وكذا كواعب وكأسا انتهى (وكواعب أترابا) الكواعب جمع كاعب وهي الناهدة قال ابن عباس أي نواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعيبا وكعوبا ونهدت تنهد نهودا والمراد أن لهم نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت حتى صارت كالكعب في صدورهن أي استدارت مع ارتفاع يسير قال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم تحقيقه في سورة البقرة وقال ابن عباس أي لدات مستويات (وكأسا دهاقا) قال الحسن وقتادة وابن زيد أي مترعة مملوءة يقال أدهقت الكأس أي ملأتها وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد دهاقا متتابعة يتبع بعضها بعضا وقال زيد بن أسلم دهاقا صافية قال ابن عباس دهاقا ممتلئا وعنه قال هي الممتلئة المترعة المتتابعة وربما سمعت العباس يقول يا غلام اسقنا وأدهق لنا وعنه قال دهاقا

قلت ليكون ذلك تهديد القاتلها فانه اذا سئل المظلوم فما ظن الظالم اذن وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واذا الموؤدة سئلت أي سألت وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدمها وعن السدي وقتادة مثله وقد وردت أحاديث تتعلق بالموؤدة فقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الاسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول لقد هممت ان أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم ولا (١٦٨) يضر أولادهم ذلك شيأ ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفي وهو الموؤدة سئلت ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي أيوب ورواه أيضا ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن اسحق السيلحيني عن يحيى بن أيوب ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبي الاسود به وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال انطلقت أنا وأخي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيأ قال لا قلنا فانها كانت وأدت أختا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيأ قال الوائدة والموؤدة في النار الا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيدي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن علقمة وأبي الاحوص عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار وقال أحمد أيضا حدثنا اسحق الازرق أخبرنا عوف حدثتني خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قالت قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموؤدة في الجنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول قيل يا رسول الله من في الجنة قال الموؤدة في الجنة هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال

دراكا وعنه قال اذا كان فيها خمر فهي كأس واذا لم يكن فيها خمر فليس بكأس (لا يسمعون) حال من المتقين (فيها) أي في الجنة عند شرب الخمر وغيره من الاحوال (لغوا) وهو الباطل من الكلام (ولا كذابا) أي لا يكذب بعضهم بعضا قرأ الجمهور كذابا مشددا وقرأ الكسائي هنا مخففا ووافق الجماعة على التشديد في الآية المتقدمة للتصريح بفعله المشدد هناك وقد قدمنا الخلاف في كذابا هل هو من مصادر التفعيل أو من مصادر المفاعلة (جزاء من ربك) أي جازاهم بما تقدم ذكره جزاء قال الزجاج المعنى جزاهم جزاء أي بمقتضى وعده وكذا (عطاء) أي وأعطاهم عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وقيل عطاء بدل من جزاء أي بدل كل من كل وفي ابداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة له (حسابا) قال أبو عبيدة كافيا فهو مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو هو على حذف مضاف وقال ابن قتيبة كثيرا يقال أحسبت فلانا أي أكثرت له العطاء قال الزجاج حسابا أي ما يكفيهم قال الاخفش يقال أحسبني كذا أي كفاني قال الكلبي حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا وقال مجاهد حسابا لما عملوه فالحساب بمعنى القدر أي بقدر ما وجب له في وعد الرب سبحانه فانه وعد للحسنة عشرا ووعد لقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقرأ أبو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين أي كفافا قال الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا أكرمته وفي القاموس حسبك درهم كفاك وشئ حساب كاف ومنه عطاء حسابا وأحسبه أرضاه وعبارة المصباح وأحسبه كفاه وقرأ ابن عباس حسانا بالنون (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) قرئ بخفض رب والرحمن على ان رب بدل من ربك والرحمن صفة له وقرئ برفعهما على ان رب مبتدأ والرحمن خبره أو الرحمن صفته ولا يملكون خبره أو على ان رب خبر مبتدا مقدر أي هو رب والرحمن صفته أو على ان رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبر المبتدا الثاني والجملة خبر المبتدا الاول وقرأ ابن عباس وحمزة والكسائي بخفض الاول ورفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف أي هو الرحمن واختار هذه القراءة أبو عبيد وقال هذه أعدلها فخفض رب لقربه من ربك فيكون نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستئناف وخبره قوله (لا يملكون) أي الخلق (منه) تعالى أن يسألوا

قال ابن عباس أطفال المشركين في الجنة فمن زعم انهم في النار فقد كذب لقول الله تعالى واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت قال ابن عباس هي المدفونة وقال عبد الرزاق اخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى وأدت بنات لى فى الجاهلية قال أعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يارسول الله انى صاحب ابل قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه الا عن الحسين بن مهدى عنه وقد رواه (١٦٩) ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الطهرانى فيما كتب الى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله الا انه قال وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية وقال فى آخره فأهد ان شئت عن كل واحدة بدنة ثم قال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس ابن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس ابن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى وأدت اثنتى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة قال أعتق عددهن نسما قال فأعتق عددهن نسما فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومى على اثر ما صنعت بالمسلمين قال على بن أبى طالب فكنا نريحها ونسميها القيسية وقوله تعالى واذا الصحف نشرت قال الضحاك أعطى كل انسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته وقوله تعالى واذا السماء كشطت قال مجاهد اجتذبت وقال السدى كسفت وقال الضحاك

تنكشط فتذهب وقوله تعالى واذا الجحيم سعرت قال السدى أحميت وقال قتادة أوقدت قال وانما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم وقوله تعالى واذا الجنة أزلفت قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت الى أهلها وقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت هذا هو الجواب أى اذا وقعت هذه الامور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وقال تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما

الا فيما اذن لهم فيه (خطابا) بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام أى لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه خوفا الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار وأما المؤمنون فيشفعون والجملة مستأنفة مقررة لما تفيده الربوبية العامة من العظمة والكبرياء (يوم يقوم الروح والملائكة) الظرف منتصب بلا يملكون أو بلا يتكلمون وقوله (صفا) منتصب على الحال أى مصطفين أو على المصدرية أى يصفون صفا والجملة حالية أو مستأنفة لتقرير ما قبله واختلف فى الروح على أقوال ثمانية فقيل انه ملك من الملائكة أعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وقيل هو جبريل قاله الشعبى والضحاك وسعيد بن جبير وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة قاله أبو صالح ومجاهد وعن ابن عباس مثله مرفوعا وزاد لهم رؤس وأيد وأرجل ثم قرأ هذه الآية وقال هؤلاء جند وهؤلاء جند أخرجه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وقيل هم أشراف الملائكة قاله مقاتل بن حيان وقيل هم حفظة على الملائكة قاله ابن أبى نجيح وقيل هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقيل هم أرواح بنى آدم تقوم صفا وتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجسام قاله عطية العوفى وقيل انه القرآن قاله زيد بن أسلم وقال ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وعن ابن مسعود قال الروح فى السماء الرابعة وهو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجىء يوم القيامة صفا واحدا أخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال ان جبريل يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله يقول سبحانك لا اله الا أنت ما عبدناك حق عبادتك ما بين منكبيه كما بين المشرق والمغرب أما سمعت قول الله يوم يقوم الروح والملائكة صفا أخرجه أبو الشيخ وعنه قال يقول حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل ان ترد الروح الى الاجساد أخرجه البيهقى فى الاسماء والصفات (لا يتكلمون) أى الخلائق ثم خوفا واجلالا لعظمة الله جل جلاله من هول ذلك اليوم ولا يشفعون لاحد (الا من أذن له الرحمن) بالشفاعة أو لا يتكلمون الا فى حق من أذن له الرحمن (و) كان ذلك الشخص ممن (قال صوابا) قال الضحاك ومجاهد صوابا يعنى حقا وقال أبو صالح لا اله الا الله وبه قال ابن عباس وأصل الصواب السداد من

نزلت اذا الشمس كورت قال عمر لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال لهذا أجرى الحديث (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد ابن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ فلا أقسم

بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الاسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي اسحق عن رجل من مراد عن علي فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد ابن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا اسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم وروى يونس عن أبي اسحق عن الحرث عن علي انها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم انها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق وقال بعض الائمة انما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه وقال الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار

القول والفعل قيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا هيبة واجلالا الا من أذن له الرحمن منهم في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا قال الحسن ان الروح يقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة الا بالروح ولا النار الا بالعمل قال الواحدي فهم لا يتكلمون يعني الخلق كلهم الا من أذن له الرحمن وهم المؤمنون والملائكة وقال في الدنيا صوابا أي شهد بالتوحيد قال البيضاوي قوله لا يتكلمون الخ تقرير وتأكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم والاشارة بقوله (ذلك) الى يوم قيامهم على تلك الصفة وهو مبتدأ وخبره (اليوم الحق) أي الكائن الواقع المتحقق الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي مرجعا يرجع اليه بالعمل الصالح لانه اذا عمل خيرا قربه الى الله واذا عمل شرا باعده منه قال قتادة مآبا سبيلا قال أبو السعود الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف وقوله الى ربه أي الى ثوابه وهو متعلق بمآبا كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال انتهى ثم زاد سبحانه في تخويف الكفار فقال (انا انذرناكم) يا كفار مكة (عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت فهو قريب ومثله قوله كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كذا قال الكلبي وغيره وقال قتادة هو عذاب الدنيا لانه أقرب العذابين قال مقاتل هو قتل قريش ببدر والاول أولى لقوله (يوم ينظر المرء) أي كل امرئ مسلما كان أو كافرا (ما قدمت يداه) أي يشاهد كل ما قدمه من خير أو شر لقوله ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدي لان أكثر الاعمال يقع بها وان احتمل أن لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من الآثام وما موصولة أو استفهامية قال الحسن والمرء هنا هو المؤمن أي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا وقيل المراد به الكافر على العموم وقيل أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط والاول أولى لقوله (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) فان الكافر واقع في مقابلة المرء والمراد جنس الكافر يتمنى أن يكون ترابا لما يشاهده مما قد أعده الله له من أنواع العذاب والمعنى انه

يتمنى انه كان ترابا فى الدنيا فلم يخلق ولم يكلف أو ترابا يوم القيامة فلم يبعث وقيل المراد بالكافر أبو جهل وقيل أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى وقيل ابليس والاول أولى اعتبارا بعموم اللفظ ولا ينافيه خصوص السبب كما تقدم غير مرة ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم عن أبى هريرة قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عذاب الله ان يؤخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث والنشور وأما الجن فقال أبو الزناد يعودون ترابا أيضا وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها والذى عليه الاكثرون انهم مكلفون مثابون ومعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار كبنى آدم ذكره الخطيب والله أعلم بالصواب

*(سورة النازعات وتسمى سورة الساهرة خمس أوست
وأربعون آية وهى مكية بلا خلاف)*

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا) اقسم سبحانه بهذه الاشياء التى ذكرها وهى الملائكة التى تنزع أرواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد وكذا المراد بالناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات يعنى الملائكة والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى وانما جاءت هذه الاقسام بلفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع انهم ليسوا اناثا لان المقسم به طوائف من الملائكة والطوائف جمع طائفة وهى مؤنثة وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال السدى النازعات هى النفوس حين تغرق فى الصدور وقال مجاهد هى الموت ينزع النفس وقال قتادة هى النجوم تنزع من أفق الى أفق من قولهم نزع اليه اذا ذهب أو من قولهم نزعت بالحبل أى انها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر وبه قال أبو عبيدة والاخفش وابن كيسان وقال عطاء وعكرمة النازعات القسى تنزع بالسهام واغراق النازع فى القوس ان يمده غاية المد حتى ينتهى به الى النصل وقيل أراد بالنازعات الغزاة الرماة واصحاب

الكنس ماهى ياعمرو قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبى اسحق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسى عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس الى الظل وكذا قال سعيد بن جبير وقال العوفى عن ابن عباس هى الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هى الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم اخبرنا مغيرة عن ابراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال ابراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت قال فقال مجاهد ما نسمع فيها شيأ وناس يقولون انها النجوم قال فقال ابراهيم قل فيها بما سمعت قال فقال مجاهد كنا نسمع انها بقر الوحش حين تكنس فى حجرتها قال فقال ابراهيم انهم يكذبون على على هذا كما رووا عن على انه ضمن الاسفل الاعلى والاعلى الاسفل وتوقف ابن جرير فى المراد بقوله الخنس الجوار الكنس هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا وقوله تعالى والليل اذا عسعس فيه قولان أحدهما اقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير اذا انشأ وقال الحسن البصرى اذا غشى الناس وكذا قال عطية العوفى وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس اذا عسعس اذا أدبر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن اذا عسعس اذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى سمع أبا عبد الرحمن السلمى قال خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال أين السائلون عن الوتر والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس هذا (١) حين دبر حسن وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله اذا عسعس اذا أدبر قال لقوله والصبح اذا تنفس أى أضاء واستشهد بقول الشاعر أيضا

حتى اذا الصبح له تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أى أدبر وعندى ان المراد بقوله اذا عسعس اذا أقبل وان كان يصح استعماله فى الادبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه اذا أقبل وبالفجر وضيائه اذا أشرق كما قال تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى والضحى والليل اذا سجى وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا وغير ذلك من الآيات وقال كثير من علماء الاصول ان لفظة عسعس تستعمل فى الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح

(١) قوله حين دبر حسن كذا بالاصول وحرر اه

أن يراد كل منهما والله أعلم قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم وقال الفراء كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا

عسعس حتى لو يشا ادنا * كان له من ضوءه مقبس

يريد لو يشاء اذدنا أدغم الذال في الدال قال الفراء وكانوا يزعمون ان هذا البيت مصنوع وقوله تعالى والصبح اذا تنفس قال الضحاك اذا طلع وقال قتادة اذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير اذا نشأ وهو المروي عن علي رضي الله عنه وقال ابن جرير يعني ضوء النهار اذا أقبل وتبين وقوله تعالى انه لقول رسول (١٧٢) كريم يعني ان هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم ذي قوة كقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة أي شديد الخلق شديد البطش والفعل عند ذي العرش مكين أي له مكانة عند الله عزوجل ومنزلة رفيعة قال أبو صالح في قوله تعالى عند ذي العرش مكين قال جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير اذن مطاع ثم أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الاعلى قال قتادة مطاع ثم أي في السموات يعني ليس هو من افناد الملائكة بل هو من السادة والاشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة وقوله تعالى أمين صفة لجبريل بالامانة وهذا عظيم جدا ان الرب عزوجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما صاحبكم بمجنون قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزوجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح بالافق المبين أي البين وهي الرؤية الاولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه ان المراد بذلك جبريل عليه السلام والظاهر والله أعلم ان هذه السورة نزلت قبل ليلة الاسراء لانه لم يذكر فيها الا هذه الرؤية وهي الاولى وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى

غرقا على انه مصدر محذوف الزوائد اي اغراقا والناصب له ماقبله لملاقاته له في المعنى اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد او على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشئ يغرق فيه اذا اوغل فيه وبلغ غايته وعن علي قال هي الملائكة تنزع ارواح الكفار وعن ابن عباس قال هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار وقال ابن مسعود الملائكة الذين يلون أنفس الكفار (و) معنى (الناشطات نشطا) انها تنشط النفوس أي تخرجها من الاجساد كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه حلا رفيقا ونشط الرجل الدلو من البئر اذا أخرجها والنشاط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة للعقدة التي يسهل حلها قال أبو زيد نشطت الحبل أنشطه نشطا عقدته وأنشطته أي حللته وأنشطت الحبل أي مددته قال الفراء أنشط العقال اي حل ونشط اي ربط الحبل في يديه قال الاصمعي بئر انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط وهي التي لايخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان وبه قال ابن عباس وقال السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين وقال عكرمة وعطاء هي الاوهاق التي تنشط السهام وقال قتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب قال في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها وقال أبو عبيدة وقتادة هي الوحوش حين تنشط من بلد الى بلد وقيل الناشطات لأرواح المؤمنين والنازعات لأرواح الكافرين لانها تجذب روح المؤمن برفق وتجذب روح الكافر بعنف وقوله نشطا مصدر وكذا سبحا وسبقا قال علي هي الملائكة تنشط ارواح الكفار ما بين الاظفار والجلد حتى تخرجها وعن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتمزق الناس فتمزقك كلاب النار قال الله والناشطات نشطا تدري ماهو قلت يانبي الله ماهو قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم أخرجه ابن مردويه (والسابحات سبحا) هي الملائكة تسبح في الابدان لاخراج الارواح كما يسبح الغواص في البحر لاخراج شئ منه يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقال مجاهد وأبو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله كما يقال للفرس الجواد

السدرة ما يغشى فتلك انما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أي بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر والظنين المتهم والضنين البخيل وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد قلت وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم وقوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم أي (١٧٣) وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وقوله تعالى فأين تذهبون أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيأ من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال ويحكم أين تذهب عقولكم والله ان هذا الكلام لم يخرج من إل أي من اله وقال قتادة فأين تذهبون اى عن كتاب الله وعن طاعته وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون لمن شاء منكم أن يستقيم أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين أي ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى لما نزلت هذه الآية لمن شاء منكم أن يستقيم قال أبو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد

(تفسير سورة الانفطار وهي مكية) قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الاعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يا معاذ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر اذا السماء انفطرت في أفراد النسائي وقد تقدم من رواية عبد الله

سابح اذا أسرع في جريه وقال مجاهد أيضا السابحات الموت يسبح في نفوس بني آدم وقيل هي الخيل السابحة في الغزو وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في أفلاكها كما في قوله وكل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن تسبح في الماء وقيل هي أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى الله وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والارض (فالسابقات سبقا) هم الملائكة على قول الجمهور كما سلف قال مسروق ومجاهد تسبق الملائكة الشياطين بالوحي الى الانبياء وقال أبو روق هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وروي نحوه عن مجاهد وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة وقال الربيع هي أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة شوقا الى الله وقال علي كرم الله وجهه هي الملائكة يسبق بعضها بعضا بأرواح المؤمنين الى الله تعالى وقال مجاهد أيضا هو الموت يسبق الانسان وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم يسبق بعضها في السير بعضا وقال عطاء هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل هي الارواح التي تسبق الاجساد الى الجنة أو النار قال الجرجاني عطف السابقات بالفاء لانها مسببة عن التي قبلها أي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب بالواو لم يكن القيام سببا للذهاب قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله الآتي فالمدبرات أمرا لانه يبعد أن يجعل السبق سببا للتدبير قال الرازي ويمكن الجواب عما قاله الواحدي بانها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض كقوله قام زيد فذهب فضرب عمرا ولما سبقوا في الطاعات وسارعوا اليها ظهرت أمانتهم ففوض اليهم التدبير ويجاب عنه بان السبق لا يكون سببا للتدبير كسببية السبح للسبق والقيام للذهاب ومجرد الاتصال لا يوجب السببية والمسببية والاولى ان يقال العطف بالفاء في المدبرات طوبق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء ولا يحتاج الى نكتة كما احتاج اليها ما قبله لان النكتة انما تطلب لمخالفة اللاحق للسابق لا لمطابقته وموافقته (فالمدبرات أمرا) قال علي هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة الى السنة وعنه يدبرون ذكر الرحمن وأمره وقال ابن عباس ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم فمنهم من يعرج بالروح ومنهم من يؤمن على الدعاء ومنهم من يستغفر

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينظر الى القيامة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) يقول تعالى اذا السماء انفطرت أى انشقت كما قال تعالى السماء منفطر به واذا الكواكب انتثرت (١٧٤) أى تساقطت واذا البحار فجرت قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها وقال الكلبى ملئت واذا القبور بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها علمت نفس ما قدمت وأخرت أى اذا كان هذا حصل هذا وقوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من انه ارشاد الى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق به كما جاء فى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم ما غرك بى ابن آدم ماذا أجبت المرسلين قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان ان عمر سمع رجلا يقرأ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فقال عمر الجهل وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم قال ابن عمر غره والله جهله وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم دى

والحسن مثل ذلك وقال قتادة ما غر ابن آدم بربك الكريم شئ ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان وقال الفضيل بن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك المرخاة وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم قال البغوى وقال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لانه انما أتى باسمه الكريم لينبه على انه لا ينبغى ان يقابل الكريم بالافعال القبيحة وأعمال الفجور وقد حكى البغوى عن الكلبى

للميت حتى يصلى عليه ويدلى فى حفرته قال القشيرى اجمعوا على أن المراد هنا الملائكة وقال الماوردى فيه قولان أحدهما الملائكة وهو قول الجمهور والثانى انها الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفى تدبيرها الامر وجهان أحدهما تدبر طلوعها وأفولها الثانى تدبر ما قضاه الله فيها من الاحوال ومعنى تدبير الملائكة للامر نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما والفاعل للتدبير فى الحقيقة وان كان هو الله عز وجل لكن لما نزلت الملائكة به وصفت به وقيل ان الملائكة لما أمرت بتدبير أهل الارض فى الرياح والامطار وغير ذلك قيل لها مدبرات قال عبد الرحمن بن سابط تدبير أمر الدنيا الى أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فوكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وجواب القسم بهذه الامور التى أقسم الله بها محذوف أى والنازعات وكذا وكذا لتبعثن قال الفراء وحذف لمعرفة السامعين به ويدل عليه قوله أئذا كنا عظاما نخرة وقيل ان جواب القسم قوله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى أى ان فى يوم القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى قال ابن الانبارى وهذا قبيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل جواب القسم هل أتاك حديث موسى لان المعنى قد أتاك وهذا ضعيف جدا وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقال السجستانى يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الانبارى وهذا خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام والاول أولى وقال الكرخى الفاء فيهما للدلالة على ترتبهما بغير مهلة وهو من عطف المقسم به والمعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الأخر اليه (يوم ترجف الراجفة) انتصاب هذا الظرف بالجواب المقدر للقسم أو باضمار اذكر والراجفة المضطربة يقال رجف يرجف اذا اضطرب والمراد هنا الصيحة العظيمة التى فيها تردد واضطراب كالرعد وهى النفخة الاولى التى يموت بها جميع الخلائق قاله ابن عباس (تتبعها الرادفة)

ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الآية في الاسود بن شريق ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقب في الحالة الراهنة فانزل الله تعالى ما غرك بربك الكريم وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك أي ما غرك بالرب الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها في احسن الهيئات والاشكال قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال قال الله عز وجل بني آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل

هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون عن جرير ابن عثمان به قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن شوذب بن يزيد عن عبد الرحمن ابن ميسرة وقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك قال مجاهد في اي شبه أب أو أم أو خال أو عم وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاري حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى ابن علي بن رباح حدثني أبي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما ولد لك قال يا رسول الله ما عسى ان يولد لي اما غلام واما جارية قال فمن يشبه قال يا رسول الله عسى ان يشبه اما اباه واما امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندها مه لا تقولن هكذا ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك قال سلكك وهكذا رواه ابن ابي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية ولكن اسناده ليس بالثابت لان مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاما اسود قال هل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها من أورق قال نعم قال فأنى أتاها ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق قال وهذا عسى أن يكون نزعه عرق وقد قال عكرمة في قوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك ان شاء في صورة قرد وان شاء في صورة خنزير وكذا قال أبو صالح في أي صورة ما شاء ركبك ان

هي النفخة الثانية التي تكون عند البعث قاله ابن عباس وبينهما أربعون سنة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وسميت رادفة لانها ردفت النفخة الاولى كذا قال جمهور المفسرين وقال ابن زيد الراجفة الارض والرادفة الساعة وقال مجاهد الراجفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وقيل الراجفة اضطراب الارض والرادفة الزلزلة وأصل الرجفة الحركة وليس المراد التحرك هنا فقط بل الراجفة هنا مأخوذة من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اذا ظهر صوته ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وظهور الاصوات فيها ومحل تتبعها الرادفة النصب على الحال من الراجفة والمعنى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها وعن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترجف الارض رجفا وتزلزل بأهلها وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة يقول مثل السفينة في البحر تكفأ باهلها مثل القنديل المعلق بارجائها اخرجه ابو الشيخ وابن مردويه والديلمي (قلوب يومئذ واجفة) قلوب مبتدأ ويومئذ منصوب بواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة اي قلوب مضطربة خائفة قلقة خافقة لما عاينت من اهوال يوم القيامة قال جمهور المفسرين اي خائفة وجلة وقال ابن عباس وجلة متحركة وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة وقال المبرد مضطربة يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا والايجاف السير السريع فأصل الوجيف اضطراب القلب وقال ابن عباس خائفة (أبصارها) مبتدأ ثان وخبره (خاشعة) والجملة خبر الاول وفي الكلام حذف مضاف تقديره أبصار أصحاب القلوب ذليلة والضمير راجع الى اصحاب القلوب فهو من الاستخدام والمراد أنها تظهر عليهم الذلة والخشوع عند معاينة اهوال يوم القيامة كقوله خاشعين من الذل قال عطاء يريد أبصار من مات على غير الاسلام ويدل على هذا ان السياق في منكري البعث (يقولون ائنا لمردودون في الحافرة) هذا حكاية لما يقوله المنكرون للبعث في الدنيا استهزاء وانكارا

شاء في صورة كلب وان شاء في صورة حمار وان شاء في صورة خنزير وقال قتادة في اى صورة ما شاء ركبك قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء ان الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة وقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين اى انما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب وقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يعني وان عليكم للملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغائط فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن اسمعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان الى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا الا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث قلت وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لا أعرف حقيقة أمره وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحق بن سليمان البغدادي المعروف بالطوسي حدثنا تبان بن جمران حدثنا سلام عن

للبعث اذا قيل لهم انكم تبعثون اى أنرد الى اول حالنا وابتداء امرنا فنصير أحياء بعد موتنا يقال رجع فلان في حافرته اى رجع من حيث جاء والحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتداء الامر ومنه قولهم رجع فلان على حافرته أي على الطريق الذي جاء منه يقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهي الصفقة ويقال اقتتل القوم عند الحافرة اى عند اول ما التقوا وسميت الطريق التي جاء منها حافرة لتأثيره فيها بمشيه فيها فهي حافرة بمعنى محفورة وقيل الحافرة العاجلة والمعنى أنا لمردودون الى الدنيا وقيل الحافرة جمع حافر بمعنى القدم أي أنمشي احياء على اقدامنا ونطأ بها الارض وقيل فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على النسب اى ذات حفر والمراد الارض وقيل الحافرة الارض التي يحفر فيها قبورهم والمعنى أنا لمردودون في قبورنا احياء كذا قال الخليل والفراء وبه قال مجاهد وقال ابن زيد الحافرة النار واستدل بقوله تلك اذا كرة خاسرة قال ابن عباس في الحافرة أي الحياة وعنه قال خلقا جديدا قرأ الجمهور في الحافرة وقرأ ابو حيوة في الحفرة ثم زادوا في الاستبعاد بقولهم (أئذا كنا عظاما نخرة) اى بالية متفتتة يقال نخر العظم بالكسر اذا بلي وهذا تأكيد لانكار البعث اى كيف نرد أحياء ونبعث اذا كنا عظاما نخرة والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحياة قرأ الجمهور نخرة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ناخرة واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم والثانية الفراء وابن جرير وابو معاذ النحوي قال ابو عمرو بن العلاء الناخرة التي لم تنخر بعد أي لم تبل ولا بد ان تنخر وقيل هما بمعنى تقول العرب نخر الشئ فهو ناخر ونخر وطمع فهو طامع وطمع ونحو ذلك قال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرأت فحسن وقيل الناخرة التي أكلت اطرافها وبقيت أوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اى مرفوتة كما في قوله رفاتا وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت وقد قرئ اذا كنا وأئذا كنا بالاستفهام وبعدمه ثم ذكر سبحانه عنهم قولا آخر قالوه فقال (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران والمعنى انهم قالوا ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد وهذا استهزاء منهم وقيل معنى خاسرة كاذبة أي ليست بكائنة كذا قال الحسن وغيره وقال الربيع بن أنس خاسرة على من كذب بها وقال قتادة ومحمد بن كعب أي لئن رجعنا بعد الموت لنخسرن بالدار

منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يعرفون بني آدم وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجا الليلة فلان واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان ثم قال البزار سلام هذا أحسبه سلام المدايني وهو لين الحديث (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) يخبر تعالى عما يصير الابرار اليه من النعيم وهم الذين اطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام ابن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي اسحق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله الابرار لانهم بروا الآباء والابناء ثم ذكر ما يصير اليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال يصلونها يوم الدين أي يوم الحساب والجزاء والقيامة وما هم عنها بغائبين أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون الى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا وقوله تعالى وما أدراك ما يوم الدين تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى ثم ما أدراك ما يوم الدين ثم فسره بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيأ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه الا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ونذكر ههنا حديث يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيأ وقد تقدم في آخر سورة الشعراء ولهذا قال والامر يومئذ لله كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكقوله مالك يوم الدين قال قتادة يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله والامر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد وبه الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة آخر تفسير سورة الانفطار

(سورة المطففين وهي مدنية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله

بالنار وانما قالوا هذا لانهم أوعدوا بالنار والكرة الرجعة والجمع كرات وقوله (فانما هي زجرة واحدة) تعليل لما يدل عليه ما تقدم من استبعادهم لبعث العظام النخرة واحياء الاموات والمعنى لا تستبعدوا ذلك فانما هي زجرة واحدة وكان ذلك الاحياء والبعث والمراد بالزجرة الصيحة وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها وقيل ان الضمير في انما هي راجع الى الرادفة المتقدم ذكرها التي يعقبها البعث وسميت هذه النفخة زجرة لانه يفهم منها النهي عن التخلف والمنع منه وعبارة الخطيب وعبر بالزجرة لانها أشد من النهي لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا (فاذا هم بالساهرة) اي فاذا الخلائق الذين قد ماتوا ودفنوا احياء على وجه الارض قال الواحدي المراد بالساهرة وجه الارض وظاهرها في قول الجميع قال الفراء سميت بهذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم وقيل لانه يسهر في فلاتها خوفا منها فسميت بذلك قال في الصحاح الساهرة وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة وقال الساهرة أرض بيضاء وقيل أرض من فضة لم يعص الله فيها وقيل الساهرة الارض السابعة يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق وقال سفيان الثوري الساهرة أرض الشام أو أرض مكة أو ارض القيامة وقال قتادة هي جهنم أي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم وقال ابن عباس هي وجه الارض وفي لفظ الارض كلها ساهرة وجملة (هل أتاك حديث موسى) مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه وانه يصيبهم مثل ما أصاب من كان قبلهم ممن هو أقوى منهم ومعنى هل أتاك قد جاءك وبلغك وهذا على تقدير أن قد سمع من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثهما وعلى تقدير ان هذا اول ما نزل عليه في شأنهما فيكون المعنى على الاستفهام اذ لا وجه لحمله على الاقرار حينئذ اي هل أتاك حديثه انا أخبرك به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) الظرف متعلق بحديث لا بأتاك لاختلاف وقتيهما وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية والوادي المقدس المبارك المطهر غاية الطهر بتشريف الله له بانزال النبوة فيه المفيضة للبركات قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر سمي طوى لانه طوي فيه الشر عن بني اسرائيل أو لان موسى طواه بالليل اذ أمر به فارتفع الى أعلى الوادي وقيل واد بالشام عند الطور بين ايلة ومصر وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر قاله الفراء قال والصرف

عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فحسنوا الكيل بعد ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيد الله بن الحرث عن هلال بن طلق قال بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلا أهل مكة أو أهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول ويل للمطففين وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال له رجل يا أبا عبد الرحمن ان أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم ان يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى ويل للمطففين حتى

بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان اما بالازدياد ان اقتضى من الناس واما بالنقصان ان قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس أي من الناس يستوفون أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون والاحسن ان يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا وقال تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وقال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال تعالى متوعدا لهم ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم أي أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارا حامية وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه قال الامام مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون

أحب الى اذ لم أجد في المعدول نظيرا له وقيل طوى معناه بالعبرانية يا رجل فكأنه قيل يا رجل وقيل المعنى ان الوادي المقدس بورك فيه مرتين والاول أولى وقد مضى تحقيق القول فيه قرئ طوى بالتنوين وتركه وهما سبعيتان قال الجوهري طوى اسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم ويصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة (اذهب الى فرعون) قيل هو على تقدير القول وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه نداء هو قوله اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويؤيده قراءة ابن مسعود أن اذهب لان في النداء معنى القول وجملة (انه طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال أي جاوز الحد في العصيان والفساد والتكبر والكفر بالله قال الرازي ولم يبين انه طغى في أي شئ فقيل تكبر على الله وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم (فقل هل لك الى ان تزكى) أي قل له بعد وصولك اليه هل لك رغبة الى التزكي وهو التطهر من الشرك وأصله تتزكى قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي على ادغام التاء في الزاي قال أبو عمرو بن العلاء معنى قراءة التخفيف تكون زكيا مؤمنا ومعنى قراءة التشديد الصدقة وفي الكلام مبتدأ مقدر تتعلق به الى والتقدير هل لك رغبة أو توجه أو سبيل الى التزكي ومثل هذا قولهم هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في الخير وقال ابن عباس هل لك ان تقول لا اله الا الله وقيل معناه هل لك ان تسلم وتصلح العمل أمر عليه السلام ان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا نوع تفصيل لقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وأهديك الى ربك فتخشى) أي أرشدك الى عبادته وتوحيده فتخشى عقابه والفاء لترتيب الخشية على الهداية لان الخشية لا تكون الا من مهتد راشد قال ابن عطاء الخشية أتم من الخوف لانها صفة العلماء في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به رواه السلمي وعن الواسطي أوائل العلم الخشية ثم الاجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم من تحقق بالخوف ألهاه خوفه عن كل مفروح به وألزمه الكمد الى ان يطهره الأمن من خوفه ذكره الكرخي (فأراه الآية الكبرى) هذه الفاء هي الفصيحة لافصاحها عن كلام محذوف يعني فذهب فقال له ما قال مما حكاه الله في غير موضع وأجاب عليه بما أجاب الى ان قال ان كنت جئت

كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عزوجل يوم القيامة حتى ان العرق ليلجم الرجال الى انصاف آذانهم * حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الاسود الكندي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧٩) يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما رواه مسلم عن الحكم ابن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به * حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية ابن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق انفرد به أحمد * حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حيي بن يؤمن انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ الى نصف الساق ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ وسط فيه وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده اشارة انفرد به أحمد وفي حديث انهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضي بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

بآية فأت بها فعند ذلك أراه الآية الكبرى واختلف فيها ما هي فقيل العصا وقيل يده وقيل فلق البحر وقيل هي جميع ما جاء به من الآيات التسع والاول أولى ثم اليد والاكثرون على انه أراه العصا واليد وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادهما معنى أو أراد بالكبرى العصا وحدها لانها كانت مقدمة على الاخرى ولا ينافي هذا قوله في الآية الاخرى ولقد أريناه آياتنا كلها وكل آية كبرى لان الاخبار هنا عما أراه أول ملاقاته اياه وهو العصا واليد ثم أردف ذلك برؤية الكل ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعده (فكذب وعصى) أي فلما أراه الآية الكبرى كذب فرعون بموسى وبما جاء به وعصى الله عزوجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر فلم يطعه (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان وأتى بثم لان ابطال الامر ونقضه يقتضي زمانا طويلا (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى وقيل أدبر هاربا من الحية يسعى خوفا منها وقال الرازي معنى أدبر يسعى أقبل يسعى كما يقال أقبل يفعل كذا أي أنشأ يفعل كذا فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال ويسعى حال من الضمير في أدبر (فحشر) أي فجمع جنوده للقتال والمحاربة أو جمع السحرة للمعارضة أو جمع الناس للحضور ليشاهدوا ما يقع أو جمعهم ليمنعوه من الحية (فنادى فقال أنا ربكم الاعلى) أي قال لهم بصوت عال أو أمر من ينادي بهذا القول بعد ما قال له موسى ربي أرسلني اليك والمعنى انه لا رب فوقي قال عطاء كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال أنا رب أصنامكم وقيل أراد بكونه ربهم انه قائدهم وسائدهم والاول أولى لقوله في آية أخرى ما علمت لكم من اله غيري (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) النكال نعت مصدر محذوف أي أخذه أخذ نكال أو هو مصدر لفعل محذوف أي أخذه الله فنكله نكال الآخرة والاولى أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ويجوز أن يكون انتصاب نكال على انه مفعول له أي أخذه الله لاجل نكال ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض أي بنكال ورجح الزجاج انه مصدر مؤكد قال لان معنى أخذه الله نكل الله به فأخرج من معناه لا من لفظه وقال الفراء أي أخذه الله أخذا نكالا أي

حدثنا أبو عون الزيادي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر قال بشير المستعان الله قال فاذا أويت الى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤسهم الى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم وعن ابن عمر يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحواري عن عاصم بن حميد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) يقول تعالى حقا ان كتاب الفجار لفي سجين أي ان مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى وما أدراك ما سجين أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ثم قد قال قائلون هي تحت الارض السابعة وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الارض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء وقيل بئر في جهنم وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال حدثنا اسحق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح

للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير أي عقوبة له يقال نكل فلان بفلان اذا عاقبه وأصل الكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد والمراد بنكال الآخرة عذاب النار ونكال الاولى عذاب الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب أول عمره وآخره وقال قتادة الآخرة قوله أنا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى وقيل الآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري قاله ابن عباس وكان بين الكلمتين أربعون سنة قاله ابن عمرو (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لمن) شأنه ان (يخشى) الله ويتقيه ويخاف عقوبته ويحاذر غضبه (أأنتم أشد خلقا أم السماء) اي اخلقكم بعد الموت وبعثكم اشد عندكم وفي تقديركم ام خلق السماء والخطاب لكفار مكة والمقصود به التوبيخ لهم والتبكيت لان من قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بين للناظرين كيف يعجز عن اعادة الاجسام التي اماتها بعد أن خلقها اول مرة ومثل هذا قوله سبحانه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم بين سبحانه كيفية خلق السماء فقال (بناها) اي جعلها كالبناء المرتفع فوق الارض (رفع سمكها) اي اعلاه في الهواء وهذا بيان للبناء اوجعل مقدار ذهابها وارتفاعها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام يقال سمكت الشئ أي رفعته في الهواء وسمك الشئ سموكا ارتفع قال الفراء كل شئ حمل شيأ من البناء اوغيره فهو سمك وبناء مسموك وسنام سامك اي عال والسموكات السموات وقال ابن جزي السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلي الاسفل الذي يلينا وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها قال البغوي رفع سمكها اي سقفها وليس نظر ما المراد بسقفها ويمكن أن يقال سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما ان السماء الدنيا سقف للارض تأمل قال الكسائي والفراء والزجاج تم الكلام عند قوله بناها لانه من صلة السماء والتقدير أم السماء التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز ومعنى (فسواها) جعلها مستوية الخلق معتدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا فروج ولا شقوق (وأغطش ليلها) الغطش الظلمة بلغة أنمار أي جعله مظلما يقال اغطش الليل واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه الله ورجل أغطش

والصحيح ان سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الاضيق الى المركز فى وسط الارض السابعة ولما كان مصير الفجار الى جهنم وهى أسفل السافلين كما قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال ههنا كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادراك ما سجين وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسيرا لقوله وما أدراك ما سجين وانما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أى مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد قاله محمد بن كعب القرظى ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين أى اذا صاروا يوم القيامة الى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن اعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة الذين يكذبون بيوم الدين أى لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره قال الله تعالى وما يكذب به الا كل معتد أثيم أى معتد فى أفعاله من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح والاثيم فى أقواله ان حدث كذب وان وعد اخلف وان خاصم فجر وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أى اذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد انه مفتعل مجموع من كتب الاوائل كما قال تعالى واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين وقال تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أى ليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الاولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والرين

اغطش وامرأة غطشى لا يهتديان قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه عمش ومنه فلاة غطشى لا يهتدى فيها والتغاطش التعامى واضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضافة الى السماء (واخرج ضحاها) أى أبرز نهارها المضىء باضاءة الشمس وعبر عن النهار بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها وأضافه الى السماء لانه يظهر بظهور الشمس وهى منسوبة الى السماء (والارض بعد ذلك) اى بعد خلق السماء (دحاها) بسطها يقال دحا يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا أى بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء فيكتب بالالف والياء ويقال لعش النعامة أدحى لانه مبسوط على الارض قال أمية بن الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

قيل دحيت من مكة بعد خلق السماء بألفى عام ولا معارضة بين هذه الآية وبين ما تقدم فى سورة فصلت من قوله ثم استوى الى السماء بل الجمع بانه سبحانه خلق الارض أولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحى الارض وقد قدمنا الكلام على هذا مستوفى هنالك وقدمنا أيضا بحثا فى هذا فى أول سورة البقرة عند قوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وذكر بعض أهل العلم ان بعد بمعنى مع كما فى قوله عتل بعد ذلك زنيم وقيل بعد بمعنى قبل كقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أى من قبل الذكر والجمع الذى ذكرناه أولى وهو قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وعن ابن عباس ان رجلا قال له آيتان فى كتاب الله تخالف احداهما الأخرى فقال انما أتيت من قبل رأيك قال اقرأ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين حتى بلغ ثم استوى الى السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها قال خلق الله الارض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحى الارض بعد ما خلق السماء وانما قوله دحاها بسطها وعنه قال دحاها ان أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الانهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام وما بينهما فى يومين قرأ الجمهور بنصب الارض على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء ثم فسر سبحانه الدحو فقال (أخرج منها ماءها ومرعاها) فجرت من الارض الانهار والبحار والعيون والمرعى النبات الذى يرعى والمرعى مصدر ميمى اى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز قال الشهاب والمرعى ما يأكله الحيوان غير الانسان فاريد به

يعترى قلوب الكافرين والغيم للابرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الترمذى حسن صحيح ولفظ النسائى ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال أحمد حدثنا صفوان بن علية أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اى لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم قال الامام أبو عبد الله الشافعى وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ وهذا الذى قاله الامام الشافعى رحمه الله فى غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كما دلت على ذلك الاحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة رؤية بالابصار فى عرصات القيامة وفى روضات الجنان الفاخرة لا

وقد قال ابن جرير حدثنا ابو معمر المقرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه وقوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم أى ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير (كلا ان كتاب الابرار لفى

مجازا مطلق المأكول للانسان وغيره فهو مجاز مرسل من باب استعمال المقيد فى المطلق انتهى او هو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب أو فيه جمع بين الحقيقة والمجاز وقال الكرخى يجوز أن يكون استعارة معنوية والظاهر أنه تغليب لان قوله الآتى متاعا لكم ولانعامكم وارد عليه ومن حقه ان تغلب ذوو العقول على الانعام فعكس تجهيلا لان الكلام مع منكرى الحشر بشهادة قوله ءانتم اشد خلقا كما مر كأنه قيل أيها المعاندون الداخلون فى زمرة البهائم الملزوزون فى قرنها فى تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرى والجملة اما بيان وتفسير لدحاها لان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط بل لابد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب واما فى محل نصب على الحال (والجبال ارساها) اى اثبتها فى الارض وجعلها كالاوتاد للارض لتثبت وتستقر وأن لا تميد باهلها قرأ الجمهور بنصب الجبال على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء قيل ولعل وجه تقديم ذكر اخراج الماء والمرعى على ارساء الجبال مع تقدم الارساء عليه الاهتمام بأمر المأكل والمشرب (متاعا) أى منفعة (لكم ولانعامكم) من البقر والابل والغنم وانتصاب متاعا على المصدرية أى متعكم بذلك متاعا أو هو مصدر من غير لفظه لان قوله أخرج منها ماءها ومرعاها بمعنى متع بذلك أو على انه مفعول له اى فعل ذلك لاجل التمتع وانما قال لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من الدحو واخراج الماء والمرعى كائنة لهم ولانعامهم والمرعى يعم ما يأكله الناس والدواب (فاذا جاءت الطامة) اى الداهية التى تعلو سائر الدواهى (الكبرى) أى العظمى التى تطم على سائر الطامات فالوصف بالكبرى تأسيس لا تأكيد فهى أكبر من داهية فرعون وهى قوله أنا ربكم الاعلى وهذا شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما ينبئ عنه لفظ المتاع وفى الكرخى وخص ما هنا بالطامة موافقة لما قبله من داهية فرعون ولذلك وصفت بالكبرى موافقة لقوله فأراه الآية الكبرى بخلاف ما فى عبس فانه لم يتقدمه شئ من ذلك فخصت بالصاخة وان شاركت الطامة فى أنها النفخة الثانية لانها الصوت الشديد والصوت يكون بعد الطم فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة انتهى قال الحسن وغيره هى النفخة الثانية وقال الضحاك وغيره هى القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ لعظم هولها قال المبرد الطامة عند العرب الداهية التى

علين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) يقول تعالى حقا ان كتاب الابرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين اى مصيرهم الى عليين وهو بخلاف سجين قال الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وانا حاضر عن سجين قال هي الارض السابعة وفيها أرواح الكفار وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد انها السماء السابعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين يعني الجنة وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو وكلما علا الشئ وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه وما أدراك ما عليون ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم كتاب مرقوم يشهده المقربون وهم الملائكة قاله قتادة وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها ثم قال تعالى ان الابرار لفي نعيم أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم على الارائك وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه على الارائك ينظرون الى الله عز وجل وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فذكر عن هؤلاء انهم يباحون النظر الى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وان أعلاهم لمن ينظر الى الله عز وجل في اليوم مرتين وقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي تعرف اذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم وقوله تعالى يسقون من رحيق مختوم أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المجاهد الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي

لا تستطاع وانما أخذت فيما أحسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملأ النهر كله وقال غيره هو من طم السيل الركية أي دفنها والطم الدفن قال مجاهد وغيره الطامة الكبرى هي التي تسلم أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قال ابن عباس الطامة اسم من اسماء يوم القيامة وجواب اذا قيل هو قوله فاما من طغى وقيل محذوف أي فان الامر كذلك أو عاينوا أو علموا أو أدخل اهل النار النار وأهل الجنة الجنة وقدره بعضهم بقوله كان من عظائم الشؤون مالم تشاهده العيون وقال أبو البقاء العامل فيها جوابها وهو معنى (يوم يتذكر الانسان ما سعى) لانه منصوب بفعل مضمر أي أعني يوم يتذكر أو يوم يتذكر يكون كيت وكيت وقيل ان الظرف بدل من اذا وقيل هو بدل من الطامة الكبرى ومعنى تذكر الانسان ما سعى انه يتذكر ما عمله من خير أو شر لانه يشاهده مدونا في صحائف أعماله وما مصدرية أو موصولة (وبرزت الجحيم لمن يرى) معطوف على جاءت أي أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا لا تخفى على أحد قال مقاتل فكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق وقيل لمن يرى من الكفار لا من المؤمنين والظاهر أنها تبرز لكل راء فاما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها وأما الكافر فيزداد غما الى غمه وحسرة الى حسرته قرأ الجمهور لمن يرى بالتحتية وقرأت عائشة ومالك بن دينار وعكرمة وزيد بن علي بالفوقية أي لمن تراه الجحيم أو لمن تراه أنت يا محمد وقرأ ابن مسعود لمن رأى على صيغة الفعل الماضي (فاما من طغى) أي جاوز الحد في الكفر والمعاصي (وآثر الحياة الدنيا) أي قدمها على الآخرة باتباع الشهوات المحرمات ولم يستعد لها ولا عمل عملها (فان الجحيم هي المأوى) أي مأواه والالف واللام عوض عن المضاف اليه وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية لاجل العائد من الجملة الواقعة خبرا عن المبتدا الذي هو من طغى وحسن عدم ذكر ذلك العائد كون الكلمة وقعت فاصلة ورأس آية والمعنى انها منزله الذي ينزله ومأواه الذي يأوي اليه لا غيرها ثم ذكر القسم الثاني من القسمين فقال (واما من خاف مقام ربه) اى حذر مقامه بين يدي ربه يوم القيامة لعلمه بالمبدا والمعاد قال الربيع مقامه يوم الحساب قال قتادة يقول ان لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله

سعيد الخدري أراه قد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم وايما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وايما مؤمن كساه مؤمنا ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وقال ابن مسعود في قوله ختامه مسك أي خلطه مسك وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر وكان آخر شئ جعل فيها مسك ختم بمسك وكذا قال قتادة والضحاك وقال ابراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح (١٨٤) حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابق عن أبي الدرداء ختامه مسك قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ختامه مسك قال طيبه مسك وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق الى مثله المستبقون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال عينا يشرب بها المقربون أي يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) (انما يخبر تعالى عن المجرمين انهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزؤن بهم ويحتقرونهم واذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرون بهم واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين أي واذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون الى منازلهم انقلبوا اليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون أي لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى وما أرسلوا عليهم حافظين أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين

عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان والاول أولى (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) أي زجرها عن الميل الى المعاصي والمحارم التي تشتهيها قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هي المأوى) أي المنزل الذي ينزله والمكان الذي يأوي اليه لا غيرها (يسألونك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عن الساعة أيان مرساها) أي متى وقوعها وقيامها قال الفراء أي منتهى قيامها كرسو السفينة قال أبو عبيدة ومرسى السفينة حين تنتهي والمعنى يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله وقد مضى بيان هذا في سورة الاعراف (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شئ أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها والمعنى لست في شئ من علمها وذكرها انما يعلمها الله سبحانه وهو استفهام انكار ورد لسؤال المشركين عنها أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك عنها ولست تعلمها وأنت آخر الانبياء وعلامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها والاول أولى عن علي بن أبي طالب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة فنزلت فيم أنت من ذكراها أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت مازال الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل الله فيم أنت من ذكراها الخ فانتهى فلم يسأل عنها أخرجه البزار وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وعن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر الساعة حتى نزلت هذه الآية فكف عنها أخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وغيرهم وعن ابن عباس ان مشركي مكة سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا متى الساعة استهزاء منهم فأنزل الله يسألونك عن الساعة أيان مرساها يعني مجيئها فيم أنت من ذكراها يعني ما أنت من علمها يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى ربك منتهاها يعني منتهى علمها أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن عائشة قالت كانت الاعراب اذا قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألوه عن الساعة فينظر الى أحدث انسان منهم فيقول ان يعش هذا قامت عليكم ساعتكم أخرجه ابن مردويه وجملة (الى ربك منتهاها) مستأنفة أي منتهى علمها فلا يوجد علمها عند غيره وهذا كقوله قل انما علمها عند ربي وقوله ان الله عنده علم الساعة فكيف يسألونك عنها ويطلبون منك بيان وقت قيامها

على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ولهذا قال ههنا فاليوم يعني يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك على الارائك ينظرون أي الى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم انهم

الى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله * آخر تفسير سورة المطففين

(تفسير سورة الانشقاق وهي مكية)

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة ان أبا هريرة قرأ بهم اذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به وقال البخاري حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال اسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث

(انما أنت منذر من يخشاها) اى مخوف لمن يخشى قيام الساعة وذلك وظيفتك ليس عليك غيره من الاخبار بوقت قيام الساعة ونحوه مما استأثر الله بعلمه اذ لا مدخل لتعيين وقتها في الانذار فان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فقصر حاله على الانذار فلا يتعداه الى علم الوقت وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون بالانذار وان كان منذرا لكل مكلف من مسلم وكافر قرأ الجمهور باضافة منذر الى ما بعده وقرئ بالتنوين قال الفراء كلاهما صواب كقوله بالغ أمره وموهن كيد الكافرين قال أبو علي الفارسي يجوز أن تكون الاضافة للماضي نحو ضارب زيد أمس وقال الزمخشري التنوين هو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال (كأنهم) أي كفار قريش (يوم يرونها) أي يوم يرون الساعة ويعاينونها (لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) أي يستقصرون مدة لبثهم ويزعمون انهم لم يلبثوا الا قدر آخر نهار او أوله أو قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل لم يلبثوا في قبورهم قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافته الى يوم العشية على عادة العرب يقولون آتيك الغداة أو عشيتها وآتيك العشية أو غداتها فتكون العشية في معنى آخر النهار والغداة في معنى أول النهار وزاد زاده أن الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد كان بينهما ملابسة مصححة لاضافة احداهما الى الاخرى قال المحلي وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة أي من الفواصل والجملة تقرير لما يدل عليه الانذار من سرعة مجيء المنذر به والعشية هي من الزوال الى غروب الشمس والضحى هو البكرة الى الزوال

*(سورة عبس وتسمى سورة السفرة وسورة الاعمى
وهي احدى واثنتان وأربعون آية)*

وهي مكية في قول الجميع وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت بمكة وعن ابن الزبير رضي الله عنه مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى) أي كلح بوجهه وقطب وأعرض وقرئ عبس بالتشديد وجيء في هذه المواضع بضمائر الغائب اجلالا له صلى الله عليه وآله وسلم ولطفا به لما في المشافهة بتاء الخطاب

 سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في أهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان

به بصيرا) يقول تعالى اذا السماء انشقت وذلك يوم القيامة وأذنت لربها اى استمعت لربها واطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة وحقت أى وحق لها ان تطيع أمره لانه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شئ وذل له كل شئ ثم قال واذا الارض مدت أى بسطت وفرشت ووسعت قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يارب ان هذا أخبرنى انك أرسلته الى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك فى أطراف الارض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت أى ألقت ما فى بطنها من الاموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة وأذنت لربها وحقت كما تقدم وقوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا أى انك ساع الى ربك سعيا وعامل عملا فملاقيه ثم انك ستلقى ما عملت من خير او شر ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك ملاقيه ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفى عن ابن عباس يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا وقال قتادة يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ان كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله ثم قال تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا أى سهلا بلا تعسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لا محالة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل أخبرنا

ما لا يخفى (ان جاءه الاعمى) مفعول لاجله أى لان جاءه والعامل فيه اما عبس أو تولى على الاختلاف بين البصريين والكوفيين فى التنازع هل المختار اعمال الاول أو الثانى والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار فى الثانى وقد أجمع المفسرون على ان سبب نزول الآية أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد طمع فى اسلامهم فأقبل (١) عبد الله ابن أم مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه فأعرض عنه فنزلت وعن عائشة قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت أخرجه الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وعن أنس قال جاء ابن أم مكتوم وهو يكلم أبى بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عبس الخ وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناجى عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل عليهم رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبى صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن قال يا رسول الله علمنى مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله بعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله عبس وتولى الآية فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه وقال له ما حاجتك هل تريد من شئ واذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة فى شئ أخرجه ابن جرير وابن مردويه قال ابن كثير فيه غرابة وقد تكلم فى اسناده وقال المحلى فكان بعد ذلك يقول له اذا جاء مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقال الخازن استخلفه النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته وكان من المهاجرين الاولين قيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء اقرأ الجهر (ان جاءه الاعمى

(١) قال بعض الافاضل الذى فى النووى على مسلم أن ابن أم مكتوم اسمه عبد الله بن عمرو وأم مكتوم زوجة عمرو فهى أم عبد الله ورأيت فى البخارى فى كتاب فضائل القرآن تسمية ابن أم مكتوم بعمرو وقال القسطلانى فى تفسير سورة الانسان وقال ابن أم مكتوم اسمه عبد الله أو عمرو واسم أبيه زائدة اه مصححه وابن الفقار أحمد سامه ربه

أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت فقلت أليس قال الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني به وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا معذبا فقلت أليس الله يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض انه من نوقش الحساب عذب وقال بيده على اصبعه كانه ينكت وقد رواه أيضا عن عمر بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحرث ابن الحرث أخي الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب أو من حوسب عذب قال ثم قالت انما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا محمد ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك صحيح على شرط مسلم وقوله تعالى وينقلب الى أهله مسرورا أي ويرجع الى أهله في الجنة قاله قتادة والضحاك مسرورا أي فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك العارف أن يثوب الى أهله فمسرور أو مكظوم وقوله تعالى وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي بشماله من وراء ظهره يثني يده الى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك فسوف يدعو ثبورا أي خسارا وهلاكا ويصلى سعيرا انه كان في أهله مسرورا أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما امامه فاعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل انه ظن ان لن يحور أي كان يعتقد انه لا يرجع الى الله ولا يعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما والحور هو الرجوع قال الله بلى ان ربه كان به بصيرا يعني بلى سيعيده الله كما

الاعمى على الخبر بدون الاستفهام ووجهه ما تقدم وقرأ الحسن آن جاءه بالمد على الاستفهام فهو على هذه القراءة متعلق بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه الاعمى تولى وأعرض (وما يدريك) التفت سبحانه من الغيبة الى خطاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لان المشافهة ادخل في العتاب أي أي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وجملة (لعله يزكى) مستأنفة لبيان أن له شأنا ينافي الاعراض عنه أي لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك لا من الشرك لانه أسلم قديما بمكة فالضمير في لعله راجع الى الاعمى وقيل هو راجع الى الكافر أي وما يدريك ان ما طمعت فيه ممن اشتغلت بالكلام معه عن الاعمى انه يزكى أو يذكر والاول أولى وكلمة الترجي باعتبار من وجه اليه الخطاب للتنبيه على ان الاعراض عنه مع كونه مرجوا التزكي مما لا يجوز ومثل هذه الآية قوله في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (أو يذكر) عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي أي أو يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ (فتنفعه الذكرى) اى الموعظة المسموعة منك قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على جواب الترجي أي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت ما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أي كان ذا ثروة وغنى أو استغنى عن الايمان وعما عندك من العلم الذي ينطوي عليه القرآن (فانت له تصدى) أي تصغي لكلامه والتصدي الاصغاء وقيل هو من الصدى وهو الصوت المسموع في الاماكن الخالية والاجرام الصلبة وقيل من الصدى وهو العطش والمعنى على التعرض قرأ الجمهور تصدى بالتخفيف على طرح احدى التاءين تخفيفا وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وفي هذا مزيد تنفير له صلى الله عليه وآله وسلم عن الاقبال عليهم والاصغاء الى كلامهم (وما عليك ان لا يزكى) أي أي شيء عليك في ان لا يسلم ولا يهتدي فانه ليس عليك الا البلاغ فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار ويجوز أن تكون ما نافية أي ليس عليك بأس في ان لا يتزكى من تصديت له وأقبلت عليه وتكون الجملة في محل نصب على الحال من ضمير تصدى ثم زاد سبحانه في معاتبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وأما من جاءك يسعى) أي وصل اليك حال كونه مسرعا في المجيء اليك طالبا منك ان ترشده الى الخير

بدأه وبجازيه على أعماله خيرها وشرها فانه كان به بصيرا أي عليما خبيرا (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) روى عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد ابن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الاشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون انهم قالوا الشفق الحمرة

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض فالشفق هو حمرة الافق اما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد واما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة قال الخليل بن أحمد الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق وقال الجوهري الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وقت المغرب ما لم يغب الشفق ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل ولكن صح عن مجاهد انه قال في هذه الآية فلا أقسم بالشفق هو النهار كله وفي رواية عنه أيضا انه قال الشفق الشمس رواه ابن أبي حاتم وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى والليل وما وسق أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا قال ابن جرير وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الاضداد قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وما وسق وما جمع قال الى قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا * وقد قال عكرمة والليل وما وسق يقول ما ساق من ظلمة اذا كان الليل ذهب كل شيء الى مأواه وقوله تعالى والقمر اذا اتسق قال ابن عباس اذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد والقمر اذا اتسق اذا استوى وقال الحسن اذا اجتمع اذا امتلأ وقال قتادة اذا استدار ومعنى كلامهم انه اذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق وقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قال البخاري أخبرنا [illegible] قال ابن [illegible] لتركبن طبقا عن طبق

وتعظه بمواعظ الله (وهو يخشى) حال من فاعل يسعى على التداخل أو من فاعل جاءك على الترادف أي يخشى الله أو اذى الكفار يعني ابن أم مكتوم (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل عنه وتعرض عن الاقبال عليه والتلهي التشاغل والتغافل يقال لهيت عن الامر الهى أي تشاغلت عنه وكذا تلهيت وليس هو من اللهو في شيء ولم يجعل من اللهو لانه مسند الى ضمير النبي ولا يليق بمنصبه الكريم ان ينسب اليه الفعل من اللهو بخلاف الاشتغال فانه يجوز أن يصدر منه في بعض الاحيان ولا ينبغي ان يعتقد غير هذا وقوله (كلا) ردع له صلى الله عليه وآله وسلم عما عوتب عليه أي لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الاعراض عن الفقير والتصدي للغني والتشاغل به مع كونه ليس ممن يتزكى عن ارشاد من جاءك من اهل التزكي والقبول للموعظة وهذا الواقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من باب ترك الاولى فارشده الله سبحانه الى ما هو الاولى به (انها تذكرة) أي ان هذه الآيات أو السورة موعظة حقها ان تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها وتعمل بها كل أمتك (فمن شاء ذكره) اي فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها ومن رغب عنها كما فعله من استغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره قيل الضمير ان في انها وفي ذكره للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة لانها في معنى الذكر وقيل المعنى فمن شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتعظ به والاول أولى ثم اخبر سبحانه عن عظم هذه التذكرة وجلالتها فقال (في صحف) أي انها تذكرة كائنة في صحف فالجار والمجرور صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض والصحف جمع صحيفة ومعنى (مكرمة) انها مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة أو لانها نازلة من اللوح المحفوظ وقيل المراد بالصحف كتب الانبياء كما في قوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (مرفوعة) أي انها رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة قال الواحدي قال المفسرون مكرمة يعني في اللوح المحفوظ مرفوعة يعني في السماء السابعة قال ابن جرير مرفوعة القدر والذكر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض (مطهرة) اي منزهة لا يمسها الا المطهرون قال الحسن مطهرة من كل دنس قال السدي مصانة عن الكفار لا ينالونها وقال الحلي منزهة عن مس الشياطين انتهى وفيه ان الصحف بايدي الملائكة في السماء والشياطين لا يصلون

حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الاظهر والله أعلم كما قال أنس لا يأتي عام الا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير حدثني يعقوب ابن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد ان ابن عباس كان يقول لتركبن طبقا عن طبق قال يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول حالا بعد حال هذا لفظه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ويحتمل ان يكون المراد لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعا على ان هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله اعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر الى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق قال محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن الشعبي لتركبن طبقا عن طبق قال لتركبن يا محمد سماء بعد سماء وهكذا روي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية طبقا عن طبق سماء بعد سماء (قلت) يعنون ليلة الاسراء وقال أبو اسحق والسدي عن رجل عن ابن عباس طبقا عن طبق منزلا على منزل وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد فقال امرا بعد أمر وحالا بعد حال وقال السدي نفسه لتركبن طبقا عن طبق أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل قلت كأنه أراد معنى الحديث الصحيح لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وهذا محتمل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر انه سمع مكحولا يقول في قول الله لتركبن طبقا عن طبق قال في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الاعمش حدثنا ابراهيم قال قال عبد الله لتركبن طبقا عن طبق قال السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون قال الثوري عن قيس بن وهب

الى السماء فلا يظهر مدح الصحف بتطهيرها عن مسهم قلت تأمل قاله سليمان الجمل (بأيدي سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب قال ابن عباس سفرة كتبة وقال هم بالنبطية القراء والمعنى انها بأيدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ قال الفراء السفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله من السفارة وهو السعي بين القوم قال الزجاج انما قيل للكتاب سفر بكسر السين والكاتب سافر لان معناه انه بين يقال اسفر الصبح اذا أضاء وسفرت المرأة اذا كشفت النقاب عن وجهها ومنه سفرت بين القوم أسفر سفارة أي اصلحت بينهم قال مجاهد هم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد وقال قتادة السفرة هنا هم القراء لانهم يقرون الاسفار وقال وهب بن منبه هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أثنى سبحانه على السفرة فقال (كرام) على ربهم كذا قال الكلبي وقال الحسن كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها وقيل يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا بزوجته أو قضى حاجته وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافعهم وقيل يتكرمون على المؤمنين بالاستغفار لهم (بررة) جمع بار مثل كفرة وكافر أي أتقياء مطيعون لربهم صادقون في ايمانهم وقد تقدم تفسيره وقال ابن عباس هم الملائكة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران (قتل الانسان ما أكفره) أي لعن الانسان الكافر ما اشد كفره قال الكرخي وهذا دعاء عليه بأشنع الدعوات وان ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقه لاعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما أخبثه أخزاه الله ما أظلمه قال الشاعر

يتمنى المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا أنكره

لا بذا يرضى ولا يرضى بذا * قتل الانسان ما أكفره

وقيل معناه اي شئ أكفره أي دعاه الى الكفر وهو استفهام توبيخ والظاهر الاول قيل المراد بالانسان عتبة بن أبي لهب ومعنى ما أكفره التعجب من افراط كفره قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره وقيل المراد بالانسان من تقدم ذكره في قوله اما من استغنى وقيل المراد به الجنس وهذا هو الاولى فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر ويدخل تحته

عن مرة عن ابن مسعود طبقا عن طبق قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود لتركبن طبقا عن طبق يا محمد يعني حالا بعد حال ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير لتركبن طبقا عن طبق قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة وقال عكرمة طبقا عن طبق حالا بعد حال فطيما بعدما كان رضيعا وشيخا بعدما كان شابا وقال الحسن البصري طبقا عن طبق يقول حالا بعد حال رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقرا بعد غنى وصحة

بعد سقم وسقما بعد صحة وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن داهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفي غفلة مما خلق له ان الله تعالى اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره اكتب شقيا أو سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله اليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيآته فاذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيآت فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائقا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم هذا حديث منكر واسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال ابن جرير بعدما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وان كان الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها جميع الناس انهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا وقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي فما يمنعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم

من كان سببا لنزول الآية دخولا أوليا ثم ذكر سبحانه ما كان ينبغي لهذا الكافر ان ينظر فيه حتى ينزجر عن كفره ويكف عن طغيانه فقال (من أي شيء خلقه) اى من أى شيء خلق الله هذا الكافر والاستفهام للتقرير أو تحقيرله والاول أظهر لان الاستفهام ذكروا من معانيه التقرير لكن التحقير أخص بالمقام وجمع بعضهم بينهما فقال الاستفهام هنا التقرير التحقير قال الشهاب ولو قيل انه للتقرير والتحقير مستفاد من شيء المنكر لكان له وجه ثم فسر سبحانه ذلك فقال (من نطفة) اى من ماء مهين وهذا كمال تحقيرله قال الحسن كيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتين (خلقه فقدره) اى فسواه وهيأه لمصالح نفسه وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس وقيل قدره أطوارا من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه والفاء للترتيب في الذكر (ثم السبيل يسره) اى يسر له الطريق الى الخير والشر وقال السدى ومقاتل وعطاء وقتادة يسره للخروج من بطن أمه قال بعضهم ان رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت وهو في بطن أمه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى ذكره الرازي والاول أولى ومثله قوله وهديناه النجدين وانتصاب السبيل بمضمر يدل عليه الفعل المذكور أى يسر السبيل يسره (ثم أماته فأقبره) اى جعله بعد ان اماته ذا قبر يوارى فيه اكراما له ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تأكله السباع والطير كذا قال الفراء وقال أبو عبيدة جعل له قبرا وأمر أن يقبر فيه وقال أقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده وأقبره اذا امر غيره أن يجعله في قبر وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم (ثم اذا شاء) انشاره (أنشره) اى أحياه بعد موته وعلق الانشار بالمشيئة للدلالة على ان وقته غير متعين بل هو تابع للمشيئة واما سائر الاحوال المذكورة قبل ذلك فانها تعلم أوقاتها من بعض الوجوه فلم تفوض الى مشيئته تعالى قرأ الجمهور انشره وقرئ نشره وهما لغتان فصيحتان (كلا) ردع وزجر للانسان الكافر عما هو عليه من التكبر والتجبر والترفع والاصرار على انكار التوحيد والبعث والحساب أى ليس الامر كما يقول (لما يقض ما أمره) الله به من العمل بطاعته واجتناب معاصيه وقيل المراد الانسان على العموم وانه لم يفعل ما امره الله به مع طول

المدة

اذا قرأت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما وقوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون أى من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق والله أعلم بما يوعون قال مجاهد وقتادة يكتمون فى صدورهم فبشرهم بعذاب أليم أى فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هذا استثناء منقطع يعنى لكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم لهم اجر أى فى الدار الآخرة غير ممنون قال ابن عباس غير منقوص وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما انه غير مقطوع كما قال تعالى عطاء غير مجذوذ وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الاخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فان الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة وانما دخلوها بفضله ورحمته لا باعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده ابدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة البروج وهى مكية)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المخزم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسى سمعت أبا المخزم يحدث عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يقرأ بالسموات فى العشاء تفرد به أحمد

المدة لانه لا يخلو من تقصير قال الحسن أى حقا لم يعمل ما أمر به وقال ابن فورك أى كلا لم يقض لهذا الكافر ما أمره به من الاتيان بل أمره بما لم يقض له قال ابن الانبارى الوقف على كلا قبيح والوقف على أمره وانشره جيد وكلا على هذا بمعنى حقا وقيل المعنى لما يقض جميع افراد الانسان ما أمره بل اخل به بعضها بالكفر وبعضها بالعصيان وما قضى ما امره الله به الا القليل وقال بعضهم مالابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل عذرة ثم شرع سبحانه فى تعداد نعمه على عباده ليشكروها وينزجروا عن كفرانها بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثهم فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) أى ينظر كيف خلق الله طعامه الذى جعله سببا لحياته وكيف هيأ له أسباب المعاش يستعد بها للسعادة الاخروية قال مجاهد الى مدخله ومخرجه وبه قال ابن الزبير والاول أولى وعن ابن عباس قال الى خرئه اخرجه ابن أبى الدنيا ثم بين سبحانه ذلك فقال (انا صببنا الماء صبا) قرأ الجمهور انا بالكسر على الاستئناف وقرأ الكوفيون وورش عن يعقوب بالفتح على انه بدل من طعامه بدل اشتمال لكون نزول المطر سببا لحصول الطعام فهو كالمشتمل عليه أو بتقدير لام العلة قال الزجاج الكسر على الابتداء والاستئناف والفتح على معنى البدل من الطعام والمعنى فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء صبا وأراد بصب الماء المطر وبه قال ابن عباس وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما بالفتح والامالة (ثم شققنا الارض) بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر (شقا) بديعا لائقا بما يخرج منه فى الصغر والكبر والشكل والهيئة قال ابن عباس شقا عن النبات قال البيضاوى أسند الشق الى نفسه تعالى اسناد الفعل الى السبب وتبع فى ذلك الزمخشرى وقد رده فى الانتصاف بانه تعالى موجد الاشياء فالاسناد اليه تعالى حقيقة وانما ذكره الزمخشرى اعتزالا فان افعال العباد مخلوقة لهم عنده ورده المدقق فى الكشف بانه ليس مبنيا على ماذكر بل لان الفعل انما يسند حقيقة لمن قام به لا لمن أوجده فالاعتراض عليه ناشئ من قلة التدبر افاده الشهاب ثم بين سبب هذا الشق وما وقع لاجله فقال (فأنبتنا فيها حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها والمعنى ان النبات لا يزال ينمو ويتزايد الى ان يصير حبا (و) انبتنا فيها (عنبا) قيل وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق

*(بسم الله الرحمن الرحيم) (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع البروج قصور فى السماء وقال المنهال بن عمرو والسماء ذات البروج الخلق الحسن واختار ابن جرير انها منازل

الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجا تسير الشمس في كل واحد منها شهرا ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين وقوله تعالى واليوم الموعود وشاهد ومشهود اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الانصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل (١٩٢) من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه ولا يستعيذ فيه من شر الا أعاذه ومشهود يوم عرفة وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث وقد روي موقوفا على أبي هريرة وهو أشبه وقال الامام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأما يونس فلم يعد أبا هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة وقد روي عن أبي هريرة انه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة وان الشاهد يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس

الارض قلت بل يمكن التقييد ويكون باعتبار أصل نبات العنب ففيه شق الارض (وقضبا) هو القت الرطب الذي يقضب مرة بعد أخرى تعلف به الدواب ولهذا سمي قضبا على مصدر قضبه أي قطعه كأنه لتكرر قطعه نفس القطع قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة فاذا يبس فهي القت قال في الصحاح والقضبة والقضب الرطبة قال والموضع الذي تنبت فيه المقضبة قال القتيبي وثعلب وأهل مكة يسمون العنب القضب قال ابن عباس القضب الفصفصة يعني القت (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت وهي شجرة الزيتون المعروفة (ونخلا) هو جمع نخلة (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهي البستان والغلب العظام الغلاظ الرقاب قال مقاتل ومجاهد الغلب الملتف بعضها ببعض يقال رجل أغلب اذا كان عظيم الرقبة ويقال للاسد أغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا وجمع أغلب وغلباء غلب كما جمع أحمر وحمراء على حمر يقال حديقة غلباء أي غليظة الشجر ملتفة فالحدائق ذات أشجار غلاظ فهو مجاز مرسل وفيه تجوز في الاسناد أيضا لان الحدائق نفسها ليست غليظة بل الغلاظ أشجارها وقال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد أيضا وعكرمة هي غلاظ الاوساط والجذوع وقال ابن عباس غلبا طوالا وعنه قال الحدائق كل ملتف والغلب ما غلظ وعنه قال شجر في الجنة يستظل به لا يحمل شيأ (وفاكهة) عطف عام فيدخل فيها رطب وعنب ورمان وأترج وتمر وزبيب وغير ذلك وهذا بالنظر لعطفه على عنبا وأما اذا عطف على حدائق كما هو المتبادر فهو عطف خاص على عام كما لا يخفى ثم الفاكهة ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالعنب والتين والخوخ ونحوها (وأبا) هو كل ما أنبتت الارض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلا وسائر أنواع المرعى قال الضحاك الأب كل شئ ينبت على وجه الارض وقال ابن أبي طلحة هو الثمار الرطبة وبه قال ابن عباس وروى عن الضحاك أيضا انه قال هو التين خاصة والاول أولى وعن ابن عباس أيضا الاب ما أنبتت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس وعنه قال الاب الكلأ والمرعى وعن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم أخرجه أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وعن عبد الله بن بريدة أن رجلا سأل عمر عن قوله وأبا فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة أخرجه عبد بن حميد وعن أنس أن عمر قرأ على المنبر فانبتنا فيها

وذلك يوم مشهود وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن على عن وشاهد ومشهود قال سألت أحدا قبلى قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة فقال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وهكذا قال الحسن البصرى وقال سفيان الثورى عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا (١٩٣) الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم الجمعة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود قال الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وبه عن سفيان الثورى عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعنى الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا فى ذلك ما حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن حدثنى عمى عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا وكفى بالله شهيدا والمشهود نحن حكاه البغوى وقال الاكثرون على ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود أى لعن أصحاب الاخدود وجمعه أخاديد وهى الحفر فى الارض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم فى الارض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون

حبا وعنبا الى قوله وابا قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض عصا كانت فى يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا تدرى ما الاب اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه اخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب والخطيب قال المحلى أبا أى ما ترعاه البهائم أى سواء كان رطبا أو يابسا فهو اعم من القضب وقيل التبن وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (متاعا لكم) منصوب بأنبتنا لانه مصدر مؤكد لعامله لان انباته الاشياء امتاع لجميع الحيوانات ويحتمل ان العامل محذوف تقديره فعل ذلك متاعا لكم أو متعكم بذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ثم شرع سبحانه فى بيان احوال المعاد فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعنى صيحة يوم القيامة وسميت صاخة لشدة صوتها لانها تصخ الآذان أى تصمها فلا تسمع وقيل لانها تصخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اى استمع اليه والاول اصح قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الآذان حتى تصمها لشدة وقعها واصل الكلمة فى اللغة مأخوذ من الصك الشديد يقال صخه بالحجر اذا صكه به وقال ابن عباس الصاخة من اسماء يوم القيامة قال ابن الاعرابى الصاخة التى تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله الآتى لكل امرئ منهم الخ أى فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) الظرف اما بدل من اذا جاءت أو منصوب بمقدر اى أعنى ويكون تفسيرا للصاخة أو بدلا منها مبنى على الفتح وخص هؤلاء بالذكر لانهم اخص القرابة وأولاهم بالحنو والرأفة فالفرار منهم لا يكون الا لهول عظيم وخطب فظيع وتبعات بينه وبينهم والمراد بالفرار التباعد والمعنى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه قيل أول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح والعموم اولى وقيل انما يفر عنهم حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم وقيل يفر عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه بانهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيأ كما قال تعالى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ قال عبد الله بن طاهر الابهرى يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب عنه

بالمؤمنين شهود أى مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين قال الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد أى وما كان لهم عندهم ذنب الا ايمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد فى جميع أقواله وافعاله وشرعه وقدره وان كان قد قدّر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به فهو العزيز الحميد وان خفى سبب ذلك على كثير من الناس ثم قال تعالى الذى له ملك السموات والارض من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والارض وما فيهما وما بينهما والله على كل شئ شهيد أى لا يغيب عنه شئ فى جميع السموات والارض (١٩٤) ولا تخفى عليه خافية وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة من هم فعن على رضى الله عنه انهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد الى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم وعنه انهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الاخاديد وأحرقوهم فيها وعنه انهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشى وقال العوفى عن ابن عباس قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود قال ناس من بنى اسرائيل خدوا أخدودا فى الارض ثم أوقدوا فيها نارا ثم أقاموا على تلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا انه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبر سنى وحضر أجلى فادفع الى غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان اذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك واذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى واذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر قال فبينما هو ذات يوم اذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب الى الله أم أمر الساحر قال فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من

ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد شيأ سوى ربه تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى لكل انسان يوم القيامة شأن يشغله عن الاقرباء ويصرفه عنهم والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار قال ابن قتيبة يغنيه أى يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عنى وجهك أى اصرفه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة فقالت امرأة ايبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قرأ الجمهور يغنيه بالغين المعجمة وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء أى يهمه من عناه الامر اذا أهمه ثم بين مآل أمر المذكورين وانقسامهم الى الاشقياء والسعداء بعد وقوعهم فى داهية عظيمة فقال (وجوه) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى مقام التفصيل وحيز التنويع وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة (يومئذ) متعلق به ومعنى (مسفرة) مشرقة مضيئة وبه قال ابن عباس وهى وجوه المؤمنين لانهم قد علموا اذ ذاك مالهم من النعيم والكرامة يقال أسفر الصبح اذا أضاء قال الضحاك مسفرة من آثار الوضوء وقيل من قيام الليل وقيل من الغبار فى سبيل الله (ضاحكة) عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أى فرحة بما نالته من الثواب الجزيل وكرامة الله ورضوانه ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة تعتريها مما أعده الله لها من العذاب (ترهقها قترة) أى يغشاها ويعلوها سواد وكسوف ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه والقتر فى كلام العرب الغبار كذا قال أبو عبيدة ويدفع ما قاله أبو عبيدة تقدم ذكر الغبرة فانها واحدة الغبار وقال زيد بن أسلم القترة ما ارتفعت الى السماء والغبرة ما انحطت الى الارض قال ابن عباس ذلة وشدة وعنه انه قال قترة سواد الوجه (أولئك) يعنى أصحاب الوجوه وأهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر أى الجامعون بين الكفر بالله والفجور ولذلك جمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر يقال فجر أى فسق وفجر أى كذب وبابه سما دخل وأصله الميل والفاجر المائل عن الحق

(سورة التكوير تسع وعشرون آية وهى مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى

أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال اى بنى انت أفضل منى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص وسائر الادواء ويشفيهم وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفنى ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفى أحدا انما يشفى الله عز وجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربى فقال أنا فقال لا ربى وربك الله قال ولك رب غيرى قال نعم ربى وربك الله فلم يزل (١٩٥) يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرئ الاكمه والابرص وهذه الادواء قال ما أشفى أنا أحدا انما يشفى الله عز وجل قال أنا قال لا قال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للاعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه الى الارض وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر فى قرقور فقال اذا لججتم البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه بالبحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى والا فانك لا تستطيع قتلى قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الاخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا

صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه قال الكازرونى مناسبتها لما قبلها انه لما ذكر بعض أحوال القيامة فيما قبلها أردفه ببعض أحوالها الآخر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) أى أظلمت قاله ابن عباس وارتفاع الشمس بفعل محذوف يفسره مابعده على الاشتغال وهذا عند البصريين وأعرب الزمخشرى الشمس فاعلا لفعل مقدر يدل عليه كورت ومنع أن ترتفع بالابتداء لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط ومامنعه من وقوع المبتدا بعدها اجازه الاخفش والكوفيون وأجازوا اذا زيدا كرمك فأكرمه ولكن الاولى ماذكره والتكوير الجمع وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها قال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسى أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها قال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتجمع قال الربيع بن خثيم كورت أى رمى بها ومنه كورته فتكور أى سقط وقال مقاتل وقتادة والكلبى ذهب ضوؤها وقال مجاهد اضمحلت وقيل غورت قال الواحدى قال المفسرون تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف فيرمى بها فالحاصل أن التكوير اما بمعنى لف جرمها أو لف ضوئها أو الرمى بها والمعنى طويت كطى السجل عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر يكوران يوم القيامة أخرجه البخارى قيل انهما جمادان فالقاؤهما فى النار يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم واذا ظرف فى هذه المواضع الاثنى عشر وجوابها علمت نفس كما سيأتى (واذا النجوم انكدرت) أى تهافتت وتساقطت وانقضت وتناثرت يقال انكدر الطائر من الهوى اذا انقض والاصل فى الانكدار الانصباب قال الخليل يقال انكدر عليهم القوم اذا جاؤا أرسالا فانصبوا عليهم قال أبو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم فى السماء الا وقع على الارض وقيل انكدارها طمس نورها وقال ابن عباس تغيرت وعن أبى مريم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كورت فى جهنم وانكدرت فى جهنم فكل من عبد دون الله فهو فى جهنم الا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا

فاقتحموا فيها قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي اصبري يا أماه فإنك على الحق وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله وقد جوده الامام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد المعنى واحد قالا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول (١٩٦) الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحرك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له انك يا رسول الله اذا صليت العصر همست قال ان نبيا من الانبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء فأوحى الله اليه ان خيرهم بين ان أنتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا قال وكان اذا حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر قال وكان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا الى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا فذكر القصة بتمامها وقال في آخره يقول الله عز وجل قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد قال فاما الغلام فانه دفن فيذكر انه أخرج في زمان عمر ابن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ثم قال الترمذي حسن غريب وهذا السياق ليس فيه صراحة ان سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم وقد أورد محمد بن اسحق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ونجران هي القرية العظمى التي اليها جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث

لدخلاها أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي (واذا الجبال سيرت) أي قلعت عن وجه الارض وأبعدت ورفعت عن مكانها بعد تفتيتها وسيرت في الهوى سير السحاب ومنه قوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة (واذا العشار عطلت) العشار النوق الحوامل التي في بطونها أولادها الواحدة عشراء وهي التي قد أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وخص العشار لانها أنفس مال عند العرب وأعزه عندهم ومعنى عطلت تركت هملا بلا راع وبلا حلب قال أبي بن كعب أي أهملها أهلها وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم أو لاشتغالهم بأنفسهم قيل وهذا على وجه المثل لان يوم القيامة لا يكون فيه ناقة عشراء بل المراد انه لو كان للرجل ناقة عشراء في ذلك اليوم أو نوق عشار لتركها ولم يلتفت اليها اشتغالا بما هو فيه من هول يوم القيامة وسيأتي ما يفيد أن هذا في الدنيا وقيل العشار السحاب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقيل المراد أن الديار تعطل فلا تسكن وقيل الارض التي تعشر زرعها تعطل فلا تزرع قرأ الجمهور عطلت بالتشديد وقرأ ابن كثير في رواية عنه بالتخفيف (واذا الوحوش) أي ما توحش من دواب البر (حشرت) قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بالتشديد أي بعثت وجمعت بعد البعث من كل ناحية حتى يقتص بعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقيل حشرها موتها وقيل انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحارى تضم ذلك اليوم اليهم قال أبي بن كعب حشرت اختلطت قال الشهاب في ريحانة الالباء وههنا أمر نفيس نمحو به السيئات وبحث عظيم نحيي به عظام الرفات وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى ويحشرو يقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه كذلك لوروده في القرآن في قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ولقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم أبو الحسن الاشعري فقال في كتاب الايجاز ما نصه لا يجب على الله أن يعوض البهائم والاطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الالم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا آلم الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن

العقل

التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن أخي انك لن تحمله اخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لايظن الا ان ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى اقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا (١٩٧) قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شئ فاخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذى قد كتمه فقال وماهو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع فقال اى ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر الا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر الا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لأمثلن بك قال لاتقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض مابه بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لايلقى فيها شئ الا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر انك والله لاتقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك ان فعلت سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أى ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الاخدود فحرق بالنار وقتل

العقل لايوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذى خلق فيه الالم من غير جرم ولا ذنب لايستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقال القدرية ان لم يعوضهم فى الدنيا فانه يجب عليه حشرهم فى الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا قد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوى فكنى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لاتكليف عليه لايعاقب ولا يقتص منه انتهى وفى سراج الملوك اختلف السلف فى هذا فقال ابن عباس حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل تفريقها بتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كونى ترابا وقال بعضهم لانقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم فى ذلك والدليل عليه الآية المذكورة والحديث الصحيح عن أبى هريرة لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكرها الاشعرى لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصى فى الحساب وقال الاسفراينى يقتص منها بما تفعله فى الدنيا ورد بأنها ليست بمكلفة فهى فى المشيئة يفعل بها ما أراد انتهى أقول قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على الاقوال الاربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به الصدور أن لاتؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له بأنها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبنى على ذلك فاذا اسقط الاساس سقط ما بنى عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لاتعقل والنزاع فيه مكابرة الا أنها لما كانت فى المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لايسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء فنقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض بما فعلته بارادتها لادراكها للجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبنى عليه لان جزاء التكليف انما يكون فى دارى الخلود الجنة والنار وهى تعود ترابا قبل دخول أهليهما فيهما وانما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل المحشر انه عز وجل لايترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم مالهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الاليم تنويرا لهم وارشادا الان يعلموا عظمة كبريائه وتساوى جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها لاجل أن يفنيها ويقول لها كونى ترابا ولو لا بعد كلام

بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد هكذا ذكر محمد بن اسحق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الاخدود هو ذونواس واسمه زرعة وتسمى في زمان مملكته بيوسف وهو ابن تبان أسعد بن كرب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان (١٩٨) تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن اسحق مبسوطا فقتل ذونواس في غداة واحدة في الاخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدر عليه فذهب الى قيصر ملك الشام فكتب الى النجاشي ملك الحبشة فارسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج في البحر فغرق واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فارسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك الى حمير وسنذكر طرفا من ذلك ان شاء الله في تفسير سورة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال ابن اسحق وحدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخذت يده عنها انبعثت دما واذا أرسلت يده ردت عليها فامسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه الى عمر بن الخطاب يخبر بامره فكتب عمر اليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله حدثنا أبو بلال الاشعري حدثنا ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له ان تحته رجلا صالحا فحفر الاساس فوجد فيه رجلا قائما معه

الاشعري يصرح بما ينافيه حملنا أنه تمثيل على ما ذكرنا أو قلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغي أن يكتب بالنور على صفحات خدود الحور وانما ذكرناه هذا مع طوله وعلمنا مناسبته لموضوع التفسير تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد

(واذا البحار سجرت) أي أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال الفراء ملئت بأن صارت بحرا واحدا وكثر ماؤها وبه قال الربيع بن خثيم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك وقيل أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت وقيل فجرت فصارت بحرا واحدا وروي عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية يبست ولا يبقى فيها قطرة يقال سجرت الحوض أسجره سجرا اذا ملأته وقال القشيري هو من سجرت التنور أسجره سجرا اذا أحميته قال ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم أوقدت فصارت نارا وقيل معنى سجرت انها صارت حمراء كالدم من قولهم عين سجراء أي حمراء قرأ الجمهور سجرت بتشديد الجيم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيفها عن أبي العالية قال ست من آيات هذه السورة في الدنيا والناس ينظرون اليها وست في الآخرة اذا الشمس كورت الى واذا البحار سجرت هذه في الدنيا والناس ينظرون اليها واذا النفوس زوجت الى واذا الجنة أزلفت هذه في الآخرة أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض وقال أيضا في الآية قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة والى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم وقال ابن عباس تسجر حتى تصير نارا وقال أيضا سجرت أي اختلط ماؤها بماء الارض (واذا النفوس زوجت) أي قرنت بأجسادها أي ردت الارواح الى أبدانها وهذا بناء على أن التزويج بمعنى جعل الشيء زوجا والنفوس على هذا بمعنى الارواح وقيل معناه قرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة وقرن بين رجل السوء مع رجل السوء في النار كذلك تزويج الانفس قاله عمر بن الخطاب وأخرج نحوه ابن مردويه عن النعمان بن بشير مرفوعا وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين

سيف فيه مكتوب أنا الحرث بن مضاض نقمت على أصحاب الاخدود فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت (قلت) هو الحرث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن اسمعيل بن ابراهيم وولد الحرث هذا هو عمرو بن الحرث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم الى اليمن وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام انه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

(١٩٩) وهذا يقتضي ان هذه القصة كانت قديما بعد زمان اسمعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن اسحق يقتضي ان قصتهم كانت في زمان الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل ان ذلك قد وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وامر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا ومسايل فأوقد لهم أتونا وألقى فيها الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهم بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار وقال أسباط عن السدي في قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود قال كانت الاخدود ثلاثة خدا بالعراق وخدا بالشام وخدا باليمن رواه ابن أبي حاتم وعن مقاتل قال كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر واما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود قال سمعنا انهم كانوا قوما في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا الى قرية

الكافرين بالشياطين وقيل قرن كل شكل الى شكله في العمل وهو راجع الى القول الثاني وقيل قرن كل رجل الى من كان يلازمه من ملك أو سلطان كما في قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال الحسن الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيأ من دون الله يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين وقيل يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو انسان ويقرن المطيع بمن دعاه الى الطاعة من الانبياء والمؤمنين وقيل قرنت النفوس بأعمالها وكنتم أزواجا فأصحاب اليمين زوج وأصحاب الشمال زوج والسابقون زوج (واذا الموؤدة) أي المدفونة حية (سئلت بأي ذنب قتلت) وقد كانت العرب اذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة والاملاق وخشية الاسترقاق يقال وأد يئد وأدا فهو وائد والمفعول به موؤد وأصله مأخوذ من الثقل لانها تدفن فيطرح عليها التراب فيثقلها فتموت ومنه ولا يؤده حفظهما أي لا يثقله ومنه قول متمم بن نويرة * وموؤدة مقبورة في مغارة * ومنه قول الراجز:

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن رميت

قرأ الجمهور الموؤدة بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة وقرأ البزي في رواية عنه بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة وقرأ الاعمش المودة بزنة الموزة وقرأ الجمهور سئلت مبنيا للمفعول وقرأ الحسن بكسر السين من سال يسيل وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس سألت مبنيا للفاعل وقتلت بضم التاء الاخيرة وهذه قراءة شاذة والمعنى على الاولى ان توجيه السؤال اليها لاظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسئل عن ذلك وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب كقوله أأنت قلت للناس وهذه الطريقة أقطع في ظهور جناية القاتل والزام الحجة عليه قال الحسن أراد الله أن يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقيل لتدل على قاتلها وقيل لتقول بلا ذنب قتلت وعلى هذا هو سؤال تلطف وقرأ الجمهور قتلت بالتخفيف مبنيا للمفعول وقرأ أبو جعفر بالتشديد على التكثير وقرئ بكسر التاء الثانية على انها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبني للمفعول وهذه قراءة شاذة وفي مصحف أبي واذا الموؤدة سألت بأي ذنب قتلتني وفي الآية دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب عن عمر بن الخطاب قال جاء قيس

سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبابرين وحدث حديثهم فأرسل اليهم فأمرهم أن يعبدوا الاوثان التى اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لانعبد الا الله وحده لاشريك له فقال لهم ان لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدت فانى قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدودا من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها فقال اختاروا هذه أو الذى نحن فيه فقالوا هذه أحب الينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أى آباؤهم لانار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم (٢٠٠) حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففى ذلك أنزل الله عز وجل قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ومانقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ورواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبدالله بن أبى جعفر به نحوه وقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أى حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى ثم لم يتوبوا أى لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصرى انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والمغفرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) يخبر تعالى عباده المؤمنين بها ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال ذلك الفوز الكبير ثم قال تعالى ان بطش ربك لشديد أى ان بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوة المتين الذى ماشاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر أو أقرب ولهذا قال تعالى انه هو يبدئ ويعيد أى من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع وهو الغفور الودود أى يغفر ذنب من تاب اليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أى شئ كان

ابن عاصم التميمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق عن كل واحدة رقبة قال انى صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة بدنة أخرجه البزار والحاكم فى الكنى والبيهقى فى سننه (واذا الصحف) أى صحائف الاعمال (نشرت) أى فتحت وبسطت للحساب لانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم مافيها فيقول مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو نشرت بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد على التكثير وهما سبعيتان (واذا السماء كشطت) أى أزيلت عن أماكنها وعدمت بالمرة والكشط قلع عن شدة التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش والقشط بالقاف لغة فى الكشط وهى قراءة ابن مسعود قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف وقال الفراء نزعت فطويت وقال مقاتل كشفت عما فيها قال الواحدى ومعنى الكشط رفعك شيأ عن شئ قد غطاه (واذا الجحيم سعرت) أى أججت وأوقدت لاعداء الله ايقادا شديدا وزيد فى احمائها قرأ الجمهور سعرت بالتخفيف وقرأ نافع وابن ذكوان وورش بالتشديد لانها أوقدت مرة بعد مرة وهما سبعيتان قال قتادة سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم (واذا الجنة أزلفت) أى قربت الى المتقين وأدنيت منهم ليدخلوها قال الحسن انهم يقربون منها الا أنها تزول عن موضعها وقال ابن زيد معنى أزلفت تزينت والاول أولى لان الزلفى القرب فى كلام العرب قيل هذه الامور الاثنا عشر ست منها فى الدنيا وهى من أول السورة الى قوله واذا البحار سجرت وست فى الآخرة وهى واذا النفوس زوجت الى هنا وقد سبق بيانها وجواب الجميع قوله (علمت نفس ماأحضرت) على أن المراد الزمان الممتد من الدنيا الى الآخرة لكن لا بمعنى انها تعلم ماتعلم فى كل جزء من أجزاء هذا الوقت الممتد أو عند وقوع كل داهية من تلك الدواهى بل المراد علمت ماأحضرته عند نشر الصحف أو فى موقف المحاسبة أو عند الميزان الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها حضور صحائف الاعمال لان الاعمال أعراض لايمكن احضارها أو حضور الاعمال نفسها كما ورد أن الاعمال تصور بصور تدل عليها وتعرف

والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب ذو العرش أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق والمجيد فيه قراءتان الرفع على انه صفة للرب عز وجل والجر على انه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح فعال لما يريد أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر اليك الطبيب قال نعم قالوا فما قال لك قال قال لي اني فعال لما أريد وقوله تعالى هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد (٢٠١) وهذا تقرير لقوله تعالى ان بطش ربك لشديد أي اذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي ابن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبي اسحق عن عمرو ابن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الجنود فقام يستمع فقال نعم قد جاءني وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب أي هم في شك وريب وكفر وعناد والله من ورائهم محيط أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه بل هو قرآن مجيد أي عظيم كريم في لوح محفوظ أي هو في الملا الاعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل قال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا قرة ابن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ان اللوح المحفوظ الذي ذكر الله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ في جبهة اسرافيل وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا

ابو صالح حدثنا معاوية بن صالح ان ابا الاعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال ما من شيء قضى الله فما قبله وما بعده الا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني اسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه وقال الحسن البصري ان هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوي من طريق اسحق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين

بها وتنكير نفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع افرادها من الظهور والوضوح بحيث لا يخفى على أحد ويدل على هذا قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقيل يجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على فعله (فلا أقسم) لا زائدة كما تقدم تحقيقه وتحقيق ما فيه من الاقوال في أول سورة القيامة أي فاقسم (بالخنس) وهي الكواكب وسميت الخنس من خنس اذا تأخر لانها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم انها تستقبل الشمس وتقطع المجرة وقال في الصحاح الخنس الكواكب كلها لانها تخنس في المغيب أو لانها تخفى نهارا أو يقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة قال الفراء انها الكواكب الخمس المذكورة لانها تخنس في مجراها وتكنس أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وقيل سميت خنسا لتأخرها لانها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم يقال خنس عنه يخنس خنوسا اذا تأخر وأخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى وعنه قال خمسة أنجم زحل وعطارد والمشترى وبهرام والزهرة ليس شيء يقطع المجرة غيرها وعن ابن عباس قال هي النجوم السبعة وزاد الشمس والقمر وخنوسها رجوعها وكنوسها تغيبها بالنهار (الجوار) أي السيارة لانها تجرى مع الشمس والقمر (الكنس) أي انها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وقيل خنوسها خفاؤها بالنهار وكنوسها غروبها قال الحسن وقتادة هي النجوم التي تخنس بالنهار واذا غربت والمعنى متقارب لانها تتأخر في النهار عن البصر لخفائها فلا ترى وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها وقيل المراد بها بقر الوحش وبه قال ابن مسعود لانها تتصف بالخنس وبالجواري وبالكنس وقال عكرمة الخنس البقر والكنس الظباء فهي تخنس اذا رأت الانسان وتنقبض وتتأخر وتدخل كناسها وقيل هي الملائكة والاول أولى لذكر

المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (٢٠٢) آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطارق وهي مكية)

قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته انا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن ابيه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وانا مشرك ثم قرأتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يا معاذ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحو هذا

(بسم الله الرحمن الرحيم) والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر) يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيهما من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى والسماء والطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب قال قتادة وغيره انما سمي النجم طارقا لانه انما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل وفي الحديث الآخر

الليل والصبح بعد هذا والكنس مأخوذ من الكناس الذي يختفي فيه الوحش والخنس جمع خانس وخانسة والكنس جمع كانس وكانسة وقال ابن عباس هي البقر تكنس الى الظل وعنه قال تكنس لانفسها في أصول الشجر تتوارى فيه وعنه قال هي الظباء وعنه الخنس البقر والجوار الكنس الظباء ألم ترها اذا كانت في الظل كيف تكنس بأعناقها ومدت نظرها وعن ابي العديس قال كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين ما الجواري الكنس فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها عن رأسه فقال عمر أحروري والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقا لانحيت القمل عن رأسك أخرجه الحاكم في الكنى وهذا منكر فان الحرورية لم يكونوا في زمن عمر رضي الله عنه ولا كان لهم في ذلك الوقت ذكر (والليل اذا عسعس) أي أقبل بظلامه أو أدبر قال أهل اللغة هو من الاضداد يقال عسعس الليل اذا أقبل وعسعس اذا أدبر ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله الآتي والصبح اذا تنفس قال الفراء أجمع المفسرون على ان معنى عسعس أدبر كذا حكاه عنه الجوهري وقال الحسن أقبل ظلامه قال الفراء العرب تقول عسعس الليل اذا أقبل واذا أدبر وهذا لا ينافي ما تقدم عنه لانه حكى عن المفسرين أنهم أجمعوا على حمل معناه في هذه الآية على أدبر وان كان في الاصل مشتركا بين الاقبال والادبار قال المبرد هو من الاضداد قال والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وادباره في آخره قال ابن عباس عسعس أدبر وعنه قال اقبال سواده (والصبح اذا تنفس) أي امتد حتى يصير نهارا بينا والتنفس في الاصل خروج النسيم من الجوف وتنفس الصبح اقباله لانه يقبل بروح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له مجازا أو شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة وههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس قال الواحدي تنفس أي امتد ضوءه حتى يصير نهارا ومنه يقال للنهار اذا زاد تنفس وقيل المعنى اذا انشق وانفلق ومنه تنفست القوس أي تصدعت قال ابن عباس اذا تنفس اذا بدا النهار حين طلوع الفجر قال الشهاب مناسبته لقرينته ظاهرة على التفسيرين لان ما قبله ان كان للاقبال فهو أول الليل وهذا أول النهار وان كان للادبار فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار فلا وجه لما قيل من أنه على الاول أنسب انتهى ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (انه) أي القرآن (لقول

رسول

رسول كريم) على الله تعالى يعني جبريل وبه قال ابن عباس لكونه نزل به من جهة الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأضاف القول الى جبريل لكونه مرسلا به وقيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى ثم وصف الرسول المذكور باوصاف محمودة فقال (ذي قوة عند ذي العرش مكين) أي ذي قوة شديدة في القيام بما كلف به كما في قوله شديد القوى ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف والمعنى أنه ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه وهو في محل نصب على الحال من مكين وأصله الوصف فلما قدم صار حالا ويجوز أن يكون نعتا لرسول يقال مكن فلان عند فلان مكانة أي صار ذا منزلة عنده ومكانة قال أبو صالح من مكانته عند ذي العرش أنه يدخل سبعين سرادقا بغير اذن ومعنى قوله (مطاع) أنه مطاع بين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ومن طاعتهم له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله قال الحسن فرض الله على أهل السموات طاعة جبريل كما فرض على أهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ثم أمين) قرأ الجمهور بفتح ثم على انها ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع أو ما بعده والمعنى انه مطاع في السموات أو أمين فيها أي مؤتمن على الوحي وغيره وقرئ بضمها على أنها عاطفة وكأن العطف بها للتراخي في الرتبة لان ما بعدها أعظم مما قبلها ومن قال ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى أنه ذو قوة على تبليغ الرسالة الى الامة مطاع يطيعه من أطاع الله أمين على الوحي (وما صاحبكم بمجنون) الخطاب لأهل مكة والمراد بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وما محمد يا أهل مكة بمجنون وذكره بوصف الصحبة للاشعار بانهم عالمون بامره وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره في شئ وانهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بأنه أعقل الناس وأكملهم وهذه الجملة داخلة في جواب القسم فأقسم سبحانه بان القرآن نزل به جبريل وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ليس كما يقولون من أنه مجنون وأنه يأتي بالقرآن من جهة نفسه والمقصود ١ رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ثم انك اذا أمعنت

المشتمل على الدعاء الاطار فايطرق بخير يا رحمن وقوله تعالى الثاقب قال ابن عباس المضيء وقال السدي يثقب الشياطين اذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشيطان وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق تنبيه للانسان على ضعف أصله الذي خلق منه وارشاد له الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقوله تعالى (٢٠٣) خلق من ماء دافق يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد باذن الله عز وجل ولهذا قال يخرج من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد الا منهما وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب قال هذه الترائب ووضع يده على صدره وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تريبة المرأة موضع القلادة وكذا قال عكرمة وسعيد ابن جبير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الترائب بين ثدييها وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين الى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي وقال سفيان الثوري فوق الثديين وعن سعيد ابن جبير الترائب أربعة اضلاع من هذا الجانب الاسفل وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد وعن قتادة يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلبه ونحره وقوله تعالى انه على رجعه لقادر فيه قولان أحدهما على رجع هذا الماء الدافق الى

١ جواب سؤال تقريره ان بعضهم استدل بالآية على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث عدد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجاب المؤلف العلامة عن هذا بقوله والمقصود رد قولهم الخ اه السيد ذو الفقار

مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما والقول الثاني انه على رجع هذا الانسان المخلوق من ماء دافق أي اعادته وبعثه الى الدار الآخرة لقادر لان من قدر على البداءة قدر على الاعادة وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى يوم تبلى السرائر أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان (٢٠٤) بن فلان وقوله تعالى فما له أي الانسان يوم القيامة من قوة أي في نفسه ولا ناصر أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) قال ابن عباس الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه والسماء ذات الرجع تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا والارض ذات الصدع قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد وقوله تعالى انه لقول فصل قال ابن عباس حق وكذا قال قتادة وقال آخر حكم عدل وما هو بالهزل أي بل هو جد حق ثم أخبر عن الكافرين بانهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال انهم يكيدون كيدا أي يمكرون بالناس في دعوتهم الى خلاف القرآن ثم قال تعالى فمهل الكافرين أي أنظرهم ولا تستعجل لهم أمهلهم رويدا أي قليلا أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة سبح وهي مكية)

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما

النظر وقفت على ان اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بان جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول في هذه الصفات بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفعة منزلة له كالقول في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة جبريل عليه السلام كذا ذكره الكرخي (ولقد رآه بالافق المبين) اللام جواب قسم محذوف أي وتالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لان من جهته ترى الاشياء وهذه الرؤية هي الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها وانما قال سبحانه ذلك مع أنه قد رآه غير مرة لانه رآه هذه المرة في صورته له ستمائة جناح قال سفيان انه رآه في أفق السماء الشرقي أي لانه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وقال ابن بحر في أفق السماء الغربي وقال مجاهد رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة والمبين صفة للافق قاله الربيع وقيل صفة لمن رآه قاله مجاهد وقيل معنى الآية ولقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل وقد تقدم القول في هذا في سورة النجم قال ابن عباس في الآية انما عنى جبريل أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رآه في صورته عند سدرة المنتهى والافق المبين السماء السابعة (وما هو) أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (على الغيب) يعني خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا علمه عن أهل مكة (بظنين) أي بمتهم أي هو ثقة فيما يؤدي عن الله سبحانه وقيل بضنين بالضاد أي ببخيل قاله ابن عباس أي لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء أي بمتهم والظنة التهمة واختارها أبو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه واتهموه وقرأ الباقون بالضاد من ضننت بالشيء أضن ضنا اذا بخلت قال مجاهد أي لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه وقيل المراد جبريل انه ليس على الغيب بضنين والاول أولى وقرأ ابن مسعود بالظاء يعني متهم وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرؤها بالظاء أخرجه الدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب فان البخل وما في معناه لا يتعدى بعلى وانما يتعدى بالباء (وما هو) اي القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد من الشياطين

رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى في سور مثلها وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى تفرد به أحمد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن (٢٠٥) أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا هكذا وقع في مسند الامام أحمد اسناد هذا الحديث وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان ابن بشير به قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسعر عن ابراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن ابراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي امامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ولولا خشية الاطالة لاوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم

الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب قال الكلبي يقول ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش كقوله وما تنزلت به الشياطين قال عطاء يريد بالشيطان الشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه ثم بكتهم الله سبحانه ووبخهم فقال (فأين تذهبون) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء اي اين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته قاله قتادة وقال الزجاج معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنات الطريق اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة يريد الى اي ارض تذهب لحذف الى (ان هو الا ذكر للعالمين) اي ما القرآن الا موعظة للخلق اجمعين وتذكير لهم وقوله (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار ومفعول المشيئة (ان يستقيم) اي لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والايمان والطاعة (وما تشاؤن) الاستقامة (الا ان) اي بان (يشاء الله) تلك المشيئة فاعلمهم سبحانه ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه ومثل هذا قوله سبحانه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة والخطاب هنا ليس للمخاطبين في قوله فأين تذهبون بل هو لمن عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم (رب العالمين) اي مالك الخلق اجمعين عن ابي هريرة قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبوا يا محمد وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه

(سورة الانفطار هي تسع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وأخرج النسائي عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء فطول فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتان أنت يا معاذ أين أنت عن سبح اسم

الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الغافقي حدثنا عمي اياس بن عامر سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي (٢٠٦) اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به وقال خولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق الهمداني ان ابن عباس كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى يقول سبحان ربي الاعلى واذا قرأ لا أقسم بيوم القيامة فأتى على آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى يقول سبحانك وبلى وقال قتادة سبح اسم ربك الاعلى ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وقوله تعالى الذي خلق فسوى أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيآت وقوله تعالى والذي قدر فهدى قال مجاهد هدى الانسان للشقاوة والسعادة وهدى الانعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى اخبارا عن موسى أنه قال لفرعون ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وقوله تعالى والذي أخرج المرعى أي من جميع صنوف النباتات والزروع فجعله غثاء أحوى قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى ان ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وان معنى الكلام والذي أخرج المرعى أحوى

ربك والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر اذا السماء انفطرت وقد تفرد بها النسائي وقد تقدم في سورة التكوير حديث من سره أن ينظر الى يوم القيامة رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت الحديث

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) السماء فاعل فعل محذوف يدل عليه المذكور قال الواحدي قال المفسرون انفطارها انشقاقها كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اذا طلع قيل والمراد انها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها وقيل انفطرت لهيبة الله عز وجل (واذا الكواكب انتثرت) اي انقضت وتساقطت متفرقة يقال نثرت الشيء أنثره نثرا والانتثار استعارة لازالة الكواكب حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهي مصرحة أو مكنية (واذا البحار فجرت) أي فجر بعضها من أعلاها وأسفلها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب منها بالمالح وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وقال الحسن معنى فجرت ذهب ماؤها ويبست قال ابن عباس فجرت بعضها في بعض وقيل فاضت العامة على بناء فجرت للمفعول مثقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا وقرأ مجاهد أيضا والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري مبنيا للمفعول مخففا (واذا القبور بعثرت) أي قلب ترابها الذي أهيل على الاموات وقت الدفن وأخرج الموتى الذين هم فيها يقال بعثر يبعثر بعثرة اذا قلب التراب ويقال بعثر المتاع قلبه ظهر البطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله قال الفراء بعثرت أخرجت ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الارض ذهبها وفضتها وقال ابن عباس أي بحثت وكررت اذا التهويل ما في حيزها من الدواهي قال الرازي المراد من هذه الآيات انه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي أشراط الساعة فهنالك يحصل الحشر والنشر وهي ههنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان يتعلقان بالسفليات والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب

أي أخضر الى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وان كان محتملا الا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل وقوله تعالى سنقرئك أي يا محمد فلا تنسى وهذا اخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها الا ماشاء الله وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيأ الا ماشاء الله وقيل المراد بقوله فلا تنسى طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك الا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه وقوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى اى يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك (٢٠٧) شئ وقوله تعالى ونيسرك لليسرى أي نسهل عليك افعال الخير واقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر وقوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى أي ذكر حيث تنفع التذكرة ومن ههنا يؤخذ الادب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وقال حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وقوله تعالى سيذكر من يخشى أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لان بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدى عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم أو قال ينبتون في نهر الحياة أو قال الحياء أو قال الحيوان أو قال نهر الجنة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء قال فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية وقال أحمد أيضا حدثنا اسمعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن اناس أو كما قال تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم

كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التي فيها الاموات وأشار لذلك بقوله واذا القبور بعثرت ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال (علمت نفس ما قدمت وأخرت) والمعنى انها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لانه وقت واحد من عند البعث الى عند مصير أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار والكلام في افراد نفس هنا كما تقدم في السورة الاولى في قوله علمت نفس ما أحضرت ومعنى ما قدمت وأخرت ما قدمت من عمل خير او شر أو أخرت من سنة حسنة أو سيئة لان لها أجر ما سنته من السنن الحسنة وأجر من عمل بها وعليها وزر ما سنته من السنن السيئة ووزر من عمل بها وقال قتادة ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره وقيل ان النفس تعلم عند البعث بما قدمت وأخرت علما اجماليا لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة وأما العلم التفصيلي فانما يحصل عند نشر الصحف عن ابن مسعود قال ما قدمت من خير وما أخرت من سنة صالحة يعمل بها بعده فان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ أو سنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيأ وعن ابن عباس نحوه وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استن خيرا فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم وتلا حذيفة علمت نفس ما قدمت وأخرت ولما أخبر سبحانه في الآية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على وقوعه فقال (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) هذا خطاب للكفار وقال بعضهم المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن العاصي قال الشهاب وهذا أرجح كما في الكشف وغيره والمعنى ما الذي غرك وخدعك وجعلك عاصيا حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا باكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلا فاهما ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شئ منها قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه وقال الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل غره حمقه وجهله وقيل غره عفو الله اذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة كذا قال مقاتل وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع

اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل قال فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبى سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن اياس الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وان أهل النار الذين يريد الله اخراجهم (٢٠٨) يميتهم فيها اماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على انهار الجنة فيرش عليهم من انهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل وقد قال الله تعالى اخبارا عن أهل النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وقال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها الى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) يقول تعالى قد أفلح من تزكى اى طهر نفسه من الاخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وذكر اسم ربه فصلى أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لامر الله وامتثالا لشرع الله وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرمى حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها ثم قال لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى حدثنا مروان بن معاوية عن أبى خلدة قال دخلت على أبى العالية فقال لى اذا غدوت غدا الى العيد فمر بى قال فمررت به فقال هل طعمت شيأ قلت نعم قال افضت على نفسك من الماء قلت نعم قال فأخبرنى ما فعلت زكاتك قلت قد وجهتها قال انما أردتك لهذا ثم قرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال ان أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية

والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية وقال غره والله جهله (الذى خلقك) من نطفة ولم تك شيأ (فسواك) رجلا تسمع وتبصر وتعقل (فعدلك) اى فجعلك معتدلا قال عطاء جعلك قائما معتدلا حسن الصورة وقال مقاتل عدل خلقك فى العينين والاذنين واليدين والرجلين والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء قرأ الجمهور فعدلك مشددا وقرئ بالتخفيف واختار الاولى أبو عبيد وأبو حاتم قال الفراء وأبو عبيد يدل عليها قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ومعنى القراءة الاولى أنه سبحانه جعل اعضاءه متعادلة لا تفاوت فيها ومعنى الثانية أنه صرفه وأماله الى أى صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا (فى أى صورة ما شاء ركبك) فى أى صورة متعلق بركبك وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال أى ركبك حاصلا فى أى صورة ونقل أبو حيان عن بعض المفسرين أنه متعلق بعدلك واعترض عليه بان أى لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قال مقاتل والكلبى ومجاهد فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء أنثى (كلا) ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر به والمعاصى له أو بمعنى حقا (بل تكذبون بالدين) اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه الى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء أو بدين الاسلام قال ابن الانبارى الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك وعلى كلا قبيح والمعنى بل تكذبون يا أهل مكة بالدين أى بالحساب وبل لنفى شئ تقدم وتحقيق غيره وانكار البعث قد كان معلوما عندهم وان لم يجر له ذكر قال الفراء كلا ليس الامر كما غررت به قرأ الجمهور تكذبون بالفوقية على الخطاب وقرأ الحسن وابو جعفر وشيبة بالتحتية على الغيبة وجملة (وان عليكم لحافظين) فى محل نصب على الحال من فاعل تكذبون أى تكذبون والحال ان عليكم من يدفع تكذيبكم أو مستأنفة مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم والحافظون الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالهم وتكتبونها

المناهقات وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز انه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال أبو الاحوص اذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدى صلاته زكاته فان الله تعالى يقول قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال قتادة فى هذه الآية قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى زكى ماله وأرضى خالقه ثم قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا أى تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم فى معاشكم ومعادكم والآخرة خير وأبقى أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية (٢٠٩) فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبى اسحق عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفى قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحياة الدنيا ترك القراءة وأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو اخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا سليمان ابن داود الهاشمى حدثنا اسمعيل ابن جعفر أخبرنى عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبى

موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى تفرد به أحمد وقد رواه أيضا عن أبى سلمة الخزاعى عن الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو به مثله سواء وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن على حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قال النبى صلى الله عليه وسلم كان كل هذا وكان هذا فى صحف ابراهيم وموسى ثم قال لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن

ويكتبونها فى الصحف قال ابن عباس جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل والنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وهذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة أجمعت على عموم هذا الخطاب فى حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بنى آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بنى آدم ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جماعة من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار أو كما قيل انهم خمسة واختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى فى هذه الآية وفى قوله تعالى وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فاخبر أن لهم كتابا وان عليهم حفظة ثم وصفهم سبحانه فقال (كراما كاتبين) أى انهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من اعمال العباد (يعلمون) على التجدد والاستقرار (ما تفعلون) فى الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادة قال الرازى المعنى التعجب من حالهم كأنه قال انكم تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور فيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال (ان الابرار لفى نعيم) اى جنة (وان الفجار لفى جحيم) اى نار والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذى سيقت له وهى كقوله سبحانه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولفظ الفجار عائد على الكافرين الذين تقدم ذكرهم وليس شاملا لعصاة المؤمنين لانا لا نسلم ان مرتكب الكبيرة من المؤمنين فاجر على الاطلاق قال فى الفجار للعهد الذكرى بدليل قوله بل تكذبون بالدين (يصلونها يوم الدين) صفة لجحيم أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما حالهم فقيل يصلونها يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به ويجوز أن يكون فى محل نصب على الحال من الضمير فى متعلق الجار والمجرور ومعنى يصلونها انهم يلزمونها مقاسين لوهجها وحرها يومئذ قرأ الجمهور

السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه قبل هذا وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال كلها في صحف ابراهيم وموسى ولما نزلت وابراهيم الذي وفى قال وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى يعني ان هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى الآيات الى (٢١٠) آخرهن وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى يقول الآيات التي في سبح اسم ربك الاعلى وقال أبو العالية قصة هذه السورة في الصحف الاولى واختار ابن جرير ان المراد بقوله ان هذا اشارة الى قوله قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ثم قال تعالى ان هذا أي مضمون هذا الكلام لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هذا الذي اختاره حسن قوي وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم آخر تفسير سورة سبح ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة الغاشية وهي مكية)

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة وقال الامام مالك عن ضمرة ابن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله ان الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة قال هل أتاك حديث الغاشية رواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع) الغاشية من أسماء يوم القيامة قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لانها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى

يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول (وما هم عنها بغائبين) أي لا يفارقونها أبدا ولا يغيبون عنها بل هم فيها وقيل المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرها في قبورهم ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال (وما أدراك ما يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب (ثم ما أدراك ما يوم الدين) كرره تعظيما لشأنه وتفخيما لقدره وتهويلا لامره كما في قوله القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة والحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة والمعنى أي شئ جعلك داريا ما يوم الدين قال الكلبي الخطاب للانسان الكافر ثم أخبر سبحانه عن اليوم فقال (يوم لا تملك نفس) من النفوس (لنفس أخرى (شيأ) من النفع والضر وملك الشفاعة لبعض الناس اذ ذلك انما هو باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ذكره الخفاوي قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه بدل من يوم الدين أو خبر مبتدا محذوف وقرأ أبو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة وقرأ الباقون بفتحه على انه فتحة اعراب بتقدير أعني أو اذكر فيكون مفعولا به أو على انه فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رأي الكوفيين وهو في محل رفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو على انه بدل من يوم الدين قال الزجاج يجوز أن يكون في موضع رفع الا أنه بني على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك وما أضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الذي ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي وأما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزجاج على ذلك أبو علي الفارسي والفراء وغيرهما (والامر يومئذ لله) وحده لا يملك شيأ من الامر غيره كائنا من كان قال مقاتل يعني لنفس كافرة شيأ من المنفعة قال قتادة ليس ثم أحد يقضي شيأ أو يصنع شيأ الا الله رب العالمين والمعنى ان الله لا يملك أحدا في ذلك اليوم شيأ من الامور كما ملكهم في الدنيا ومثل هذا قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

(سورة المطففين هي ست وثلاثون آية)

قال القرطبي وهي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل أيضا هي أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية الا ثمان آيات من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس قال آخر ما نزل

الله عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الغاشية فقام يستمع ويقول نعم قد جاءنى وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة أى ذليلة قاله قتادة وقال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى عاملة ناصبة أى قد عملت عملا كثيرا ونصبت فيه وصليت يوم القيامة نارا حامية قال الحافظ أبو بكر البرقانى حدثنا ابراهيم بن محمد المزنى حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجونى يقول مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب فاشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكى فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا قال ذكرت قول الله عز وجل فى كتابه عاملة ناصبة تصلى نارا حامية فذاك الذى أبكانى وقال البخارى قال ابن عباس عاملة ناصبة النصارى وعن عكرمة والسدى عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى النار بالعذاب والاغلال قال ابن عباس والحسن وقتادة تصلى نارا حامية أى حارة شديدة الحر تسقى من عين آنية أى قد انتهى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى وقوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه انها الحجارة وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن الجوزاء وقتادة هو الشبرق قال قتادة قريش تسميه فى الربيع الشبرق وفى الصيف الضريع قال عكرمة وهو شجر ذو شوك لاطئة بالارض وقال البخارى قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق تسميه أهل الحجاز الضريع اذا يبس وهو سم وقال معمر عن قتادة الا من ضريع هو الشبرق اذا يبس سمى الضريع وقال سعيد عن قتادة ليس لهم طعام الا من ضريع من شر الطعام وأبشعه وأخبثه وقوله تعالى لا يسمن ولا يغنى من جوع يعنى لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) لما ذكر حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء فقال وجوه يومئذ أى يوم القيامة ناعمة أى يعرف النعيم فيها وانما حصل لها ذلك بسعيها وقال سفيان لسعيها راضية قد رضيت عملها وقوله تعالى فى جنة عالية أى رفيعة بهية فى الغرفات آمنون لا تسمع فيها لاغية أى لا تسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى لا يسمعون

بمكة سورة المطففين وعنه قال لما قدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك أخرجه ابن مردويه والبيهقى فى الشعب قال السيوطى بسند صحيح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز قال مكى والمختار فى ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا أو معرفا كان الاختيار فيه النصب كقوله ويلكم لا تفتروا والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ فى الكيل أو الوزن شيأ طفيفا أى نزرا خفيفا حقيرا قال أهل اللغة المطفف مأخوذ من الطفف وهو القليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن قال الزجاج انما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف قال أبو عبيدة والمبرد المطفف الذى يبخس فى الكيل والوزن والمراد بالويل هنا شدة العذاب أو نفس العذاب أو الشر الشديد أو هو واد فى جهنم قال الكلبى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وهم يسيؤن كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت هذه الآية وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان بها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية قال الفراء هم بعد نزول هذه الآية أحسن الناس كيلا الى يومهم هذا وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا أو يدفع الى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن ان لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن ثم بين سبحانه المطففين من هم فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) الاكتيال الاخذ بالكيل قال الفراء يريد اكتالوا من الناس وعلى ومن فى هذا الموضع يعتقبان يقال اكتلت منك أى استوفيت منك وتقول اكتلت عليك أى أخذت ما عليك قال الزجاج

فيها الغو الاسلاما وقال تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الاثبات وليس المراد بها عينا واحدة وانما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات قال ابن أبى حاتم قرئ على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبيد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا (٢١٢) أراد ولى الله ان يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشراب معدة مرصدة لمن أرادها من اربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم وقوله تعالى (وزرابى مبثوثة) قال ابن عباس الزرابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو ابن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبهوا بذلك لان العرب غالب دوابهم

اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل قال الزمخشرى لما كان اكتيالهم اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق يستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها قال السمين وهو حسن ولم يذكر اتزنوا لان الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر قال الواحدى قال المفسرون يعنى الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا فى الكيل والوزن واذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا وهو معنى قوله (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل الى المفعول فهو من باب الحذف والايصال ومثله نصحتك ونصحت لك كذا قال الاخفش والكسائى والفراء وقال الفراء سمعت أعرابية تقول اذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله تأكيدا أى توكيدا للضمير المستكن فى الفعل فيجيز الوقف على كالوا أو وزنوا قال أبو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين ويقف على كالوا ووزنوا ثم يقول هم يخسرون قال وأحسب قراءة حمزة كذلك قال أبو عبيد والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط ولذلك كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربى كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وشكرتك وشكرت لك ونحو ذلك وقيل هو على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف المكيل والموزون أى واذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم ومعنى يخسرون ينقصون كقوله ولا تخسروا الميزان والعرب تقول خسرت الميزان وأخسرته ثم خوفهم سبحانه فقال (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون) مستأنفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه وللتعجيب من حالهم فى الاجتراء عليه والاشارة بأولئك الى المطففين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد والمعنى انهم لا يخطرون ببالهم انهم مبعوثون فمسؤلون عما يفعلون قيل والظن هنا بمعنى اليقين أى لا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما انتقصوا الكيل والوزن وقيل الظن على بابه والمعنى ان كانوا لا يستيقنون البعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويحتاطوا ويتركوا

كانت الابل وكان شريح القاضي يقول أخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت أي كيف رفعها الله عز وجل عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والى الجبال كيف نصبت أي جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الارض باهلها وجعل فيها ما جعل فيها من المنافع والمعادن والى الارض كيف سطحت أي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والارض التي تحته على قدرة (٢١٣) خالق ذلك وصانعه وانه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا ان يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد انه أتانا رسولك فزعم لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق قال فمن خلق السماء قال الله قال فمن خلق الارض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال الله قال فبالذي خلق السماء والارض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا زكاة في أموالنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى قال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيأ ولا أنقص منهن شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان صدق ليدخلن الجنة وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخاري ورواه الترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس به بطوله وقال في آخره وأنا ضمام ابن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر

ما يخشون من عاقبته ويأخذوا بالاحوط (ليوم عظيم) هو يوم القيامة ووصفه بالعظم لكونه زمانا لتلك الامور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ثم زجر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي يوم يقومون من قبورهم لامر رب العالمين أو لجزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه وفي وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف ومزيد اثمه وفظاعة عقابه وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وعطاء بل في كل قول وعمل وحال وقيل المراد بقوله يوم يقوم الناس قيامهم في رشحهم الى أنصاف آذانهم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقيل المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد وقيل المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء والاول أولى وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية فكيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم أخرجه الطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس الى الغروب الى أن تغرب أخرجه أبو يعلى وابن حبان وابن مردويه وعن ابن مسعود قال اذا حشر الناس قاموا أربعين عاما أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعا وعن ابن عمر أنه قال يا رسول الله كم مقام الناس بين يدي رب العالمين يوم القيامة قال ألف سنة لا يؤذن لهم أخرجه الطبراني وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) هي للردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث وما بعده أو بمعنى حقا ثم استأنف فقال (ان كتاب الفجار) اظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف يعني ان كتب اعمال الكفار (لفي سجين) وهو ما فسره به سبحانه من قوله (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فأخبر

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك قالت الله قال فمن خلق أبي قالت الله قال فمن خلقني قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبل قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال اني لاسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا هذا في اسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو (٢١٤) المديني ضعفه ولده الامام علي بن المديني وغيره وقوله تعالى فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ولهذا قال لست عليهم بمسيطر قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما لست عليهم بجبار أي لست تخلق الايمان في قلوبهم وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم على الايمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ثم قرأ فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وهكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية وقوله تعالى الا من تولى وكفر أي تولى عن العمل باركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ولهذا قال فيعذبه الله العذاب الاكبر قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد ان أبا امامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على أهله تفرد باخراجه الامام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما ههنا روى عن أبي امامة وعنه سعيد بن أبي هلال وقوله تعالى ان الينا ايابهم أي مرجعهم ومنقلبهم ثم ان علينا حسابهم أي نحن نحاسبهم على

بهذا انه كتاب مرقوم أي مسطور قيل هو كتاب جامع لاعمال الامر الصادرة من الشياطين والكفرة والفسقة ولفظ سجين علم له وقال قتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب انه صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها وبه قال مجاهد فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف والتقدير محل كتاب مرقوم وقال ابو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج لفي حبس وضيق شديد والمعنى كأنهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانهم قال الواحدي ذكر قوم ان قوله كتاب مرقوم تفسير سجين وهو بعيد لانه ليس السجين من الكتاب في شئ على ما حكيناه عن المفسرين والوجه ان يجعل بيانا للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير هو كتاب مرقوم أي مكتوب قد بينت حروفه انتهى والاولى ما ذكرناه ويكون المعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم أو كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون للقبائح المختص بالشر وهو سجين ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال وما أدراك ما سجين ثم بينه بقوله كتاب مرقوم قال الزجاج معنى قوله وما أدراك ما سجين ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك اى في الدنيا قبل نزول الوحي عليك وانما علمته بالوحي قال قتادة ومعنى مرقوم رقم لهم بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وكذا قال مقاتل وقد اختلفوا في نون سجين فقيل هي أصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء مبالغة كخمير وسكير وفسيق من الخمر والسكر والفسق وكذا قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا ويجاب عنه بان رواية هؤلاء الائمة تقوم بها الحجة وتدل على انه من لغة العرب ومنه قول ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصت به الابطال سجينا

وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب قال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف وهو قوله لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا للسجين ما هو كذا قال الضحاك وقوله مرقوم مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة وقال كعب الاحبار في الآية ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها فتهبط بها الى الارض فتأبى ان تقبلها فيدخل بها تحت

أعمالهم ويجازيهم بها ان خيرا فخير وان شرا فشر آخر تفسير سورة الغاشية ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة الفجر وهي مكية)*
قال النسائي انا عبد الوهاب بن الحكم أخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى فقال يارسول الله جئت أصلي معه فطول علي فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناقتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتانا يامعاذ أين أنت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس (٢١٥) وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد) أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا مامن أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن من هذه الايام يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ وقيل المراد بذلك العشر الاول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه الى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس وليال عشر قال هو العشر الاول من رمضان والصحيح القول الاول قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله كل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا اسناد رجاله لا بأس بهم وعندي ان المتن في رفعه نكارة والله أعلم وقوله والشفع والوتر قد تقدم في هذا الحديث ان الوتر يوم عرفة لكونه

سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس وعن ابن عباس قال سجين أسفل الارضين وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح قال ابن كثير هو حديث غريب منكر لا يصح وأخرج ابن مردويه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين الارض السابعة السفلى وأخرج هو عن جابر نحوه مرفوعا وعن عبد الله بن كعب بن مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت ان لقيت ابني فاقرأه مني السلام فقال غفر الله لك ياأم بشر نحن اشغل من ذلك فقالت اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت وان نسمة الكافر في سجين قال بلى قالت فهو ذاك أخرجه ابن ماجه والطبراني والبيهقي في البعث وعبد بن حميد (ويل يومئذ للمكذبين) هذا متصل بقوله يوم يقوم الناس وما بينهما اعتراض والمعنى ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال (الذين يكذبون بيوم الدين) اي يوم القيامة لانه يوم الجزاء والحساب والموصول بدل من المكذبين أو صفة (وما يكذب به الا كل معتد أثيم) اى فاجر جائر متجاوز في الاثم منهمك في أسبابه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنزلة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم (قال أساطير الاولين) اى أحاديثهم وأباطيلهم التي زخرفوها والحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم او اسطارة بالكسر قرأ الجمهور تتلى بفوقيتين وقرئ بالتحتية وقوله (كلا) للردع والزجر للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقال الحسن بمعنى حقا وقوله (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان للسبب الذي حملهم على قولهم ان القرآن أساطير الاولين قال أبو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها رينا وريونا وكل ماغلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك قال الفراء هو أنها كثرت منهم المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب قال مجاهد القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا أذنب انقبض وضم أصبعه فاذا أذنب ذنبا آخر انقبض وضم أخرى حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية قال أبو زيد يقال قد رين بالرجل

ربنا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال أبو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كالصدا يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن كلا بل ران على قلوبهم الخ أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وغيرهم ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا) وقيل كلا بمعنى حقا أي حقا (انهم) يعني الكفار (عن ربهم) أي عن رؤيته (يومئذ) أي يوم القيامة (لمحجوبون) لا يرونه أبدا قال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى ربهم نظر المؤمنين اليه قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته قال الزجاج في هذه الآية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة وقال جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأعلم سبحانه ان المؤمنين ينظرون وأعلم ان الكفار محجوبون وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وقال قتادة وابن أبي مليكة هو أن لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم وقال مجاهد محجوبون عن كرامته وكذا قال ابن كيسان والاول أولى (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلوا النار وملازموها غير خارجين منها وثم لتراخي الرتبة لان صلى الجحيم أشد من الاهانة وحرمان الكرامة (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقول لهم خزنة جهنم تبكيتا وتوبيخا هذا ما كذبتم به في الدنيا وأنكرتم وقوعه فانظروه وذوقوه وقوله (كلا) للردع والزجر عما كانوا عليه والتكرير للتأكيد وجملة (ان كتاب الابرار لفي عليين) مستأنفة لبيان ما تضمنته ويجوز أن تكون كلا بمعنى حقا فالحاصل ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين والابرار هم المطيعون وكتابهم صحائف حسناتهم قال الفراء عليين ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له ووجه هذا انه منقول من جمع علي من العلو قال الزجاج هو أعلى الامكنة قال الفراء والزجاج فأعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين وعشرين وقنسرين وقيل هو علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عمله الصالحون وحكى الواحدي عن المفسرين انه السماء

التاسع وان الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضا قول ثان وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى والشفع والوتر قلت صلاتنا وترنا هذا قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحى قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر (٢١٦) فقال الشفع قول الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قول رابع قال الحسن البصري وزيد بن أسلم الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الاول وقال العوفي عن ابن عباس والشفع والوتر قال الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب قول خامس قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد والشفع والوتر قال الشفع الزوج والوتر الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والانثى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والشفع والوتر كل شيء خلقه الله شفع السماء والارض والبر والبحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي لتعلموا أن خالق الازواج واحد قول سادس قال قتادة عن الحسن والشفع والوتر هو العدد منه شفع ومنه وتر قول سابع في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible] هكذا ورد هذا الخبر [illegible] من [illegible]

منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين والشفع والوتر قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه عام قال الامام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام ان شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر هكذا وقع في المسند وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو بن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم (قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد ابن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفع والوتر قال هي الصلاة منها شفع ومنها وتر فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري امام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الزاوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الاشعث وليس له

السابعة قال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين وقال الضحاك أيضا هو سدرة المنتهى ينتهي اليه كل شيء من أمر الله لا يعدوها وقيل هو الجنة وبه قال ابن عباس وقال قتادة أيضا هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقيل ان عليين صفة للملائكة فانهم في الملا الاعلى كما يقال فلان في بني فلان أي في جملتهم وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش مكتوبة فيه أعمالهم وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقيل هو مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) أي ما أعلمك يا محمد أي شيء عليون على جهة التفخيم والتعظيم لعليين أخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل كعب الاحبار عن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين قال روح المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها الى العرش وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني وابن مردويه ثم فسره سبحانه بقوله (كتاب مرقوم) أي مسطور وقيل مكتوب فيه أعمالهم أو ما أعد لهم في الآخرة من الكرامة وهذا التفسير الالهي يغني عن تفاسير الخلق قال الخطيب مكتوب فيه ان فلانا آمن من النار رقباله من رقم ما أبهاه وأجمله والكلام في هذا كالكلام المتقدم في قوله وما أدراك ما سجين الخ وجملة (يشهده المقربون) صفة أخرى لكتاب والمعنى ان الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويحفظونه وقيل يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه والاول من الشهود والثاني من الشهادة قال وهب وابن اسحق المقربون هنا اسرافيل فاذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها وقال ابن عباس المقربون أهل السماء ثم ذكر سبحانه حالهم في الجنة بعد ذكر كتابهم فقال (ان الابرار لفي نعيم) أي ان أهل الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره (على الارائك ينظرون) الارائك الاسرة التي في الحجال (١) وقد تقدم انها لا تطلق الاريكة على السرير الا اذا كان في حجلة قال الحسن ما كنا ندري ما الارائك حتى قدم علينا رجل من اليمن فزعم ان الاريكة

(١) قال الجوهري الحجال جمع حجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين بالثياب والاسرة ذكره الكرخي اهـ

عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد وعندي ان وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى والليل اذا يسرى قال العوفي عن ابن عباس أي اذا ذهب وقال عبد الله بن الزبير والليل اذا يسرى حتى يذهب بعضه بعضا وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد والليل اذا يسرى اذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد اذا سار أي أقبل وقد يقال ان هذا أنسب لانه في مقابلة قوله والفجر فان الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل

فاذا حمل قوله والليل اذا يسرى على اقباله كان قسما باقبال الليل وادبار النهار وبالعكس كقوله والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وكذا قال الضحاك والليل اذا يسرى أي يجري وقال عكرمة والليل اذا يسرى يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله والليل اذا يسرى قال اسر يا ساري ولا تبيتن الا بجمع وقوله تعالى هل في ذلك قسم لذى حجر أي لذي عقل ولب وحجا وانما سمي العقل حجرا لانه يمنع الانسان عن تعاطي ما لا يليق من الافعال والاقوال ومنه حجر البيت لانه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي ومنه حجر اليمامة وحجر الحاكم على فلان اذا منعه التصرف ويقولون حجرا محجورا كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب وهذا القسم هو باوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها اليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده ألم تر كيف فعل ربك بعاد وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهؤلاء عاد الاولى وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن اسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فانجاه الله من بين اظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى

عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير قال الشهاب الحجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في عرف الناس بالناموسية والمعنى انهم ينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات كذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما وقال مقاتل ينظرون الى أهل النار وقيل ينظرون الى وجهه وجلاله (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي اذا رأيتهم عرفت انهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والتنعم والرونق أخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب في الآية قال عين في الجنة يتوضؤن منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم أي بهجة التنعم وطراوته والخطاب لكل راء يصلح لذلك يقال أنضر النبات اذا أزهر ونور قال عطاء وذلك ان الله زاد في جمالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف قرأ الجمهور تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء ونصب نضرة وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة بالنيابة (يسقون من رحيق) خمر خالصة من الدنس فهي بيضاء (مختوم) على انائها لا يفك ختمها الا هم قال أبو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده والمختوم الذي له ختام وقال الخليل الرحيق أجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر وقال مجاهد هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية قال مجاهد مختوم مطين كأنه ذهب الى معنى الختم بالطين ويكون المعنى انه ممنوع ان تمسه يد الى ان يفك ختمه للأبرار وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فطريق الجمع بينهما ان المذكور في هذه الآية في أوان مختوم عليها لشرفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار (ختامه مسك) أي آخر طعمه ريح المسك اذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك وقيل مختوم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطين وكأنه تمثيل لكمال نفاسته وطيب رائحته والحاصل ان المختوم والختام اما ان يكون من ختام الشيء وهو آخره أو من ختم الشيء وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الاشياء بالطين ونحوه وقال ابن مسعود الرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وعنه مختوم ممزوج ختامه مسك قال طعمه في ريحه وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقال ابن عباس رحيق خمر ومختوم ختم بالمسك عن ابن مسعود قال ليس بخاتم فيختم به ولكن خلطه بمسك ألم تر الى المرأة من نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا وعن أبي

الدرداء

كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى ارم ذات العماد عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى ذات العماد لانهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالاعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم الى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين وقال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وقال ههنا التي لم يخلق مثلها في البلاد أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم قال مجاهد ارم أمة قديمة يعني عادا الاولى كما قال قتادة بن دعامة والسدي ان ارم بيت مملكة عاد وهذا حسن جيد قوي وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله ذات العماد كانوا أهل عمود لا يقيمون وقال العوفي عن ابن عباس انما قيل لهم ذات العماد لطولهم واختار الاول ابن جرير ورد الثاني فأصاب وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالاحقاف لم يخلق مثلها في البلاد وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم وهذا القول هو الصواب وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لانه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال لم يخلق مثلها في البلاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور ابن زيد الديلي قال قرأت كتابا قد سمي حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد وأنا الذي شددت بذراعي (١) نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم قلت فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة

(١) قوله نظر واحد كذا في الاصل الذي بأيدينا وحرر المعنى واللفظ اه

الدرداء ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل اصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحها قرأ الجمهور ختامه وقرئ خاتمه بفتح التاء قال علقمة أما رأيت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا أي آخره والخاتم والختام يتقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر كذا قال الفراء وقال في الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال ابن زيد (وفي ذلك) الرحيق الموصوف بتلك الصفة (فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون وقيل ان في بمعنى الى أي والى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل كما في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وأصل التنافس التشاجر على الشئ والتنازع فيه بان يحب كل واحد ان ينفرد به دون صاحبه يقال نفست الشئ عليه نفاسة أي ضننت به ولم أحب ان يصير اليه قال البغوي أصله من الشئ النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضن به قال عطاء المعنى فليستبق المستبقون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وذا لا يكون الا بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد (ومزاجه) معطوف على ختامه مسك صفة أخرى لرحيق أي ومزاج ذلك الرحيق (من تسنيم) وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو أشرف شراب الجنة وأصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو الى أسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ومنه تسنيم القبور قال ابن عباس تسنيم أشرف شراب الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لاصحاب اليمين وسائر أهل الجنة وقال ابن عباس لما سئل عن هذا هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن مسعود عين في الجنة تمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا ثم بين سبحانه ذلك فقال (عينا يشرب بها المقربون) انتصاب عينا على المدح وقال الزجاج على الحال وانما جاز ان يكون عينا حالا مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله يشرب بها وقال الاخفش انها منصوبة بيسقون وقال الفراء بتسنيم والاول أولى وبه قال المبرد وقيل والباء في بها زائدة أي يشربها أو بمعنى من أي يشرب منها قال ابن زيد بلغنا انها عين تجري من تحت العرش ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال (ان الذين أجرموا) وهم كفار قريش كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وأصحابهم من أهل مكة

ومن وافقهم على الكفر حكى الله عنهم أربعة أشياء من العلامات القبيحة أولها (كانوا من الذين آمنوا) كعمار وبلال وخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أي يستهزؤن بهم في الدنيا ويسخرون منهم وآخرها قولهم ان هؤلاء لضالون وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا أو لمراعاة الفواصل (واذا مروا بهم) أي واذا مر المؤمنون بالكفار وهم في مجالسهم (يتغامزون) من الغمز وهو الاشارة بالجفون والحواجب أي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وحواجبهم طعنا فيهم وعيبا لهم وقيل يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به (واذا انقلبوا) أي اذا انقلب الكفار من مجالسهم (الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أي معجبين بما هم فيه متلذذين به يتفكهون بذكر المؤمنين والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم والانقلاب الانصراف قرأ الجمهور فاكهين وقرئ فكهين بغير ألف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم بيانه في سورة الدخان ان الفكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم (واذا رأوهم) أي اذا رأى الكفار المسلمين في أي مكان (قالوا ان هؤلاء لضالون) في اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بما جاء به وتركهم التنعم الحاضر يعني خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال أو المعنى واذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والاول أولى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أي والحال انهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم وأعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم بل أمروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع عورات غيرهم وتسفيه احلامهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى ويجوز أن يكون ذلك من جملة قول المؤمنين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام قاله أبو السعود والاول أولى وأظهر (فاليوم) أي يوم الآخر (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعني ان المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (على الارائك ينظرون) اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الحال الفظيع والهوان والصغار بعد العزة والاستكبار

سوى تهم البدو أو نسلا جاهلية لتناولت به أو طول الواحد منهم فيهم قبيلة أو أمة من الامم وهذا هو المذكور في القرآن في غير ما موضع المقرون بثمود كما ههنا والله أعلم ومن زعم ان المراد بقوله ارم ذات العماد مدينة اما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روي عن القرظي أو غيرهما ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام على هذا ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ان جعل ذلك بدلا أو عطف بيان فانه لا يتسق الكلام حينئذ ثم المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو اقليم وانما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباءها لآلئ وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب وانها تنتقل فتارة تكون بارض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الاسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ان صدقهم في جميع ذلك وذكر الثعلبي وغيره ان رجلا من الاعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها اذا اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وانه رجع فاخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيأ وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة ارم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح الى ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو انه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد ان ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك وهذا مما يقطع بعدم صحته وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الارض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والاكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول اليها والاخذ منها فيحتالون على أموال الاغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم والذي يجزم به ان في الارض

دفائن جاهلية واسلامية وكنوزاً كثيرة فمن ظفر بشئ منها أمكنه تحويله فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شئ مما يقولون الا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله ارم ذات العماد قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف فيه نظر لأن المراد من السياق انما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابي النمار اذا خرقوها واجتاب الثوب (٢٢١) اذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر

ألا كل شئ ما خلا الله بائد
كما باد حي من شنيق ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة
بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن اسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته وقوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد قال العوفي عن ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالاوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي قال السدي كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا انه كانت له مطال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قيل لفرعون ذي الاوتاد لانه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقوله تعالى الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الارض بالافساد والاذية للناس فصب عليهم ربك سوط عذاب أي أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والاخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي اسناده نظر وفي صحته فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس

وقد تقدم تفسير الارائك قريبا قال الواحدي قال المفسرون ان أهل الجنة اذا أرادوا نظروا من منازلهم الى أعداء الله وهم يعذبون في النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم في الدنيا وقال أبو صالح يقال لاهل النار اخرجوا ويفتح لهم أبوابها فاذا رأوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الخ وجملة (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) مستأنفة لبيان انه قد وقع الجزاء الكفار بما كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى اثيب والمعنى هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين وقيل الجملة في محل نصب بينظرون وقيل هي على اضمار القول أي يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار والثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويطلق على الخير والشر قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بادغام لام هل في ثاء ثوب وقرأ الباقون بترك الادغام

(سورة الانشقاق هي ثلاث أو خمس وعشرون آية)

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق وعن بريدة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهر اذا السماء انشقت ونحوها اخرجه ابن خزيمة والروياني في مسنده والضياء المقدسي في المختارة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) اى انصدعت وتفطرت فيه حذف والتقدير اذا انشقت السماء انشقت لان اذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص فالسماء فاعل لفعل محذوف قال الواحدي قال المفسرون انشقاقها من علامات القيامة ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الابيض كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام وقيل تنشق من المجرة وبه قال علي بن ابي طالب

والمجرة باب السماء واهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس واختلف في جواب اذا فقال الفراء انه اذنت والواو زائدة وكذلك ألقت قال ابن الانباري هذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الامع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ولا تقحم مع غير هذين وقيل ان الجواب قوله فملاقيه اي فانت ملاقيه وبه قال الاخفش وقال المبرد ان في الكلام تقديما وتأخيرا أي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقال المبرد أيضا ان الجواب قوله فاما من اوتي كتابه وبه قال الكسائي والتقدير اذا السماء انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا وقيل هو يا ايها الانسان على اضمار الفاء او على اضمار القول اي يقال له يا ايها الانسان وقيل الجواب محذوف تقديره بعثتم او لاقى كل انسان عمله وقيل هو ما صرح به في سورة التكوير اي علمت نفس هذا على تقدير ان اذا شرطية وقيل ليست بشرطية وهي منصوبة باذكر المحذوف وهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة وتقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض ومعنى (وأذنت لربها وحقت) انها اطاعته في الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع مشتق من الاذن وهو الاستماع للشئ والاصغاء اليه وحق لها ان تطيع وتنقاد وتسمع وقد استعمل الاذن في الاستماع في اشعار العرب وفي الحديث ما أذن الله لشئ اذنه لنبي يتغنى بالقرآن قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذن

وقال الجحاف بن حكيم * اذنت لكم لما سمعت هديركم * وفي المختار اذن له استمع وبابه طرب وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق أي جعلها حقيقة بذلك قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا ومعنى طاعتها انها لا تمتنع مما أراد الله بها قال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومن هذا قول كثير

فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت

(واذا الارض مدت) أي بسطت كما تبسط الادم ودكت جبالها وكل أمت فيها حتى صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى

الحذاء عن أبي حمزة البيساني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير يا معاذ ان المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره يا معاذ ان المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو باذن الله عز وجل فالقرآن دليله والخوف محجته والشوق مطيته والصلاة كهفه والصوم جنته والصدقة فكاكه والصدق أميره والحياء وزيره وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد قال ابن أبي حاتم يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي انه سمعه وهو يعظ الناس يقول ان لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الاولى فيقول قفوهم انهم مسؤلون قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا فاذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الامانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا فاذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا قال والرحم يومئذ متدلية الى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد هكذا أورد هذا الاثر ولم يذكر تمامه (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال عليها حبا جما) يقول تعالى منكرا على الانسان في اعتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله اكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وكذلك في الجانب الآخر اذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد ان ذلك من الله اهانة له قال الله تعالى كلا أي ليس الامر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وانما المدار في ذلك على طاعة

اللهم في كل من الحالين اذا كان غنيا بان يشكر الله على ذلك واذا كان فقيرا بان يصبر وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم فيه أمر بالاكرام
له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن
[illegible] أنا
وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل
يعني ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل (٢٢٣) اليتيم كهاتين في الجنة وقرن بين أصابعه الوسطى

والتي تلي الابهام ولا تحاضون على طعام المسكين يعني لا يأمرون بالاحسان الى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك وتأكلون التراث يعني الميراث أكلا لما أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام وتحبون المال حبا جما أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا (كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الاهوال العظيمة فقال تعالى كلا أي حقا اذا دكت الارض دكا دكا أي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون اليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولي العزم واحدا واحدا فكلهم
يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها فيذهب فيشفع عند الله تعالى في ان يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن خالد الكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وهكذا رواه الترمذي عن

عليها بناء ولا جبل الا دخل فيها وقيل مدت زيد في سعتها من المدد وهو الزيادة قال ابن عباس تمد يوم القيامة وأخرج الحاكم قال السيوطي بسند جيد عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون لابن آدم فيها الا موضع قدميه (وألقت ما فيها) أي أخرجت ما فيها من الاموات والكنوز وطرحتهم الى ظهرها ورمت (وتخلت) من ذلك قال ابن عباس أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت عمن على ظهرها من الاحياء ومثل هذا قوله وأخرجت الارض أثقالها والمعنى تخلت غاية الخلو لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه وذلك يؤذن بعظم الامر وقيل ألقت ما استودعته وتخلت مما استحفظته ووصفت الارض بالالقاء والتخلية توسعا والا فالتحقيق أن المخرج لتلك الاشياء هو الله تعالى (وأذنت لربها) أي سمعت وأجابت وأطاعت لما أمرها به من الالقاء والتخلي وقال ابن عباس سمعت حين كلمها وعنه قال أطاعت وحقت بالطاعة وعنه قال سمعت وأطاعت (وحقت) أي وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا وليس تكرارا لان الاول في السماء وهذا في الارض وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة (يا أيها الانسان) المراد جنس الانسان فيشمل المؤمن والكافر وقيل هو الانسان الكافر والاول أولى لما سيأتي من التفصيل (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيرا أو شرا والمعنى انك ساع الى ربك في عملك أو الى لقاء ربك مأخوذ من كدح جلده اذا خدشه قال قتادة والضحاك والكلبي عامل لربك عملا وفي المختار الكدح العمل والسعي والكد والكسب وهو الخدش أيضا وباب الكل قطع (فملاقيه) أي فملاق عملك وبه قال ابن عباس والمعنى انه لا محالة ملاق لجزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب قال الشهاب أي ملاق كدحه بنفسه من غير تقدير لوجوده في صحفه وعلى هذا فما بعده تفصيل له قال القتيبي معنى الآية انك كادح أي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك لا مفر لك منه والملاقاة بمعنى اللقاء أي تلقى ربك بعملك وقيل فملاق كتاب عملك لان العمل قد انقضى (فأما من أوتي كتابه) أي كتاب عمله (بيمينه) وهم

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبي عامر عن سفيان الثوري عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قوله وقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه وأنى له الذكرى أي وكيف تنفعه الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي ان كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات (٣٢٤) ان كان طائعا كما قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحق حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك حدثنا ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان عبدا خر على وجهه من يوم ولد الى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد الى الدنيا كيما يزداد من الاجر والثواب (١) قال الله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد أي ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه ولا يوثق وثاقه أحد أي وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك أي الى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته راضية أي في نفسها مرضية أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها فادخلي في عبادي أي في جملتهم وادخلي جنتي وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان وعن بريدة بن الحصيب نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال العوفي عن ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيامة يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا راضية مرضية وروي عنه أنه كان يقرؤها فادخلي في عبدي والجملة

المؤمنون (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا لا مناقشة فيه قال مقاتل لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب عليها وقال المفسرون هو ان تعرض عليه سيآته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس أحد يحاسب الا هلك فقلت أليس يقول الله فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب هلك أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وفي بعض ألفاظ الحديث الاول وهذا الحديث عذب بمكان هلك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك أخرجه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي والحاكم (وينقلب) أي يرجع وينصرف بنفسه بعد الحساب اليسير من غير منع برغبة وقبول (الى أهله) الذين أهل بهم في الجنة من عشيرته أو الى أهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوجات والاولاد وقد سبقوه الى الجنة أو الى من أعده الله في الجنة من الحور العين والولدان المخلدين أو الى جميع هؤلاء (مسرورا) مبتهجا فرحا بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه) بشماله و(وراء ظهره) قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه وتكون يده اليسرى خلفه وقال قتادة ومقاتل تفك ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أي ينادي هلاكه ويتمنى فان نداء ما لا يعقل يراد به التمني فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء والمعنى اذا قرأ كتابه قال يا ويلاه يا ثبوراه والثبور الهلاك وقال ابن عباس ثبورا الويل (ويصلى سعيرا) أي يدخلها ويقاسي حر نارها وشدتها قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم يصلى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديدها وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من أصلى يصلي (انه كان في أهله) أي عشيرته في الدنيا (مسرورا) باتباع هواه وركوب شهوته بطرا أشرا لعدم خطور الآخرة بباله أي كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا

(١) قوله كيما يزداد من الاجر والثواب في بعض النسخ بعد ذلك زيادة نصها وقد رواه أيضا ونزلت بعده بياض بالنسخة ثم قال عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه مصححه

وادخلي جنتي وكذا قال عكرمة والكلبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الاول لقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وان مردنا الى الله أي الى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال أما انه سيقال لك هذا ثم قال حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد

والجملة تعليل لما قبلها (انه ظن) أي علم وتيقن (أن لن يحور) تعليل لكونه كان في الدنيا بين أهله مسرورا والمعنى أن سبب ذلك السرور ظنه بانه لا يرجع الى الله ولا يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده للدار الآخرة وأن هي المخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي ظن والحور في اللغة الرجوع يقال حار يحور اذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الامر ومحاورة الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير قال عكرمة وداود بن أبي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي الحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني أعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار أي نقصان في نقصان والحور أيضا الهلكة قال ابن عباس يحور يبعث ويرجع (بلى ان ربه كان به بصيرا) أي كان به وباعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية وبلى ايجاب للمنفي بلن أي بلى ليحورن وليبعثن وان ربه جواب قسم مقدر فالجملة بمنزلة التعليل لما افادته بلى قال الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه (فلا اقسم بالشفق) لا زائدة كما تقدم في امثال هذه العبارة وقد قدمنا الخلاف فيها في سورة القيامة فارجع اليه اقسم بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة قال الواحدي هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعا قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين عنه انه البياض ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة قال في الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب العتمة وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا وقال مجاهد الشفق النهار كله ألا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة هو ما بقي من النهار وانما قالا هذا لقوله بعده والليل وما وسق فكأنه تعالى اقسم بالضياء والظلام ولا وجه لهذا على انه قد روي عن عكرمة انه قال الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وروي عن أسد بن عمرو الرجوع وعن عمر ابن الخطاب قال الشفق الحمرة وعن ابن عباس نحوه وعن أبي هريرة الشفق النهار كله

ابن جبير قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضي الله عنه ان هذا لحسن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ورواه الطبراني عن عبد الله ابن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الافطس به فذكره وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن فتات بن رزين أبي هاشم قال اسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا

دينه على ان من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه والقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الارض ونظر الى أولئك الثلاثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم باسمائهم قال الله تعالى في كتابه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم غاص في الماء قال فكادت النصارى ان يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة الى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الاوزاعي عن ابيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي

حدثني أبو امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قل اللهم اني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك ثم روى عن أبي سليمان بن نوبرانه قال حدثنا رجل بشر واحد هذا واحد أمه * آخر تفسير سورة الفجر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة البلد وهي مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال احرام أهلها قال خصيف عن مجاهد لا أقسم بهذا البلد لا رد عليهم أقسم بهذا البلد وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس لا أقسم بهذا البلد يعني مكة وأنت حل بهذا البلد قال أنت يا محمد يحل لك ان تقاتل به وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك وقال قتادة وأنت حل بهذا البلد قال أنت به من غير حرج ولا اثم وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب وفي لفظ فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وقوله تعالى ووالد وما ولد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ووالد وما ولد الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد ابن جبير والسدي والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لانه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي أم المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال

وقال الراغب الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روى عن أبي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروى أسد بن عمرو انه رجع عنه انتهى وسمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهي رقة القلب عليه (والليل وما وسق) أي جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها والوسق عند أهل اللغة ضم الشئ بعضه الى بعض يقال استوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها أي يجمعها قال الواحدي المفسرون يقولون وما جمع وضم وحوى ولف والمعنى انه جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه وذلك الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقال عكرمة وما وسق أي وما ساق من شئ الى حيث يأوي فجعله من السوق لا من الجمع وقيل وما وسق أي وما جن وما ستر وقيل وما حمل وكل شئ حملته فقد وسقته والعرب تقول لا أحمله ما وسقت عيني الماء أي حملته ووسقت الناقة تسق وسقا أي حملت قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان وما وسق وما حمل من الظلمة أو حمل من الكواكب قال القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يحمل بظلمته كل شئ وقال سعيد بن جبير وما وسق أي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار والاول أولى وقال ابن عباس ما وسق ما دخل فيه وعنه ما جمع (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتكامل قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة ورابع عشرة الى ست عشرة وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع قال الحسن اتسق امتلأ واجتمع وقال قتادة استدار يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال أمر فلان متسق أي مجتمع منتظم ويقال اتسق الشئ اذا تتابع قال ابن عباس اتسق استوى وعنه قال ليلة ثلاث عشرة (لتركبن) أيها الناس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال هذا جواب القسم ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو على الحال من ضمير لتركبن أي مجاوزين أو مجاوزا وقرئ بفتح الموحدة على انه خطاب للواحد وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له وقرئ بضم الموحدة خطابا للجمع وهم الناس قال الشعبي ومجاهد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء قال الكلبي يعني تصعد فيها وهذا على القراءة الاولى وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب

أبو عمران الجونى هو ابراهيم وذريته رواه ابن جرير وابن أبى حاتم واختار ابن جرير انه عام فى كل والد وولده وهو محتمل أيضا وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وابراهيم النخعى وخيثمة والضحاك وغيرهم يعنى منتصبا زاد ابن عباس فى رواية عنه منتصبا فى بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك وكقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال ابن جريج وعطاء عن ابن عباس فى كبد قال فى شدة خلق ألم تر اليه وذكر مولده ونبات اسنانه وقال مجاهد فى كبد نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد فى الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها * وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير لقد خلقنا الانسان فى كبد فى شدة وطلب معيشة وقال عكرمة فى شدة وطول وقال قتادة فى مشقة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن على أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الانصار عن قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد قال فى قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر وروى من طريق أبى مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية لقد خلقنا الانسان فى كبد قال يكابد امرا من أمر الدنيا وامرا من أمر الآخرة وفى رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد لقد خلقنا الانسان فى كبد قال آدم خلق فى السماء فسمى ذلك الكبد واختار ابن جرير ان المراد بذلك مكابدة الامور ومشاقها وقوله تعالى أيحسب أن لن يقدر عليه أحد قال الحسن البصرى يعنى أيحسب ان لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله وقال قتادة أيحسب أن لن يقدر عليه أحد قال ابن آدم يظن ان لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين انفقه وقال السدى أيحسب ان لن يقدر عليه أحد قال الله عز وجل وقوله تعالى يقول أهلكت مالا لبدا أى يقول ابن آدم انفقت مالا لبدا أى كثيرا قال مجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم أيحسب أن لم يره أحد قال مجاهد أى أيحسب ان لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف وقوله تعالى ألم نجعل له عينين أى يبصر بهما ولسانا أى ينطق به فيعبر عما فى ضميره وشفتين يستعين بهما على الكلام

من الله ورفعة المنزلة وقيل المعنى لتركبن حالا بعد حال كل حالة منها مطابقة لاختها فى الشدة وقيل المعنى لتركبن أيها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور فى قوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا واختار أبو حاتم وابو عبيد القراءة الثانية قال لان المعنى بالناس أشبه منه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ عمر رضى الله عنه لتركبن بالتحتية وضم الموحدة على الاخبار وروى عنه وعن ابن عباس أنهما قرآ بالغيبة وفتح الموحدة أى ليركبن الانسان وروى عن ابن مسعود وابن عباس انهما قرآ بكسر حرف المضارعة وهى لغة وقرئ بفتح حرف المضارعة وكسر الموحدة على انه خطاب للنفس وقيل ان معنى الآية ليركبن القمر أحوالا من سرار واستهلال وهو بعيد قال مقاتل طبقا عن طبق يعنى الموت والحياة وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن مسعود قال يعنى السماء تنفطر ثم تنشق ثم تحمر وعنه قال السماء تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتنشق فتكون حالا بعد حال وقيل يعنى الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم كما ورد فى الحديث الصحيح (فما لهم لا يؤمنون) الاستفهام للانكار والفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة الموجبة للايمان والسجود أو من غيرها على الاختلاف السابق والمعنى أى شئ للكفار لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الايمان بذلك من التغيرات العلوية والسفلية الدالة على خالق عظيم القدرة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) الجملة فى محل نصب على الحال أى أى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن قال الحسن وعطاء والكلبى ومقاتل ما لهم لا يصلون وقال أبو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود المعروف بسجود التلاوة وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة أم لا وقد تقدم فى فاتحة هذه السورة الدليل على السجود وهذه السجدة آخر سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (بل الذين كفروا يكذبون) أى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من الكتاب المشتمل على اثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب (والله أعلم بما يوعون) أى بما يضمرونه فى أنفسهم من التكذيب وقال مقاتل بما يكتمون من

وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفيه وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها وان مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما أحللت لك وان رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت (٢٢٨) لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ابن آدم انك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي وهديناه النجدين الطريقين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود وهديناه النجدين قال الخير والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد ابن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان ابن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن يعني البصري لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول وهديناه النجدين قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس انهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمر ويونس بن عبيد وابن وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى ابن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى وهديناه النجدين قال الثديين وروى عن الربيع بن خثيم وقتادة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عفان به ثم قال والصواب القول الاول ونظير هذه الآية

أفعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة مأخوذ من الوعاء الذي يجمع فيه ويقال وعاه حفظه ووعيت الحديث أعيه وعيا ومنه أذن واعية وقال ابن عباس يوعون يسرون (فبشرهم بعذاب أليم) أي اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم لان علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم والاليم المؤلم الموجع والكلام خارج مخرج التهكم بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الاستثناء منقطع لان الموصول مبتدأ والجملة خبره والاستثناء من قبيل المفردات اى لكن الذين جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح (لهم اجر) عند الله (غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته قال المبرد المنين الغبار لانه يقطعه وراءه وكل ضعيف منين وممنون وقيل المعنى انه لا يمن عليهم به وقيل متصل وليس بذلك لان الضمير راجع الى الذين كفروا والذين كفروا قد وضع موضع المظهر للاشعار بانهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لانهم كافرون مكذبون قال أبو السعود استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته الثواب العظيم

(سورة البروج هي اثنتان وعشرون آية)

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق أخرجه أحمد وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) قد تقدم الكلام في البروج عند قوله هو الذي جعل في السماء بروجا قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك هي النجوم والسماء ذات النجوم وقال عكرمة ومجاهد أيضا هي قصور في السماء وبه قال ابن عباس وقال المنهال بن عمرو ذات الخلق الحسن وقال أبو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما هي المنازل للكواكب وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة

قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا

(فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة)

قال ابن جرير حدثنى عمر بن اسمعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبى عطية عن ابن عمر فى قوله تعالى فلا اقتحم أى دخل العقبة قال جبل فى جهنم أزل وقال كعب الاحبار فلا اقتحم العقبة هو سبعون درجة فى جهنم وقال الحسن البصرى فلا اقتحم العقبة قال عقبة فى جهنم وقال قتادة انها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة وما أدراك ما العقبة ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال فك رقبة أو اطعام وقال ابن زيد فلا اقتحم العقبة أى أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام قرئ فك رقبة بالاضافة وقرى على انه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب قال الامام أحمد حدثنا على بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعنى ابن سعيد بن أبى هند عن اسمعيل ابن أبى حكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب أى عضو منها اربا منه من النار حتى انه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج فقال على بن الحسين أنت سمعت هذا من أبى هريرة فقال سعيد نعم فقال على بن الحسين لغلام له أفره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فانت حر لوجه الله وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم ان هذا الغلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن أبى نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما مسلم اعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وايما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار رواه ابن جرير هكذا

والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت قيل وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو والبروج فى كلام العرب القصور ومنه قوله ولو كنتم فى بروج مشيدة شبهت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها تنزل فيها وقيل هى أبواب السماء وقيل هى منازل القمر وأصل البرج الظهور سميت بذلك لظهورها وعن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال الكواكب وسئل عن قوله جعل فى السماء بروجا قال الكواكب وعن قوله فى بروج مشيدة قال القصور أخرجه ابن مردويه (واليوم الموعود) أى الموعود به وهو يوم القيامة قال الواحدى فى قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس (وشاهد ومشهود) نكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب أيضا عما يقال لم خصهما بالذكر دون بقية الايام وانما لم يعرفا بلام العهد لان التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والهكم اله واحد والمراد بالشاهد من يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق أى يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد فى ذلك اليوم من العجائب وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الشاهد يوم الجمعة وانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه والمشهود يوم عرفة لانه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدى وهذا قول الاكثر قال ابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الاكبر فيوم الجمعة جعله الله عيدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته وفضله بها على الخلق أجمعين وهو سيد الايام عند الله وأحب الاعمال فيه الى الله وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلى يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه أخرجه ابن مردويه وحكى القشيرى عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وقال النخعى الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هو الله سبحانه وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله وكفى بالله شهيدا وقوله قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله

وابن لهيعة هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة انه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر ان شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضو ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كعتق رقبة من بني اسمعيل ورواه أبو داود والنسائي بعضه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي قال قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فماتوا قبل ان يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ومن أنفق زوجين في سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد (حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال ان أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا انما أردنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار وكذا رواه النسائي من حديث ابراهيم بن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي عن واثلة به (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر

أخرجه

فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله ياأيها الرسول انا أرسلناك شاهدا وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الشاهد جميع الانبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقيل هو عيسى بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود على هذه الاقوال الثلاثة اما أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو أمم الانبياء أو أمة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهود ذريته وقال محمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل أعضاؤه لقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الايام والليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه وسيأتي بيان ما هو الحق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شئ الا أعاذه منه أخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وعن أبي هريرة رفعه قال الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود هو الموعود يوم القيامة أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وعن علي بن أبي طالب اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم النحر والشاهد يوم الجمعة وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة أخرجه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة أخرجه ابن عساكر وابن مردويه وعن أبي هريرة مثله موقوفا وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيله أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة

الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار تفرد به احمد من هذا الوجه (حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم وابو أحمد قالا حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة قال ابو احمد حدثنا طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

علمني عملا يدخلني الجنة فقال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة قال لا ان عتق النسمة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من الخير وقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة قال ابن عباس ذي مجاعة وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع وقال ابراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز وقال قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام وقوله تعالى يتيما اى اطعم في مثل هذا اليوم يتيما ذا مقربة اى ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصدقة على

أخرجه ابن ماجه والطبراني وابن جرير وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا سأله عن قوله وشاهد ومشهود قال هل سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مشهود وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما في الآية قال الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا انا أرسلناك شاهدا ذلك يوم مشهود وعن ابن عباس قال اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعنه قال الشاهد الله والمشهود يوم القيامة قلت وهذه التفاسير عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم واستدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها ان ذلك الشيء شاهد أو مشهود فجعله دليلا على انه المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة وليس ذلك بدليل يستدل به على ان الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية أخرى والالزم أن يكون قوله هنا وشاهد ومشهود هو جميع ما اطلق عليه في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة انه يشهد وانه مشهود وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه باولى من بعض ولم يقل قائل بذلك فان قلت هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي أبي هريرة وحديث أبي مالك الاشعري وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود قلت أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التي ذكرتها بل اتفقت على انه يوم القيامة وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني انه يوم عرفة ويوم الجمعة وفي حديث الاشعري انه يوم الجمعة وفي حديث جبير انه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد انه يوم الجمعة فاتفقت هذه الاحاديث عليه ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثاني وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم عرفة وفي حديثه الثاني انه يوم القيامة وفي حديث أبي مالك انه يوم عرفة وفي حديث جبير انه يوم عرفة وكذا في حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات انه يوم عرفة وهي أرجح من

المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا اسناد صحيح وقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة أي فقيرا مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء وفي رواية عنه البعيد المتربة قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال وكل هذه قريبة المعنى وقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا اى ثم هو مع هذه الاوصاف الجميلة

الظاهر مؤمن بقلبه مجتنب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن الآية وقوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء فى الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وفى الحديث الآخر لا يرحم الله من لا يرحم الناس وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن ابن عامر عن عبد الله ابن عمرو يرويه قال من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا وقوله تعالى أولئك أصحاب الميمنة أى المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ثم قال والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة أى أصحاب الشمال عليهم نار مؤصدة أى مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى وعطية العوفى والحسن وقتادة والسدى مؤصدة أى مطبقة قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال مجاهد أصد الباب بلغة قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة ويل لكل همزة لمزة وقال الضحاك مؤصدة حيط لا باب له وقال قتادة مؤصدة مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الابد وقال أبو عمران الجونى اذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم الى جهنم ثم أوصدوها عليهم اى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار ابدا ولا والله لا ينظرون فيها الى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا رواه ابن أبى حاتم * آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنه

واذا

* (تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية) * تقدم حديث جابر الذى فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى (بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح

تلك الرواية التى صرح فيها بانه يوم القيامة فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب اليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وأما اليوم الموعود فقد قدمنا أنه وقع الاجماع على انه يوم القيامة (قتل أصحاب الاخدود) هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة وهو الظاهر وبه قال الفراء وغيره وقيل تقديره لقد قتل فحذفت اللام وقد وعلى هذا تكون الجملة خبرية والظاهر أنها دعائية لان معنى قتل لعن قال الواحدى فى قول الجميع والدعائية لا تكون جوابا للقسم فقيل الجواب قوله ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل قوله ان بطش ربك لشديد وبه قال المبرد واعترض عليه بطول الفصل وقيل هو مقدر يدل عليه قوله قتل أصحاب الاخدود كأنه قال اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم وقيل تقدير الجواب ان الامر حق فى الجزاء وقيل تقدير الجواب لتبعثن واختاره ابن الانبارى وقال أبو حاتم السجستانى وابن الانبارى أيضا فى الكلام تقديم وتأخير أى قتل أصحاب الاخدود والسماء ذات البروج واعترض عليه بانه لا يجوز ان يقال والله قام زيد وعن ابن مسعود قال والسماء ذات البروج الى قوله شاهد ومشهود هذا قسم على ان بطش ربك لشديد الى آخرها والاخدود جمع خد وهو الشق العظيم المستطيل فى الارض كالخندق وجمعه أخاديد ومنه الخد لمجارى الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه أخاديد من جراح أخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى والنسائى والطبرانى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال له ذلك الكاهن انظروا الى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فاعلمه علمى فانى أخاف ان أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فامروه ان يحضر ذلك الكاهن وان يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال انما أعبد الله فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ عن الكاهن فارسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرنى فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك أين كنت فقل عند أهلى

من زكاها وقد خاب من دساها) قال مجاهد والشمس وضحاها أي وضوءها وقال قتادة وضحاها النهار كله قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لان ضوء الشمس الظاهر النهار والقمر اذا تلاها قال مجاهد تبعها وقال العوفي عن ابن عباس والقمر اذا تلاها قال يتلو النهار وقال قتادة اذا تلاها ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رؤي الهلال وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الاخير من الشهر وقال مالك عن زيد بن أسلم اذا تلاها ليلة القدر وقوله تعالى والنهار اذا جلاها قال مجاهد أضاء وقال قتادة والنهار اذا جلاها (٢٣٢) اذا غشيها النهار وقال ابن جرير وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار اذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها قلت ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى والنهار اذا جلاها أي البسيطة لكان أولى وصح تأويله في قوله تعالى والليل اذا يغشاها فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد والنهار اذا جلاها انه كقوله تعالى والنهار اذا تجلى وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله تعالى والليل اذا يغشاها يعني اذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثني يزيد بن ذي حماية قال اذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه والذي خلقه أحق أن يهاب رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى والسماء وما بناها يحتمل أن يكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن يكون بمعنى من يعني والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى

والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وهكذا قوله تعالى والارض وما طحاها قال مجاهد طحاها دحاها قال العوفي عن ابن عباس وما طحاها أي خلق فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد طحاها بسطها وهذا أشهر الاقوال وعليه الاكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة قال الجوهري طحوته مثل دحوته أي بسطته وقوله تعالى ونفس وما سواها أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

واذا قال لك أهلك أين كنت فاخبرهم اني كنت عند الكاهن فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة يقال انها كانت أسدا فأخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول الراهب حقا فأسألك ان أقتل هذه الدابة وان كان ما يقول الكاهن حقا فأسألك ان لا اقتلها ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها قالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد فسمع أعمى فجاءه فقال له ان أنت رددت علي بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا أريد منك هذا ولكن أرأيت ان رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ الملك أمرهم فبعث اليهم فأتي بهم فقال لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا اقتل بها صاحبه فامر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله وقتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذي أرادوا ان يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون حتى لم يبق منهم الا الغلام ثم رجع الغلام فامر به الملك ان ينطلقوا به الى البحر فيلقوه فيه فانطلقوا به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك انك لن تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول اذا رميتني بسم الله رب الغلام فامر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فانا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد اخدودا ثم ألقى فيها الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الاخدود فقال يقول الله قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد فأما الغلام فانه دفن ثم أخرج فيذكر انه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب وأخرجها أحمد من طريق عفان عن حماد به وأخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن حماد بن سلمة به وأخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت به وعن علي بن أبي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها أي فأرشدها الى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها الى ما قدر لها قال ابن عباس فألهمها فجورها وتقواها بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك (١٣٤) والثوري وقال سعيد بن جبير ألهمها الخير والشر وقال ابن زيد جعل فيها فجورها وتقواها وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان ابن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت عليهم الحجة قلت بل شيء قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا قال قلت له ليس شيء الا وهو خلق وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال سددك الله انما سألتك لاخبر عقلك ان رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة قال بل شيء قد قضي عليهم قال ففيم يعمل قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به وقوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الاخلاق الدنية والرذائل ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقد خاب من دساها أي دسسها أي أخملها ووضع منها بخذلانه اياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى

الملقين

طالب في قوله أصحاب الاخدود قال هم الحبشة أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعن ابن عباس قال هم ناس من بني اسرائيل خدوا أخدودا في الارض أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها أخرجه ابن جرير وقال مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام واخرى بفارس حرق أصحابها بالنار فأما التي بالشام فهو ابطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذو نواس فأما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك لان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكرها الله تعالى لاصحاب رسوله يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين (النار ذات الوقود) قرأ الجمهور النار بالجر على انها بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل عليها وحينئذ فلا بد فيه من ضمير مقدر أي النار فيه وذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة والوقود الحطب الذي توقد به وقيل هو بدل كل من كل وقيل ان النار مخفوضة على الجوار حكاه مكي عن الكوفيين قرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود وقرئ بضمها وبرفع النار على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي النار أو على انها فاعل فعل محذوف أي أحرقتهم النار (اذ هم عليها قعود) العامل في الظرف قتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها ويقرب اليها قال مقاتل يعني عند النار قعود يعرضونهم على الكفر وقال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود قال زاده عبر عن القعود على حافة النار بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤه ويخلون سبيل من شاؤه (وهم) أي الذين خدوا الاخدود وهم الملك وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله تعالى من عرضهم على النار ليرجعوا الى دينهم (شهود) أي حضور أو يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما أمر به وقيل يشهدون بما فعلوا يوم القيامة ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقيل على بمعنى مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم وتنطق به الروايات المشهورة قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا على ان يحرقوا بالنار في الله وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل الكفر والعناد روى ان الله أنجى المؤمنين

الله نفسه كما قال العوفى وعلى بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا سهيل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعنى عمرو بن الحرث بن هشام عن عمرو بن هاشم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله عز وجل قد أفلح من زكاها قال النبي صلى الله عليه وسلم أفلحت نفس زكاها الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عثمان ابن صالح حدثنا أبي حدثنا [illegible] بهذه الآية ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وقف ثم قال اللهم آت نفسى تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدنى حدثنا عبد الله بن عبد الله الاموى حدثنا معن بن محمد الغفارى عن حنظلة بن على الاسلمى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فألهمها فجورها وتقواها قال اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها لم يخرجوه من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة انها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها تفرد به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها قال زيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث وأبي عثمان النهدى عن زيد بن أسلم عن زيد بن أرقم به (كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها)

الملقين فى النار وكانوا سبعة وسبعين بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فاحرقتهم وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة او احد عشر ولم يرد نص بتعيين عدد أصحاب الاخدود (وما نقموا منهم) قرأ الجمهور نقموا بفتح النون وقرئ بكسرها والفصيح الفتح فى المختار نقم الامر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب فهم لغة أى ما أنكروا عليهم ولا عابوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) الا أن صدقوا بالله الغالب المحمود فى كل حال قال الزجاج ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بآيات ربنا وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فى قوله

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وقول الآخر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكلا عيونها

وقول الآخر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ثم وصف سبحانه بما يدل على العظم والفخامة فقال (الذى له ملك السموات والارض) ومن كان هذا شأنه فهو حقيق بان يؤمن به ويوحد (والله على كل شئ شهيد) من فعلهم بالمؤمنين لا تخفى عليه منه خافية وفى هذا وعيد شديد لاصحاب الاخدود ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين ثم بين سبحانه ما أعد لاولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى حرقوهم بالنار والعرب تقول فتنت الشئ أى أحرقته وفتنت الدرهم والدينار اذا أدخلته النار لتنظر جودته ويقال دينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون أى يحرقون وقيل معنى فتنوا المؤمنين محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل (ثم لم يتوبوا) من قبح صنعهم ولم يرجعوا عن كفرهم وفتنتهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بسبب كفرهم (ولهم) عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم وهو (عذاب الحريق) الذى وقع منهم للمؤمنين وقيل ان الحريق اسم من اسماء النار كالسعير وقيل انهم يعذبون فى جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق

فالاول عذاب بردها والثاني عذاب حرها وقال الربيع بن أنس ان عذاب الحريق اصيبوا به في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود الى الملك وأصحابه فاحرقتهم وبه قال الكلبي ومفهوم الآية انهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وانما عبر سبحانه باداة التراخي لان التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ثم لما ذكر سبحانه وعيد المجرمين اتبعه بذكر ما أعده للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وظاهر الآية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الاخدود بسبب ايمانهم دخولا أوليا والمعنى ان الجامعين بين الايمان وعمل الصالحات (لهم) بسبب الايمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها) أي تحت أسرتها وغرفها وجميع أماكنها (الانهار) يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا وقد تقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات في غير موضع وأوضحنا انه ان أريد بالجنات الاشجار فجري الانهار من تحتها واضح وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر لانها ساترة لساحتها وأرضها (ذلك) أي ما تقدم ذكره مما أعده الله لهم (الفوز الكبير) الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه والفوز الظفر بالمطلوب وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو درجته في الفضل والشرف (ان بطش ربك) بالكفار (لشديد) بحسب ارادته قاله الجلال المحلي وفيه اشارة الى الرد على الفلاسفة القائلين بانه موجب بالذات وقد نطق القرآن بانه فعال لما يريد والجملة مستأنفة لخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه والمغفرة لمن أطاعه والمعنى ان أخذه تعالى للجبابرة والظلمة شديد والبطش الاخذ بعنف ووصفه بالشدة يدل على انه قد تضاعف وتفاقم ومثل هذا قوله ان أخذه أليم شديد (انه هو يبدئ ويعيد) أي يخلق الخلق أولا في الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت كذا قال الجمهور وقيل يبدئ للكفار عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده لهم في الآخرة واختار هذا ابن جرير والاول أولى وقال ابن عباس يبدئ العذاب ويعيده انتهى ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة اذا بطش كان بطشه في غاية الشدة وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش (وهو الغفور الودود) أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه قال مجاهد الواد لاوليائه فهو فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم وحكى

يخبر تعالى عن ثمود انهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب بطغواها أي باجمعها والاول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين اذ انبعث أشقاها أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول (٢٣٦) الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا عيسى ابن يونس حدثنا محمد بن اسحق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ألا أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك ياعلي على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته وقوله تعالى فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء وسقياها أي لا تعتدوا عليها في سقيها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى فكذبوه فعقروها أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك ان عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم فدمدم عليهم ربهم أي غضب عليهم فدمر عليهم فسواها أي فجعل المبرد العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها وقوله تعالى ولا يخاف وقرئ فلا يخاف عقباها قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع والقول الاول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الليل وهي مكية) تقدم قوله عليه السلام لمعاذ فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى) *(بسم الله الرحمن الرحيم) والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى)

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة انه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال اللهم ارزقنى جليسا صالحا فجلس الى أبى الدرداء فقال له أبو (٢٣٧) الدرداء ممن أنت قال من أهل الكوفة قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى قال علقمة والذكر والانثى فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتى شككونى ثم قال ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره والذى أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الاعمش عن ابراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله قالوا كلنا قال أيكم أحفظ فأشاروا الى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ والليل اذا يغشى قال والذكر والانثى قال أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدون ان أقرأ وما خلق الذكر والانثى والله لا أتابعهم هذا لفظ البخارى هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت فى المصحف الامام العثمانى فى سائر الآفاق وما خلق الذكر والانثى فأقسم تعالى بالليل اذا يغشى أى اذا غشى الخليقة بظلامه والنهار اذا تجلى أى بضيائه واشراقه وما خلق الذكر والانثى كقوله تعالى وخلقناكم أزواجا وكقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين ولما كان القسم بهذه الاشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى ان سعيكم لشتى أى اعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى أى أعطى ما أمر باخراجه واتقى الله فى أموره وصدق بالحسنى أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم وصدق

المبرد عن اسمعيل القاضى ان الودود هو الذى لا ولد له وقيل الودود بمعنى المودود أى يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الازهرى قال ويجوز أن يكون فعول بمعنى فاعل أى يكون محبا لهم قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره ان أحب عباده المطيعين فهو فضل منه وان أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه قال ابن عباس الودود الحبيب وقالت المعتزلة غفور لمن تاب وقال أصحاب السنة غفور مطلقا لمن تاب ومن لم يتب لان الآية مذكورة فى معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم فالحمل عليه أولى ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قاله زاده (ذو العرش المجيد) قرأ الجمهور برفع المجيد على انه نعت لذو واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قالا لان المجد هو النهاية فى الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وقرئ بالجر على انه نعت للعرش ومجده علوه وعظمته وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما فى آخر سورة المؤمنين قال ابن عباس المجيد الكريم قيل ان العرش أحسن الاجسام وقيل هو نعت لربك ولا يضر الفصل بينهما لانها صفات لله سبحانه وقال مكى هو خبر بعد خبر والاول أولى ومعنى ذو العرش ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وقيل المراد خالق العرش (فعال لما يريد) من الابداء والاعادة قال عطاء لا يعجز عن شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه وارتفاع فعال على انه خبر مبتدا محذوف قال الفراء هو رفع على التكرير والاستئناف لانه نكرة محضة قال ابن جرير رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة والارادة هنا تكوينية فيكون فيه دلالة على خلق أفعالهم وختم به الصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة قال الكرخى نكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الاوهام والعقول قال بعضهم وفيه دلالة على انه لا يجب عليه شئ لانها دالة على ان فعله بحسب ارادته ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال (هل أتاك حديث الجنود) والجملة مستأنفة مقررة لما تقدم من شدة بطشه سبحانه وكونه فعالا لما يريد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة الطاغية فى الامم الخالية المكذبة لانبيائهم المتجندة عليهم ثم بينهم فقال (فرعون وثمود) وهو بدل من الجنود فالمراد بفرعون هو وقومه والمراد بثمود القوم المعروفون والمراد بحديثهم ما وقع منهم من الكفر

بالحسنى أي بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وصدق بالحسنى أي بلا إله إلا الله وفي رواية عن عكرمة وصدق بالحسنى أي بما أنعم الله عليه وفي رواية عن زيد بن أسلم وصدق بالحسنى قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسنى قال الحسنى الجنة وقوله تعالى فسنيسره لليسرى قال ابن عباس يعني للخير وقال زيد بن (٣٣٨) أسلم يعني للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء

والعناد والضلال وما وقع عليهم من العذاب والنكال وقصتهم مشهورة وقد تكرر في الكتاب العزيز ذكرها في غير موضع واقتصر على الطائفتين لاشتهار أمرهما عند أهل الكتاب وعند مشركي العرب ودل بهما على أمثالهما ثم أضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وآله وسلم اضرابا انتقاليا لمن تقدم ذكرهم وبين انهم أشد منهم في الكفر والتكذيب فقال (بل الذين كفروا في تكذيب) شديد لك ولما جئت به ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) أي يقدر على ان ينزل بهم ما أنزل بأولئك لا عاصم لهم منه والاحاطة بالشيء الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط ثم رد سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال (بل هو قرآن مجيد) أي متناه في الشرف والكرم والبركة والنفع معجز نظمه عالي الطبقة من بين الكتب وحيد في النظم والمعنى لكونه بيانا لما شرعه الله لعباده من أحكام الدين والدنيا وليس هو كما يقولون انه شعر وكهانة وسحر (في لوح محفوظ) أي مكتوب في لوح وهو أم الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين اليه قرأ الجمهور لوح بفتح اللام واتفق عليها القراء (١) وقرأ الجمهور محفوظ بالجر على انه نعت للوح وقرئ برفعه على انه نعت للقرآن أي بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح قيل والمراد باللوح بضم اللام الهوى والفضاء الذي فوق السماء السابعة وبه قال أبو الفضل وكذا قال ابن خالويه وقال في الصحاح اللوح بالضم الهوى بين السماء والأرض وعن ابن عباس قال أخبرت ان لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر وان ذلك اللوح نور وانه مسيرة ثلثمائة سنة أخرجه ابن المنذر وعن انس ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في الآية في جبهة اسرافيل وأخرج أبو الشيخ قال السيوطي بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل ان يخلق الخلق اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

(سورة الطارق هي سبع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن خالد العدواني انه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي النصر عندهم فسمعه يقرأ والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الاسلام قال

فـعني

السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى وأما من بخل واستغنى قال عكرمة عن ابن عباس أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبي حاتم وكذب بالحسنى أي بالجزاء في الدار الآخرة فسنيسره للعسرى أي لطريق الشر كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة (رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه) قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عياش حدثني العطاف بن خالد حدثني رجل من أهل البصرة عن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف قال بل على أمر قد فرغ منه قال ففيم العمل يا رسول الله قال كل ميسر لما خلق له (رواية علي رضي الله عنه) قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة فقال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الى قوله للعسرى وكذا

(١) الا يحيى بن يعمر وابن السميفع فانهما قرآ بالضم اه منه

رواه من طريق شعبة ووكيع عن الاعمش بنحوه ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة الا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير الى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير الى أهل الشقاء (٢٣٩) فقال اما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة واما أهل الشقاء فييسرون الى عمل أهل الشقاء ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعد بن عبيدة به (رواية عبد الله بن عمر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع قال فيما قد فرغ منه فاعمل يا ابن الخطاب فان كلا ميسر اما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح حديث آخر من رواية جابر قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال يا رسول الله أنعمل لامر قد فرغ منه أو لامر نستأنفه فقال لامر قد فرغ منه فقال سراقة ففيم العمل اذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عامل ميسر لعمله ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به حديث آخر قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سأل غلامان شابان النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالآن نجد ونعمل (رواية أبي الدرداء) قال الامام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي

فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) أقسم سبحانه بالسماء والطارق وقد أكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة والطارق هو النجم الثاقب كما صرح به التنزيل قال الواحدي قال المفسرون أقسم الله بالطارق يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار قال الفراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق وكذا قال الزجاج والمبرد وقد اختلف في الطارق هل هو نجم معين أو جنس النجم فقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الذي ترمى به الشياطين وقيل هو جنس النجم قال في الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي أصل الطروق الدق فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق ثم اتسع به في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع كل التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل وقال قوم ان الطروق قد يكون نهارا والعرب تقول أتيتك اليوم طرقتين أي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير قال ابن عباس أقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق ثم بين سبحانه ما هو الطارق تفخيما لشأنه بعد تعظيمه بالاقسام به فقال (وما أدراك ما الطارق) وفيه تنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلابد من تلقيها من الخلاق العليم (النجم الثاقب) أي المضيء ومنه يقال ثقب النجم ثقوبا اذا أضاء وثقوبه ضوؤه قال مجاهد الثاقب المتوهج وقيل المرتفع العالي قال سفيان كل ما في القرآن وما أدراك فقد أخبره وكل شيء قال ما يدريك لم يخبره به وقيل هو نجم في السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها غيره من النجوم واذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد ولم يقل والنجم الثاقب مع انه أخصر واظهر فعدل عنه تفخيما لشأنه فأقسم أولا بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم فسره بالنجم ازالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر نشأ مما

عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي ادريس عن أبي الدرداء قال قالوا يارسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شئ نستأنفه قال بل أمر قد فرغ منه فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله قال كل امرئ مهيأ لما خلق له تفرد به أحد من هذا الوجه حديث آخر قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم غربت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم أعط منفقا (٢٤٠) خلفا وأعط ممسكا تلفا وأنزل الله في ذلك القرآن فامامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة باسناده مثله حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فاذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ التمر من نخلته فتسقط التمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع التمرة من أيديهم وان أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وان لي لنخل كثير مافيها نخلة أعجب الى ثمرة من ثمرها فذهب النبي صلى الله عليه وسلم فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله ان أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك اياها أتعطيني ما أعطيته بها نخلة في الجنة قال نعم ثم ان الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له أخبرك أن محمدا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أتراك اذا بعتها قال لا الا أن أعطى بها شيأ ولا أظنني أعطاه قال وما مناك فيها قال أربعون نخلة فقال له الرجل لقد جئت بأمر

قبله كأنه قيل ماهو فقيل هو النجم الثاقب (ان كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب القسم ومابينهما اعتراض جيء به لتأكيد فخامة القسم المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقد تقدم في سورة هود اختلاف القراء في لما فمن قرأ بتخفيفها كانت ان هنا هي المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشأن المقدر وهو اسمها واللام هي الفارقة وما مزيدة وهذا كله تفريع على قول البصريين أي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ بالتشديد فان نافية ولما بمعنى الا أي ماكل نفس الا عليها حافظ قيل والحافظ هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها ويحصون ماتكسب من خير وشر وقيل الحافظ هو الله عزوجل وعدى حافظ بعلى لتضمينه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على أحوالهم وقيل هو العقل يرشدهم الى المصالح ويكفهم عن المفاسد والاول أولى لقوله وان عليكم لحافظين وقوله ويرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه والحافظ في الحقيقة هو الله عزوجل كما في قوله فالله خير حافظا وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته في وجودها تحتاج اليه في بقائها وحفظ الملائكة من حفظه لانهم يحفظونه بأمره (فلينظر الانسان) الفاء للدلالة على أن كون حافظ على كل نفس يوجب على الانسان أن يتفكر في مبتدا خلقه ليعلم قدرة الله على ماهو دون ذلك من البعث قال مقاتل يعني المكذب بالبعث (مم خلق) أي من أي شئ خلقه الله والمعنى فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم بين سبحانه ذلك فقال (خلق من ماء دافق) والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر والماء هو المني والدفق الصب يقال دفقت الماء أي صببته ويقال ماء دافق أي مدفوق مثل عيشة راضية أي مرضية قال الفراء والاخفش أي مصبوب في الرحم قال الفراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم كقولهم سر كاتم أي مكتوم وهم ناصب أي منصوب وليل نائم ونحو ذلك قال الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع وقايس ونابل أي ذو درع وقوس ونبل يعني من صيغ النسب كلابن وتامر وهو صادق على الفاعل والمفعول أو هو مجاز في الاسناد فاسند الى الماء ما لصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخييلية أو مصرحة بجعله دافقا لانه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضه بعضا أي يدفعه كما أشار له ابن عطية وأراد سبحانه

عظيم بنخلتك تطلب بها أربعين نخلة ثم سكتا وأنشآ في كلام آخر ثم قال فأنا أعطيك أربعين نخلة فقال اشهد لي ان كنت صادقا فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا اني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول فقال صاحب النخلة قد رضيت ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الاربعين على ما أريد قال تعطنيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعدله أربعين نخلة على ساق فتفرقا (٢٤١) فذهب الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرجل صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل والليل اذا يغشى الى قوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى الى آخر السورة هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جدا قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن ادريس الاصم حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الاسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء اذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي ابت انما أريد أظنه قال ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي ان هذه الآية أنزلت فيه فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى قال مجاهد أي اذا مات وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم اذا تردى في النار (ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) قال قتادة ان علينا للهدى أي

ماء الرجل والمرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما ثم وصف هذا الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) أي صلب الرجل وترائب المرأة وهي جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر والولد لا يكون الا من الماءين قرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول وفي الصلب وهو الظهر لغات قرأ الجمهور بضم الصاد وسكون اللام وقرأ أهل مكة بضمهما وقرأ اليماني بفتحهما ويقال صالب على وزن قالب ومنه قول العباس بن عبد المطلب * تنقل من صالب الى رحم * في أبياته المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم كلام في هذا عند تفسير قوله الذين من أصلابكم وقيل الترائب ما بين الثديين وقال الضحاك ترائب المرأة اليدان والرجلان والعينان وقال سعيد بن جبير هي الجيد وقال مجاهد هي ما بين المنكبين والصدر وروى عنه انه قال هي الصدر وعنه قال هي التراقي وحكى الزجاج أن الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور في اللغة انها عظام الصدر والنحر قال عكرمة الترائب الصدر قال في الصحاح التريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر قال أبو عبيدة جمع التريبة تريب وحكى الزجاج ان الترائب أربع اضلاع من يمنة الصدر وأربع اضلاع من يسرة الصدر قال قتادة والحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي من العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ولا يخالف هذا ما في الآية لانه اذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب وقيل ان المني يخرج من جميع أجزاء البدن ولا يخالف هذا ما في الآية لان نسبة خروجه الى ما بين الصلب والترائب باعتبار ان أكثر أجزاء البدن هي الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقها مما يكون تنزله منها قال ابن عباس في الآية ما بين الجيد والنحر وعنه قال تريبة المرأة وهي موضع القلادة وعنه الترائب ما بين ثديي المرأة وعنه الترائب أربع اضلاع من كل جانب من أسفل الاضلاع قال ابن عادل ان الولد يخرج من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم (انه على رجعه لقادر) الضمير في انه يرجع الى الله سبحانه بدلالة قوله خلق عليه فان الذي خلقه هو الله سبحانه والضمير في رجعه عائد الى الانسان والمعنى ان الله سبحانه على اعادة الانسان بالبعث بعد الموت لقادر هكذا قال جماعة من المفسرين وقال مجاهد على أن يرد الماء في

يبين الحلال والحرام وقال غيره من سلك طريق الهدى وصل الى الله وجعله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل حكاه ابن جرير وقوله تعالى وان لنا للآخرة والاولى أي الجميع ملكا وانا المتصرف فيهما وقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى قال مجاهد أي توهج قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه (٢٤٢) عند رجليه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو اسحق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه البخاري وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الاعمش عن أبي اسحق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه الا الاشقى ثم فسره فقال الذي كذب أي بقلبه وتولى أي عن العمل بجوارحه واركانه قال الامام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد عن العوفي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا الشقي قيل ومن الشقي قال الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخل الجنة يوم القيامة الا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح به وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الاتقى ثم فسره بقوله الذي يؤتي ماله يتزكى أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا وما لاحد عنده من نعمة تجزى أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى اليه معروفا فهو يعطي في مقابلة ذلك وانما

الاحليل وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء في الصلب وقال مقاتل بن حيان يقول ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر والاول أظهر ورجحه ابن جرير والثعلبي والقرطبي قال ابن عباس على أن يجعل الشيخ شابا والشاب شيخا (يوم تبلى السرائر) العامل في الظرف على التفسير الاول هو رجعه وقيل لقادر واعترض عليه بأنه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم وقيل العامل فيه مقدر أي يرجعه أو اذكر فيكون مفعولا به وأما على قول من قال ان المراد رجع الماء فالعامل فيه اذكر والمعنى تختبر وتعرف وتكشف السرائر التي تسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وقيل يظهر الخبايا وقيل يبدي كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف فعند ذلك تميز الحسن منها من القبيح والغث من السمين وفي المختار السر الذي يكتم وجمعه اسرار والسريرة مثله والجمع سرائر (فماله من قوة ولا ناصر) أي فما للانسان من قوة ومنعة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به قال عكرمة هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر قال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف والاول أولى (والسماء ذات الرجع) أي التي ترجع بالدوران الى الموضع الذي تتحرك عنه قال الزجاج الرجع المطر لانه يجيء ويرجع ويتكرر قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع نبات الربيع قال الواحدي الرجع المطر في قول جميع المفسرين وفي هذا نظر فان ابن زيد قال الرجع الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في ناحية وقال بعض المفسرين ذات الرجع ذات الملائكة لرجوعهم اليها بأعمال العباد وقال بعضهم معناه ذات النفع ووجه تسمية المطر رجعا ما قاله القفال انه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو اعادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى سمي رجعا وقيل ان العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وقيل سمته العرب رجعا لاجل التفاؤل ليرجع عليهم وقيل لان الله يرجعه وقتا بعد وقت وقال ابن عباس الرجع المطر بعد المطر (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات والثمار والشجر والانهار والعيون والصدع الشق لانه يصدع الارض فتنصدع له قال أبو عبيدة والفراء تتصدع بالنبات قال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها الماء

دفعه ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى ولسوف يرضى اي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات وقد ذكر غير واحد من المفسرين ان هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ولا شك انه داخل فيها وأولى الامة بعمومها فان اللفظ لفظ العموم وهو قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى ولكنه مقدم الامة وسابقهم في جميع هذه الاوصاف وسائر الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لامواله (٢٤٣) في طاعة مولاه ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لاحد من الناس عنده منة يحتاج الى ان يكافئه بها ولكن كان فضله واحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لاجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد قال نعم وأرجو أن تكون منهم آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الضحى وهي مكية)

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرى قال قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني انه قرأ على اسمعيل ابن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا انه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي انه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة وكان اماما في القراآت فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر

المياه وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم عند البعث والحاصل أن الصدع ان كان اسما للنبات فكأنه قال والارض ذات النبات وان كان المراد به الشق فكأنه قال والارض ذات الشق الذي يخرج منه النبات ونحوه وقال ابن عباس صدعها عن النبات وعنه قال تصدع الاودية وعن معاذ بن أنس مرفوعا قال تصدع باذن الله عن الاموال والنبات أخرجه ابن منده والديلمي قال الرازي انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك وجواب القسم الثاني قوله (انه لقول فصل) أي ان القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما كما قيل له فرقان ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجازم ويقال هذا قول فصل أي قاطع للشر والنزاع وقال ابن عباس فصل حق (وما هو بالهزل) أي لم ينزل القرآن الكريم باللعب فهو جد كله ليس بالهزل والهزل ضد الجد فيجب أن يكون مهيبا في الصدور ومعظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه عن ان يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وقال ابن عباس بالهزل بالباطل (انهم يكيدون كيدا) أي يمكرون في ابطال ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحق قال الزجاج يختالون النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ما هم على خلافه وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وقيل الكيد القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أجعل الآلهة الها واحدا وما أشبه ذلك (وأكيد كيدا) أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون وأجازيهم جزاء كيدهم قيل هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله لهم نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعلاء درجته تسمية لاحدى المتقابلين بالاسم الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (فمهل الكافرين) أي أخرهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم بالهلاك فما بالانجعل لان العجلة وهي ايقاع الشئ في غير وقته اللائق به نقص وارض بما يريده لك في أمورهم (أمهلهم) بدل من مهل ومهل وأمهل بمعنى مثل نزل وأنزل والامهال الانظار وتمهل في الامر اتأد وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير وانتصاب (رويدا) على انه مصدر

العقيلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي انه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضي صحة هذا الحديث ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل اذا يغشى وقال آخرون من آخر والضحى وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ومنهم من يقول الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى انه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفترت تلك المدة (٤٤٠) ثم جاء الملك فأوحى اليه والضحى والليل اذا سجى السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ولم يروذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الاسود ابن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العلقي به وفي رواية سفيان ابن عيينة عن الاسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون ودع محمد فأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو والليل سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودي قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الاسود بن قيس انه سمع جندبا يقول رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في اصبعه فقال هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت * قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى والسياق لابي سعيد قيل ان هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب وذكر ان اصبعه عليه السلام دميت وقوله هذا الكلام الذي اتفق انه موزون ثابت

مؤكد للفعل المذكور أو نعت لمصدر محذوف أي أمهلهم امهالا رويدا أي قليلا أو قريبا وقد أخذهم الله تعالى ونسخ الامهال بآية السيف والامر بالقتال والجهاد قال أبو عبيدة الرويد في كلام العرب تصغير الرود والرود المهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود تصغير الترخيم ويأتي اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ويأتي حالا نحو سار القوم رويدا أي متمهلين ذكر معنى هذا الجوهري والبحث مستوفى في علم النحو

(سورة الاعلى ويقال سورة سبح هي تسع عشرة آية وهي مكية في قول الجمهور)

وقال الضحاك مدنية وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى وسورة مثلها وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى أخرجه أحمد والبزار وابن مردويه أي لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات الحسان وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وفي لفظ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وفي الباب أحاديث وأخرج مسلم وغيره عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر سبح اسم ربك الاعلى وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الاولى بسبح وفي الركعة الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها

في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد ان خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى ربك الا قد قلاك فأنزل الله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة انى أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى الى آخرها فانه (٢٤٥) حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم وقد ذكر بعض السلف منهم ابن اسحق ان هذه السورة هي التي أوحاها جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا اليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالابطح فاوحى الى عبده ما أوحى قال قال له هذه السورة والضحى والليل اذا سجى قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ما ودعك ربك وما قلى وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء والليل اذا سجى أي سكن فأظلم وادلهم قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وقوله تعالى ما ودعك ربك أي ما تركك وما قلى أي وما أبغضك وللآخرة خير لك من الاولى أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا الى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة الى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير

والليل اذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه قال السدي أي عظمه قيل والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم قال ابن جرير المعنى نزه اسم ربك أن يسمى به أحد سواه فلا تكون لفظة اسم على هذا مقحمة وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه أن تذكره الا وأنت له خاشع معظم ولذكره محترم وقال الحسن معنى سبح صل له وقيل المعنى صل بأسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية وقيل المعنى ارفع صوتك بذكر ربك ومنه قول جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما * سبح الحجيج وكبروا تكبيرا

وقال جماعة من الصحابة والتابعين قل سبحان ربي الاعلى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه به الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة والاعلى صفة للرب وقيل للاسم والاول أولى وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه ولا مطعن في اسناده وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى أخرجه أحمد والطبراني وابن مردويه والبيهقي وقال أبو داود وخولف فيه وكيع فرواه شعبة عن أبي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وأخرجه موقوفا أيضا عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عنه انه كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال اذا قرأت سبح اسم ربك الاعلى فقل سبحان ربي الاعلى وعن علي بن أبي طالب أنه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وهو في الصلاة فقيل له أتزيد في القرآن قال لا انما أمرنا بشئ فقلته وعن أبي موسى الاشعري انه قرأ في الجمعة سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن سعيد ابن جبير قال سمعت ابن عمر يقرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وكذلك هي في قراءة أبي بن كعب وعن عمر انه كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وعن ابن الزبير انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وهو في الصلاة وقوله

شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا ما أنا والدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المسعودى به وقال الترمذى حسن صحيح وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى أى فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتى وقال الامام أبو عمرو الاوزاعى عن اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر المخزومى عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه فى الجنة ألف قصر فى كل قصر ما ينبغى له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من طريقه وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ومثل هذا ما يقال الا عن توقيف وقال السدى عن ابن عباس من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال الحسن يعنى بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا معاوية ابن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن أبى زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ألم يجدك يتيما فآوى وذلك ان أباه توفى وهو حمل فى بطن أمه وقيل بعد ان ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب الى ان توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد ان ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره الى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم الى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الاتم والاكمل فلما وصل

(الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب قال الزجاج خلق الانسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته وحسن خلقه قال الضحاك خلقه فسوى خلقه وقيل خلق الاجساد فسوى الأفهام وقيل خلق الانسان وهيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقيل خلق فى اصلاب الآباء وسوى فى أرحام الامهات وقيل خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم أوسواه على ما فيه منفعة ومصلحة وقيل خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقوله (والذى قدر فهدى) صفة أخرى للرب أو معطوف على الموصول الذى قبله قرئ (١) قدر مخففا ومثقلا قال الواحدى قال المفسرون قدر خلق الذكر والانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروى عنه أيضا انه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى للرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع فى الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء أى قدر فهدى وأضل فاكتفى باحدهما وفى تفسير الآية أقوال غير ما ذكرنا والاولى عدم تعيين فرد أو افراد مما يصدق عليه قدر وهدى الا بدليل يدل عليه ومع عدم الدليل يحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين اما على البدل أو على الشمول والمعنى قدر أجناس الاشياء وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وآجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له ويسره لما خلق له وألهمه الى أمور دينه ودنياه ولما ذكر ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان فقال (والذى أخرج المرعى) صفة أخرى للرب أى أنبت العشب وما ترعاه الدواب والنعم من النبات الاخضر (فجعله غثاء) أى فجعل المرعى بعد أن كان أخضر هشيما يابسا جافا باليا كالغثاء الذى يكون فوق السيل وفى القاموس الغثاء القماش والزبد والهالك البالى من ورق الشجر قال قتادة الغثاء الشئ اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا انحطم ويبس غثاء وهشيم قال الكسائى غثاء حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك (أحوى) أى أسود بعد اخضراره وذلك ان الكلأ اذا يبس اسود والاحوى

(١) قرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه والكسائى والسلمى بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد اه

اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به وقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا الآية ومنهم من قال ان المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء ابليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة ذهب منها الى الحبشة ثم عدل بالراحلة الى الطريق حكاهما البغوي وقوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى (٢٤٧) أي كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه وقال قتادة في قوله ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى قال كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ثم قال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن اليه وتلطف به قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم وأما السائل فلا تنهر أي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن اسحق وأما السائل فلا تنهر أي فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله وقال قتادة يعني رد المسكين برحمة ولين وأما بنعمة ربك فحدث أي وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن اياس الجريري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن مليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب واسناده ضعيف

والأحوى مأخوذ من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة وقيل خضرة عليها سواد وفي القاموس الحوة سواد الى خضرة أو حمرة الى السواد حوي كرضي حوى قال في الصحاح والحوة أي بالضم حمرة الشفة قال ابن عباس غثاء هشيما أحوى متغيرا وقال ابن زيد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (سنقرئك) أي سنجعلك قارئا بان نلهمك القراءة والسين اما للتأكيد واما لأن المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء (فلا تنسى) ما تقرؤه والجملة مستأنفة لبيان هدايته صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة به بعد بيان الهداية العامة لكافة خلقه وهو هدايته صلى الله عليه وآله وسلم لحفظ القرآن وتلقي الوحي وهدايته للناس جميعا قيل هو نفي وقيل نهي والألف اشباع ومنع مكي أن يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي أسباب النسيان وهو شائع فسقط ما قاله قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأولها مخافة ان ينساها فنزلت هذه الآية فلم ينس شيأ بعد ذلك وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستذكر القرآن مخافة ان ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الآية وعن سعد بن أبي وقاص نحوه وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة الثاني ان هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا الاخبار انه يكون معجزا وقوله (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه شيأ من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه قال ابن عباس يقول الا ما شئت أنا فأنسيك قال الفراء وهو لم يشأ سبحانه ان ينسى محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيأ كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وقيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيأ نسيانا كليا وقيل هو بمعنى النسخ أي الا ما شاء الله ان ينسخه مما نسخ تلاوته وحكمه معا واما ما نسخت تلاوته فقط او حكمه فقط فلا يصح ان تنساه للاحتياج الى تلاوته في الاول والى حكمه في الثاني وقيل المعنى فلا تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه ورفع حكمه وقيل

وفي الصحيحين عن أنس ان المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الانصار بالاجر كله قال لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم قال أبو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم وقال صحيح وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابلي بلاء فذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره تفرد به أبو داود وقال أبو داود حدثنا مسدد (٢٤٨) حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره قال أبو داود ورواه يحيى ابن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي وأما بنعمة ربك فحدث قال ما عملت من خير فحدث اخوانك وقال محمد بن اسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع اليها قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) يقول تعالى ألم نشرح لك صدرك يعني أما شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا اصر ولا ضيق وقيل المراد بقوله ألم نشرح لك صدرك شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وان كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالله أعلم قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب حدثني أبو

الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أي يعلم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار وظاهره العموم فيندرج تحته ما قيل ان الجهر ما حفظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وما يخفى هو ما نسخ من صدره ويدخل تحته أيضا ما قيل من ان الجهر هو اعلان الصدقة وما يخفى هو اخفاؤها ويدخل تحته أيضا ما قيل ان الجهر جهره صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة ان يتفلت عليه وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه الى الجهر (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما اعتراض وارد للتعليل قال مقاتل انهون عليك عمل الجنة وقيل نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل وقيل للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة البيضاء التي ليلها كنهارها وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به والاولى حمل الآية على العموم أي نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه اليك ولهذه النكتة قال نيسرك ولم يقل نيسر لك أي لافادة انك موفق لها وقال ابن عباس لليسرى للخير وقال ابن مسعود للجنة (فذكر ان نفعت الذكرى) أي عظ يا محمد الناس بما أوحينا اليك وأرشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين قال الحسن تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر قال الواحدي ان نفعت أو لم تنفع لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث مبلغا للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحر قال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى ان نفعت الذكرى أو لم تنفع وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما أي فذكر ما نفعت الذكرى لان الذكرى نافعة بكل حال وقيل انها بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جدا وقيل انها بمعنى اذ وما قاله الواحدي والجرجاني أولى وقد سبقهما الى القول به الفراء والنحاس والزهراوي قال الرازي قوله ان نفعت الذكرى للتنبيه على أشرف الحالين وهو وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى والمعلق بان على الشئ لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشئ ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح عليكم

ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكر كما يقول الرجل لمن يرشده قد أوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على انها لاتنفعهم الذكرى أو يكون هذا في تكرير الدعوة فأما الدعاء الاول فهو عام انتهى ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لاتنفعه فقال (سيذكر) اى سيتعظ بوعظك والسين بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنقرئك فلا تنسى (من يخشى) الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا (ويتجنبها) أي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها (الاشقى) من الكفار لاصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه ثم وصف الاشقى فقال (الذي يصلى النار الكبرى) أي العظيمة الفظيعة لانها اشد حرا من غيرها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وقال الزجاج هي السفلى من أطباق النار وقيل ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران (ثم لايموت فيها) فيستريح مما هو فيه من العذاب (ولا يحيى) حياة ينتفع بها ومنه قول الشاعر

ألا ما لنفس لاتموت فينقضي * عناها ولا تحيى حياة لها طعم

وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من صلي النار الكبرى ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله أتبعه بالوعد لضده فقال (قد أفلح من تزكى) أي نال الفوز من تطهر من الشرك فآمن بالله وحده وعمل بشرائعه قال عطاء والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال قتادة تزكى بعمل صالح وقال عطاء وقتادة وأبو العالية نزلت في صدقة الفطر قال عكرمة كان الرجل يقول أقدم زكاتي بين يدي صلاتي وأصل الزكاة في اللغة النماء وقيل المراد بالآية زكاة الاموال كلها وقيل المراد بها زكاة الاعمال لازكاة الاموال لان الاكثر ان يقال في الاموال زكى لاتزكى قال ابن عباس من تزكى من قال لا اله الا الله وعن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يأمر بزكاة الفطر قبل ان يصلي صلاة العيد ويتلو هذه الآية أخرجه البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه وابن مردويه وفي لفظ قال سئل النبي

محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لايسأله عنها غيره فقال يارسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد رأيت يا أبا هريرة اني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر واذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما (٢٤٩) لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما الى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فاخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز ابهام رجلي اليمنى فقال اغد واسلم فرجعت بها أغدو بها رقة على الصغير ورحمة للكبير وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك بمعنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي انقض ظهرك الانقاض الصوت وقال غير واحد من السلف الذي أنقض ظهرك أي أثقلك حمله وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد لا أذكر الا ذكرت معي أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي بها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتاني جبريل فقال ان ربي

وربك يقول كيف رفعت ذكرك قال الله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الاعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب قال ألم أشرح لك صدرك ألم أرفع

الذكرك قلت بلى يارب وقال أبو نعيم فى دلائل النبوة حدثنا ابو أحمد الغطريفى حدثنا موسى بن سهل الجونى حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتى حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهرى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغت مما أمرنى به من أمر السموات والارض قلت يارب انه لم يكن نبى قبلى الا وقد كرمته جعلت ابراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لى قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله انى لا أذكر الا ذكرت معى وجعلت صدور (٢٥٠) أمتك يقرؤن القرآن ظاهرا ولم أعطها أمة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحكى البغوى عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بذلك الاذان يعنى ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون رفع الله ذكره فى الاولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين ان يؤمنوا به وان يأمروا أممهم بالايمان به ثم شهر ذكره فى أمته فلا يذكر الله الا ذكر معه وما أحسن ما قال الصرصرى رحمه الله لا يصح الاذان فى الفرض الا باسمه العذب فى الفم المرضى به وقال أيضا الا ترانا لا يصح اذاننا ولا فرضنا ان لم نكرره فيها وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أخبر تعالى ان مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبى خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله جحر فقالوا لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله عزوجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ورواه أبو بكر البزار فى مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يخرجه ثم قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس الا عائذ بن شريح قلت وقد قال فيه أبو حاتم الرازى فى حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن

صلى الله عليه وآله وسلم عن زكاة الفطر فقال قد أفلح من تزكى قال هى زكاة الفطر وكثير بن عبد الله ضعيف جدا قال ابو داود هو ركن من أركان الكذب وقد صحح الترمذى حديثا من طرقه وخطئ فى ذلك ولكن يشهد له ما أخرجه ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل ان يغدو الى المصلى يوم الفطر وليس فى هذين الحديثين ما يدل على ان ذلك سبب النزول بل فيهما انه صلى الله عليه وآله وسلم تلا الآية وقوله هى زكاة الفطر يمكن ان يراد به انها مما يصدق عليه التزكى وقد قدمنا ان السورة مكية ولم يكن فى مكة صلاة عيد ولا فطرة وعن أبى سعيد الخدرى فى الآية قال أعطى صدقة الفطر قبل ان يخرج الى العيد وخرج الى العيد فصلى وعن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآية فى اخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد وعن عطاء قال قلت لابن عباس أرأيت قوله قد أفلح من تزكى للفطر قال لم اسمع بذلك ولكن للزكاة كلها ثم عاودته فقال لى والصدقات كلها (وذكر اسم ربه فصلى) قيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر للافتتاح فصلى أى فأقام الصلوات الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عزوجل قاله النسفى وفيه نظر وقيل ذكر موقفه ومعاده فعبده وهو كالقول الاول وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير فى أول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله أكبر وقيل ذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاة وقيل المراد بالصلاة هنا صلاة العيد كما أن المراد بالتزكى فى الآية الاولى زكاة الفطر ولا يخفى بعد هذا القول لان السورة مكية ولم تفرض زكاة الفطر وصلاة العيد الا بالمدينة عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله قد أفلح من تزكى قال من شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد انى رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها أخرجه ابن مردويه وقال البزار لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وعن ابن عباس قال من تزكى من الشرك وذكر اسم ربه قال وحد الله فصلى قال الصلوات الخمس (بل تؤثرون الحياة الدنيا) هذا اضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام أى انتم لا تفعلون ذلك

مسعود موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكذا رواه من حديث عوف الاعرابي و يونس بن عبيد عن الحسن مرسلا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية فقال لن يغلب عسر (٢٥١) يسرين ومعنى هذا ان العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال لن يغلب عسر يسرين يعني قوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فالعسر الاول عين الثاني واليسر تعدد وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل المعونة من السماء على قدر المؤنة ونزل الصبر على قدر المصيبة ومما يروى عن الشافعي انه قال

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا
من راقب الله في الامور نجا
من صدق الله لم ينله أذى
ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

اذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت
وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث
يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أي اذا فرغت من امور الدنيا وأشغالها وقطعت علايقها فانصب الى العبادة وقم اليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء قال مجاهد في هذه

بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة في الدنيا على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للكفار فقط أو للمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبي بل انتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة وعلى هذا يكون الضمير راجعا للاشقى قيل والمراد بالآية الكفرة والمراد بالايثار للحياة الدنيا هو الرضا بها والاطمئنان اليها والاعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر والمراد بايثارها هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من ايثار جانب الدنيا على الآخرة والتوجه الى تحصيل منافعها والاهتمام بها اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات وعن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحياة الدنيا ترك القراءة واقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وقال بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء قال عرفجة كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل (والآخرة خير وابقى) أي والحال ان الدار الآخرة التي هي الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك ولان الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى (ان هذا) أي أي ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده وقيل انه اشارة الى جميع السورة (لفي الصحف الاولى) أي ثابت فيها قال النسفي وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة انتهى قال الخطيب لم يرد تعالى ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف بل معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف وفيه بعد لان أبا حنيفة قد رجع عنه وعليه الاعتماد عند الحنفية وعليه الفتوى منهم وقد وصف الله سبحانه القرآن بكونه عربيا فلا يتم هذا الاستدلال (صحف

الآية اذا فرغت من أمر الدنيا فقمت الى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه اذا قمت الى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن ابن عياض نحوه وفي رواية عن ابن مسعود فانصب والى ربك فارغب بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاذا فرغت فانصب يعني في الدعاء وقال زيد بن أسلم والضحاك فاذا فرغت أي من الجهاد فانصب أي في العبادة والى ربك فارغب قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك الى الله عز وجل *(آخر تفسير سورة ألم نشرح ولله الحمد والمنة (٢٥٢) *(تفسير سورة والتين والزيتون وهي مكية)* قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سفره في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا احسن صوتا اوقراءة منه اخرجه الجماعة في كتبهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحاكمين) اختلف المفسرون ههنا على اقوال كثيرة فقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد اصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس انه مسجد نوح الذي على الجودي وقال مجاهد هو تينكم هذا والزيتون قال كعب الاحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم هو مسجد بيت المقدس وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون وطور سينين قال كعب الاحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهذا البلد الامين يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد فتور وعكرمة والحسن وابراهيم النخعي وابن زيد وكعب الاحبار ولا خلاف في ذلك وقال بعض الائمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من اولي العزم أصحاب الشرائع الكبار فالاول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام والثاني طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران والثالث مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي ارسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الاماكن الثلاثة جاء

ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد بقوله ان هذا والآخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله عز وجل ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن تتابعت كتب الله عز وجل ان هذا لفي الصحف الاولى وهو قوله قد أفلح الى آخر السورة قرأ الجمهور صحف بضم الحاء في الموضعين وقرئ بسكونها فيهما وقرأ الجمهور ابراهيم بالالف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وقرئ بحذفهما وفتح الهاء وقرأ ابو موسى وابن الزبير ابراهام بالفين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي كلها في صحف ابراهيم وموسى أخرجه البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وعنه في الآية قال نسخت هذه السورة من صحف ابراهيم وموسى وفي لفظ هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى وعن أبي ذر قال قلت يارسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب الحديث أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر

(سورة الغاشية هي ست وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف)

وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقد تقدم حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية) قال جماعة من المفسرين هل هنا بمعنى قد وبه قال قطرب أي قد جاءك يامحمد حديث الغاشية وهي القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها وقيل ان بقاء هل على معناها الاستفهامي المضمن للتعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه أولى وقد ذهب الى ان المراد بالغاشية هنا القيامة أكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله وتغشى وجوههم النار وقيل الغاشية أهل النار لانهم يغشونها ويقتحمونها والاول أولى قال الكلبي المعنى ان لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك قال ابن عباس الغاشية من أسماء القيامة وعنه قال الغاشية الساعة وفي الصحاح الغشاء الغطاء ويقال ان الغشي تعطل القوى المحركة والاوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد أو برد او جوع مفرط وقيل الغشي هو الاغماء وقيل الاغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ وقيل الاغماء سهو يلحق الانسان مع

الله من طور سيناء يعنى الذى كلم الله عليه موسى واشرق من ساعير يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى واستعلن من جبال فاران يعنى جبال مكة التى ارسل الله منها محمدا صلى الله عليه وسلم فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ولهذا اقسم بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم هذا هو المقسم عليه وهو انه تعالى خلق الانسان فى احسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الاعضاء حسنها ثم رددناه اسفل سافلين اى الى النار قاله مجاهد وابو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن (٢٥٣) والنضارة مصيره الى النار ان لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال بعضهم ثم رددناه أسفل سافلين أى الى ارذل العمر وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد الى ارذل العمر واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم وانما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله فلهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع كما تقدم ثم قال فما يكذبك اى يا ابن آدم بعد بالدين اى بالجزاء فى المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت ان من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى فاى شئ يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا قال ابن ابى حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد فما يكذبك بعد بالدين عنى به النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ الله عنى به الانسان وهكذا قال عكرمة وغيره وقوله تعالى أليس الله باحكم الحاكمين اى أما هو احكم الحاكمين الذى لا يجور ولا يظلم احدا ومن عدله ان يقيم القيامة فينتصف للمظلوم فى الدنيا ممن ظلمه وقد قدمنا فى حديث ابى هريرة مرفوعا فاذا قرأ احدكم والتين والزيتون فاتى على آخرها أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين * آخر تفسير سورة والتين والزيتون ولله الحمد والمنة * تفسير سورة اقرأ وهى أول شئ نزل من القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث

فتور الاعضاء لعلة وغشيته أغشاه من باب تعب أتيته والاسم الغشيان بالكسر وجملة (وجوه يومئذ خاشعة) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هو أو مستأنفة استئنافا نحويا لبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه فى ذلك اليوم متصفة بهذه الصفات المذكورة ووجوه مرتفع على الابتداء وان كان نكرة لوقوعه فى مقام التفصيل وقد تقدم مثل هذا فى سورة القيامة وفى سورة النازعات والتنوين فى يومئذ عوض عن المضاف اليه أى يوم غشيان الغاشية والخاشعة الذليلة الخاضعة وكل متضائل ساكن يقال له خاشع يقال خشع الصوت اذا خفى وخشع فى صلاته اذا تذلل ونكس رأسه والمراد بالوجوه هنا أصحابها قال المحلى عبر بها عن الذوات فى الموضعين أى بالجزء عن الكل وخص الوجه لانه أشرف أعضاء الانسان ولان الذل يظهر عليه أولا دون غيره قال مقاتل يعنى الكفار لانهم تكبروا عن عبادة الله قال قتادة وابن زيد خاشعة فى النار وقيل أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص والاول أولى وفى البحر الآية نزلت فى القسيسين وعباد الاوثان وفى كل مجتهد فى كفر (عاملة) أى انها تعمل عملا شاقا قال أهل اللغة يقال للرجل اذا دأب فى سيره عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا قيل وهذا العمل هو جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها (ناصبة) أى تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب والمعنى انها فى الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله وقيل ان قوله عاملة فى الدنيا اذ لا عمل فى الآخرة أى تعمل فى الدنيا بالكفر والمعاصى وتنصب فى ذلك وقيل انها عاملة فى الدنيا ناصبة فى الآخرة والاول أولى قال قتادة عاملة ناصبة تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب فاعملها وأنصبها فى جهنم قال الكلبى يجرون على وجوههم فى جهنم وقال أيضا يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى جهنم فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل قال ابن عباس عاملة ناصبة تعمل وتنصب وعنه قال يعنى اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها قرأ الجمهور عاملة ناصبة بالرفع فيهما على انهما خبران آخران للمبتدأ أو على تقدير مبتدأ وهما خبران له وقرئ

بنصبهما على الحال أو على الذم وقوله (تصلى نارا حامية) خبر آخر للمبتدأ أى تدخل نارا متناهية فى الحر يقال حمى النهار وحمى التنور أى اشتد حرهما قال الكسائى يقال اشتد حمى النهار وحموه بمعنى والمعنى قد أحميت وأوقد عليها مدة طويلة وفى الحديث أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة قرأ الجمهور تصلى بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول وبضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام والضمير راجع الى الوجوه على جميع هذه القراآت السبعية والمراد أصحابها كما تقدم وهكذا الضمير فى (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر والآنى الذى قد انتهى حره من الايناء بمعنى التأخير يقال آناه يؤنيه ايناء أى أخره وحبسه كما فى قوله يطوفون بينها وبين حميم آن قال الواحدى قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت قال ابن عباس هى التى قد طال أنيها وقال أيضا قد انى غليانها وعنه قال انتهى حرها ولما ذكر سبحانه شرابهم عقبه بذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام الا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق فى لسان قريش اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع كذا قال مجاهد وقتادة وغيرهما من المفسرين قيل وهو سم قاتل واذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه وقيل هو شئ يرمى به البحر يسمى الضريع من أقوات الانعام لا من أقوات الناس فاذا رعت منه الابل لا تشبع وتهلك هزالا قال الخليل الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمى به البحر وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بالاول وقال سعيد بن جبير الضريع الحجارة وقيل هو شجرة فى نار جهنم وقال الحسن هو بعض ما أخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله بالخلاص منه فسمى بذلك لان آكله يتضرع الى الله فى ان يعفى عنه لكراهته وخشونته قال النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل أى من شربه تلحقه ضراعة وذلة وقال الحسن أيضا هو الزقوم وقيل هو واد فى جهنم وقد تقدم فى سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين والغسلين غير الضريع كما تقدم وجمع بين الآيتين بان النار دركات والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الزقوم فلا تناقض بين هذه الآيات قال ابن عباس الضريع الشبرق وقال أيضا شجر من نار وعنه قال الشبرق

فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحى وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة (٢٥٤) مالى وأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسى فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى وكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخى ماترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على عيسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن بذلك المابس
جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث الزهرى وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه فى أول شرحنا للبخارى مستقصى فمن أراده فهو هنالك محرر ولله الحمد والمنة فاول شئ نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهى أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقة وان من كرمه تعالى ان

علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر التى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة والعلم تارة يكون فى الاذهان وتارة يكون فى اللسان وتارة يكون فى الكتابة بالبيان ذهنى ولفظى ورسمى والرسمى يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وفى الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفيه ايضا من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة (٢٥٥) خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب) يخبر تعالى عن الانسان انه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان اذا راى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال ان الى ربك الرجعى أى الى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته قال ابن أبى حاتم حدثنا زيد بن اسمعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال قال عبد الله منهومان لايشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان قال ثم قرأ عبد الله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال للآخر انما يخشى الله من عباده العلماء وقد روى هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا ثم قال تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى أبى جهل لعنه الله توعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتى هى أحسن أولا فقال أرأيت ان كان على الهدى أى فما ظنك ان كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال ألم يعلم بان الله يرى أى أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى ان الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا كلا لئن لم ينته أى لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد لنسفعا بالناصية أى لنسمنها سوادا يوم القيامة ثم قال ناصية كاذبة خاطئة يعنى ناصية أبى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى أفعالها فليدع ناديه أى قومه وعشيرته أى ليدعهم يستنصر بهم سندع الزبانية وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا

اليابس ثم وصف سبحانه الضريع فقال (لايسمن ولا يغنى من جوع) أى لايسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما به من الجوع يعنى همامنفعتا الغذاء وكلاهما منتفيان عنه قال المفسرون لما نزلت ليس لهم طعام الخ قال المشركون أن ابلنا تسمن من الضريع فنزلت لايسمن ولا يغنى من جوع وكذبوا فى قولهم هذا فان الابل لاتأكل الضريع ولا تقربه وقيل اشتبه عليهم أمره فظنوه كغيره من النبات النافع قال أبو السعود وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ماهو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها ويخرج مافيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة فى الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لايغنى من جوع ما ثم شرع سبحانه فى بيان حال أهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال أهل النار فقال (وجوه يومئذ ناعمة) أى ذات نعمة وبهجة فى لين العيش وهى وجوه المؤمنين صارت ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم وما أعده الله لهم من الخير الذى يفوق الوصف ومثله قوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم والمراد بالوجوه هنا أصحابها كما تقدم ثم قال (لسعيها راضية) أى لعملها الذى عملته فى الدنيا راضية لانها قد أعطيت من الاجر ما أرضاها وقرت به عيونها (فى جنة عالية) أى عالية المكان مرتفعة على غيرها من الامكنة أو عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (لاتسمع فيها لاغية) قرأ الجمهور بفتح الفوقية ونصب لاغية أى لاتسمع أنت أيها المخاطب أو لاتسمع تلك الوجوه وقرئ بضم التحتية مبنيا للمفعول ورفع لاغية وقرئ بالفوقية مضمومة ورفع لاغية وقرئ بفتح التحتية مبنيا للفاعل ونصب لاغية واللغو الكلام الساقط قال الفراء والاخفش أى

يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لئن فعل لأخذته الملائكة ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعده فأغلظ له رسول الله (٢٥٦) صلى الله عليه وسلم وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهددني أما والله اني لأكثر هذا الوادي ناديا فأنزل الله فليدع ناديه سندع الزبانية وقال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام احمد أيضا حدثنا اسمعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال فقال لو فعل لاخذته الملائكة عيانا ولوان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا وقال ابن جرير ايضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيي بن واضح اخبرنا يونس بن ابي اسحق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فانزل الله عز وجل اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ هذه الآية لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال فقال رسول الله لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم

لا تسمع فيها كلمة لغو وقيل المراد بذلك الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة وقال مجاهد أي الشتم وقال الفراء لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب قال الكلبي لا تسمع في الجنة حالفا بيمين برة ولا فاجرة وقال الفراء أيضا لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلغى لانهم لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا أرجح الاقوال لان النكرة في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص الا بمخصص يصلح للتخصيص ولاغية اما صفة موصوف محذوف أي كلمة لاغية أو جماعة لاغية أو نفس لاغية أو مصدر أي لا تسمع فيها لغوا قال ابن عباس لا تسمع أذى ولا باطلا (فيها عين جارية) قد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا والعين هنا بمعنى العيون كما في قوله علمت نفس ومعنى جري العين انها تجري مياهها على وجه الارض في غير أخدود تتدفق بانواع الاشربة المستلذة لا ينقطع جريها أبدا قال الكلبي لا أدري بماء أو بغيره (فيها سرر مرفوعة) أي عالية مرتفعة السمك أو عالية القدر أو شريفة الذات قال ابن عباس بعضها فوق بعض (وأكواب موضوعة) قد تقدم ان الاكواب جمع كوب وانه القدح الذي لا عروة له ولا خرطوم أي أنها موضوعة بين أيديهم يشربون منها أو معدة لاهلها أو موضوعة على حافات العين الجارية أو موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا (ونمارق مصفوفة) هي الوسائد قال الواحدي في قول الجميع واحدتها نمرقة بضم النون وزاد الفراء سماعا عن العرب نمرقة بكسرها وهما لغتان أشهرهما الاولى قال الكلبي وسائد مصفوفة بعضها الى بعض ومنه قول الشاعر

كهول وشبان حسان وجوههم * على سرر مصفوفة ونمارق

قال في الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وقال ابن عباس نمارق مجالس وعنه قال مرافق وقيل مساند ومطارح أينما أراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى قال الواحدي مصفوفة أي فوق الطنافس (وزرابي مبثوثة) يعني البسط العراض الفاخرة واحدها زربي وزربية قال أبو عبيدة والفراء الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط أو كل ما بسط واتكئ عليها الواحد زربي بالكسر ويضم والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض قال الواحدي

ويجوز

والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به وقوله تعالى كلا لا تطعه يعني يا محمد فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس واسجد واقترب كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن عمارة بن غزية عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وتقدم أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق آخر تفسير سورة اقرأ (٢٥٧) ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة ليلة القدر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) يخبر تعالى انه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل انا أنزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التي اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال قام رجل الى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبني رحمك الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف يوم لا يزيد يوم ولا تنقص ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة وثقه يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي

ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وبه قال القتيبي وقال الفراء مبثوثة كثيرة والظاهر أن معنى البث التفريق مع كثرة ومنه وبث فيها من كل دابة قال القرطبي وغيره وهذا أصح (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر كما في نظائره مما مر غير مرة والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعدها وقيل الجملة في محل جر على انها بدل اشتمال من الابل والمعنى أينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه أفلا ينظرون الى الابل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت معدولا عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها قال أبو عمرو بن العلاء انما خص الابل لانها من ذوات الاربع تبرك فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم قال الزجاج نبههم على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس ذلك في شئ من الحوامل غيره فأراهم عظيما من خلقه ليدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل من أعز مال العرب وأنفسه يأكل النوى والقت ويخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها وقال المبرد الابل هنا هي القطع العظيمة من السحاب وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة وروى عن الاصمعي انه قال من قرأ خلقت بالتخفيف عنى به البعير ومن قرأ بالتشديد عنى به السحاب قال أبو السعود بدأ بالابل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد البعيدة وعيشها بأي نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صبيا صغيرا ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقيلة وتأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شئ من الحيوان جمع هذه الاشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما واحده بعير وناقة وجمل (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل رفعت فلا ينالها

ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ الا من هذا الوجه وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي ان يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفي رواية عن ابن معين قال هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الامام (٢٥٨) الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي هو حديث منكر قلت وقول القاسم بن الفضل الحداني انه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الامرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم يخرج عنهم الا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الامرة بالكلية بل عن بعض البلاد الى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الالف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب والله أعلم ومما يدل على ضعف هذا الحديث انه سيق لذم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة انما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا الا كما قال القائل

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

وقال آخر

اذا أنت فضلت امرأ ذا براعة ... على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذي يفهم من الآية أن الالف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية

شيء (والى الجبال كيف نصبت) على وجه الارض مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول (والى الارض كيف سطحت) أي بسطت والسطح بسط الشيء يقال لظهر البيت اذا كان مستويا سطح قرأ الجمهور مبنيا للمفعول مخففا وقرأ الحسن مشددا وقرأ علي بن أبي طالب وغيره خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وضم التاء فيها كلها قال المحلي قوله سطحت ظاهر في أن الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من أركان الشرع قال الكرخي هي كرة بطبعها وحقيقتها لكن الله أخرجها عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها فاخراجها عما يقتضيه طبعها انتهى وفي التكميل للشيخ رفيع الدين ابن ولي الله الدهلوي رحمه الله أهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى الارض فراشا ودحاها وسطحت انها سطح مستو والحكماء يثبتون كرويتها بالادلة الصحيحة فيتوهم الخلاف ويدفع بأن القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو فان الدائرة كلما عظمت قل انجذاب اجزائها فاستواؤها باعتبار محسوسية اجزائها وكرويتها باعتبار معقولية جملتها انتهى ثم لما ذكر تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وأمره بأن يذكرهم فقال (فذكر) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فعظهم يا محمد وخوفهم ثم علل الامر بالتذكير فقال (انما أنت مذكر) أي ليس عليك الا ذلك (لست عليهم بمصيطر) حتى تكرههم على الايمان ومصيطر بالصاد والسين المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله كذا في الصحاح قال ابن عباس أي بجبار وعنه قال ثم نسخ ذلك فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع من الهاء في عليهم أي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو عذاب جهنم الدائم وقيل هو استثناء متصل من قوله فذكر أي فذكر كل أحد الا من انقطع طمعك عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر والاول أولى وانما قال الاكبر لانهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقرأ ابن مسعود فانه يعذبه الله وقرأ ابن عباس وقتادة ألا من تولى على أنها الا التي للتنبيه والاستفتاح (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم بعد الموت بالبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام قال ابن عباس أي مرجعهم يقال آب يؤوب اذا رجع قرأ الجمهور

ولامعناها والمنبر انما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعنى بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن مجاهد قال كان فى بنى (٢٥٩) اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية ليلة القدر خير من ألف شهر قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثنى مسلمة بن على عن على بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بنى اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون قال فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وقال سفيان الثورى بلغنى عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فى تلك الشهر ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعى وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائى عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بانها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لاما عداه وهو كقوله صلى الله عليه وسلم رباط ليلة فى سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل رواه أحمد وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة انه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها الى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك وقال

الجمهور ايابهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال أبو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله فى الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال الواحدى وأما ايابهم بتشديد الياء فانه شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج (ثم ان علينا حسابهم) يعنى جزاءهم بعد رجوعهم الينا بالبعث فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان لبعد منزلة الحساب فى الشدة عن منزلة الاياب وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ وجمع الضمير فى ايابهم وحسابهم باعتبار معنى من كما ان افراده فى يعذبه باعتبار لفظها وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى

(سورة الفجر هى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

وهى مكية بلا خلاف فى قول الجمهور قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله ومدنية فى قول على بن أبى طلحة أخرج النسائى عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت فصليت فى ناحية المسجد فعلفت ناضحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتان أنت يا معاذ اين أنت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم سبحانه بهذه الاشياء كما أقسم بغيرها من مخلوقاته واختلف فى الفجر الذى أقسم الله به هنا فقيل هو الوقت المعروف وسمى فجرا لانه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله على وابن الزبير وقال قتادة انه فجر أول يوم من شهر محرم لان منه تنفجر السنة وقال مجاهد يريد يوم النحر وقال الضحاك فجر ذى الحجة لان الله قرن الايام به فقال (وليال عشر) أى ليالى عشر من ذى الحجة وبه قال السدى والكلبى وقيل المعنى وصلاة الفجر أو ورب الفجر والاول أولى وقال ابن عباس فجر النهار وعنه قال يعنى صلاة الفجر وعنه قال هو المحرم فجر السنة وقد ورد فى فضل صوم شهر محرم أحاديث صحيحة ولكنها لا تدل على انه المراد بالآية لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانبارى وقيل محذوف لدلالة السياق عليه أى ليجازين كل أحد

الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله تعالى تنزل الملائكة (٢٦٠) والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبا والله أعلم وقوله تعالى من كل أمر قال مجاهد سلام هي من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الاعمش عن مجاهد في قوله سلام هي قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الامور وتقدر الآجال والارزاق كما قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي اسحق عن الشعبي في قوله تعالى من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر وروى ابن جرير عن ابن عباس انه كان يقرأ من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر وروى البيهقي في كتابه فضائل الاوقات هو
عن على أثرا غريبا في نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين وروى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار أثرا غريبا عجيبا طويلا جدا في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام الى الارض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عمران يعني القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى وقال الاعمش

بما عمل أو ليعذبن وقدره أبو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التى قبله أى والفجر الخ لاياتهم الينا وحسابهم علينا وهذا ضعيف جدا وأضعف منه قول من قال ان الجواب قوله هل في ذلك قسم لذى حجر وان هل بمعنى قد لان هذا لا يصح أن يكون مقسما عليه ابدا وليال عشر هى عشر ذى الحجة فى قول جمهور المفسرين وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها الانها أفضل ليالى السنة ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير فنكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التى ليست لغيرها وقال الضحاك انها العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم الى عاشرها يوم عاشوراء قرأ الجمهور ليال بالتنوين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس بالاضافة قيل والمراد ليالى أيام عشر وكان حقه على هذا أن يقال عشرة لان المعدود مذكر وأجيب عنه بأنه اذا حذف المعدود جاز الوجهان وعن جابر مرفوعا هى ليالى العشر من ذى الحجة أخرجه أحمد والنسائى والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم وعن طلحة بن عبد الله انه دخل على ابن عمر هو وأبو سلمة بن عبد الرحمن فدعاهم ابن عمر الى الغداء يوم عرفة فقال أبو سلمة أليس هذه الليالى العشر التى ذكرها الله تعالى فى القرآن فقال ابن عمر وما يدريك قال ما أشك قال بلى فاشكك وقد ورد فى فضل هذه العشر أحاديث وليس فيها ما يدل على انها المرادة بما فى القرآن هنا بوجه من الوجوه قال ابن عباس هى العشر الاواخر من رمضان (والشفع والوتر) هما يعمان الاشياء كلها شفعها ووترها كالكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس وقيل شفع الليالى ووترها وقال قتادة الشفع والوتر شفع الصلاة ووترها منها شفع ومنها وتر وقيل الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وعطية العوفى الشفع الخلق والوتر الله الواحد الصمد وبه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقتادة وقال الربيع بن أنس وأبو العالية هى صلاة المغرب فيها ركعتان والوتر الركعة وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وبه قال عطاء وقيل هما آدم وحواء لان آدم كان وترا فشفع بحواء وقيل الشفع درجات الجنة وهى ثمان والوتر دركات النار وهى سبع وبه قال الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر

عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله من كل أمر سلام قال لا يحدث فيها أمر وقال قتادة وابن زيد في قوله سلام هي يعني هي خير كلها ليس فيها شر الى مطلع الفجر ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمارة ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا (٢٦١) ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح وان أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ وهذا اسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء وروى ابن أبي عاصم النبيل باسناده عن جابر ابن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها

(فصل) اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الامم السالفة أو هي من خصائص هذه الآية على قولين قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك انه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه لم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر وقد أسند من وجه آخر وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم وحكى الخطابي عليه الاجماع والذي دل عليه الحديث انها كانت في الامم الماضين كما هي في أمتنا قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سماك الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة

هو الله سبحانه وهو الشفع أيضا لقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع حج القران والوتر الافراد وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وأنثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما سمي والوتر ما لم يسم ولا يخفاك ما في غالب هذه الاقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطئ والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير اليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان واضحان فالشفع عند العرب الزوج والوتر الفرد فالمراد بالآية اما نفس العدد أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر واذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية فان كان الدليل يدل على انه المراد نفسه دون غيره فذاك وان كان الدليل يدل على انه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هو الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وفي اسناده رجل مجهول وهو الراوي له عن عمران وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران ابن حصين باسقاط الرجل المجهول وقال الترمذي في الرواية الاولى غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة قال ابن كثير وعندي أن وقفه على عمران أشبه والله تعالى أعلم قال ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير هذا الحديث موقوفا على عمران فهذا يقوي ما قاله ابن كثير وعن جابر مرفوعا أن العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر أخرجه أحمد والنسائي والبزار والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابن عباس قال كل شيء شفع فهو اثنان والوتر واحد وعن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الشفع والوتر فقال يومان وليلة يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة النحر ليلة جمع أخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث أخرجه ابن جرير وعن ابن الزبير قال الشفع قول الله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر اليوم الثالث وفي لفظ الوتر أوسط أيام التشريق وعن ابن عباس قال الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسرها

القدر قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يارسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره قال بل هي في رمضان قلت تكون مع الانبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هي الى يوم القيامة قال بل هي الى يوم القيامة قلت في أي رمضان هي قال التمسوها في العشر الاول والعشر الاواخر ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت في أي العشرين هي قال ابتغوها في العشر الاواخر لا تسألني عن شيء بعدها ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يارسول الله أقسمت عليك بحقي عليك لما (٢٦٢) أخبرتني في أي العشر هي فغضب علي غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال التمسوها في السبع الاواخر لا تسألني عن شيء بعدها ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان به ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية الى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم لان المراد رفع علم وقتها عينا وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا وقال باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان حدثنا حميد بن زنجويه النسائي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن أبي جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا اسناد رجاله ثقات الا ان أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبي اسحق فاوقفاه وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية انها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الرافعي جدا (تم قد قيل انها تكون في أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل انها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا من رواية ابن مسعود وروى موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن ادريس الشافعي ويحكى عن الحسن البصري ووجهوه بانها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان وفي

وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه وهما لغتان والفتح لغة قريش وأهل الحجاز والكسر لغة تميم قال الاصمعي كل فرد وتر وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد وحكى يونس عن ابن كثير انه قرأ بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل أن يكون لغة ثالثة ويحتمل انه نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف (والليل اذا يسر) قرأ الجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ نافع وأبو عمرو بحذفها في الوقف واثباتها في الوصل وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب باثباتها فيهما قال الخليل تسقط الياء منها موافقة لرؤس الآي قال الزجاج والحذف أحب الي لانها فاصلة والفواصل تحذف منها الياآت قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها قال المؤرج سألت الاخفش عن العلة في اسقاط الياء من يسرى فقال لا أجيبك حتى تبيت على باب داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه فهو مصروف عن جهته وكل ما صرفته عن جهته بخسته من اعرابه ألا ترى الى قوله وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها عن باغية وفي كلام الاخفش هذا نظر فان صرف الشيء عن معناه بسبب من الاسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما يستحقه ولو صح ذلك للزم في كل المجازات العقلية واللفظية واللازم باطل فالملزوم مثله والاصل ههنا اثبات الياء لانها لام الفعل المضارع المرفوع ولم تحذف لعلة من العلل الا لاتباع رسم المصحف وموافقة رؤس الآي اجراء للفواصل مجرى القوافي ومعنى والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس وقيل معنى يسر يسار فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم وبهذا قال الاخفش والقتيبي وغيرهما من اهل المعاني وعلى هذا نسبة السرى الى الليل مجاز والمراد يسرى فيه فهو مجاز في الاسناد باسناد ما للشيء للزمان كاسناده للمكان والظاهر انه مجاز مرسل أو استعارة وبالاول قال جمهور المفسرين وقال قتادة وأبو العالية والليل اذا يسر أي جاء وأقبل وقال النخعي أي استوى قال عكرمة وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله سبحانه وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون أخرى قال ابن عباس اذ يسر اذا ذهب ويسر مأخوذ من السرى وهو سير الليل يقال سريت الليل وسريت به وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها

صبيحتها وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه يوم الفرقان وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضي الله عنهما وقيل ليلة احدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال ان الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الاوسط واعتكفنا معه فأتاه جبريل وقال الذي تطلب امامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال من كان اعتكف معي فليرجع فاني رأيت ليلة القدر واني أنسيتها وانها في العشر الاواخر في وتر واني رأيت كأني (٢٦٣) أسجد في طين وماء وكان سقف المسجد جريدا من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت قزعة فمطرنا فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ في صبح احدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد فالله أعلم وقيل ليلة أربع وعشرين قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة أربع وعشرين اسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها أول السبع من العشر الأواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم وهكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب انها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثلة بن الاسقع مرفوعا ان القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى فسره كثيرون بليالي الاوتار وهو أظهر وأشهر وحمله آخرون على الشفع كما رواه مسلم

بالاجسام مجازا واتساعا نحو طاف الخيال وذهب الهم وأخذه الكسل والنشاط وقول الفقهاء سرى الجرح الى النفس معناه دام ألمه حتى حدث منه الموت وقطع كفه فسرى الى ساعده أي تعدى أثر الجرح وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى التعدية وهذه الالفاظ جارية على ألسنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم قال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوهما وقال السرقسطي سرى عرق السوء في الانسان وقال ابن القطاع سرى عليه الهم أتاه ليلا وسرى همه ذهب (هل في ذلك قسم) هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما أقسم الله سبحانه به وتفخيمه من هذه الامور المذكورة والاشارة بقوله ذلك الى تلك الامور والتذكير بتأويل المذكور أي هل في ذلك المذكور من الامور التي أقسمنا بها قسم أي مقنع ومكتفى في القسم أو مقسم به حقيق بأن يؤكد به الاخبار وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف (لذي حجر) أي عقل ولب فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الاشياء حقيق بأن يقسم به ومثل هذا قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الحسن لذي حجر أي لذي حلم وقال أبو مالك لذي ستر من الناس وقال الجمهور الحجر العقل قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل وأصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامساكه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان أي منعه قال والعرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها قال ابن عباس لذي حجر لذي حجى وعقل ونهى ثم ذكر سبحانه على طريق الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم للرسل تحذيرا للكفار في عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وتخويفا لهم أن يصيبهم ما أصابهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أي ألم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قرأ الجمهور بتنوين عاد على أن يكون قوله (ارم ذات العماد) عطف بيان لعاد والمراد بعاد اسم أبيهم وارم اسم القبيلة أو بدلا منه وامتناع صرف ارم للتعريف والتأنيث وقيل المراد بعاد أولاد عاد وهم عاد الاولى ويقال لمن بعدهم عاد الاخرى فيكون ذكر ارم على طريقة عطف البيان أو البدل للدلالة على انهم عاد الاولى لا عاد الاخرى ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين أي أهل ارم أو سبط ارم

عن أبي سعيد انه حمله على ذلك والله أعلم وقيل انها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين قال الامام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبي بن كعب قلت أبا المنذران أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم انها في شهر رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعني الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة (٢٦٤) وشعبة والاوزاعي عن عبدة عن زر عن أبي فذكره وفيه فقال والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ما يستثني ووالله اني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين وامارتها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا وقد حكي عن بعض السلف انه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله هي لانها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالله أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا انها في العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر اني لاعلم أواني لأظن أي ليلة القدر هي فقال عمر أي ليلة هي فقلت سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الاواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمي الجمار سبع لأشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لامر ما فطنا له وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى فأنبتنا فيها حبا وعنبا الآية وهذا اسناد جيد قوي وهو غريب جدا فالله أعلم وقيل انها تكون ليلة تسع وعشرين قال الامام أحمد بن حنبل

فان ارم هو جد عاد لانه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقرأ الحسن وأبو العالية باضافة عاد الى ارم وقرأ الجمهور ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم وقرئ (١) بفتح الهمزة والراء وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفا وقرئ باضافة ارم الى ذات العماد وقال مجاهد من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالارم التي هي الأعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتأخير أي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد ألم تر أي ألم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له وقد كان أمر عاد وثمود مشهورا عند العرب لان ديارهم متصلة بديار العرب وكانوا يسمعون من أهل الكتاب أمر فرعون وقال مجاهد أيضا ارم أمة من الامم وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال معمر ارم اليه مجتمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبيلتان تنسب الى ارم قال أبو عبيدة هما عادان فالاولى ارم ومعنى ذات العماد ذات القوة والشدة مأخوذ من قوة الاعمدة كذا قال الضحاك وقال قتادة ومجاهد انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم وقال مقاتل ذات العماد يعني طولهم وكان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا يقال رجل طويل العماد أي القامة قال أبو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا وقال مجاهد وقتادة أيضا كان عماد القوم يقال فلان عمد القوم وعمودهم أي سيدهم وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال في الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث وقال عكرمة وسعيد المقبري هي دمشق وعن مالك مثله وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية قال ابن عباس يعني بالارم الهالك ألا ترى انك تقول ارم بنو فلان وذات العماد يعني طولهم مثل العماد وعن المقدام بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي الى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أي حي أراد فيهلكهم أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وفي اسناده رجل مجهول لان معاوية بن صالح رواه عمن حدثه عن المقدام (التي لم يخلق مثلها في البلاد) هذه صفة لعاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة أو صفة للقرية على قول من قال ان ارم اسم لقريتهم أو للارض التي كانوا فيها والاول أولى ويدل عليه قراءة أبي بن كعب التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل الارم الهلاك قال

(١) هذه قراءة الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة. وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به وقيل إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفا ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر إنها آخر ليلة (فصل) قال الشافعي في هذه الروايات صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم جوابا للسائل إذ قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية يقول نعم وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل نقله الترمذي عنه بمعناه وروي عن أبي قلابة أنه قال ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد ابن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الأشبه والله أعلم وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان ولفظه للبخاري ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال

الضحاك أرم ذات العماد أي أهلكهم فجعلهم رميما وبه قال شهر بن حوشب وقد ذكر جماعة من المفسرين أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وأن حصباءها جواهر وترابها مسك وليس بها أنيس ولا فيها ساكن من بني آدم وأنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع تارة تكون باليمن وتارة تكون بالشام وتارة تكون بالعراق وتارة تكون بسائر البلاد وهذا كذب بحت لا ينفق على من له أدنى تمييز وزاد الثعلبي في تفسيره فقال إن عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بني إسرائيل وتارة على الأنبياء وتارة على الصالحين وتارة على رب العالمين وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني قال الحافظ ابن كثير لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد فإن ذلك كله من خرافات الإسرائيليين من وضع الزنادقة منهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس فهذا وأمثاله مختلق لا حقيقة له وأما قوله تعالى فالمراد من الآية إنما هو الإخبار عن هلاك القبيلة المسماة بعاد الذين أرسل الله فيهم هودا فكذبوه فأهلكهم الله وإرم عطف بيان لعاد أو بدل منه للإعلام بأنهم عاد الأولى فسموا باسم جدهم إرم كما يقال لبني هاشم هاشم لأن عادا هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل إرم اسم بلدتهم وأرضهم فالتقدير بعاد أهل إرم كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وذات العماد إن كان صفة للقبيلة فمعناها أنهم أصحاب خيام لها أعمدة يظعنون بها أو هو كناية عن طول أجسامهم وتشبيهها بالأعمدة وإن كان صفة للبلدة فمعناه أنها ذات عمد من الحجارة وتعقب هذا القول بأنه لو كان ذلك مراد القائل التي لم يعمل مثلها في البلاد وإنما قال لم يخلق فالقول الأول هو الصواب انتهى وبه قال شيخ الإسلام نجم الدين محمد الغيطي رحمه الله تعالى قال عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر بعد ذكر أغلاط المؤرخين وأبعد

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وجه الدلالة منه انها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة اذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها الا ذلك العام فقط اللهم الا أن يقال انه انما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله فتلاحى فلان وفلان فرفعت فيه استئناس لما يقال ان المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع وكما جاء فى الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (٢٦٦) وقوله فرفعت أى رفع علم تعيينها لكم لا انها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لانه قد قال بعد هذا فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وقوله وعسى أن يكون خيرا لكم يعنى عدم تعيينها لكم فانها اذا كانت مبهمة اجتهد طلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما اذا علموا عينها فانها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط وانما اقتضت الحكمة ابهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ويكون الاجتهاد فى العشر الاخير أكثر ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده أخرجاه من حديث عائشة ولهما عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجاه ولمسلم عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيرها وهذا معنى قولها وشد المئزر وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الامرين لما رواه الامام أحمد حدثنا سريج حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بقى عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به أحمد وقد حكى عن مالك رحمه الله ان جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته فى شرح الرافعى رحمه الله والمستحب الاكثار من الدعاء فى جميع الاوقات وفى شهر رمضان أكثر وفى العشر الاخير منه ثم فى أوتاره أكثر والمستحب ان يكثر من هذا الدعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف

من ذلك وأعرق فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة والفجر فى قوله تعالى ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد أى أساطين وهى كذا وكذا ذكر ذلك الطبرى والثعالبى والزمخشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله ابن قلابة من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها الخ وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات والذى حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التى هى أشبه بالاقاصيص الموضوعة التى هى أقرب الى الكذب المنقولة فى عداد المضحكات والا فالعماد هى عماد الاخبية بل الخيام وان أريد بها الاساطين فلا بدع وصفهم بانهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لا انه بناء خاص فى مدينة معينة كما تقول قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار وأى ضرورة الى هذا المحمل البعيد الذى تمحل لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها لبعدها عن الصحة انتهى كلامه ثم عطف سبحانه القبيلة الآخرة وهى ثمود على قبيلة عاد فقال (وثمود) هم قوم صالح سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم للقبيلة ففيه التأنيث والتعريف وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لابيهم (الذين جابوا الصخر) أى قطعوه وقال ابن عباس خرقوه والجوب القطع ومنه جاب البلاد اذا قطعها ومنه سمى جيب القميص لانه جيب أى قطع قال المفسرون أول من نحت الجبال والصخور ثمود فبنوا من المدائن ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ومنه قوله سبحانه وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك الانقاب بيوتا يسكنون فيها وقوله (بالواد) متعلق بجابوا

عنى لما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هرون حدثنا الجريرى وهو سعيد بن اياس عن عبد الله بن بريدة ان عائشة قالت يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فبا أدعو قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت قلت يارسول الله أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وهذا لفظ الترمذى ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائى أيضا من طريق (٢٦٧) سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قلت يا رسول الله أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى (ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر) رواه الامام أبو محمد بن أبى حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى زياد القطوانى حدثنا سيار بن أبى حاتم حدثنا موسى بن سعيد يعنى الراسبى عن هلال بن أبى جبلة عن أبى عبد السلام عن أبيه عن كعب انه قال ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلى الجنة فهى على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها فى الجنة وعروقها واغصانها من تحت الكرسى فيها ملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على اغصانها فى كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام فى وسطها فينادى الله جبريل ان ينزل فى كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون السدرة المنتهى وليس فيهم ملك الا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل فى ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر الا وعليها ملك اما ساجد واما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات الا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض اماكنكم التى تطرحون فيها الخبث أو بيتا فيه سكران أو بيتا فيه مسكر أو بيتا فيه وثن منصوب أو بيتا فيه جرس معلق أو مبولة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين الا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل وذكر كعب ان من قال فى ليلة القدر لا اله الا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار

أو بمحذوف على انه حال من الصخر وهو وادى القرى وهو موضع بقرب المدينة من جهة الشام وقيل الوادى بين جبال وكانوا ينقبون فى تلك الجبال بيوتا ودورا وأحواضا وكل منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد وقرأ الجمهور بالواد بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير باثباتها فيهما وقرئ باثباتها فى الوصل دون الوقف (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدونها بالاوتاد أو جعل الجنود والجيوش والجموع أنفسهم أوتادا لانهم يشدون الملك كما تشد الاوتاد الخيام وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها والوتد بكسر التاء فى لغة الحجاز وهى الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود كذا فى المصباح وقد تقدم بيان هذا فى سورة ص قال ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له أمره وقال ابن مسعود وتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت (الذين طغوا فى البلاد) الموصول صفة لعاد وثمود وفرعون أى طغت كل طائفة منهم فى بلادهم وتمردت وعتت والطغيان مجاوزة الحد ويجوز أن يكون الموصول فى محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف أى هم الذين طغوا أو فى محل نصب على الذم (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر ومعاصى الله والجور على عباده (فصب) أى أفرغ (عليهم ربك) وألقى على تلك الطوائف (سوط عذاب) وهو ما عذبهم به قال الزجاج جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب يقال صب على فلان خلعة أى ألقاها عليه ومعنى سوط عذاب نصيب عذاب أو نوع من العذاب فاهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق فكلا أخذنا بذنبه وذكر السوط اشارة الى ان ما أحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة الى ما أعده لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وقيل ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به قال الفراء هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذى يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا أى خلطه فالسوط خلط الشئ بعضه ببعض والاولى انه مجاز واستعارة عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه وأكملها اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أى عذبوا عذابا مؤلما

بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلت لكعب الاحبار يا أبا اسحق صادقا فقال كعب وهل يقول لا اله الا الله فى ليلة القدر الا كل صادق والذى نفسى بيده ان ليلة القدر تثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فاول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الافق الاعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما الا فى تلك الساعة فتصير الشمس لا شعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين (٢٦٨) الارض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان احتسابا ودعاء لمن حدث نفسه ان عاش الى قابل صام رمضان لله فاذا أمسوا دخلوا الى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع اليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام فيقولون وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبدا ووجدناه العام مبتدعا ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون الى السماء الثانية ففى كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من السدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى يا سكانى حدثونى عن الناس وسموهم لى فان لى عليكم حقا وانى أحب من أحب الله فذكر كعب الاحبار انهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبرينى بما أخبرك سكانك من ته دل الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم الى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان ويقول يا رب وجدت عبدك فلانا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما امر به فيقول الله يا جبريل ان تاب فأعتبنى قبل ان يموت بثلاث ساعات غفرت له فيقول جبريل لك الحمد الهى أنت أرحم

دائما وقوله (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله ايذانا بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقد قدمنا قول من قال ان هذا جواب القسم وبه قال ابن مسعود والاولى ان الجواب محذوف والمعنى انه يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه عليه بالخير خيرا وبالشر شرا ففيه استعارة تمثيلية قال الحسن وعكرمة أى عليه طريق العباد لا يفوته أحد والرصد والمرصاد الطريق وقد تقدم بيانه فى سورة براءة وقد تقدم أيضا عند قوله ان جهنم كانت مرصادا وقال ابن عباس بالمرصاد أى يسمع ويرى وقال ابن مسعود فى الآية من وراء الصراط جسور جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل ولما ذكر سبحانه انه بالمرصاد ذكر ما يدل على اختلاف أحوال عباده عند اصابة الخير وعند اصابة الشر وان مطمح انظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه) أى اختبره وامتحنه بالنعم (فأكرمه ونعمه) أى أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه (فيقول ربى أكرمن) فرحا بما نال وسرورا بما أعطى غير شاكر لله على ذلك ولا خاطر بباله ان ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله وكشف ما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها وأما هنا لمجرد التأكيد لا لتفصيل المجمل مع التأكيد وما فى اذا ما زائدة وقوله فأكرمه ونعمه تفسير للابتلاء ومعنى أكرمن أى فضلنى بما أعطانى من المال وأسبغه على من النعم لمزيد استحقاقى لذلك وكونى موضعا له ودخلت الفاء فيه لتضمن أما معنى الشرط أى فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام قال الكلبى الانسان هنا هو الكافر أبى بن خلف وقال مقاتل نزلت فى أمية بن خلف وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة (وأما اذا ما ابتلاه) أى اختبره وعامله معاملة من يختبره (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه ولم يوسعه له ولا بسط له فيه (فيقول ربى أهانن) أى أولانى هوانا وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث لانه لا كرامة عنده الا الدنيا والتوسع فى متاعها ولا اهانة عنده الا فوتها وعدم وصوله الى ما يريد من زينتها فأما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة ويحتمل أن يراد الانسان على العموم لعدم تيقظه أن ما صار اليه من الخير وما أصيب به من الشر فى الدنيا ليس الا للاختبار والامتحان وان الدنيا بأسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت

من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم الحمد لله الرحيم قال وذكر كعب انه من صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر رمضان ان لا يعصى الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب آخر تفسير سورة ليلة القدر ولله الحمد والمنة

* (تفسير سورة لم يكن وهى مدنية) *

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا على هو ابن زيد عن عمار بن أبى عمار قال سمعت أبا حبة البدرى وهو مالك بن عمرو بن ثابت الانصارى قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال (٢٦٩) جبريل يارسول الله ان ربك يأمرك ان تقرئها أبيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ان جبريل أمرنى ان اقرئك هذه السورة قال ابى وقد ذكرت ثم يارسول الله قال نعم قال فبكى أبى حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله أمرنى ان أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسمانى لك قال نعم فبكى ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث شعبة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أمرت ان أقرأ عليك سورة كذا وكذا قلت يارسول الله وقد ذكرت هناك قال نعم فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك قال وما يمنعنى والله يقول قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال مؤمل قلت لسفيان القراءة فى الحديث قال نعم تفرد به من هذا الوجه طريق أخرى قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابى بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ان الله أمرنى ان أقرأ عليك القرآن قال فقرأ

ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره ورواه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى عن شعبة به وقال حسن صحيح طريق

تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قرئ باثبات الياء فى اكرمن واهانن وصلا وحذفها وقفا وقرئ باثباتها فيهما وقرئ بحذفها فى الوصل والوقف اتباعا لرسم المصحف وموافقة لرؤس الآى والاصل اثباتها لانها اسم وقرأ الجمهور فقدر بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقرئ ربى بفتح الياء فى الموضعين وبسكونها فيهما وقوله (كلا) ردع للانسان القائل فى الحالتين ما قال وزجر له فان الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للانسان لا لكرامته ويضيقه عليه لا لاهانته بل للاختبار والامتحان كما تقدم ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الفراء كلا فى هذا الموضع بمعنى انه لم يكن ينبغى للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله على الغنى والفقر ثم انتقل سبحانه من بيان سوء أقوال الانسان الى بيان سوء أفعاله فقال (بل لا تكرمون اليتيم) والالتفات الى الخطاب لقصد التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية على الخبر وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا من الافعال فقرأ الجمهور تحضون وتأكلون وتحبون بالفوقية على الخطاب فيها وقرئ بالتحتية فيها والجمع فى هذه الافعال باعتبار معنى الانسان لان المراد به الجنس أى بل لكم افعال هى أقبح مما ذكر وهى انكم تتركون اكرام اليتيم فتأكلون ماله وتمنعونه من فضل أموالكم قال مقاتل نزلت فى قدامة بن مظعون وكان يتيما فى حجر أمية ابن خلف (ولا تحاضون على طعام المسكين) قرأ الجمهور تحضون من حضه على كذا أى أغراه به ومفعوله محذوف أى لا تحضون أنفسكم أو لا يحض بعضكم بعضا على ذلك ولا يأمر به ولا يرشد اليه وقرئ تحاضون وأصله تتحاضون أى لا يحض بعضكم بعضا وقرئ تحاضون بضم التاء من الحض وهو الحث والطعام اما اسم مصدر أى على اطعام المسكين أو اسم للمطعوم على حذف مضاف أى على بذل أو على اعطاء طعام المسكين (وتأكلون التراث) أصله الوراث فأبدلت التاء من الواو المضمومة كما فى تجاه ووجاه والمراد به أموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم وكذلك أموال النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أموالهم (أكلا لما) أى أكلا شديدا وقيل معنى لما جمعا من قولهم لممت الطعام اذا أكلته جميعا قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وكذا قال أبو عبيدة وأصل اللم فى كلام العرب الجمع يقال لممت الشئ ألمه لما جمعته ومنه قولهم لم الله شعثه أى جمع ما تفرق من أموره قال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة

أخرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر اني أمرت ان أعرض عليك القرآن قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت قال فرد النبي صلى الله عليه وسلم القول قال فقال يارسول الله وذكرت هنالك قال نعم باسمك ونسبك في الملا الاعلى قال فاقرأ اذا يارسول الله قال هذا غريب من هذا الوجه والثابت ما تقدم وانما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة (٢٧٠) تثبيتا له وزيادة لايمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس وعنه رواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث اسمعيل ابن ابي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عنه كان قد انكر على انسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شئ من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما اصبت قال أبي فاخذني من الشك ولا اذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره قال أبي ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله فرقا واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاه فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على سبعة احرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه ولفظه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة قرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة ابلاغ وتثبيت وانذار لا قراءة تعلم واستذكار والله أعلم وهذا كما ان عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الاسئلة وكان فيما قال أولم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا قال لا قال فانك آتيه ومطوف به فلما رجعوا من الحديبية وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

ملومة والآكل يلم الثريد فيجمعه ثم يأكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال ابن زيد هو اذا أكل ماله ألم بمال غيره فأكله ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب قال ابن عباس لما سفا وعنه قال شديدا وكان حكم الارث عندهم من بقايا شريعة اسمعيل أو مما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عادتهم فلا يقال السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع (وتحبون المال حبا جما) أي حبا كثيرا والجم الكثير يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع والجمة المكان الذي يجتمع فيه الماء وقال ابن عباس جما شديدا ثم كرر سبحانه الردع لهم والزجر فقال (كلا) أي ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم ثم استأنف سبحانه فقال (اذا دكت الارض دكا دكا) وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر والدك الكسر والدق والمعنى هنا انها زلزلت وحركت تحريكا بعد تحريك قال ابن قتيبة دكت جبالها حتى استوت قال الزجاج أي تزلزلت فدك بعضها بعضا قال المبرد أي بسطت وذهب ارتفاعها قال والدك حط المرتفع بالبسط وقد تقدم الكلام على الدك في سورة الاعراف وفي سورة الحاقة والمعنى انها دكت مرة بعد أخرى ونصب دكا الاول على انه مصدر مؤكد للفعل ودكا الثاني تأكيد للاول كذا قال ابن عصفور ويجوز أن يكون النصب على الحال والمعنى حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة كما يقال علمته الحساب بابا بابا وعلمته الخط حرفا حرفا والمعنى انه كرر الدك عليها حتى صارت هباء منبثا قال ابن عباس يعني تحريكها (وجاء ربك) أي جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته وقيل المعنى انها زالت الشبه في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورية كما يزول الشك عند مجئ الشئ الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالامر والتدبير من دون ان يجعل الى أحد من عباده شيأ من ذلك وقيل تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه وقيل جاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك والحق ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة سلف الامة وأئمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها بل أجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها والتأويل دين المتكلمين ودين المتأخرين وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين وقوله (والملك صفا صفا) منتصب على الحال أي مصطفين أو ذوي صفوف قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل

الآية كما تقدم وروى الحافظ أبو نعيم فى كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن اسمعيل الجعفرى المدنى حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن ابن شهاب عن اسمعيل بن أبى حكيم المزنى حدثنى فضيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى حديث غريب جدا وقد رواه الحافظ أبو موسى المدينى وابن الاثير من طريق الزهرى عن اسمعيل بن أبى كلثم عن مطر المزنى أو المدنى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدى فوعزتى لا أنساك على حال من أحوال الدنيا (٢٧١) والآخرة ولأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى

*(بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم وقال مجاهد لم يكونوا منفكين يعنى منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة حتى تأتيهم البينة أى هذا القرآن ولهذا قال تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ثم فسر البينة بقوله رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما يتلوه من القرآن العظيم الذى هو مكتتب فى الملا الاعلى فى صحف مطهرة كقوله فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة وقوله تعالى فيها كتب قيمة قال ابن جرير أى فى الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يذكر القرآن بأحسن الذكر ويثنى عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد فيها كتب قيمة مستقيمة معتدلة وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعنى بذلك أهل الكتب المنزلة على الامم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء فى الحديث المروى من طرق ان اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق

كل سماء صف على حدة قال الضحاك أهل كل سماء اذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكونون سبعة صفوف (وجىء يومئذ) منصوب بجىء والقائم مقام الفاعل قوله (بجهنم) وجوز مكى أن يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل وليس بذاك قال الواحدى قال جماعة المفسرين جىء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا لركبتيه يقول يارب نفسى نفسى وهذا الذى نقله عن جماعة المفسرين قد أتى مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخرج مسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وعلى هذا فالآية مجراة على ظاهرها وقيل المعنى انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين والاول أولى (يومئذ) بدل من يومئذ الذى قبله أى يوم جىء بجهنم (يتذكر الانسان) أى يتعظ ويذكر ما فرط منه ويندم على ما قدمه فى الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ان قوله يومئذ الثانى بدل من قوله اذا دكت والعامل فيهما هو قوله يتذكر الانسان (وأنى له الذكرى) أى ومن أين له التذكرة والاتعاظ وقيل هو على حذف مضاف أى ومن أين له منفعة الذكرى قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) بدل اشتمال من يتذكر أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يقول الانسان فقيل يقول الخ والمعنى انه يتمنى انه قدم الخير والعمل الصالح لاجل حياته والمراد حياة الآخرة فانها الحياة بالحقيقة لانها دائمة غير منقطعة وقيل ان اللام بمعنى فى والمراد حياة الدنيا أى ياليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى وقت حياتى فى الدنيا أنتفع بها يوم القيامة والاول أولى قال الحسن علم والله انه صادف حياة طويلة لاموت فيها (فيومئذ) أى يوم يكون زمان ماذكر من الاحوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) أى لا يعذب كعذاب الله أحد ولا يوثق كوثاقه ولا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه اذ الامر كله له والضميران فى عذابه ووثاقه لله عز وجل وهذا على قراءة الجمهور يعذب ويوثق مبنيين للفاعل وقرئ على البناء للمفعول فيهما فيكون الضميران راجعين الى الانسان أى لا يعذب كعذاب ذلك

هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قالوا من هم يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى وقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين كقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون ولهذا قال حنفاء أى متحنفين عن الشرك الى التوحيد كقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة الانعام بما أغنى عن اعادته ههنا ويقيموا الصلاة وهى أشرف عبادات البدن ويؤتوا الزكاة وهى الاحسان الى الفقراء والمحاويج وذلك دين القيمة أى الملة القائمة (٢٧٢) العادلة أو الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدل كثير من الائمة كالزهرى والشافعى بهذه الآية الكريمة على ان الاعمال داخلة فى الايمان ولهذا قال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة اهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة انهم يوم القيامة فى نار جهنم خالدين فيها أى ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون أولئك هم شر البرية اى شر الخليقة التى برأها الله وذرأها ثم اخبر تعالى عن حال الابرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية ابو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله أولئك هم خير البرية ثم قال تعالى جزاؤهم عند ربهم أى يوم القيامة جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا اى بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ رضى الله عنهم ورضوا عنه ومقام رضاه عنهم اعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ورضوا عنه فيما منحهم من الفضل العميم وقوله تعالى ذلك لمن خشى ربه اى هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم انه ان لم يره فانه يراه وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ابو معشر عن ابى وهب مولى ابى هريرة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله

الانسان أحد ولا يوثق كوثاقه أحد والمراد بالانسان الكافر أى لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر وقيل ابليس وقيل المراد به أبى بن خلف قال الفراء المعنى انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه أحد لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل المعنى انه لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد فلا تؤخذ منه فدية وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى التوثيق واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة المبنى للمفعول وقال لا تكون الهاء فى الموضعين ضمير الكافر لانه معروف انه لا يعذب كعذاب الله أحد وقال أبو على الفارسى يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة أى لا يعذب أحد أحدا مثل تعذيب هذا الكافر ولما فرغ سبحانه من حكاية أحوال الاشقياء ذكر بعض أحوال السعداء فقال (يا أيتها النفس المطمئنة) والقائل هو الله سبحانه اكراما للمؤمن كما كلم موسى أو الملك وانما يقال لها ذلك عند الموت أو البعث أو عند دخول الجنة والنفس المطمئنة هى الساكنة الموقنة بالايمان وتوحيد الله الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب قال الحسن هى المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله التى علمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها وان ما أصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل هى الآمنة المطمئنة وقال ابن كيسان المطمئنة بذكر الله تعالى وقيل المخلصة قال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث وقال ابن عباس المطمئنة المؤمنة (ارجعى الى ربك راضية) بالثواب الذى أعطاك (مرضية) عنده والمعنى ارجعى الى الله وقيل الى موعده وقيل الى أمره وقال عكرمة وعطاء الى جسدك الذى كنت فيه واختاره ابن جرير ويدل على هذا قراءة ابن عباس فادخلى فى عبدى بالافراد والاول أولى قال القفال هذا وان كان أمرا فى الظاهر فهو خبر فى المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت فى القيامة الى الله بسبب هذا الامر قال ابن عباس نزلت هذه الآية وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال أما انه سيقال لك هذا أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه والضياء فى المختارة وعن سعيد بن جبير نحوه مرسلا وعن أبى بكر الصديق نحوه وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله يا أيتها النفس المطمئنة قال هو لنبى صلى الله عليه وسلم وعنه قال المطمئنة المصدقة وعنه قال ترد الارواح يوم القيامة

فلما كانت هيعة استوى عليه الا اخبركم بخير البرية قالوا بلى يارسول الله قال رجل فى ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة الا اخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذى يسأل بالله ولا يعطى به آخر تفسير سورة لم يكن ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة اذا زلزلت وهى مكية)

وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم العجلى حدثنا ثابت قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يارسول الله قال له اقرأ ثلاثا من ذوات الر فقال له الرجل كبر سنى واشتد قلبى وغلظ لسانى قال فاقرأ من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته فقال الرجل ولكن أقرئنى يارسول الله سورة جامعة فأقرأه اذا زلزلت الارض زلزالها حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذى بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ثم قال على به فجاءه فقال له أمرت بيوم الاضحى جعله الله عيدا لهذه الامة فقال له الرجل أرأيت ان لم أجد الا منيحة أنثى فأضحى بها قال لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقلم اظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل وأخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى عبد الرحمن المقرى به وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن ابن مسلم بن صالح العجلى حدثنا ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ثم

قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن مسلم وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجوينى عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن واذا زلزلت تعدل ربع القرآن هذا لفظه وقال الترمذى أيضا حدثنا على بن حجر حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يمان بن المغيرة العنزى حدثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمى البصرى حدثنى ابن أبى فديك أخبرنى سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت

فى الاجساد وعنه قال راضية بما أعطيت من الثواب مرضية عنها بعملها (فادخلى فى عبادى) المؤمنين أى فى زمرة عبادى الصالحين وكونى من جملتهم وانتظمى فى سلكهم وهذا يشعر بان النفس بمعنى الذات ويجوز أن تكون بمعنى الروح كما أشار له البيضاوى (وادخلى جنتى) معهم قيل انه يقال لها ارجعى الى ربك عند خروجها من الدنيا ويقال لها ادخلى فى عبادى وادخلى جنتى يوم القيامة وأتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت وبالواو فيما يتراخى عنه والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم لان السورة مكية ولا ينافى ذلك نزولها فى نفس معينة فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس فى الطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا ندرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية الآية أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى وعن عكرمة مثله أخرجه أبو نعيم فى الدلائل

(سورة البلد ويقال سورة لا أقسم هى عشرون آية وهى مكية بلا خلاف)

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) قد تقدم الكلام على هذا فى تفسير لا أقسم بيوم القيامة ولا زائدة ومن زيادة لا فى الكلام فى غير القسم قول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد صميم القلب لا يتصدع

أى يتصدع ومن ذلك قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أى ان تسجد قال الواحدى أجمع المفسرون على انه أقسم بالبلد الحرام وهو مكة وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا أقسم وقرئ لاقسم من غير ألف وقيل هو نفى للقسم والمعنى لا أقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه وقال مجاهد ان لا رد على من أنكر البعث ثم ابتدأ فقال أقسم والمعنى ليس الامر كما تحسبون والاول أولى والمعنى أقسم بالبلد الحرام وقال الواسطى ان المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف اجماع المفسرين هو أيضا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية ومكة جعلها الله تعالى حرما آمنا ومثابة للناس وجعل مسجدها قبلة لاهل المشرق والمغرب وشرفه بمقام ابراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت

يافلان قال لا والله يارسول الله ولا عندى ما أتزوج قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج ثم قال هذا حديث حسن تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ (٢٧٤) يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس اذا زلزلت الارض زلزالها أى تحركت من أسفلها وأخرجت الارض أثقالها يعنى ألقت مافيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وكقوله واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت وقال مسلم فى صحيحه حدثنا واصل بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ وقوله عز وجل وقال الانسان مالها أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ثم ألقت ما فى بطنها من الاموات من الاولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس ٣٤٠ أمرها وتبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها أى تحدث بما عمل العاملون على ظهرها قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب عن يحيى بن أبى سليمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها ثم قال الترمذى هذا

الارض من تحته فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت فى مكة دون غيرها أقسم بها (وأنت حل بهذا البلد) البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب وقال الواحدى الحل والحلال والمحل واحد وهو ضد الحرم أحل الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار قال والمعنى ان الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع كونها حراما فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حلا انتهى فالمعنى وأنت حل بهذا البلد فى المستقبل كما فى قوله انك ميت وانهم ميتون قال النسفى رحمه الله وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى قال مجاهد المعنى ما صنعت فيه من شئ فأنت حل قال قتادة أنت حل به لست بآثم يعنى انك غير مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصى وقيل المعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت حال به ومقيم فيه وهو محلك فعلى القول بان لا نافية غير زائدة يكون المعنى لا أقسم به وأنت حال به فانت أحق بالاقسام بك وعلى القول بانها زائدة يكون المعنى أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم به تشريفا لك وتعظيما لقدرك لانه قد صار باقامتك فيه عظيما شريفا وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم ولكن هذا اذا تقرر فى لغة العرب ان لفظ حل يجئ بمعنى حال وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون فى محل نصب على الحال قال ابن عباس فى الآية يعنى بذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحيى من شاء فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ باستار الكعبة فلم يحل لاحد بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل فيها حراما حرمه الله فاحل الله له ما صنع باهل مكة وعنه فيها قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل فيه واما غيرك فلا وعن أبى برزة الاسلمى قال نزلت هذه الآية فى خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام أخرجه ابن مردويه وقوله (ووالد وما ولد) عطف على البلد قال قتادة ومجاهد والضحاك والحسن وأبو صالح ووالد أى آدم وما ولد أى وما تناسل من ولده ومثله عن ابن عباس أقسم

حديث حسن صحيح غريب وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحرث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها قال البخاري أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أي أوحى اليها والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يومئذ تحدث أخبارها قال قال لها ربها قولي فقالت وقال مجاهد أوحى لها أي أمرها وقال القرطبي أمرها أن تنشق عنهم وقوله تعالى يومئذ (٢٧٥) يصدر الناس أشتاتا أي يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا أي أنواعا وأصنافا ما بين شقي وسعيد مأمور به الى الجنة ومأمور به الى النار قال ابن جريج يتصدعون أشتاتا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدي أشتاتا فرقا وقوله تعالى ليروا أعمالهم أي ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ولهذا قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال البخاري حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان تسقى به كان ذلك حسنات له وهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما أنزل الله فيها شيئا الا هذه الآية الفاذة الجامعة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها وهكذا رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صعصعة عم الفرزدق فذكره وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة وله

بهم لانهم أعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والانصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لاجلهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها فيكون قد أقسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده وكأنهم بهائم وفائدة التنكير في والد التعجب والمدح قاله الرازي وقال أبو عمران الجوني الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته قال الفراء ان ما عبارة عن الناس كقوله ما طاب لكم وقيل الوالد ابراهيم والولد اسمعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وكأنهما جعلا ما نافية وهو بعيد ولا يصح ذلك الا باضمار الموصول أي ووالد والذي ما ولد ولا يجوز اضمار الموصول عند البصريين وقال عطية العوفي هو عام في كل والد ومولود من جميع الحيوانات واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر لا يلد من الرجال والنساء وقد استدل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال لمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب اليه أحد من المفسرين بل هو خلاف اجماع المسلمين (لقد خلقنا الانسان في كبد) هذا جواب القسم والانسان هو هذا النوع الانساني والكبد الشدة والمشقة يقال كابدت الامر قاسيت شدته والانسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت قال ذو النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء وأصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن اذا اشتد وغلظ ويقال كبد الرجل اذا وجعت كبده ثم استعمل في كل مشقة وشدة قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال أيضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن أحدهما قال الكلبي نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يقال له أبو الاشدين وكان يأخذ الاديم العكاظي ويجعله تحت رجليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعني لقوته ويكون معنى في كبد على هذا في شدة خلق وقيل معنى في كبد انه جرى القلب غليظ الكبد وقال ابن عباس في كبد في اعتدال وانتصاب وعنه قال في نصب وعنه قال في شدة وقال أيضا في شدة خلق

يضافى الصبيع لاتحقرن من المعروف ولو أن تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى ولو أن تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وفى الـ أيضا يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة يعنى ظلفها وفى الحديث الآخر ردوا السائل ولو بظلف محرق وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان تفرد به أحمد وروى عن عائشة انها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة وقال (٢٧٦) الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير حدثنى عوف بن الحرث بن الطفيل ان عائشة أخبرته ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ورواه النسائى وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به وقال ابن جرير حدثنى أبو الخطاب الحسانى حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا سماك ابن عطية عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فرفع أبو بكر يده وقال يارسول الله انى أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفى يوم القيامة ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن أبى الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال فى كتاب أبى قلابة عن أبى ادريس ان أبا بكر كان يأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن أبى قلابة أن أبا بكر وذكره طريق أخرى قال ابن جرير حدثنى يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال لما نزلت اذا زلزلت الارض زلزالها وأبو بكر الصديق رضى الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا أبا بكر قال يبكينى هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم حديث آخر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلات المصرى قالا حدثنا عمرو بن خالد الحرانى حدثنا ابن لهيعة أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد

ولادته ونبت اسنانه ومعيشته وختانه وقال أيضا خلق الله كل شئ يمشى على أربعة الا الانسان فانه خلق منتصبا وقال أيضا منتصبا فى بطن أمه انه قد وكل به ملك اذا نامت الام أو اضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق فى الدم والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه فى الخلقة ولم يخلق الله جل جلاله دابة فى بطن أمها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا قال اليمانى لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق قال العلماء أول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام الذى هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والترويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم فى مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول ايرادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن وألم الاذن ويكابد محنا فى المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضى عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما فى جنة واما فى نار فلو كان الامر اليه لما اختار هذه الشدائد ودل على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل أمره ذكره القرطبى (أيحسب الانسان أن لن يقدر عليه أحد) أى أيظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد أو يظن أبو الاشدين أن لن يقدر عليه أحد وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر ثم أخبر سبحانه عن مقال هذا الانسان فقال (يقول) مفتخرا (أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا مجتمعا بعضه على بعض قال الليث مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته قال الكلبى ومقاتل يقول أهلكت فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا وفى أبى السعود يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالى ومفاخر وقال مقاتل نزلت فى الحرث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبى صلى الله عليه وسلم فامره أن يكفر فقال لقد ذهب مالى فى الكفارات والنفقات منذ دخلت فى دين محمد صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور لبدا بضم اللام وفتح الباء مخففا وقرئ بضمهما بالتخفيف وقرئ بضم اللام وفتح الباء مشددا

الخدري قال لما أنزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قلت يارسول الله انى لراء عملى قال نعم قلت تلك الكبار الكبار قال نعم قلت الصغار الصغار قال نعم قلت واثكل أمى قال ابشر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها يعنى الى سبعمائة ضعف و يضعف الله لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يغفر الله ولن ينجو أحد منكم بعمله قلت ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله منه برحمة قال أبو زرعة لم يروه هذا غير ابن لهيعة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثنى ابن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (٢٧٧) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وذلك لما نزلت هذه الآية ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشئ القليل اذا أعطوه فيجىء المسكين الى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه تمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشئ انما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم فى القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت فمن يعمل مثقال ذرة يعنى وزن أصغر النمل خيرا يره يعنى فى كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرا ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبى عياض عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود والرجل يجىء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها آخر تفسير سورة اذا زلزلت ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة العاديات وهى مكية) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى

قال أبو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفراء واحدته لبدة والجمع لبد وقد تقدم بيان هذا فى سورة الجن (أيحسب أن لم يره أحد) استفهام على سبيل الانكار أى أيظن انه لم يعاينه أحد قال قتادة أيظن أن الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين أنفقه وقال الكلبى كان كاذبا لم ينفق ما قال فقال الله أيظن ان الله لم ير ذلك منه فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق ثم ذكر سبحانه ما أنعم عليه ليعتبر فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات شقفا هما وهو فى الرحم فى ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيأ وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقة وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها (ولسانا) ينطق به ويعبر عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره وفاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال الزجاج المعنى ألم نفعل به ما يدله على ان الله قادر على أن يبعثه والشفة محذوفة اللام وأصلها شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه نظير سنة فى احدى اللغتين وشافهته أى كلمته من غير واسطة ولا تجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها (وهديناه النجدين) النجد الطريق فى ارتفاع قال المفسرون بينا له طريق الخير وطريق الشر قال الزجاج المعنى ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر مبينتين كتبين الطريقين العاليتين وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب والضحاك النجدان الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه والاول أولى واصل النجد المكان المرتفع وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال ابن مسعود فى الآية سبيل الخير والشر وقال ابن عباس الهدى والضلالة وعنه نحو قول ابن مسعود وعن أنس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير أخرجه ابن أبى حاتم تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه يحيى بن معين وقال الامام أحمد والنسائى والجوزجانى منكر الحديث وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه قد روى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث البصرى لا يشبه حديث أنس وروى نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا ويشهد له ما أخرجه الطبرانى عن أبى امامة أن النبى

الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير) يقسم تعالى بالخيل اذا أجريت فى سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو فالموريات قدحا يعنى اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار فالمغيرات صبحا يعنى الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الاذان فان سمع أذانا والا أغار وقوله تعالى فأثرن به نقعا يعنى غبارا فى مكان معترك الخيول فوسطن به جمعا أى توسطن ذلك المكان كلهن جمع قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله والعاديات ضبحا قال الابل (٢٧٨) وقال على هى الابل وقال ابن عباس هى الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر انما كان ذلك فى سرية بعثت قال ابن أبى حاتم وابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى أبو صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا فى الحجر جالسا جاءنى رجل فسألنى عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عنى فذهب الى على رضى الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلى قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير فى سبيل الله قال اذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال اتفتى الناس بما لا علم لك والله لئن كان أول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولى ورجعت الى الذى قال على رضى الله عنه وبهذا الاسناد عن ابن عباس قال قال على انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوروا النيران وقال العوفى والمار وغيره عن ابن عباس هى الخيل وقد قال بقول على انها الابل جماعة منهم ابراهيم وعبيد بن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط الا فرس او كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح وقال أكثر هؤلاء فى قوله فالموريات قدحا يعنى بحوافرها وقيل اسعرت الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد فالموريات قدحا يعنى مكر الرجال وقيل هو ايقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرها بالخيل هو ايقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير والصواب الاول انها الخيل

صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس انهما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير ويشهد له أيضا ما أخرجه ابن مردويه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير قال الشهاب لا يخفى انه ذكره فى سياق الامتنان والمراد الامتنان عليه بأن هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها أخرى فلا امتنان عليه بالشر ولذا جعله الامام بمعنى قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ووصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة فهو على سبيل التغليب أو على توهم المخيلة ان فيه صعودا فتدبر انتهى قلت الامتنان بالهداية الى سبيل الشر يصح بمعنى ان الله عرف الانسان طريق الشر ليجتنبه وطريق الخير ليسلكه ولو لم يعرفه سبيل الشر لما اجتنبه والاشياء تعرف باضدادها فالامتنان بهدايته اليه ثابت عقلا والمعنى بينا ووضحنا له أن سلوك الاول ينجى وان سلوك الثانى يردى وان سلوك الاول ممدوح وان سلوك الثانى مذموم فالذى ذكره الشهاب تدفعه الاحاديث المرفوعة المتقدم ذكرها (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الرمى بالنفس فى شىء من غير روية يقال منه قحم فى الامر قحوما أى رمى بنفسه فى الامر من غير روية وتقحيم النفس فى الشىء ادخالها فيه عن غير روية والقحمة بالضم المهلكة والعقبة فى الاصل الطريق الصعب التى فى الجبل سميت بذلك لصعوبة سلوكها وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال البر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة قال الفراء والزجاج ذكر سبحانه هنا لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضى فى مثل هذا الموضع حتى يعيدوها فى كلام آخر كقوله فلا صدق ولا صلى وانما أفردها هنا لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن قال المبرد وأبو على الفارسى ان لا هنا بمعنى لم أى فلم يقتحم وروى نحو ذلك عن مجاهد فلهذا لم يحتج الى التكرير وقيل هو جار مجرى الدعاء كقولهم لا نجا قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام هنا الاستفهام الذى بمعنى الانكار تقديره أفلا اقتحم العقبة أوهلا اقتحم العقبة قال ابن عمر فى العقبة جبل زلال فى جهنم وقال ابن عباس العقبة النار وعنه قال عقبة بين الجنة

حين تقدح بحوافرها وقوله تعالى فالمغيرات صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اغارة الخيل صبحا في سبيل الله وقال من فسرها بالابل هو الدفع صبحا من المزدلفة الى منى وقالوا كلهم في قوله فأثرن به نقعا هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار اما في حج أو غزو وقوله تعالى فوسطن به جمعا قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن (٢٧٩) عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فاشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بأرجلها فالموريات قدحا قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا فالمغيرات صبحا صبحت القوم بغارة فأثرن به نقعا أثارت بحوافرها التراب فوسطن به جمعا قال صبحت القوم جميعا وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه بمعنى انه لنعم ربه لجحود كفور قال ابن عباس ومجاهد وابراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع ابن أنس وابن زيد الكنود الكفور قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانسان لربه لكنود قال الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا اسناد ضعيف وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث جرير بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفا وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد قال قتادة وسفيان الثوري وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر وقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد أي وانه لحب الخير وهو المال لشديد وفيه مذهبان أحدهما أن المعنى وانه لشديد المحبة للمال والثاني وانه لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما

والنار وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال الحسن هي والله عقبة شديدة مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان وقيل العقبة خلاصه من هول العرض وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف وعن عائشة قالت لما نزل فلا اقتحم العقبة قيل يا رسول الله ما عندنا ما يعتق الا أن عند أحدنا الجارية السوداء تخدمه فلو أمرناهن بالزنا فجئن بالاولاد فاعتقناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أمتع بسوط في سبيل الله أحب الي من أن آمر بالزنا ثم اعتق الولد أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأخرجه ابن جرير عنها بلفظ لعلاقة سوط في سبيل الله أعظم أجرا من هذا ثم بين سبحانه العقبة فقال (وما أدراك ما العقبة) أي أي شيء أعلمك ما اقتحامها او المعرف باللام اذا أعيد كان الثاني عين الاول فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررة لمعنى الابهام والتفسير فان فلا اقتحم العقبة مفسرة بقوله (فك رقبة) والمفسر منفي والمفسر كذلك لاتحادهما في الاعتبار كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا قال محيي السنة ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال صاحب الفرائد هذا تنبيه على ان النفس لا توافق صاحبها في الانفاق لوجه الله البتة فلا بد من التكلف وتحمل المشقة والذي توافقه النفس هو الافتخار والمراآة فكأنه تعالى ذكر هذا المثل بازاء ما قال أهلكت مالا لبدا والمراد الانفاق المفسد وان ذلك الانفاق المضر انتهى وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التفريع عليه بالاقتحام قرينة لتلك المبالغة ذكره الكرخي ومعنى فك رقبة اعتاق رقبة وتخليصها من اسار الرق وكل شيء أطلقته فقد فككته ومنه فك الرهن وفك الكتاب فقد بين سبحانه أن العقبة هي هذه القرب المذكورة التي تكون بها النجاة من النار وقرئ فك رقبة على انه فعل ماض وهكذا أطعم وقرئ فك واطعام على انهما مصدران وعلى الاولى المعنى فلا فك ولا أطعم والفك في الاصل حل القيد سمي العتق فكا لان الرق كالقيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب باحاديث كثيرة منها ما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من النار حتى الفرج بالفرج (أو اطعام في يوم ذي

يستقبله الانسان من الاهوال أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور أى أخرج ما فيها من الاموات وحصل ما فى الصدور قال ابن عباس وغيره يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم ان ربهم بهم يومئذ لخبير أى العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة القارعة وهى مكية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة (٢٨٠) راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية)

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها وما أدراك ما القارعة ثم فسر ذلك بقوله يوم يكون الناس كالفراش المبثوث أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى فى الآية الاخرى كأنهم جراد منتشر وقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى العهن الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤل اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال فأما من ثقلت موازينه أى رجحت حسناته على سيآته فهو فى عيشة راضية يعنى فى الجنة وأما من خفت موازينه أى رجحت سيآته على حسناته وقوله تعالى فأمه هاوية قيل معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمه يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبى صالح وقتادة قال قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوون فى النار على رؤسهم وقيل معناه فأمه التى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هاوية وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وانما قيل للهاوية أمه لانه لا مأوى له غيرها وقال ابن زيد الهاوية النار التى هى أمه ومأواه التى يرجع اليها ويأوى اليها وقرأ ومأواهم النار قال ابن أبى حاتم وروى عن قتادة انه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسرا للهاوية وما أدراك ماهيه نار حامية قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الاشعث بن عبد الله الاعمى قال اذا مات المؤمن ذهب بروحه الى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فانه كان فى هم غم الدنيا

مسغبة) أى مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال الراغب يقال منه سغب الرجل سغبا وسغوبا فهو ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه قال النخعى فى يوم ذى مسغبة أى عزيز فيه الطعام قال ابن عباس مسغبة مجاعة وعنه جوع وقيد الاطعام بكونه فى هذا اليوم لان اخراج المال فى ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للاجر قرأ الجمهور بالجر على انه صفة ليوم ويتيما هو مفعول اطعام وقرأ الحسن بالنصب على انه مفعول اطعام أى يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه (يتيما ذا مقربة) أى قرابة قاله ابن عباس يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى واليتيم فى الاصل الضعيف يقال يتم الرجل اذا ضعف واليتيم عند أهل اللغة من لا أب له وقيل هو من لا أب له ولا أم ومنه قول قيس بن الملوح

الى الله أشكو فقد ليلى كما شكا * الى الله فقد الوالدين يتيم

(أو مسكينا ذا متربة) أى لا شئ له كأنه لصق بالتراب لفقره وليس له مأوى الا التراب يقال ترب الرجل يترب تربا ومتربة اذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا قال مجاهد هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة هو ذو العيال وقال عكرمة هو المديون وقال أبو سنان هو ذو الزمانة وقال ابن جبير هو الذى ليس له أحد وقال عكرمة أيضا هو البعيد التربة الغريب عن وطنه وبه قال ابن عباس والاول أولى ومنه قول الهذلى

وكنا اذا ما الضيف حل بأرضنا * سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

وعن ابن عباس أيضا قال هو المطروح الذى ليس له بيت وفى لفظ هو الذى لا يقيه من التراب شئ وفى لفظ هو اللازق بالتراب من شدة الفقر وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال هو الذى مأواه المزابل أخرجه ابن مردويه والمتربة والمقربة والمسغبة مفعلات أى كل واحد منها مصدر ميمى على وزن مفعلة (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وجاء بثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله وفيه دليل على ان هذه القرب انما تنفع مع الايمان وقيل التراخى فى الذكر وقيل المعنى ثم كان من الذين آمنوا بان هذا نافع لهم وقيل المعنى انه اتى بهذه القرب لوجه الله (وتواصوا بالصبر) معطوف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد (وتواصوا بالمرحمة) أى بالرحمة على

قال ويسألونه مافعل فلان فيقول مات أوما جاءكم فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعا بأبسط من هذا وقد أوردناه في كتاب صفة النار أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه وقوله تعالى نار حامية أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير قال أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ ورواه البخاري عن اسمعيل بن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة (٢٨١) بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به وفي بعض ألفاظه انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم فقال رجل ان كانت لكافية فقال لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ حرا تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الامام أحمد أيضا حدثنا سفين عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمرو عن يحيى بن جعدة ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري ناركم هذه جزء من سبعين جزأ وقد قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه

على عباد الله فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة ونحوها قال ابن عباس يعني بذلك رحمة الناس (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات هم (أصحاب الميمنة) أي أصحاب جهة اليمين أو أصحاب اليمن أو الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل غير ذلك مما قدمنا ذكره في سورة الواقعة (والذين كفروا بآياتنا) أي بالقرآن أو بما هو أعم منه فتدخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه (هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم أو الذين يعطون كتبهم في شمائلهم أو غير ذلك مما تقدم (عليهم نار موصدة) اي مطبقة مغلقة يقال اصدت الباب وأوصدته اذا اغلقته واطبقته قرأ الجمهور موصدة بالواو وقرئ بالهمزة وهما لغتان والمعنى واحد قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال ابو هريرة مطبقة

(سورة الشمس هي خمس عشرة آية وهي مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء والشمس وضحاها واشباهها من السور اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وقد تقدم حديث جابر في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره ان يقرأ في صلاة الصبح بالليل اذا يغشى والشمس وضحاها أخرجه الطبراني وعن عقبة بن عامر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بالشمس وضحاها والضحى أخرجه البيهقي في الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) اقسم سبحانه بهذه الامور وله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته وقال قوم ان القسم بهذه الامور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف أي ورب الشمس وهكذا سائرها ولا ملجئ الى هذا ولا موجب له وقوله وضحاها هو قسم ثان وقال الرازي المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي وقد أقسم تعالى بانواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء الى

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم تفرد به أيضا من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضا وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون مامثل ناركم هذه من نار جهنم لهي أشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وروى الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي

سوداء مظلمة وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وبيانه في الحديث عند الامام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة العبدي عن أبي سعيد وعجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها وفي الصحيحين اذا اشتد (٢٨٣) الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم آخر تفسير سورة القارعة ولله الحمد

(تفسير سورة التكاثر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الغفاري المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت وقال الحسن البصري ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد وفي صحيح البخاري في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة وبه قال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس تفرد به مسلم وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا

قوله قد أفلح من زكاها أقسم بالشمس وضحاها فان أهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر أثر الصبح صارت الاموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها انتهى قال مجاهد أي ضوءها واشراقها وأضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون عند ارتفاعها وكذا قال الكلبي وقال قتادة ضحاها نهارها كله قال الفراء الضحى هو النهار وقال المبرد أصل الضحى الصبح وهو نور الشمس وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قال القرطبي الضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن أنث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم فعل نحو صرد ونغر قال أبو الهيثم الضحى نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض وأصله الضحى فاستثقلوا الياء فقلبوها ألفا قيل والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد قال المبرد الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف والواو من الحاء واختلف في جواب القسم ماذا هو فقيل هو قوله قد أفلح من زكاها قاله الزجاج وغيره وحذفت اللام لان الكلام قد طال فصار طوله عوضا منها وقيل محذوف أي لتبعثن وقيل تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قوله قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على التقديم والتأخير بغير حذف والمعنى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها والاول أولى (والقمر اذا تلاها) أي تبعها وذلك بان طلع بعد غروبها يقال تلا يتلو تلوا اذا تبع قال المفسرون وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور قال الزجاج تلاها حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة يعني كان مثلها في الاضاءة وذلك في الليالي البيض وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها قال قتادة ذلك ليلة الهلال اذا سقطت رؤي الهلال قال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها أخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس قال ابن عباس تلاها

تبعها

عبدالله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل أخرجاه فى الصحيحين وذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة الاحنف بن قيس واسمه الضحاك انه رأى فى يد رجل درهما فقال لمن هذا الدرهم فقال الرجل لى فقال اعا هو لك اذا انفقته فى اجر (٢٨٣) أو ابتغاء شكر ثم أنشد الاحنف متمثلا قول الشاعر

أنت للمال اذا أمسكته

فاذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة قال صالح ابن حسان حدثنى عن ابن بريدة فى قوله ألهاكم التكاثر قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الانصار بنى حارثة وبنى الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل وقال قتادة ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كانوا يقولون نحن اكثر من بنى فلان ونحن أعد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون الى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله زرتم المقابر اى صرتم اليها ودفنتم فيها كما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الاعراب يعوده فقال لا بأس طهور ان شاء الله فقال قلت طهور بل هى حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال فنعم اذن وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الاصبهانى أخبرنا حكام بن سالم الرازى عن عمرو بن أبى قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبيش عن على قال مازلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ورواه الترمذى عن ابى كريب عن حكام بن سالم به وقال غريب وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا سلمة بن ابى داود العرضى حدثنا ابو المليح الرقى عن ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فلبث هنيهة ثم قال يا ميمون ما ارى المقابر الا زيارة وما للزائر بد من ان يرجع الى منزله قال ابو محمد

تبعها والاولى ان يفسر تلوه لها بكون ضوئه يخلفها ويجىء بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ وهو فى النصف الاول من الشهر أو بعد مدة وذلك فى النصف الثانى من الشهر فان القمر اذا طلع فى نصف الليل يقال انه تلاها فى ظهور الضوء أى خلفها فيه ولو بعد تخلل مدة ظلمة فليتأمل (والنهار اذا جلاها) أى اضاءها قاله ابن عباس وذلك ان الشمس عند انبساط النهار تنجلى تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التى تبسطه وقيل الضمير عائد الى الظلمة أى جلى الظلمة وان لم يجر للظلمة ذكر لان المعنى معروف قال الفراء تقول أصبحت باردة أى أصبحت غداتنا باردة والاول أولى ومنه قول قيس بن الحطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة * بدى حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل المعنى جلى ما فى الارض من الحيوانات وغيرها بعد ان كانت مستترة فى الليل وقيل جلى الدنيا وقيل جلى الارض (والليل اذا يغشاها) أى يغشى الشمس فيذهب بضوئها فتغيب وتظلم الآفاق وقيل يغشى الآفاق وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر لان ذلك معروف والاول أولى قال الخطيب وجىء به مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو أتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع انتهى والمعنى يغطيها بظلمته أى فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويزيل ضوءها فالضمير فى الفواصل من أول السورة الى هنا للشمس وهذه الاقسام الاربعة ليست الا للشمس فى الحقيقة لكن بحسب أربعة أوصاف أولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذى يكمل فيه انتشار الحيوان وتحرك الانسان للمعاش ومنها تلو القمر للشمس بأخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجىء النهار ومنها وجود خلاف ذلك بمجىء الليل ومن تأمل قليلا فى عظمة الشمس انتقل منها الى عظمة خالقها فسبحانه ما أعظم شأنه (والسماء وما بناها) يجوز أن تكون ما مصدرية أى والسماء وبنائها ويجوز أن تكون موصولة وبه قال أبو البقاء أى والذى بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية لقصد التفخيم كأنه قال والقادر العظيم الشأن الذى بناها ورجح الاول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال ان جعلها مصدرية مخل بالنظم ورجح الثانى ابن جرير قال ابن عباس الله بنى السماء (والارض وما طحاها) الكلام فى ما هذه كالكلام فى التى قبلها ومعنى طحاها بسطها على الماء كذا قال عامة المفسرين

يعنى ان يرجع الى منزله اى الى جنة أو الى نار وهكذا ذكران بعض الاعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث القوم ورب الكعبة اى ان الزائر سيرحل من مقامه ذلك الى غيره وقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال الحسن البصرى هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعنى الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعنى ايها المؤمنون وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم الى المقابر ثم قال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون توعدهم بهذا الحال وهو رؤية النار التى اذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبى مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الاهوال على ما جاء به الاثر المروى فى ذلك وقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اى ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما انعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك فاذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرى حدثنا عبد الله ابن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس انه سمع عمر بن الخطاب يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فوجد أبا بكر فى المسجد فقال ما اخرجك هذه الساعة فقال اخرجنى الذى اخرجك يا رسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال ما اخرجك يا ابن الخطاب قال اخرجنى الذى أخرجكما قال فقعد عمر وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهما ثم قال هل بكما من قوة تنطلقان الى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا قلنا نعم قال مروا بنا الى منزل ابن التيهان ابى الهيثم الانصارى قال فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ايدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وام الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد ان يزيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما اراد ان ينصرف خرجت ام الهيثم تسعى خلفهم فقالت يا رسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن اردت ان تزيدنى من سلامك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم قال ابن ابى الهيثم لا أراه قالت يا رسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتى الساعة ان شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء ابو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا ابا الهيثم فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه

كما فى قوله دحاها قالوا طحاها ودحاها واحد أى بسطها من كل جانب والطحو البسط وقيل معنى طحاها قسمها وقيل خلقها والاول أولى والطحو أيضا الذهاب قال أبو عمرو بن العلاء طحا الرجل اذا ذهب فى الارض يقال ما أدرى أين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به (ونفس وما سواها) الكلام فى ما هنه كما تقدم ومعنى سواها خلقها وأنشأها وسوى اعضاءها وعدلها على هذا القانون الأحكم فى اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعانى وغير ذلك قال عطاء يريد جميع ما خلق من الانس والجن والتنكير للتفخيم أو للتكثير وقيل المراد نفس آدم (فالهمها فجورها وتقواها) أى عرفها وأفهمها حالهما وما فيهما من الحسن والقبح والالهام القاء الشئ فى القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقه على الفجور تسامح وقد دفع بحمل الالهام على مطلق البيان قال مجاهد عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية قال الفراء فالهمها عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين قال محمد بن كعب اذا أراد الله بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به واذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به قال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار هذا الزجاج وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال الواحدى وهذا هو الوجه لتفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع فى قلبه ويجعل فيه واذا أوقع الله فى قلب عبد شيأ فقد ألزمه ذلك الشئ قال وهذا صريح فى ان الله خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره قال ابن عباس فى الآية علمها الطاعة والمعصية وعنه قال ألهمها من الخير والشر وعنه قال ألزمها فجورها وتقواها وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين ان رجلا قال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شئ قد قضى عليهم ومضى فى قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم واتخذت عليهم به الحجة قال بل شئ قد قضى عليهم قال فلم يعملون اذن قال من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصديق ذلك فى كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وسيأتى فى السورة التى بعد هذه نحو هذا الحديث وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد والنسائى عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها

وولاها وأخرجه ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه من حديث ابن عباس وزاد كان اذا تلا هذه الآية ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قال فذكره وزاد أيضا وهو فى الصلاة وأخرج حديث زيد بن أرقم مسلم أيضا وأخرج نحوه أحمد من حديث عائشة (قد أفلح من زكاها) أى قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب وقد قدمنا ان هذا جواب القسم على الراجح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام أى والاصل فيه لقد وتبعه القاضى قال الشهاب وعند النحاة ان الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولا يجوز الاقتصار على احداهما الا عند طول الكلام أو فى ضرورة وأصل الزكاء النمو والزيادة ومنه زكا الزرع اذا كثر قال ابن عباس يقول قد أفلح من زكى الله نفسه أى بالطاعة (وقد خاب من دساها) أى خسر من أضلها وأغواها بالمعصية قال أهل اللغة دساها أصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشئ فى الشئ فمعنى دساها فى الآية أخفاها وأخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح وكانت أجواد العرب تنزل الامكنة المرتفعة ليشتهر مكانها فتقصدها الضيوف وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والامكنة المنخفضة ليخفى مكانها عن الوافدين وقال ابن الاعرابى المعنى دس نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم قال ابن عباس قد خاب من دس الله نفسه فاضله وعنه قال دساها يعنى مكر بها وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى الآية أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير أخرجه أبو حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى من طريق جويبر عن الضحاك وجويبر ضعيف وتكرير قد فيه لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها والايذان بتعلق القسم به أيضا اصالة (كذبت ثمود) رسولها صالحا (بطغواها) أى بسبب طغيانها لضعف أثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم والطغوى اسم من الطغيان كالدعوى قال الواحدى قال المفسرون معناه الطغيان حملهم على التكذيب والطغيان مجاوزة الحد فى المعاصى والباء للسببية كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقيل بطغواها أى بعذابها الذى وعدت به وسمى العذاب طغوى لانه طغى عليهم فتكون الباء على هذا للتعدية وبدأ فى الكشاف بانها للاستعانة مجازا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله وقال محمد بن كعب بطغواها أى باجمعها قرأ الجمهور بفتح الطاء وهو مصدر

ومن تذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه هذا غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنى الحسين بن على الصدائى حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان اذ جاءهما النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أجلسكما ههنا قالا والذى بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا الا الجوع قال والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الانصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شئ أفضل من نبى زارنى اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا كنت اجتنيت فقال أحببت ان تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المحاربى عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بكر الصديق به وقد رواه أهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبى نضرة عن أبى عسيب يعنى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى فخرجت اليه ثم مر بابى بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال لتسئلن عن هذا يوم القيامة قال فأخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله انا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاثة خرقة لف بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يدخل فيه من الحر والقر تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ لتسئلن يومئذ عن النعيم قالوا يارسول الله عن أي نعيم نسئل وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وقال أحمد حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمر قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه (٢٨٦) أثر ماء فقلنا يارسول الله نراك طيب النفس قال أجل قال ثم خاض الناس في ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عزرم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل عنه يعني يوم القيامة العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونرويك من الماء البارد تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبر به وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قالوا يارسول الله لأي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال ان ذلك سيكون وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه احمد عنه وقال الترمذي حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قالت الصحابة يارسول الله وأي نعيم نحن فيه وانما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى اخبرنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن ابن ابي ليلى اظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة وقال زيد بن اسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

يعني الطغيان وانما قلبت الياء واوا للفرق بين الاسم والصفة لانهم يقلبون الياء في الاسماء كثيرا نحو تقوى وسروى وقرئ بضم الطاء وهو مصدر أيضا كالرجعى والحسنى ونحوهما وقيل هما لغتان واختير التعبير بالطغوى لانه أشبه برؤس الآيات قال ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال كذبت ثمود بعذابها (اذ انبعث أشقاها) العامل في الظرف كذبت أو بطغواها أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف فعقر الناقة ومعنى انبعث انتدب لذلك وقام به يقال بعثته على الامر فانبعث به ويضرب بقدار المثل فيقال أشأم من قدار وهو أشقى الاولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ومعنى قدار في الاصل الجزار وقد تقدم بيان هذا في الاعراف (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا بسبب الانبعاث أو التكذيب الذي دل على قصدهم لها بالاذى (ناقة الله) قال الزجاج أي ذروا ناقة الله وقال الفراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب أي ذروا عقرها والاضافة للتشريف كبيت الله (و) احذروا (سقياها) وهو شربها من الماء وكان لها يوم ولهم يوم قال الكلبي ومقاتل قال لهم صالح ذروا ناقة الله فلا تعقروها وذروا سقياها وهو شربها من النهر فلا تعرضوا لها يوم شربها (فكذبوه) بتحذيره اياهم واستمروا على تكذيبه (فعقروها) أي عقرها الاشقى وانما اسند العقر الى الجميع لانهم رضوا بما فعله قال قتادة انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم قال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس فلهذا لم يقل أشقياها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث اشقاها قال انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل ابي زمعة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي الا احدثك باشقى الناس قال بلى قال رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته اخرجه احمد وابن ابي حاتم والبغوي والطبراني وابن مردويه والحاكم وابو نعيم في الدلائل (فدمدم عليهم ربهم) اى اهلكهم واطبق عليهم العذاب (بذنبهم) الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشئ اى أطبقت عليه ودمدم عليه القبر اى اطبقه وناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم والدمدمة اهلاك باستئصال كذا قال المؤرج قال

يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم رواه ابن ابي حاتم باسناده المتقدم عنه في اول السورة وقال سعيد بن جبير حتى عن شربة عسل وقال مجاهد عن كل لذة من لذات الدنيا وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال ابو قلابة من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد اشمل هذه الاقوال وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعنى هذا انهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين ابن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فوق الازار وظل الحائط وخبز يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد وقال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال اسحق بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قال عفان يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على الخيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فاين شكر ذلك تفرد به من هذا الوجه آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة العصر وهي مكية)

ذكروا ان عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعدما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل علي مثلها فقال له عمرو وما هو فقال يا وبر يا وبر انما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم اني أعلم انك تكذب وقد رأيت أبا بكر

في الصحاح دمدمت الشيء اذا ألزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم ودمدمت على الميت التراب اي سويته عليه قال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال ابن الاعرابي دمدم اذا عذب عذابا تاما والضمير في (فسواها) يعود الى الدمدمة أي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم وقيل يعود الى الارض أي فسوى الارض عليهم فجعلهم تحت التراب وقيل يعود الى الامة أي ثمود قال الفراء سوى الامة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم فلم يفلت منهم أحد الا من آمن مع صالح وكانوا أربعة آلاف قرأ الجمهور فدمدم بميم بين الدالين وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بينهما قال القرطبي وهما لغتان كما يقال امتقع لونه واهتقع لونه وفي القاموس دهم الارض سواها كدهدم ودمدم عليهم فتلخص ان دمدم بدال واحدة ودمدم بدالين معناهما واحد (ولا يخاف عقباها) أي فعل الله بهم ذلك غير خائف من عاقبة ولا تبعة والضمير في عقباها يرجع الى الفعلة أو الى الدمدمة المدلول عليها بدمدم قال السدي والضحاك والكلبي ان الكلام يرجع الى العاقر لا الى الله سبحانه أي لم يخف الذي عقرها عقبى ما صنع وقيل لا يخاف رسول الله عليه الصلاة والسلام عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد أنذرهم والاول أولى قرأ الجمهور ولا يخاف بالواو وقرئ بالفاء وهما قراءتان سبعيتان أما الواو فيجوز أن تكون للحال أو للاستئناف والفاء للتعقيب وهو ظاهر والمعنى لا يخاف عاقبتها كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وأنهم أذلاء عند الله وفي القاموس أعقبه الله بطاعته جازاه والعقبى جزاء الأمر

(سورة والليل هي احدى وعشرون آية وهي مكية عند الجمهور)

وقيل مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الظهر والعصر والليل اذا يغشى ونحوها أخرجه البيهقي في سننه وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ والشمس وضحاها والليل اذا يغشى فقال له أبي بن كعب يا رسول الله أمرت في هذه الصلاة بشيء قال لا ولكن أردت ان أوقت لكم أخرجه الطبراني في الاوسط وقد تقدم حديث فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وعن ابن

الخرائطي أسنده في كتابه المعروف بمساوي الاخلاق في الجزء الثاني منه شيأ من هذا أو قريبا منه والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شئ فيه اذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة ان يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن فلم يرج ذلك على عابد الاوثان في ذلك الزمان وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله اذا التقيا لم يفترقا الا على ان يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر وقال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (٢٨٨) والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر والمشهور الاول فأقسم تعالى بذلك على ان الانسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى من جنس الانسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم وتواصوا بالحق وهو أداء الطاعات وترك المحرمات وتواصوا بالصبر على المصائب والاقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد

(تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممدة) الهماز بالقول واللماز بالفعل يعني يزدري بالناس وينتقص بهم وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى هماز مشاء بنميم قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه في وجهه واللمزة من خلفه وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ثم قال بعضهم المراد بذلك الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هي عامة وقوله تعالى الذي جمع مالا وعدده أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى وجمع فأوعى قاله السدي وابن جرير وقال محمد بن كعب في قوله جمع مالا وعدده ألهاه ماله بالنهار هذا الى هذا

عباس اني لاقول ان هذه السورة نزلت في السماحة والبخل قال الرازي نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي أمية بن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) أي يغطي بظلمته ما كان مضيئا قال الزجاج يغشى الليل الافق وجميع ما بين السماء والارض فيذهب ضوء النهار وقيل يغشى النهار وقيل يغشى الارض والاول أولى قال ابن عباس اذا يغشى اذا أظلم وعن ابن مسعود قال ان أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله فأنزل الله والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى سعي أبي بكر وأمية وأبي الى قوله وكذب بالحسنى قال لا اله الا الله الى قوله فسنيسره للعسرى قال النار أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر أقسم سبحانه بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم أقسم بالنهار فقال (والنهار اذا تجلى) أي ظهر وانكشف ووضح لزوال الظلمة التي كانت في الليل بطلوع الشمس لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما (وما خلق الذكر والانثى) ما هاهي الموصولة أي والذي خلقهما وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم أي والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذكر والانثى قال الحسن والكلبي معناه الذي خلق الذكر والانثى فيكون قد أقسم بنفسه الكريمة قال أبو عبيدة وما خلق أي ومن خلق وقال مقاتل يعني وخلق الذكر والانثى فتكون ما على هذا مصدرية قال الكلبي ومقاتل يعني آدم وحواء والظاهر العموم قرأ الجمهور وما خلق الذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى بدون ما خلق قال المحلي والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى انتهى وعبارة الخطيب الخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة انتهت وقال الكرخي يحنث بتكليمه لان الله تعالى لم يخل من ذوي الارواح من ليس ذكرا ولا

الدليل نام كأنه جيفة منتنة وقوله تعالى يحسب ان ماله أخلده أي يظن ان جمعه المال يخلده في هذه الدار كلا أي ليس الامر كما زعم ولا كما حسب ثم قال تعالى لينبذن في الحطمة أي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهي اسم طبقة من أسماء النار لانها تحطم من فيها ولهذا قال وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة قال ثابت البناني تحرقهم الى الافئدة وهم احياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب تأكل كل شيء من جسده حتى اذا بلغت فؤاده حذو حلقه فرجع على جسده وقوله تعالى انها عليهم مؤصدة أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا علي بن سراج حدثنا حماد بن خرزاد حدثنا شجاع ابن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انها عليهم مؤصدة قال مطبقة وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفعه وقوله تعالى في عمد ممددة قال عطية العوفي عمد من حديد وقال السدي من نار قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس في عمد ممددة يعني الابواب هي الممدودة وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود انها عليهم موصدة بعمد ممددة وقال العوفي عن ابن عباس ادخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد في أعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب وقال قتادة كنا نحدث انهم يعذبون بعمد في النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح في عمد ممددة يعني القيود الثقال آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

تفسير سورة الفيل وهي مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

 ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى وكان دينهم اذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه

أنثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لابي الفضل الهمداني فيما حكاه وجها انه نوع ثالث ويدفعه قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ونحو ذلك قاله الاسنوي (ان سعيكم لشتى) هذا جواب القسم أي ان عملكم مختلف فمنه عمل للجنة ومنه عمل للنار أو منكم مؤمن وكافر أو منكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار أو منكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال جمهور المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها وشتى جمع شتيت كمرضى جمع مريض وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض والشتات هو الافتراق وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وان كان مفردا في اللفظ ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (فأما من أعطى) أي بذل ماله في وجوه الخير (واتقى) محارم الله التي نهى عنها (وصدق بالحسنى) أي أيقن بالخلف الذي من الله قال المفسرون فأما من أعطى المعسرين وقال قتادة أعطى حق الله الذي عليه وقال الحسن أعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى أي بلا اله الا الله وبه قال الضحاك والسلمي وابن عباس وقال مجاهد بالحسنى بالجنة وقال زيد بن أسلم بالصلاة والزكاة والصوم والاول أولى قال قتادة بالحسنى أي بموعود الله الذي وعده ان يثيبه قال الحسن بالخلف من عطائه واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس أعطى من الفضل واتقى ربه وصدق بالخلف من الله (فسنيسره لليسرى) أي فسنهيئه للخصلة التي هي حسنى وهي عمل الخير حتى يسهل عليه فعله والمعنى فسنيسر له الانفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله والسين في الموضعين للتسويف وهو من الله محقق وذكر القسطلاني ان هذا السين للطيف قال الشريف الصفوي مرادهم بترقيق الكلام بمعنى أن يكون نفاذ المقصود بل يكون شيئا لا يعبر المقصود فهو كالشيء الرقيق الذي يمكن تغييره ويسهل ويقابله الكثيف بمعنى أن يكون نافي المقصود لانه لا يمكن تغييره ونقله فهو كالشيء الكثيف الذي لا يمكن وبيه ذلك المقصود هنا ان التيسير حاصل في الحال لكن أتى بالسين الدالة على [illegible] [illegible] ترقيق الكلام ورقة معناه [illegible] لا يكون التيسير حاصلا في الحال [illegible] ذلك [illegible] قال الواحدي قال المفسرون نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة يعذبونهم في الله

صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه و نعظمه ونوقره ببعثة النبى الامى محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب قد تقدم فى قصة أصحاب الاخدود ان ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذى قتل أصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له الى النجاشى ملك الحبشة لكونه أقرب اليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة ابن الصباح أبا يكسوم فى جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا فى البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الاميران أرياط وأبرهة فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر انه لا حاجة بنا الى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز الى وأبرز اليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه الى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فدووى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب اليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجز ناصيته فأرسل اليه أبرهة يترقق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول فى كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتى قد بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشى انى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء [illegible] مزخرفة الارجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع [illegible] الاشرم على أن يصرف حج العرب اليها كما يحج الى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته فكرهت العرب [illegible] وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل الى أن دخلها ليلا [illegible]

[illegible]

قال ابن عباس لليسرى للخير من الله وقال زيد بن أسلم للجنة وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة وكان يعتق عجائز ونساء اذا أسلمن فقال له أبوه أى بنى أراك تعتق ناسا ضعفاء فلو انك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال أى أبت انما أريد ما عند الله قال فحدثنى بعض أهل بيتى ان هذه الآية نزلت فيه (وأما من بخل) بماله فلم يبذله فى سبيل الخير (واستغنى) أى زهد فى الاجر والثواب أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة قال ابن عباس بخل بماله واستغنى عن ربه وعنه قال يقول من أغناه الله فبخل بالزكاة وعن [illegible] حرب (وكذب بالحسنى) أى بالخلف من الله عز وجل [illegible] وعنه قال بلا اله الا الله (فسنيسره للعسرى) أى فسنهيئه للخصلة العسرى [illegible] يتعسر عليه أسباب الخير والصلاح [illegible] عن فعلها فيؤديه ذلك الى [illegible] يعسر عليه ان يعطى خيرا قيل العسرى الشر وذلك ان الشر يؤدى الى العذاب [illegible] فى العذاب والمعنى سنهيئه للشر بان نجريه على يديه [illegible] تقول تديسرت الغنم اذا ولدت أو تهيأت للولادة قال ابن عباس [illegible] وقيل للنار وأخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن على بن أبى طالب قال كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة فقال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له [illegible] من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل [illegible] لعمل أهل الشقاء ثم قرأ فأما من أعطى الى قوله للعسرى [illegible] عن جابر بن عبد الله ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله [illegible] فيه المقادير وجرت به الاقلام أم فى شئ نستقبل [illegible] المقادير وجرت فيه الاقلام قال سراقة [illegible] لما خلق له وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] وقد تقدم حديث عمران بن حصين فى سورة [illegible] طريق جماعة من الصحابة [illegible] تيسيرا انتهى وايضاح الجواب عن [illegible]

أى عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لاجله وأمرتم به وكلوا أمور الربوبية الغيبية الى صاحبها فلا عليكم بشأنها ونظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب والاجل المضروب فى العمر مع المعالجة بالطب فانك تجد المغيب فيهما علة موجبة والظاهر البادى سببا مخيلا وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم على أن الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن قاله الكرخى (وما) أى لا (يغنى عنه) شيأ (ماله) الذى يبخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى آخرته التى هى موضع فقره وحاجته شئ أو أى شئ يغنى عنه (اذا تردى) أى هلك يقال ردى الرجل يردى ردى وتردى يتردى اذا هلك وقال قتادة وأبو صالح وزيد بن أسلم اذا تردى اذا سقط فى جهنم يقال ردى فى البئر وتردى اذا سقط فيها ويقال ما أدرى اين ردى أى أين ذهب وجملة (ان علينا للهدى) مستأنفة مقررة لما قبلها أى ان علينا البيان بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال أى وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا قال قتادة على الله البيان بيان حرامه وطاعته ومعصيته قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد قال الفراء أيضا المعنى ان علينا للهدى والاضلال فحذف الاضلال كقوله سرابيل تقيكم الحر أى والبرد وقيل المعنى ان علينا ثواب هداه الذى هديناه والاول أولى (وان لنا للآخرة والاولى) أى لنا كل ما فى الآخرة وكل ما فى الدنيا نتصرف به كيف نشاء فمن أرادهما أو أحدهما فليطلب ذلك منا وقيل المعنى ان لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم نارا تلظى) أى حذرتكم وخوفتكم نارا تتوقد وتتوهج وأصله تتلظى فحذفت احدى التاءين تخفيفا وقرئ على الاصل (لا يصلاها) صليا لازما على جهة الخلود (الا الاشقى) وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه والمعنى يدخلها أو يجد صليها وهو حرها ثم وصف الاشقى فقال (الذى كذب وتولى) أى كذب بالحق الذى جاءت به الرسل وأعرض عن الطاعة والايمان قال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا فى علم الله جل ثناؤه وقال أيضا لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقى فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن

الى بيت مكة وليفخر به فخرا وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحرقته وسقطت الى الارض فتأهب أبرهة لذلك وصار فى جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشى ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فالله أعلم يعنى ليهدم به الكعبة بان يجعل السلاسل فى الاركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا ان حقا عليهم المحاجبة دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج اليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فاجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى اذا كان بارض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فاراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج اليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذى عندهم الذى يسمونه اللات فاكرمهم وبعثوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة الى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الابل وغيرها فاخذوه وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أميرا المقدمة وكان يقال له الاسود بن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن اسحق وبعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة وأمره أن يأتيه باشرف قريش وان يخبره انه الملك لم يجئ لقتالكم الا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معى اليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال للترجمان ان حاجتى أن يرد على الملك

مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب اني أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب ابله ورجع عبد المطلب الى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان المرء يمـ ... ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك

قال ابن اسحق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا الى رؤس الجبال وذكر مقاتل بن سليمان انهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيأ بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وعبى جيشه فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل ابن حبيب حتى قام الى جنبه ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه ليبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر [illegible]
أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه [illegible]
منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل [illegible]
رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة فجعل نفيل يقول
أين المفر والاله الطالب ... والاشرم المغلوب ليس الغالب
قال ابن اسحق وقال نفيل [illegible]

اتباعه قال الزجاج هذه الآية هي التي من أجلها قال أهل الارجاء بالارجاء فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر ولاهل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه كل ما وعد عليه بجنس من العذاب فجدير أن يعذب به وقد قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة وقال في الكشاف الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالجنة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وبالاتقى أبو بكر الصديق قال الخطيب وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلى المؤبد انتهى أي مصروف عن ظاهره ولا يرد الفاسق لانه ان [illegible] ان عفى عنه أو يدخلها ويخلص منها فالمعنى لا يدخلها دخولا [illegible] سقى لانه كذب النبي والاولى ان يقال يؤول بحمل الصلى على الدائم [illegible] هريرة قال [illegible] يدخل الجنة الا من يأبى قالوا ومن يأبى ان يدخل الجنة [illegible]
أخرجه ابن جرير وعن أبي امامة لا يبقى أحد من هذه الامة الا دخل الجنة الا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله من لم يصدقني فان الله يقول لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى كذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عنه أخرجه سعيد ابن منصور وغيره وعنه بسند عن أبي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على أهله أخرجه أحمد والحاكم وابن [illegible] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] قال الذي لا يعمل لله بطاعة ولا يترك لله معصية أخرجه [illegible] ابن مردويه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل أمتي يدخل [illegible] أبي قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى أخرجه أحمد والبخاري (وسيجنبها الاتقى) [illegible]
الواحدي الاتقى أبو بكر الصديق في قول جميع [illegible]

الاحبنت عشايا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا ردينة لورأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب مارأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري * ولم تأسي على مافات بينا حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وذكر الواقدي باسناده انهم لما تهيؤا لدخول الحرم وهيؤا الفيل جعلوا لا يصرفونه الى جهة من سائر الجهات الاذهب فيها فاذا وجهوه الى الحرم ربض وصاح وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل في ذلك هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدي وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون الى ما الحبشة يصنعون وما ذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أي قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا وقال محمد بن إسحق جاؤا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب وقال وهب ابن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدي به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم وقال ابن اسحق فخرجوا يتساقطون [illegible] كل [illegible] وأصيب أبرهة في جسده [illegible] تسقط أنامله أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ [illegible] حتى [illegible] ذكروا أن [illegible] أسلا [illegible] وما كان [illegible] حدث أول ما رؤي [illegible] بأرض العرب ذلك العام وانه أول ما رؤي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام وهكذا روى عن [illegible] فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان [illegible] على قريش من نعمته عليهم وفضله

والاتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين ويكون المعنى انه لا يصلاها صليا تاما لازما الا الكامل في الشقاء وهو الكافر ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدا كاملا بحيث لا يحوم حولها فضلا عن أن يدخلها الا الكامل في التقوى فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المؤمنين النار دخولا غير لازم ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها والحاصل ان من تمسك من المرجئة بقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى لا يتبع التكذيب من عصاة المسلمين فيقال له فماذا تقول في قوله وسيجنبها الاتقى فانه يدل على انه لا يجنب النار الا الكامل في التقوى فمن لم يكن كاملا فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فان أولت الاتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الاشقى فخذ اليك هذه مع ثلاث وكن كما قال الشاعر

على نفي راض بأن أحمل الهوى * وأخرج منه لا علي ولا ليا

وقيل اراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي كما قال طرفة بن العبد

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي بواحد ولا يخفى انه ينافي هذا وصف الاشقى بالتكذيب فان ذلك لا يكون الا من الكافر فلا يتم ما أراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين عن عروة ان أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عيسى وأمة بني المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة أخرجه ابن أبي حاتم وفي الباب روايات ثم ذكر سبحانه صفة الاتقى فقال (الذي يؤتي ماله) أي يعطيه ويصرفه في وجوه الخير وقوله (يتزكى) في محل نصب على الحال من فاعل يؤتي أي حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكيا لا يطلب رياء ولا سمعة ويجوز أن يكون بدلا من يؤتي [illegible] في حكم [illegible] قرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنه [illegible] (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) قال [illegible] أي [illegible] مستأنفة لتقرير ما قبلها من كون التزكي على جهة [illegible] أن [illegible] ممن يتصدق بماله ليجازى [illegible] لاحد من الناس [illegible] بصدقته رحمه الله تعالى

ماردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول لئيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى لئلا يغير شيأ من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الابابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فاخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب قال وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنك وكل يعنى بالسنك الحجر والكل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب واحدته عصفة انتهى ما ذكره وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله وأبو سلمة عن عبد الرحمن طيرا أبابيل قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقتادة الابابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الابابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول واحد الابابيل ابيل وقال ابن جرير حدثنى عبد الاعلى حدثنى داود عن ابن عبد الله اسحق بن الحرث بن نوفل انه قال فى قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل هى الاقاطيع كالابل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس وأرسل عليهم طيرا أبابيل قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كاكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى طيرا أبابيل قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع [illegible]
حدثنا ابن [illegible] عن سفيان عن الاعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير طيرا أبابيل قال هى طير سود [illegible]
الحجارة [illegible] وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم [illegible]
كانت طيرا الابابيل [illegible] وقال ابن أبى حاتم حدثنا [illegible]
محمد بن أبى [illegible] عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل [illegible]

ومعنى الآية انه ليس لاحد من الناس عنده نعمة من شأنها ان يجازى عليها حتى يقصد بايتاء مايؤتى من ماله مجازاتها وانما قال تجزى مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل والاصل يجزيه اياه أو يجزيه اياها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) قرأ الجمهور بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة أى لكن ابتغاء وجه ربه ويجوز أن يكون منصوبا على انه مفعول له على المعنى أى لايؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة قال الفراء هو منصوب على التأويل أى ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء أو من مزيدة والرفع لغة تميم لانهم يجوزون البدل فى المنقطع فى غير الايجاب ويجرونه مجرى المتصل قال مكى وأجاز الفراء الرفع فى ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قلت كانه لم يطلع على انها قراءة واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية وقرأ الجمهور أيضا ابتغاء بالمد وقرئ بالقصر والاعلى نعت للرب (ولسوف يرضى) اللام هى الموطئة للقسم أى وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم وهو وعد من الكريم تعالى لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بنيل جميع مايبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذ به يتحقق الرضا قاله أبو السعود وقرأ الجمهور يرضى مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول من أرضاه الله وهو قريب من قوله تعالى فى آخر طه لعلك ترضى وترضى

(سورة الضحى هى احدى عشرة آية وهى مكية بلا خلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق أبى الحسن المقرى قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم وأخبره عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد ان ابن عباس أمره بذلك وأخبره ابن عباس ان أبى بن كعب أخبره بذلك وأخبره أبى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمره بذلك وأبو الحسن المقرى المذكور هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى قال ابن كثير [illegible] تفرد بها أبو الحسن المقرى وكان اماما فى القرا آت [illegible] أبو [illegible] الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلى قال هو [illegible]

طيرا أقبلت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين في حجارة وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول قال سعيد بن جبير يعني التبن الذي تسميه العامة الهبور وعنه في رواية عن

سعيد ورق الحنطة وعنه أيضا العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب وكذلك قال الحسن البصري وعن ابن عباس العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار درينا والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم بخير إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله إليهم ملكهم وما كان في آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب للتهنئة وقد قال محمد بن إسحق حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان [illegible] وقال الواقدي [illegible] عن عائشة قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند إساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم قلت كان اسم قائد الفيل أنيسا وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وإنما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة [illegible] قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار [illegible] إلا [illegible]

كثير ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل إذا يغشى وقال آخرون من آخر الضحى وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر وذكروا في مناسبة التكبير من أول الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه والضحى كبر فرحا وسرورا ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جندب البجلي قال اشتكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله والضحى وعن جندب قال أبطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ما ودع [illegible] قال احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت بعض بنات عمه ما أرى صاحبك إلا قد قلاك فنزلت والضحى وقيل في سبب نزولها غير ذلك وما ذكرناه هو الأولى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد بالضحى هنا النهار كله لقوله والليل إذا سجى فلما قابل الضحى بالليل دل على أن المراد به النهار كله لا بعضه وهو في الأصل اسم لوقت ارتفاع الشمس كما تقدم في قوله والشمس وضحاها وعلى هذا يكون في الكلام مجاز من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل والظاهر أن المراد به الضحى من غير تعيين وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد به الضحى الذي كلم الله فيه موسى والمراد بقوله الآتي والليل إذا سجى ليلة المعراج وقيل المراد بالضحى هو الساعة التي خر فيها السحرة سجدا كما في قوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل المقسم به مضاف مقدر كما تقدم في نظائره أي ورب الضحى وقيل تقديره وضحاوة الضحى ولا وجه لهذا فلله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وقيل الضحى نور الجنة والليل ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين والليل سواد قلوب الكافرين والأول أولى وقدم هنا الضحى على الليل وفي السورة التي قبلها قدم الليل لأن لكل منهما أثرا في صلاح العالم وللّيل فضيلة [illegible] وللنهار فضيلة النور فقدم هذا تارة وهذا أخرى وقيل قدم الليل في سورة [illegible] بكر لأن أبا بكر [illegible] وقدم الضحى في سورة محمد لأنه [illegible]

مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم ابرهة نفسه والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله اعلم ثم ذكر ابن اسحق شيأ من اشعار العرب فيما كان من قصة اصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعرى

تنكلوا عن بطن مكة انها * كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت * اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى * فلسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

(٢٩٦)

نور محض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين اشارة الى أنه لا واسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر قلت هذه الاقوال من قبيل لطائف السكات وليس من تفسير كتاب الله في شئ (والليل اذا سجى) أي سكن كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم يقال ليلة ساجية أي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجا الشئ يسجو سجوا اذا سكن قال عطاء اذا سجا اذا غطى بالظلمة وروى عن ابن عباس سجا امتد ظلامه وقال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشى بظلامه كل شئ وقال سعيد بن جبير أقبل وقال مجاهد أيضا ... والاول أولى وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة ومعنى سكونه استقرار ظلامه واستواؤه فلا يزداد بعد ذلك وقال ابن عباس اذا أقبل وعنه قال اذا ذهب (ما ودعك ربك) أي ما تركك قاله ابن عباس وهذا جواب القسم أي ما قطعك قطع المودع ... بتشديد الدال من التوديع وهو توديع المفارق وقرئ ... والتوديع أبلغ من الودع لان من ودعك مفارقا ... يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك ... من التوديع كما يودع المفارق وقال الزجاج لم يقطع الوحى ... استعارة تبعية للترك فان الوداع انما يكون بين الاحباب ومن ... مفارقته ... هما (وما قلى) أي ما أبغضك قاله ابن عباس والقلى البغض ... وقال وما قلى ولم يقل وما قلاك لموافقة رؤس الآى (وللآخرة خير لك من الاولى) اللام جواب قسم محذوف أي الجنة خير لك من الدنيا ... صلى الله عليه وسلم ... أوتى في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف ... الدنيا ... لما كانت الدنيا بأسرها مشوبة بالاكدار ... وكانت الحياة فيها كأحلام نائم أو كظل زائل لم يركن بالنسبة الى الآخرة شيأ ... طريق الى الآخرة وسبيل الى ما أعده الله لعباده الصالحين من الخير ... فيها من الاعمال الموصلة للفوز بالجنة كان فيها ... بقوله لك لانها ليست خيرا لكل أحد قال ابن عباس ... في الدارين وهم أهل طاعة الله ...

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى المدنى

ومن صنعه يوم فيل الحبو
ش اذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا
اذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه
وقد باء بالظلم من كان ثم
فارسل من فوقهم حاصبا
يلفهم مثل لف القزم
يحض على الصبر أحبارهم
وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن ابى ربيعة الثقفى ويروى لأمية بن أبي الصلت ابن أبي ربيعة

ان آيات ربنا باقيات
ما يمارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم
بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى
صار يحبو كأنه معقور
لازما حلقة الجران كما قطـ
ـطر من ظهر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطال * ملاويث في الحروب صقور
كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال ...

فقامت والحديث من افراد البخارى وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة *(تفسير سورة لايلاف قريش وهى مكية)* ذكر حديث غريب فى فضلها قال البيهقى فى كتاب الخلافيات حدثنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفى بمرو حدثنا احمد بن عبيد الله المدينى حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا ابراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل حدثنى عثمان بن عبد الله بن أبى عبيدة عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته ام هانئ بنت أبى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال انى فيهم وان النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وان كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لان المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لايلاف قريش أى لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فى المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلدهم آمنين فى أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفى اليهم وسار معهم أمن بهم هذا حالهم فى اسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم وأما فى حال اقامتهم فى البلد فكما قال الله تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولهذا قال تعالى لايلاف قريش ايلافهم بدل من الاول ومفسر له ولهذا قال تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقال ابن

ومنهم من له صورة خير فى الدنيا وشر فى الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر فى الدنيا وخير فى الآخرة وهم الفقراء المؤمنون ذكره الخطيب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض على ما هو مفتوح لامتى بعدى فانزل الله وللآخرة خير لك من الاولى أخرجه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الدلائل وعنه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده فسر بذلك فانزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قيل هى لام الابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وقيل هى للقسم قال أبو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا لقائم بل هى التى فى قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نونى التأكيد فكأنه قال وليعطينك أى ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما فى التأخير من المصلحة قيل والمعنى ولسوف يعطيك ربك الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة فترضى وقال البيضاوى هذا وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه وقيل الحوض والشفاعة فى الامة وقيل ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وبه قال ابن عباس وزاد فى كل قصر ما ينبغى له من الازواج والخدم وعنه قال رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة وأخرج ابن جرير عنه قال من رضا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الخطيب فى التلخيص من وجه آخر عنه قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وواحد من أمته فى النار ويدل على هذا ما أخرجه مسلم عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله فى ابراهيم فمن تبعنى فانه منى وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فرفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابى جعفر محمد بن على بن الحسين أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحق هى قال اى والله حدثنى محمد بن الحنفية عن على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اشفع لامتى حتى ينادينى ربى أرضيت يا محمد فاقول نعم يا رب رضيت ثم أقبل على فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية فى كتاب

جرير الصواب ان اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لايلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك قال وذلك لاجماع المسلمين على انهما سورتان منفصلتان مستقلتان ثم أرشدهم الى شكر هذه النعمة العظيمة فقال فليعبدوا رب هذا البيت أى فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محترما كما قال تعالى قل انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت ان أكون من المسلمين وقوله تعالى الذى أطعمهم من جوع أى هو رب البيت وهو الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى تفضل عليهم بالامن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الامر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن عمر العدنى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لكم قريش لايلاف قريش ثم قال حدثنا أبى حدثنا المؤمل بن الفضل الحرانى حدثنا عيسى يعنى ابن يونس عن عبيد الله ابن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد ابن السكن أم سلمة الانصارية رضى الله عنها فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية والله أعلم

آخر تفسير لايلاف قريش ولله الحمد والمنة

(تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) يقول تعالى أرأيت يا محمد الذى يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب فذلك الذى يدع اليتيم أى هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن اليه ولا يحض على طعام المسكين

الله يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول ذلك قال فكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهى الشفاعة وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه ابن أبى شيبة وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجلى مرارة الدنيا بنعيم الآخرة فأنزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه العسكرى فى المواعظ وابن مردويه وابن النجار وقيل فى الآية غير ذلك والظاهر انه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيرى الدنيا والآخرة ومن أهم ذلك عنده وأقدمه قبول شفاعته لامته (ألم يجدك يتيما) هذا شروع فى تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم الثلاث والقصد من تعداد هذه النعم تقوية قلبه صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف قوله تعالى ألم نربك فينا وليدا لانه فى معرض الذم ثم أمره بعد ذلك أن يذكر نعم ربه كأنه قال له يا الطريق فى حقك أن تفعل مع عبيدى مثل ما فعلت فى حقك والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه فكأنه قال قد وجدك يتيما والوجود بمعنى العلم وقيل بمعنى المصادفة والمعنى وجدك يتيما لا أب لك قبل ولادتك أى بعد حمله بشهرين وهو الارجح وقيل غير ذلك والتفصيل فى المواهب وشرحه وكانت وفاة أبيه بالمدينة ودفن فى دار التابعة وقيل بالابواء من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو ثنتى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده وهو صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثمان (فآوى) أى جعل لك مأوى تأوى اليه قرأ الجمهور فآوى بالالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وقرئ ثلاثيا وهو اما بمعنى الرباعى أو هو من أوى له اذا رحمه وعن مجاهد قال معنى الآية ألم يجدك واحدا فى شرفك لا نظير لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك فجعل يتيما من قولهم درة يتيمة وهو بعيد جدا (ووجدك ضالا فهدى) معطوف على المضارع المنفى وقيل على ما يقتضيه الكلام الذى قبله كما ذكرنا أى قد وجدك يتيما الخ والضلال هنا بمعنى الغفلة كما فى قوله لا يضل ربى ولا ينسى وكما فى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين والمعنى انه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة واختار

كما قال تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين يعنى الفقير الذى لا شئ له يقوم بأوده وكفايته ثم قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال ابن عباس وغيره يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال للمصلين الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون اما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس واما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل فى صلاتهم ساهون واما عن

وقتها الاول فيؤخرونها الى آخره دائما أو غالبا واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشئ من ذلك قسط من هذه الآية ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام اليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها الا قليلا ولعله انما حمله على القيام اليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما اذا لم يصل بالكلية قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى ههنا الذين هم يراؤن

وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادى حدثنى أبى حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق فى غير ذات الله وللحاج الى بيت الله وللخارج فى سبيل الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبى عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبى يزيد سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره ورواه ايضا

هذا الزجاج وقيل معنى ضالا لم تكن تدرى القرآن ولا الشرائع فهداك لذلك يعنى ليس المراد به الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان تأمل وقال الكلبى والسدى والفراء وجدك فى قوم ضلال فهداهم الله بك أو فهداك الى ارشادهم أو ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك الله تعالى اليها وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى أن تضل احداهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كما فى قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل وجدك ضائعا فى قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل وجدك محبا للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة كقوله تعالى انك لفى ضلالك القديم وقيل وجدك ضالا فى شعاب مكة فهداك أى ردك الى جدك عبد المطلب وعن ابن عباس قال وجدك بين الضالين فانقذك من ضلالتهم وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى باطل فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان وقيل ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقيل معناه لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره وفيه بعد وأيضا يأباه النظم الكريم وعندى ان الضلال والهدى عامان فى هذه الآية فيشملان كل نوع من أنواع الضلالة والهداية بعد الكفر والشرك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ووجدك عائلا فاغنى) اى وجدك فقيرا لا مال لك فاغناك يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الكلبى فاغنى أى رضاك بما أعطاك من الرزق واختار هذا الفراء قال لانه لم يكن غنيا من كثرة ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى وقيل باعانة الانصار حين الهجرة وقيل فاغنى بما فتح لك من الفتوح والغنائم وفيه نظر لان السورة مكية وقيل بمال خديجة بنت خويلد وتربية أبى طالب أولا وبمال أبى بكر ثانيا وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فاغناك بها

عن محمد رؤيي القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ومما يتعلق بقوله تعالى الذين هم يراؤن انه من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فاعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هرون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فاعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كتب لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال أبو علي هرون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الاعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد ابن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجران أجر السر وأجر العلانية وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار ابن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الاعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف ربه فيه جابر الجعفي وهو ضعيف ولا وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن ابراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن ابراهيم به ثم رواه عن

وفيه بعد قرأ الجمهور عائلا وقرئ عيلا بزنة سيد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سألته قلت قد كانت قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فقال تعالى يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أرفع لك ذكرك قلت بلى يا رب أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر وأخرج ابن مردويه عنه قال لما نزلت والضحى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمن علي ربي وأهل أن يمن ربي ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائنا ما كان قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما قال الاخفش لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك قال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسن الى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى قرأ الجمهور فلا تقهر بالقاف وقرئ بالكاف والعرب تعاقب بين القاف والكاف قال النحاس انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر قال أبو حيان هي لغة يعني قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما أخرجه البخاري وفي الباب أحاديث واليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت تقهر على لا امتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره قاله السمين (وأما السائل فلا تنهر) يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره فهو نهي عن زجر السائل والاغلاظ له ولكن يبذل اليسير القليل أو يرده بالجميل قال الواحدي قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا قال قتادة معناه رد السائل برحمة ولين وقيل المراد بالسائل طالب العلم والدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة وأجبه برفق ولين كذا قال سفيان والسائل منصوب بتنهر والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم

ولا تنهر السائل وهذه النواهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي نواهي لامته صلى الله عليه وآله وسلم لانهم أسوته فكل فرد من أفراد هذه الامة منهي بكل فرد من أفراد هذه النواهي (وأما بنعمة ربك فحدث) أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه واظهارها للناس واشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها أو نوع من أنواعها وقال مجاهد والكلبي المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فامره أن يقرأه قال الفراء وكان يقرؤه ويحدث به وقال مجاهد أيضا المراد بالنعمة النبوة التي أعطاه الله واختار هذا الزجاج فقال اي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أعطاك الله وهي أجل النعم وقال مقاتل يعني اشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر اليتيم والاغناء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر وهذا الامر له صلى الله عليه وآله وسلم هو أمر له ولامته لانهم أسوته في كل ما يأتي ويذر قال الحسن بن علي في الآية ما عملت من الخير فحدثه قال اذا أصبت خيرا فحدث اخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبيهقي في الشعب والخطيب في المتفق قال السيوطي باسناد ضعيف وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أبلى بلاء فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء وأخرج البخاري في الادب وأبو داود والضياء عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أعطي عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط فانه كلابس ثوبي زور وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أولى معروفا فليكافئ به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره أخرجه أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي قال الكرخي والجار والمجرور متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك لانها كالزائدة والتحدث بها نشرها بالشكر والثناء عليه تعالى وقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله ألم يجدك يتيما فآوى وقوله واما السائل الخ مقابل لقوله ووجدك عائلا فأغنى وأما قوله وأما بنعمة ربك الخ فجيء به على العموم وفي

أبي الربيع عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا لهوا عنها حتى ضاق الوقت وهذا أصح اسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وقوله تعالى ويمنعون الماعون أي لا احسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا الى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه اليهم فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال علي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري ان صلى راءى وان فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فمنعوها وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين سأل عبد الله ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودي عن سلمة عن أبي العبيدين انه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي اسحق عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث ان الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر ابن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت سعيد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال الأعمش عن ابراهيم عن الحرث بن سويد عن عبد الله انه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه وقال ابن جرير حدثنا عمر بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة باسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال كل معروف صدقة كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن

مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للامتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجيء أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي اسحق عن الحرث عن علي الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو (٣٠٢) وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الاقوال كلها وترجع كلها الى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف ولهذا جاء في الحديث كل معروف صدقة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري ويمنعون الماعون قال بلسان قريش المال وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في اسناده ومتنه فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دلهم بن دهثم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النميري حدثني قرة بن دعموص النميري انهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما تعهد الينا قال لا تمنعوا الماعون قالوا يارسول الله وما الماعون قال في الحجر وفي الحديدة وفي الماء قالوا فأي الحديدة قال قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به قالوا اما الحجر قال قدوركم الحجارة غريب جدا ورفعه منكر وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم وقد ذكر ابن الاثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال روى ابن مانع بسنده الى عامر بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان النميري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم أخو المسلم اذا لقيه حياه بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون قلت يارسول الله ما الماعون قال الحجر والحديد وأشباه ذلك والله أعلم

آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس ابن مالك قال أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما اما قال لهم واما قالوا له لم ضحكت فقال رسول الله صلى

حكمة تأخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه احدها ان الله غني وهما محتاجان وتقديم المحتاج اولى وثانيها انه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فختمت به وأوثر لخدث على لخبر ليكون عنده حديثا لا ينساه

(سورة ألم نشرح هي ثمان آيات وهي مكية بلا خلاف)

عن عائشة قالت نزلت سورة ألم نشرح بمكة ومثله عن ابن عباس وزاد بعد الضحى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) معنى شرح الصدر فتحه باذهاب ما يصد عن الادراك والاستفهام التقريري اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا لك صدرك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا عنهم بروحه وحاضرا معهم بجسده الشريف والمعنى ألم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسر نالك من تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك قال الراغب اصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وسكينته من جهة الله وروح منه وانما خص الصدر لانه محل احوال النفس من العلوم والادراكات وقيل لان الصدر محل الوسوسة كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجيء أولا الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا لم يجد له مسلكا وطرد حصل الأمن وانشرح الصدر وتيسر القيام باداء العبودية ولم يقل نشرح صدرك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليه صلى الله عليه وآله وسلم كأنه يقول انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي وقد مضى القول في هذا عند تفسير قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قال ابن عباس في الآية شرح الله صدره للاسلام قرأ الجمهور نشرح بسكون الحاء بالجزم وبفتحها قرأ أبو جعفر المنصور العباسي قال الزمخشري قالوا لعله بين

الله عليه وسلم انه أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها فقال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك هكذا رواه الامام أحمد بهذا الاسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث (٣٠٣) مسلم وأبو داود والنسائي من طريق على ابن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ولفظ مسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يارسول الله قال لقد أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من امتي فيقول انك لا تدري ما أحدث بعدك وقد استدل به كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على ان البسملة من السورة وانها منزلة معها فاما قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقد تقدم في هذا الحديث انه نهر في الجنة وقد رواه الامام احمد من طريق اخرى عن انس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن انس انه قرأ هذه الآية انا اعطيناك الكوثر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقا واذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته فاذا مسك أذفر واذا حصباؤه اللؤلؤ وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن ابي عدي عن حميد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وهو لفظ

الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا وخرجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون بلم ويجزمون بلن وهذه ما أظنها تصح وان صحت فليست من اللغات المعتبرة فانها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب باسرها وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل مع شدة جوره ومزيد ظلمه وكثرة جبروته وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها (ووضعنا عنك وزرك) معطوف على معنى ما تقدم لا على لفظه اى قد شرحنا لك صدرك ووضعنا الخ والوزر الذنب اى وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل المعنى حططنا عنك الذى سلف منك في الجاهلية وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم ثم وصف هذا الوزر فقال (الذى انقض ظهرك) قال المفسرون اى ثقل ظهرك قال الزجاج اثقله حتى سمع له نقيض اى صوت وهذا مثل معناه انه لو كان حملا يحمل لسمع نقيض ظهره واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمع له صرير من شدة الحمل قال قتادة كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له وقوم يذهبون الى ان هذا تخفيف اعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت له وكذا قال ابو عبيدة وغيره وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وقيل معناه عصمناك من الوزر الذى ينقض ظهرك ولو كان ذلك الوزر حاصلا قاله الرازي وفيه استعارة تمثيلية حيث سمي العصمة وضعا مجازا ثم ذكر سبحانه منته وكرامته عليه فقال (ورفعنا لك ذكرك) وزيادة لك في الموضعين وعنك في موضع تفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم توضيحه والايضاح بعد الابهام اوقع في الذهن قال الحسن وذلك ان الله لا يذكر في موضع الا ذكر صلى الله عليه وآله وسلم معه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي فيقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال مجاهد يعني بالتأذين وعبارة الخطيب تذكر معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة

البخاري رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل في السماء الدنيا فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس وهو مخرج في الصحيحين وقال سعيد عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر (٣٠٤) حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقال الملك الذي معه أتدري ما هذا هذا الكوثر الذي أعطاك الله وضرب بيده الى أرضه فأخرج من طينه المسك وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الله بن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر قال أبو بكر يا رسول الله انها الناعمة قال أكلها انعم منها وقال احمد حدثنا ابو سلمة الخزاعي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله ابن مسلم بن شهاب عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر قال عمر يا رسول الله انها لناعمة قال أكلها انعم منها يا عمر ورواه ابن جرير من حديث الزهري عن اخيه عبد الله عن انس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن ابي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ثم قال البخاري رواه زكريا وابو الاحوص ومطرف عن ابي اسحق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في بطنان الجنة شاطئاه در مجوف وقال اسرائيل نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن سفيان

وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا انتهى وقيل المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الارض ونرفع ذكرك في الآخرة بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وجلائل المراتب قال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله والظاهر ان هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الامور فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه واخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الله سبحانه من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأمر الله بطاعته صلى الله عليه وآله وسلم كقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وغير ذلك وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السموات والارضين وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لاحد من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان في كل زمان وما أحسن قول حسان رضي الله تعالى عنه

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وقد روي بطرق وقال ابن عباس في الآية لا يذكر الله الا ذكر معه فهو الذي يطوى به الذكر

أبو مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت من أحب ان يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ومعنى هذا انه يسمع نظير ذلك لا انه يسمعه نفسه والله أعلم قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي (٣٠٥) صلى الله عليه وسلم ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله اياه ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء بن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر الخير الكثير وقال الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصري حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس انه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن

الذكر الجليل ويبدأ (فان مع العسر يسرا) اى ان مع الضيقة سعة ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرجا وفي هذا وعد منه سبحانه بان كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلين ومع بمعنى بعد وفي التعبير بها اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسا وحياله جحر فقال لو دخل العسر هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فأنزل الله ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبراني وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا واخرج الطبراني وابن مردويه عنه مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف وعن ابن مسعود مرفوعا لو كان العسر في جحر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه ولن يغلب عسر يسرين ان الله يقول ان مع العسر يسرا الخ اخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابى الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في الشعب قال البزار لا نعلم رواه عن أنس الا عائذ بن شريح قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن ابن مسعود ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريرا وتوكيدا فقال مكررا له بلفظه (ان مع العسر يسرا) أي ان مع ذلك العسر المذكور سابقا يسرا آخر لما تقرر من انه اذا أعيد المعرف يكون الثاني عين الاول سواء كان المراد به الجنس أو العهد بخلاف المنكر اذا أعيد فانه يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالفرد الاول في الغالب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معنى هذه الآية انه لن يغلب عسر يسرين قال الواحدي وهذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والمفسرين على ان العسر واحد واليسر اثنان قال الزجاج ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى ان مع العسر يسرين قيل والتنكير في اليسر للتفخيم والتعظيم وهو في مصحف ابن مسعود غير مكرر قرأ الجمهور بسكون السين في العسر واليسر في الموضعين وقرئ بضمها في الجميع وفيه خلاف هل هو أصل أو مثقل من المسكن وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فرحا مسرورا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي وهذا مرسل وروي نحوه مرفوعا مرسلا عن قتادة ولما عدد سبحانه عليه صلى الله عليه وآله وسلم نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال (فاذا فرغت فانصب)

عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وروى العوفي عن ابن عباس نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد عن جرير عن عطاء بن السائب به مثله موقوفا وقد روي مرفوعا فقال الامام أحمد حدثنا علي بن حفص حدثنا ورقاء قال وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه الخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت انا أعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت

وقال ابن جرير حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حزام ابن عثمان عن عبد الرحمن الاعرج عن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يا نبي الله آنفا عامدا نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار أولا تدخل يا رسول الله فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيأ لك ومريئا لقد جئت وانا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وعرضه يعني أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ حزام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض وهكذا روى عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة وقال عطاء هو حوض في الجنة

وقوله تعالى فصل لربك وانحر أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته وار يتون فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والربيع وعطاء الخراساني والحكم واسمعيل بن أبي خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال

أي اذا فرغت من صلاتك أو من التبليغ أو من الغزو فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك أو فانصب في العبادة واتعب في الدعاء قبل السلام وبعده والنصب التعب يقال نصب ينصب نصبا أي تعب قال قتادة والضحاك ومقاتل والكلبي اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك وكذا قال مجاهد قال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وكذا قال الزهري وقال الكلبي أيضا اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك وفيه نظر لان السورة مكية والامر بالجهاد انما كان بعد الهجرة فلعله تفسير الذاهب الى ان السورة مدنية وقال مجاهد أيضا اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وقال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء واسأل الله وارغب اليه وعنه قال قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغت من الصلاة وتشهدت فانصب الى ربك واسأله حاجتك وعن ابن مسعود قال فانصب الى الدعاء والى ربك فارغب في المسئلة وعنه قال اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل قال عمر بن الخطاب اني أكره ان أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) المحسن اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) أي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه قال الزجاج أي اجعل رغبتك الى الله وحده وقال عطاء يريد انه يضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة والمعنى انه يرغب اليه سبحانه لا الى غيره كائنا من كان فلا يطلب حاجاته الا منه ولا يعول في جميع أموره الا عليه قرأ الجمهور فارغب وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة فرغب بتشديد الغين أي فرغب الناس الى الله وشوقهم الى ما عنده من الخير

(سورة والتين هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور)

وروى القرطبي عن ابن عباس انها مدنية ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال أنزلت سورة التين بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فصلى العشاء فقرأ في احدى الركعتين بالتين

تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية وقيل المراد بقوله وانحر وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن علي ولا يصح وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر وانحر يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل وانحر أي استقبل بنحرك القبلة ذكر هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن ابراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا اسرائيل بن حاتم المروزي حدثنا مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن علي ابن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم انا (٣٠٧) أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي فقال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ارفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وهكذا رواه الحاكم في المستدرك من حديث اسرائيل بن حاتم به وعن عطاء الخراساني وانحر أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وابرز نحرك يعني به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الاقوال غريبة جدا والصحيح القول الاول ان المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله اني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت ان اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال شاتك شاة لحم قال فان عندي عناقا هي أحب الي من شاتين أفتجزي عني قال تجزيك ولا تجزي أحدا بعدك قال ابو جعفر بن جرير والصواب قول من قال ان معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الانداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الاوثان شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له وخصك به وهذا الذي قاله في غاية الحسن وقد سبقه الى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء وقوله تعالى ان شانئك هو الابتر أي ان مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الابتر الاقل الاذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت في العاص بن وائل وقال محمد بن اسحق عن يزيد

والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا ولا قراءة منه وعنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب فقرأ بالتين أخرجه الخطيب وعن عبد الله بن يزيد نحوه عند الطبراني وابن أبي شيبة وعن زرعة بن خليفة قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليمامة فعرض علينا الاسلام فأسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وانا أنزلناه في ليلة القدر أخرجه ابن قانع وابن السكن والشيرازي في الالقاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين) قال أكثر المفسرين هو التين الذي يأكله الناس وانما أقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيها أعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك وجعلها على مقدار اللقمة قال كثير من أهل الطب ان التين أنفع الفواكه للبدن وأكثرها غذاء وذكروا له فوائد كما في كتب المفردات والمركبات وهو غذاء ودواء أما كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد وسدده والطحال ويقطع البواسير ويزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما كونه دواء فلانه سبب في اخراج فضلات البدن وهو مأكول الظاهر والباطن دون غيره كالجوز واتمر والتين في النوم رجل غير جبار ومن ناله في المنام نال مالا ومن أكلها منا ما رزقه الله اولادا وتستر آدم بورق التين حين فارق الجنة ويشبه فواكه الجنة لانه بلا عجم وفاكهة طيبة لا فضل له ينفع من النقرس وقال الضحاك التين المسجد الحرام وقيل مسجد أصحاب الكهف وقال ابن زيد مسجد دمشق وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق وقال عكرمة وكعب الاحبار التين دمشق وعن ابن عباس قال التين بلاد الشام وفي سنده مجهول وعنه قال مسجد نوح الذي بنى على الجودي وعنه قال الفاكهة التي يأكلها الناس (والزيتون) وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو ادام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الادوية وقال الضحاك المسجد الاقصى وقال ابن زيد مسجد بيت المقدس وقال قتادة الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الاحبار بيت المقدس وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفي سنده مجهول وقال أيضا بيت المقدس وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الائمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية

ابن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله هذه السورة وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من كفار قريش وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى الى هذا الصبي المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال (٣٠٨) فنزلت ان شانئك هو الابتر هكذا رواه البزار وهو اسناد صحيح وعن عطاء قال نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب الى المشركين فقال بتر محمد الليلة فانزل الله في ذلك ان شانئك هو الابتر وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه ان شانئك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة الابتر الفرد وقال السدى كانوا اذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بتر محمد فانزل الله ان شانئك هو الابتر وهذا يرجع الى ما قلناه من أن الابتر الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه اذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشى وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رؤس الاشهاد وأوجب شرعه على رقاب العباد مستمرا على دوام الآباد الى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم التناد آخر تفسير سورة الكوثر ولله الحمد والمنة

*(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهي مكية)

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمقت

والعدول الى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات لا ترجع الى عقل ونقل وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية قال الفراء سمعت رجلا يقول التين جبال حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام قلت هب انك سمعت هذا الرجل فكان ماذا فليس بمثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشارع وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد ايلياء وقيل انه على حذف مضاف أي ومنابت التين والزيتون قال النحاس لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال الرازي أما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه ويستصبح به ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (وطور سينين) وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام اسمه الطور ومعنى سينين المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة وقال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال مجاهد والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر وسينين وسينا بلغة النبط قال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينة قال أبو علي الفارسي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة وانما أقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة كما في قوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام قرأ الجمهور سينين بكسر السين وقرئ بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرئ (١) سيناء بالكسر والمد وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء العجمية (وهذا البلد الامين) يعني مكة سماه أمينا لانه آمن كما قال انا جعلنا حرما آمنا يقال أمن الرجل امانة فهو أمين قال الفراء وغيره الامين بمعنى الآمن أو فعيل بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل قال ابن عباس أي مكة يعني لامن الناس فيها جاهلية واسلاما (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) هذا جواب القسم أي خلقنا جنس الانسان كائنا في أحسن تقويم وتعديل لصورته وقال ابن عباس في أحسن خلق قال الواحدي قال المفسرون ان الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده ومزينا بالعلم والفهم والنطق والعقل والتمييز والادب فهو أحسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ومعنى التقويم التعديل يقال قومته فاستقام والمراد القوام لان التقويم فعل الباري تعالى قال القرطبي هو اعتداله واستواء شبابه كذا

(١) وهذه قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة رضي الله عنهم اهـ مصححه

النبي صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي اسحق به وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد تقدم في الحديث انها تعدل ربع القرآن واذا (٣٠٩) زلزلت تعدل ربع القرآن وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو اسحق عن فروة ابن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له هل لك في ربيبة لنا تكفلها قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال ما فعلت الجارية قال تركتها عند أمها قال فمجيء ما جاء بك قال جئت لتعلمني شيأ أقوله عند منامي قال اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك تفرد به أحمد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو القطراني حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبي اسحق عن جبلة ابن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فانها براءة من الشرك وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن ابن (٣) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أخذ مضجعه قرأ قل يا أيها الكافرون حتى يختمها وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي اسحق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمني شيأ أقوله عند منامي قال اذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك والله أعلم * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد

قال عامة المفسرين قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان فان الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب سبحانه وعليها حمل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي تقدم ذكرها قلت وينبغي أن يضم الى كلامه هذا قوله سبحانه ليس كمثله شيء وقوله ولا يحيطون به علما ومن أراد أن يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الانسان من بديع الخلق وعجيب الصنع فلينظر في كتاب العبر والاعتبار للجاحظ وفي الكتاب الذي عقده النيسابوري على قوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهو في مجلدين ضخمين روى أن رجلا قال لامرأته أن لم تكوني أحسن من القمر فأنت طالق فأفتى بعض أهل العلم بانها صارت مطلقة وقال الشافعي لم تطلق لانها من جنس الانسان والله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم فلو كان القمر أحسن صورة من الانسان لم يصفه الله سبحانه بأحسن تقويم ولنعم ما قيل

ما أنت مادحها يا من يشبهها * بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها * ومضحك من نظام الدر في فيها
من أين للبدر أجفان مكحلة * بالسحر والغنج تجري في حواشيها

(ثم رددناه أسفل سافلين) أي رددناه الى أرذل العمر قاله ابن عباس وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله كذا قال جماعة من المفسرين قال الواحدي والسافلون هم الضعفاء والزمناء والاطفال والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله قاله الخازن وقال مجاهد وأبو العالية والحسن المعنى ثم رددنا الكافر الى النار وذلك ان النار درجات بعضها أسفل من بعض فالكافر يرد الى أسفل الدرجات السافلة ولا ينافي هذا قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الاسفل وقوله أسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه أسفل سافلين او صفة لمقدر محذوف أي مكانا أسفل سافلين (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا الاستثناء منقطع على القول الاول أي لكن الذين آمنوا الخ ووجهه ان الهرم والرد الى أرذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه

(٣) هنا بياض في بعض النسخ وفي بعضها بعد معقل الزبيدي ما نصه عن عبد البر أخضر أو أجر الى آخر ما هو مذكور عقب علامة ٣ فحرر ونعوذ بالله من سقم النسخ اه مصححه

ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) هذه السورة سورة البراءة فى العمل الذى يعمله المشركون وهى آمرة بالاخلاص فيه فقوله قل يا أيها الكافرون تشمل كل كافر على وجه الارض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل انهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال لا أعبد ما تعبدون يعنى من الاصنام والانداد ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الله وحده لا شريك له فما ههنا بمعنى من ثم (٣١٠) قال ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد أى ولا أعبد عبادتكم أى لا أسلكها ولا اقتدى بها وانما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ولهذا قال ولا أنتم عابدون ما أعبد أى لا تقتدون باوامر الله وشرعه فى عبادته بل قد اخترعتم شيأ من تلقاء أنفسكم كما قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتبرأ منهم من فى جميع ما هم فيه فان العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها اليه فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمد رسول الله أى لا معبود الا الله ولا طريق اليه الا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكم دينكم ولى دين كما قال تعالى وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وانا برىء مما تعملون وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقال البخارى يقال لكم دينكم الكفر ولى دين الاسلام ولم يقل دينى لان الآيات بالنون فحذف الياء كما قال فهو يهدين ويسقين وقال غيره لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقى من [illegible] عمرى ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم الذين قال وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية ان ذلك من باب التأكيد كقوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وحكاه بعضهم كابن الجوزى وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم فهذه ثلاثة أقوال أولها ما ذكرناه أو الثانى ما حكاه البخارى وغيره [illegible]

الاتصال معنى وعلى القول الثانى متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع أى رددنا الانسان أسفل سافلين من النار الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشهاب الاستثناء منقطع لانه لم يقصد اخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به فى الاصول لا الخروج والدخول كما توهم فلا يرد عليه انه كيف يكون منقطعا مع انهم مردودون أيضا فهو للاستدراك لدفع ما يتوهم من ان التساوى فى ارذل العمر يقتضى التساوى فى غيره ويكون الذين حينئذ مبتدأ والفاء داخلة فى خبره لا للتفريع كما فى الاتصال وقيل المعنى رددناه الى الضلال كما قال ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى الا هؤلاء فلا يردون الى ذلك (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم فهذه الجملة على القول الاول مبينة لكيفية حال المؤمنين وعلى الثانى مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد قال ابن عباس (١) فى الآية أجر غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن ارذل العمر وكان يعمل فى شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل فى صحته وشبابه ولم يضره ما عمل فى كبره ولم تكتب عليه الخطايا التى يعمل بعد ما يبلغ ارذل العمر وعنه قال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه الى قوله الصالحات قال لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيأ وعنه قال يقول الى الكبر وضعفه فاذا كبر وضعف عن العمل كتب له مثل أجر ما كان يعمل فى شبيبته وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب الله له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما (فما يكذبك بعد بالدين) الخطاب للانسان الكافر والاستفهام للتقريع والتوبيخ والزام الحجة أى اذا عرفت أيها الانسان ان الله خلقك فى أحسن تقويم وانه يردك أسفل سافلين فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء وعليه ينبغى ان يذهب الى الالتفات من الغيبة الى الخطاب لما جرى من قوله ولقد خلقنا الانسان وعليه جرى فى الكشاف وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أى أى شئ يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله انه أحكم الحاكمين والى هذا ذهب الثانى وقدمه على القول الاول قال الفراء المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين [illegible] قال من يقدر على ذلك أى على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر [illegible]

(١) اخرجه [illegible] وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه [illegible]

من قدرتنا على خلق الانسان ما ظهر واختار هذا ابن جرير والدين الجزاء (أليس الله) أى أليس الذى فعل ما فعل مما ذكرنا (بأحكم الحاكمين) صنعا وتدبيرا وأقضى القاضين وأصحهم وأنفذهم حكما وقضاء حتى تتوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه وعيد شديد للكفار والمعنى اتقن الحاكمين فى كل ما يخلق وقيل أحكم الحاكمين قضاء وعدلا والاستفهام اذا دخل على النفى صار الكلام ايجابا وتقريرا كما تقدم فى ألم نشرح وعن أبى هريرة مرفوعا من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذى وابن مردويه وعن جابر مرفوعا اذا قرأت التين فقرأت أليس الله الخ فقل بلى أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم فبلى أخرجه ابن جرير وابن المنذر

(سورة اقرأ ويقال انها سورة العلق وسورة القلم وهى تسع عشرة آية وقيل عشرون آية)

وهى مكية بلا خلاف وهى أول ما نزل من القرآن قاله ابن عباس وعن أبى موسى الاشعرى قال هو أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها نحوه ويدل على هذا الحديث الطويل الثابت فى البخارى ومسلم وغيرهما من حديثها وفيه فجاءه الحق وهو فى غار حراء فقال له الملك اقرأ الحديث وفى الباب أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة وقد ذهب الجمهور الى ان هذه السورة أول ما نزل من القرآن ثم بعده نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر الى آخر ما ذكره الخازن فى أول تفسيره فانه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة قال القاضى أبو بكر بن الطيب ترتيب السور على ما هى عليه اليوم فى المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة وذكر ذلك مكى فى تفسير سورة براءة وذكر أن ترتيب الآيات ووضع البسملة فى الاوائل هو من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولما لم يؤمر بذلك فى أول سورة براءة تركت بلا بسملة وهذا أصح ما قيل فى ذلك وقال قوم ان ترتيب السور عن توقيف من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما روى من اختلاف مصحف أبى وعلى وعبد الله فانما كان قبل عرض القرآن على جبريل فى المرة الاخيرة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك روى يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر

من المفسرين ان المراد لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الماضى ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد فى المستقبل الثالث ان ذلك تأكيد محض وثم قول رابع نصره أبو العباس بن تيمية فى بعض كتبه وهو أن المراد بقوله لا أعبد ما تعبدون نفى الفعل لانها جملة فعلية ولا أنا عابد ما عبدتم نفى قبوله لذلك بالكلية لان النفى بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الامكان الشرعى أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم وقد استدل الامام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة لكم دينكم ولى دين على ان الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس اذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لان الاديان ما عدا الاسلام كلها كالشئ الواحد فى البطلان وذهب أحمد ابن حنبل ومن وافقه الى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث أهل ملتين شتى آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

(تفسير سورة اذا جاء نصر الله والفتح وهى مدنية)

قد تقدم انها تعدل ربع القرآن واذا زلزلت تعدل ربع القرآن وقال النسائى أخبرنا محمد بن اسمعيل بن ابراهيم أخبرنا جعفر عن أبى العميس ح وأخبرنا محمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال لى ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت قلت نعم اذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة الربذى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط أيام التشريق فعرف انه الوداع فأمر براحلته القصوى ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبد الصفار حدثنا الاسفاطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الى نفسى فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرنى انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال اصبرى فانك أول أهلى لحاقا بى فضحكت وقد رواه النسائى كما سيأتى بدون

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) قال البخارى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا (٣١٢) وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها الا ما تقول تفرد به البخارى وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الى نفسى فانه مقبوض فى تلك السنة تفرد به احمد وروى العوفى عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد انه اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى اليه وقال ابن جرير حدثنى اسمعيل ابن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفى عن معمر عن الزهرى عن أبى حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة اذ قال الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن قيل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية ثم رواه عن ابن عبد الاعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلا وقال الطبرانى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا ابو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت قال [illegible] أشد ما [illegible] قط اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح ونصر الله وجاء اهل اليمن

أبو بكر بن الانبارى فى كتاب الرد أن الله أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عشرين سنة فكانت السورة تنزل فى أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على موضع السورة والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام عن رب العالمين فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ) قرأ الجمهور بسكون الهمزة امرا من القراءة وقرئ بفتح الراء وكأنه قلب الهمزة ألفا ثم حذفها للامر والامر بالقراءة يقتضى مقروأ فالتقدير اقرأ ما يوحى اليك أو ما نزل عليك أو ما أمرت بقراءته وقوله (باسم ربك) متعلق بمحذوف هو حال أى اقرأ متلبسا باسم ربك أو مبتدأ به أو مفتتحا أو الباء زائدة أى اقرأ اسم ربك قاله أبو عبيدة وقال أيضا والاسم صلة أى اذكر ربك وقيل الباء بمعنى على أى اقرأ على اسم ربك يقال افعل كذا باسم الله وعلى اسم الله قاله الاخفش وقيل الباء للاستعانة أى مستعينا به وبسم الله تكتب من غير ألف استغناء عنها بباء الالصاق فى اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانها لم تحذف فيه لقلة الاستعمال عن عبد الله بن شداد قال أتى جبريل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اقرأ فقال وما اقرأ فضمه ثم قال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم أخرجه ابن أبى شيبة وابن جرير وأبو نعيم فى الدلائل وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما انا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ثم الظاهر أن هذه الجملة ليست من القرآن لان الامر بتحصيل الشئ غير ذلك الشئ ولكن قام الاجماع على انها من جملة

القرآن

القرآن خصوصا مع اثباتها فى المصاحف بخطها سلفا وخلفا من غير نكير فعلم منه انها من جملة القرآن تأمل قال السيوطى فى اتقانه ان أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفى هذا الاشارة الى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله انتهى ذكره ابن لقيمة فى حاشية البيضاوى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وآله وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية قاله أبو السعود ثم وصف الرب بقوله (الذى خلق) لتذكيره أول النعم الفائضة عليه منه تعالى لان الخلق هو أعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم قال الكلبى يعنى الخلائق وفيه تنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة (خلق الانسان من علق) يعنى بنى آدم والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق بجمع علقة لان المراد بالانسان الجنس والمعنى خلق جنس الانسان من جنس العلق واذا كان المراد بقوله الذى خلق كل المخلوقات فيكون تخصيص الانسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع واذا كان المراد بالذى خلق الذى خلق الانسان فيكون الثانى تفسيرا للاول والنكتة ما فى الابهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه الى معرفة ما أبهم أولا ثم فسر ثانيا وقال من علق ولم يقل من نطفة مراعاة للفواصل ثم كرر الامر بالقراءة للتأكيد والتقرير فقال (اقرأ) أى افعل ما أمرت به من القراءة وجملة (وربك الاكرم) مستأنفة لازاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وآله وسلم من قوله ما أنا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وهو أمى فقيل له اقرأ وربك الذى أمرك بالقراءة هو الاكرم قال الكلبى يعنى الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقيل انه أمره بالقراءة أولا لنفسه ثم أمره بالقراءة ثانيا للتبليغ فلا يكون من باب التأكيد والاول أولى والاكرم صفة تدل على المبالغة فى الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم لانه ينعم بالنعم التى لا تحصى قال فى الجمل ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التى هى صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعد السعداء فى ديار مصر ويدعوهم بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيا لها من خزى يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى (الذى علم بالقلم) أى علم الانسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على ان يعلم كل مكتوب قال الزجاج علم الانسان الكتابة بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط

فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح علم النبى صلى الله عليه وسلم ان قد نعيت اليه نفسه فقيل اذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين ان عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية اذا جاء نصر الله والفتح قال لما نزلت نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وقال الطبرانى حدثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعى حدثنا أبى حدثنا جعفر ابن عون عن أبى العميس عن أبى بكر بن أبى الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا جاء نصر الله والفتح وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابى البخترى الطائى عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها وقال الناس حيز وانا وأصحابى حيز وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعد

بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت أمور الدين ولا أمور الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا القلم والخط لكفى به وسمى قلما لانه يقلم أي يقطع وأول من خط به ادريس وقيل آدم وقد حققنا أحوال القلم وما يتعلق به في كتابنا الاكسير في أصول التفسير فان شئت فارجع اليه وجملة (علم الانسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من التي قبلها أي علمه بالقلم من الامور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها قيل المراد بالانسان هنا آدم كما في قوله وعلم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاولى حمل الانسان على العموم والمعنى أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم (كلا) ردع وزجر لمن كفر بنعم الله عليه بسبب طغيانه وان لم يتقدم له ذكر وقيل معناه حقا وهو مذهب الكسائي ومن تبعه لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر ومذهب أبي حيان انها بمعنى ألا الاستفتاحية وصوبه ابن هشام لكسر همزة ان بعدها أي لكونه مظنة جملة كما بعد حرف التنبيه نحو ألا انهم هم المفسدون ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت ان بعدها لكونها مظنة مفرد وفي الكواشي يجوز في كلا أن تكون تنبيها فيتعين على ما قبلها وردعا فيقف عليها ومعنى (ان الانسان ليطغى) أنه يجاوز الحد ويستكبر على ربه قيل المراد بالانسان هنا أبو جهل وهو المراد بهذا وما بعده الى آخر السورة وانه تأخر نزول هذا وما بعده عن الخمس الآيات المذكورة في أول هذه السورة وقوله (أن رآه استغنى) علة ليطغى أي ليطغى أن رأى نفسه مستغنيا والرؤية هنا بمعنى العلم ولو كانت بصرية لامتنع الجمع بين الضميرين في فعلها لشيء واحد لان ذلك من خواص باب علم ونحوه قال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك خارجا قيل والمراد هنا أنه استغنى بالعشيرة والأنصار والاموال قرأ الجمهور أن رآه بمد الهمزة وقرئ بقصرها قال مقاتل كان أبو جهل اذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وكذا قال الكلبي قال الرازي أول السورة يدل على مدح العلم وآخرها يدل على ذم المال وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم هدد سبحانه وخوف فقال (ان الى ربك الرجعى) أي المرجع والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه مرجعا ورجوعا ورجعى وتقدم الجار والمجرور للقصر أي الرجعى اليه سبحانه لا الى غيره وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان [illegible] الى النقصان والفقر والموت كما رده من النقصان الى الكمال حيث نقله من الجمادية الى الحيوانية ومن الفقر الى الغنى ومن الذل الى العز فما هذا التعزز والقوة قال الرازي (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) قال المفسرون الذي ينهى أبو جهل والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام حين رمى رسول الله صلى الله

على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثا ولكن هذا يخاف ان تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى ان تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق تفرد به احمد وهذا الذي انكره مروان على ابي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة ولكن جهاد ونية ولكن اذا استنفرتم فانفروا اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم اجمعين من انه قد أمرنا اذا فتح الله علينا المدائن والحصون ان نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بانه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الاقامة بمكة ولهذا أقام فيها الى [illegible] عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وانما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لامير الجيش اذا فتح بلدا ان يصلي فيه أول ما دخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي [illegible] يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم

عليه وآله وسلم بالـلى على ظهره وهو ساجد لله عزوجل وفيه تقبيح لصنعه وتشنيع لفعله حتى كأنه بحيث يراه كل من تتأتى منه الرؤية وعن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو فعل لاخذته الملائكة عيانا (أرأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى اذا صلى وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أو أمر بالتقوى) أى بالاخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذى تتقى به النار (أرأيت ان كذب وتولى) يعنى ابا جهل كذب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عن الايمان وقوله أرأيت فى الثلاثة المواضع بمعنى أخبرنى لان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها والخطاب لكل من يصلح له وقد ذكر هنا أرأيت ثلاث مرات وصرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون فى موضع المفعول الثانى لها ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذى ينهى الواقع مفعولا أول لأرأيت الاولى ومفعول أرأيت الاولى الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثانية وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة مفعول ارايت الثالثة عليه فقد حذف الثانى من الاولى والاول من الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من رأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعى اضمارا والجمل لا تضمر انما تضمر المفردات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة وأما جواب الشرط المذكور مع أرأيت فى الموضعين الاخيرين فهو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى (ألم يعلم بأن الله يرى) وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى ومعنى ألم يعلم الخ أى ألم يطلع على أحواله فيجازيه بها فكيف اجترأ على ما اجترأ عليه والاستفهام للتقريع والتوبيخ وقيل أرأيت الاولى مفعولها الاول الموصول ومفعولها الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالمذكور وأرأيت فى الموضعين تكرير للتأكيد وقيل كل واحد من أرأيت بدل من الاولى وألم يعلم بأن الله يرى الخبر (كلا) ردع للناهى ومنع له عن نهيه واللام فى (لئن لم ينته) هى الموطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) السفع الجذب الشديد ويقال سفعت الشئ اذا قبضته وجذبته ويقال سفع بناصية فرسه قال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس أى بسواد ناصيته وباعتبار السواد قيل به سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخانى من اشتد به الغضب وقيل للصقر أسفع لما فيه من لمع السواد وامرأة سفعاء اللون انتهى وقيل هو مأخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى سواد والمعنى لنأخذن بناصيته ولنجرنه الى النار وهذا كقوله فيؤخذ بالنواصى والاقدام وقيل فى الدنيا يوم بدر فقد جر المسلمون الى القتل فقد قتله ابن مسعود وهو طريح بين القتلى وبه رمق وهو يخور وعبر بالناصية عن جميع الشخص واكتفى بتعريف العهد عن الاضافة لانه علم انها ناصية الناهى (ناصية) وهى شعر مقدم الرأس وانما أبدل النكرة من المعرفة لوصفها

يصليها كلها بتسليمة واحدة والصحيح انه يسلم من كل ركعتين كما ورد فى سنن أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضى الله تعالى عنهما من ان هذه السورة نعى فيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم انك اذا فتحت مكة وهى قريتك التى أخرجتك ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك فى الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود الينا فالآخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال النسائى أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد ابن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ فى أشد ما كان اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر

بقوله (كاذبة) أى فى قولها (خاطئة) فى فعلها وهذا على مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال النكرة من المعرفة الا بشرط وصفها وأما على مذهب البصريين فيجوز بلا شرط قرأ الجمهور بالجر وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ أى هى ناصية وقرئ بالنصب على الذم قال مقاتل أخبر عنه بانه فاجر خاطئ فقال ناصية كاذبة خاطئة تأويلها صاحبها كاذب خاطئ وفى هذا الاسناد المجازى من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه لان النادى هو المجلس الذى يجلس و ينتدى فيه القوم و يجتمعون فيه من الاهل والعشيرة ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى ليدع عشيرته وأهله ليعينوه و ينصروه قيل ان أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (فليدع ناديه) قال ابن عباس أى ناصره (سندع الزبانية) أى الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم كذا قال الزجاج وقال الكسائى والأخفش وعيسى بن عمر واحدهم زابن وقال أبو عبيدة زبنية (١) وقيل زبانى بتشديد الياء وقيل هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبابيل وقال قتادة هم الشرط فى كلام العرب وأصل الزبن الدفع والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قرأ الجمهور سندع بالنون ولم يرسم الواو كما فى قوله يوم يدع الداع وقرئ سيدعى على البناء للمفعول ورفع الزبانية على النيابة والسين فى سندع ليست للشك فانه من الله واجب لانه ينتقم لرسوله من عدوه وعن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا انك لتعلم ان ما بها رجل أكثر ناديا منى فانزل الله هذه الآية فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فقيل ما يمنعك فقال قد اسود ما بينى وبينه قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه أخرجه أحمد والترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائى والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيده فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة يعنى أبا جهل فليدع ناديه يعنى قومه سندع الزبانية يعنى الملائكة ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا لا تطعه) فيما دعاك اليه من ترك الصلاة (واسجد) أى صل لله غير مكترث به ولا مبال بنهيه (واقترب) أى تقرب اليه سبحانه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء وقال زيد بن أسلم واسجد أنت يا محمد واقترب أنت يا أبا جهل من النار والاول أولى والسجود هذا الظاهر ان المراد به الصلاة وعبر عنها بالسجود لانه أفضل أركانها بعد القيام وقيل سجود التلاوة ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من السجود عند تلاوة هذه الآية وقد قدمنا ان النبى صلى الله

يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة الا الترمذى من حديث منصور به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فى آخر أمره من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال ان ربى كان أخبرنى انى سأرى علامة فى أمتى وأمرنى اذا رأيتها ان أسبح بحمده وأستغفره انه كان توابا فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ورواه مسلم من طريق داود وهو ابن أبى هند به وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبى عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجئ الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجئ ولا

(١) بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه وتخفيف الياء من الزبن وهو الدفع أو واحده زابن على النسب وأصله زبانى بتشديد الياء فالتاء عوض عن الياء قاله البخارى فى المختار واحد الزبانية زبانى

عليه وآله وسلم كان يسجد فى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك الذى خلق وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء أخرجه مسلم

(سورة القدر هى خمس آيات قال المحلى او ست آيات)

قال سليمان الجمل ولم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا بل اقتصروا على كونها خمسا ولعل قائل هذا القول يعد تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة ثم رأيت فى السمين ما يشير اليه انتهى وهى مكية عند اكثر المفسرين كذا قال الماوردى وقال الثعلبى هى مدنية فى قول اكثر المفسرين وهو الاصح وذكر الواقدى انها اول سورة نزلت بالمدينة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت بمكة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه) الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر عظمه حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى انزله فيه والنون فى انا للتعظيم روى انه أنزل جملة واحدة (فى ليلة القدر) الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم كان ينزل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم نجوما على حسب الحاجة وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وعشرون سنة وفى آية اخرى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر وفى آية اخرى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وليلة القدر فى شهر رمضان قال مجاهد فى ليلة القدر ليلة الحكم وقد اخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل وغيرهم عن ابن عباس أنزل القرآن فى ليلة القدر حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم جعل جبريل ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم ومعلوم ان الانزال مستعار للمعانى من الاجرام شبه نقل القرآن من اللوح الى السماء وثبوته فيها بنزول جسم من علو الى سفل فعلى هذا هو مجاز مستعار قيل سميت ليلة القدر لان الله سبحانه يقدر فيها ما يشاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك وقيل انها سميت بذلك لعظم قدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر أى شرف ومنزلة كذا قال الزهرى وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقال الخليل سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه أى ضيق والاحاديث فى فضل ليلة القدر كثيرة وكذا فى تعيينها وليس هذا موضع بسطها وقد اختلف فى تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولا قد ذكرناها بادلتها وبينا الراجح منها فى شرحنا لبلوغ المرام المسمى بمسك الختام وذكرها الشوكانى فى شرحه لمنتقى الاخبار المسمى بنيل الاوطار (وما أدراك ما ليلة القدر) فى هذا الاستفهام تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها الا الله سبحانه والمعنى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها قال سفيان كل ما فى القرآن من قوله وما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما

تقوم ولا تقعد الا قالت سبحان الله وبحمده قال انى أمرت بها فقال اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة غريب وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه فى جزء مفرد فيكتب ههنا وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان يكثر اذا قرأها وركع أن يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم ثلاثا تفرد به أحمد ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبى اسحق به والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحدا فان أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومه فهو نبى فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب ايمانا ولم يبق فى سائر قبائل العرب الا مظهر للاسلام ولله الحمد والمنة وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبى الحديث وقد حررنا غزوة الفتح كتابنا السيرة فمن أراده فليراجعه هنالك ولله الحمد والمنة وقال الامام أحمد حدثنا محمد او

يدريك فلم يدره وكذا قال الفراء والمعنى أى شئ يجعلك داريا بها ثم بين فضلها من ثلاثة أوجه أولها قوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر قال كثير من المفسرين اى العمل فيها خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر واختار هذا الفراء والزجاج وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير فى ليلة كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما فى هذه الليلة وقيل أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف فى كثير من الاشياء على طريق المبالغة وقيل وجه ذكر ألف الشهر ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر فجعل الله لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبادة ليلة خيرا من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها وقيل ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى أعمار أمته قصيرة فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته عن أنس فى الآية قال العمل فى ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة افضل من الف شهر [illegible] الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرى بنى امية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر يا محمد يعنى نهرا فى الجنة ونزلت انا انزلناه فى ليلة القدر الى قوله الف شهر [illegible] بنو أمية قال القاسم [illegible] فاذا هى الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما المراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور فى اسناده اخرجه الترمذى وضعفه وابن جرير والطبرانى والحاكم وابن مردويه [illegible] قال الترمذى ان يوسف هذا مجهول يعنى يوسف بن سعد الذى رواه عن الحسن بن على [illegible] ابن كثير فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفى رواية عنه هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم ابن الفضل عن عيسى بن مازن قال ابن كثير ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا [illegible] المزى هو حديث منكر وقول القاسم بن الفضل انه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر الخ ليس بصحيح فان جملة مدتهم من عند ان استقل بالملك معاوية وهى سنة أربعين الى أن سلبهم الملك بنو العباس وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة مجموع ذلك اثنتان وتسعون [illegible] وعن ابن عباس [illegible] وما روى عن الحسن بن على وعن سعيد بن المسيب مروى من [illegible]

(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) وهى مستأنفة مبينة لوجه فضلها [illegible] الله التى صارت بها خيرا من ألف شهر وهذا هو الوجه الثانى [illegible] باذن الامر ومعنى تنزل تهبط من السموات الى الارض والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين أى ومعهم جبريل ووجه ذكره بعد دخوله فى الملائكة [illegible] شأنه وقيل الروح صنف من الملائكة هم أشراف [illegible] الملائكة وقيل الروح [illegible] [illegible]

(كل أمر) من الامر والتى قضى الله بها فى تلك السنة وقيل ان من بمعنى اللام أى لكل أمر

ابو اسحق عن الاوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءنى جابر بن عبد الله فسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة تبت وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) قال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال أرأيتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا تبا لك فانزل الله تبت يدا أبى لهب وتب الى آخرها وفى رواية [illegible] وهو يقول تبا لك [illegible] [illegible] [illegible]

وقيل هي بمعنى الباء أي بكل أمر فهي للتعدية قاله أبو حاتم قرأ الجمهور أمر وهو واحد الامور وقرئ امرئ (١) مذكر امرأة أي من أجل كل انسان وتأولها الكلبي على ان جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل انسان فمن على هذا بمعنى على والاول أولى وقد تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ بفضلها الثالث فقال (سلام هي) أي ماهي الا سلامة وخير كلها الا شرفيها وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ ولا أذى وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك أيها المؤمن وقيل يعني سلام الملائكة بعضهم على بعض وقال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته وعن ابن عباس في الآية قال في تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها أبواب السماء كلها ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب فلذا قال سلام هي (حتى مطلع الفجر) قال وذلك من غروب الشمس الى أن يطلع الفجر أي حتى وقت طلوعه قرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وقرئ بكسرها فقيل هما لغتان في المصدر والفتح أكثر نحو المخرج والمقتل وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر وقيل العكس وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر

*(سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية هي ثمان آيات أو تسع آيات

وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت نزلت سورة لم يكن بمكة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن قال وسماني لك قال نعم فبكى وفيه فضيلة عظيمة لابي حيث أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ عليه وعن أبي حبة البدري قال لما نزلت لم يكن الى آخرها قال جبريل يارسول الله ان الله يأمرك ان تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ان جبريل أمرني ان أقرئك هذه السورة فقال أبي وقد ذكرت ثم يارسول الله قال نعم فبكى أخرجه أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه قيل ان أبيا كان أسرع أخذا للالفاظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاراد بقراءته صلى الله عليه وآله وسلم عليه ان يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرأو غيره وعن اسمعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يستمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي وعزتي وجلالي لامكنن لك في الجنة حتى ترضى اخرجه أبو نعيم في المعرفة قال ابن كثير حديث غريب جدا واخرجه أبو موسى المديني عن مطر المزني أو المدني بنحوه

عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وانما سمي أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فاسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا قال لا والله اني يومئذ لأعقل أني أزفر القربة تفرد به أحمد وقال محمد بن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول اني لمع أبي رجل شاب أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم ان تعبد

(١) هذه قراءة علي وابن عباس وعكرمة والكلبي رضي الله ه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان (والمشركين) المراد بهم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان وقرأ ابن مسعود لم يكن المشركون وأهل الكتاب قال ابن العربي وهي قراءة في معرض البيان لا في معرض التلاوة وقرأ أبي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على الموصول وسمي أهل الكتاب كفارا مع ايمانهم بكتابهم ونبيهم لانهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد فكفروا بذلك فانه قيل ان اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث وهذا يقتضي كفر جميع اهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظاهر خلافه ولذا قال الماتريدي ان من تبعيضية لان منهم من آمن (منفكين) يقال فككت الشئ فانفك اي انفصل والمعنى انهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عما هم عليه (حتى تأتيهم) أي اتتهم (البينة) اي الحجة الواضحة وقيل الانفكاك بمعنى الانتهاء و بلوغ الغاية التي لم يكونوا يبلغون نهاية أعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة وقيل منفكين زائلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيهم البينة يقال ما انفك فلان قائما أي ما زال فلان قائما وأصل الفك الفتح ومنه فك الخلخال وقال الازهري ليس هو من باب ما انفك وما برح وانما هو من باب انفكاك الشئ من الشئ وهو انفصاله عنه وقيل منفكين بارحين أي لم يكونوا ليبرحوا و يفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة وقال ابن كيسان المعنى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وعلى هذا فيكون معنى قوله والمشركين انهم ما كانوا يسيئون القول في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الأمين فلما بعث عادوه وأساؤا القول فيه وقيل منفكين هالكين من قولهم انفك صلبه أي انفصل فلم يلتئم فيهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم وقيل ان المشركين هم اهل الكتاب فيكون وصفا لهم لانهم قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قال أبو السعود حكى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم وانفكاك الشئ عن الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم [illegible] ملخص قال الواحدي ومعنى الآية اخبار الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان وهذا بيان عن النعمة والانقاذ به من الجهل والضلالة [illegible] آمن من الفريقين قال وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء وسلكوا في تفسيرها طرقا لا تفضي بهم الى الصواب [illegible] فاحمد الله اذ أتاك بيانها من غير لبس ولا اشكال قال [illegible] على كون البينة محمدا رسول الله

الله لا تشركوا به شيأ وان تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به واذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم ان تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لابي من هذا قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبراني بهذا اللفظ فقوله تعالى تبت يدا أبي لهب أي خسر وخاب وضل عمله وسعيه وتب أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه وقوله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس وغيره وما كسب يعني ولده وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني افتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب وقوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب أي ذات شرر ولهيب وحراق شديد وامرأته حمالة الحطب وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي ام جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي اخت ابي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه

صلى الله عليه وآله وسلم انه فسرها وابدل بقوله الآتي رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن ويدل على ذلك انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب انتهى كلامه وقيل ان الآية حكاية لما كان يقوله اهل الكتاب والمشركون انهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبي الموعود به فلما بعث تفرقوا كما حكاه الله عنهم في هذه السورة والمراد بالبينة على ما قاله الجمهور هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه سراجا منيرا وقد فسر الله سبحانه هذه البينة المجملة بقوله (رسول من الله) فاتضح الامر وتبين انه المراد بالبينة وقال قتادة وابن زيد البينة هي القرآن كقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وقال أبو مسلم المراد بها مطلق الرسل والمعنى حتى تأتيهم رسل من الله وهم الملائكة والاول أولى قرأ الجمهور برفع رسول على انه بدل كل من كل على سبيل المبالغة أو بدل اشتمال قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفراء رفع على انه خبر مبتدا مضمر أي هي رسول أو هو رسول وقرأ ابن مسعود وأبي رسولا بالنصب على القطع وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة لرسول أي كائن من الله ويجوز تعلقه بنفس رسول (يتلو صحفا مطهرة) صفة أخرى لرسول أو حال وقال أبو البقاء التقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله ومعنى يتلو يقرأ يقال تلا يتلو تلاوة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومعنى مطهرة انها منزهة من الزور والضلال قال قتادة مطهرة من الباطل قال الشهاب تطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على الاستعارة المصرحة والمكنية وقيل مطهرة من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد وقيل معظمة وقيل لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون والاول أولى والمعنى انه يقرأ ما تتضمنه الصحف والقراطيس من المكتوب فيها فالكتب بمعنى المكتوبات في القراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله المتقدمة عليه والرسول وان كان أميا لكنه لما تلا ما في الصحف كان كالتالي لها فصحت نسبة تلاوة الصحف اليه وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وانما يقرأ بالوحي عن ظهر قلب (فيها كتب) صفة لصحف أو حال من ضميرها والمراد الآيات والاحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قيمة) أي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام الشيء اذا استوى وصح قال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي أي حكم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس الرجم في كتاب الله فالمراد لاقضين بينكما بحكم الله وبهذا يندفع ما قيل ان الصحف هي الكتب فكيف قال صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال الحسن يعني بالصحف التي في السماء يعني في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) مستأنفة لتوبيخ أهل الكتاب وتقريعهم وبيان ان ما نسب اليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الامر بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب وأيضا تصريح بمجيء البينة لما في الغاية من اجمالها وافراد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى فاقتصر عليهم لانهم

في عذابه في نار جهنم ولهذا قال تعالى حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها لتزداد على ماهو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له في جيدها حبل من مسد قال مجاهد وعروة من مسد النار وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي حمالة الحطب كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك في طريق رسول صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه الى أحد والصحيح الاول والله أعلم قال سعيد ابن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لانفقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا وقال الجوهري المسد الليف والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الابل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسدا اذا أجدت فتله وقا

أشد جرما أو أنه يعلم حال غيرهم بالطريق الأولى فهو من باب الاكتفاء فالمعنى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ولا المشركون الا من بعد الخ قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون والاستثناء مفرغ من أعم الاوقات أي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة وهي بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة الغراء والمحجة البيضاء أو هو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل البينة القرآن وقيل البينة هو البيان الواضح الذي في كتبهم انه نبي مرسل كقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم قال القرطبي قال العلماء من أول السورة الى قوله كتب قيمة حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق الذين الخ فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج وجملة (وما أمروا الا ليعبدوا الله) حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا وتقريعهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق بعد مجيء البينة أي والحال انهم ما أمروا في كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله ويوحدوه وقيل ان اللام في ليعبدوا بمعنى أن أي ما أمروا الا بأن يعبدوا كقوله يريد الله ليبين لكم أي ان يبين وقوله يريدون ليطفئوا نور الله أي ان يطفئوا والعبادة هي التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد أخطأ لان جماعة عبدوا المسيح والملائكة والاصنام وما أطاعوهم لكنها في الشرع صارت اسما لكل طاعة أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم (مخلصين له الدين) أي حال كونهم جاعلين دينهم خالصا له سبحانه أو جاعلين أنفسهم خالصة له في الدين قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام وقرأ الحسن بفتحها وهذه الآية من الادلة الدالة على وجوب النية في العبادات لان الاخلاص في العمل من عمل القلب قال الكرخي الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله سبحانه ولا تطلب منه ثوابا وقال الشهاب الاخلاص عدم الشرك وانه ليس بمعنى الاخلاص المتعارف وانتصاب (حنفاء) على الحال من ضمير مخلصين فيكون من باب التداخل ويجوز ان يكون من فاعل يعبدوا والمعنى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم وقيل حجاجا وقيل مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذي آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم والاول أولى وأصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر الحادا والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطأ والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على حق [illegible] وهو المقام الثاني من الورع وعما يجر الى الفضول وهو [illegible] الاخلاص الناظر أحدهما الى الخلق والثاني الى الخالق (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أي يفعلوا الصلوات في أوقاتها ويعطوا الزكاة عند محلها وخص الصلاة والزكاة لانهما من أعظم أركان الدين قيل ان أريد بالصلاة والزكاة ما في شريعة أهل الكتاب من [illegible]

مجاهد في جيدها حبل من مسد أي طوق من حديد الا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن ابن يدوس (١) عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبي لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا
* وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر اني أخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها قال وقال الوليد في حديثه أو غيره فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت في مرطها فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب اني لحصان فما أكلم

(١) قوله ابن يدوس كذا بالاصل اه مصححه

والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا وهما من جملة ما وقع الامر به فيها (وذلك) المذكور من عبادة الله واخلاصها وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) أى دين الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة قاله الزجاج فالقيمة صفة لموصوف محذوف قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم القائم قال الفراء أضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا الى الملة وقال الفراء أيضا هو من اضافة الشئ الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وما في الاشارة من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته وسمو مكانته ثم بين سبحانه حال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا فقال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) عطف على الموصول أو المجرور وخبر ان (في نار جهنم) أى انهم يصيرون اليها يوم القيامة وبدأ بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته فجنايتهم أعظم لانهم أنكروه مع العلم به (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر ولم يقل خالدين فيها أبدا كما قال بعد في صفة أهل الثواب لان رحمته أزيد من غضبه فلم يتفق الخلودان في الابدية (أولئك) المذكورون من أهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون في نار جهنم والخلود فيها (هم شر البرية) يقال برأ أى خلق والبارئ الخالق والبرية الخليقة قرأ الجمهور البرية في الموضعين بغير همز وقرئ بالهمز فيهما قال الفراء ان أخذت البرية من البرء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وان أخذتها من بريت القلم أى قدرته دخلت وقيل ان الهمز هو الاصل لانه يقال برأ الله الخلق بالهمز أى ابتدعه واخترعه ومنه قوله من قبل ان نبرأها ولكنها خففت الهمزة والتزم تخفيفها عند عامة العرب وظاهر الآية العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد أن يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام وشر البرية افعل تفضيل أى لانهم يخفون من كتاب الله صفة محمد وأشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق وأشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون عنادا وهذا فيه تنبيه على ان وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (أولئك) المنعوتون بهذا (هم خير البرية) أى في عصره صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبعد أن يكون في مؤمني الامم السالفة من هو خير منهم وعن أبي هريرة قال أتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك واقرؤا ان شئتم ان الذين آمنوا الآية وعن عائشة قالت قلت يارسول الله من أكرم الخلق على الله قال ياعائشة أما تقرئين ان الذين آمنوا الآية أخرجه ابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت ان الذين آمنوا الآية فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا أقبل قالوا قد جاء خير البرية أخرجه ابن عساكر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لعلي هو أنت وشيعتك يوم القيامة

وثقاف فما أعلم وكلنا من بني العم وقريش بعد أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد وأحمد بن اسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت انك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك قال لا ما زال ملك يسترني حتى ولت ثم قال البزار لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضي الله عنه وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى في جيدها حبل من مسد أى في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به الى شفيرها ثم ترمى الى أسفلها ثم كذلك دائما قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد في ذلك

وبكرة ومحورا صرارا
ومسدا من أبق مغارا

قال والابق القنب

راضين مرضيين أخرجه ابن مردويه وأخرج الضياء عن علي مرفوعاً نحوه وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً علي خير البرية وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يارسول الله قال رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه ألا أخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذي يسئل بالله ولا يعطي به (١) أخرجه أحمد (جزاؤهم عند ربهم) أي ثوابهم عند خالقهم بمقابلة ما وقع منهم من الايمان والعمل الصالح (جنات عدن) هذا من مقابلة الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وقيل الجمع باق على حقيقته وأن لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان فذكر للواحد أربع جنات وأدنى ذات الجنات تشمل الدنيا بما فيها عشر مرات والمراد بجنات عدن هي أوسط الجنات وأفضلها يقال عدن بالمكان يعدن عدناً أي أقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره (تجري من تحتها الانهار) الاربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن وقد قدمنا في غير موضع انه ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد مجموع قرار الارض والشجر فجري الانهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر (خالدين فيها أبداً) لا يخرجون منها ولا يظعنون عنها بل هم دائمون في نعيمها مستمرون في لذاتها وجملة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) مستأنفة لبيان ما تفضل الله به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء وهو رضوانه عنهم حيث أطاعوا أمره وقبلوا شرائعه ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن تكون الجملة خبراً ثانياً وان تكون في محل نصب على الحال باضمار قد (ذلك لمن خشي ربه) أي ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا لمجرد الخشية مع الانهماك في معاصي الله سبحانه فانها ليست بخشية على الحقيقة

(سورة الزلزلة هي ثمان أو تسع آيات وهي مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر)

عن عبد الله بن عمرو قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقرئني يارسول الله قال اقرأ ثلاثاً من ذوات الر فقال الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال اقرأ ثلاثاً من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلاثاً من المسبحات فقال مثل مقالته الاولى وقال ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فأقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت الارض عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن أخرجه

(١) قال أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره انتهى فتح القدير للشوكاني رحمه الله

وقال آخر

يا مسد الخوص تعوذ مني
ان تك لدنا لينا فاني
ما شئت من أشمط مقسئن

قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان لم يقيض لهما ان يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً لا مسراً ولا معلناً فكان هذا من أقوى الادلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة * آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاخلاص وهي مكية)

(ذكر سبب نزولها وفضلها) قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد ابن ميسر الصاغاني حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن

الترمذي وابن مردويه والبيهقي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي غريب لانعرفه الامن حديث يمان بن المغيرة وأخرج الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت يا فلان قال لا والله يارسول الله ولا عندي ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج قال الترمذي هذا حديث حسن وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قرأ في ليلة اذا زلزلت كان له عدل نصف القرآن أخرجه ابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى اذا حركت حركة شديدة وجواب الشرط تحدث والمراد تحركها عند قيام الساعة فانها تضطرب من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل شئ عليها قال مجاهد وهي النفخة الاولى لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وفي الخازن في وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة انتهى ويؤيد القول الثاني قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها فان الاخراج انما هو في النفخة الثانية وكذا شهادتها بما وقع عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من الموقف انما يكون بعد الثانية تأمل وذكر المصدر للتأكيد ثم أضافه الى الارض فهو مصدر مضاف الى فاعله والمعنى زلزالها المخصوص الذي يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاي وقرئ بفتحها وهما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال قال ابن عباس في الآية أي تحركت من أسفلها (وأخرجت الارض أثقالها) أي ما في جوفها من الاموات والدفائن والاثقال جمع ثقل قال أبو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها قال مجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية وقد قيل للجن والانس الثقلان واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير قال ابن عباس أثقالها الموتى والكنوز وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ (وقال الانسان مالها) أي قال كل فرد من افراد الانسان مالها زلزلت لما يدهمه من أمرها ويبهره من خطبها وقيل المراد بالانسان الكافر وقوله مالها مبتدأ وخبر وفيه معنى

أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود ابن خداش عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذي قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد ولم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شئ ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن أبي الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلا ثم لم يذكر حدثنا ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبي سعيد (حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا سريج بن يونس حدثنا اسمعيل بن مجالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله أحد الى آخرها اسناد مقارب وقد رواه ابن جرير عن محمد ابن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير واحد من السلف وروى عبد بن اسحق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن ابي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة قل هو الله أحد قال الطبراني رواه الفريابي وغيره عن قيس عن

التعجب أي اي شئ لها أو لاي شئ زلزلت وأخرجت أثقالها قال ابن عباس الكافر يقول مالها وقوله (يومئذ) بدل من اذا والعامل فيهما قوله (تحدث أخبارها) ويجوز أن يكون العامل في اذا محذوفا والعامل في يومئذ تحدث والمعنى يوم اذا زلزلت وأخرجت تخبر باخبارها وتحدثهم بما عمل عليها من خير وشر وذلك اما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة أو بلسان المقال بان ينطقها الله سبحانه وقيل هذا متصل بقوله وقال الانسان مالها أي قال مالها تحدث أخبارها متعجبا من ذلك وقال يحيى بن سلام تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها وقيل تحدث بقيام الساعة وانها قد أتت وان الدنيا قد انقضت قال ابن جرير تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى ومفعول تحدث الاول محذوف والثاني هو أخبارها أي تحدث الخلق أخبارها عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا فهذا أخبارها أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الارض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت الارض زلزالها حتى بلغ يومئذ تحدث أخبارها أخرجه ابن مردويه والبيهقي وعن ربيعة الجرشي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة أخرجه الطبراني (بأن ربك أوحى لها) متعلق بتحدث أي تحدث أخبارها بسبب ايحاء الله لها وقيل سببية أي بسبب ايحاء الله اليها قال الفراء تحدث أخبارها بوحي الله واذنه لها واللام في لها بمعنى الى وانما أوثرت على الى لموافقة الفواصل والعرب تضع لام الصيرورة موضع الى كذا قال أبو عبيدة وقيل ان أوحى يتعدى باللام تارة وبالى أخرى وقيل ان اللام على بابها من كونها للعلة والموحى اليه محذوف وهو الملائكة والتقدير أوحى الى الملائكة لاجل الارض أي لاجل ما يفعلون فيها والاول أولى وقوله (يومئذ) اما بدل من يومئذ الذي قبله واما منصوب بمقدر هو اذكر وأما [illegible] والمعنى يوم اذ يقع ذكر (يصدر الناس) من قبورهم [illegible] (أشتاتا) أي [illegible] والصدر الرجوع وهو ضد الورود [illegible] الى الجنة وآخرون الى النار والمعنى ان بعضهم آمن [illegible] وبعضهم لونه لون أهل الجنة وهو البياض وبعضهم لونه لون أهل النار وهو [illegible] بعضهم يصرف الى جهة اليمين وبعضهم الى جهة الشمال [illegible] لاعمالهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

عاصم عن أبي وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن عثمان الطائفي عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد ليس باجوف (حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد بن يحيى الذهلي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال ان أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن امه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا أحب ان اقرأها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله تعالى يحبه هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الذهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله ابن وهب عن عمرو (١) بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال به (حديث آخر) قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله [illegible] [illegible] الانصار

(١) قوله عمرو بن الحرث [illegible] أخرى ابن أبي [illegible]

وسكونها وقفا (١) وقرأ هشام بسكونها وصلا ووقفا وقرأ الجمهور أيضا يره مبنيا للفاعل في الموضعين وقرئ على البناء للمفعول فيهما أي يريه الله اياه وقرئ يراه على توهم ان من موصولة أو على تقدير الجازم بحذف الحركة المقدرة في الفعل قال مقاتل فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من يعمل مثقال ذرة في الدنيا شرا يره يوم القيامة فيسوءه ومثل هذه الآية قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال بعض أهل اللغة ان الذرة هو ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو ذرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء والاول أولى ومن الاولى عبارة عن السعداء ومن الثانية عبارة عن الاشقياء وقال محمد بن كعب فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر فيرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر والاول أولى قال مقاتل نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما أوعد الله النار على الكافرين قال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية في القرآن واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية قال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل الخ وروى محيي السنة عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا كان أو شرا الا أراه الله تعالى فأما المؤمن فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيآته وهذا الآية احتملت اعدة اللفظ والمعنى عن أنس قال بينما أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ نزلت عليه فمن يعمل الخ فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله اني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا أبا بكر أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أبي أسماء قال بينا أبو بكر يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ نزلت هذه الآية فامسك أبو بكر وقال يا رسول الله ما عملنا من شر رأيناه فقال ما ترون مما تكرهون فذلك مما تجزون ويؤخر الخير لاهله في الآخرة أخرجه اسحق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أنزلت اذا زلزلت وأبو بكر الصديق قاعد فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك يا أبا بكر قال تبكيني هذه السورة فقال لولا انكم تخطؤن وتذنبون فيغفر لكم لخلق الله قوما يخطؤن ويذنبون فيغفر لهم أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الحديث قال وسئل عن الحمر فقال ما أنزل على فيها الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرأ بالاخرى فاما ان تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى فقال ما أنا بتاركها ان احببتم ان أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يأمرك به اصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة قال اني احبها قال حبك اياها ادخلك الجنة هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به وقد رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن اسمعيل بن ابي اويس عن عبد العزيز ابن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر باسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس

(١) ونقل أبو حيان عن هشام وأبي بكر سكونها وعن أبي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية وفي هذا النقل نظر والصواب ما ذكرنا انتهى فتح القدير

ذرة شرا يره أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

(سورة العاديات هي احدى عشرة آية وهي مكية)

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن وهو مرسل أخرجه أبو عبيد في فضائله وعن ابن عباس مرفوعا مثله أخرجه محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح وزاد وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو و(ضبحا) مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير ونوع من العدو يقال ضبح الفرس اذا عدا بشدة مأخوذ من الضبع وهو الدفع وكأن الحاء بدل من العين قال أبو عبيدة والمبرد الضبح من اضباعها في السير ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال أي ضابحات أو ذوات ضبح ويجوز أن يكون مصدرا لفعل محذوف أي يضبحن ضبحا وقيل الضبح صوت حوافرها اذا عدت وقال الفراء الضبح صوت أنفاس الخيل اذا عدت قيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة وقيل الضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وقد ذهب الجمهور الى ما ذكرناه من ان العاديات ضبحا هي الخيل وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي هي الابل ونقل أهل اللغة ان أصل الضبح للثعلب فاستعير للخيل قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيلا فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بأرجلها وفي لفظ ضبحت بمناخرها وعنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية الى العدو فأبطأ خبرها فشق ذلك عليه فأخبره الله خبرهم وما كان من أمرهم فقال والعاديات ضبحا قال هي الخيل والضبح نخير الخيل حين تنخر وعنه قال هي الخيل في القتال ضبحها حين ترخي مشافرها اذا عدت وعن ابن مسعود قال هي الابل قال ابراهيم النخعي قال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس انما كانت تلك في سرية بعثت وعن عامر الشعبي قال تمارى علي وابن عباس في العاديات ضبحا فقال ابن عباس هي الخيل (١) فقال علي كذبت [illegible] ما كان معنا يوم بدر فارس الا المقداد كان على فرس أبلق [illegible] قال ابن عباس الا ترى انها تثير نقعا فما شيء يثير الا بحوافرها [illegible] القتال وعن ابن مسعود قال [illegible] وعن ابن عباس [illegible] الكلب أو الفرس وقد روي عنه بطرق [illegible] الفرس اذا عدا [illegible] قال اح [illegible] وعن علي قال [illegible] (فالموريات قدحا) هي الخيل [illegible]

ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله أحد قال ان حبك اياها أدخلك الجنة وهذا

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري في كتاب الاضداد والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال بينما أنا في الحجر جالس اذ أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحا فقلت الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله فقال اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف يكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوقدوا النيران والمغيرات صبحا من المزدلفة الى منى فذلك جمع وأما قوله فأثرن به نقعا فهي نقع الارض حين تطؤه بأخفافها وحوافرها قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال علي رضي الله عنه ذكره الشوكاني رحمه الله في فتح القدير انتهى منه ذو الفقار أحمد

اخراج النار والقدح الصك فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد قال الزجاج اذا عدت الخيل بالليل وأصابت حوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام في انتصاب قدحا كالكلام في انتصاب ضبحا والخلاف في كونها الخيل او الابل كالخلاف الذي تقدم في العاديات والراجح انها الخيل كما ذهب اليه الجمهور وكما هو الظاهر من هذه الاوصاف المذكورة في هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتي فانها في الخيل أوضح منها في الابل وتقدم ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة قال ابن عباس في الآية قدحت بحوافرها الحجارة وعنه قال حين تجري الخيل تورى نارا أصابت سنابكها الحجارة وعنه قال الرجل اذا أورى زنده وعنه قال هو مكر الرجل قدح فأورى وقال ابن مسعود اذا سفت الحصى بنا سمها فضرب الحصى بعضه بعضا فتخرج منه النار (فالمغيرات صبحا) أي التي تغير على العدو وقت الصباح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لقتل أو اسر او نهب وأسند الاغارة اليها وهي لاهلها للاشعار بانها عمدتهم في اغارتهم وصبحا منصوب على الظرفية قال ابن عباس صبحت القوم بغارة وعنه قال هي الخيل اغارت فصبحت العدو وعنه قال اذا أصبحت العدو وعنه قال الخيل تصبح العدو وقال أيضا غارت الخيل صبحا وقال ابن مسعود حين يفيضون من جمع وانما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة (فأثرن به نقعا) معطوف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فأثرن أو على اسم الفاعل نفسه لكونه في تأويل الفعل لوقوعه صلة للموصول فان الالف واللام في الصفات أسماء موصولة فالكلام في قوة واللاتي عدون فأورين فاغرن فأثرن والنقع الغبار الذي أثارته في وجه العدو وعند الغزو وتخصيص اثارته بالصبح لانه وقت الاغارة ولكونه لا يظهر أثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح وقيل المعنى فأثرن بمكان عدوهن نقعا يقال ثار النقع وأثرته أي هاج وهيجته قرأ الجمهور فاثرن بتخفيف الثاء وقرئ بتشديدها أي فاظهرن غبارا وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم انتهى والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين ان النقع الغبار وهذا هو المناسب لمعنى الآية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى فان قولك اغارت الخيل على بني فلان صبحا فاثرن به صوتا قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة وقيل النقع شق الجيوب وقال محمد بن كعب النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق الوادي قال في الصحاح النقع الغبار والجمع انقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء قال ابن عباس في الآية اثارت بحوافرها التراب وقال أيضا هي الخيل أثرن بحوافرها يقول بعد والخيل والنقع الغبار وعنه قال التراب وقال أيضا نقعا غبارا وقال ابن مسعود اذا سرن يثرن التراب (فوسطن به جمعا) أي توسطن بذلك الوقت أو توسطن متلبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء أو صرن بعدوهن وسط جمع الاعداء والباء اما للتعدية أو للحالية أو زائدة يقال وسطت القوم والمكان أسط وسطا من باب وعد اذا توسطت بين ذلك والفاعل واسط وبه سمي البلد المشهور بالعراق لانه توسط

الذي علقه الترمذي قد رواه الامام احمد في مسنده متصلا فقال حدثنا ابو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني احب هذه السورة قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك الجنة حديث في كونها تعدل ثلث القرآن قال البخاري حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة عن ابيه عن أبي سعيد ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن زاد اسمعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي سعيد قال أخبرني اخي قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله ابن يوسف والقعنبي ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان اسنده النسائي من طريقين عن اسمعيل بن جعفر عن مالك به حديث آخر قال البخاري حدثنا عمر بن حفص

الاقليم تقول جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه وجمعا مفعول به والفاآت في المواضع الاربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها قرأ الجمهور فوسطن بتخفيف السين وقرئ بالتشديد قال ابن عباس في الآية صبحت القوم جمعا وفي لفظ الجمع العدو وفي لفظ اذا توسطت العدو وفي لفظ جمع العدو (ان الانسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده وهو الكافر والكنود الكنور للنعمة وقوله لربه متعلق بكنود وقدم لرعاية الفواصل وقيل هو الجاحد للحق وقيل الكنود مأخوذ من الكند وهو القطع كأنه قطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر يقال كند الحبل اذا قطعه وقيل الكنود البخيل بلغة بني مالك وقيل الحسود وقيل الجهول لقدره وقيل العاصي بلغة كندة وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام والجاحد للنعمة كافر لها ولا يناسب المقام سائر ما قيل وعن ابن عباس قال الكنود بلساننا أهل البلد الكفور وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الكنود الكفور أخرجه ابن عساكر وعنه قال الكنود الذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده وروى نحوه مرفوعا عنه وسنده ضعيف والموقوف أصح (وانه على ذلك) أي وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه وقيل المعنى وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد وبه قال الجمهور وقال بالاول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وهو أرجح من قول الجمهور لقوله (وانه لحب الخير لشديد) فان الضمير راجع الى الانسان والمعنى انه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا وقيل المعنى وان الانسان من أجل حب المال لبخيل والاول أولى واللام في لحب متعلقة بشديد قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا ولكن الناس يجدونه خيرا فسماه خيرا قال الفراء أصل نظم الآية أن يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤس الآي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كأنه قال في يوم عاصف الريح قال ابن عباس الخير المال (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم وهذا تهديد ووعيد وبعثر معناه [illegible] ثر ما في القبور من الموتى وبحث عنهم وأخرجوا قال أبو عبيدة بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه وقال الفراء سمعت بعض العرب من بني أسد يقول بحثر بالحاء مكان العين وقد تقدم الكلام على هذا في قوله واذا القبور بعثرت (وحصل ما في الصدور) أي ميز وبين ما فيها من الخير والشر والتحصيل التمييز كذا قال المفسرون وقيل حصل أبرز قرأ الجمهور حصل بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنيا للمفعول وقرئ حصل بفتح الحاء [illegible] الصاد مبنيا للفاعل أي ظهر قال ابن عباس بعثر بحث وحصل أبرز والمعنى [illegible] السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن [illegible] انه لا يعلمه أحد [illegible]

حدثنا أبي حدثنا الاعمش حدثنا ابراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يارسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن تفرد باخراجه البخاري من حديث ابراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن ابي سعيد قال الفربري سمعت ابا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال قال أبو عبد الله البخاري عن ابراهيم مرسل وعن الضحاك مسند حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن أو ثلثه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يحيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ان أبا أيوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول ألا يستطيع أحدكم ان يقوم بثلث القرآن كل ليلة فقالوا وهل يستطيع ذلك

صحائف الاعمال وهذا يدل على ان الانسان يحاسب بها كما يحاسب على مايظهر من آثارها وخص أعمال القلوب بالذكر وترك ذكر أعمال الجوارح لانها تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت أفعال الجوارح (ان ربهم) أى ان رب المبعوثين (بهم يومئذ لخبير) لاتخفى عليه خافية فيجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا قال الزجاج الله خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم ومثله قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم معناه أولئك الذين لايترك الله مجازاتهم قال الامام دلت الآية على انه تعالى عالم بالجزئيات الزمانيات وغيرها لانه تعالى نص على كونه عالما بكيفية أحوالهم فى ذلك اليوم فكيف لايكون منكره كافرا ذكره الكرخى قرأ الجمهور بكسر ان وباللام فى لخبير وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة واسقاط اللام

*(سورة القارعة وهى ثمان آيات وقيل احدى عشرة آية وقيل عشر آيات
وهى مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) هى من أسماء القيامة قاله ابن عباس لانها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب والعرب تقول قرعتهم القارعة اذا وقع بهم أمر فظيع وقيل أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر وسميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته وهى مبتدأ وخبره (ما القارعة) قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير احذروا القارعة والاستفهام للتفخيم والتعظيم لشأنها كما تقدم بيانه فى قوله الحاقة ما الحاقة وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغرى بالرفع كالنصب والحمل على معنى التفخيم والتعظيم أولى ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمر فانه أدل على هذا المعنى ويؤيده أيضا قوله (وما أدراك ما القارعة) فانه تأكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لاتنالها دراية أحد منهم وما الاستفهامية مبتدأ وأدراك خبرها وما القارعة مبتدأ وخبر والجملة فى محل نصب على انها المفعول الثانى والمعنى وأى شئ أعلمك ماشأن القارعة ثم بين سبحانه متى تكون القارعة فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) انتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة أى تقرعهم يوم يكون الخ ويجوز أن يكون منصوبا بتقدير اذكر وقال ابن عطية ومكى وأبو البقاء هو منصوب بنفس القارعة وقيل هو خبر مبتدا محذوف وانما نصب لاضافته الى الفعل فالفتحة فتحة بناء لافتحة اعراب أى هى يوم يكون الخ وقيل التقدير ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وقرأ زيد بن على برفع يوم على الخبرية للمبتدا المقدر والفراش الطير الذى تراه يتساقط فى النار والسراج الواحدة فراشة كذا قال أبو عبيدة وغيره قال الفراء الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد قال وبه يضرب المثل فى الطيش والهوج يقال أطيش من فراشة والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر يقال بثه اذا فرقه ومثل هذا قوله سبحانه فى آية أخرى كأنهم جراد منتشر وقال المبثوث ولم يقل مبثوثة لان الكل جائز كما فى قوله اعجاز نخل منقعر واعجاز نخل

أحد قال فان قل هو الله أحد ثلث القرآن قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسمع أبا أيوب فقال صدق أبو أيوب حديث آخر قال أبو عيسى الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرنى أبو حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فانى سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبى الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى سأقرأ عليكم ثلث القرآن انى لارى هذا خبرا جاء من السماء ثم خرج نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال انى قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وانها تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن بشار به وقال الترمذى حسن صحيح غريب واسم أبى حازم سلمان حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن امرأة من الانصار عن أبى أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فانه من قرأ قل هو الله أحد الله الصمد فى ليلة فقد قرأ

خاوية وقد تقدم بيان وجه ذلك وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الأرض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والتذلل وإجابة الداعي من كل جهة والتطاير إلى النار (وتكون الجبال) بعد أن تفتت كالرمل السائل (كالعهن المنفوش) أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة الذي نفش بالندف والعهن عند أهل اللغة الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة وقد تقدم بيان هذا في سورة سأل سائل وقد ورد في الكتاب العزيز أوصاف للجبال يوم القيامة وقد قدمنا بيان الجمع بينها ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الإجمال فقال (فأما من ثقلت موازينه) باتباعه الحق وقد تقدم القول في الميزان في سورة الأعراف وسورة الكهف وسورة الأنبياء وقد اختلف فيها فقيل هي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله وبه قال الفراء وغيره وقيل هي جمع ميزان وهو الآلة التي توضع فيها صحائف الأعمال وعبر عنه بلفظ الجمع كما يقال لكل حادثة ميزان وقيل المراد بالموازين الحجج والدلائل (فهو في عيشة) حياة (راضية) طيبة أو مرضية فهو إسناد مجازي أو استعارة مكنية وتخييلية أو هي بمعنى المفعول على التجوز في الكلمة نفسها قال الزجاج أي ذات رضا يرضاها صاحبها يعني أنها للنسب وقيل المعنى فاعلة للرضاء وهو اللين والانقياد لأهلها والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته على حسناته أو لم تكن له حسنات يعتد بها (فأمه هاوية) أي فمسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه والهاوية من أسماء جهنم وهي آخر الطبقات السبع وسميت هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها والمهوى والمهواة ما بين الجبلين وتهاوى القوم في المهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض قال قتادة يعني تصيره إلى النار قال عكرمة لأنه يهوي فيها على أم رأسه قال الأخفش أمه مستقره قال ابن عباس هاوية كقوله هوت أمه وعن عكرمة قال أم رأسه هاوية في جهنم قال الخطيب أي نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الأم ثانيا دليلا على حذفها أولا وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإذا كان مات ولم يأتهم قالوا خولف به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وأخرج ابن مردويه من حديث أبي أيوب الأنصاري نحوه وأخرج ابن المبارك من حديثه نحوه أيضا وبقي قسم ثالث غير مذكور في الآية وهو من استوت حسناته وسيئاته قال المناوي من رجحت حسناته بسبب زيادتها على السيئات فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حسابا يسيرا ومن رجحت سيئاته على حسناته أي بسبب زيادتها فيشفع فيه أو يعذب (وما أدراك ماهيه) هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدري كنهها والضمير يعود إلى الهاوية والهاء للسكت ثم بينها سبحانه بقوله (نار حامية) أي قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى

لبلغت ثلث القرآن هذا حديث تساعي الإسناد للإمام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد ابن بشار بندار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمرو بن مسعود وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته إسرائيل والفضيل بن عياض وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه حديث آخر قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به ولم يقع في روايته هلال بن يساف حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

الغاية وارتفاع نار على انها خبر مبتدأ محذوف أى هى نار حامية نعوذ بالله منها

(سورة التكاثر هى ثمان آيات وهى مكية عند الجميع)

وروى البخارى انها مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا يستطيع أحدكم ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قال أما يستطيع أحدكم ان يقرأ ألهاكم التكاثر أخرجه الحاكم والبيهقى فى الشعب قال المنذرى رجال اسناده ثقات الا أن عقبة لا أعرفه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ فى ليلة ألف آية لقى الله وهو ضاحك فى وجهه قيل يارسول الله ومن يقوى على ألف آية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر الى آخرها ثم قال والذى نفسى بيده انها تعدل ألف آية أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق والديلمى وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن عبد الله بن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر وفى لفظ وقد أنزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مال الا ما أكلت فأفنيت وأخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة ولا نزولها بلفظ يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاثة ما أكل فأفنى وما لبس فأبلى وما تصدق فأقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وعن جرير بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى قارئ عليكم سورة الهاكم التكاثر فمن بكى فله الجنة فقرأها فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا قد جهدنا يارسول الله ان نبكى فلم نقدر عليه فقال انى قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكى فليتباك أخرجه البيهقى فى الشعب وضعفه والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) أى شغلكم التبارى فى التكاثر بالاموال والاولاد والتباهى والتفاخر بكثرتها عن طاعة الله تعالى والتغالب فيها يقال ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله وقال الحسن معناه أنساكم حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال وقال قتادة ان التكاثر التفاخر بالقبائل والعشائر وقال الضحاك ألهاكم التشاغل بالمعاش وقيل المعنى متم ودفنتم فى المقابر والمقابر جمع مقبرة وقال مقاتل وقتادة أيضا وغيرهما نزلت فى اليهود حين قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا وقال الكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف فى الاسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر قائدا فكثر بنو عبد مناف بنى سهم ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم بنو سهم فنزلت ألهاكم التكاثر فلم يرضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات عن أبى بردة فى الآية قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الانصار فى بنى حارثة وبنى الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ومثل فلان

وهكذا رواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع به ورواه النسائى فى اليوم والليلة من طريق أخرى عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا حديث آخر قال الامام احمد حدثنا ابو نوح حدثنا بكر بن ابى السميط حدثنا قتادة عن سالم بن ابى الجعد عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم يارسول الله نحن اضعف من ذلك واعجز قال فان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فقل هو الله احد ثلث القرآن ورواه مسلم والنسائى من حديث قتادة به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن اخى ابن شهاب عن عمه الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن عمرو بن على عن أمية ابن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن قوله ورواه النسائى أيضا فى اليوم والليلة من حديث محمد ابن اسحق عن الحرث بن فضيل الانصارى عن الزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن ان نفرا من أصحابه

وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله هذه الآية أى لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل أخرجه ابن أبى حاتم وفى الآية دليل على ان الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة والشرع دل على ان التكاثر والتفاخر فى السعادات الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان أن يفتخر بطاعاته وحسن اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدى به وقال سبحانه الهاكم التكاثر ولم يقل عن كذا بل أطلقه لان الاطلاق أبلغ فى الذم لانه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ولان حذف المتعلق مشعر بالتعميم كما تقرر فى علم البيان والمعنى انه شغلكم التكاثر عن كل شئ يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للآخرة وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لان الميت قد صار الى قبره كما يصير الزائر الى الموضع الذى يزوره هذا على قول من قال ان معنى زرتم المقابر متم وأما على قول من قال ان معنى زرتم المقابر ذكرتم الموتى وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة فيكون ذلك على طريق التهكم بهم وقيل انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك (كلا سوف تعلمون) ردع وزجر لهم عن التكاثر وتنبيه على انهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد قال الفراء أى ليس الامر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر ثم كرر الردع والزجر والوعيد فقال (ثم كلا سوف تعلمون) ثم للدلالة على ان الثانى أبلغ من الاول وقيل الاول عند الموت أو فى القبر والثانى يوم القيامة قال الفراء هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد قال مجاهد هو وعيد بعد وعيد وكذا قال الحسن ومقاتل وجعله الشيخ جمال الدين بن مالك من التوكيد اللفظى مع توسط حرف العطف وقال الزمخشرى والتكرير تأكيد للردع والردع عليهم ونقل عن على كلا سوف تعلمون فى الدنيا ثم كلا سوف تعلمون فى الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم فى الافعال الثلاثة لان الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد قاله السمين (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون الامر الذى أنتم صائرون اليه علما يقينيا كعلمكم ما هو متيقن عندكم فى الدنيا وجواب لو محذوف أى لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه وقال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم وكلا فى هذا الموضع الثالث للردع والزجر كالموضعين الاولين وقال الفراء هى بمعنى حقا وقيل هى فى المواضع الثلاثة بمعنى ألا قاله ابن أبى حاتم قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه قال هو البعث وعنه كنا نحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعثه بعد الموت واضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف الى صفته وفى السمين وعلم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين وقيل لا حاجة الى ذلك لان العلم يكون يقينا وغير يقين فأضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على أن اليقين أخص وقوله (لترون الجحيم) جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد أى والله لترون الجحيم فى الآخرة قال الرازى وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولانه عطف عليه ثم لتسئلن وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال وحذف جواب لو كثير والخطاب

محمد صلى الله عليه وسلم حدثوه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها حديث آخر فى كون قراءتها توجب الجنة قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع النبى صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة ورواه الترمذى والنسائى من حديث مالك وقال الترمذى حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث مالك وتقدم حديث حبك اياها أدخلك الجنة حديث فى تكرار قراءتها قال الحافظ ابو يعلى الموصلى حدثنا مطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشى حدثنا يزيد الرقاشى عن انس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما يستطيع احدكم ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات فى ليلة فانها تعدل ثلث القرآن هذا اسناد ضعيف واجود منه حديث آخر قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدمى حدثنا الضحاك ابن مخلد حدثنا ابن أبى ذئب عن أسيد بن أبى أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى

للكفار وقيل عام كقوله وان منكم الا واردها قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت الى مفعول واحد ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال (ثم لترونها عين اليقين) أي ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة وقيل المعنى لترون الجحيم بابصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب وقيل المراد بالاول رؤيتها قبل دخولها وبالثاني رؤيتها حال دخولها وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار أي هي رؤية دائمة متصلة وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أي عن نعيم الدنيا الذي الهاكم عن العمل للآخرة وثم للترتيب الاخباري لا المعنوي لان السؤال قبل رؤية الجحيم قال قتادة يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به قال الحسن لا يسئل عن النعم الا أهل النار وقال قتادة ان الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه وهذا هو الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الافراد أو نوع من الانواع لان تعريفه للجنس أو للاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤل على النعمة التي سئل عنها فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه فيم صرفها وبم عمل فيها ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر قيل السؤال عن الامن والصحة وقيل عن الصحة والفراغ وقيل عن الادراك بالحواس وقيل عن ملاذ المأكول والمشروب وقيل عن الغداء والعشاء وقيل عن بارد الشراب وظلال المساكن وقيل عن اعتدال الخلق وقيل عن لذة النوم وقيل غير ذلك والاولى العموم كما ذكرنا وعن ابن عباس في الآية قال صحة الابدان والاسماع والابصار وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهاكم التكاثر يعني عن الطاعة حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك أن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وأخرج ابن مردويه عن عياض بن غنم مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال الامن والصحة رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وغيرهما وعن علي قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية أكل خبز البر والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبردا أخرجه ابن مردويه ولعل رفع هذا لا يصح فربما كان من قول أبي الدرداء وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية

الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال قل فسكت قال قل قلت ما أقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل يوم مرتين ورواه ابو داود والترمذي والنساء من حديث ابن ابي ذئب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن ابيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه تكفك كل شيء حديث آخر في ذلك قال الامام احمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الخليل بن مرة عن الازهر بن عبد الله عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له اربعين الف الف حسنة تفرد به احمد والخليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره بمرة حديث آخر قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان ابن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر اذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله

قال ناس من أمتى يعقدون السمن والعسل بالنقى فيأكلونه أخرجه أحمد فى الزهد وابن مردويه وهذا مرسل وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يارسول الله أى نعيم نحن فيه وانما نأكل فى انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم أخرجه عبد بن حميد وابن أبى حاتم وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يارسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أى نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون أخرجه ابن أبى شيبة وهناد وأحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وأخرجه الترمذى وغيره من حديث أبى هريرة وأخرجه أحمد والترمذى وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسدك ونرويك من الماء البارد أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى وغيرهم وعن جابر بن عبد الله قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطبا وسقيناهم ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه أخرجه أحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم وأخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبى هريرة قال خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو بأبى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يارسول الله قال والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم اضيافا منى فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة وفى الباب أحاديث

(سورة العصر هى ثلاث آيات وهى مكية عند الجمهور وقال قتادة هى مدنية)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أبى مزينة الدارمى وكانت له صحبة قال كان الرجلان من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر أخرجه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وتعاقب الظلام والضياء فان فى ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده ويقال لليل عصر وللنهار عصر ويقال للغداة والعشى عصران قال الرازى أقسم تعالى بالدهر لما فيه من الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى

والفقر

أكثر وأطيب تفرد به أحمد ورواه أبو أحمد الدارمى فى مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عبيد وهو ابن معبد قال الدارمى وكان من الابدال انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور فى الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك وهذا مرسل جيد حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا نصر بن على حدثنى نوح بن قيس أخبرنى محمد العطار أخبرتنى أم كثير الانصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة اسناده ضعيف حديث آخر قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى يوم مائتى مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة الا أن يكون عليه دين اسناد ضعيف حاتم ابن ميمون ضعفه البخارى وغيره ورواه الترمذى عن محمد بن مرزوق

والفقر ولان بقية عمر المرء لاقيمة له فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد فعلمت ان أشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم ولان الزمان اشرف من المكان فاقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه وقال قتادة والحسن المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها وعن قتادة أيضا انه آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل ان المراد به صلاة العصر وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها وقيل هو قسم (١) بعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج قال بعضهم معناه ورب العصر والاول اولى وبه قال ابن عباس وعنه هو ساعة من ساعات النهار وقال أيضا هو ما قبل مغيب الشمس من العشي واخرج الفريابي وابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف عن علي بن ابي طالب انه كان يقرأ والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وعن ابن مسعود أيضا انه كان يقرأ ان الانسان لفي خسر وانه لفيه الى آخر الدهر أخرجه عبد بن حميد (ان الانسان لفي خسر) هذا جواب القسم والخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال والمعنى ان كل انسان في المتاجر والمساعي وصرف الاعمار في اعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت وقيل المراد بالانسان الكافر وقيل جماعة من الكفار وهم الوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن عبد المطلب بن اسد والاول أولى لما في لفظ الانسان من العموم ولدلالة الاستثناء عليه قال الاخفش في خسر في هلكة وقال الفراء في عقوبة وقال ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعاني متقاربة قرأ الجمهور والعصر بسكون الصاد وقرئ بكسر الصاد وقرأ الجمهور أيضا خسر بضم الخاء وسكون السين وقرئ بضمهما والتنكير في خسر يفيد التعظيم أي في خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله فقد جعل الانسان مغمورا في الخسر للمبالغة وانه أحاط به من كل جانب لأن كل ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسر وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضا حاصل وان كانت مشغولة بالطاعات فهي غير متناهية وترك الاعلى والاقتصار على الادنى نوع خسران ولا ينافيه قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم لان الكلام ثم في احوال البدن وهنا في احوال النفس (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح فانهم في ربح لا في خسر لانهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم اعمال الدنيا عنها والاستثناء متصل ومن قال ان المراد بالانسان الكافر فقط فيكون منقطعا ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة ولا وجه لما قيل ان المراد الصحابة او بعضهم فان اللفظ عام لا يخرج عنه احد ممن يتصف بالايمان والعمل الصالح (وتواصوا) أي أوصى (٢) بعضهم بعضا (بالحق) الذي يحق القيام به وهو الايمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله واجتناب ما نهى عنه قال قتادة بالحق أي بالقرآن وقيل بالتوحيد والحمل على العموم أولى (وتواصوا بالصبر) عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه

البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدي ادخل على يمينك الجنة ثم قال غريب من حديث ثابت وقد روي من غير هذا الوجه عنه وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل ابن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا أبي حدثنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة

(١) قال الرازي أقسم سبحانه بمكانه صلى الله عليه وسلم في قوله لا أقسم بهذا البلد وأقسم بعمره في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وبعصره هنا فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك فاقسم بهذه الظروف الثلاثة فاذا وجب تعظيم الظرف فحال المظروف من باب أولى انتهى

(٢) أشار به الى أن تواصوا فعل ماض لا أمر ويؤخذ منه ان الوصية هي التقديم الى الغير بما يعمل به مقرونا بوعظ ونصيحة من قولهم أرض واصية أي متصلة النبات يقال قدمت اليه بكذا اذا أمرته قبل وقت الحاجة الى الفعل سيد نو الفقار أحمد

ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ان الله مع الصابرين وأيضا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فافراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من اعظم الادلة الدالة على انافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها او كرر الفعل لاختلاف المفعولين

(سورة الهمزة هي تسع ايات)

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس انزلت بمكة وقال المحلي أو مدنية والاول أولى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) هو مرتفع على الابتداء وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم وخبره (لكل همزة لمزة) والمعنى خزي أو عذاب أو هلكة أو واد في جهنم لكل همزة لمزة والتاء فيهما للمبالغة في الوصف وقد اطرد أن بناء فعلة للمبالغة الفاعل أي المكثر لمأخذ الاشتقاق واذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر اللعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه قال أبو عبيدة والزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس وعلى هذا هما بمعنى وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبي رباح الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه واللمزة الذي يغتابه من خلفه وقال قتادة عكس هذا وروي عن قتادة ومجاهد أيضا ان الهمزة الذي يغتاب الناس في أنسابهم وعن مجاهد أيضا ان الهمزة الذي يهمز الناس بيده واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وقال سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمزهم بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بيده وبرأسه وبحاجبه وقيل هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون العيب للبرئ وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه والاول أولى وأصل الهمز الكسر يقال همز رأسه كسره وقيل أصل الهمز واللمز الضرب والدفع يقال همزه يهمزه همزا ولمزه يلمزه لمزا اذا دفعه وضربه قرأ الجمهور همزة لمزة بضم اولهما وفتح الميم فيهما وقرئ بسكون الميم فيهما وقرأ أبو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة والآية تعم كل من كان متصفا بذلك ولا ينافيه نزولها على سبب خاص فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس انه سئل عن همزة لمزة قال هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجمع المغري بين الاخوان وعنه قال همزة طعان ولمزة مغتاب وقوله (الذي جمع مالا وعدده) بدل من كل او في محل نصب على الذم وهذا ارجح لان البدل يستلزم ان يكون المبدل منه في حكم الطرح أو تعليل لماقبله واتصافه سبحانه بهذا الوصف يدل ... في الهمز واللمز وهو تعجبه بما جمع من المال وظنه انه الفضل فلاجل ذلك ... قرأ الجمهور جمع مخففا وقرئ مثقلا قال الرازي الشرف أن التشديد ... جمعه من ههنا ومن ههنا ولم يجمعه في يوم واحد ولا في ... ولا في شهر ولا في شهر من ...

ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت الا الحسن بن أبي جعفر والاغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ (حديث آخر) في الدعاء بما تضمنته من الاسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم اني أسألك بأني أشهد أن لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به أجاب وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه وقال الترمذي حسن غريب (حديث آخر) في قراءتها عشر مرات بعد المغرب قال الحافظ ابو يعلى حدثنا عبد الاعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن سنان عن ابي شداد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع الايمان دخل من أي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله احد قال فقال ابو بكر أو احداهن يارسول الله قال او احداهن (حديث) في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ

التخفيف لا يفيد ذلك ونكر ما الا للتعظيم أي ما لا يبلغ في الخبث والفساد أقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر به وقرأ الجمهور وعدده مشددا وقرئ بالتخفيف والتشديد في الكلمتين يدل على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء وتعديده مرة بعد أخرى قال الفراء معنى عدده أحصاه فهو مأخوذ من العدد وقال الزجاج وعدده لنوائب الدهور يقال أعددت الشيء وعددته اذا أمسكته قال السدي أحصى عدده وقال الضحاك أعد ماله لمن يرثه وقيل المعنى فاخر بكثرته وعدده والمقصود ذمه على جمع المال وامساكه وعدم انفاقه في سبيل الخير وقيل المعنى على قراءة التخفيف في عدده انه جمع عشيرته وأقاربه قال المهدوي من خفف وعدده فهو معطوف على المال أي وجمع عدده وجملة (يحسب ان ماله أخلده) مستأنفة لتقرير ما قبلها ويجوز أن تكون في محل النصب على الحال من فاعل جمع أي يعمل عمل من يظن ان ماله يتركه حيا مخلدا لا يموت وأخلده ماض معناه المضارع أي يخلده وقال عكرمة يحسب ان ماله يزيد في عمره والاظهار في موضع الاضمار للتقريع والتوبيخ وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه الذي يخلد صاحبه في الحياة الابدية لا المال والخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل وأخلده الله وخلده تخليدا (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان أي ليس الامر كما يحسبه هذا الذي جمع المال وعدده أو معناه حقا (لينبذن في الحطمة) اللام جواب قسم محذوف أي ليطرحن في النار وليلقين فيها قرأ الجمهور لينبذن وقرئ لينبذان بالتثنية أي لينبذ هو وماله في النار وقرئ لينبذن أي لينبذن ماله في النار والمعنى تحطم وتكسر كل ما القي فيها في الحطمة مماثلة أعماله لفظا ومعنى لانها على وزن همزة لمزة وفيهما كسر كما فيها وحطمه من باب ضرب والتحطيم التكسير والحطمة من أسماء النار لانها تحطم ما تلتقم (وما أدراك ما الحطمة) هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كأنها ليست مما تدركه العقول وتبلغه الافهام قيل هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية منها وقيل الطبقة الرابعة ثم بينها سبحانه فقال (نار الله الموقدة) بامر الله سبحانه التي لا تخمد ابدا ويجب وتحتم ايقادها وفي اضافتها الى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم وكذلك في وصفها بالايقاد (التي تطلع على الافئدة) أي يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الافئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع أبدانهم لانها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة أو لكون الالم اذا وصل اليها مات صاحبها الا ان الفؤاد ألطف ما في الجسد واشد تألما بادنى اذى يمسه أي انهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى انها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بامارات عرفها الله بها (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة مغلقة كما تقدم بيانه في سورة البلد يقال أصدت الباب اذا أغلقته وقال ابن عباس مطبقة وجمع الضمير في عليهم رعاية لمعنى كل (في عمد ممددة) في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم أي كائنين في عمد ممددة موثقين فيها أو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هم في عمد أو صفة لمؤصدة أي مؤصدة بعمد ممددة قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد فلا

ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن ابي زرعة عن عمرو بن جرير عن جرير ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران اسناده ضعيف (في حديث) في الاكثار من قراءتها في سائر الاحوال قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن اسحق المسيبي حدثنا يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فاتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى قال ان ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين الف ملك يصلون عليه قال وفيم ذلك قال كان يكثر قراءة قل هو الله احد في الليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله ان أقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة من طريق يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله اعلم (طريق اخرى) قال ابو يعلى حدثنا

يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومعنى كون العمد ممددة انها مطولة وهي أرسخ من القصيرة وقيل العمد أغلال في جهنم وقيل القيود وقال قتادة المعنى هم في عمد يعذبون بها واختار هذا ابن جرير قرأ الجمهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقيل جمع له قال الفراء هي جمع لعمود كاديم وأدم وقال أبو عبيدة هي جمع عماد وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال الفراء هما جمعان صحيحان لعمود واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة الجمهور قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة أعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما وهما سبعيتان قال أبو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب أو حديد قال ابن عباس عمد من نار وقال ابن مسعود هي الادهم وعن ابن عباس أيضا الابواب هي الممددة وعنه قال ادخلهم في عمد فمدت عليهم في أعناقهم فسدت بها الابواب قال ابن جزي المعنى ان أبواب جهنم أغلقت عليهم بعمد ممدودة على أبوابها ممدة تشديدا في الاغلاق وقيل معناه في دهر ممدود أي لا انقطاع له قال القشيري ان العمد أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار تشد تلك الاطباق حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح

(سورة الفيل هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر (١) كيف فعل ربك) الاستفهام لتقرير رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم بانكار عدمها والمراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وحذفت الالف من تر للجازم قال الفراء المعنى ألم تخبر وقال الزجاج الم تعلم وهو تعجيب له صلى الله عليه وآله وسلم بما فعله الله (بأصحاب الفيل) الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة وكيف منصوب على المصدرية أو الحالية واختار الاول ابن هشام في المغني والمعنى أي فعل فعل وأما نصبه على الحالية فممتنع لان فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز والجملة سدت مسد مفعولي ترى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يكون لكل من يصلح له والمعنى قد علمت يا محمد وعلم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الاخبار المتواترة من قصة أصحاب الفيل وما فعل الله بهم فما لكم لا تؤمنون وصاحب الفيل أبرهة ملك اليمن واسمه الاشرم سمي بذلك لان أبا دنس ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه قاله الطيبي وأبرهة لقب لكل من فيه بياض وكان نصرانيا والفيل هو الحيوان المعروف وجمعه فيول وأفيال وفيلة قال ابن السكيت ولا تقول أفيلة وصاحب الفيل [illegible] وكانت الفيلة (٢) ثلاثة عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الأعظم الذي يقال له محمود وهو الذي برك وضرب في رأسه وقيل انما وحده لوفاق رؤوس الآي وعن ابن عباس قال جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح فأتاهم عبد المطلب فقال ان هذا بيت الله لم يسلط عليه أحد قالوا لا نرجع حتى نهدمه وكانوا لا يقدمون فيلهم الا تأخر فدعا الله الطير الأبابيل فأعطاها حجارة سوداء عليها الطين فلما حاذتهم رمتهم فما بقي منهم أحد الا أخذته الحكة

محمد بن ابراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محبوب أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور وقد روى هذا من طرق أخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة (حديث) آخر في فضلها مع المعوذتين قال الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي ابن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول

(١) كيف منصوب بالفعل الذي بعدها وهو معلقة لفعل الرؤية انتهى

(٢) وقيل كان معه ثمانية عشر فيلا وقيل ألف فيل ذكره الخطيب انتهى

وكان لايصك الانسان منهم جلده الاتساقط لحمه أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأبو نعيم والبيهقى (ألم يجعل كيدهم) أى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة وهدمها واستباحة أهلها (فى تضليل) أى فى خسار وهلاك عما قصدوا اليه حتى لم يصلوا الى البيت ولا الى ما أرادوا بكيدهم والهمزة للتقرير كأنه قيل قد جعل كيدهم فى تضليل والكيد هو ارادة المضرة بالغير لانهم أرادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبى ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم قال ابن عباس أقبل أصحاب الفيل حتى اذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم ماجاء بك الينا ألا بعثت فنأتيك بكل شئ فقال أخبرت بهذا البيت الذى لايدخله أحد الا أمن فجئت أخيف أهله فقال انا نأتيك بكل شئ تريد فارجع فأبى الا ان يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طير أبابيل التى قال الله ترميهم بحجارة من سجيل فجعل الفيل يعج عجا فجعلهم كعصف مأكول أخرجه البيهقى وابن المنذر والحاكم وغيرهم وقصة أصحاب الفيل مبسوطة فى كتب التفسير والتاريخ والسير فلا نطول بذكرها (وأرسل عليهم) عطف على ألم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وأرسل (طيرا) هو اسم جنس يذكر ويؤنث (أبابيل) نعت لطير لانه اسم جمع أى أقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل المؤبلة فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول الحرم على الاصح وقال جماعة بوادى محسر بين مزدلفة ومنى قاله ابن حجر قال أبو عبيدة أبابيل جماعات فى تفرقة يقال جاءت الخيل أبابيل أى جماعات من ههنا وههنا قال النحاس وحقيقته انها جماعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان أى يعظم عليه ويكبر وهو مشتق من الابل وهو من الجمع الذى لا واحد له وقال بعضهم واحده ابول بكسر الهمزة مثل عجول وقال بعضهم ابيل كسكين قال الواحدى ولم نر أحدا يجعل لها واحدا قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرؤاسى وكان ثقة انه سمع فى واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء أيضا ابالة بالتخفيف قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها قال قتادة هى طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لايصيب شيأ الا هشمه وقيل كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وقيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل انها العنقاء المغرب التى تضرب بها الامثال وقيل فى صفتها غير ذلك والعرب تستعمل الابابيل فى الطير وفى غير الطير ولما تم هلاكهم رجعت الطير من حيث جاءت

(ترميهم بحجارة من سجيل) قرأ الجمهور بالفوقية وقرأ أبو حنيفة وأبو عمرو وعيسى وطلحة بالتحتية واسم الجمع يذكر ويؤنث وقيل الضمير فى القراءة الثانية لله عز وجل والجملة فى محل نصب صفة أخرى لطير قال الزجاج من سجيل أى مما كتب عليهم العذاب به مشتقا من السجل قال فى الصحاح قالوا هى حجارة من طين طبخت بنار جهنم

الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن قال ياعقبة خرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال ثم لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأنى فأخذ بيدى فقال ياعقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت فى التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى جعلنى الله فداءك قال فأقرأنى قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم قال ياعقبة لاتنسهن ولاتبت ليلة حتى تقرأهن قال فما نسيتهن منذ قال لاتنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله اخبرنى بفواضل الاعمال فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعرض عمن ظلمك روى الترمذى بعضه فى الزهد من حديث عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه احمد من طريق آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عياش عن اسيد بن عبد الرحمن الخثعمى عن فروة بن مجاهد اللخمى عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء تفرد به احمد (حديث آخر) فى الاستشفاء بهن قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل بن شهاب عن عروة عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة

(١) مكتوب فيها اسماء القوم وأصله سنك وكل وقيل السجيل الشديد وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم التي هي سجين ثم ابدلت النون لاما قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقد قدمنا الكلام في سجيل في سورة هود وعن ابن عباس قال الحجارة كالبندق وبها نضح حمرة مختمة مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره حلقت عليهم من السماء ثم أرسلت عليهم تلك الحجارة فلم تعد عسكرهم وعنه ان أبرهة الاشرم قدم من اليمن يريد هدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا أبابيل يريد مجتمعة لها خراطيم تحمل حصاتين في رجليها وحصاة في منقارها ترسل واحدة على رأس الرجل فيسيل لحمه ودمه ويبقى عظاما خاوية لا لحم عليها ولا جلد ولا دم (فجعلهم كعصف مأكول ٢) أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع اذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل شبه لقطع أوصالهم بتفرق اجزائه وقيل المعنى انهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه بقايا أو كانت حبه فبقي بدون حبه والعصف جمع عصفة وعصافة وعصيفة وقد قدمنا الكلام في العصف في سورة الرحمن فارجع اليه قال ابن عباس يقول كالتبن وعن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان ونحوه عن اسماء بنت أبي بكر وعن ابن عباس قال ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل قال القرطبي أي قبل دخوله بخمسين يوما قال الخازن وهذا هو القول الاصح فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده صلى الله عليه وآله وسلم وعن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وآله وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك

(سورة قريش ويقال سورة لايلاف هي اربع آيات)

وهي مكية عند الجمهور وقال الضحاك والكلبي هي مدنية والاول اصح قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أم هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم أني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش أخرجه البخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال ابن كثير هو حديث غريب ويشهد له ما أخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي وفضلهم بانه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بانه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين غيرهم وهي لايلاف قريش وفضلهم بان فيهم النبوة والخلافة والسقاية واخرج الخطيب في تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعا نحوه

يجمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وهكذا رواه اهل السنن من حديث عقيل به (بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقالت المشركون نحن نعبد الاوثان أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد يعني هو الواحد الاحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات الا على الله عز وجل لانه الكامل في جميع صفاته وافعاله وقوله تعالى الله الصمد قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد اليه الخلائق في

(١) تأمل سر هذه الكتابة وهل كان الطائر الذي يحمله يدركه ويفهم ان هذا الفلان يخصه وصمه حتى لا يرميه الا فوقه واذا كان كذلك فهل كان ادراكه لهذا المعنى من الكتابة المذكورة او بمجرد الالهام انتهى جمل

(٢) قال الشهاب ولم يقل فجعلهم كروث لما في لفظ الروث من الهجنة والشناعة انتهى منه

وهو مرسل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) اللام قيل متعلقة بآخر السورة التي قبلها كأنه قال سبحانه اهلكت أصحاب الفيل لاجل تألف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لايلاف قريش أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون هم أهل بيت الله عزوجل حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه فاهلكهم الله عزوجل فذكرهم نعمته أي فعل ذلك لايلاف قريش أي ليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم وذكر نحو هذا ابن قتيبة قال الزجاج والمعنى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف (١) ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لاتعلق بينهما وقال في الكشاف ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلاف الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه وقد تقدم صاحب الكشاف الى هذا القول الخليل بن أحمد والمعنى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقال الكسائي والاخفش اللام لام التعجب أي اعجبوا لايلاف قريش وقيل هي بمعنى الى وقرئ لالاف وقرئ ليألف بفتح اللام على انها لام الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة معروفة قال سليمان الجمل قرأ ابن عامر لالاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية (٢) والباقون لايلاف بياء قبلها وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهو أدل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط انتهى وقريش هم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ومن لم يلد النضر فليس بقرشي وقريش يأتي منصرفا ان أريد به الحي وغير منصرف ان أريد به القبيلة وقيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر والاول أصح وقوله (الافهم) تأكيد لفظي ولذلك اتصل بضمير ما أضيف اليه الاول وقيل هو بدل لانه أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو قوله (رحلة الشتاء والصيف) لما فيه من الابهام في المبدل منه ثم التبيين في البدل وانما أفرد الرحلة ولم يقل رحلتي الشتاء لأمن الالباس وقيل ان رحلة منصوبة بمصدر مقدر أي ارتحالهم رحلة الشتاء وقيل منصوبة على الظرفية والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حارة والرحلة الاخرى الى الشام في الصيف لانها بلاد باردة وروي انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون في الطائف

نحو أنجيهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفته لاتنبغي الا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار وقال الاعمش عن سفيان عن أبي وائل الصمد السيد الذي قد انتهى سودده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله وقال مالك عن زيد بن أسلم الصمد السيد وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه وقال الحسن أيضا الصمد الحي القيوم الذي لازوال له وقال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو

(١) قال الخازن وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعله السورتين سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان ذو الفقار احد انتهى

(٢) وقد جمع بين القراءتين الشاعر فقال

زعمتم ان اخوتكم قريش
لهم الف وليس لكم الاف

انتهى

والاول أولى فان ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف فى الجاهلية والاسلام قال ابن قتيبة انما كانت تعيش قريش بالتجارة وكانت لهم رحلتان فى كل سنة رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى الشام ولولاهاتان الرحلتان لم يمكن بها مقام ولولا الامن بجوارهم البيت لم يقدروا على التصرف قال ابن عباس فى الآية نعمتى على قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعنه قال ايلافهم لزومهم وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحلات وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف (فليعبدوا رب هذا البيت) أمرهم سبحانه بعبادته بعد ان ذكرهم ما أنعم به عليهم أى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة والبيت الكعبة وعرفهم سبحانه بانه رب هذا البيت لانها كانت لهم أوثان يعبدونها فميز نفسه عنها وقيل لانهم شرفوا بالبيت على سائر العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا للنعمة (الذى أطعمهم من جوع) أى أطعمهم بسبب تينك الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل ان هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا فاخصبوا وزال عنهم الجوع وارتفع القحط قال ابن عباس يعنى قريشا أهل مكة بدعوة ابراهيم حيث قال وارزق أهله من الثمرات (وآمنهم من خوف) أى من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبى بعضها بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل وقال ابن عباس من الجذام وعنه فى الآية قال آمنهم من خوف حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا قال ابن عباس نهاهم عن الرحلة وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم فى الشتاء والصيف ولم تكن لهم راحة فى شتاء ولا صيف فاطعمهم الله بعد ذلك من جوع وآمنهم من خوف وكان ذلك من نعمة الله عليهم وعنه قال أمروا ان يألفوا عبادة رب هذا البيت كالفهم رحلة الشتاء والصيف وقد وردت أحاديث فى فضل قريش وان الناس تبع لهم فى الخير والشر وان هذا الامر يعنى الخلافة لا يزال فيهم ما بقى منهم اثنان رشى فى دواوين الاسلام

(سورة أرأيت ويقال لها سورة الدين وسورة الماعون وسورة اليتيم وهى ست أو سبع آيات)

وهى مكية فى قول عطاء وجابر وأحد قولى ابن عباس ومدنية فى قول قتادة وآخرين وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل نصفها الاول مكى ونصفها الثانى مدنى والاول فى العاص بن وائل والثانى فى عبد الله بن أبى ابن سلول وقال مقاتل والكلبى نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقال السدى فى الوليد بن المغيرة وقال الضحاك فى عمرو بن عائذ وقال ابن جريج فى أبى سفيان وقيل فى رجل من المنافقين

قوله لم يلد ولم يولد وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبى بن كعب فى ذلك وهو صريح فيه وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وعطية العوفى والضحاك والسدى الصمد الذى لا جوف له قال سفيان عن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذى لا جوف له وقال الشعبى هو الذى لا يأكل ولا يشرب الشراب وقال عبد الله بن بريدة أيضا الصمد نور يتلألأ روى ذلك كله وحكاه ابن أبى حاتم والبيهقى والطبرانى وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك باسانيده وقال حدثنى العباس بن أبى طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومى عن عبيد الله بن سعيد قائد الاعمش حدثنى صالح بن حيان عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال لا أعلم الا قد رفعه قال الصمد الذى لا جوف له وهذا غريب جدا والصحيح انه موقوف على عبد الله بن بريدة وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة له بعد ايراده كثيرا من هذه الاقوال فى تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهى صفات ربنا عز وجل هو الذى يصمد اليه فى الحوائج وهو الذى قد انتهى سودده وهو الصمد الذى لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقى بعد خلقه وقال البيهقى نحو ذلك وقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والاستفهام لقصد التعجيب من حال (الذي يكذب بالدين) أي بالجزاء والحساب في الآخرة وقال ابن عباس بحكم الله قرأ الجمهور أرأيت باثبات الهمزة الثانية وقرئ باسقاطها قال الزجاج لا يقال في رأيت ريت ولكن ألف الاستفهام سهلت الهمزة ألفا والرؤية بمعنى المعرفة وقيل هي البصرية فتتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول أي أبصرت المكذب وقيل انها بمعنى أخبرني فتتعدى الى مفعولين الثاني محذوف أي من هو والاول أولى قيل وفي الكلام حذف والمعنى أرأيت الذي يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ (فذلك الذي يدع اليتيم) الفاء جواب شرط مقدر أي ان تأملته أو طلبته فذلك الخ ويجوز أن تكون عاطفة على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة فعلى الاول يكون اسم الاشارة مبتدأ وخبره الموصول أو خبر لمبتدا محذوف أي فهو ذلك والموصول صفته وعلى الثاني يكون في محل نصب لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب ومعنى يدع يدفع دفعا بعنف وجفوة أي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا ومنه قوله سبحانه يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد كانوا لا يورثون النساء والصبيان قال ابن عباس يدفعه عن حقه (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك بخلا بالمال أو تكذيبا للجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين (فويل للمصلين) الفاء جواب لشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين فويل لهم ووضع المصلين موضع لهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخر غير ما ذكر والمعنى عذاب لهم أو هلاك أو واد في جهنم لهم كما سبق الخلاف في معنى الويل ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون غير مبالين وانما عبر بعن دون في لان صلاة المؤمن لا تخلو عن سهو بدليل وقوعه للانبياء ولان المراد السهو عن الصلاة بتأخيرها عن وقتها لا السهو فيها قال الواحدي نزلت في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها واذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا قال النخعي الذين هم عن صلاتهم ساهون هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقرأ ابن مسعود لاهون مكان ساهون قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة في السر ويصلون في العلانية عن مصعب بن سعد قال قلت لابي أرأيت قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه قال انه ليس كذلك انه اضاعة الوقت وعن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الآية قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قال الحاكم والبيهقي الموقوف أصح اسنادا قال ابن كثير ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وعن أبي برزة الاسلمي قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله أكبر هذه الآية خير لكم من أن يعطى كل رجل منكم جميع الدنيا هو الذي

أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة قال مجاهد ولم يكن له كفوا أحد يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ أي هو مالك كل شئ وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون وفي الصحيح صحيح البخاري لا أحد أصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما

ان صلى لم يرج خيره صلاته وان تركها لم يخف ربه رواه ابن جرير وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف فى اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم وعن ابن عباس قال هم الذين يؤخرونها عن وقتها (الذين هم يراؤن) الناس بصلاتهم ان صلوا أو يراؤن الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم قال ابن عباس هم المنافقون يراؤن الناس بصلاتهم اذا حضروا ويتركونها اذا غابوا قال الخازن أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون) الناس أو الطالبين (الماعون) فاعول من المعن وهو الشيء القليل يقال مال معن أى قليل قاله قطرب أو اسم مفعول من عانه يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمصون ومقول اسمى مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة بأن قدمت عينها قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الأولى ألفا فوزنه الآن مفعول قال أكثر المفسرين الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفاس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح وقيل هو الزكاة أى يمنعون زكاة أموالهم قال الزجاج وابو عبيد والمبرد الماعون فى الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداح وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وقالوا أيضا الماعون فى الاسلام الطاعة والزكاة وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وقيل الماعون هو الحق على العبد على العموم وقيل هو المستغل من منافع الاموال مأخوذ من المعن وهو القليل قال قطرب أصل الماعون من القلة والمعن الشيء القليل فسمى الله الصدقة والزكاة ونحو ذلك من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل هو ما لا يحل به كالماء والملح والنار وعن ابن مسعود قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارية الدلو والقدر والفاس والميزان وما تتعاطون بينكم وعنه قال كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفاس وشبهه فيمنعونهم فأنزل الله ويمنعون الماعون وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال ما تعاور الناس بينهم الفاس والقدر والدلو وأشباهه أخرجه أبو نعيم والديلمى وابن عساكر وعن قرة بن دعموص النميرى انهم وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله ما تعهد الينا قال لا تمنعوا الماعون قالوا وما الماعون قال فى الحجر والحديد وفى الماء قالوا فاى الحديد قال قدوركم النحاس [illegible] الذى تمتهنون به قالوا وما الحجر قال قدوركم الحجارة اخرجه [illegible] قال ابن كثير غريب جدا ورفعه منكر وفى اسناده من لا يعرف [illegible] عن اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم الماعون الفاس والقدر [illegible] عارية متاع البيت وعن على بن ابى طالب قال الماعون [illegible] المعروف [illegible] وتمعرون [illegible] ام

(سورة الكوثر وتسمى سورة النحر [illegible])

وهى مكية فى قول ابن عباس والكلبى ومقاتل [illegible] وقتادة وعن ابن [illegible] الكوثر [illegible]

شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين آخر تفسير سورة الاخلاص ولله الحمد والمنة

(تفسير سورتى المعوذتين وهما مدنيتان)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال قلت لابى بن كعب ان ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى ان جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر الحميدى فى مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبى لبابة وعاصم بن بهدلة انهما سمعا زر بن حبيش قال سألت ابى بن كعب عن المعوذتين فقلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لى قل فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أعطيناك الكوثر) قرأ الجمهور هكذا وقرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني أنطيناك بالنون قيل هي لغة العرب العاربة اي قضيناك وخصصناك به فهو لك ولامتك من قبل وجودك وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا في القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل والكوثر فوعل من الكثرة وصف به للمبالغة في الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شئ كثير في العدد أو القدر أو الخطر كوثرا فالمعنى على هذا انا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدي الى أن الكوثر نهر في الجنة وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموقف قاله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوة وقال الحسن هو القرآن وقال الحسين بن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال أبو بكر بن عياش هو كثرة الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وقيل هو الاسلام وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة وقيل لا اله الا الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وسيأتي بيان ما هو الحق وعن أنس قال أغفى رسول الله اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال انه أنزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته كعدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي عن أنس من طرق كلها مصرحة بأن الكوثر هو النهر الذي في الجنة وعن عائشة قالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في بطنان الجنة وعن ابن عباس انه نهر في الجنة وعن حذيفة قال نهر في الجنة وحسن السيوطي اسناده وعن أسامة بن زيد مرفوعا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله أخرجه ابن مردويه فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير اليها وعدم التعويل على غيرها وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوي كما أخرج أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم عن عطاء بن السائب قال قال محارب بن دثار قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت انا

المعوذتين فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال قيل لي فقلت لكم فقولوا قال أبي فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن ابي لبابة عن زر بن حبيش وحدثنا عاصم عن زر قال سألت ابي بن كعب فقلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال اني سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري ايضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش عن ابي بن كعب به وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا الازرق بن علي حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا الصلت ابن بهرام عن ابراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ورواه عبد الله بن احمد من حديث الاعمش عن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله قال الاعمش وحدثنا عاصم عن زر ابن حبيش عن ابي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لي فقلت وهذا

أعطيناك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واخرج البخاري وابن جرير والحاكم من طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال في الكوثر هو الخير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه وهذا التفسير من حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ناظر الى المعنى اللغوي كما عرفناك ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فسره فيما صح عنه انه النهر الذي في الجنة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال القرطبي اصح هذه الاقوال انه النهر والحوض لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصا في الكوثر قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة وقد جمع ذلك كله البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة وذهب صاحب القوت وغيره الى أن حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما هو بعد الصراط والصحيح ان له صلى الله عليه وآله وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر فقيل الميزان وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسي والصحيح ان الحوض قبل قلت والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم (فصل لربك) وكان الظاهر أن يقول لنا فعدل الى الاسم المظهر على طريق الالتفات لانه يوجب عظمة ومهابة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والمراد الامر له صلى الله عليه وآله وسلم بالدوام على اقامة الصلوات المفروضة قال ابن عباس الصلاة المكتوبة وقيل صلاة عيد النحر وهذا يناسب كونها مدنية والاول يناسب كونها مكية (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب قال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون صلاته ونحره له وقال قتادة وعطاء وعكرمة المراد صلاة العيد ونحر الاضحية وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن في منى وقيل النحر وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة حذاء النحر قاله محمد بن كعب وقيل هو أن يرفع يديه في الصلاة عند التكبير الى حذاء نحره وقيل هو ان يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء والكلبي وأبو الاحوص قال الفراء سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا الى نحر هذا أي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر أي تتقابل وروي عن عطاء انه قال أمره ان يستوي بين السجدتين [illegible] وقال سليمان التيمي المعنى وارفع يديك بالدعاء الى نحرك وظاهر الآية الامر له صلى الله عليه وآله وسلم بمطلق الصلاة ومطلق النحر وان يجعلهما لله عز وجل لا لغيره [illegible] من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم المقيد له [illegible] على [illegible] السورة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ان ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتواتر عنده ثم قد رجع عن قوله ذلك الى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم كتبوها في المصاحف الائمة ونفذوها الى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح طريق أخرى قال الامام حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة ابن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي يا عقبة ألا تركب قال فأشفقت ان تكون معصية قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنية ثم ركب ثم قال عقب الا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس قلت بلى يا رسول الله فأقرأني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم أقيمت الصلاة فتقدم

ربى فقال انها ليست بنحيرة ولكن يأمرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم فى السموات السبع وان لكل شئ زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع اليدين من الاستكانة التى قال الله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون أخرجه ابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى سننه وهو من طريق مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن على وعن ابن عباس فى الآية قال ان الله أوحى الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ارفع يديك حذاء نحرك اذا كبرت للصلاة فذاك النحر وعن على فى الآية قال وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما على صدره فى الصلاة وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مثله أخرجه أبو الشيخ والبيهقى فى سننه وعن ابن عباس أيضا اذا صليت فرفعت رأسك من الركوع فاستو قائما وعنه قال هو الذبح يوم الاضحى يقول اذبح يوم النحر (ان شانئك هو الابتر) أى ان مبغضك هو المقطع عن الخير على العموم فيعم خيرى الدنيا والآخرة أو الذى لا عقب له أو الذى لا يبقى ذكره بعد موته وظاهر الآية العموم وان هذا شأن كل من يبغض النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينافى ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سيأتى فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما مر غير مرة قيل كان أهل الجاهلية اذا مات الذكور من أولاد الرجل قالوا قد بتر فلان فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابراهيم (١) خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فنزلت الآية وقيل القائل بذلك عقبة بن أبى معيط قال أهل اللغة الابتر من الرجال الذى لا ولد له ومن الدواب الذى لا ذنب له وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر وأصل البتر القطع يقال بترت الشئ بترا قطعته وفى المختار بتره قطعه قبل التمام وبابه نصر والانبتار الانقطاع والابتر المقطوع الذنب وبابه طرب عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم ألا ترى الى هذا الصابئ المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة قال أنتم خير منه فنزلت ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله فلن تجد له نصيرا أخرجه البزار وابن أبى حاتم وابن مردويه قال ابن كثير واسناده صحيح وعن أبى أيوب قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابئ قد بتر الليلة فأنزل الله انا أعطيناك الكوثر الى آخر السورة أخرجه الطبرانى وابن مردويه وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية رضى الله تعالى عنهم فمات القاسم وهو أول ميت من أهله وولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمى قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله ان شانئك هو الابتر وفى اسناده الكلبى وعنه قال هو أبو جهل وعنه قال يقول عدوك وقيل ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله قال ابن الكلبى ولدت زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ثم مر بى فقال كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت ورواه الترمذى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث ابن وهب عن معن بن صالح عن العلاء بن الحرث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد ابن أبى أيوب حدثنى يزيد بن عبد العزيز الرعينى وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشى عن على بن رباح عن عقبة بن عامر قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرأ بالمعوذات فى دبر كل صلاة ورواه ابو داود والترمذى والنسائى من طرق عن على بن ابى رباح وقال الترمذى غريب (طريق اخرى) قال احمد حدثنا محمد بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن مسرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما تفرد به أحمد (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد ابن معدان عن جبير بن سفيان عن عقبة بن عامر انه قال ان رسول الله

(١) قبل موت ابراهيم كان بعد هلاك أبى جهل فلعله أحد أولاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الاولين اه منه

الطيب والطاهر قال وهذا هو الصحيح وغيره تخليط

*(سورة الكافرون هي ست آيات)

وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي مسلم أيضا من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر وعن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه وأخرج الحاكم وصححه عن أبي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بسبح وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن وكان يقرأ بهما في ركعتي الفجر أخرجه محمد بن نصر والطبراني في الاوسط [illegible] معاوية انه سمع النبي انه قال يا رسول الله علمني ما أقول اذا أويت الى فراشي [illegible] قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك أخرجه أحمد [illegible] والنسائي وغيرهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤن قل يا أيها الكافرون عند منامكم أخرجه [illegible] يعلى والطبراني وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] بسورتين فلا [illegible] قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه ابن [illegible] حباب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا أخذت مضجعك [illegible] وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت فراشه [illegible] قل يا أيها الكافرون [illegible] أخرجه البزار والطبراني وابن مردويه وفي الباب أحاديث [illegible]

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) الالف واللام للجنس ولكنها لما كانت الآية خطابا [illegible] الله انه يموت على كفره [illegible] المراد بهذا العموم خصوص [illegible] عند [illegible] الآية [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] ان [illegible] [illegible] على [illegible] الحاب [illegible] [illegible] السما [illegible]

صلى الله عليه وسلم أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق فأعادها له حتى قرأها فعرف اني لم أفرح بها جدا فقال لعلك تهاونت بها فما قمت تصلي بشيء مثلها ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فذكر نحوه (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد أبي الاسد عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لم يتعوذوا بمثل هذين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] قل قلت ماذا أقول [illegible] قال قلت ماذا أقول يا رسول الله قال قل أعوذ برب الناس [illegible] أتيت على آخرها [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] (طريق أخرى) [illegible] محمد بن [illegible]

انتهى عن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا هذا لنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال ماهي قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة قال حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر السورة وأنزل الله قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وعن سعيد بن ميناء مولى أبي البختري قال لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فان كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظا وان كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظا فانزل الله هذه السورة أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري وعن ابن عباس ان قريشا قالت لو استلمت آلهتنا لعبدنا الهك فانزل الله هذه السورة كلها (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة الهي قال الحافظ ابن القيم في البدائع اشتمال هذه على النفي المحض خاصة هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها فقصودها الاعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة هذا مع انها متضمنة للاثبات صريحا فقوله لا أعبد ما تعبدون براءة محضة ولا أنتم عابدون ما أعبد اثبات أن له معبودا يعبده وأنهم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والاثبات فطابقت قول امام الحنفاء انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وطابقت قول الفتية الموحدين واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها وبقل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح الا بهما وهما توحيد العمل والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وانه اله واحد صمد لم يلد ولم يولد والثاني توحيد القصد والارادة وهو ان لا يعبد الا اياه فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا التوحيد انتهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولا أنا قط فيما سلف عابد ما عبدتم فيه والمعنى انه لم يعهد مني ذلك (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما أنا على عبادته كذا قيل وهذا على قول من قال انه لا تكرار في هذه الآيات لان الجملة الاولى لنفي العبادة في المستقبل لما قدمنا من ان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال والدليل على ذلك ان لن تأكيد لما تنفيه لا قال الخليل في لن أصلها لا فالمعنى لا أعبد ما تعبدون في المستقبل ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أطلبه من عبادة الهي ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم أي لست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل بعكس هذا وهو أن الجملتين الاوليين للحال والجملتين الآخريين للاستقبال بدليل قوله ولا أنا عابد

الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء ابن الحرث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت اقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال لن تقرأ شيأ أنفع عند الله من قل أعوذ برب الفلق (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الاوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبي عبد الله عن ابن عابس الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عابس ألا ادلك أو ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون قال بلى يا رسول الله قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث وقد تقدم في رواية صدي ابن عجلان وفروة بن مجاهد عنه ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال قال

ماعبدتم كما لو قال القائل أنا ضارب زيدا وأنا قاتل عمرا فانه لا يفهم منه الا الاستقبال قال الاخفش والفراء المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد قال الزجاج نفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وقيل ان كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال رفعا للتكرار وكل هذا فيه من التكلف والتعسف مالا يخفى على منصف فان جعل قوله لا أعبد ما تعبدون للاستقبال وان كان صحيحا على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يتم جعل قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد للاستقبال لان الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الاوقات فدخول النفي عليها يرفع مادلت عليه من الدوام والثبات في كل الاوقات ولو كان حملها على الاستقبال صحيحا للزم مثله في قوله ولا أنا عابد ما عبدتم وفي قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الآخرتين على الحال وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس لان الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحدة منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منفية كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بان معانيها في الحال والاستقبال مختلفة وأما قول من قال ان كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال فهو اقرار منه بالتكرار لان حمل هذا على معنى وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل واذا تقرر لك هذا فاعلم ان القرآن نزل بلسان العرب ومن مذاهبهم التي لا تجحد واستعمالاتهم التي لا تنكر أنهم اذا أرادوا التأكيد كرروا كما ان من مذاهبهم انهم اذا أرادوا الاختصار أوجزوا هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا مما لا يحتاج الى اقامة البرهان عليه لانه انما يستدل على ما فيه خفاء ويبرهن على ما هو متنازع فيه وأما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك ولا يرتاب فيه مرتاب فهو مستغن عن التطويل غير محتاج الى تكثير القال والقيل وقد وقع في القرآن الكريم من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وفي أشعار العرب من هذا ما لا يأتي عليه الحصر وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفصح من نطق بلغة العرب انه كان اذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات واذا عرفت هذا ففائدة ما وقع في السورة من التأكيد هو قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ما سألوه من عبادته آلهتهم وانما عبر سبحانه بما التي لغير العقلاء في المواضع الاربعة لانه يجوز ذلك كما في قوله سبحان ما سخركن لنا ونحوه والنكتة في ذلك ان يجري الكلام على نمط واحد لا يختلف وقيل انه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما في المواضع الاربعة هي المصدرية لا الموصولة أي لا أعبد عبادتكم ولا أنتم عابدون عبادتي الخ وجملة (لكم دينكم) مستأنفة لتقرير قوله لا أعبد ما تعبدون وقوله ولا أنا عابد ما عبدتم كما ان قوله (ولي دين) تقرير لقوله ولا أنتم عابدون

رجل كأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال قل أعوذ برب الفلق فقلت أعوذ برب الفلق فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال قل أعوذ برب الناس فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه فقال اذا صليت فاقرأ بهما الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية به (حديث آخر) قال النسائي اخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد ابن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الاسلمي هو ابن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال قل فلم ادر ما أقول ثم قال لي قل قلت هو الله احد ثم قال لي قل قلت اعوذ برب الفلق من شر ما خلق حتى فرغت منها ثم قال لي قل قلت أعوذ برب الناس حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فتعوذوا وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط (حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو جعفر حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو صالح عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اعبد في الموضعين اى ان رضيتم بدينكم وشرككم فقد رضيت بديني وتوحيدي كما في قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي كما تطمعون وديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لانها اخبار والاخبار لا يدخلها النسخ وقيل السورة كلها منسوخة وقال القاضي ولي ديني الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة وقال الحافظ ابن القيم في البدائع وقد غلط في السورة خلائق وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن آخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عموما نص محفوظ وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها وهذه السورة أخلصت للتوحيد ولهذا تسمى سورة الاخلاص والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لا نشرككم فيه ولا تشركونا في ديننا الحق فهذا غاية البراءة والتنصيل من موافقتهم في دينهم فاين الاقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص أفترى اذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال لهم لكم دينكم ولي دين بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى أن يطهر الله منهم بلاده وعباده وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين الى غير سنته اذا قال لهم خلفاء الرسول وذريته لكم دينكم ولنا ديننا هذا فلا يقتضي اقرارهم على بدعهم بل يقولون لهم هذا براءة منها وهم مع ذلك منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان انتهى حاصله قرأ الجمهور ولي باسكان الياء وحذف الياء من ديني وصلا ووقفا وقرئ بفتح الياء من قوله لي واثباتها من ديني وصلا ووقفا وقالوا لانها اسم فلا تحذف ويجاب بان حذفها لرعاية الفواصل سائغ وان كانت اسما ويجاب أيضا بانها من ياآت الزوائد فيراعى فيه اتباع رسم المصحف وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة

(سورة النصر وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وهي مدنية بالاجماع بلا خلاف)

قال ابن عباس أنزل بالمدينة اذا جاء نصر الله والفتح وعن ابن عمر قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الوداع اخرجه البزار وابو يعلى والبيهقي وغيرهم وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعيت الي نفسي أخرجه أحمد وغيره وزاد ابن مردويه في لفظ وقرب الى أجلي وفي لفظ لما نزلت نعيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه

أقرأ يا جابر قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي قال اقرأ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فقرأتهما فقال اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما وتقدم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به وتقدم في آخر سورة ن من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

حين أنزلت فأخذ فى أشد ما كان قط اجتهادا فى أمر الآخرة وعن أم حبيبة قالت لما أنزل اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا عمر فى أمته شطر ما عمر النبى الماضى قبله فان عيسى بن مريم كان أربعين سنة فى بنى اسرائيل وهذه لى عشرون سنة وأنا ميت فى هذه السنة فبكت فاطمة رضى الله تعالى عنها فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنت أول أهلى بى لحوقا فتبسمت أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الى نفسى فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرنى انه نعيت اليه نفسه فبكيت فقال اصبرى فانك أول أهلى لحاقا بى فضحكت اخرجه البيهقى وقد تقدم فى سورة الزلزلة ان هذه السورة تعدل ربع القرآن وهى آخر سورة نزلت جميعا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) النصر العون مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا أعان على نباتها ومنع من قحطها يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اذا أعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اذا سأله ان ينصره عليه قال الواحدى قال المفسرون اذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش وقيل المراد نصره صلى الله عليه وآله وسلم على قريش من غير تعيين وقيل نصره على من قاتله من الكفار وقيل اذا بمعنى قد وقيل بمعنى اذ ومعنى جاء حصل وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا الشكره قاله القاضى وهو استعارة تبعية لكن قول الراغب المجيء الحصول ويكون فى المعانى والاعيان يقتضى خلافه وفى الخطيب جاء بمعنى استقر وثبت فى المستقبل بمجيء وقته المضروب له فى الازل واذا منصوب بتسبح الذى هو جوابها ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف أى نصره اياك والمؤمنين (والفتح) أى فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم والاول اظهر والثانى أنسب والثالث أبعد عن ابن عباس ان عمر سألهم عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال فانت يا ابن عباس ما تقول قال قلت مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نعيت له نفسه وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر وكان بعضهم وجد فى نفسه وقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلمه الله له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر لا أعلم منها الا ما تقول قال الرازى الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب الذى كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد) قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن جابر قال الفلق الصبح وقال العوفى عن ابن عباس الفلق الصبح وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله ابن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظى وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرطبى وابن زيد وابن جرير وهى كقوله تعالى فالق الاصباح وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الفلق الخلق وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه ان يتعوذ من الخلق كله وقال كعب الاحبار الفلق بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبى حاتم ثم قال حدثنا أبى حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدى عن زيد بن على عن ابائه انهم قالوا الفلق جب فى قعر جهنم عليه غطاء فاذا كشف

عليه الفتح أو يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذى هو تمام النعمة أو يقال النصر الظفر والفتح الجنة هذا معنى كلامه ويقال الامر أوضح من هذا وأظهر فان النصر هو التأييد الذى يكون به قهر الاعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم والفتح هو فتح مساكن الاعداء ودخول منازلهم (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى أبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون فى دين الله الذى بعثك به وهو الاسلام جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد صلى الله عليه وآله وسلم باهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل باسرها فى الاسلام قال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين وانتصاب أفواجا على الحال من فاعل يدخلون ومحل يدخلون النصب على الحال ان كانت الرؤية بصرية وان كانت بمعنى العلم فهو فى محل نصب على انه المفعول الثانى وعن أبى هريرة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء أهل اليمن هم أرق قلوبا الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة اذ قال الله أكبر قد جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية أخرجه الطبرانى وابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا أخرجه ابن مردويه وعن أبى هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا أخرجه الحاكم وصححه (فسبح بحمد ربك) هذا جواب الشرط وهو العامل فيه والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله كما مر وقال مكى العامل فى اذا هو جاء ورجحه أبو حيان وضعف الاول بان ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وقوله بحمد ربك فى محل نصب على الحال أى فقل سبحان الله متلبسا بحمده أو حامدا له وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بهذه النعمة التى هى النصر والفتح لأم القرى التى كان أهلها قد بلغوا فى عداوته الى أعلى المبالغ حتى أخرجوه منها بعد أن افتروا عليه من الاقوال الباطلة والاكاذيب المختلقة ما هو معروف من قولهم هو مجنون هو ساحر هو شاعر هو كاهن ونحو ذلك ثم ضم سبحانه الى ذلك أمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار فقال (واستغفره) أى اطلب منه المغفرة لذنبك وسله الغفران هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من ترك ما هو الاولى وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يرى قصوره عن القيام بحق الله ويكثر من الاستغفار والتضرع وان كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقيل ان الاستغفار منه صلى الله عليه وآله وسلم ومن سائر الانبياء هو تعبد تعبدهم الله به

عنه خرجت منه نار تفتح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه وكذا روى عن عمرو بن عنبسة وابن عباس والسدى وغيرهم وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثنى اسحق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمة الخراسانى عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب فى جهنم مغطى اسناده غريب ولا يصح رفعه وقال أبو عبد الرحمن الحبلى الفلق من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الاول انه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخارى فى صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى من شر ما خلق أى من شر جميع المخلوقات وقال ثابت البنانى والحسن البصرى جهنم وابليس وذريته مما خلق ومن شر غاسق اذا وقب قال مجاهد غاسق الليل اذا وقب غروب الشمس حكاه البخارى عنه وكذا رواه ابن أبى نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى والضحاك وخصيف والحسن وقتادة انه الليل اذا أقبل بظلامه وقال الزهرى ومن شر غاسق اذا وقب الشمس اذا غربت وعن عطية وقتادة اذا وقب الليل اذا ذهب وقال أبو المهزم عن أبى هريرة ومن شر غاسق اذا وقب الكوكب وقال ابن زيد كانت العرب تقول الغاسق

لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم وقيل انما أمره الله سبحانه بالاستغفار تنبيها لامته وتعريضا بهم فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار وقيل ان الله سبحانه أمره بالاستغفار لامته لا لذنبه وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلاة والاولى حمله على معنى التنزيه مع ما أشرنا اليه من كون فيه معنى التعجب سرورا بالنعمة وفرحا بما حباه الله من نصر الدين وكبت أعدائه ونزول الذلة بهم وحصول القهر لهم قال الحسن أعلم الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم انه قد اقترب أجله فأمره بالتسبيح والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفرلي انك أنت التواب قال قتادة ومقاتل وعاش صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفره وأتوب اليه فقلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرني ربي اني سأرى علامة من أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون الخ أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي يتأول القرآن تعني اذا جاء نصر الله والفتح وفي الباب أحاديث وقوله (انه كان توابا) تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار أي من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين وقد حكى الرازي في تفسيره اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الاول على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت لشهرين وشيء مضت من الحادية عشرة اذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فلما هاجر صلى الله عليه وآله وسلم لاثني عشر من ربيع الاول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع أنها ناقصة شهرين واثني عشر يوما فلما ذهب رفاه لاثني عشر من ربيع الاول كان الماضي من هذه السنة وهو شهران واثنا عشر يوما مكملا ومتمما لما نقصته السنة الاولى فصح قولهم انه توفي في العاشرة أي على رأسها وحسب كمالها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة ويصح ان يقال توفي في الحادية عشرة بالنظر لجعل التاريخ من أول السنة الشرعية تأمل والله تعالى أعلم

تسقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثار ما حدثني نصر ابن علي حدثني بكار عن عبد الله بن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا وقب قال النجم الغاسق قلت وهذا الحديث لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر قلت وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحرث عن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاراني القمر حين طلع وقال تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحرث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه تعوذي بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب ولفظ النسائي تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب قال أصحاب القول الاول وهو آية الليل اذا ولج هذا لا ينافي قولنا لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضيء الا بالليل فهو يرجع الى ما قلناه والله أعلم وقوله تعالى

(سورة تبت وتسمى سورة أبي لهب كما في البحر هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعائشة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبي لهب) قال مقاتل وابن عباس خسرت وقيل خابت وقال عطاء ضلت وقيل صفرت من كل خير ومنه قولهم شابة أم تابة أي هالكة من الهرم وقيل المعنى هلكت والاول أولى وخص اليدين بالتباب لان أكثر العمل يكون بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله بما قدمت يداك أي نفسك والعرب تعبر كثيرا ببعض الشيء عن كله كقولهم أصابته يد الدهر وأصابته يد المنايا قرأ العامة لهب بفتح الهاء وقرئ بسكونها فقيل لغتان بمعنى كالنهر والنهر والشعر والشعر وقال الزمخشري هو من تغيير الاعلام ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب أنها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل وأبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها ولكون اسمه كما تقدم عبد العزى والعزى اسم صنم ولكون في هذه الكنية ما يدل على انه ملابس للنار لان اللهب هو لهب النار وان كان اطلاق ذلك عليه في الاصل لكونه كان جميلا وان وجهه يتلهب لمزيد حسنه كما تتلهب النار قال القرطبي أولان الله أراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون أبا لهب تحقيقا للنسب وامضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته وروى صاحب الكشاف انه قرئ تبت يدا أبو لهب وذكر وجه ذلك (وتب) أي هلك قال الفراء الاول دعاء عليه والثاني خبر كما تقول أهلكه الله وقد هلك والمعنى انه قد وقع ما دعى به عليه وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وقيل كلاهما اخبار أراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد الخاص وان كان حقيقة اليدين غير مرادة وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك انما جمعتنا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وتب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي ما دفع عنه ما حل به من التباب وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من الارباح والجاه أو المراد بقوله ماله ما ورثه من أبيه وما كسب الذي كسبه بنفسه قال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه ويجوز أن تكون ما في قوله ما أغنى استفهامية أي أي شيء أغنى عنه وكذا في قوله وما كسب أي وأي شيء كسب أو مصدرية أي وكسبه والظاهر أن ما الاولى نافية والثانية موصولة عن عائشة قالت ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ابنه من كسبه ثم قرأت ما أغنى عنه ماله وما كسب قالت وما كسب ولده أخرجه ابن أبي حاتم وعن ابن عباس قال كسبه ولده أي عتيبة بالتصغير

ومن شر النفاثات في العقد قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك يعني السواحر قال مجاهد اذا رقين ونفثن في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب الى الشرك من رقية الحية والمجانين وفي الحديث الآخر ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد فقال نعم فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل حاسد وعين الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه صلى الله عليه وسلم حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى وقال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما قال فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل اليها من يجيء بها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فجاء بها فحلها قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات ورواه النسائي عن هناد

وأما تبة فقد أسلم وفسر الكسب بالولد لمغاير ما قبله فيسلم من التكرار ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال قال الشهاب العدسة قرحة تعتري الانسان كانت العرب تهرب منها لانها بزعمهم تعدي أشد العدوى ثم أوعده سبحانه بالنار فقال (سيصلى نارا) قرأ الجمهور بفتح اللام واسكان الصاد وتخفيف اللام أي سيصلى هو بنفسه النار ويحترق بها وصلي من باب تعب وقرئ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام والمعنى سيصليه الله ومعنى (ذات لهب) ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم (وامرأته حمالة الحطب) معطوف على الضمير في يصلى وجاز ذلك للفصل أي وتصلى امرأته نارا ذات لهب وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت عوراء تحمل الغضى والشوك والسعدان فتطرحها بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمداني وقال مجاهد وقتادة والسدي انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس والعرب تقول فلان يحطب على فلان اذا نم به وقال سعيد بن جبير معنى حمالة الحطب انها حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره كما في قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة الحطب في النار قرأ الجمهور حمالة بالرفع على الخبرية على انها جملة مسوقة للاخبار بان امرأة أبي لهب حمالة الحطب وأما على ما قدمنا من عطف وامرأته على الضمير في يصلى فيكون رفع حمالة على النعت لامرأته والاضافة حقيقية لانها بمعنى المضي أو على انه خبر مبتدا محذوف أي هي حمالة وقرأ عاصم بالنصب على الذم أو على انه حال من امرأته وقرئ حاملة الحطب وعن ابن عباس في الآية قال كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعقره وأصحابه وقيل حمالة الحطب نقالة الحديث (في جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف الذي تفتل منه الحبال قال أبو عبيدة المسد هو الحبل من صوف وقال الحسن هي حبال تكون من شجر ينبت باليمن يسمى بالمسد وقد تكون الحبال من جلود الابل أو من أوبارها والمسد أيضا ليف المقل أو مطلق الليف والمقل شجر الدوم كما في المصباح والمختار وفي القاموس المسد بسكون السين مصدر بمعنى الفتل وبفتحها المحور من الحديد أو حبل من ليف أو كل حبل محكم الفتل والجمع مساد وأمساد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا كانت تعير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها فخنقها الله به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار وقال مجاهد وعروة بن الزبير هو سلسلة من نار يدخل في فيها ويخرج من أسفلها وقال قتادة هو قلادة من ودع كانت لها قال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا أي أجاد فتله قال ابن عباس هي حبال تكون بمكة ويقال المسد العصا التي تكون في البكرة وأخرج ابن أبي حاتم وأبو زرعة عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبي لهب تب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول

عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذا فقال يا عائشة أعلمت ان الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا قال وفيم قال في مشط ومشاطة قال وأين قال في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤس الشياطين قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت فقال أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس ابن عياض وأبي اسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله وعنده فامر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام وابن أبي الزناد والليث بن

* مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا أبا بكر اني أخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وأخرجه البزار بمعناه وقال لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد

(سورة الاخلاص ولها (١) اسماء كثيرة)

ذكرها الخطيب وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى وهذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاصنام والاوثان والقائلين بالثنوية والتثليث هي أربع أو خمس آيات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الخ ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شئ رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم ورواه الترمذي من طريق أخرى عن أبي العالية مرسلا ولم يذكر أبيا ثم قال وهذا أصح وعن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الى آخر السورة أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم وحسن السيوطي اسناده وعن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة أخرجه أبو الشيخ في العظمة والطبراني وعن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم كعب بن الاشراف وحيي بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد فيخرج منه الولد ولم يولد فيخرج من شئ رواه البيهقي وغيره وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما وعن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبك اياها أدخلك الجنة رواه أحمد والترمذي وابن الضريس والبيهقي في سننه وقد وردت أحاديث كثيرة في ان من قرأ هذه السورة كذا غفر له ذنوب كذا وكذا وهي في السنن وغيرها ولكنها ضعيفة غريبة وفيها ما هو متهم بالوضع وقد روي من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن فمن ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن يعني قل هو الله أحد قيل ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد

سعد وقد رواه مسلم من حديث أبي اسامة حماد بن اسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهيب عن هشام به ورواه الامام أحمد أيضا عن ابراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اشهر يرى انه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان فجلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال احدهما للآخر ما باله قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم وذكر تمام الحديث وقال الاستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم

(١) سورة التنزيل وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الاخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة لقولهم انعت لنا ربك وسورة المعرفة وسورة الجمال وسورة المقشقشة وسورة المعوذة وسورة الصمد وسورة الاساس قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد والمانعة لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت والمنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها وسورة البراءة لانها براءة من الشرك والمذكرة لانها تذكرا لعبد خالص التوحيد والنور لانها تنور القلب وعشروها سورة الانسان انتهى منه رحمه الله

فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص وما فى الكشاف من انها تعدل القرآن كله قال الدوانى لم أره فى شئ من كتب التفسير والحديث انتهى ولو لم يرد فى فضل هذه السورة الا حديث عائشة عند البخارى ومسلم وغيرهما ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا فى سرية فكان يقرأ لاصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سلوه لاى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان أقرأ بها فقال اخبروه ان الله تعالى يحبه هذا لفظ البخارى فى كتاب التوحيد وأخرج البخارى أيضا فى كتاب الصلاة من حديث أنس قال كان رجل من الانصار يؤمهم فى مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة فقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك فى كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرأ بالاخرى فاما ان تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى قال ما أنا بتاركها ان أحببتم ان أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من افضلهم فكرهوا ان يؤمهم غيره فلما أتاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة فقال انى أحبها قال حبك اياها أدخلك الجنة وقد روى بهذا اللفظ من غير وجه عند غير البخارى وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلة وجلالة محله وفى التوحيد وصفاته سبحانه كتب ورسائل مستقلة مفرزة تصدى لجمعها وتأليفها عصابة من أهل العلم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة منهم شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى وتلميذه الحافظ محمد بن ابى بكر بن القيم وغيرهما من سلف الائمة وخلفها كالمقريزى والشوكانى ومحمد ابن اسمعيل الامير اليمانى ومحمد بن اسمعيل الدهلوى وأمثالهم رحمنا الله واياهم أجمعين اللهم اجعلنا من الموحدين لك واحشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عذابك المكرمين بلقائك وتقبل منا انك أنت السميع العليم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير يجوز أن يكون عائدا الى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول وان المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فيكون مبتدأ والله مبتدأ ثان وأحد خبر المبتدا الثانى والجملة خبر المبتدا الاول ويجوز أن يكون الله بدلا من هو والخبر أحد ويجوز أن يكون الله خبرا أول وأحد خبرا ثانيا ويجوز أن يكون أحد خبرا لمبتدا محذوف أى هو أحد ويجوز أن يكون هو ضمير شأن لانه موضع تعظيم والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه والاول أولى قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله والمعنى ان سألتم تبيين نسبته هو الله احد قيل وهمزة احد بدل من الواو وأصله واحد ومن جملة القائلين بالقلب

الخليل

بر الوابه حتى أخذ مشاطة رأس النبى صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذى تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها فى بئر لبنى زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ولبث ستة اشهر يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدرى ما عراه فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فجلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن الاعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال وأين هو قال فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر فى أسفل البئر ناتئ يقوم عليه المائح فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة أما شعرت ان الله أخبرنى بدوائى ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الاخيرة فقام كأنما نشط من عقال

الخليل وقال أبو البقاء همزة احد أصل بنفسها غير مقلوبة وذكر ان أحد يفيد العموم دون واحد ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الازهرى أنه لا يوصف بالاحدية غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد قيل والواحد يدخل فى الاحد والاحد لا يدخل فيه فاذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد وفرق ثعلب بين واحد وبين أحد بان الواحد يدخل فى العدد وأحد لا يدخل فيه ورد عليه أبو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد وهذا كما ترى انتهى وذكر أحد فى الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفى كما ان الواحد لا يستعمل الا بعد الاثبات يقال فى الدار واحد وما فى الدار أحد فالجواب عنه ما قال ابن عباس انه لا فرق بينهما فى المعنى واختاره أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم وعليه فلا يختص احدهما بمحل دون آخر وان اشتهر استعمال أحدهما فى النفى والآخر فى الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن المشهور هنا رعاية للفاصلة بعد فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال وهى الثبوتية كالعلم والقدرة والارادة وبالاحد على صفات الجلال وهى الصفات السلبية كالقدم والبقاء كذا قال الكرخى قرأ الجمهور قل هو الله احد باثبات قل وقرأ ابن مسعود وأبى الله أحد بدون قل وقرئ قل هو الله الواحد وقرأ الجمهور بتنوين أحد وهو الاصل وقرئ بحذفه للخفة وقيل ان ترك التنوين لملاقاته لام التعريف فيكون الترك لاجل الفرار من التقاء الساكنين ويجاب عنه بان الفرار من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الاول منهما بالكسر (الله الصمد) الاسم الشريف مبتدأ والصمد خبره والصمد هو الذى يصمد اليه فى الحاجات أى يقصد لكونه قادرا على قضائها فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لانه مصمود اليه اى مقصود اليه قال الزجاج الصمد السيد الذى انتهى اليه السودد فلا سيد فوقه وقيل معنى الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزول وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من انه الذى لم يلد ولم يولد وقيل هو المستغنى عن كل احد والمحتاج اليه كل أحد وقيل هو المقصود فى الرغائب والمستعان به فى المصائب وهذان القولان يرجعان الى معنى القول الاول وقيل هو الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقيل هو الكامل الذى لا عيب فيه وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفى والسدى الصمد هو المصمت الذى لا جوف له وهذا لا ينافى القول الاول لجواز ان يكون هذا أصل معنى الصمد ثم استعمل فى السيد المصمود اليه فى الحوائج ولهذا أطبق على القول الاول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية وحذف العاطف من هذه الجملة لانها كالنتيجة للجملة الاولى وقيل ان الصمد صفة للاسم الشريف والخبر هو ما بعده والاول أولى لان السياق يقتضى استقلال كل جملة وعن بريدة قال الصمد الذى لا جوف له وروى عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن ابن مسعود مثله وفى لفظ ليس له أحشاء وعن ابن عباس مثله وعنه قال الصمد الذى لا يطعم وهو المصمت وقد روى عنه انه الذى يصمد

وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك فقالوا يارسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد شفانى الله وأكره ان أثير على الناس شرا هكذا أورده بلا اسناد وفيه غرابة وفى بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل

اليه فى الحوائج وفى لفظ الصمد السيد الذى قد كمل فى سودده والشريف الذى قد كمل فى شرفه والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحليم الذى قد كمل فى حلمه والغنى الذى قد كمل فى غناه والجبار الذى قد كمل فى جبروته والعالم الذى قد كمل فى علمه والحكيم الذى قد كمل فى حكمته وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغى الا له ليس له كفء وليس كمثله شئ وعن ابن مسعود قال الصمد هو السيد الذى قد انتهى سودده فلا شئ أسود منه وعن ابن عباس قال الصمد الذى تصمد اليه الاشياء اذا نزل بهم كربة أو بلاء (لم يلد ولم يولد) أى لم يصدر عنه ولد كما ولدت مريم ولم يصدر هو عن شئ كما ولد عيسى وعزير لانه لا يجانسه شئ ولاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا وقد دل على هذا قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة قال قتادة ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله فقال لم يلد ولم يولد قال الرازى قدم ذكر نفى الولد مع ان الوالد مقدم للاهتمام لاجل ما كان يقوله الكفار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والدا فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم أشار الى الحجة فقال ولم يولد كأنه قيل الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره وانما عبر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد فى الماضى ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك فى المستقبل لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله كما حكى الله عنهم بقوله ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفى فيما مضى وردت الآية لدفع قولهم هذا (ولم يكن له كفوا أحد) هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها لانه سبحانه اذا كان متصفا بالصفات المتقدمة كان متصفا بكونه لم يكافئه أحد ولم يماثله ولا يشاركه فى شئ وأخر اسم كان لرعاية الفواصل وقوله له متعلق بقوله كفوا قدم عليه لرعاية الاهتمام لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته وقيل انه فى محل نصب على الحال والاول أولى وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لان سيبويه قال انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وههنا لم يجعل خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يجعل ذلك حتما بل جوزه والثانى انا لا نسلم كون الظرف هنا ليس بخبر بل يجوز أن يكون خبرا ويكون كفوا منتصبا على الحال وحكى فى الكشاف عن سيبويه ان الكلام العربى الفصيح ان يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر [illegible] فى هذه الحكاية على نقل أو كلام سيبويه ولم ينظر الى آخره [illegible] والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار [illegible] قال [illegible] بين هذه الجمل الثلاث وهى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد [illegible] هذه السورة لانها [illegible] لمعنى وغرض واحد [illegible] من الوجوه وهذا أقسام [illegible] المقسم [illegible] محققة [illegible]

الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شئ ومليكه والهه جميع الاشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان فانه ما من احد من بنى آدم الا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألو جهدا فى الخبال والمعصوم من عصم الله وقد ثبت فى الصحيح انه ما منكم من احد الا قد وكل به قرينه قالوا وأنت يارسول الله قال نعم الا ان الله اعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بخير وثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصة زيارة صفية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو

المحتاج اليه كل ماسواه لا يكون والدا ولا مولودا انتهى قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والفاء وتسهيل الهمزة وقرأ الاعرج وسيبويه ونافع فى رواية عنه باسكان الفاء مع ابدال الهمزة واوا فى الوقف وأبدلت الواو وصلا ووقفا أيضا وقرئ كفا بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد وكذلك مع المد والكفء فى لغة العرب النظير تقول هذا كفؤك أى نظيرك والاسم الكفاءة بالفتح قال ابن عباس ليس له كفء ولا مثل ومن زعم ان نفى الكفء وهو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفأ للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل أخرج البخارى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

(سورة الفلق هى خمس آيات)*

وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة قال وهو الصحيح وعن ابن مسعود انه كان يحك المعوذتين من المصحف يقول لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله انما أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما أخرجه أحمد والطبرانى وابن مردويه من طرق قال السيوطى صحيحة قال البزار لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأ بهما فى الصلاة واثبتتا فى المصحف وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن زر بن حبيش قال اتيت المدينة فلقيت أبى بن كعب فقلت له أبا المنذر انى رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه فقال أما والذى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهما وما سألنى عنهما أحد منذ سألته غيرك قال قيل لى قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبى زعم ابن مسعود ان هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليستا من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة وأهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن مسعود المعوذتين فى مصحفه لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين بهما فقدر أنهما بمنزلة أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال أبو بكر بن الانبارى وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين وأعيذكما الخ من كلام البشر وكلام الخالق الذى هو آية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحجة له باقية على جميع الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وأفانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه أمن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وقد حرر مسلم

معتكف وخروجه معها ليلا ليردها الى منزلها فلقيه رجلان من الانصار فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم اسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيى فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيأ أو قال شرا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدى ابن أبى عمارة حدثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان

والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزلت على الليلة آيات لم أر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وأخرج الترمذي وحسنه وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من عين الجان من عين الانس فلما نزلت سورة المعوذتين أخذ بهما وترك ما سوى ذلك وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره عشر خصال ومنها انه كان يكره الرقى الا بالمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحب السور الى الله قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتها أخرجه مالك في الموطا وهو في الصحيحين من طريق مالك وعن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان فارسل عليا فجاء به فأمره ان يحل العقد ويقرأ آية ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانما نشط من عقال أخرجه عبد بن حميد في مسنده وأخرجه ابن مردويه من حديث عائشة مطولا وكذلك من حديث ابن عباس قيل وكانت مدة سحره صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر وقيل عاما قال الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال الراغب تأثير السحر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان أو بشر كما كان يأكل ويتغوط ويغضب ويشتهي ويمرض فتأثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وانما يكون ذلك قادحا في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع للنبوة كما ان جرحه وكسر (١) ثنيته يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتداد بما يقع في الاسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم أرادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى ومذهب أهل السنة ان السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين وتمام الكلام على هذا في حاشية سليمان الجمل فارجع اليه وقد ورد في فضل المعوذتين وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما في الصلاة وغيرها أحاديث وفيما ذكرناه كفاية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح يقال هو أبين من فلق الصبح وسمي فلقا لانه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول قال الزجاج لان الليل ينفلق عنه الصبح ويكون بمعنى مفعول وهذا قول جمهور المفسرين وقيل هو سجن في جهنم وقيل هو اسم من أسماء جهنم وقيل شجرة في النار وقيل هو الجبال والصخور لانها تفلق بالمياه أي تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله قال النحاس يقال لكل ساطع من ...

ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب تفرد به أحمد اسناده جيد قوي وفيه دلالة على ان القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وان لم يذكر الله

(١) قوله ثنيته كذا في الاصل الذي بأيدينا والذي في البخاري ومسلم وهو المشهور المعروف من كتب السير أن التي كسرت يوم أحد هي رباعيته صلى الله عليه وسلم لا ثنيته اه مصححه

الارض فلق وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قاله الحسن والضحاك قال القرطبي هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق يقال فلقت الشيء فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله سبحانه فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى انتهى والقول الاول أولى لان المعنى وان كان أعم منه وأوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الاطلاق وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الايماء الى ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرح فكما ان الانسان في الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا لطلوع صباح النجاح وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير عن عمرو بن عبسة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ قل أعوذ برب الفلق وقال يا ابن عبسة أتدري ما الفلق قلت الله ورسوله أعلم قال بئر في جهنم أخرجه ابن مردويه وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه غير مرفوع وعن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق هل تدري ما الفلق باب في النار اذا فتح سعرت جهنم أخرجه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عز وجل قل أعوذ برب الفلق فقال هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتتعوذ بالله منه أخرجه ابن مردويه والديلمي وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب في جهنم أخرجه ابن جرير وهذه الاحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكان المصير اليها واجبا والقول بها متعينا وعن ابن عباس قال الفلق سجن في جهنم وعن جابر بن عبد الله قال الفلق الصبح وعن ابن عباس أيضا الفلق الخلق (من شر ما خلق) متعلق بأعوذ اي اعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور فهذا عام وما بعده من الشرور الثلاثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام وقيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم ولا وجه لهذا التخصيص كما انه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرأ بتنوين شر على ان ما نافية والمعنى من شر لم يخلقه ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد وفي المدارك قرأ أبو حنيفة رحمه الله تعالى من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي شر خلقه أي من خلق شر أو ما زائدة انتهى وفيه أيضا بعد وضعف كما ترى (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل والغسق الظلمة قال الفراء يقال غسق الليل وأغسق اذا أظلم وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها وينبعث أهل الشر على العيث والفساد كذا قال وهو قول بارد فان اهل اللغة على

تعاظم وغلب وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا كان في المسجد جاءه الشيطان فالتبس به كما يلتبس الرجل بدابته فاذا سكن له زنقه أو ألجمه قال أبو هريرة رضي الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله واما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به احمد وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال الشيطان

خلافه وكذا جمهور المفسرين ووقوبه دخول ظلامه يقال وقبت الشمس اذا غابت وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وبه قال ابن زيد وهذا محتاج الى نقل عن العرب انهم يصفون الثريا بالغسوق وقال الزهري هو الشمس اذا غربت وكانه لاحظ معنى الوقوب ولم يلاحظ معنى الغسوق وقيل هو القمر اذا خسف وقيل اذا غاب وبهذا قال قتادة وغيره واستدلوا بحديث اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما الى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال الترمذي بعد اخراجه حسن صحيح وهذا لا ينافي قول الجمهور لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وهكذا يقال في جواب من قال انه الثريا قال ابن الاعرابي في تأويل هذا الحديث وذلك ان أهل الريب يتحينون وجبة القمر وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها وقيل الغاسق هو السائل وقد عرفناك ان الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله أهل القول الاول ووجه تخصيصه ان الشر فيه اكثر والتحرز من الشرور فيه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق وهو الثريا اخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وغيرهما وروى من وجه آخر عنه غير مرفوع وقد قدمنا تأويل هذا وتأويل ما ورد ان الغاسق القمر واخرج ابو الشيخ عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ارتفعت النجوم رفعت كل عاهة عن كل بلد وهذا لو صح لم يكن فيه دليل على أن الغاسق هو النجم او النجوم وعن ابن عباس في الآية قال الليل اذا اقبل (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات هن السواحر اي واعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات او النساء النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثره والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرا الجمهور النفاثات جمع نفاثة على المبالغة وقرئ النافثات جمع نافثة والنفاثات بضم النون والنفثات بدون الف وقال ابن عباس الساحرات وعنه قال هو ما خالط السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيأ وكل اليه وعنه قال جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعودني فقال ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى بابي انت وامي قال بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فرقى بها ثلاث مرات اخرجه ابن ماجه وابن سعد والحاكم وغيرهم واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات

جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر ابن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان أو الوسواس ينقب في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فاذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس في قوله الوسواس قال هو الشيطان يأمر فاذا أطيع خنس وقوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم بني آدم والجن فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا قال ابن جرير وقد استعمل

الحديث وانكر جماعة التفل والنفث في الرقى واجاز والنفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قال النسفي يجوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه (ومن شر حاسد) الحسد تمني زوال النعمة التي انعم الله بها على المحسود ومعنى (اذا حسد) اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه وحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود قال عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال

قل للحسود اذا تنفس طعنة * ياظالما وكأنه مظلوم

ذكر الله سبحانه في هذه السورة ارشاد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره وهو الغاسق والنفاثات والحاسد فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقون بافراد كل واحد منهم بالذكر وختم بالحسد ليعلم انه اشد وأشر وهو اول ذنب عصى الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرف النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حاسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات ذكره النسفي في المدارك وعن ابن عباس في قوله ومن شر [illegible]

* (سورة الناس هي ست آيات) *

والخلاف في كونها مكية او مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق قال ابن عباس انزل بمكة قل أعوذ برب الناس وعن ابن الزبير قال انزل بالمدينة وقد قدمنا في سورة الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة وما ورد في فضلها فارجع اليه وأتى الحافظ ابن القيم في البدائع بفوائد بديعة كثيرة تتعلق بالمعوذتين وكتب عشرين ورقة في بيان ذلك لا يتسع هذا المقام لبسطها ان شئت فراجعه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ) قرأ الجمهور بالهمزة وقرئ بحذفها ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) قرأ الجمهور بترك الامالة في الناس وقرئ بالامالة والمعنى مالك أمرهم ومربيهم ومصلح أحوالهم وانما قال رب الناس مع انه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم وقوله (ملك الناس) عطف بيان جيء به لبيان ان ربيته سبحانه ليست كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر وقد اجمع جميع القراء في هذه السورة على ترك الالف من ملك بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى (اله الناس) هو أيضا عطف بيان لبيان ان ربوبيته وملكه قد انضم اليهما المعبودية المؤسسة على الالوهية

فيهم رجال من الجن فلا بدع في اطلاق الناس عليهم وقوله تعالى من الجنة والناس هل هو تفصيل لقوله الذي يوسوس في صدور الناس ثم بينهم فقال من الجنة والناس وهذا يقوي القول الثاني وقيل قوله من الجنة والناس تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكما قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا أبو عمرو الدمشقي حدثنا عبيد بن الخشخاش عن ابي ذر قال

المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى بالايجاد والاعدام وأيضا الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار ورب المتاع ومنه قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فبين انه ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فبين انه اله لان اسم الاله خاص به لا يشاركه فيه أحد وأيضا بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه من أوائل عمره الى أن صار عاقلا كاملا فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك فذكر انه ملك الناس ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وانه عبد مخلوق وان خالقه اله معبود بين سبحانه انه اله الناس وكرر لفظ الناس فى الثلاثة المواضع لان عطف البيان يحتاج الى مزية الاظهار والبيان ولان التكرير يقتضى مزيد شرف الناس وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه ذكره النسفى ولا وجه لهذا التخصيص وانما هذا الكلام من لطائف البيان (من شر الوسواس) قال الفراء هو بفتح الواو بمعنى الاسم أى الموسوس وبكسرها المصدر أى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وقيل هو بالفتح اسم لمعنى الوسوسة والوسوسة هى حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة أى حدثته حديثا وأصلها الصوت الخفى ومنه قيل لاصوات الحلى وسواس قال الزجاج الوسواس هو الشيطان أى ذى الوسواس ويقال ان الوسواس ابن لابليس وسمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة فى تفسير قوله فوسوس لهما الشيطان ومعنى (الخناس) كثير الخنس وهو التأخر يقال خنس يخنس اذا تأخر قال مجاهد اذا ذكر الله خنس وانقبض واذا لم يذكر انبسط على القلب ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا أقسم بالخنس يعنى النجوم لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم وقيل الخناس اسم لابن ابليس كما تقدم فى الوسواس وعن ابن عباس فى قوله الوسواس الخناس قال مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس اليه فان ذكر الله خنس وان سكت عاد اليه فهو الوسواس الخناس وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسيه التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابو يعلى وابن شاهين والبيهقى فى الشعب وعن ابن عباس فى الآية قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله خنس وعنه قال ما من مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس وقد ورد فى معنى هذا احاديث وظاهر انه مطلق ذكر الله يطرد الشيطان وان لم يكن على طريق الاستعاذة ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز بخيرى الدنيا والآخرة (الذى يوسوس فى صدور الناس) قال قتادة ان الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له واذا ذكر

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فجلست فقال يا اباذر هل صليت قلت لا قال قم فصل قال فقمت فصليت ثم جلست فقال يا ابا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن قال فقلت يا رسول الله وللانس شياطين قال نعم قال قلت يا رسول الله الصلاة قال خير موضوع من شاء أقل ومن شاء اكثر قلت يا رسول الله فالصوم قال فرض يجزى وعند الله مزيد قلت يا رسول الله فالصدقة قال اضعاف مضاعفة قلت يا رسول الله فايها أفضل قال جهد من مقل أو سر الى فقير قلت يا رسول الله أى الانبياء كان أول

العبد بخنس قال مقاتل ان الشيطان فى صورة خنزير يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه سلطه الله على ذلك ووسوسته هى الدعاء الى طاعته بكلام خفى يصل الى القلب غير من سماع صوت والجملة فى محل الجر على الصفة أو الرفع على تقدير مبتدا والنصب على الذم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ثم بين سبحانه الذى يوسوس بانه ضربان جنى وانسى فقال (من الجنة والناس) أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس وأما شيطان الانس فوسوسته فى صدور الناس انه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع فى الصدر من كلامه الذى أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه شياطين الانس والجن ويجوز أن يكون متعلقا بيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز أن يكون بيانا للناس قال الرازى وقال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله فى صدور الناس لان القدر المشترك بين الجن والانس سمى انسانا والانسان أيضا سمى انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الانس والجن ما روى انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من أنتم قالوا ناس من الجن وأيضا قد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل يجوز أن يكون المراد أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ومن الجنة والناس كانه استعاذ به من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ به من جميع الجنة والناس وقيل المراد بالناس الناسى وسقطت الياء كسقوطها فى قوله يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان كل فرد من أفراد الفريقين فى الغالب مبتلى بالنسيان وأحسن من هذا أن يكون قوله والناس معطوفا على الوسواس أى من شر الوسواس ومن شر الناس كانه أمر أن يستعيذ من شر الجن والانس قال الحسن أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتى علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وقيل ان ابليس يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الانس وواحد الجنة جنى كما ان واحد الانس انسى والقول الاول هو أرجح هذه الاقوال وان كان وسوسة الانس فى صدور الناس لا تكون الا بالمعنى الذى قدمنا ويكون هذا البيان تذكر الثقلين للارشاد الى ان من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى

قال آدم قلت يا رسول الله ونبيا كان قال نعم نبى مكلم قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وقال مرة خمسة عشر قلت يا رسول الله اى ما انزل عليك اعظم قال آية الكرسى الله لا اله الا هو الحى القيوم ورواه النسائى من حديث أبى عمر الدمشقى به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان فى صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالله أعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحدث نفسى بالشىء لأن أخر من السماء احب الى من ان اتكلم به قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة ورواه أبو داود والنسائى من حديث منصور زاد النسائى والاعمش كلاهما عن ذر به ((آخر التفسير ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين))

(يقول العبد الضعيف الخامل المتوارى مؤلف هذا التفسير صديق ابن حسن بن على الحسينى القنوجى البخارى ختم الله له بالحسنى واذاقه حلاوة رضوانه الاسنى)

والى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فنى الرواية والدراية الرافع من ألوية التحقيق والتنقيح أعظم راية وكان الفراغ منه فى ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذى الحجة أحد شهور سنة تسع وثمانين بعد مائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وقد تم بتمامه وانتهى بانتهائه الاسبوع والشهر والسنة اللهم كما مننت على باكمال هذا التفسير وأعنتنى على تحصيله وتفضلت على بالفراغ منه على ما أردت فامنن على بقبوله واجعله لى ذخيرة خير عندك واجزل لى المثوبة بما صرفت الوقت فى تحريره كما قلت فى كتابك انى لا اضيع عمل عامل منكم وكما قلت فى هذا الباب

كل يجىء بكسبه وكتابه * يوم القيامة آخر الازمان
فى حضرة الرحمن جل جلاله * عم الورى بالعفو والغفران
ويجىء هذا العبد وهو مقصر * بكتابه التفسير فتح بيان

ثم اللهم انفع به من أخلفه من بعدى من ولدى ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لى الانتفاع به بعد موتى فان هذا هو المقصد الجليل والمطلب الجميل من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصا لوجهك الكريم وتجاوز عنى اذا خطر لى من خواطر لسوء ما فيه شائبة تخالف الاخلاص والتوحيد واغفر لى ما لا يطابق مرادك فانى لم أقصد فى بحاثى فيه الا اصابة الحق وموافقة ما ترضاه فان أخطأت فانت غافر الخطيئات تسحب ذيل الستر على الهفوات وان أصبت فانت قابل الطاعات ومانح العطيات يا بارئ البريات وقد جمعته فى زمن أهله بغير الكتاب والسنة يفخرون وصنعته كما صنع نوح عليه السلام الفلك ومنه يسخرون ولله در من يقول

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

ثم اللهم وأحمدك على ما أوليتنى من نعمك الوافرة من الاموال والاولاد والعلم النافع من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا احصى حمدا لك واشكرك على ما رزقتنى من خلوص النية فى القول والعمل والاعتقاد لا أحصى شكرك انت كما اثنيت على نفسك وقد رويت فى صحيح مسلم بن الحجاج بسنده المتصل الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له اللهم فهذا علم [illegible] وقد جعلت نيتى [illegible] انتصارى فى تفسير كتابك لمذهب ذاهب أو قول قائل ما عدا قولك [illegible] رسولك [illegible] الله عليه وآله وسلم فانفعنى به فى الحياة الدنيا وفى الآخرة واجزنى [illegible] أهل التقوى وأهل المغفرة وهذه أولادى فاجعلهم من عبادك الصالحين [illegible] عمالى ووفقهم للعلم النافع والعمل الصالح واحفظهم من أن [illegible] لا تحبه ولا ترضاه واجعل لى ولهم لسان صدق فى الآخرين رب أوزعنى أن أشكر

نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى
فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين وقد طعنت فى العشر
الخامس من عمرى ووهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا
فاعذرنى فلم أكن بدعائك رب شقيا ولنختم
الكلام بالحمد لله رب العالمين كما بدأنا به
أول مرة وصلى الله تعالى وسلم
وبارك على خير خلقه محمد
وآله وصحبه كرة
بعد كرة

(تم)

﴿يقول مصححه﴾

ولما تم بدر هذا التفسير الجليل وبرز للعيان يتيه على عشاقه بشكله الجميل ولحظته عيون الادباء فى جميع الآفاق والاقطار وأعملوا فيه جياد أفكارهم مدى الليل والنهار انطلق كل منهم فى حلبة المديح معتقدا محاسنه مقرظا مثنيا على مؤلفه حفظه الله بحسن اجادته ناطقا ببعض فضائله لا لفظا .

(فمنهم شيخ الادباء وتاج الاذكياء الحنفاء ونخبة الاصدقاء الشيخ أحمد بن حسن المدنى الحلوانى أعانه الله تعالى بنيل الامانى قال حفظه الله مقرظا ومؤرخا عام الطبع الاول بالمطبعة العامرة بمدينة بهوبال بلغ الله أهلها وأميرهم الاعظم ورئيسهم وسيدهم الاكرم بجميع الآمال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

خير الكلام كلام الرب جل وعلا وأعظم الآثار شأوه على روس الملا اللهم اجعل أفضل صلواتك وأزكى تحياتك على من أنزلت عليه كلامك المجيد واتممته على حلى مفرق الوحى والجيد محمد سيد البدو والحضر وأفضل من وفى ونهى وأمر صلى الله عليه وعلى من والاه ما دعا داع مخبت أواه (وبعد) فان علم التفسير هو فى نفسه خطير بيد أنه العلة الاولى لجميع العلوم والسبب الاقصى فى المنطوق والمفهوم جدير وان كان السلف بنوا فيه القصور المناظر الا انه كم ترك الاول للآخر وان فى الخمر معنى ليس فى العنب وبينما كان الناس يخبطون خبط عشواء ويهيمون بليل عماء فى غبار المحاربات بين الفخر والزمخشرى الا وقيض الله لهم السرى ابن السرى ابن السرى ألا وهو النواب (السيد محمد صديق حسن خان بهادر) أمير بهوبال أحسن الله له المآل فانه وان ظهر بعد حين الا انه أتى بما لم يجد به الاولون وهاك تفسيره المسمى (بفتح البيان) فانه أحسم دليل وأقطع برهان وأوضح صباح وأبلغ تبيان فى حل منازعات المتقدمين وكشف اشكالات العلماء الراسخين وبيان أسرار كلام رب العالمين

ولتعلمن نبأه بعد حين وهذه التفاسير ألوف على وجه الغبراء فاطرح التقليد واهجر المراء تعلم ان فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل وانه لاعطر بعد عروس وقد وضح الصبح لذى عينين واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ولما طلعت شمس طبعه على الوجود وأينع منها الغصن واورق العود أنشدت مؤرخا ومادحا ولاعدائه صادما وكابحا (شعر)

أبجريت يابوفال طرف بيانى * وسلوت فيك محاسن الأوطان
بمديح مهدى الأوان من اقتفى * فى سيره ماسنه العمران
نواب بوفال رعاها الله كم * تسمو به شرفا على كيوان
صديقها حسن امام العصر من * شرفت به الآباء من عدنان
هو حيدر فى فتكه بل يوسف * فى حسنه فى درعه التمران
يابدر أفق العلم بل ياشمسه * ياغوثه ياد عة الطـما ن
أسديت فى بوفال ثوب عدالة * ماحاكه كسرى أنوسروان
وغرستها شجر الفهوم فأصبحت * ترهو على باديه الهـرمان
ومنحتها سبل السلام فأينعت * زهر الربيع وروضة النعمان
ياحسن روض بالمعارف مورق * أروى به الوسمى غصن ا ـا ـ
سل عنه دار الطبع كم أسدى بها * دررا تفوق قـ ا ـ ا عـ ت ان
سل عنه أهل الربع كم أرباهم * ببيانه و حـ ـ ـ ر سـ ـ ـ ا ت
وسل العلوم وأهلها هل عاينوا * بحرا ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ د
وانشدهم مستفسرا اهل شاهدوا * صبحا كفتح مقاصد القرآن
لله ما أبديته من معجز الشـ * ـرازى والاسرار التبيان
وجليت فى الفرقان آيات لها * فى كل ـ ـ ر آ ـ ـ ـ ان
وألفتها زهر البديع مفوفا * أزرى البديع و ـ ـ ـ ـ ـ ـ
ونسجته فى الطبع احسن مطرف * يكسو الأنام بلا ـ العرفان
لما انتهى فى طبعه أرخت فى * فتح البيان مـ ـ ـل ا قرآن
٩٠ ٤٩١ ٩٤ ٢٤٠ ٣١٢

(وكتبه فقير ربه وأسير ذنبه أمين بن حسن الحلوانى المدنى عفى عنه)

*(وهذه قصيدة بديعة وكلمة رفيعة ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ العلماء الكرام وامام الفصحاء العظام ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ الحسن حفظه الله عن كل مايكره فى السر والعلن ـ ـ ـ ـ هذا التفسير ووجده حين السطر اليه ـ ـ ـ ـ *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ماسمعه اعقل فتح البيان ـ فى ـ ـ ـ ـ ـ ـ

فعانيه عين عذب فرات * ومبانيه جنة من جنان
لا ولا ثم لا ولا مثل شئ * منه شئ من الكبار المثان
من رأى مثله رآه وأنى * مثله عز مثله فى زمانى
انظرن فيه فانظرن فيه تنظر * فيه ما ليس فى الحسان السمان
يا لها من جميلة ذات حسن * تتمناها عامل غوان *
اتحب الحسان حبا شديدا * بعدها ويك من محب مدان
كل ما فيه نضرة وسرور * للذى بات عنده فى مكان
حسبه انه على كل حال * كاشف عن اثاثف القرآن
ان وضعناه فوق سبع شداد * حاز اذ حل فيه سبع المثانى
امره بين غنى عن المد * ح وقد جل مدحه عن بيان
يكشف المعضلات الا يسيرا * وكأن حاملوات المثان
مرتع مونق ومرتع مريع * عنه كل صيب هتان
[illegible] * سر دونه العيون الروانى
[illegible] * لذة للعيون والآذان
[illegible] لمعانى منيف * كل بكر [illegible] وكل عوان
[illegible] * [illegible] شئ يقول لى ان ترانى
لى [illegible] * ولمن أسس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الآماى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عدد [illegible]

قوله من الكبار أى التفاسير الكبار اه منه

قوله مونق أى معجب اه منه
قوله الروانى من رنى اليه اذا نظر اه منه

قوله لم أزره قد زاره بعد نظم هذه الكلمة فوجده وفق ما ظنه اه منه
قوله يانى أى يتحد اه منه

قوله يحلق الامر أى يقدره اه منه
قوله غير جان من الجناية وقوله من جان من جنى الثمر اه منه

قوله بس أى ولد اه منه

لم تغيره نعـــــمة وثراء * أسواء لديه باق وفان
في اسمه مبدآن صدق وحسن * وكلا المبدآين للحسر بان
يعرف المرء حيث كان ولا يغـ * ـمض عنه وان بعيد المكان
عارف بالعلى مكين أمين * مستعان وحب من مستعان
فاضل كل فضله فضل ربي * لا يدانيه رب فضل مدان
كل فضل له وما كان فضل * لم يكن فيه شهرة وبدان
كاتب ذو يد وأيد يداه * كجوادين أرسلا في رهان
بارك الله فيه ماهبت الريـ * ـح صباح الندى على الاغصان
صانه الله من شرور الدواهي * ومضى في كلاءة وأماني
ذاد عنه الله بخير ولا يذ * هب ما كان من سمي الجنان

قوله وان صيدأي وان كان اهرحته

(ومنهم الشيخ العلامة والمفسر المحدث الفهامة ذو الفضل السامي الشيخ علي بن عبد الله الشامي الكاني خصه الله تعالى بعز احمد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الفاتح المانح اللهم اني أسألك التوفيق لما تحب وترضى وأستمد لك ...مدادا باسمائك وعلى جلائل آلائك ودقائق نعمائك الباهرة الغراء حمدا تتعطر به ريا الانفاس بنفحة من نفحاته وتتفجر أنهار انوار الاسرار بلمحة من لمحاته وتتدفق سواحل الا بكار برشحة من رشحاته وأصلي وأسلم على سيدنا محمد العظيم الشان المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات الذي محى ظلم الشرك والطغيان وسل سيف عزمه فاستنار منار الاسلام والايمان واقام دلائل التوحيد بالسيف والبرهان وعلى اهل بيته خزنة اسراره وعلى آله واصحابه وانصاره الذين كشفوا عن مخدرات مكنونات الكتاب النقاب وخاضوا عبابه واستخرجوا درر فرائده وجواهر قلائده ونثروا لطالبيه الباب (وبعد) فلا يخفى ان العلوم وان عظمت اخطارها وتباينت اقدارها فعلم التفسير هو الجدير بان يشمر له ساق الجد والعناية ويعتنى في تحصيله باتقان الرواية والدراية وقد بذل الائمة والسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من التابعين الذين همهم العلية وافكارهم الوقادة المرضية في استخراج دقائقه وبث كنوز حقائقه مستضيئين من أنوار مشكاة النبوة الزاهرة فضاءت واشرقت على صفحات قلوبهم أسرار أنواره الباهرة فهم أول من صلى وجلى في ذلك الميدان جزاهم الله أحسن الجزا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ليعلم ان من أجل ما طالعته من التفاسير [illegible] العظيمة الحسان وأفضل وأحسن ما ألف في هذا الشان ما جمعه [illegible] فضائل الامام السيد العلامة الامام الحافظ المسند ذو الجاه [illegible] حسن خان صاحب بهادر النواب) فرأيته [illegible] حاويا للباب [illegible] على عروة [illegible] العباب تبهر جزالة معاني ألفاظه عقول أولي الالباب مع احكام قواعد [illegible] وتقييد أوابد وتنقيح لطائف شوارد وثمرات أسرار [illegible] ذلك [illegible]

جامعا لمعانيه مظهرا لاسرار السابقة التي لا يحصيها حساب كيف لا وجامعه من مصقع لبيان الفضائل والعلوم ومن صحح جواهر المنطوق والمفهوم مدرى فنون أنواع الدراية امام متقن لمدارك الرواية لا زال بحر وسابحين العناية ولقد اتفق به الحقير لما رحل الى بيت الله سنه خمس وعشرين ومائتين وألف فلما وقع نظر الحقير عليه رأيته آية من آيات الله وأيقنت انه بجوامع الفضل والفضائل أولى وأحرى فاجريت سوابق فكرى اليه فانقلبت أصف فهمي فانلا ابهلوان وجدناه لبحرا لا زال محفوظا وبعين الله تعالى ملحوظا جامعا لفنون العلوم موضحا بديع بيانه ما ارتبك (١) على القوم أمين اللهم أمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى أنزل عليه الكتاب والشفيع يوم المآب كتب ذلك بخلا الحقير على بن عبد الله الشامى الكاتبى تاب الله عليه وعلى والديه والمسلمين أمين

(١) ارتبك اختلط عليه أمره اه قاموس

(ومنهم الشيخ المحترم النبيه والعلامة المفسر الفقيه يحيي ابن محمد المفتى بجديدة عظمه الله تعالى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فان من نعم الله على عبده الحقير الفقير خليق الكسل والتقصير ان أوقفه الله على هذا التفسير الخطير الذى لا حد لفضائله ولا تقدير تأليف الملك الهمام والعلامة الامام الذى فاق اهل زمانه ولم يفقه من تقدمه من العلماء الاعلام (أبى الطيب السيد محمد صديق حسن خان نواب والاجاه) وقد سرحت النظر في ربعه الأول فرأيته الى وجنسه محكم الوضع والترتيب في بنائه وأسه حاويا جميع مباحث العلوم سهل التناول لارباب العقول والفهوم سلك فيه مسلكا باهرا عجيبا وطريقا وانحا قريبا اتضح فيه للناظر المراد بأول وهله ولا يحتاج لكثير تأمل له بخلاف غيره من التفاسير المتقدمة فان غالب مباحث أكثرها يصعب فهمها على هذه الافهمة ولعمرى لقد أوضح بحسن تقريره اسرار الكتاب العزيز ونظم في سلك تحريره جواهر الابريز وكشف عن عجائبه واسراره وانفرد من ذلك بعالم يحو شئ من كتب التفسير وأسفاره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وبوأه بجميل صنعه دار الكرامة والرضا وأدام النفع به للمسلمين الى يوم الفصل والقضاء آمين

(وقال الهمام الاكمل والعلامة الافضل الشيخ محمد عبد الجيد خان مهتم مطابع الرياسة العلية بهوپال المحمية حفظه رب البرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم والصلاة والسلام على رسوله محمد الذى هدى الناس كافة الى خير الهدى وعن الغى جنبهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بالاحسان وأحبهم (وبعد) فيقول الراجى عفو ربه الرحمن (محمد عبد المجيد خان) خصه الله تعالى بالغفران وعفا عنه ما جناه

باللسان والجنان والاركان مهتم مطابع الرياسة العلية (بهوبال) المحمية والعامل على تلك الصنعة البهية ان هذا التفسير المبارك الميمون والزبور الكريم المصون عن ريب المنون قد ألفه مؤلفه السيد العلامة وحرره جامعه الشريف الفهامة بحسب استبداد جماعة من أهل العلم بالقرآن نخبتهم الطبيب الماهر الحاجي فورى الحكيم (محمد احسن) أنعم الله عليه واليه أحسن في ثمانية شهور ونظر عليه النظر الثانى فى أربعة أشهر فكان مدة تأليفه الكامل عام واحد ثم بيضه نخبة البررة وزبدة الخيرة السيد (ذو الفقار أحمد) البهوپالى رقاه الله الى مدارج المعالى فى سنتين ثم صدر الامر المطاع بطبعه فى تاج المطابع ورأس المصانع فكتبه الحافظ لكتاب الله المجيد [illegible] بالقلم السديد (على حسين) اللكنوى صانه الله عما شانه فطبع كما تراه مطبوعا [illegible] أهل العمل والعلم وعاد أحسن المصاحف موضوعا لدى أصحاب الفضل [illegible] وكان ذلك فى مدة أربعة أعوام وصحح حروفه وأصلح فروقه الشيخ الصالح العالم [illegible] الالمعى الفقيه (محمد عبد الصمد) ابن الفاضل الاريب الكامل الاديب [illegible] (عبد الر[illegible]) الفشاورى أحسن الله اليهما وأنعم عليهما (فلما) تم طبعه [illegible] المصروف عليه من المعلوم الذى بذله المؤلف حفظه الحى القيوم على [illegible] وأجرة العاملين على طبعه وغير ذلك مما لا بد منه فى طبع الكتب واشاعتها [illegible] المطوية واذاعتها فكان جملة النفقة فى ذلك زهاء خمس [illegible] آلف ربية [illegible] قبل تمامه وتضوع مسك ختامه الى البلدان واستطال [illegible] من أهل صنعاء وأبى عريش وزبيد وبيت الفقيه وبلاد [illegible] والقدس وبلغار ومن حل بها من بقية علماء الديار وكرام الامصار وا[illegible] استحسانا بالغا ورجحوه على جميع دفاتر التفاسير المتقدمة والمتأخرة [illegible] وفهمه فقد صار فى العلماء نابغا وهو حرى بذلك فانه لم يرا[illegible] فى هذه [illegible] والمدارك وقد أولم عليه حضرة النواب الرفيع الخطاب [illegible] الكتاب والسنة وأضافهم ضيافة مستحسنة [illegible] باحسن خلاع تبتغى [illegible] كما صنع الحافظ ابن حجر العسقلانى [illegible] ختم فتح البارى شرح صحيح البخارى [illegible] المعظمة تاج العروس وبهجة النفوس [illegible] الدهر [illegible] الزمان ومكرمة الايام ونسخة الامان [illegible] وحامية حمى الشريعة [illegible] المملكة البوفالية رفع الله قدرها [illegible] [illegible] كرتمن [illegible] التفسير [illegible] [illegible] بالحسن [illegible] الاحكام [illegible] الكوثر [illegible]

وهداية لهم الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين عم الله تعالى نفعه لعصابة المؤمنين وزمرة المتبعين لسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أبصعين اكتعين * وقد أرخ تأليف هذا الكتاب وطبعه جماعة من أهل الدين بدرر رشيقة وجمل أنيقة يتضمن تهازمات الطبع والتأليف من غير مشقة لذلك وتكلف وتكليف وهي هذه (١)

(تاريخ التأليف للسيد العالم الحنفي أبي الحامد محمد يوسف علي المولوي الكوپاموي أنعم الله عليه في الدنيا والآخرة وحباه بنعمه الذاخرة الفاخرة)

اسوة الاعلام صديق الحسن * فسر الذكر بتفسير فريد
القمست القلب عن تاريخه * قال ايضاح لقرآن المجيد

سنة ١٢٨٩ هجرى

(تاريخ التأليف للشيخ الراسخ القوي الحافظ لكتاب الله العلي الشيخ الصالح علي حسين اللكنوي كاتب هذا التفسير سلمه الله وعافاه وأوصله الى ما يتمناه)*

(وانه لهدى و بشرى للمتقين)

سنة ١٢٨٩ هجرى

وله لعام الطبع الاول في بهوپال

قدوة الأعيان تاج الادكيا * ناشر الاسلام بالفكر السديد
مجمع الاوصاف ذو الفضل الجلي * منبع الخيرات بالجد المزيد
حضرة النواب صديق الحسن * ألف التفسير بالطرز الجديد
قال عام الطبع قلبي ملهما * انه تفسير فرقان مجيد

سنة ١٢٩٤ هجرى

(١) بهامش الاصل المطبوع ما نصه وقد شارك مد ظله في تصحيح هذا التفسير المبارك وتحرير صوابه من خطئه ولم يأل جهدا في ذلك بل نظره من أول الكتاب الى آخره نظر اتقان وايقان والله الموفق وهو المستعان اه

(يقول حسيب الأعتاب الحسينية الفقير الى الله تعالى محمد الحسيني خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه فقد تم طبع هذا التفسير الجليل * رائق المنهل والعذب السلسبيل الروض الانف الذى يقتطف رائده من شهى ثمار المعانى القرآنية كل دانية جنية والكنز الحصين الذى يظفر داخله بكل ثمينة يتيمة عالية المقدار غالية الاسعار فريدة بهية جلا لنا من عرائس الآى القرآنية كل خود غيداء بضة خفرة وضية يهيم بها عذرى البلغاء وتعنو لهيبتها وجوه الفصحاء فلله تفسير صيت حسنه بعيد المدى فى نسق عباراته لسان الى مفاز البيان آيات بينات وهدى هين المسار بين المنار كيف لا وناظم عقده وناثر أزاهيره ووروده الصنع الماهر والطبن الخبير الباهر أنجب من أجرى جوادا فى ميدان بيان وأرمى من فوق سهما فأصاب فؤاد الغرض وبرز على كل انسان العالم النحرير والبطل الشهير سيد الفضلاء ومربى الجهابذة النجباء الملك العدل مالك زمام رعيته ببالغ الفضل الذى أنام رعيته فى ظل الامان حضرة *(نواب والاجاه أمير الملك بهادر السيد صديق حسن خان)* على نفقة بدر هالة الاقاليم الهندية وشمس أفق الدائرة البهوبالية مشيدة مملكتها على أساسها المكين و[illegible] برمام عدلها المتين السيدة الرئيسة الفاضلة الرامية بسهام حزمها الناضلة حضرة (نواب شاهجهان بيكم) أدام الله دولتها ببقاء حضرة عماد ركنها الشديد وطود عزها الشامخ الوطيد الشهم الامام والملك الجليل الهمام حضرة مولانا المسمى سابقا المشار اليه المعول فى حل المشكلات وفك المعضلات عليه أدام الله طلعته وأزهر فى رياض القبول ثمرته فى ظل الحضرة الخديوية التوفيقية التى جعلها الله رحمة لعباده وأمنا عاما وغيثا مريعا مخصبا لجميع أرضه وبلاده حتى رفلوا فى حلل الثروة والابتهاج وزال عن أعواد معايشهم الأود والاعوجاج لازالت ألوية الثناء الجميل على هامتها خافقة وألسنة العباد بشكر عميم فضائلها وجميل مساعيها ناطقة ونسأل الله تعالى أن يديم [illegible] الانجال الكرام ويجعلهم غرة فى جبين الليالى والايام وكان هذا الطبع الجميل [illegible] الحسن [illegible] الجليل بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ملحوظا [illegible] ناظرها العظيم الشان رفيع المكانة والمكان الذى بشهرته عن اطراء [illegible]

بمعارف [illegible] الملتزم وتطريز حضرة وكيله الشهم الهمام البدر التمام الذي

على ربه نجح همته [illegible] [illegible] حضرة محمد بك

حسني في أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢

من عام ثلثمائة واثنين بعد الالف من هجـ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

مالاح بدر تمام وفاح

مسك ختام

آمين